

# كتاب الغيرة وكره الزنا المبتدأ في الخبر

في أيام العرب والنعم والبربر ومن غاصرهم من ذوي السطان الأكبر

تأليف

عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن خلدون

الكتاب الأول، المبتدأ فيها

الجزء الثاني

قرأه وعارضة بأصول المؤلف، وأعيد معاجمته وفهارسه

إبراهيم بن محمد بن

توزيع 2007



كتاب العبر وديوان المبتدئ والخبر





كَلَامُ الْعَبْرِ وَذِي الْمَنَادِ وَالْمَنَادِ

فِي أَيَّامِ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ وَالْبَزْبَرِ وَمَنْ عَاَصَرَهُمْ مِنْ ذَوِي السُّلْطَانِ الْأَكْبَرِ

تَأْلِيفُ

وَالْأَمِيرُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ

الْكِتَابُ الْأَوَّلُ : الْمُفَصَّلُ

البرق

قَرَأَهُ وَعَارَضَهُ بِأُصُولِ الْمُؤَلَّفِ ، وَأَعَدَّ مَعَانِيَهُ وَفَهَّمَهَا رِيسَهُ

ابن ابي شيبه

نشرة تكميمية، أعدت بمناسبة احتفالات تونس ٢٠٠٧ بالملوية السادسة لباقتها

عبد الرحمن بن محمد بن خلدون

مشروع إحياء تراث ابن خلدون

أعد أصوله الخطية وأشرف عليه

إبراهيم شيبو

نشر: القنطرة للنشر

ص.ب 115 - المنار الثاني - تونس 2092 الجمهورية التونسية

الترقيم الدولي: 5-02-896-9973-978 ISBN

جميع الحقوق محفوظة لدار القنطرة للنشر

الطبعة الأولى

تونس 2007

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ





## تقديم

هذا هو الجزء الثاني من كتاب العبر، وبه يكتمل الكتاب الأول [المقدمة]، وقد بذلنا غاية الجهد ليخرج النُّص واضحاً وصحيحاً كما وثَّقته مجموعة النُّسخ التي كانت بين يدي المؤلف، وتدخل فيها بصُور مُتفاوتة، حسبما شرحناه في مقدمتنا للكتاب التي فصلت القول في تحليل ووصف الأصول الخطية.

وقد اعتمدنا في هذا الجزء على أربع مخطوطات، سبق لنا تقديمها، وقلنا إنَّ نسخة حاث أفندي "ل" ذات التقسيم الموازي للظاهري - وكانت في أربعة عشر جزءاً - قد توقفت بنهاية النصف الأول.

هذا، وتصدر - بمشيئة الله - بقية أجزاء العبر، بكتائيه الثاني والثالث، مُتتالية وفي آجال محدّدة، ليخرج الكتاب تاماً ومعتمداً على أصولٍ عليها جميعها أثر مؤلفها ابن خلدون، وهي المرّة الأولى التي يخرج فيها كتاب العبر مُستنداً على أوثق الأصول الخطية التي خلفها المؤلف، وكُتبت بإشرافه وتدخله أواخر أيّامه.

وفي هذا الجزء فصلان مهمّان في تاريخنا الثقافيّ، يُثيران تساؤلات وإشكالات شتى، وقد وقَّعنا أمامها بكثير من العناية الخاصّة والحذر لصعوبة مادّتهما، وللخِطة التي تُطلّب عند التدقيق.

الأولُ منها: هو الفصل 29 من الفصل السادس من الكتاب الأول، في  
عِلْمِ أسرار الحُرُوف، وما يتَّصل به من شُؤون عِلْمِ السِّمياء، ويمتدّ على  
صفحات 337-390، فقد تخلّله مجموعات من الأزقام الدالّة بطريقة "رُشم الزّمام"  
التي كانت مُستعملةً في دواوين الدّول المغاربيّة زمن ابن خلدون؛ وهي معروفةٌ  
ومحدّدة، إلى جانب طريقة "رُشم الغبار". وظهرت عن الطريقتين دراسات جيّدة،  
وقدّم Franz Rosenthal في حاشية من ترجمته الإنكليزية توضيحَ دلالة هذه  
الأرقام، وترك لموقعها في نصّ الترجمة بياضاً (3: 197، الحاشية 882).

ولأمانة الأداء، قمنا بإعادة تركيب تلك الأزقام وتزليلها في مواقعها بعد تنّصيد  
النصّ وإعداده النهائي، وقد وردت جميعها في الأصول متشابهةً في كتابتها ورسومها،  
عدا نسخة "ي" التي اختلفت منها الزّايرجة بدائرتها وجدولها.

فانتقينا أكثر الرسوم وضوحاً وهي التي أوردتها نسخة عاطف أفندي "ع"،  
وتزّلناها في مكانها، على أن نعرّف بها في معجم المقدمة. وقد اضطررنا إخراج  
الكتاب أن نقسم جدول الزّايرجة الموحد إلى قسمين متقابلين واضحين، حتّى لا  
يتعرّض جزءٌ منه للاختجاب بين الصّفحتين.

والثاني: هو الفصل الستون من الفصل السادس للكتاب الأول، في  
أشعار العرب وأهل الأمصار لهذا العهد (الصفحات 549-566)، وتكمن  
صُعوبته في إقامة إيقاعه وفهم معانيه والتّقيّد المطلق بالحركات التي استعملتها الأصول  
المخطوطة بدون تدخّل جديد، حتّى في التّعابير الواضحة التي يمكن أن تُضبط

حركاتها استناداً لما نعلم. وقد التزمنا ذلك حتى لا نُزيك أصحاب الأبحاث الفيلولوجية والصوتية بالخلط عليهم فيما هو وثيقة عَصْر. وبهذا الالتزام الذي توخيناهُ يمكن اعتبار الشّكل الذي خرجت به هذه الأشعار هو ما اعتمده ابنُ خلدون نفسه<sup>(1)</sup>.

والتزمنا أن نُلحق بكلّ جزء بياناً بمحتواه التام، بلغة المؤلف التي فُهرس بها أجزاء الكتاب، إلا ما أضفناه للإيضاح محصوراً بخاصرتين، على أن يصدر الفهرس التفصيلي الشامل لكلّ أجزاء الكتاب بعد اكتمال صدوره.

أمّا معاجمُ المقدمة، التي نعتبرها تدخلاً خارجياً لم نردّ إقحامه على النص، تمييزاً في عملنا بين التحقيق والشرح، فنُفردُها مستقلةً في جزء خاص، تيسيراً وتعريفاً بأكثر ما يمكن أن نُلمّ به مما ذكر فيها من لغة وأعلام ومُصطلح وأسماء كتب، إضاءةً وتقريباً لفهم مادّة الكتاب، وتقديماً لما يحتاجه من بيانات مُضافة.

ومن الله نستمدُّ العون.

## إِبْرَاهِيمُ شَرِيفُ

(1) كُتبتْ قَدَمْتُ صُورَةٍ من أصول نماذج هذه الأشعار كما وردتْ في نُسخِ المقدمة المعتمدة، لصديقي الباحث د. محمد بن شريفة، فأخرجها في كتابه "تاريخ الأمثال والأشعار في الأندلس والمغرب" (5: 112 - وغيرها) واجتهد في ضبطها بالحركات ضبطاً تاماً، اعتماداً على علمه الواسع بلهجتها المغربية، وعلى دراسته لمتون الأمثال الأندلسية المختلفة.





# كتاب العبر وديوان المبتدئ والخبير

الكتاب الأول : المبتدئ

الجزء الثاني



/ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

<sup>(أ)</sup> وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ

الفصلُ الرابعُ \* من الكتابِ الأولِ \* (ب)

(أ) ع، ج: وما توفيقني إلا بالله، عليه توكلت. ي: ربنا آتانا من لئلك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشداً (ب) سقط من ي .





فِي الْبُلْدَانِ وَالْأَمْصَارِ \* وَالْمُدُنِ وَسَائِرِ الْعُمَرَانِ الْحَضَرِيِّ\*،<sup>(١)</sup> وَمَا يَعْرِضُ فِي ذَلِكَ مِنَ الْأَحْوَالِ؛ وَفِيهِ سَوَابِقُ وَلَوْ أَحَقُّ

1 • فَضْلٌ، فِي أَنَّ الدُّوْلَ أَقْدَمُ مِنَ [الْمُدْنِ] <sup>(ب)</sup> وَالْأَمْصَارِ، وَأَنَّهَا إِنَّمَا تَوْجَدُ ثَانِيَةً  
عَنِ الْمُلْكِ

وبيانه: أَنَّ الْبِنَاءَ وَاخْتِطَاطَ الْمَنَازِلِ، إِنَّمَا هُوَ مِنْ مَنَازِعِ الْحَضَارَةِ الَّتِي يَدْعُو إِلَيْهَا  
التَّرْفُفُ وَالِدَّعَةُ، كَمَا قَدَّمَاهُ، وَذَلِكَ مُتَأَخِّرٌ عَنِ الْبَدَاوَةِ وَمَنَازِعِهَا. وَأَيْضاً فَالْمُدُنُ  
وَالْأَمْصَارُ ذَاتُ هَيَاكِلَ وَأَجْرَامٍ عَظِيمَةٍ وَبِنَاءٍ كَبِيرٍ، إِذْ هِيَ مَوْضُوعَةٌ لِلْعُمُومِ، لَا  
لِلْخُصُوصِ؛ فَتَحْتَاجُ إِلَى اجْتِمَاعِ الْأَيْدِي وَكَثْرَةِ التَّعَاوُنِ، وَلَيْسَتْ مِنَ الْأُمُورِ  
الضَّرُورِيَّةِ لِلنَّاسِ الَّتِي تَعُمُّ بِهَا الْبَلَوَى حَتَّى يَكُونَ نُزُوعُهُمْ إِلَيْهَا شَوْقِيّاً وَاضْطَرَّارِيّاً،  
بَلْ لَا بَدَّ مِنْ إِكْرَاهِهِمْ [عَلَى ذَلِكَ] <sup>(ج)</sup> وَسَوْقِهِمْ <sup>(د)</sup> إِلَيْهِ مُضْطَهَّدِينَ بَعْضُ الْمُلْكِ، أَوْ  
10 مُرَغَّبِينَ فِي الثَّوَابِ وَالْأَجْرِ الَّذِي لَا يَبْقَى بِهِ لِكَثْرَتِهِ إِلَّا الْمُلْكُ وَالِدَّوْلَةُ. فَلَا بَدَّ [فِي] <sup>(هـ)</sup>  
تَقْصِيرِ الْأَمْصَارِ وَاخْتِطَاطِ الْمُدْنِ مِنَ الدَّوْلَةِ وَالْمُلْكِ.

ثُمَّ إِذَا بُنِيَتِ الْمَدِينَةُ، وَكُلُّ تَشْيِيدِهَا - بِحَسَبِ نَظَرٍ مِنْ شَيْدِهَا، وَمَا اقْتَضَتْهُ  
الْأَحْوَالُ السَّمَاوِيَّةُ وَالْأَرْضِيَّةُ فِيهَا - فَعُمِّرَ الدَّوْلَةُ، حِينَئِذٍ، عُمُرٌ لَهَا. فَإِنْ كَانَ أَمْدُ

(١) سقط من ج (ب) من ع، ج، ي، وفي ظ: الدول (ج) من ع، ي، ج، وسقطت من ظ (د) في ظ: وشوقهم  
(هـ) من ع، ج، وفي ي، ظ، من .

الدَّوْلَةُ قَصِيْرًا، وَقَفَ الْحَالُ فِيْهَا عِنْدَ انْتِهَاءِ الدَّوْلَةِ، وَتَرَجَعَ عُمْرَانُهَا، وَخَرِبَتْ. وَإِنْ كَانَ  
أَمَدُ الدَّوْلَةِ طَوِيلًا وَمُدَّتْهَا مُنْفَسِحَةً، فَلَا تَزَالُ الْمَصَانِعُ فِيْهَا تُشَادُّ، وَالْمَنَازِلُ الرَّحِيْبَةُ<sup>(١)</sup>  
تَكْثُرُ وَتَتَعَدَّدُ، وَنِطَاقُ الْأَسْوَارِ يَتَّبَاعِدُ وَيَنْفَسِحُ، إِلَى أَنْ تَتَّسِعَ الْخِطَّةُ، وَتَبْعُدَ الْمَسَافَةُ،  
وَيُغْنِيَ ذِرْعُ الْمِسَاحَةِ، كَمَا وَقَعَ بِنِغْدَادَ وَأَمْثَالِهَا.

- 5      ذَكَرَ الْخَطِيبُ فِي تَارِيخِهِ<sup>(١)</sup> : أَنَّ الْحَمَّامَاتِ بَلَغَ عِدْدُهَا بِبِغْدَادَ - لِعَهْدِ الْمَأْمُونِ -  
خَمْسَةَ وَسِتِّينَ أَلْفَ حَمَامٍ؛ وَكَانَتْ مُشْتَمِلَةً عَلَى مُدُنٍ وَأَمْصَارٍ مُتَلَاصِقَةٍ وَمُتَقَارِبَةٍ  
تُجَاوِزُ الْأَرْبَعِينَ ؛ وَلَمْ تَكُنْ مَدِينَةً وَاحِدَةً يَجْمَعُهَا سُورٌ وَاحِدٌ، لِإِفْرَاطِ الْعُمْرَانِ . وَكَذَا  
حَالُ الْقَيْرَوَانِ، وَقَرْطَبَةِ، وَالْمَهْدِيَّةِ فِي الْمِلَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَحَالُ / مِصْرَ وَالْقَاهِرَةِ بَعْدَهَا [239]  
فِيْمَا يَبْلُغُنَا لِهَذَا الْعَهْدِ.

- 10      وَأَمَّا بَعْدَ انْقِرَاضِ الدَّوْلَةِ الْمَشِيْدَةِ لِلْمَدِينَةِ: فَإِمَّا أَنْ يَكُونَ لِمُصَوَّاحِي تِلْكَ الْمَدِينَةِ  
وَمَا قَارَبَهَا مِنَ الْجِبَالِ وَالْبَسَائِطِ بَادِيَةٌ تَمُدُّهَا الْعُمْرَانُ دَائِمًا، فَيَكُونُ ذَلِكَ حَافِظًا  
لِوُجُودِهَا، وَيَسْتَمِرُّ عُمْرُهَا بَعْدَ الدَّوْلَةِ، كَمَا نَرَاهُ بِفَاسَ وَبِجَايَةِ مِنَ الْمَغْرِبِ، وَبِعِرَاقِ  
الْعَجَمِ مِنَ الْمَشْرِقِ، الْمَوْجُودِ لَهَا عُمْرَانُ الْجِبَالِ. لِأَنَّ أَهْلَ الْبَدْوِ إِذَا انْتَهَتْ أَحْوَالُهُمْ  
إِلَى غَايَتِهَا<sup>(ب)</sup> مِنَ الرِّفْهِ وَالْكَسْبِ ، نَزَعُوا إِلَى الدَّعَةِ وَالسَّكُونِ الَّذِي فِي طَبِيعَةِ  
15      الْبَشَرِ، فَيَنْزِلُونَ الْمَدْنَ وَالْأَمْصَارَ، وَيَتَأَهَّلُونَ فِيْهَا.

(أ) فِي ج: الرَّحِيْبَةُ (ب) ع ج ي: غَايَتِهَا .

(1) تَارِيخُ مَدِينَةِ السَّلَامِ 1: 439 وَالْخَبَرُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى النَّدِيمِ، أَنَّ عِدَدَ الْحَمَّامَاتِ كَانَتْ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ  
سِتِّينَ أَلْفَ حَمَامٍ. وَأَخْبَارُ النَّدِيمِ مَنْقُولَةٌ عَنْ كِتَابِ بِنْدَادَ لِأَحْمَدَ بْنِ أَبِي طَاهِرٍ؛ وَفِيْهَا تَفْصِيلٌ عَنْ عِدَدِ  
مُرْتَادِيهَا وَمَقَادِيرِ الصَّابُونِ الْمُسْتَعْمَلَةِ فِي لَيْلَةِ الْعِيدِ وَمَا إِلَى ذَلِكَ.

وإمّا أن لم يكن لتلك المدينة المؤسسة مادّة تُفيدها العُمران بترادف السّاكن من بدوها، فيكون اقراض الدولة خرقاً لسياجها، فيزول حِفْظُها، ويتناقض عُمرانها شيئاً فشيئاً، إلى أن يندعّر ساكنها وتُخرب، كما وقع في بغداد ومصر والكوفة بالمشرق، والقيروان والمهدية وقلعة ابن حمّاد بالمغرب، وأمثالها؛ فتفهّمه.

- وربما ينزل المدينة - بعد اقراض مُحْتَطِّطِها الأولين - ملك آخر، ودولة ثانية، 5 تتخذها قراراً وكُرسياً، وتُستغني بها عن اختطاط المدينة لنزلها. فتحفظ تلك الدولة سياجها، وتزيد مبانيها ومصانعها بتزايد أحوال الدولة الثانية وترفها. وتُستجدُّ بعُمرها عُمرًا آخر؛ كما وقع بفاس والقاهرة لهذا العهد. فاعتبر ذلك، وافهم سرّ الله في خَلِيقَتِهِ.

## 2\* فصل، في أن الملك يدعوا إلى [نزول] <sup>(1)</sup> الأمصار

- 10 وذلك أن القبائل والعصائب إذا حصل لهم الملك، اضطّروا للاستيلاء على الأمصار، لأمرين، أحدهما: ما يدعو إليه الملك من الدعة، والراحة، وخط الأثقال، واستكمال ما كان ناقصاً من أمور العُمران في [البدو] <sup>(ب)</sup>. والثاني: دفع ما يتوقع على الملك من أمر المتازعين والمشاعيين، لأنّ المضر الذي يكون في نواحيهم ربّما يكون ملجأ لمن يروم منازعتهم والخروج عليهم، وانتزاع ذلك الملك الذي سموا إليه من أيديهم، فيغتصم بذلك المضر ويغالٍهم. ومُغالبة المضر على نهاية / من الصعوبة 15 [239ب]

(1) هذا الفصل أضافه المؤلف بخطه في أصله ع ضمن بطاقة ملصقة، وحدّد موضعه. وضّمته نسخ ط، ج، ي في منشأ (ب) من ع، ي، ج، وفي ط: البلد.

والمشقة. والمِصْرُ يقوم مقام العساكر المتعددة، بما فيه من الامتناع ونكاية الحزب من وراء الجدران من غير حاجة إلى كبير عددٍ ولا عظيم شوكة، لأنَّ الشوكة والعصاة إنما احتيج [إليهما]<sup>(أ)</sup> في الحزب، للثبات بما يقع من نغرة القوم بغضهم على بعض عند الجولة، وثبات هؤلاء بالجدران، فلا يضطرون إلى كبير عصاة ولا عدد، فيكون حال هذا المِصر ومن يعتصم<sup>(ب)</sup> به من المنازعين مما يفت في عضد الأمة التي تروم الاستيلاء، ويخضع شوكة استيلائها. فإذا كانت بين أحيائهم أمصار انتظموها في استيلائهم للأمن من مثل هذا الانحرام؛ وإن لم يكن هنالك مصر استخذه ضرورة لتكميل عمرانهم أولاً وخط أقاليمهم، وليكون ثانياً شجاً في خلق من يروم العزة والامتناع عليهم من طوائفهم وعصائهم.

10 فقد تبين لك<sup>(ج)</sup> أنَّ الملك يدعو إلى نزول الأمصار والاستيلاء عليها .  
﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ ﴾ [سورة يوسف، من الآية 21] .

### 3 • فصل، في أنَّ المدنَ العظيمةَ والهيَاكلَ المرتفعةَ إنما يُشيدُها الملكُ الكبيرُ

وقد قدّمنا ذلك في آثار النول من المباني وغيرها، وأنّها تكون على نسبتها. وذلك أنَّ تشييد المدن إنما يحصل باجتماع الفعلة وكثرتهم وتعاونهم. فإذا كانت الدولة عظيمة متسعة الممالك، حشِر الفعلة من أقطارها، وجمعت أيديهم على عملها. وربّما

(أ) من ج، وفي ظ، ع، ي: إليها (ب) ج: اعتصم (ج) مقط من ع، ي، ج .



استُعين في ذلك أكثر الأمر بالهندام الذي يُضاعف القوي والقدر في حَمَل \* أقال  
البناء، لعجز [القدر]<sup>(أ)</sup> البشرية عن ذلك \*<sup>(ب)</sup> ، كالمِخال وغيره. وربما يتوهم كثير  
من الناس إذا نظر على آثار الأقدمين ومصانعهم العظيمة، مثل إيوان كسرى،  
وأهرام مصر، وحنايا المعلقة، وشرشال بالمغرب، \* أنها كانت بقدرهم متفرقين أو  
مجتمعين \*<sup>(ج)</sup>، فيتخيّل لهم أجساماً تُناسب ذلك أعظم من هذه بكثير في أطوالها  
وعروضها وأقطارها، ليناسب بينها وبين القدر التي صدرت تلك المباني عنها. ويُغفل  
عن شأن الهندام والمِخال، وما اقتضته في ذلك الصناعة الهندسية. وكثير / من  
المتقلّبين في البلاد يُعاين من شأن البناء واستعمال الحِيل في نَقْل الأجرام عند أهل  
الدول المغنيتين بذلك من العجم ما يشهد له بما قلناه عياناً.

وأكثر آثار الأقدمين، لهذا العهد، تُسمّى العامة عادية، نسبة إلى قوم عاد،  
لثوهم أن مباني عاد ومصانعهم إنما عظمت<sup>(1)</sup> لعظم أجسامهم وتضاعف قدرهم.  
وليس كذلك؛ فقد نجد آثاراً كثيرة من آثار الذين تُعرف مقادير أجسامهم من الأمم،  
وهي في مثل ذلك العظم وأعظم، كإيوان كسرى، ومباني العبيديين من الشيعة  
بإفريقية، والصنهاجيين، وأثرهم بادٍ إلى اليوم في صومعة قلعة ابن حمّاد؛ وكذلك بناء  
الأغلبة في جامع القيروان، وبناء الموحّدين في رباط الفتح، وبناء السلطان أبي  
الحسن لعهد أربعين سنة في المنصورة بإزاء تلمسان، وكذلك الحنايا التي جلب أهل

(أ) من ع، وفي ظ: القدرة (ب) في ي: أقالها لبناء تعجز القدر البشرية عن ذلك (ج) من ط، ع .

(1) النعمان بن محمد : المجالس والمسائرات 333 .

[قَرطاجنة<sup>(1)</sup>] إليها الماء في القنّاة الرّاكبة عليها ماثلة أيضاً لهذا العهد؛ وغير ذلك من المباني والهياكل التي نُقِلَت إلينا أخبار أهلها قريباً وبعيداً. وتيقنّا أنّهم لم يكونوا بإفراط في مقادير أجسامهم. وإنّا هذا رأيي وَلَع به القصاص عن قوم عادٍ وثمودٍ والعالمقة. ونحنُ نجدُ بُيوتَ ثمودَ في الحجرِ منحوتةً إلى هذا العهد . وقد ثبت في الحديث الصحيح<sup>(1)</sup> أنّها بُيوتهم ، يمرُّ بها الرّكبُ الحجازيُّ أكثرَ السنين ويُشاهدونها ، لا تزيدُ في جوّها وساحتها وسُمكها على [المُتعاهد]<sup>(ب)</sup>. وإنّهم ليُبَالِغون فيما يَعتقدون من ذلك، حتّى إنّهم ليزعمون أن عوجَ بنِ عَنّاق، من جيلِ العَمالقة<sup>(ج)</sup>، كان يتناول السمكَ من البحرِ طرياً فيشويه في الشَّمْس؛ يزعمون بذلك أنّ الشَّمْسَ حارّةٌ فيما قرب منها، ولا يَعلمون أنّ الحرَّ فيما لدينا هو الضَّوء، لانعكاسِ الشَّعاعِ بِمُقابَلَةِ سَطْحِ الأرضِ والهواء. وأمّا الشَّمْسُ في نَفْسِها فغيرُ حارّةٍ ولا باردةٍ، وإنّا هي كوكبٌ مضيءٌ لا مزاجَ له. وقد تقدّم شيء من هذا في الفصلِ الثّاني، حيثُ ذكرنا أنّ الدَّولَ على نِسبةِ قُوّتها في أصلها و ﴿اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ [سورة آل عمران، من الآية 47] .

#### 4\* فصلٌ، في أنّ الهياكلَ العظيمةَ جدّاً لا تَسْتَقِلُّ / بنائها الدَّولةُ الواحدةُ

[240ب]

والسَّبَبُ في ذلك ما ذكرناه، من حاجةِ البناءِ إلى التَّعاوُنِ ومُضاعَفةِ القُدَرِ البشريّة. وقد تكونُ المباني في عِظَمِها أكثرَ من القُدَرِ مُفردةٍ أو مُضاعَفةٍ، بالهِنْدَامِ كما

(1) في ظ : قَرطاجنة (ب) من ع، ج، ي، وفي ظ: المعاهد (ج) فوقها في ع بخطه: كنعان .

(1) مسند أحمد 2: 117 ، وابن حبان (6203) .

قُلْنَاهُ، فَتَحْتَاجُ إِلَى مُعَاوَدَةِ قُدْرٍ أُخْرَى مِثْلَهَا فِي أَزْمَنَةٍ مُتَعاقِبَةٍ، إِلَى أَنْ تَيْمَّ؛ فَيَتَبَدَّى  
الْأَوَّلُ مِنْهُمْ بِالْبِنَاءِ، وَيَعْقِبُهُ الثَّانِي، وَالثَّالِثُ؛ وَكُلُّ [وَاحِدٍ]<sup>(أ)</sup> مِنْهُمْ قَدْ اسْتَكْمَلَ  
[شَأْنَهُ]<sup>(ب)</sup> فِي حَشْرِ الْفَعْلَةِ وَجَمْعِ الْأَيْدِي، حَتَّى يَتِمَّ الْقَصْدُ مِنْ ذَلِكَ، وَيَقُومَ مِثْلًا  
لِلْعِيَانِ، يَظُنُّهُ مَنْ يَرَاهُ مِنَ الْآخِرِينَ أَنَّهُ بِنَاءُ دَوْلَةٍ وَاحِدَةٍ.

5 وانظر في ذلك ما نقله المؤرخون في بناء سد مأرب، وأن الذي بناه سبأ بن  
يَشْجُب، وساق إليه سبعين وادياً، وعاقه الموت عن إتمامه، فأتمته ملوك حِمْيَر من  
بَعْدِهِ.

ومثل هذا نُقِلَ في بناء قَرْطاجَةَ وَقَنَاتِهَا الرَّابَّةِ عَلَى الْحَنَائِ الْعَادِيَّةِ. وَكَثُرَ  
الْمَبَانِي الْعَظِيمَةُ فِي الْغَالِبِ هَذَا شَأْنُهَا؛ وَيَشْهَدُ لَذَلِكَ أَنَّ الْمَبَانِي الْعَظِيمَةَ لِعَهْدِنَا، نَجَدُ  
10 الْمَلِكَ الْوَاحِدَ يَشْرَعُ فِي تَأْسِيسِهَا وَاخْتِطَاطِهَا، فَإِذَا لَمْ يَتَّبِعْ أَثَرَهُ مَنْ بَعْدَهُ مِنَ الْمُلُوكِ  
فِي إِتْمَامِهَا، بَقِيََتْ بِحَالِهَا، وَلَمْ يَكْمَلِ الْقَصْدُ فِيهَا.

وَيَشْهَدُ لَذَلِكَ أَيْضاً أَنَّا نَجَدُ آثَاراً كَثِيرَةً مِنَ الْمَبَانِي الْعَظِيمَةِ تَعْجِزُ الدُّوَلُ<sup>(ج)</sup> عَنْ  
هَذْمِهَا وَتَخْرِيبِهَا، مَعَ أَنَّ الْهَذْمَ أَسْهَلُ مِنَ الْبِنَاءِ بِكَثِيرٍ؛ لِأَنَّ الْهَذْمَ رَجُوعٌ إِلَى الْأَصْلِ  
الَّذِي هُوَ الْعَدَمُ، وَالْبِنَاءُ عَلَى خِلَافِ الْأَصْلِ. فَإِذَا وَجَدْنَا بِنَاءً تَضَعُفُ قُدْرُنَا الْبَشَرِيَّةُ  
15 عَنْ هَذْمِهِ مَعَ سُهولة الْهَذْمِ، عَلِمْنَا أَنَّ الْقُدْرَةَ الَّتِي أَسَّسَتْهُ مَفْرَطَةُ الْقُوَّةِ، وَأَنَّهَا لَيْسَتْ  
أَثَرًا لِلدَّوْلَةِ وَاحِدَةٍ.

(أ) من: ع ج ي، وسقط من ظ (ب) كذا في: ع ج ي، وفي ظ: بِنَائِهِ (ج) ي: الدَّوْلَةُ .

وهذا مثل ما وقع للعرب في إيوان كسرى، لما اعتزم الرشيد<sup>(1)</sup> على هدمه،  
 وبعث إلى يحيى بن خالد، وهو في مَحْبَسِه، يَسْتَشِيرُه في ذلك، فقال: يا أمير  
 المؤمنين، لا تفعل، واتركه ماثلاً يُسْتَدَلُّ به على عِظَمِ مُلْكِ آبَائِكَ الَّذِينَ سَلَبُوا  
 الْمُلْكَ لِأَهْلِ ذَلِكَ الْهَيْكَلِ. فَاتَّهَمَهُ فِي النَّصِيحَةِ، وقال: أَخَذْتَهُ التُّغْرَةَ لِلْعَجَمِ؛ وَاللَّهِ  
 5 لِأَضْرَعَتِهِ. وَشَرَعَ فِي هَدْمِهِ، وَجَمَعَ الْأَيْدِيَّ عَلَيْهِ، وَاتَّخَذَ لَهُ الْفُؤُوسَ، وَ[أَخَاهُ]<sup>(أ)</sup>  
 بالنار، وَصَبَّ عَلَيْهِ الْخَلَّ، حَتَّى / إِذَا أَذْرَكَ الْعَجُزُ بَعْدَ ذَلِكَ كُلَّهُ وَخَافَ الْفَضِيحَةَ،  
 بَعَثَ إِلَى يَحْيَى يَسْتَشِيرُهُ ثَانِيًا فِي التَّجَافِي عَنِ الْهَدْمِ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لَا  
 تَفْعَلْ، وَ<sup>(ب)</sup> اسْتَمَرَّ عَلَى شَأْنِكَ لِئَلَّا يُقَالَ عَجَزَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَمَلِكُ الْعَرَبِ عَنْ هَدْمِ  
 مَصْنَعٍ مِنْ مَصَانِعِ الْعَجَمِ، فَعَرَفَهَا الرَّشِيدُ، وَأَقْصَرَ عَنْ هَدْمِهِ.

[أ 241]

10 وكذلك اتَّفَقَ لِلْمَأْمُونِ فِي هَدْمِ الْأَهْرَامِ<sup>(2)</sup> الَّتِي بِمِصْرَ، وَجَمَعَ الْقَعْلَةَ لِهَدْمِهَا، فَلَمْ  
 يَحُلْ بِطَائِلٍ؛ وَ[شَرَعُوا]<sup>(ج)</sup> فِي نَقْبِهِ، فَانْتَهَوْا إِلَى جَوْ بَيْنِ الْحَائِطِ الظَّاهِرِ وَمَا بَعْدَهُ مِنْ  
 الْحِيطَانِ، وَهَنَّاكَ كَانَ مُنْتَهَى هَدْمِهِمْ؛ وَهُوَ إِلَى الْيَوْمِ فِيمَا يُقَالُ، مَنْفَذٌ ظَاهِرٌ. وَيَزْعُمُ  
 زَاعِمُونَ أَنَّهُ وُجِدَ هُنَاكَ رِكَازٌ بَيْنَ تِلْكَ الْحِيطَانِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(أ) فِي النِّسْخِ: حِمَاهُ، وَالصُّوَابُ مَا أَثْبَتْنَاهُ (ب) سَقَطَ حَرْفُ الْعُطْفِ مِنْ ظ (ج) مِنْ: ع ي ج، وَفِي ظ: سَعُوا.

(1) التَّنُوخِي: الْمُسْتَجَاد 249، وَقَبْلَهُ هَمْ جُدَّهُ أَبُو جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ بِنَقْضِ الْإِيوَانِ، فَهَآءُ عَنْهُ خَالِدُ بْنُ بَرْمَكٍ.  
 انْظُرْ: يَاقُوت: مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ 1: 294، الْعَسْكَرِيُّ: الْأَوَائِلُ 250، النُّوَيْرِيُّ: نَهَايَةُ الْأَرْبَابِ 1: 380، الْحَمِيرِيُّ:  
 الرُّوْضُ الْمِغْطَارُ: 69.

(2) انْظُرِ النَّوَيْرِيُّ: نَهَايَةُ الْأَرْبَابِ 15: 27، يَاقُوت: مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ 5: 402، الْمُقْرِيزِيُّ: الْمَوَاعِظُ وَالْإِعْتِبَارُ 1: 306  
 (نَقْلًا عَنْ الْمَسْعُودِيِّ فِي أَخْبَارِ الزَّمَانِ) الْحَمِيرِيُّ: الرُّوْضُ الْمِغْطَارُ 16.

وكذلك حنايا المعلقة [بقرطاجنة]<sup>(١)</sup> إلى هذا العهد؛ يحتاج أهل مدينة تونس إلى انتخاب الحجارة لبنائهم، ويستجيد الصنائع حجارة تلك الحنايا، فيحاولون على هذمها الأيام العديدة، ولا يسقط الصغير من جذرائها إلا بعد عصب الرقيق، ويجتمع له المحافل المشهودة<sup>(ب)</sup>. شهدت منها في أيام صباي كثيراً. ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة البقرة، من الآية 284].

5

## 55 فصل، فيما تجب مراعاته في أوضاع المدن، وما يحدث إذا أغفل عن المراجعة

المدن قرار تتخذهُ الأمم عند حصول الغاية المطلوبة من الترف ودواعيه، فتؤثر الدعة والسكون، وتتوجه إلى اتخاذ المنازل للقرار. [ولما كان ذلك للقرار]<sup>(ج)</sup> والمأوى، وجب أن يراعى فيه، دفع المضار بالحماية من طواقيها، وجلب المنافع، وتسهيل المرافق لها.

فأما الحماية من المضار، فيراعى لها أن يدار على منازلها معاً سياج الأسوار، وأن يكون وضع ذلك في [متمنع]<sup>(د)</sup> من الأمكنة، إما على هضبة متوعدة من الجبل، وإما باستدارة بخر أو نهر بها، حتى لا يوصل إليها إلا بعد العبور على جسر أو قنطرة، فيضعب [منالها]<sup>(هـ)</sup> على العدو، ويتضاعف امتناعها وحضنها.

15

(١) مخرج من حاشية ع بخطه، لم تنقله ط، ج، ي (ب) في ع ي: المشهورة (ج) من: ع ج ي وسقط من ط (د) من: ع ج ي، وفي ط: تمتنع (هـ) في ط: مثالها .

ومَّا يَرَاى فِي ذَلِكَ، لِلحَيَاةِ مِنَ الْآفَاتِ السَّامِيَّةِ، طَيِّبُ الْهَوَاءِ لِلسَّلَامَةِ  
مِنَ الْأَمْرَاضِ؛ فَإِنَّ الْهَوَاءَ إِذَا كَانَ رَاكِدًا خَبِيثًا، أَوْ مُجَاوِرًا لِمَيَاهٍ فَاسِدَةٍ وَمَنَاقِعَ مُتَعَفِّنَةٍ،  
أَوْ مُرُوجٍ خَبِيثَةٍ، أُسْرِعَ إِلَيْهِ الْعَفَنُ / مِنْ مُجَاوَزَتِهَا، فَأُسْرِعَ الْمَرَضُ لِلْحَيَوَانِ الْكَائِنِ [241 ب]  
فِيهِ لَا مَحَالَةَ. وَهَذَا مُشَاهَدٌ.

5 وَالْمَدُنُ الَّتِي لَمْ يَرَاغَ فِيهَا طَيِّبُ الْهَوَاءِ، كَثِيرَةُ الْأَمْرَاضِ فِي الْغَايَةِ؛ وَقَدْ اشْتَهَرَ  
بِذَلِكَ فِي قُطْرِ الْمَغْرِبِ بَلَدُ قَابِسٍ مِنْ بِلَادِ الْجَرِيدِ<sup>(1)</sup> بِإِفْرِيقِيَّةٍ. فَلَا يَكَادُ سَاكِنُهَا أَوْ  
طَارِقُهَا يَخْلُصُ مِنْ حُمَّى الْعَفَنِ بَوَجْهِهِ. وَلَقَدْ يُقَالُ: إِنَّ ذَلِكَ حَادَثٌ فِيهَا، وَلَمْ تَكُنْ  
كَذَلِكَ مِنْ قَبْلُ. وَنَقَلَ الْبَكْرِيُّ<sup>(1)</sup> فِي سَبَبِ حُدُوثِهِ أَنَّهُ وَقَعَ فِيهَا حَفَرٌ ظَهَرَ فِيهِ عَلَى  
إِنَاءٍ مِنْ نُحَاسٍ مَخْتُومٍ بِالرُّصَاصِ؛ فَلَمَّا قُضِيَ خِتَامُهُ، صَعِدَ مِنْهُ دُخَانٌ إِلَى الْجَوِّ وَانْقَطَعَ؛  
10 وَكَانَ ذَلِكَ بَدْءَ أَمْرَاضِ الْحُمَمَاتِ فِيهِ. وَأَرَادَ بِذَلِكَ، أَنَّ الْإِنَاءَ كَانَ مُشْتَمِلًا عَلَى بَعْضِ  
أَعْمَالِ الطَّلَسَمَاتِ لَوْبَانِهِ، وَأَنَّهُ ذَهَبَ سِرُّهُ بِذَهَابِهِ، فَرَجَعَ إِلَى الْعَفَنِ وَالْوَبَاءِ. وَهَذِهِ  
الْحِكَايَةُ مِنْ مَذَاهِبِ الْعَامَّةِ وَمَنَاحِيهِمُ الرِّكَاكَةِ. وَالْبَكْرِيُّ لَمْ يَكُنْ مِنْ مَتَانَةِ الْعِلْمِ  
وَاسْتِنَارَةِ الْبَصِيرَةِ بِحَيْثُ يَدْفَعُ مِثْلَ هَذَا أَوْ يَتَّبِعُنْ خَرَفَهُ، فَنَقَلَهُ كَمَا سَمِعَهُ.

وَالَّذِي يَكْشِفُ الْحَقَّ فِي ذَلِكَ، أَنَّ هَذِهِ الْأَهْوِيَّةَ الْعَفِنَةَ، أَكْثَرُ مَا يُهَيِّئُهَا  
15 لِتَغْفِينِ الْأَجْسَامِ وَأَمْرَاضِ الْحُمَمَاتِ زُكُودُهَا. فَإِذَا تَخَلَّلَهَا الرِّيحُ وَتَفَشَّتْ، وَذَهَبَ بِهَا  
يَمِينًا وَشِمَالًا، خَفَّ شَأْنُ الْعَفَنِ وَالْمَرَضِ الْمُتَأَدِّي مِنْهَا لِلْحَيَوَانَاتِ. وَالْبَلَدُ إِذَا كَانَ كَثِيرَ

(1) ي: المغرب

(1) المسالك والممالك 2: 667 باختلاف في العبارة .

السَّائِن، وَكَثُرَتْ حَرَكَاتُ أَهْلِهِ، فَيَتَمَوَّجُ الْهَوَاءُ ضَرُورَةً، وَيَحْدُثُ الرِّيحُ الْمُتَحَلِّلُ لِلْهَوَاءِ الرَّائِدِ، وَيَكُونُ ذَلِكَ مُعِيناً لَهُ عَلَى الْحَرَكَةِ وَالتَّمَوُّجِ. وَإِذَا خَفَّ السَّائِنُ، لَمْ يَجِدِ الْهَوَاءُ مُعِيناً عَلَى حَرَكَتِهِ وَتَمَوُّجِهِ، فَيَبْقَى رَاكِداً، وَعَظُمَ عَقْفُهُ وَكَثُرَ ضَرَرُهُ. وَبَلَدٌ قَابِسٌ هَذِهِ كَانَتْ - عِنْدَمَا كَانَتْ إِفْرِيقِيَّةُ مُسْتَبْجِرَةِ الْعُمُرَانِ - كَثِيرَةَ السَّائِنِ، تَمَوَّجُ بِأَهْلِهَا مَوْجاً. فَكَانَ ذَلِكَ مُعِيناً عَلَى تَمَوُّجِ الْهَوَاءِ وَاضْطِرَابِهِ وَتَخْفِيفِ الْأَذَى مِنْهُ، فَلَمْ يَكُنْ فِيهَا كَبِيرُ 5 عَقْنٍ وَلَا مَرَضٍ. وَعِنْدَمَا خَفَّ سَائِنُهَا زَكِدَ هَوَاؤُهَا الْمُتَعَقِّنُ بِفَسَادِ مِيَاهِهَا، فَكَثُرَ الْعَقْنُ وَالْمَرَضُ. هَذَا وَجْهُهُ، لَا غَيْرَ ذَلِكَ.

وَقَدْ رَأَيْنَا عَكْسَ ذَلِكَ فِي بِلَادٍ وُضِعَتْ وَلَمْ يُرَاعَ فِيهَا طَيْبُ الْهَوَاءِ، وَكَانَتْ أَوَّلًا قَلِيلَةَ السَّائِنِ، فَكَانَتْ أَمْرَاضُهَا كَثِيرَةً، فَلَمَّا كَثُرَ سَائِنُهَا انْتَقَلَ حَالُهَا عَنْ <sup>(أ)</sup> ذَلِكَ. [242] / \* وَهَذَا مِثْلُ دَارِ الْمَلِكِ بِفَاسَ لِهَذَا الْعَهْدِ، الْمُسَمَّى بِالْبَلَدِ الْجَدِيدِ، وَكَثِيرٌ مِنْ 10 ذَلِكَ \* <sup>(ب)</sup> فِي الْعَالَمِ، فَتَفَهَّمْهُ تَجِدُ مَا قُلْتُهُ لَكَ.

أَوْ قَدْ ذَهَبَ لِهَذَا الْعَهْدِ الْقَرِيبِ فَسَادُ الْهَوَاءِ مِنْ قَابِسٍ، وَزَالَ عَقْفُهَا لَمَّا حَاصَرَهَا سُلْطَانُ تُونِسَ، وَقَطَعَ الْغَابَةَ مِنَ النَّخْلِ الَّتِي كَانَتْ مُحِيطَةً بِهَا، فَانْفَرَحَ جَانِبٌ مِنْهَا، وَتَمَوَّجَ الْهَوَاءُ الْمَحِيطُ بِهَا وَتَخَلَّلَتْهُ الرِّيَّاحُ، فَذَهَبَ مِنْهُ الْعَقْنُ. وَاللَّهُ مُصَرِّفُ 15 الْأُمُورِ <sup>(ج)</sup>.

وَأَمَّا جَلْبُ الْمَنَافِعِ وَالْمَرَافِقِ لِلْبَلَدِ، فَيُرَاعَى فِيهِ أُمُورٌ، مِنْهَا: الْمَاءُ، وَأَنْ يَكُونَ الْبَلَدُ عَلَى نَهْرٍ، أَوْ بِأَزَائِهَا عُيُونٌ غَذْبَةٌ ثَرَّةٌ؛ فَإِنَّ وَجُودَ الْمَاءِ قَرِيباً مِنْ

(أ) ي: على (ب) سقط ما بين النجمين من ج (ج) حاشية من ع بخطه سقطت من ط ج ي.

البلد مُسهّل على السّاكّن حاجة الماء ، وهي ضروريّة ، فيكون لهم في وجوده مرفقة عامّة.

ومما يُراعى [من] <sup>(١)</sup> المرافق في المدين طيب المراعي لسائمتهم؛ إذ صاحب كل قرار لابد له من دواجن الحيوان للنتاج والضرع والركوب، ولا بد لها من المزعى، فإذا كان قريباً طيباً، كان ذلك أرفق لهم ممّا يعانون من المشقة في بعده.

ومما يُراعى أيضاً المزارع، فإنّ الزرع هو القوت. فإذا كانت مزارع البلد بالقرب منها، كان ذلك أسهل في اتّخاذها، وأقرب في تحصيله.

ومن ذلك الشّغراء للخطب والبناء، فإنّ الخطب ممّا تعمّ البلوى في اتّخاذها لوقود النيران للاضططلاع؛ والخشب أيضاً ضروريّ لسقفهم وكثير ممّا يستعمل فيه الخشب [من] <sup>(ب)</sup> ضروراتهم.

وقد يُراعى فيها أيضاً قُرْبها من البحر، لتسهيل الحاجات القصيّة من البلاد التائيّة، إلّا أنّ ذلك ليس بمشاة الأولى.

وهذه كلّها مُتفاوتة بتفاوت الحاجة وما تدعو إليه ضرورة السّاكّن. وقد يكون الواضع غافلاً عن حُسن الاختيار الطّبيعيّ ، وإنّما يُراعي ما هو أهمّ على نفسه أو قومه، ولا يذكّر حاجة غيرهم، كما فعله العرب - لأوّل الإسلام - في المدين التي اختطّوها بالعراق والحجاز وإفريقيّة؛ فإنّهم لم يُراعوا فيها إلّا المُهمّ عندهم، من مراعي

(١) في ظ: في (ب) ظ: لضروراتهم .



الإبل وما يَصْلَح لها من الشَّجَرِ والماءِ المِلْح. ولم يُراعوا الماء ولا المزارع ولا الحطب ولا مراعي السَّائِمة من ذوات الظِّلْف، ولا غير ذلك، كالقَيروان، والكوفة، والبصرة، وسجلماسة، وأمثالها. ولهذا كانت أقرب إلى الخراب لما لم تُراعَ فيها الأمور الطبيعية.

5

## 1. فَضْلٌ :

ومَّا يُراعَى في البلاد السَّاحِلِيَّة الَّتِي على البَحْرِ ، أن تكونَ في جَبَلٍ ، أو تكونَ بين<sup>(1)</sup> أُمَّةٍ من الأمم مَوْفُورَة العَدَد، تكونَ صَرِيحاً للمَدِينَةِ متى طَرَقها/ طَارِق من العَدُوِّ . والسَّبَبُ في ذلك ، أنَّ المَدِينَةَ إذا كانت حاضرةَ البَحْرِ ، ولم يَكُنْ بساحتها عُمران للقبائلِ أَهْلِ العَصَبِيَّات ، ولا هو وَضْعُها في مُتَوَعَّر من الجبال، كانت في غِرَّةٍ للبياتِ ، وسَهْلَ طُرُوقِها في الأساطيلِ البَحْرِيَّة على عَدُوِّها ، وَتَحِيْفُها 10 لها، لما يَأْمَنُ من وُجُود الصَّرِيخِ لها، وأنَّ الحَضَرَ المتعوِّدين للَدَّعة قد صاروا عِيالاً، وخرجوا عن حُكْمِ المَقَاتِلَةِ. وهذا كالإسكندريَّة من المَشْرِق، وطرابُلُس من المَغْرِب، وبُوتَة وسَلا. ومتى كانت القبائلُ والعَصَبِيَّات مُوطَّئِينَ بِقُرْبِها، بِحَيْثُ يَلْغَمُ الصَّرِيخُ والثَّفِيرُ ، وكانت مُتَوَعَّرَة المسالكِ على من يَرُومُها ، باخْتِطاطِها في هِضابِ الجبال وعلى أَسْنِمَتِها، كان لها بذلك مَنَعَة من العَدُوِّ ، وَيَتَأَسَّوْنَ من طُرُوقِها، لما يَكُودُهم 15 من وَغَرِها، وما يَتَوَقَّعُونَهُ من إجابة صَرِيخِها ، كما في سَبْتَةِ وبِجَايَةِ وبلَدِ القُلِّ على صِفَرِها.

(1) ع: من .

فافهم ذلك واعتبره في اختصاص الإسكندرية باسم الثغر من لدن النولة العباسية، مع أن الدعوة كانت من وراءها بركة وإفريقية؛ وإنما اعتبر في ذلك المخافة المتوقعة فيها من البحر، بسهولة وضعها. ولذلك، والله أعلم، كان طروق العدو للإسكندرية وطرابلس في الملة مرات متعددة.

## 5 6 فصل، في المساجد والبيوت المعظمة في العالم

اعلم، أن الله سبحانه وتعالى، فضل من الأرض بقاعاً اختصها بتشريفه، وجعلها مواطن إعبادته، يضاعف فيها الثواب وتتمو<sup>(1)</sup> بها الأجور، وأخبرنا بذلك [على السنة]<sup>(ب)</sup> رُسله وأنبأه، لطفاً بعباده وتسهيلاً لطرق السعادة لهم.

وكانت المساجد الثلاثة هي أفضل بقاع الأرض فيما علمناه، حسبما ثبت في الصحيحين<sup>(1)</sup>، وهي: مكة، والمدينة، وبيت المقدس.

فمكة بيت إبراهيم، صلوات الله عليه، أمره الله ببنائه، وأن يؤذن في الناس بالحب إلىه؛ فبناه هو وابنه إسماعيل، كما قصه القرآن. وقام بما أمره الله فيه، وسكن إسماعيل به مع هاجر ومن نزل معهم من جزهم، إلى أن قبضها الله، ودفنا بالحجر منها.

(1) ط: غو (ب) من: ع ج ي ، وسقط من ط .

(1) البخاري 2: 76 حديث (1188)، 2: 77 حديث (1197)، 3: 25 حديث (1864)، 3: 56 حديث (1995)، ومسلم (827) وتمام تخريجه في التعليق على الترمذي (326) .

وَبَيْتُ الْمَقْدَسِ هُوَ بَيْتُ دَاوُدَ / وَسَلَّيْمَانَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ . أَمْرُهُمَا اللَّهُ بِنَاءَ  
مَسْجِدِهِ وَنُصِبَ هَيَاكِلُهُ . وَدُفِنَ كَثِيرٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ وَلَدِ إِسْحَاقَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -  
[فيه و] <sup>(1)</sup> حَوَالَيْهِ.

وَالْمَدِينَةُ مُهَاجِرٌ نَبِينَا - صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ - أَمْرُهُ اللَّهُ بِالْهَجْرَةِ إِلَيْهَا، وَإِقَامَةُ  
دِينِ الْإِسْلَامِ بِهَا وَمِنْهَا، فَبَنَى مَسْجِدَهُ الْحَرَامَ بِهَا، وَكَانَ مَلْحَدُهُ الشَّرِيفُ فِي ثُرَيْيَتِهَا. 5

فهذه المساجد الثلاثة قُرَّةُ عَيْنِ الْمُسْلِمِينَ وَمَهْوَى أَفئِدَتِهِمْ وَعِصْمَةُ دِينِهِمْ. وَفِي  
الْآثَارِ مِنْ فَضْلِهَا وَمُضَاعَفَةِ الثَّوَابِ فِي مَجَاوِرَتِهَا وَالصَّلَاةِ فِيهَا كَثِيرٌ مَعْرُوفٌ. فَلْنُنْشِرْ  
إِلَى شَيْءٍ مِنَ الْخَبَرِ عَنْ أَوَّلِيَّةِ هَذِهِ الْمَسَاجِدِ الثَّلَاثَةِ، وَكَيْفَ تَدَرَّجَتْ أَحْوَالُهَا إِلَى أَنْ  
كُلَّ ظَهْوَرُهَا فِي الْعَالَمِ.

فَأَمَّا مَكَّةُ، فَأَوَّلِيَّتُهَا - فِيمَا يُقَالُ - أَنَّ آدَمَ - صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ - بَنَاهَا 10  
قُبَالَةَ الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ، ثُمَّ هَدَمَهَا الطُّوفَانُ بَعْدَ ذَلِكَ؛ وَلَيْسَ فِيهِ خَبْرٌ صَحِيحٌ يُعَوَّلُ  
عَلَيْهِ، وَإِنَّمَا افْتَبَسُوهُ مِنْ مُحْتَمَلِ الْآيَةِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِذَا رَفَعُوا إِلَهُهُمُ أَلْقَوْا عِدَ مِنْ  
أَلْبَيْتٍ﴾ [سورة البقرة، الآية 127]. ثُمَّ بَعَثَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ، وَكَانَ مِنْ شَأْنِهِ وَشَأْنِ  
زَوْجَتِهِ سَارَّةَ وَغَيْرَتِهَا [مِنْ هَاجِرٍ] مَا هُوَ مَعْرُوفٌ. وَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ [أَنْ يُفَارِقَ  
هَاجِرَ وَيُغَرِّبَهَا مَعَ ابْنِهَا إِسْمَاعِيلَ إِلَى فَارَّانَ، وَهِيَ جِبَالُ مَكَّةَ تَمَّا وَرَاءَ الشَّامِ وَبِلَدِ 15  
أَيْلَةَ، فَأَخْرَجَهَا إِلَى هُنَاكَ، وَلَحِقَتْ بِمَكَانِ الْبَيْتِ، وَأَدْرَكَهَا الْعَطَشُ] <sup>(ب)</sup>، وَكَيْفَ

(أ) من: ج (ب) نقلت نُسخَتَا: ي ج من الأصل ع النص الأول الملقى، والمعوض في الحاشية بخطه بما أثبتناه. وفي هذا النص  
المشطوب: ... أن يترك ابنه إسماعيل وأمه هاجر بالفلاة، فوضعها في مكان البيت وسار عنها .

الله لهما من اللطف في تَبَع ماءٍ من زَمْزَمَ، ومُرور الرِّفْقَةِ من جُزْهُمَ بهما حتى  
 احْتَمَلُوهُمَا وَسَكَنُوا إِلَيْهِمَا، وَتَزَلُّوا مَعَهُمَا حَوْلَ زَمْزَمَ، كَمَا عُرِفَ فِي مَوْضِعِهِ. فَاتَّخَذَ  
 إِسْمَاعِيلُ بِمَوْضِعِ الْكَعْبَةِ بَيْتًا يَأْوِي إِلَيْهِ، وَأَدَارَ عَلَيْهِ سِيَّاحًا مِنَ الدَّوْمِ، وَجَعَلَهُ زَرْبًا  
 لِعَنْتِهِ. وَجَاءَ إِبْرَاهِيمُ - صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ - مِرَارًا لَزِيَارَتِهِ مِنَ الشَّامِ، أَمَرَ فِي آخِرِهَا بِنَاءَ  
 الْكَعْبَةِ مَكَانَ ذَلِكَ الزَّرْبِ، فَبَنَاهُ، وَاسْتَعَانَ فِيهِ بِابْنِهِ إِسْمَاعِيلَ، وَدَعَا النَّاسَ إِلَى  
 5 حَجِّهِ؛ وَبَقِيَ إِسْمَاعِيلُ سَاكِنًا بِهِ. وَلَمَّا قُبِضَتْ أُمُّهُ هَاجَرَ دَفَنَهَا فِيهِ. وَلَمْ يَزَلْ قَائِمًا  
 بِخِدْمَتِهِ إِلَى أَنْ قَبِضَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَدُفِنَ مَعَ أُمِّهِ هَاجِرَ. وَقَامَ بَنُوهُ بَعْدَهُ بِأَمْرِ الْبَيْتِ  
 مَعَ أَخْوَالِهِمْ مِنْ جُزْهُمَ، ثُمَّ الْعَمَالِقَةُ مِنْ بَعْدِهِمْ. وَاسْتَمَرَّ الْحَالُ عَلَى ذَلِكَ، وَالنَّاسُ  
 يَهْوُونَ إِلَيْهَا مِنْ كُلِّ أَفْقٍ مِنْ جَمِيعِ أَهْلِ الْخَلِيقَةِ، لَا مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ وَلَا مِنْ غَيْرِهِمْ  
 10 مِنْ دَنَا أَوْ نَأَى.

/ فَقَدْ نُقِلَ أَنَّ التَّبَاعَةَ كَانَتْ تَحْجُّ الْبَيْتَ وَتُعَظِّمُهُ، وَأَنَّ تَبْعًا [الَّذِي يَسْمَى  
 243 ب] تَبَانِ أَسْعَدَ أَبَا كَرْبٍ<sup>(١)</sup> كَسَاهَا الْمُلَاءَ<sup>(ج)</sup> وَالْوَصَائِلَ، وَأَمَرَ بِتَطْهِيرِهَا، وَجَعَلَ لَهَا  
 مِفْتَاحًا. وَنُقِلَ أَيْضًا أَنَّ الْفُرْسَ كَانَتْ تَحْجُّهُ وَتُقَرِّبُ إِلَيْهِ، وَأَنَّ غَزَالِي الذَّهَبِ اللَّذِينَ  
 وَجَدَهُمَا عَبْدُ الْمُطَّلِبِ حِينَ اخْتَفَرَ زَمْزَمَ كَانَ مِنْ قَرَابِينِهِمْ. وَلَمْ تَزَلْ لِحُزْمِ الْوِلَايَةِ عَلَيْهِ  
 15 بَعْدَ بَنِي إِسْمَاعِيلَ وَمَنْ قَبْلَ حُؤُولَتِهِمْ، حَتَّى أَخْرَجَتْهُمْ حُزَاعَةُ، وَأَقَامُوا بِهَا بَعْدَهُمْ مَا  
 شَاءَ اللَّهُ. ثُمَّ كَثُرَ وَلَدُ إِسْمَاعِيلَ وَانْتَشَرُوا، وَتَشَعَّبُوا إِلَى كِنَانَةَ، ثُمَّ كِنَانَةَ إِلَى قُرَيْشٍ  
 وَغَيْرِهِمْ. وَسَاءَتْ وَلَايَةُ حُزَاعَةَ، فَغَلَبَتْهُمْ قُرَيْشٌ عَلَى أَمْرِهِ، وَأَخْرَجُوهُمْ مِنَ الْبَيْتِ

(١) من حاشية ع بخطه، وسقطت من ظ (ب) في ي: الملا .

وَمَلَكُوهَا، وَعَلَيْهِمْ<sup>(١)</sup> يَوْمَئِذٍ قُصِيُّ بْنُ كَلَابٍ. فَبَنَى الْبَيْتَ، وَسَقَفَهَا بِخَشَبِ الدَّوْمِ  
وَجَرِيدِ النَّخْلِ، قَالَ الْأَعَشَى<sup>(١)</sup>: [مِن الطَّوِيلِ]

حَلَفْتُ بِثَوْبِي رَاهِبٍ [اللَّجِّ] وَالَّتِي بَنَاهَا قُصِيُّ وَخَدَهُ وَابْنُ جُرْهُمٍ

- ثُمَّ أَصَابَ الْبَيْتَ سَيْلٌ فِي وَلَايَتِهِمْ، وَيُقَالُ: حَرِيقٌ، وَتَهْدَمُ. فَأَعَادُوا بِنَاءَهُ،  
وَجَمَعُوا النَّفَقَةَ لَذَلِكَ مِنْ أَمْوَالِهِمْ. وَانْكَسَرَتْ سَفِينَةٌ بِسَاحِلِ جُدَّةَ، فَاشْتَرَوْا خَشَبَهَا 5  
لِلسَّقْفِ. وَكَانَتْ جُدْرَانُهُ فَوْقَ الْقَامَةِ، فَجَعَلُوهَا ثَانِيَةَ عَشَرَ ذِرَاعًا. وَكَانَ الْبَابُ لَاصِقًا  
بِالْأَرْضِ، فَجَعَلُوهُ فَوْقَ الْقَامَةِ لئَلَّا تَدْخُلَهُ السَّيُولُ. وَقَصُرَتْ بِهِمُ النَّفَقَةُ عَنْ إِثْمَامِهِ،  
فَقَصَّروا عَنْ قَوَاعِدِهِ وَتَرَكُوا مِنْهُ سِتَّةَ أَذْرَعٍ وَشِبْرًا أَدَارُوهَا بِجِدَارٍ قَصِيرٍ يُطَافُ مِنْ  
وَرَائِهِ، وَهُوَ الْحِجْرُ. وَبَقِيَ الْبَيْتُ عَلَى هَذَا الْبِنَاءِ إِلَى أَنْ تَحَصَّنَ ابْنُ الزُّبَيْرِ بِمَكَّةَ حِينَ  
دَعَا لِنَفْسِهِ، وَزَحَفَتْ إِلَيْهِ جِيوشُ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ مَعَ الْحُصَيْنِ بْنِ نُمَيْرِ السَّكُونِيِّ، 10  
سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ، فَأَصَابَهُ حَرِيقٌ، يُقَالُ: مِنَ النَّفْطِ الَّذِي رَمَوْا بِهِ عَلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ،  
فَتَصَدَّعَتْ حِيطَاتُهُ؛ فَهَدَمَهُ ابْنُ الزُّبَيْرِ وَأَعَادَ بِنَاءَهُ أَحْسَنَ مَا كَانَ، بَعْدَ أَنْ اخْتَلَفَ  
عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ فِي بِنَائِهِ. وَاحْتَجَّ عَلَيْهِمْ بِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ<sup>(٢)</sup> لِعَائِشَةَ [رَضِيَ اللَّهُ  
عَنْهَا]<sup>(ب)</sup>: لَوْلَا قَوْمُكَ حَدِيثُ عَهْدٍ بِكُفْرِ لَرَدَدْتَ الْبَيْتَ عَلَى قَوَاعِدِ إِبْرَاهِيمَ، وَلَجَعَلْتُ  
لَهُ بَابَيْنِ، شَرْقِيًّا وَغَرْبِيًّا. فَهَدَمَهُ، وَكَشَفَ عَنْ أَسَاسِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَجَمَعَ 15

(١) فِي ع: عَلَيْهِمْ (ب) مِنْ: ي .

(1) التكملة من الديوان 125، وروايته للعجز: بَنَاهَا قُصِيُّ وَالْمُضَاضُ بْنُ جُرْهُمٍ. وَالْبَيْتُ مِنْ قَصِيدَةِ هَجَا بِهَا  
الْأَعَشَى عُمَيْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُنْدَرِ. انظر الجواليقي: شرح أدب الكاتب 137 .

(2) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي الْحَجِّ 1: 180 حَدِيثَ (1585)، وَمُسْلِمٌ (1333) .

[244] الوجوة والأكابر حتى عاينوه ، وأشار عليه ابن عباس / بالتحري في حفظ القبلة على الناس؛ فأدار على الأساس الخشب، ونصب من فوقها السُّور حفظاً للقبلة. وبعث إلى صنعاء في القصّة والكلس ، فجلبها، وسأل عن مَقَطع الحجارة الأول، فجمع منها ما احتاج إليه. ثم شرع في البناء على أساس إبراهيم عليه السلام، ورفع 5 جدرانها سبعة وعشرين ذراعاً ، وجعل لها بابين لاصقين بالأرض كما روي في حديثه. وجعل فرشها وأزرها بالرخام، وصاغ لها المفاتيح وصفائح الأبواب من الذهب.

ثم جاء الحجاج لحصاره أيام عبد الملك، ورُمى على المسجد بالمنجنيقات إلى أن تصدّعت حيطائه. ثم لما ظفر بآبن الزبير، شاور عبد الملك فيما بناه وزاده 10 في البيت، فأمره بهدمه، وردّ البيت على قواعد قُرَيْش كما هي اليوم. ويقال: إنّه ندم على ذلك حين علم صحّة رواية ابن الزبير، لحديث عائشة، وقال<sup>(1)</sup>: وددت أنّي كنتُ حملتُ أبا حبيب من أمر البيت وبنائه ما تحمّل. فهدم الحجاج منها ستة أذرع وشبراً مكان الحجر، وبنّاها على أساس قُرَيْش، وسدّ الباب الغربيّ وما تحّت عتبة بابها اليوم من الباب الشرقيّ. وترك سائرّها لم يُغيّر منه شيئاً. فكلّ بناء فيها اليوم 15 بناء ابن الزبير. \* وبنّ بنائه<sup>(1)</sup> وبناء الحجاج في الحائط صِلَة ظاهرة للعيان، لُحمة بين البنائين، والبناء مُتَبَرِّ<sup>(ب)</sup> عن البناء بمقدار إصبع شبه الصّدع، وقد لُجِم.

(أ) سقط من ي (ب) ج: منبر .

(1) البلاذري : فتوح البلدان 59 .

وَيَعْرِضُ هُنَا إِشْكَالٌ قَوِيٌّ لِمُنَافَاتِهِ لَمَّا يَقُولُهُ الْفُقَهَاءُ فِي أَمْرِ الطَّوَافِ، وَتَحْرُزُ  
الطَّائِفُ أَنْ يَمِيلَ عَلَى الشَّاذِرُونَ الدَّائِرَ بِأَسَاسِ الْجُدُرِ مِنْ أَسْفَلِهَا، فَيَقَعَ طَوَافُهُ  
دَاخِلَ الْبَيْتِ، بِنَاءً عَلَى أَنَّ الْجِدَارَ إِنَّمَا قَامَ عَلَى بَعْضِ الْأَسَاسِ وَتَرَكَ بَعْضَهُ، وَهُوَ  
مَكَانُ الشَّاذِرُونَ. وَكَذَا قَالُوا فِي تَقْيِيلِ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ، لَا بُدَّ مِنْ رَجُوعِ الطَّائِفِ مِنَ  
التَّقْيِيلِ حَتَّى يَسْتَوِيَ قَائِمًا، لِئَلَّا يَقَعَ بَعْضُ طَوَافِهِ دَاخِلَ الْبَيْتِ.

5

وَإِذَا كَانَتِ الْجُدُرَانِ كُلُّهُمَا مِنْ بِنَاءِ ابْنِ الزُّبَيْرِ، وَهُوَ إِنَّمَا بُنِيَ عَلَى أَسَاسِ  
إِبْرَاهِيمَ، فَكَيْفَ يَقَعُ هَذَا الَّذِي قَالُوهُ؟ وَلَا مَخْلَصُ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا بِأَحَدٍ / أَمْرَيْنِ: [244 ب]

إِمَّا أَنْ يَكُونَ الْحَجَّاجُ هَدَمَهُ جَمِيعَهُ وَأَعَادَهُ، وَقَدْ نَقَلَ ذَلِكَ جَمَاعَةٌ، إِلَّا أَنَّ  
الْعِيَانَ فِي شَوَاهِدِ الْبِنَاءِ بِالْتِحَامِ مَا يَبَيِّنُ الْبِنَاءَيْنِ وَتَمْيِيزُ أَحَدَ الشَّقَّيْنِ مِنْ أَعْلَاهُ عَنِ  
الْآخَرِ فِي الصَّنَاعَةِ يُرَدُّ ذَلِكَ.

10

وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ ابْنُ الزُّبَيْرِ لَمْ يُرَدِّ الْبَيْتَ عَلَى أَسَاسِ إِبْرَاهِيمَ مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهِ،  
وَإِنَّمَا فَعَلَ ذَلِكَ فِي الْحِجْرِ فَقَطْ لِيَدْخُلَهُ، فَهِيَ الْآنَ - مَعَ كَوْنِهَا مِنْ بِنَاءِ ابْنِ الزُّبَيْرِ -  
لَيْسَتْ عَلَى قَوَاعِدِ إِبْرَاهِيمَ، وَهَذَا بَعِيدٌ؛ وَلَا مَحِيصٌ عَنْ هَذَيْنِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

ثُمَّ إِنَّ سَاحَةَ الْبَيْتِ، وَهُوَ الْمَسْجِدُ، كَانَ فُضَاءً لِلطَّائِفِينَ. وَلَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ  
جِدَارٌ أَيَّامَ النَّبِيِّ ﷺ، وَأَبِي بَكْرٍ مِنْ بَعْدِهِ. ثُمَّ كَثُرَ النَّاسُ، فَاشْتَرَى عُمَرُ [رَضِيَ اللَّهُ  
عَنْهُ] <sup>(1)</sup> دُورًا هَدَمَهَا وَزَادَهَا فِي الْمَسْجِدِ، وَأَدَارَ عَلَيْهِ جِدَارًا دُونَ الْقَامَةِ، وَفَعَلَ مِثْلَ  
ذَلِكَ عُثْمَانُ، ثُمَّ ابْنُ الزُّبَيْرِ، ثُمَّ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ، وَبَنَاهُ بِعُمْدِ الرُّخَامِ، ثُمَّ زَادَ

15

(1) مِنْ: ي .

فيه المنصور ، وابنه المهدي من بعده . ووقفت الزيادة ، واستقر على ذلك لعهدنا .

وتشريف الله لهذا البيت وعنايته أعظم من أن يحاط به . وكفى من ذلك أن جعله مهبطاً للوحي والملائكة ، ومكاناً للعبادة ، وفرض فيه شعائر الحج ومناسكه ، وأوجب حرمة من سائر نواحيه من حقوق التظيم والحق ما لم يوجب لغيره؛ فمنع كل من خالف دين الإسلام من دخول ذلك الحرم، وأوجب على داخله أن يتجرد من المخيط إلا إزاراً يستره، وحى العائد به والرائع في مساريه من مواقع الآفات . فلا يراع فيه خائف، ولا يصاد له وحش، ولا يختطب له شجر.

وحد الحرم الذي يختص بهذه الحزمة من طريق المدينة ثلاثة أميال إلى التميم ، ومن طريق العراق سبعة أميال إلى ثنية جبل المنقطع<sup>(1)</sup> ، ومن طريق الجفرانة تسعة أميال إلى الشعب ،\* ومن طريق الطائف سبعة أميال إلى بطن نيرة\*<sup>(1)</sup> ، ومن طريق جدة عشرة أميال إلى منقطع العشائر .

هذا شأن مكة وخبرها، وتسمى أم القرى، وتسمى الكعبة لعلوها، من اسم الكعب . ويقال لها أيضاً: بكّة . قال الأصمعي<sup>(2)</sup> : لأنّ / الناس يبكّ بعضهم بعضاً إليها، [245]

(1) من: ط ع .

(1) ذكر في تحديد الحرم من طريق العراق، أن حده على ثنية جبل بالمنقطع على سبعة أميال، (الأحكام السلطانية 435، النووي: تهذيب الأسماء واللغات 2/1: 82) وسماه الأزرقى جبل المقطع لأنهم قطعوا منه أحجار الكعبة في زمن ابن الزبير (أخبار مكة 2: 228).

(2) الماوردي: الأحكام السلطانية 413 .



أي: يَدْفَعُ. وقال مُجَاهِدٌ<sup>(1)</sup>: إِنَّمَا هِيَ بَاءٌ بَكَّةٌ أَبْدَلُوهَا مِيمًا، كَمَا قَالُوا: لَا زِمَ وَلَا زِبَ،  
لِقُرْبِ الْمَخْرَجَيْنِ. وقال التَّخَعِيُّ<sup>(2)</sup>: بَلْ بِالْبَاءِ لِلْبَيْتِ، وَبِالْمِيمِ لِلْبَلَدِ. وقال الزُّهْرِيُّ<sup>(3)</sup>:  
بِالْبَاءِ لِلْمَسْجِدِ كُلِّهِ، وَبِالْمِيمِ لِلْحَرَمِ.

وقد كانت الأُمَمُ - مُنْذُ عَهْدِ الْجَاهِلِيَّةِ - تُعَظِّمُهُ، وَالْمُلُوكُ تَبْعَثُ إِلَيْهِ بِالْأَمْوَالِ

5

وَالذَّخَائِرِ، كَسَرَى وَغَيْرِهِ.

وَقِصَّةُ الْأَسْيَافِ وَغَزَالِي الذَّهَبِ الَّتِي وَجَدَهَا عَبْدُ الْمُطَّلِبِ حِينَ اخْتَفَرَ زَمْزَمَ  
مَعْرُوفَةً. وقد وجد رسولُ اللَّهِ ﷺ حينَ افْتَتَحَ مَكَّةَ فِي الْجَبِّ الَّذِي كَانَ فِيهَا سَبْعِينَ  
أَلْفَ أَوْقِيَّةٍ مِنَ الذَّهَبِ، مِمَّا كَانَ الْمُلُوكُ تُهْدِي إِلَى الْبَيْتِ، قِيمَتُهَا أَلْفَا أَلْفِ دِينَارٍ،  
اِثْنَانِ مَكْرُورَةٍ مَرَّتَيْنِ، بِمِائَتِي قِنْطَارٍ وَزَنًا. وقال له عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:  
يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ اسْتَعْنَتْ بِهَذَا الْمَالِ عَلَى خَزَيْك، فَلَمْ يَفْعَلْ. ثُمَّ ذَكَرَ لِأَبِي بَكْرٍ، فَلَمْ  
يُحَرِّكْهُ. هَكَذَا قَالَ الْأَزْرَقِيُّ<sup>(4)</sup>. وَفِي الْبُخَارِيِّ<sup>(5)</sup> بِسَنَدِهِ إِلَى أَبِي وَاثِلٍ<sup>(6)</sup>، قَالَ:  
جَلَسْتُ إِلَى شَيْبَةَ بْنِ عُثْمَانَ، وَقَالَ: جَلَسَ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَقَالَ: هَمُمْتُ أَنْ لَا  
أُدْعَ<sup>(1)</sup> فِيهَا صَفْرَاءَ وَلَا بَيْضَاءَ إِلَّا قَسَمْتُهَا بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ. قُلْتُ: مَا أَنْتَ بِفَاعِلٍ، قَالَ:

10

(1) فِي ج: أَضَعُ

(1) الْأَحْكَامُ السُّلْطَانِيَّةُ 413، شَفَاءُ الْغَرَامِ 95 .

(2) الْأَحْكَامُ السُّلْطَانِيَّةُ 413 .

(3) الْمَصْدَرُ وَالصَّفْحَةُ، تَهْذِيبُ الْأَسْمَاءِ وَاللُّغَاتِ 2: 39 .

(4) أَخْبَارُ مَكَّةَ 1: 246 .

(5) فِي الْحَجِّ مِنْ صَحِيحِهِ 2: 183، حَدِيثُ (1594) .

(6) هُوَ شَقِيقُ ابْنِ سَلَمَةَ .

فَلِمَ ؟ قُلْتُ: لَمْ يَفْعَلْ صَاحِبَاكَ، قَالَ: هُمَا الْمَرَّانُ يَقْتَدِي بِهِمَا. وَخَرَّجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَابْنُ  
مَاجَةَ<sup>(1)</sup>.

وَأَقَامَ ذَلِكَ الْمَالُ إِلَى أَنْ كَانَتْ فَتْنَةُ الْأَفْطُسِ<sup>(2)</sup>، وَهُوَ الْحُسَيْنُ بْنُ الْحَسَنِ  
ابْنِ عَلِيٍّ [ابْنِ الْحُسَيْنِ]<sup>(3)</sup> بْنِ عَلِيٍّ، زَيْنُ الْعَابِدِينَ، سَنَةَ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَةً، حِينَ  
5 غَلَبَ عَلَى مَكَّةَ عَمَدٌ إِلَى الْكَعْبَةِ، فَأَخَذَ مَا فِي خَزَائِنِهَا، وَقَالَ: مَا تَصْنَعُ الْكَعْبَةُ بِهَذَا  
الْمَالِ مَوْضُوعاً فِيهَا لَا يُنْتَفَعُ بِهِ؟ نَحْنُ أَحَقُّ بِهِ، نَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى خَرْبِنَا؛ وَأَخْرَجَهُ،  
وَتَصَرَّفَ فِيهِ. وَبَطَلَتْ الذَّخِيرَةُ مِنَ الْكَعْبَةِ مِنْ يَوْمَئِذٍ.

وَأَمَّا بَيْتُ الْمَقْدَسِ، وَهُوَ الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى، فَكَانَ أَوَّلَ أَمْرِهِ أَيَّامَ الصَّابِئَةِ  
مَوْضِعاً لِهَيْكَلِ الزُّهْرَةِ. وَكَانُوا يُقَرَّبُونَ إِلَيْهِ الزَّيْتُ فِيمَا يُقَرَّبُونَهُ، وَيَصُبُّونَهُ عَلَى الصَّخْرَةِ  
الَّتِي هُنَاكَ. ثُمَّ دَثَرَ ذَلِكَ الْهَيْكَلُ، وَاتَّخَذَهَا بَنُو إِسْرَائِيلَ حِينَ مَلَكَوْهَا قِبْلَةً لصلواتِهِمْ.  
10 وَذَلِكَ أَنَّ مُوسَى، صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ، لَمَّا خَرَجَ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ مِصْرَ لِيُمْلِكَهُمْ بَيْتَ  
الْمَقْدَسِ / كَمَا وَعَدَ اللَّهُ آبَاءَهُمْ إِسْرَائِيلَ وَأَبَاءَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مِنْ قَبْلِهِ، وَأَقَامُوا  
بِأَرْضِ النَّبِيِّ، أَمَرَ اللَّهُ بِاتِّخَاذِ قُبَّةٍ مِنْ خَشَبِ السَّنْطِ، عِيَّنَ بِالْوَحْيِ مَقْدَارَهَا وَصِفَتَهَا  
وَهِيَائِلَهَا وَتِمَائِلَهَا، وَأَنْ يَكُونَ فِيهَا تَابُوتٌ وَمَائِدَةٌ بِصَاحِفِهَا، وَمِنَارَةٌ بِقَنَادِيلِهَا، وَأَنْ  
يَصْنَعَ مَذْبَحاً لِلْقُرْبَانِ. وَوُصِفَ ذَلِكَ كُلُّهُ فِي التَّوْرَةِ<sup>(4)</sup> أَكْمَلَ وَصَفَ. فَصْنَعُ الْقُبَّةِ،  
15

(1) سنن أبي داود (2031) وسنن ابن ماجه (3116).

(2) ولاء على مكة أبو السرايا السري بن منصور القائم بأمر ابن طباطبا، انظر أخباره في الكامل 6: 302،  
- 305.

(3) من الكامل 6: 305.

(4) سفر الخروج 30، 33.

ووضع فيها تابوت العهد، وهو التَّابُوتُ الَّذِي فِيهِ الْأَلْوَاخُ الْمَصْنُوعَةُ عِوَضاً مِنَ الْأَلْوَاخِ  
الْمَنْزُلةِ بِالْكَلِمَاتِ الْعَشْرِ لَمَّا تَكَسَّرَتْ، وَوَضَعَ الْمَذْبَحَ عِنْدَهَا، وَعَهَدَ اللَّهُ إِلَى مُوسَى  
بأن يكون هَارُونُ صَاحِبَ الْقُرْبَانِ . وَنَصَبُوا تِلْكَ الْقُبَّةَ بَيْنَ خِيَامِهِمْ فِي التِّبَةِ، يُصَلُّونَ  
إِلَيْهَا وَيُقَرِّبُونَ فِي الْمَذْبَحِ أَمَامَهَا ، وَ[يَتَوَجَّهُونَ] <sup>(أ)</sup> لِلْوَحْيِ عِنْدَهَا . وَلَمَّا مَلَكَوا أَرْضَ  
الشَّامِ ، \*أَنْزَلُوهَا بِكِلْكَالٍ ، مِنْ بِلَادِ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ ، مَا بَيْنَ قِسْمِ بَنِي يَامِينَ وَبَنِي  
5 أَفْرَايِمَ . وَبَقِيََتْ هُنَاكَ أَرْبَعُ عَشْرَةِ سَنَةٍ ، سَبْعاً مُدَّةَ الْحَرْبِ ، وَسَبْعاً بَعْدَ الْفَتْحِ ، أَيَّامُ  
الْقِسْمَةِ <sup>(ب)</sup> لِلْبِلَادِ . وَلَمَّا ثَوَّفِي يَوْشَعَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - نَقَلُوهَا إِلَى بَلَدِ شَيْلُو ، [قَرِيباً مِنْ  
كِلْكَالٍ ، وَأَدَارُوا عَلَيْهَا الْحَيَاطَانَ] <sup>(ج)</sup> . وَأَقَامَتْ عَلَى ذَلِكَ ثَلَاثِمِائَةِ سَنَةٍ ، حَتَّى مَلَكَهَا بَنُو  
فِلِسْطِينَ مِنْ أَيْدِيهِمْ كَمَا مَرَّ ، وَتَغَلَّبُوا عَلَيْهِمْ . ثُمَّ [رَدُّوا عَلَيْهِمُ الْقُبَّةَ] <sup>(د)</sup> وَنَقَلُوهَا بَعْدَ وَفَاةِ  
عَالِي الْكَوْهِنِ إِلَى نُوفٍ . ثُمَّ نَقَلْتُ أَيَّامَ طَالُوتَ إِلَى كَمْعُونَ فِي بِلَادِ بَنِي يَامِينَ . وَلَمَّا  
10 [مَلَكَ] <sup>(هـ)</sup> دَاوُدَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - نَقَلَ الْقُبَّةَ وَالتَّابُوتَ إِلَى بَيْتِ الْمُقَدَّسِ ، وَجَعَلَ  
[عَلَيْهَا] <sup>(و)</sup> خِيبَاءً خَاصّاً وَوَضَعَهَا عَلَى الصَّخْرَةِ \* <sup>(ز)</sup> . وَبَقِيََتْ تِلْكَ الْقُبَّةُ قَبْلَتَهُمْ .

وَأَرَادَ دَاوُدُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - بِنَاءَ مَسْجِدٍ <sup>(ح)</sup> عَلَى الصَّخْرَةِ مَكَانَهَا ، فَلَمْ يَتِمَّ لَهُ  
ذَلِكَ ، وَعَهَدَ بِهِ إِلَى ابْنِهِ سُلَيْمَانَ ، فَبَنَاهُ لِأَرْبَعِ سِنِينَ مِنْ مُلْكِهِ ، وَلِخَمْسِ مِائَةِ سَنَةٍ مِنْ  
وَفَاةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ . وَاتَّخَذَ عُمْدَهُ مِنَ الصُّفْرِ ، وَجَعَلَ بِهِ صَرْخَ الزُّجَاجِ ، وَغَشَّى  
15

(أ) فِي الْأَصْلِ ع: يَتَعَرَّضُونَ؛ ثُمَّ شَطِبَتْ وَكُتِبَ فَوْقَهَا: يَتَوَجَّهُونَ، وَنُقِلَتْ ظ ج ي عَنْ الْأَصْلِ قَبْلَ الْإِصْلَاحِ (ب) ج ع: الْقِسْمَةُ  
(ج) فِي ظ ج: "بُقْرِهَا وَاتَّخَذُوا لَهَا الْحَوَائِطَ". وَكَانَ هَذَا النَّصُّ فِي الْأَصْلِ ع، ثُمَّ شَطِبَ وَغَوَّضَ بِمَا أُبْتِغَاهُ (د) كَانَتْ فِي أَصْلِ  
ع رَدُّوَهَا، وَنُقِلَتْ ظ ج، ثُمَّ اسْتَبَدَّلَتْ (هـ) مِنْ ع مُسْتَدْرَكَةٌ وَتَحْتَهَا: وَلِي، وَعَنْهَا نُقِلَتْ ظ (و) كَذَا فِي ع، وَفِي ظ ج: لَهَا  
(ز) مَا بَيْنَ النَّجْمَيْنِ مِنْ حَاشِيَةِ ع بِخَطِّهِ، وَفِي ي جَاءَ النَّصُّ مَرْتَبَاً (ح) فِي ي: مَسْجِدُهُ .

أبوابه وحيطانه بالذهب، وصاغ هياكله وتماثيله وأوعيته ومناوِره ومفاتيحه من الذهب، وجعل ظهره مقبواً ليودع فيه تابوت العهد. وجاء به من صهيون، بلد أبيه داود، [نقله إليها أيام عمارة المسجد، فجيء به]<sup>(١)</sup> تحمله الأسباط والكهنوتية، / حتى وُضِعَ في القبو، ووضعت القبة والأوعية والمذبح، كل حيث أُعدَّ له من المسجد. وأقام كذلك ما شاء الله. 5

ثم خربه بختنصر بعد ثمانمائة سنة من بنائه. وأحرق التوراة والعصاة<sup>(ب)</sup>، و[سبك]<sup>(ج)</sup> الهياكل، وتثر الأخجار. ثم لما أعادهم ملوك الفرس، بناه عزير نبي بني إسرائيل لعهد، بإعانة يهمن، ملك الفرس الذي كانت الولادة لبني إسرائيل عليه [من سبي]<sup>(د)</sup> بختنصر. وحدَّ لهم في بنائه حدوداً دون بناء سليمان - عليه السلام - فلم يتجاوزوها. 10

[وأما الأواوين<sup>(١)</sup> التي تحت المسجد، يزكَّب بعضها بغضا؛ عمود الأعلى منها على قوس الأسفل في طبقتين. ويتوهم كثير من الناس أنها اضطبلات لسليمان - عليه السلام - وليس كذلك. وإنما بناها تنزيهاً للبيت المقدس عما يتوهم من التجاسات، لأنَّ التجاسة في شريعتهم، وإن كانت في باطن الأرض، وكان ما بينها وبين ظاهر الأرض محشواً بالثراب، بحيث يصل ما بينها وبين الظاهر خطٌ 15

(أ) من حاشية ع بخطه، وسقط من ظ (ب) في الأصول كلها: العصاء، وهي لغة في العصا ذكرها الأزهرى، وكرها بعضهم (اللسان: مادة عصا) (ج) من: ج ي، وفي ظ: وصاغ، كانت في أصل ع ثم استبدلت (د) سقط من ظ.

(١) هي صهرج لتجميع أمطار الشتاء، كما يدل عليه طراز عبارته والمزاريب الثقيلة للماء من سطح الحرم إليه، ومواد الملاط على حجارتها الكبيرة، المكوّنة من الكلس وكسارة الفخار المعروفة في أسلوب العزل المائي.

مُسْتَقِيم، ينجس ذلك الظاهر بالتَّوَهُّم. والمتوَهُّم عندهم كالمُحَقَّق. فبنوا هذه الأواوين على هذه الصُّورَة بعمود الأواوين السُّفْلِيَّة، تَنْتَهِي إلى أَقْوَاسِهَا وَيَنْقَطِعُ خَطُّهُ، فلا تَتَّصِلُ النَّجَاسَةُ بِالْأَعْلَى عَلَى خَطِّ مُسْتَقِيم، وَتَنْزَعُ الْبَيْتُ عَنْ هَذِهِ النَّجَاسَةِ الْمُتَوَهُّمَةِ، لِيَكُونَ ذَلِكَ أَتْلَغَ فِي الطَّهَارَةِ وَالتَّقْدِيسِ لِلْبَيْتِ الْمُقَدَّسِ<sup>(أ)</sup>.

5 ثم تَدَاوَلَتْهُمْ مَلُوكُ يُونَانَ وَالْفُرْسِ وَالرُّومِ . وَاسْتَفْحَلَ الْمَلِكُ لَبْنِي إِسْرَائِيلَ فِي هَذِهِ الْمُدَدِ لَبْنِي حَشْمَتَايَ، مِنْ [كَهَنُوتِيَّتِهِمْ]<sup>(ب)</sup>، ثُمَّ لَصِهَرَهُمْ هَيْرَدُوسُ وَلَبْنِيهِ مِنْ بَعْدِهِمْ. وَبَنَى هَيْرَدُوسُ بَيْتَ الْمُقَدَّسِ عَلَى حُدُودِ سُلَيْمَانَ - عَلَيْهِ السَّلَام - وَتَأْتَقُ فِيهِ حَتَّى أَكَلَهُ فِي سِتِّ سِنِينَ. فَلَمَّا جَاءَ طَيْطَلُشُ، مِنْ مُلُوكِ الرُّومِ، وَغَلِبَهُمْ وَمَلَكَ أَمْرَهُمْ، خَرَّبَ بَيْتَ الْمُقَدَّسِ وَمَسَجَدَهَا، وَأَمَرَ أَنْ يُزْرَعَ مَكَانُهُ.

10 ثم أَخَذَ الرُّومُ بِدِينِ الْمَسِيحِ - عَلَيْهِ السَّلَام - وَدَانُوا بِتَغْظِيمِهِ. ثُمَّ أَخْلَفَ حَالُ مُلُوكِ الرُّومِ فِي الْأَخْذِ بِدِينِ النَّصْرَانِيَّةِ تَارَةً وَتَرَكَهُ أُخْرَى، إِلَى أَنْ جَاءَ قُسْطَنْطِينُ، وَتَنَصَّرَتْ أُمُّهُ هِلَانَةُ، وَارْتَحَلَتْ إِلَى الْقُدْسِ فِي طَلَبِ الْخَشَبَةِ الَّتِي صُلِبَ عَلَيْهَا الْمَسِيحُ بِزَعْمِهِمْ. فَأَخْبَرُوهَا<sup>(ج)</sup> الْقَهَامِسَةُ بِأَنَّهُ زُمِي بِخَشَبَتِهِ عَلَى الْأَرْضِ، وَأُلْقِيَ عَلَيْهِ الْقَهَامَاتُ وَالْقَادُورَاتُ . فَاسْتَخْرَجَتِ الْخَشَبَةَ، وَبَنَتْ مَكَانَ تِلْكَ الْقَهَامَاتِ كَنِيسَةً الْقَهَامَةِ، كَأَنَّهَا عَلَى قَبْرِهِ بِزَعْمِهِمْ. وَخَرَّبَتْ مَا وَجَدَتْ مِنْ عِمَارَةِ الْبَيْتِ، وَأَمَرَتْ بِطَرْحِ 15 الزَّلْبِ وَالْقَهَامَاتِ عَلَى الصَّخْرَةِ حَتَّى غَطَّاهَا وَخَفَى مَكَانَهَا، جِزَاءً - بِزَعْمِهَا - لِمَا فَعَلُوهُ

(أ) إضافة في حاشية ع بخطه، وسقطت من ط ج ي (ب) في ج ي ط وأصل ع: كهنتهم، واستبدلت في حاشية ع إلى ما أثبتناه (ج) كذا في ع ط ج ي .

في قَبْرِ الْمَسِيحِ. ثُمَّ بَنَوْا إِزَاءَ الْقَهْمَةِ بَيْتَ لَحْمٍ، وَهُوَ الْبَيْتُ الَّذِي وُلِدَ فِيهِ عِيسَى،  
صلوات الله عليه.

وَبَقِيَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ إِلَى أَنْ جَاءَ الْإِسْلَامُ وَالْفَتْحُ، وَحَضَرَ عُمَرُ لِفَتْحِ بَيْتِ  
الْمَقْدَسِ، وَسَأَلَ عَنِ الصَّخْرَةِ، فَأَرَى مَكَانَهَا وَقَدْ علاها الزَّلُّلُ وَالتَّرَابُ، فَكَشَفَ عَنْهَا  
وَبَنَى عَلَيْهَا مَسْجِدًا عَلَى طَرِيقِ الْبَدَاوَةِ، وَعَظَّمَ مِنْ شَأْنِهِ مَا أُذِنَ لِلَّهِ فِي تَعْظِيمِهِ،  
/ وما سَبَقَ فِي أُمِّ الْكِتَابِ مِنْ فَضْلِهِ، حَسْبَمَا ثَبَّتَ.

[246ب]

ثُمَّ اخْتَفَلَ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ فِي تَشْيِيدِ مَسْجِدِهِ عَلَى سَنَنِ مَسَاجِدِ  
الْإِسْلَامِ بِمَا شَاءَ اللَّهُ مِنَ الْاِخْتِفَالِ، كَمَا فَعَلَ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَفِي مَسْجِدِ النَّبِيِّ  
ﷺ بِالْمَدِينَةِ، وَفِي مَسْجِدِ دِمَشْقَ، وَكَانَتْ الْعَرَبُ تَسْمِيهِ بِبِلَاطِ الْوَلِيدِ. وَأَلْزَمَ مَلِكُ  
الرُّومِ أَنْ يَبْنِيَ الْقُعْلَةَ وَالْمَالَ لِبِنَاءِ هَذِهِ الْمَسَاجِدِ، وَأَنْ يُنَمِّقُوهَا بِالْفُسَيْفِيسَاءِ، فَأَطَاعَ  
لِذَلِكَ؛ وَتَمَّ بِنَاؤُهَا عَلَى مَا اقْتَرَحَهُ.

ثُمَّ لَمَّا ضَعُفَ أَمْرُ الْخِلَافَةِ أَعْوَامَ الْخَمْسِمِائَةِ مِنَ الْهَجْرَةِ، وَفِي آخِرِهَا،  
وَكَانَتْ فِي مَلَكَةِ الْعَبِيدِيِّينَ، خُلَفَاءُ الْقَاهِرَةِ مِنَ الشَّيْعَةِ، وَاخْتَلَّ أَمْرُهُمْ، زَحَفَ  
الْفَرَنْجَةُ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدَسِ، فَمَلَكُوهُ، وَمَلَكُوا مَعَهُ عَامَّةَ ثُغُورِ الشَّامِ. وَبَنَوْا عَلَى  
الصَّخْرَةِ الْمَقْدَسَةِ مِنْهُ كَنِيسَةً كَانُوا يُعَظِّمُونَهَا وَيَفْتَخِرُونَ بِبِنَائِهَا<sup>(1)</sup>. حَتَّى إِذَا اسْتَقَلَّ

(1) لَمْ يَبْنِ الصَّلِيبِيُّونَ كَنِيسَةً عَلَى الصَّخْرَةِ، وَإِنَّمَا احْتَفَظُوا بِالْبِنَاءِ الْفَخْمِ الَّذِي أَقَامَهُ الْخَلِيفَةُ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنِ  
مَرْوَانَ سَنَةَ 72هـ / 691م لِأَنَّهُ بَنَى عَلَى طَرَاظِ "الزُّوْتُنْدَا" الْمَسِيحِيَّةِ. وَهُوَ مِنَ الْمَعَالِمِ الْإِسْلَامِيَّةِ التَّادِرَةِ الَّتِي  
أَبْقَوْا عَلَيْهَا دَاخِلَ مَدِينَةِ الْقُدْسِ.

صلاح الدين بن أيوب الكردي<sup>(1)</sup> بملك مصر والشام، ومحا أثر العبيدين وبدعهم، زحف إلى الشام، وجاهد من كان به من الفرنجة، حتى غلبهم على البيت المقدس وعلى ما كانوا ملكوه من ثغور الشام. وذلك لنحو ثمانين وخمسمائة من الهجرة. وهدم تلك الكنيسة، وأظهر الصخرة، وبني المسجد<sup>(2)</sup> على النحو الذي هو عليه لهذا العهد.

5

<sup>(1)</sup> [ولا يعرض<sup>(ب)</sup> لك الإشكال المعروف في الحديث الصحيح<sup>(3)</sup>، أن النبي ﷺ سئل عن أول بيت وضع، فقال: "مكة". قيل: ثم أي؟ قال: "بيت المقدس". قيل: فكم بينهما؟ قال: "أربعون سنة". فإن المدة بين بناء مكة وبناء بيت المقدس بمقدار ما بين إبراهيم وسليمان. لأن سليمان بنها، وهو يُنْفَى على الألف بكثير. واعلم أن المراد بالوضع في الحديث ليس / البناء، وإنما المراد أول بيت عُنِيَ

10

[247]

(أ) حاشية من ع بخطه، سقطت من ط، وأثبتها ي ج (ب) في ج: يعرض.

(1) الخلاف بين المؤرخين في نسب الأيوبيين قديم، والراجح فيه ما كتبه الملك الأمجد الحسن بن الناصر داود بن المعظم عيسى بن الملك العادل محمد بن أيوب، يقول: "المشهور عند بيتنا أن جدنا نزل على الأكراد وتزوج منهم، فصارت بيننا وبينهم خوولة لا غير، كما بيننا وبين الأتراك، فإن أمهات جماعة من أسلافنا تركيات". ودلّل الملك الأمجد على ذلك بأدلة مقبولة. انظر، الملك الناصر داود بن عيسى الأيوبي؛ الفوائد الجليلة في الفرائد الناصرية 57 (بغداد 1992).

(2) كان الصليبيون قد جدّدوا تغطية "الروتندا" بسقف لا تعرف شيئاً عن هيئته، فأسقطه صلاح الدين الأيوبي وجدّد التغطية بالقبة الخشبية المزخرفة الباقية إلى اليوم، واتخذ لها غطاء خارجياً من أطباق الرصاص لحمايتها.

(3) أخرجه البخاري (3366) و (3425) ومسلم (520) من حديث أبي ذر.

لِلْعِبَادَةِ. وَلَا يَبْعُدُ أَنْ يَكُونَ بَيْتُ الْمُقَدَّسِ عَيْنَ لِلْعِبَادَةِ قَبْلَ سُلَيْمَانَ بِمَثَلِ هَذِهِ الْمُدَّةِ،  
 وَقَدْ يُقَالُ<sup>(أ)</sup>: إِنَّ الصَّابِئَةَ بَنَوْا عَلَى الصَّخْرَةِ هَيْكَلَ الزُّهْرَةِ، فَلَعَلَّ ذَلِكَ لِأَنَّهَا كَانَتْ  
 مَكَانًا لِلْعِبَادَةِ، كَمَا كَانَتْ الْجَاهِلِيَّةُ تَضَعُ الْأَصْنَامَ وَالتَّمَائِيلَ حَوَالِي الْكَعْبَةِ وَفِي جُوفِهَا.  
 وَالصَّابِئَةُ الَّذِينَ بَنَوْا هَيْكَلَ الزُّهْرَةِ كَانُوا عَلَى عَهْدِ إِبْرَاهِيمَ - عَلَيْهِ السَّلَام - فَلَا<sup>(ب)</sup>  
 5 تَبْعُدُ مُدَّةَ الْأَرْبَعِينَ سَنَةً بَيْنَ وَضْعِ مَكَّةَ لِلْعِبَادَةِ وَوَضْعِ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ  
 هُنَاكَ بِنَاءٌ، كَمَا هُوَ الْمَعْرُوفُ، وَإِنْ أَوَّلَ مَنْ بَنَى بَيْتَ الْمُقَدَّسِ سُلَيْمَانُ - عَلَيْهِ السَّلَام -  
 فَتَفَهَّمْهُ، وَفِيهِ حَلُّ هَذَا الْإِشْكَالِ<sup>(ج)</sup>.

وَأَمَّا الْمَدِينَةُ، وَهِيَ [الْمُسَمَّاءُ]<sup>(د)</sup> يَثْرِبُ، فَهِيَ مِنْ بِنَاءِ يَثْرِبَ بْنِ مَهْلَايِلَ، مِنْ  
 الْعَمَالِقَةِ، وَبِهِ سُمِّيَتْ. وَمَلَكَهَا بَنُو إِسْرَائِيلَ مِنْ أَيْدِيهِمْ فِيمَا مَلَكَوهُ مِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ.  
 10 ثُمَّ جَاوَزَهُمْ أَبْنَاءُ قَبِيلَةِ مِنْ غَسَّانَ، وَغَلَبُوهُمْ عَلَيْهَا وَعَلَى حُصُونِهَا.

ثُمَّ أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِالْهَجْرَةِ إِلَيْهَا لَمَّا سَبَقَ مِنْ عِنَايَةِ اللَّهِ لَهَا. فَهَاجَرَ إِلَيْهَا وَمَعَهُ  
 أَبُو بَكْرٍ، وَتَبِعَهُ أَصْحَابُهُ<sup>(هـ)</sup>. وَنَزَلَ بِهَا، وَبَنَى مَسْجِدَهُ وَبُيُوتَهُ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي \*<sup>(و)</sup> قَدْ  
 كَانَ اللَّهُ أَعَدَّهُ \* لِذَلِكَ، وَشَرَّفَهُ فِي سَابِقِ أَرْزَلِهِ. وَأَوَاهُ أَبْنَاءُ قَبِيلَةٍ وَتَصْرُوهُ، وَبِذَلِكَ  
 سُمُّوا الْأَنْصَارَ. وَتَمَّتْ كَلِمَةُ الْإِسْلَامِ مِنَ الْمَدِينَةِ حَتَّى عَلَتْ عَلَى الْكَلِمَاتِ، وَغَلَبَ  
 15 عَلَى قَوْمِهِ، وَفَتَحَ مَكَّةَ وَمَلَكَهَا. وَظَنَّ الْأَنْصَارُ أَنَّهُ يَتَحَوَّلُ عَنْهُمْ إِلَى بَلَدِهِ<sup>(ز)</sup>، فَأَهْمَهُمْ

(أ) مِنْ ط ج، وَفِي ع: يَقَا، وَأَسْقَطَ اللَّامَ، وَفِي ي: نَقَلَ (ب) فِي ع: وَلَا (ج) نَهَايَةُ حَاشِيَةٍ مِنْ ع بِخَطِّهِ، سَقَطَتْ مِنْ ط،  
 وَأَبْتَهَا ي ج (د) فِي ط: الْمُسَمَّى (هـ) وَضَعُ نَاسِخِ النُّسخَةِ ط (الظَاهِرِي) الْفَقْرَةُ الْمُتَقَدِّمَةُ الْمُحْصُورَةُ بَيْنَ حَاضِرَتَيْنِ، وَالْخَاصَّةُ بِأَوَّلِ  
 بَيْتِ وَضْعِ لِلْعِبَادَةِ، فِي هَذَا الْمَكَانِ خَطَأً. إِذْ لَمْ يُضْبَطْ مَوْقِعُهَا عِنْدَهُ عِنْدَ ثَلَاثِهَا مِنْ حَاشِيَةِ النُّسخَةِ ع، وَرَغْمَ وَجُودِ عَلَامَةِ الْمُخْرَجِ لَهَا  
 قَبْلَ الْحَدِيثِ مُبَاشَرَةً عَنِ الْمَدِينَةِ (و) فِي: ع ج ي: كَانَ اللَّهُ قَدْ أَعَدَّهُ (ز) فِي ج: الْبَلَدِ.



ذلك، فخطبهم ﷺ وأخبرهم أنه غير مُتَحَوِّل. حَتَّى إِذَا قُبِضَ ﷺ كَانَ مَلْحَدُهُ الشَّرِيفَ  
بِهَا.

وجاء في فضلها من الأحاديث الصحيحة ما لا خفاء به. ووقع الخلاف بين  
العلماء في تفضيلها على مَكَّةَ ، وقال به مالك - رحمه الله - لما ثبتت عنده في ذلك  
من النص الصريح عن رافع بن خديج<sup>(1)</sup>، أن النبي ﷺ قال: "المدينة خير من مَكَّة". 5  
نقل ذلك عبد الوهاب في المعونة<sup>(2)</sup>، إلى أحاديث أخرى تدل بظاهرها على ذلك.  
وخالف أبو حنيفة والشافعي.

[247 ب] وأصبحت على كل حال ثانية المسجد الحرام. وجنح إليها الأمم / بأفئدتهم  
من كل أوب.

10 فانظر كيف تدرجت الفضيلة في هذه المساجد المعظمة لما سبق من عناية  
الله لها . وتقهم سر الله في الكون وتدرجه على ترتيب مُحْكَم في أمور الدين  
والدنيا.

وأما غير هذه المساجد الثلاثة، فلا نعلمه في الأرض، إلا ما يقال من شأن  
مسجد آدم - عليه السلام - بسرنديب، من جزائر الهند. لكنه لم يثبت فيه شيء  
15 يُعَوَّل عليه.

(1) حديث ضعيف أخرجه الطبراني في الكبير (4450) والبخاري في التاريخ الكبير 1: 160 وابن عدي في  
الكامل 6: 190 من حديث رافع بن خديج .  
(2) المعونة 2: 605 (باب في فضل المدينة والصلاة بها).

وقد كانت للأمم في القديم مساجد يعظمونها على جهة الديانة بزعمهم، منها: بيوت النار للفُرس، وهياكل يونان، وبيوت العرب بالحجاز، التي أمر النبي ﷺ بهدمها في غزواته. وقد ذكر المسعودي<sup>(1)</sup> منها بيوتاً لسنّا من ذكرها في شيء، إذ هي غير مشروعة، ولا هي على طريق ديني. فلا يلتفت إليها ولا إلى الخبر عنها؛ 5 ويكفي في ذلك ما وقع في التواريخ؛ فمن أراد معرفة الأخبار فعليه بها. ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾. [سورة البقرة، الآية 213].

## 7\* فصل، في أن الأمصار والمدن بأفريقية والمغرب قليلة

والسبب في ذلك، أن هذه الأقطار كانت للبربر منذ آلاف من السنين قبل الإسلام، وكان عمرانها كله بدويّاً، ولم تستمرّ فيهم الحضارة حتى تستكمل أحوالها. 10 والدول التي ملكتهم من الإفرنجية والعرب لم يطل أمد ملكهم فيهم حتى ترسخ الحضارة منها، فلم تزل عوائد البداوة وشؤونها، فكانوا لها أقرب، فلم تكثر مبانيم.

وأيضاً، فالصنائع بعيدة عن البربر لأنهم أعرق في البدو. والصنائع من ثواب الحضارة، وإنما تتم المباني بها، فلا بُدّ من الحذق في تعلّمها. ولما لم يكن للبربر اتّيحال 15 لها، لم يكن لهم تشوّف إلى المباني فضلاً عن المدن.

(1) مروج الذهب، (الأبواب 63-69) خصّ بها البيوت المعظمة والهياكل والنيران والأصنام عند اليونانيين وأوائل الروم والصفالبة والصابئة وغيرهم.

وأيضاً فهم أهل عَصِيَّاتٍ وَأَنْسَابٍ، لا يَخْلُو عن ذلك جَمْعُ مِنْهُمْ. وَالْأَنْسَابُ  
وَالْعَصِيَّةُ أَجْنَحٌ إِلَى الْبَدْوِ، وَإِنَّمَا يَدْعُو إِلَى الْمَدْنِ الدَّعَةُ وَالسَّكُونُ، وَيَصِيرُ سَاكِنُهَا  
عِيَالاً عَلَى حَامِيَّتِهَا. فَتَجِدُ أَهْلَ الْبَدْوِ لَذَلِكَ يَسْتَنْكِفُونَ مِنْ سُكْنَى الْمَدِينَةِ أَوْ الْمَقَامَةِ  
بِهَا، وَلَا يَدْعُوهُمْ لَذَلِكَ إِلَّا التَّرَفُّ وَالْغِنَى، وَقَلِيلٌ / مَا هُوَ فِي النَّاسِ. [248]

- 5 فلذلك كان عُمُرَانُ إِفْرِيقِيَّةً وَالْمَغْرِبُ كُلُّهُ أَوْ أَكْثَرُهُ بَدَوِيًّا، أَهْلُ خِيَامٍ وَظَوَاعِنَ  
وَقِيَاطِنَ وَكُنْ<sup>(1)</sup> فِي الْجِبَالِ. وَكَانَ عُمُرَانُ بِلَادِ الْعَجَمِ كُلُّهُ أَوْ أَكْثَرُهُ قُرَى وَأَمْصَاراً  
وَرَسَاتِيقَ فِي بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ وَالشَّامِ وَمِصْرَ وَعِرَاقِ الْعَجَمِ وَأَمْثَالِهَا؛ لِأَنَّ الْعَجَمَ فِي  
الْغَالِبِ، لَيْسُوا بِأَهْلِ أَنْسَابٍ يُحَافِظُونَ عَلَيْهَا وَيَتَنَاعَوْنَ فِي صُرَاحَتِهَا وَالتَّحَامِهَا إِلَّا فِي  
الْأَقْلِ. وَأَكْثَرُ مَا يَكُونُ سُكْنَى الْبَدْوِ لِأَهْلِ الْأَنْسَابِ؛ لِأَنَّ لُحْمَةَ النَّسَبِ أَقْرَبُ  
10 وَأَشَدُّ، فَتَكُونُ عَصِيَّتُهُ كَذَلِكَ، وَتَنْزِعُ بِصَاحِبِهَا إِلَى سُكْنَى الْبَدْوِ وَالتَّجَافِي عَنْ الْمِصْرِ  
الَّذِي يَذْهَبُ بِالنِّسَالَةِ، وَيُصَيِّرُهُ عِيَالاً عَلَى غَيْرِهِ. فَافْهَمْهُ، وَقَسْ عَلَيْهِ.

8 • فَصْلٌ، فِي أَنَّ الْمَبَانِيَّ وَالْمَصَانِعَ فِي الْمِلَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ قَلِيلَةٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى  
قُدْرَتِهَا وَمَنْ كَانَ قَبْلَهَا مِنَ الدُّوَلِ

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ، مَا ذَكَرْنَا مِثْلَهُ فِي الْبَرِّ بِعَيْنِهِ، إِذِ الْعَرَبُ أَيْضاً أَعْرُقُ

فِي الْبَدْوِ وَأَبْعَدُ عَنِ الصَّنَائِعِ.

وأيضاً، فكانوا أجانب من الممالك التي استولوا عليها قبل الإسلام. [ولاً<sup>(1)</sup>]  
تملكوها لم يَنْقُصِ الأَمْرُ حَتَّى تُسْتَوْفَى رُسُومُ الحَضَارَةِ، مع أَنَّهُم استَغْنَوْا بما وَجَدُوا  
من مَبَانِي غَيْرِهِمْ.

5 وأيضاً، فكان الدِّينُ أَوَّلَ الأَمْرِ مانِعاً من المَغَالَاةِ فِي البُنْيَانِ والإِسْرَافِ فِيهِ فِي  
غَيْرِ القَصْدِ، كما عَهْدَ لَهُمْ عُمَرُ حِينَ اسْتَأْذَنُوهُ فِي بِنَاءِ الكُوفَةِ بِالْحِجَارَةِ، وَقَدْ وَقَعَ  
الحَرِيقُ فِي القَصْبِ الَّذِي كَانُوا بَنَوْا بِهِ مِنْ قَبْل. فقال<sup>(1)</sup>: افْعَلُوا، وَلَا يَزِيدَنَّ أَحَدٌ عَلَى  
ثَلَاثَةِ أَيْبَاتٍ، وَلَا تَطَاوَلُوا<sup>(ب)</sup> فِي البُنْيَانِ، وَالزَمُوا السُّنَّةَ تَلْزِمُكُمْ الدَّوْلَةُ. وَعَهْدٌ إِلَى  
الْوَفْدِ، وَتَقَدَّمَ إِلَى النَّاسِ أَلَّا يَزْفَعُوا بُيُوتَانَا فَوْقَ القَدْرِ. قَالُوا: وَمَا القَدْرُ؟ قَالَ: مَا لَا  
يُقَرِّبُكُمْ مِنَ السَّرَفِ، وَلَا يُخْرِجُكُمْ عَنِ القَصْدِ.

10 فَلَمَّا بَعَدَ العَهْدُ بِالدِّينِ وَالتَّحَرُّجِ فِي أَمْثَالِ هَذِهِ المَقَاصِدِ، وَغَلَبَتْ طَبِيعَةُ المَلِكِ  
والتَّرَفِ، وَاسْتُخْذِمَ العَرَبُ أُمَّةَ الفُرْسِ، وَأَخَذُوا عَنْهُمْ الصَّنَاعَ والمَبَانِي، وَدَعَتْهُمْ إِلَيْهَا  
أَحْوَالُ الدَّعَةِ وَالتَّرَفِ؛ وَحِينَئِذٍ شَيَّدُوا المَبَانِي وَالمَصَانِعَ. وَكَانَ عَهْدُ ذَلِكَ قَرِيباً بِاتِّقِرَاضِ  
الدَّوْلَةِ، وَلَمْ يَنْقُصِ الأَمَدُ لكَثْرَةِ البِنَاءِ وَاحْتِطَاطِ المَدُنِ وَالأَمْصَارِ إِلَّا قَلِيلاً؛ / وَلَيْسَ  
[248ب] كَذَلِكَ غَيْرُهُمْ مِنَ الأَمَمِ، فَالفُرْسُ<sup>(ج)</sup> طَالَتْ مُدَّتُهُمْ آلافاً مِنَ السِّنِينَ، وَكَذَلِكَ القَبْطُ<sup>(د)</sup>  
والتَّبَطُّ وَالرُّومُ، وَكَذَلِكَ العَرَبُ [الأولى]<sup>(د)</sup> مِنْ عَادٍ وَثَمُودَ وَالعَمَالِقَةَ وَالتَّبَابِعَةَ، طَالَتْ  
15 آمَادُهُمْ وَرَسَخَتْ الصَّنَاعُ فِيهِمْ. فَكَانَتْ مَبَانِيهِمْ وَهِيَ كُلُّهُمْ أَكْثَرَ عَدداً وَأَبْقَى عَلَى الأَيَّامِ أَثْراً.

(أ) ظ: وإنا (ب) في ج: تطاولوا (ج) ي: والفُرس (د) ع ي، وفي ظ ج: الأول .

(1) الطبري: تاريخ الرسل والملوك 4: 44 .

واستبصر في هذا، تجذبه كما قلت لك. والله وارث الأرض ومن عليها.

9 فصل، في أن المباني التي تختطها العرب يسرع إليها الخراب، إلا في الأقل

والسبب في ذلك شأن البداوة والبعد عن الصنائع، كما قدمناه، فلا تكون  
المباني وثيقة في تشييدها. وله، والله أعلم، في تشييدها<sup>(1)</sup> وجه آخر، وهو أمس  
به، وذلك قلة مراعاتهم لحسن الاختيار في اختطاط المدن، كما قلناه، من المكان  
وطيب الهواء والمياه والمزارع والمراعي. فإن بالتفاوت في هذه تتفاوت جودة المصير  
أو رداءته من حيث العمران الطبيعي. والعرب بمغزل عن هذا؛ وإنما يراعون  
مراعي إبلهم خاصة، لا يبالون بالماء، طاب أم خبث، ولا قل أم كثر، ولا يسألون  
عن زكي المزارع والمنابت والأهوية، لا تثقلهم في الأرض وتثقلهم الحبوب من البلد  
البعيد.

10

وأما الرياح، فالفقر مختلف للمهاب كلها، والظعن كليل لهم بطيها. لأن  
الرياح إنما تحبث مع القرار والسكنى وكثرة الفضلات.

وانظر لما اختطوا الكوفة والبصرة والقيروان، كيف لم يراعوا في اختطاطها  
إلا مراعي إبلهم، وما يقرب من القفر ومسالك الظعن؛ فكانت بعيدة عن الوضع  
الطبيعي للمدن، ولم تكن لها مادة تمد عمرانها من بعدهم، كما قدمنا أنه يحتاج إليه  
في حفظ العمران. فقد كانت مواطنها غير طبيعية للقرار، ولم تكن في وسط الأمم

15

(1) من ظ، وسقطت من: ع ج ي .

فَيَغْمُرُهَا النَّاسُ . فَلَأَوَّلُ وَهْلَةٍ مِنْ انْخِلَالِ أَمْرِهِمْ وَذَهَابِ عَصِيَّتِهِمُ الَّتِي كَانَتْ سِيَجَاً لَهَا أَتَى عَلَيْهَا الْخَرَابُ وَالْانْخِلَالُ، كَأَنَّهُ لَمْ تَكُنْ. ﴿وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ﴾ [سورة الرعد، من الآية 41].

## 10 ﴿فَصُلِّ، فِي مَبَادِيِ الْخَرَابِ فِي الْأَمْصَارِ﴾

5 / اَعْلَمُ أَنَّ الْأَمْصَارَ إِذَا اخْتُطَّتْ أَوَّلًا تَكُونُ قَلِيلَةَ الْمَسَاكِينِ ، وَقَلِيلَةَ آلَاتِ [249] الْبِنَاءِ مِنَ الْحَجَرِ وَالْكِلْسِ وَغَيْرِهِمَا مِمَّا يُعَالَى عَلَى الْحَيَاطَانِ عِنْدَ الثَّائِقِ، كَالزَّلْجِ وَالرُّخَامِ وَالْفُسَيْفَسَاءِ وَالسَّبْجِ وَالصَّدْفِ وَالزَّجَاجِ. فَيَكُونُ بِنَاؤُهَا، يَوْمئِذٍ، بَدْوِيًّا وَآلَاتُهَا فَاسِدَةً.

فَإِذَا عَظُمَ عُمْرَانُ الْمَدِينَةِ وَكَثُرَ سَاكِنُهَا، كَثُرَتْ آلَاتُهَا بِكَثْرَةِ الْأَعْمَالِ، حِينَئِذٍ،

10 وَكَثْرَةُ الصُّنَاعِ، إِلَى أَنْ تَبْلُغَ غَايَتَهَا مِنْ ذَلِكَ، كَمَا سَبَقَ فِي شَأْنِهَا. فَإِذَا تَرَاوَعَ عُمْرَانُهَا وَقَلَّ سَاكِنُهَا، قَلَّتِ الصَّنَائِعُ لِأَجْلِ ذَلِكَ، فَفَقِدَتْ الْإِجَادَةَ فِي الْبِنَاءِ وَالْإِحْكَامِ وَالْمُعَالَاةِ عَلَيْهِ بِالتَّنْمِيقِ. ثُمَّ تَقِلُّ الْأَعْمَالُ لِعَدَمِ السَّاكِنِ، فَيَقِلُّ جَلْبُ الْآلَاتِ مِنَ الْحَجَرِ وَالرُّخَامِ وَغَيْرِهِمَا، فَتُفْقَدُ. وَيَصِيرُ بِنَاؤُهُمْ وَتَشْيِيدُهُمْ مِنَ الْآلَاتِ الَّتِي فِي مَبَانِيهِمْ، يَنْقُلُونَهَا مِنْ مَصْنَعٍ إِلَى مَصْنَعٍ، لِأَجْلِ خَلَاءِ أَكْثَرِ الْمَصَانِعِ وَالْقُصُورِ وَالْمَنَازِلِ، لِثِقَلِ الْعُمْرَانِ وَقُصُورِهِ عَمَّا كَانَ أَوَّلًا. ثُمَّ لَا تَزَالُ تُنْقَلُ مِنْ قَصْرِ إِلَى قَصْرِ، وَمِنْ دَارٍ إِلَى 15 دَارٍ، إِلَى أَنْ يُفْقَدَ الْكَثِيرُ مِنْهَا جُمْلَةً؛ فَيَعُودُونَ إِلَى الْبِدَاوَةِ فِي الْبِنَاءِ، وَاتِّخَاذِ الطُّوبِ عَوَضًا مِنَ الْحِجَارَةِ، وَالْقُصُورِ عَنِ التَّنْمِيقِ بِالْكَلِّيَّةِ. فَيَعُودُ بِنَاءُ الْمَدِينَةِ مِثْلَ بِنَاءِ

الْقَرْىَ وَالْمَدَاشِرَ، وَيُظْهِرُ عَلَيْهَا [مَيْسَمٌ] <sup>(١)</sup> الْبِدَاوَةَ. ثُمَّ تَمُرُّ فِي التَّنَاقُصِ إِلَى غَايَتِهَا فِي الْحَرَابِ إِنْ قُدِّرَ لَهَا بِهِ، سُنَّةَ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ.

11 • فَضْلٌ، فِي أَنْ تَفَاضَلَ الْأَمْصَارُ وَالْمُدُنُ فِي كَثَرَةِ الرَّقَّةِ <sup>(ب)</sup> وَنَفَاقِ الْأَسْوَاقِ، إِنَّمَا هُوَ بِتَفَاضُلِ عُمرَانِهَا فِي الْكَثَرَةِ وَالْقِلَّةِ

- 5 والسَّبَبُ فِي ذَلِكَ، أَنَّهُ قَدْ عُرِفَ وَثَبَتْ أَنَّ الْوَاحِدَ مِنَ الْبَشَرِ غَيْرُ مُسْتَقِيلٍ بِتَحْصِيلِ حَاجَاتِهِ فِي مَعَايِشِهِ، وَأَنَّهُمْ مُتَعَاوِنُونَ جَمِيعاً فِي عُمرَانِهِمْ عَلَى ذَلِكَ. وَالْحَاجَةُ الَّتِي تَحْصُلُ بِتَعَاوُنِ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ تَسُدُّ ضَرُورَةَ الْأَكْثَرِ مِنْ عَدَدِهِمْ أَوْضَعاً. فَالْقُوَّةُ مِنَ الْحِنْطَةِ مِثْلًا لَا يَسْتَقِيلُ الْوَاحِدُ بِتَحْصِيلِ حِصَّتِهِ مِنْهُ. وَإِذَا انْتَدَبَ لِتَحْصِيلِهِ السَّنَّةُ أَوْ الْعَشْرَةُ، مِنْ حَدَادٍ، وَتَجَارٍ لِلآلَاتِ، وَقَائِمٍ عَلَى الْبَقَرِ وَإِثَارَةِ الْأَرْضِ، وَخَصَادِ السُّبُلِ وَسَائِرِ مُمُونِ الْقَلْحِ، وَتَوَزَّعُوا عَلَى تِلْكَ الْأَعْمَالِ، وَاجْتَمَعُوا، / وَحَصَلَ بِعَمَلِهِمْ 10 [249ب] ذَلِكَ مِقْدَارٌ مِنَ الْقُوَّةِ، فَإِنَّهُ حِينَئِذٍ قُوَّةٌ لِأَضْعَافِهِمْ مَرَّاتٍ. فَالْأَعْمَالُ بَعْدَ الْاجْتِمَاعِ زَائِدَةٌ عَلَى حَاجَاتِ الْعَامِلِينَ وَضُرُورَاتِهِمْ. وَأَهْلُ مَدِينَةٍ أَوْ مِصْرٍ، إِذَا وُزَّعَتْ أَعْمَالُهُمْ كُلُّهَا عَلَى مِقْدَارِ ضُرُورَاتِهِمْ وَحَاجَاتِهِمْ، اكْتَفَى فِيهَا بِالْأَقَلِّ مِنْ تِلْكَ الْأَعْمَالِ، وَبَقِيَتِ الْأَعْمَالُ كُلُّهَا زَائِدَةً عَلَى الضَّرُورَاتِ، فَتُحْصَرَفُ فِي حَالَاتِ التَّرَفِّ وَعَوَائِدِهِ وَمَا يَحْتَاجُ 15 إِلَيْهِ غَيْرُهُمْ مِنْ أَهْلِ الْأَمْصَارِ، وَيَسْتَجْلِبُونَهُ مِنْهُمْ بِأَعْوَاضِهِ وَقِيَمَتِهِ، فَيَكُونُ لَهُمْ بِذَلِكَ حَظٌّ مِنَ الْغِنَى.

(١) فِي ع: سِيَا، وَفَوْقَهَا بِحِطَّة: مَيْسَم. وَفِي ج ي: مَيْسَم سِيَا (كُنَا)، وَفِي ط: سِيَا (ب) ط ج ي، وَفِي ع: الرُّزْق.

وقد يَتَبَيَّنُ لك في الفَصْل الخامس في باب الكَسْبِ والرِّزْقِ، أَنَّ المَكاسِبَ  
 إِنَّمَا هي قِيَمُ الأَعْمَالِ. فإذا كَثُرَت الأَعْمَالُ كَثُرَت قِيَمُهَا بَيْنَهُمْ، فَكَثُرَتْ مَكاسِبُهُمْ ضرورةً.  
 ودَعَتْهُمْ أحوالُ الرِّفَةِ والغِنَى إلى التَّرَفِ وحاجاته من التَّائِقِ في المساكنِ والملابسِ،  
 واستِجادةِ الآنيةِ والماعونِ، واتِّخَاذِ الخَدَمِ والمَرَاقِبِ. وهذه كُلُّها أَعْمَالٌ تُسْتَدْعَى بِقِيَمِهَا  
 5 وَيُخْتَارُ المَهَرَةُ في صِنَاعَتِهَا والقيامِ عليها. فَتَنفُقُ أسواقُ الأَعْمَالِ والصَّنَائِعِ، وَيَكْثُرُ دَخْلُ  
 المِصْرِ وخَرْجُهُ، وَيَحْضُلُ اليَسَارُ لِمُتَجَلِّي ذَلِكَ من قِبَلِ أَعْمَالِهِمْ. وَمَتَى زَادَ العُمَرَانُ  
 زَادَتِ الأَعْمَالُ ثَانِيَةً. ثم زَادَ التَّرَفُ تابِعاً لِلْكَسْبِ وزادَتْ عَوَائِدُهُ وَكَسْبُهُ<sup>(١)</sup> وحاجاته،  
 واستَنْبَطَتِ الصَّنَائِعُ لَتَخْصِيلِهَا؛ فزادَتْ قِيَمُهَا، وتضاعَفَ الكَسْبُ في المَدِينَةِ لذلك  
 ثَانِيَةً، وَنَفَقَ سوقُ الأَعْمَالِ بها أَكْثَرَ من الأولِ. وكذا في الزِّيَادَةِ الثَّانِيَةِ والثَّالِثَةِ؛ لأنَّ  
 10 الأَعْمَالِ الزَّائِدَةَ كُلَّهَا تُخْتَصُّ بالتَّرَفِ والغِنَى، بخِلَافِ الأَعْمَالِ الأَصْلِيَّةِ الَّتِي تُخْتَصُّ  
 بالمَعاشِ. فالْمِصْرُ إذا فَضَّلَ المِصْرَ بَعُمَرَانٍ<sup>(ب)</sup> واحدٍ، فَضَّلَهُ بزيادةِ كَسْبِ وَرَفِهِ،  
 وبَعَوَائِدِ من التَّرَفِ لا توجَدُ في الآخِرِ. فما كان عُمَرَانُهُ من الأَمْصارِ أَكْثَرَ وَأَوْفَرَ، كان  
 حالُ أَهْلِهِ في التَّرَفِ أَبْلَغَ من حالِ المِصْرِ الَّذِي دُونَهُ على وَتِيرَةٍ واحِدَةٍ في الأَصْنَافِ:  
 القَاضِي مع القَاضِي، والتَّاجِرِ مع التَّاجِرِ، والصَّانِعِ مع الصَّانِعِ، والسُّوقِيَّ مع السُّوقِيَّ،  
 15 وَالْأَمِيرِ مع الْأَمِيرِ، وَالشَّرْطِيَّ / مع الشَّرْطِيَّ.

[250]

واعتبرْ ذلك في المِغْرِبِ مَثَلًا بِحالِ فاسٍ مع غَيْرِها من أَمْصارِهِ الأُخْرَى،  
 مثل بَجَايَةِ، وتِلْمُسانَ، وَسَبْتَةَ، تَجِدُ بَيْنَهُمَا بُونًا كَبِيرًا على الجُمْلَةِ، ثم على

(١) من ظ، وسقطت من ع (ب) ي: لعمران .



الخصوصيات. فحال القاضي بفاس أوسع من حال القاضي بتلمسان، وكذا كل صنف مع أهل صنفه. وكذا أيضاً حال تلمسان مع وهران أو الجزائر، وحال وهران والجزائر مع ما دونها، إلى أن تنتهي على [المداشر]<sup>(١)</sup> الذين اغتياهم في ضرورات معاشهم فقط، أو يقصرون عنها، وما ذلك إلا لتفاوت الأعمال فيها، فكأنها كلها أسواق للأعمال، و[الخزج]<sup>(ب)</sup> في كل سوق على نسبته، فالقاضي بفاس دخله كفاء 5 خزجه، وكذا القاضي بتلمسان. وحيث الدخل والخزج أكثر، تكون الأحوال أعظم وأوسع. وهما بفاس أكثر لتفاق سوق الأعمال بما يدعو إليه الترف، فالأحوال أضخم. ثم هكذا حال وهران وقسنطينة والجزائر وبسكرة، حتى ينتهي كما قلناه إلى الأمصار التي لا تفي أعمالها بضرورتها، ولا تعد في الأمصار، إذ هي من قيل القري و[المداشر]<sup>(ج)</sup>. فلذلك ما نجد أهل هذه الأمصار الصغيرة ضعفاء الأحوال، متقاربين 10 في الفقر والخصاصة، لما أن أعمالهم لا تفي بضرورتهم ولا يفضل لهم عنها ما يتأثلون كسباً، فلا تنمو مكاسبهم. فهم لذلك مساكين محتاج، إلا في الأقل النادر.

واعتبر ذلك حتى<sup>(د)</sup> في أحوال الفقراء والسؤال، فإن السائل بفاس أحسن حالاً من السائل بتلمسان أو وهران. ولقد شاهدت بفاس السؤال يسألون أيام الأضاحي أثمان ضحاياهم، ورأيهم يسألون كثيراً من أحوال الترف واقتراح المأك<sup>(هـ)</sup>، 15 مثل سؤال اللحم والسمن وعلاج الطبخ والملابس والماعون، كالغزال والآنية. ولو سأل السائل مثل هذا بتلمسان أو وهران، لاستنكر وعنف وزجر.

(١) في ع: المجاهر، واستبدلت فوقها بالمداشر، ونقلها ي ج، وبقيت ط على كلمة المجاهر (ب) كذا في ع ج ي، وفي ظ: الخروج (ج) ج، وفي ط ع ي: المجاهر. (د) سقط من ي (هـ) ي: المأك.

وَيَبْلُغُنَا<sup>(١)</sup> لهذا الْعَهْدِ عَنْ أحوال أَهْلِ الْقَاهِرَةِ وَمِصْرَ مِنَ التَّرَفِ وَالْغِنَى فِي عَوَائِدِهِمْ مَا يَقْضِي مِنْهُ الْعَجَبُ ، حَتَّى إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْفُقَرَاءِ بِالْمَغْرِبِ يَتَزَعُونَ إِلَى الثُّقَلَةِ إِلَى مِصْرَ لَدُنْكَ ، / وَلَمَّا يَبْلُغُهُمْ مِنْ أَنَّ شَأْنَ الرَّفْهِ بِمِصْرَ أَعْظَمُ مِنْ غَيْرِهَا . [250ب]

5 وتعتقد العامة من الناس أَنَّ ذَلِكَ لَطُمُو الْأَمْوَالِ فِي تِلْكَ الْآفَاقِ ، وَأَنَّ الْأَمْوَالَ مُخْتَزَنَةٌ لَدَيْهِمْ ، وَأَنَّهُمْ أَكْثَرُ صَدَقَةٍ وَإِثَارًا مِنْ جَمِيعِ أَهْلِ الْأُمْصَارِ ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ ؛ وَإِنَّمَا هُوَ لَمَّا تَعْرِفُهُ مِنْ أَنَّ عُمُرَانَ مِصْرَ وَالْقَاهِرَةَ أَكْثَرُ مِنْ عُمُرَانَ هَذِهِ الْأُمْصَارِ الَّتِي لَدَيْكَ ، فَعَظُمَتْ لَدُنْكَ أحوالُهُمْ . وَأَمَّا حَالُ الدَّخْلِ وَالخَرْجِ فَمُتَكَافٍ فِي جَمِيعِ الْأُمْصَارِ . وَمَتَى عَظُمَ الدَّخْلُ عَظُمَ الخَرْجُ ، وَبِالعَكْسِ . وَمَتَى عَظُمَ الدَّخْلُ وَالخَرْجُ ، اتَّسَعَتْ أحوالُ السَّاكِنِ ، وَوَسِعَ الْمِصْرُ كُلَّ شَيْءٍ يَبْلُغُكَ مِنْ هَذَا ، فَلَا تُنْكِرْهُ ، وَاعْتَبِرْهُ بِكَثْرَةِ الْعُمُرَانِ وَمَا يَكُونُ عَنْهُ مِنْ كَثْرَةِ الْمَكَايِبِ الَّتِي يَسْهُلُ بِسَبَبِهَا التَّبَذُّلُ وَالْإِثَارُ عَلَى مُبْتَغِيهِ .

وَمِثْلُهُ بِشَأْنِ الْحَيَوَانَاتِ الْعُجْمِ مَعَ بُيُوتِ الْمَدِينَةِ الْوَاحِدَةِ ، وَكَيْفَ تَخْتَلِفُ أحوالُهَا فِي هِجْرَانِهَا أَوْ غَشْيَانِهَا . فَإِنَّ بُيُوتَ أَهْلِ النِّعَمِ وَالثَّرَةِ وَالْمَوَائِدِ الْخَصِيْبَةِ مِنْهَا يَكْثُرُ بِسَاحَاتِهَا وَأَفْنِيَّتِهَا نَشِيرُ الْحُبُوبِ وَسَوَاقِطُ الْفُتَاتِ ، فَتَزْدَحُمُ عَلَيْهَا غَوَاشِي التَّمَلُّ وَالْخِشَاشِ ، \* وَتَحْلُقُ فَوْقَهَا عَصَائِبُ الطُّيُورِ حَتَّى تَرْوَحَ بِطَانًا وَتَمْتَلِئُ شَبْعًا وَرِيًّا ، وَتَكْثُرُ فِي أَسْرَابِهَا الْجُزْدَانُ ، وَتَأْوِي إِلَيْهَا السَّنَانِيرُ\* (ب) .

(١) ع: وبلغنا (ب) حاشية من ع بخطه سقطت من ظ .

وبيوت أهل الخصاصة والفقر الكاسدة أزرأفهم، لا يسري بساحتها ديب،  
ولا يخلق بجوهم طائر، ولا تأوي إلى [أسراب] <sup>(1)</sup> بيوتهم فأرة ولا هر <sup>(ب)</sup>. كما قال:  
[من الخفيف]

يَسْقُطُ الطَّيْرُ حَيْثُ يُلْتَقَطُ الْحَبُّ      بٌ وَتُغْشَى مَنَازِلُ الْكُرْمَاءِ <sup>(1)</sup>

- 5 فتأمل سر الله في ذلك ، واعتبر غاشية الأناسي بغاشية العجم من  
الحيوانات، وفئات الموائد بفضلات الرزق والترف وسهولتها على من يتذللها،  
لاستغنائهم عنها في الأكثر بوجود أمثالها لديهم. واعلم أن اتساع الأحوال وكثرة النعم  
في العمران تابع لكثرته. والله ﴿ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ [سورة آل عمران، من الآية 97].

## 12 • فصل، في أسعار المدن

- 15 اعلم أن الأسواق كلها تشتمل على حاجات الناس. فمنها الضروري: وهو  
الأقوات من الحنطة والشعير <sup>(ج)</sup> وما في معناهما، كالباقلاء والحمص والجلبان وسائر  
حبوب الأقوات، ومصلحاتها <sup>(د)</sup> كالبصل والثوم وأشباهه. / ومنها الحاجي والكمالي:  
[251] من الأدم، والفواكه، والملابس، والماعون، والمراكب، وسائر الصنائع والمباني. فإذا

(1) في ظ ج ي: زوايا، وكانت كذلك في الأصل ع، وغيّرت فوقها بأسراب (ب) كذا في ظ ج ي وفي ع: هرة (ج) سقطت  
من ظ ج ي (د) سقطت من ي ج ظ، وجاءت بحاشية ع بخطه.

(1) لابن نباتة المصري، ديوانه 48 (مطبعة التمدن - القاهرة 1323هـ)، ورواه ياقوت لغير قائل. (معجم الأدباء  
2: 564).

اسْتَبَحَرَ الْمِصْرُ وَكَثُرَ سَاكِنُهُ، رَخِصَتْ أَسْعَارُ الصَّرُورِيِّ مِنَ الْقُوتِ وَمَا فِي مَعْنَاهُ،  
وَعَلَتْ أَسْعَارُ الْكِمَالِيِّ مِنَ الْأُذْمِ وَالْفَوَاكِهِ وَمَا يَتَّبِعُهَا. وَإِذَا قَلَّ سَاكِنُ الْمِصْرِ وَضَعُفَ  
عُمُرَانَهُ، كَانَ الْأُمْرُ بِالْعَكْسِ مِنْ ذَلِكَ.

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ، أَنَّ الْحُبُوبَ مِنْ صُرُورَاتِ الْقُوتِ، فَتَتَوَفَّرُ الدَّوَاعِي عَلَى  
5 اتِّخَاذِهَا، إِذْ كُلُّ أَحَدٍ لَا يُهْمِلُ قُوتَ نَفْسِهِ وَلَا قُوتَ مَنْزِلِهِ لَشَهْرِهِ أَوْ سَنَتِهِ. فَيَعْمَ  
اتِّخَاذُهَا أَهْلُ الْمِصْرِ أَجْمَعٌ، أَوِ الْأَكْثَرُ مِنْهُمْ فِي ذَلِكَ الْمِصْرِ، أَوْ فِيمَا قَرَبَ مِنْهُ، لَا بُدَّ مِنْ  
ذَلِكَ. وَكُلُّ مُتَخَذٍ لِقُوتِهِ فَتَفْضُلُ عَنْهُ وَعَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ فَضْلَةٌ كَبِيرَةٌ تَسُدُّ خَلَّةَ كَثِيرِينَ  
مِنْ أَهْلِ الْمِصْرِ، فَتَفْضُلُ الْأَقْوَاتُ عَنْ أَهْلِ الْمِصْرِ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ. فَتَرَخَّصَ أَسْعَارُهَا  
فِي الْغَالِبِ، إِلَّا مَا يُصِيبُهَا فِي بَعْضِ السَّنِينَ مِنَ الْآفَاتِ السَّمَاءِيَّةِ، وَلَوْ لَا اخْتِكَارُ  
10 النَّاسِ لَهَا لَمَا يُتَوَقَّعُ مِنْ تِلْكَ الْآفَاتِ لِبُذِلَتْ دُونَ ثَمَنِ وَلَا عَوَاضٍ، لَكَثَرَتْهَا بِكَثْرَةِ  
الْعُمُرَانِ.

وَأَمَّا سَائِرُ الْمُرَافِقِ مِنَ الْأُذْمِ وَالْفَوَاكِهِ وَمَا إِلَيْهَا، فَإِنَّهَا لَا تَعْمُ بِهَا الْبُلُوى، وَلَا  
يَسْتَفْرِقُ اتِّخَاذُهَا أَعْمَالَ أَهْلِ الْمِصْرِ أَجْمَعِينَ، وَلَا الْكَثِيرَ مِنْهُمْ. ثُمَّ إِنَّ الْمِصْرَ إِذَا كَانَ  
مُسْتَبْجِرًا، مَوْفُورَ الْعُمُرَانِ، كَثِيرَ حَاجَاتِ التَّرْفِ، تَوَفَّرَتْ حِينَئِذٍ الدَّوَاعِي عَلَى طَلَبِ  
15 تِلْكَ الْمُرَافِقِ وَالْإِسْتِكْثَارِ مِنْهَا، كُلٌّ بِحَسَبِ حَالِهِ. فَيَقْصُرُ الْمَوْجُودُ مِنْهَا عَنْ الْحَاجَاتِ  
قُصُورًا بِالْغَا، وَيَكْثُرُ الْمُسْتَامُونَ لَهَا، وَهِيَ قَلِيلَةٌ فِي نَفْسِهَا، فَتَزْدَحُمُ الْأَعْرَاضُ، وَيَبْذُلُ  
أَهْلُ الرِّفَةِ وَالتَّرْفِ أَثْمَانَهَا بِإِسْرَافٍ فِي الْغَلَاءِ، لِحَاجَتِهِمْ إِلَيْهَا أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهِمْ، فَيَتَّعِقُ فِيهَا  
الْغَلَاءُ كَمَا تَرَاهُ.

وأما الصنائع والأعمال أيضاً في الأمصار الموفرة العُمرانِ، فسبَّب الغلاء فيها أمور ثلاثة:

الأول؛ كثرة الحاجة، لمكان الترف في المِصر بكثرة عُمرانه.

والثاني؛ اعتزاز أهل الأعمال بخدمتهم، وامتهان أنفسهم لسهولة المعاش في المدينة بكثرة أقواتها.

5

والثالث؛ كثرة المترفين وكثرة حاجاتهم إلى امتهان / غيرهم ، وإلى استئغال الصنائع في مهتهم. فينبذون في ذلك لأهل الأعمال أكثر من قيمة أعمالهم، مُزاحمة ومُنافسة في الاستئثار بها. فيعتز الفعلة والصنائع وأهل الحرف، وتغلو أعمالهم، وتكثر نفقات أهل المِصر في ذلك.

[251ب]

10 وأما الأمصار الصغيرة والقليلة الساكنين، فأقواتهم قليلة لقلّة العمل فيها، وما يتوقعونه لصغر مِصرهم من عدم الثّوب. فيتمسكون بما يحصل منه بأيديهم ويحتكرونه، فيعز وجوده لديهم، ويغلو ثمنه على مُستاميه. وأما مرافقهم، فلا تدعو إليها أيضاً حاجة لقلّة الساكنين وضعف الأحوال. فلا يتفق لديهم سوقه، فيختص بالرخيص في سِعره.

15 <sup>(1)</sup> [وقد يدخل في قيمة الأقوات ، ما يفرض عليها من المكوس والمغارم للسلطان في الأسواق وأبواب المِصر، وللجباة في منافع يفرضونها على البياعات لأنفسهم. ولذلك كانت الأسعار في الأمصار أعلى من أسعار البادية، إذ المكوس

(1) من حاشية ع بخطه وقتلها ج، وسقطت من ط ي .

والمغارم والقرائض قليلةٌ لديهم أو معدومةٌ، والأمصار بالعكس، سيما في أواخر  
الدول.

وقد يدخل أيضاً في قيمة الأقوات قيمةٌ علاجها في الفلح، ويحافظ على ذلك  
في أسعارها، كما وقع بالأندلس لهذا العهد. وذلك أنهم لما ألجأهم النصارى إلى سيف  
5 البحر وبلادهم المتوغرة الحبيثة الزراعة، التكدت التبات، وملكوا عليهم الأرض الزاكية  
والبلد الطيب، فاحتاجوا إلى علاج المزارع والفدن لإصلاح نباتها وقلحها؛ وكان  
ذلك العلاج بأعمال ذات قيم ومواد من الزئبل وغيره لها مؤونة، وصارت في فلحهم  
نفقات لها خطر، فاعتبروها في سفرهم.

واختص قُطر الأندلس بالغلاء منذ اضطّرهم النصارى إلى هذا المغمور  
10 بالإسلام مع سواحلها لأجل ذلك. ويحسب الناس إذا سمعوا بغلاء الأسعار في  
قُطرهم أنها لقلّة الأقوات والحبوب بأرضهم، وليس كذلك، فهم أكثر أهل المغمور  
فلحاً فيما علمناه وأقومهم عليه، وقل أن يخلو منهم سلطان أو سوقة عن فدان أو  
مزرعة أو فلح، إلا قليلاً من أهل الصناعات والمهن أو الطراء على الوطن من  
الغزاة المجاهدين. ولهذا يختصهم السلطان في عطائهم بالعولة، وهي أقواتهم وعلوقهم  
15 من الزرع، وإنما السبب في غلاء السفر عندهم في الحبوب ما ذكرناه.

ولما كانت بلاد البربر بالعكس من ذلك في زكاء منابيتهم وطيب أرضهم،  
ارتفعت عنهم المؤن / جملة في الفلح، مع كثرته وعمومه، فصار ذلك سبباً لرخص  
الأقوات ببلدهم. والله مُقدّر الليل والنهار.

### 13 ﴿ فَصُلْ ، فِي قُصُورِ أَهْلِ الْبَادِيَةِ عَنْ سُكْنَى الْمِصْرِ الْكَثِيرِ الْعُمَرَانِ

والسَّبَبُ فِي ذَلِكَ؛ أَنَّ الْمِصْرَ الْكَثِيرَ<sup>(١)</sup> الْعُمَرَانِ يَكْثُرُ تَرْفُهُ، كَمَا قَدَّمْنَاهُ، وَتَكْثُرُ حَاجَاتُ سَاكِنِهِ مِنْ أَجْلِ التَّرَفِ. وَتُعْتَادُ تِلْكَ الْحَاجَاتُ لَمَّا تَدْعُو إِلَيْهَا فَتَنْقَلِبُ ضَرُورَاتٍ، وَتَصِيرُ الْأَعْمَالُ فِيهِ كُلُّهَا - مَعَ ذَلِكَ - عَزِيزَةً وَالْمَرَافِقُ غَالِيَةً بِإِزْدِحَامِ [الْأَعْرَاضِ]<sup>(ب)</sup> عَلَيْهَا مِنْ أَجْلِ التَّرَفِ، وَبِالْمَغَارِمِ السُّلْطَانِيَّةِ الَّتِي تَوْضَعُ عَلَى الْأَسْوَاقِ 5 وَالْبِيعَاتِ، وَتُعْتَبَرُ فِي قِيَمِ الْمَبِيعَاتِ، وَيُعْظَمُ فِيهَا الْقَلَاءُ فِي الْمَرَافِقِ وَالْأَقْوَاتِ وَالْأَعْمَالِ، فَتَكْثُرُ لَذَلِكَ نَفَقَاتُ سَاكِنِهِ كَثْرَةً بِالْغَةِ عَلَى نِسْبَةِ عُمُرَانِهِ. وَيُعْظَمُ خَرْجُهُ، فَيَحْتَاجُ، حِينَئِذٍ، إِلَى الْمَالِ الْكَثِيرِ لِلتَّقَةِ عَلَى نَفْسِهِ وَعِيَالِهِ فِي ضَرُورَاتِ عَيْشِهِمْ وَسَائِرِ مُؤَنِّهِمْ.

وَالْبَدْوِيُّ لَمْ يَكُنْ دَخْلُهُ كَثِيراً، إِذَا كَانَ سَاكِناً بِمَكَانٍ كَاسِدِ الْأَسْوَاقِ فِي الْأَعْمَالِ الَّتِي هِيَ سَبَبُ الْكَسْبِ، فَلَمْ يَتَأَثَّلْ كَسْباً وَلَا مَالاً، فَيَتَعَذَّرُ عَلَيْهِ مِنْ أَجْلِ 10 ذَلِكَ سُكْنَى الْمِصْرِ الْكَبِيرِ، لِأَجْلِ مَرَافِقِهِ وَعِزَّةِ حَاجَاتِهِ. وَهُوَ فِي بَدْوِهِ يَسُدُّ خَلَّتَهُ بِأَقَلِّ الْأَعْمَالِ، لِأَنَّهُ قَلِيلُ عَوَائِدِ التَّرَفِ فِي مَعَاشِهِ وَسَائِرِ مُؤَنِّهِ، فَلَا يَضْطَرُّ إِلَى الْمَالِ. وَكُلُّ مَنْ يَتَشَوَّفُ إِلَى الْمِصْرِ وَسُكْنَاهُ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ فَسَرِيعاً مَا يَظْهَرُ عَجْزُهُ وَيُقْتَضَحُ، إِلَّا مَنْ يُقَدِّمُ مِنْهُمْ تَأَثِيلَ الْمَالِ وَيَحْصُلُ لَهُ مِنْهُ فَوْقَ الْحَاجَةِ، وَيَجْرِي إِلَى 15 الْغَايَةِ الطَّبِيعِيَّةِ لِأَهْلِ الْعُمَرَانِ مِنَ الدَّعَةِ وَالتَّرَفِ. فَحِينَئِذٍ يَنْتَقِلُ إِلَى الْمِصْرِ، وَيَنْتَظِمُ حَالُهُ مَعَ أَحْوَالِ أَهْلِهِ فِي عَوَائِدِهِمْ وَتَرْفِهِمْ. وَهَكَذَا شَأْنُ بَدَايَةِ [عُمَرَانِ]<sup>(ج)</sup> الْأَمْصَارِ. وَاللَّهُ ﴿ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ﴾ [سُورَةُ فَصَّلَتْ، مِنَ الْآيَةِ 54].

(١) ج: الكبير (ب) من ي، وفي ط ع ج: الأعراض (ج) من ع ج ي. وسقطت من ط.

14 ﴿ فَصُلْ، فِي أَنْ الْأَقْطَارَ فِي اخْتِلَافِ أَحْوَالِهَا بِالرِّفَةِ وَالْفَقْرِ مِثْلُ الْأَمْصَارِ

اعْلَمْ أَنَّ مَا تَوَفَّرَ عُمرَانَهُ مِنَ الْأَقْطَارِ، وَتَعَدَّدَتِ الْأُمَمُ فِي جِهَاتِهِ، وَكَثُرَ سَاكِنُهُ،  
[252ب] اتَّسَعَتْ أَحْوَالُ أَهْلِهِ، وَكَثُرَتْ أَمْوَالُهُمْ وَأَمْصَارُهُمْ، وَعَظُمَتْ [دَوْلُهُمْ] <sup>(1)</sup> / وَمَمَالِكُهُمْ.

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ كَثْرَةِ الْأَعْمَالِ، وَمَا سَيَأْتِي ذِكْرُهُ مِنْ أَنَّهَا  
5 سَبَبٌ لِلثَّرْوَةِ، بِمَا يُفْضَلُ عَنْهَا بَعْدَ الْوَفَاءِ بِالضَّرُورِيَّاتِ فِي حَاجَاتِ السَّائِكِينَ مِنَ الْفَضْلَةِ  
الظَّاهِرَةِ <sup>(ب)</sup> الْبَالِغَةِ عَلَى مِقْدَارِ الْعُمُرَانِ وَكَثْرَتِهِ. فَيَعُودُ عَلَى النَّاسِ كَسْبًا يَتَأَثَّلُونَهُ،  
حَسَبِ مَا نَذَرْنَا فِي فَضْلِ الْمَعَاشِ وَبَيَانِ الرِّزْقِ وَالْكَسْبِ. فَيَتَزَيَّدُ الرِّفَةُ لَذَلِكَ،  
وَتَتَّسِعُ الْأَحْوَالُ، وَيَحْيِيءُ التَّرْفُ وَالْغِنَى، وَتَكْثُرُ الْحَيَاةُ لِلدَّوْلَةِ بِنَفَاقِ الْأَسْوَاقِ؛ فَيَكْثُرُ  
مَالُهَا، وَيَشْمَخُ سُلْطَانُهَا، وَتَتَفَتَّنُ فِي اتِّخَاذِ الْمَعَاقِلِ وَالْحُصُونِ وَاخْتِطَاطِ الْمُدُنِ وَتَشْيِيدِ  
10 الْأَمْصَارِ.

وَاعْتَبِرْ ذَلِكَ بِأَقْطَارِ الْمَشْرِقِ، مِثْلَ مِصْرَ، وَالشَّامِ، وَعِراقِ الْعَجَمِ، وَالْهِنْدِ،  
وَالصِّينِ، وَنَاحِيَةِ الشَّمَالِ كُلِّهَا وَأَقْطَارِهَا وَرَاءَ الْبَحْرِ الرُّومِيِّ، لَمَّا كَثُرَ عُمرَانُهَا كَيْفَ كَثُرَ  
الْمَالُ فِيهِمْ وَعَظُمَتْ دَوْلُهُمْ، وَتَعَدَّدَتِ مُدُنُهُمْ وَحَوَاضِرُهُمْ، وَعَظُمَتْ مَتَاجِرُهُمْ  
وَأَحْوَالُهُمْ. فَالَّذِي نُشَاهِدُهُ لِهَذَا الْعَهْدِ مِنْ أَحْوَالِ تِجَارَةِ الْأُمَمِ النَّصْرَانِيَّةِ، الْوَارِدِينَ عَلَى  
15 الْمُسْلِمِينَ بِالْمَغْرِبِ، فِي رَفِهِهِمْ وَاتِّسَاعِ أَحْوَالِهِمْ، أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يَحِيطَ بِهِ الْوَصْفُ. وَكَذَا  
تِجَارَةُ أَهْلِ الْمَشْرِقِ وَمَا يَتَلَفُّنَا عَنْ أَحْوَالِهِمْ؛ وَأَبْلَغُ مِنْهَا أَحْوَالُ أَهْلِ الْمَشْرِقِ الْأَقْصَى،

(1) مِنْ ي، وَفِي بَقِيَةِ النُّسخِ: دَوْلَتُهُمْ (ب) مِنْ ظ وَحَدَّثَهَا.



من عِراقِ العَجَم، والهنْد، والصِّين، فَإِنَّهُ يَبْلُغُنَا عَنْهُمْ فِي بَابِ الْغِنَى وَالزُّرْفَةِ أَسْوَالٌ  
 غَرَائِبُ تَسِيرُ [الرَّكَاب] <sup>(أ)</sup> بِحَدِيثِهَا. وَرُبَّمَا تَتَلَقَّى بِالْإِنْكَارِ فِي غَالِبِ الْأَمْرِ، وَيَحْتَسِبُ  
 مَنْ يَسْمَعُهَا مِنَ الْعَامَّةِ أَنَّ ذَلِكَ لَزِيَادَةٍ فِي أَمْوَالِهِمْ، أَوْ لِأَنَّ الْمَعَادِنَ الذَّهَبِيَّةَ وَالْفِضِّيَّةَ  
 أَكْثَرُ بِأَرْضِهِمْ، أَوْ لِأَنَّ ذَهَبَ الْأَقْدَمِينَ مِنَ الْأُمَمِ اسْتَأْثَرُوا بِهِ دُونَ غَيْرِهِمْ. \*وَلَيْسَ  
 كَذَلِكَ \* <sup>(ب)</sup>؛ فَمَعْدِنُ الذَّهَبِ الَّذِي نَعْرِفُهُ فِي هَذِهِ الْأَقْطَارِ إِنَّمَا هُوَ بِلَادُ السُّودَانِ، 5  
 وَهِيَ إِلَى الْمَغْرِبِ أَقْرَبُ. وَجَمِيعُ مَا فِي أَرْضِهِمْ مِنَ الْبِضَاعَةِ، فَإِنَّمَا يَجْلِبُونَهُ إِلَى غَيْرِ  
 بِلَادِهِمْ لِلتَّجَارَةِ. فَلَوْ كَانَ الْمَالُ عَتِيداً مَوْفُوراً لَدَيْهِمْ لَمَا جَلَبُوا بِضَائِعَهُمْ إِلَى سِوَاهُمْ  
 يَنْتَعِنُونَ بِهَا الْأَمْوَالَ، / وَلَا اسْتَعْنَوْا عَنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْجُمْلَةِ. [253]

وَلَقَدْ ذَهَبَ الْمُتَجَمُّونَ لَمَّا رَأَوْا مِثْلَ ذَلِكَ، وَاسْتَعْرَبُوا مَا فِي الْمَشْرِقِ مِنْ كَثْرَةِ  
 الْأَسْوَالِ وَاتَّسَاعِهَا، وَوُفُورِ أَمْوَالِهَا، فَقَالُوا: إِنَّ عَطَايَا الْكَوَاكِبِ وَالسُّهَامِ فِي مَوَالِيدِ 10  
 أَهْلِ الْمَشْرِقِ أَكْثَرُ مِنْهَا حِصْصاً فِي مَوَالِيدِ أَهْلِ الْمَغْرِبِ. وَذَلِكَ صَحِيحٌ مِنْ جِهَةِ  
 الْمُطَابَقَةِ بَيْنَ الْأَحْكَامِ النَّجُومِيَّةِ وَالْأَسْوَالِ الْأَرْضِيَّةِ، كَمَا قُلْنَا. وَهُمْ إِنَّمَا أَعْطَوْا فِي ذَلِكَ  
 السَّبَبِ النَّجُومِيَّ، وَبَقِيَ عَلَيْهِمْ أَنْ يُعْطُوا السَّبَبَ الْأَرْضِيَّ، وَهُوَ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ كَثْرَةِ  
 الْعُمُرَانِ وَاحْتِصَاصِهِ بِأَرْضِ الْمَشْرِقِ وَأَقْطَارِهِ. وَكَثْرَةُ الْعُمُرَانِ تُقِيدُ كَثْرَةَ الْكَسْبِ بِكَثْرَةِ  
 الْأَعْمَالِ الَّتِي هِيَ سَبَبُهُ؛ فَلِذَلِكَ اخْتَصَّ الْمَشْرِقُ بِالزُّرْفَةِ مِنْ بَيْنِ الْآفَاقِ، لَا أَنَّ ذَلِكَ 15  
 لِمَجْرَدِ الْأَثَرِ النَّجُومِيِّ. فَقَدْ فَهِمْتَ مِمَّا أَشَرْنَا لَكَ أَوَّلاً أَنَّهُ لَا يَسْتَقِيلُ بِذَلِكَ، وَأَنَّ  
 الْمُطَابَقَةَ بَيْنَ حُكْمِهِ وَعُمُرَانِ الْأَرْضِ وَطَبِيعَتِهَا أَمْرٌ لَا يَبْدُ مِنْهُ.

(أ) من ع ج ي وسقط من ظ (ب) سقط من ي .

واعْتَبِرَ حَالَ هَذَا الرَّفْهِ مِنَ الْعُمَرَانِ فِي قُطْرِ إِفْرِيقِيَّةٍ وَبَرْقَةِ، لَمَّا حَفَّ سَاكِنُهَا  
وَتَنَاقَصَ عُمَرَانُهَا، كَيْفَ تَلَاشَتْ أَحْوَالُ أَهْلِهَا وَانْتَهَوْا إِلَى الْفَقْرِ وَالْخِصَاصَةِ، وَضَعُفَتْ  
جَبَايَاُهَا، فَقَلَّتْ أَمْوَالُ دَوْلِهَا، بَعْدَ أَنْ كَانَتْ دَوْلُ الشَّيْعَةِ وَصْنَهَا جَةً بِهَا عَلَى مَا  
بَلَغَكَ، مِنَ الرَّفْهِ وَكَثْرَةِ الْجَبَايَا وَاتِّسَاعِ الْأَحْوَالِ فِي نَفَقَاتِهِمْ وَأَعْطِيَاتِهِمْ . حَتَّى لَقَدْ  
5 كَانَتْ الْأَمْوَالُ تُرْفَعُ مِنَ الْقَيَرَوَانِ إِلَى صَاحِبِ مِصْرَ فِي غَالِبِ الْأَوْقَاتِ لِحَاجَتِهِ  
وَمُهِمَّاتِهِ. وَكَانَتْ أَمْوَالُ الدَّوْلَةِ بِحَيْثُ حَمَلَ جَوْهَرُ الْكَاتِبِ فِي سَفَرِهِ إِلَى فَتْحِ مِصْرَ  
أَلْفَ جُمْلٍ مِنَ الْمَالِ، يَسْتَعِدُّهَا<sup>(١)</sup> لِأَرْزَاقِ الْجُنُودِ وَأَعْطِيَاتِهِمْ وَنَفَقَاتِ الْغَزَاةِ.

وَقُطِرَ الْمَغْرِبَ، وَإِنْ كَانَ فِي الْقَدِيمِ دُونَ إِفْرِيقِيَّةٍ، فَلَمْ يَكُنْ بِالْقَلِيلِ فِي ذَلِكَ،  
وَكَانَتْ أَحْوَالُهُ فِي دَوْلِ الْمُوَحِّدِينَ مُتَّسِعَةً وَجَبَايَاُهَا مَوْفُورَةً. وَهُوَ لِهَذَا الْعَهْدِ قَدْ أَقْصَرَ  
10 عَنْ ذَلِكَ لِقُصُورِ الْعُمَرَانِ فِيهِ ، وَتَنَاقُصِهِ ؛ فَقَدْ ذَهَبَ مِنْ عُمَرَانِ الْبَرْقِ فِيهِ أَكْثَرُهُ،  
وَنَقَصَ عَنْ مَعْهُودِهِ نَقْصاً ظَاهِراً مَحْسُوساً، / وَكَادَ أَنْ يُلْحَقَ فِي أَحْوَالِهِ بِمَثَلِ أَحْوَالِ  
إِفْرِيقِيَّةٍ بَعْدَ أَنْ كَانَ عُمَرَانُهُ مُتَّصِلاً مِنَ الْبَحْرِ الرُّومِيِّ إِلَى بِلَادِ السُّودَانِ، فِي طَوْلِ مَا  
بَيْنَ السُّوسِ الْأَقْصَى وَبَرْقَةِ. وَهِيَ الْيَوْمَ كُلُّهَا أَوْ أَكْثَرُهَا قِفَارٌ وَخِلَاءٌ وَصَحَارَى، إِلَّا مَا  
هُوَ مِنْهَا بِسَيْفِ الْبَحْرِ ، أَوْ مَا يَقَارِبُهُ مِنَ الثَّلُولِ . وَاللَّهُ وَارِثُ الْأَرْضِ وَمَنْ عَلَيْهَا،  
15 [وَهُوَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ] (ب).

(١) كَذَا فِي: ظ ج ي ، وَفِي ع: يَسْتَعِدُّ بِهَا (ب) مِنْ: ع ج ي وَسَقَطَ مِنْ ظ .

15 ﴿فَصُلِّ، فِي تَأْتِلِ الْعَقَارِ وَالضِّيَاعِ فِي الْأَمْصَارِ، وَحَالِ فَوَائِدِهَا وَمُسْتَغْلَاتِهَا

اعْلَمْ أَنَّ تَأْتِلَ الْعَقَارِ وَالضِّيَاعِ الْكَثِيرَةُ لِأَهْلِ الْمَدِينِ وَالْأَمْصَارِ، لَا يَكُونُ دَفْعُهُ  
وَلَا فِي عَصْرِ وَاحِدٍ. إِذْ لَيْسَ يَكُونُ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ مِنَ الثَّرْوَةِ مَا يَمْلِكُ بِهِ الْأَمْلاكَ الَّتِي  
يَخْرُجُ فِيهَا عَنِ الْحَدِّ، وَلَوْ بَلَغَتْ أَحْوَالُهُمْ فِي الرَّفْهِ مَا عَسَى أَنْ تَبْلُغَ. وَإِنَّمَا يَكُونُ  
مِلْكُهُمْ لَهَا وَتَأْتِلُهُمْ تَدْرِيجًا، إِمَّا بِالْوَرَاثَةِ مِنْ آبَائِهِ وَذَوِي رَحِمِهِ، حَتَّى تَتَأَدَّى أَمْلاكُ  
الْكَثِيرِينَ مِنْهُمْ إِلَى الْوَاحِدِ وَأَكْثَرَ لَذَلِكَ. أَوْ يَكُونُ بِحَوَالَةِ الْأَسْوَاقِ، فَإِنَّ الْعَقَارَ<sup>(١)</sup> فِي  
أَوَاخِرِ الدَّوْلَةِ وَأَوَّلِ الْأُخْرَى، عِنْدَ فَنَاءِ الْحَامِيَةِ وَخَرْقِ السِّيَاجِ وَتَدَاعِي الْمِضْرِ إِلَى  
الْحَرَابِ، ثِقِلُ الْغِبْطَةِ بِهِ لِقِلَّةِ الْمَنْفَعَةِ فِيهَا بِتَلَاشِي الْأَحْوَالِ، فَتَرَخَّصَ قِيَمُهَا وَتُمَلَّكَ  
بِالْأَثْمَانِ الْيَسِيرَةِ، وَتَخْطَى بِالْمِيرَاثِ إِلَى مِلْكِ الْآخِرِ، وَقَدْ اسْتَجَدَّ الْمِضْرُ شِبَابَهُ  
بِاسْتِفْحَالِ الدَّوْلَةِ الثَّانِيَةِ، وَانْتِظَمَتْ لَهُ أَحْوَالٌ حَسَنَةٌ تَحْصُلُ مَعَهَا الْغِبْطَةُ فِي الْعَقَارِ  
وَالضِّيَاعِ لِكَثْرَةِ مَنَافِعِهَا حِينَئِذٍ، فَتَعْظُمَ قِيَمُهَا وَيَكُونُ لَهَا خَطَرٌ لَمْ يَكُنْ فِي الْأَوَّلِ. وَهَذَا  
مَعْنَى الْحَوَالَةِ فِيهَا. وَيُضْبَحُ مَالُهَا مِنْ أَغْنَى أَهْلِ الْمِضْرِ. وَلَيْسَ ذَلِكَ بِسَعْيِهِ  
وَكَتْسَابِهِ، إِذْ قُدْرَتُهُ تَعْجِزُ عَنْ مِثْلِ ذَلِكَ.

وَأَمَّا فَوَائِدُ الْعَقَارِ وَالضِّيَاعِ، فَهِيَ غَيْرُ كَافِيَةٍ لِمَالِكِهَا فِي حَاجَاتِ مَعَاشِهِ، إِذْ  
هِيَ لَا تَقِي بَعَوَائِدَ التَّرَفِّ وَأَسْبَابَهُ، وَإِنَّمَا هِيَ فِي الْغَالِبِ لِسَدِّ الْحَلَّةِ وَضُرُورَةِ الْمَعَاشِ.  
وَالَّذِي سَمِعْنَاهُ مِنْ مَشِيخَةِ الْبُلْدَانِ، أَنَّ الْقَصْدَ بِاِقْتِنَاءِ الْمِلْكِ مِنَ الْعَقَارِ وَالضِّيَاعِ، إِنَّمَا  
هُوَ الْحَشْيَةُ عَلَى مَنْ يَتْرَكَ خَلْفَهُ مِنَ الذَّرِيَّةِ الضَّعَافِ، لِيَكُونَ مَرْبَاهِمُ بِهِ وَرِزْقُهُمْ فِيهِ،

(١) ي: العتاد .

وَنُشَوُّهُمْ / بفائدته ما داموا عاجزين عن الاكتساب ؛ فإذا اقتدروا على تحصيل  
 المكاسب سَعَوْا فيها بأنفسهم، وربما يكون من الولد من يَعْجُزُ عن التَّكْسِبِ لضعف  
 في بدنه أو آفة في عقله المعاشي، فيكون ذلك العقار قواماً لحاله. هذا قَصْدُ الْمُتْرَفِينَ  
 في اقتنائه. وأمَّا التَّمَوُّلُ منه وإجراء أحوال المترفين فلا. وقد يحصل ذلك منه للقليل  
 5 أو التادر بحوالة الأسواق، وحصول الكثرة البالغة منه والغالي<sup>(1)</sup> في جنسه وقيمه في  
 الحضر، إلا أن ذلك إذا حصل قريباً امتدَّتْ إليه أعينُ الأمراء والولاة واعتصبوه في  
 الغالب، أو أرادوه على بيعه منهم، ونالت أصحابه منه مضار ومعاطب. ﴿وَاللَّهُ  
 غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ﴾ [سورة يوسف، من الآية 21] .

## 16 ﴿فَصَلِّ﴾ في حاجة المتمولين من أهل الأمصار إلى الجاه والمدافعة

وذلك أن الحضري إذا عَظُمَ تَمَوُّلُهُ، وَكَثُرَ [للعقار]<sup>(ب)</sup> والضياح تأثله، وأصبح  
 10 أغنى أهل الحضر، وَرَمَقَتْهُ العيونُ بذلك، وانفسحت أحواله في الترف والعوائد،  
 زاحم<sup>(ج)</sup> عليها الأمراء والملوك وغصُّوا به. ولما في طباع البشر من العدوان، تَمَتَّدُ  
 أعينهم إلى تَمَلُّك ما بيده ويُنافسونه فيه، ويتَحَيَّلون على ذلك بكلِّ مُمكن، حتَّى  
 بِحُصُولِهِ في رِقِّهِ بِحُكْمِ سُلْطَانِيٍّ وسبب من المؤاخذه ظاهر يُنتزع به ماله . وأكثر  
 15 الأحكام السُّلْطَانِيَّة جائرة في الغالب، إذ العَدْلُ المَحْضُ إنما هو في الخلافة الشرعيَّة،

(1) ج: الضالي (ب) من ج، وفي ي: للعتاد، وفي ظ: العقار (ج) ع: تراخم .

وهي قَلِيلَةُ اللَّبَثِ. قال ﷺ<sup>(1)</sup>: "الْخِلَافَةُ بَعْدِي ثَلَاثُونَ سَنَةً، ثُمَّ يَعُودُ مُلْكًا عَضُوضًا".

فَلَا بُدَّ حِينَئِذٍ لِصَاحِبِ الْمَالِ وَالثَّرْوَةِ الشَّهِيرَةِ فِي الْعُمْرَانِ مِنْ حَامِيَةٍ تَدُودُ عَنْهُ، وَجَاهٍ يَنْسَجِبُ عَلَيْهِ مِنْ ذِي قَرَابَةٍ لِلْمَلِكِ، أَوْ خَالِصَةٍ لَهُ، أَوْ عَصَبِيَّةٍ يَتَحَامَاهَا السُّلْطَانُ<sup>(2)</sup>، فَيَسْتَنْظِلُ هُوَ بِظِلِّهَا، وَيَزْتَعُ فِي أَمْنِهَا مِنْ طَوَارِقِ التَّعَدِّي. وَإِنْ لَمْ يَكُنْ 5 لَهُ ذَلِكَ، أَصْبَحَ نَهْبًا بِوُجُوهِ التَّحِيَّلَاتِ وَأَسْبَابِ الْحُكَامِ. ﴿وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ﴾ [سورة الرعد، من الآية 41].

17 • فَصْلٌ، فِي أَنَّ الْحَضَارَةَ فِي الْأَمْصَارِ مِنْ قَبْلِ الدُّوَلِ، وَأَنَّهَا تَرُسَخُ بِاتِّصَالِ 254ب] / الدَّوْلَةِ وَمَرُسُوحِهَا

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ، أَنَّ الْحَضَارَةَ هِيَ أَحْوَالٌ عَادِيَّةٌ زَائِدَةٌ عَلَى الضَّرُورِيِّ مِنْ 10 أَحْوَالِ الْعُمْرَانِ زِيَادَةً تَتَفَاوَتْ بِتَفَاوُتِ الرِّفَةِ، وَتَقَاوَتْ [الْأُمَمُ]<sup>(ب)</sup> فِي الْقِلَّةِ وَالكَثْرَةِ تَقَاوُتًا غَيْرَ مُنَحْصِرٍ. وَيَقَعُ فِيهَا عِنْدَ كَثْرَةِ التَّفَقُّنِ فِي أَنْوَاعِهَا وَأَصْنَافِهَا، فَتَكُونُ بِمَنْزِلَةِ الصَّنَائِعِ، وَيَحْتَاجُ كُلُّ صِنْفٍ مِنْهَا إِلَى الْقَوْمَةِ عَلَيْهِ الْمَهَرَةُ فِيهِ. وَبِقَدْرِ مَا يَتَمَيَّزُ مِنْ

(i) ي ج : للسلطان (ب) ظ: الأمر .

(1) أخرجه أحمد في مسنده 5: 220، وفي فضائل الصحابة له (789) و (1027)، وابن أبي عاصم في السنة (1181)، وأبو داود (4647)، والنسائي في سننه الكبرى (8155) وابن حبان في صحيحه (6943)، والحاكم في المستدرک 3: 71، وغيرهم.

أَصْنافُهَا يَتَزَيَّدُ أَهْلُ صِنَاعَتِهَا، وَيَتَلَوَّنُ ذَلِكَ الْجِيلُ بِهَا. وَمَتَى اتَّصَلَتِ الْأَيَّامُ وَتَعَاقَبَتِ  
تِلْكَ الصَّبْغَاتُ، حَذَقَ أُولَئِكَ الصُّنَاعَ فِي صِنَاعَاتِهِمْ وَمَهَرُوا فِي مَعْرِفَتِهَا. وَالْأَعْصَارُ  
بَطُولُهَا وَانْقِسَاحُ أَمْدِهَا وَتَكَرُّرُ أَمْثَالِهَا تَزِيدُهَا اسْتِحْكَامًا وَرُسُوخًا.

وَأَكْثَرُ مَا يَكُونُ ذَلِكَ فِي الْأَمْصَارِ، لِاسْتِئْجَارِ الْعُمَرَانِ وَكَثْرَةِ الرِّفْهِ فِي أَهْلِهَا.  
5 وَذَلِكَ كُلُّهُ إِنَّمَا يَجِيءُ مِنْ قَبْلِ الدَّوْلَةِ <sup>(أ)</sup>، لِأَنَّ الدَّوْلَةَ تَجْمَعُ أَمْوَالَ الرِّعِيَّةِ وَتُنْفِقُهَا فِي  
بَطَانَتِهَا وَرِجَالِهَا، وَتَتَسَّعُ أَحْوَالُهُمْ بِالْجَاهِ أَكْثَرَ مِنْ اتِّسَاعِهَا بِالْمَالِ، فَيَكُونُ دَخْلُ  
[تِلْكَ] <sup>(ب)</sup> الْأَمْوَالِ مِنَ الرِّعَايَا وَخَرْجُهَا فِي أَهْلِ الدَّوْلَةِ، ثُمَّ فِيمَنْ تَعَلَّقَ بِهِمْ فِي أَهْلِ  
الْمِصْرِ، وَهُمْ الْأَكْثَرُ، فَتَعْظُمَ لَذَلِكَ ثَرَوَتُهُمْ وَيَكْثُرَ غِنَاهُمْ، وَتَزِيدُ عَوَائِدُ الثَّرَفِ وَمَذَاهِبُهُ  
وَتَسْتَحْكَمَ لَدَيْهِمُ الصَّنَائِعُ فِي سَائِرِ فُنُونِهِ. وَهَذِهِ هِيَ الْحَضَارَةُ.

10 وَلِهَذَا [نَجِدُ] <sup>(ج)</sup> الْأَمْصَارَ الَّتِي فِي الْقَاصِيَةِ، وَلَوْ كَانَتْ مَوْفُورَةَ الْعُمَرَانِ، فَتَغْلِبُ  
عَلَيْهَا أَحْوَالُ الْبِدَاوَةِ، وَتَبْعُدُ عَنِ الْحَضَارَةِ فِي جَمِيعِ مَذَاهِبِهَا، بِخِلَافِ الْمَدُنِ الْمُتَوَسِّطَةِ  
فِي الْأَفْطَارِ الَّتِي هِيَ مَزَكُّ الدَّوْلَةِ وَمَقَرُّهَا. وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِمَجَاوَرَةِ السُّلْطَانِ لَهُمْ وَفَيْضِ  
أَمْوَالِهِ فِيهِمْ، كَلِمَاءُ يَخْضَرُ مَا قَرَّبَ مِنْهُ، فَمَا قَرَّبَ مِنَ الْأَرْضِ، إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَى  
الْجُفُوفِ عَلَى الْبُعْدِ. وَقَدْ قَدَّمْنَا أَنَّ السُّلْطَانَ وَالدَّوْلَةَ سَوَقٌ لِلْعَالَمِ، فَالْبَضَائِعُ كُلُّهَا  
15 مَوْجُودَةٌ فِي السُّوقِ وَمَا قَرَّبَ مِنْهُ، وَإِذَا بَعُدَتْ عَنِ السُّوقِ افْتَقَدَتْ الْبَضَائِعُ جُمْلَةً.  
ثُمَّ إِنَّهُ إِذَا اتَّصَلَتْ تِلْكَ الدَّوْلَةُ وَتَعَاقَبَ مَلُوكُهَا فِي ذَلِكَ الْمِصْرِ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ،  
اسْتَحْكَمَتِ الْحَضَارَةُ فِيهِمْ وَزَادَتْ رُسُوخًا.

(أ) ع: الدَّوْلُ (ب) ظ: ذَلِكَ (ج) ظ: نَجِدُ.

واعتبر ذلك في اليهود/ لما طال ملكهم بالشام نحواً من ألف وأربعمائة سنة،  
رسخت حضارتهم وخذقوا في أحوال المعاش وعوائده والتفنن في صناعاته من المطاعم  
والملابس وسائر أحوال المنزل، حتى أنها لتؤخذ عنهم في الغالب إلى اليوم. ورسخت  
الحضارة أيضاً وعوائدها في الشام منهم ومن دول الروم بعدهم ستمائة سنة ، فكانوا  
في غاية الحضارة.

5

وكذلك أيضاً القبط، دام ملكهم في الخليفة ثلاثة آلاف من السنين،  
فرسخت عوائد الحضارة في بلادهم مصر، وأعقبهم بها ملك اليونانيين والروم، ثم ملك  
الإسلام الناسخ للكل، فلم تزل عوائد الحضارة بها متصلة.

وكذلك أيضاً رسخت عوائد الحضارة باليمن ، لاتصال دولة العرب بها منذ  
عهد العمالة والتبابعة آلافاً من السنين، وأعقبهم ملك مصر.

10

وكذا الحضارة بالعراق، لاتصال دولة التبط والفُرس بها من لسن الكلدانيين  
والكينية والكسروية والعرب بعدهم آلافاً من السنين. فلم يكن على وجه الأرض  
لهذا العهد أحضر من أهل الشام والعراق ومصر.

وكذلك أيضاً رسخت عوائد الحضارة بالأندلس ، لاتصال الدولة العظيمة فيها  
للقوط، ثم ما أعقبها من ملك بني أمية آلافاً من السنين . وكلا<sup>(1)</sup> الدولتين عظيم،  
فاتصلت فيها عوائد الحضارة واستحكمت.

15

(1) كذا في الأصول، ولعل الأصوب: وكلتا الدولتين عظيمة .

وأما إفريقية والمغرب، فلم يكن فيها قبل الإسلام ملك ضخم، إنما قطع  
 [الروم]<sup>(أ)</sup> والإفرنجية إلى إفريقية البحر وملكوا الساحل. وكانت طاعة البربر أهل  
 الضاحية لهم طاعة غير مستحكمة، فكانوا على قلعة وأوفاز. وأهل المغرب لم  
 تجاوزهم دولة، وإنما كانوا يتبعون بطاعتهم إلى [القوط]<sup>(ب)</sup> من وراء البحر. ولما جاء  
 5 الله بالإسلام وملك العرب إفريقية والمغرب، لم يلبث<sup>(ج)</sup> فيهم ملك العرب إلا قليلاً  
 أول الإسلام، وكانوا لذلك العهد في طور البداوة، ومن استقر منهم بإفريقية  
 والمغرب لم يجد بها من الحضارة ما يقد فيه من سلفه، إذ كانوا برابر منغمسين في  
 البداوة. ثم انتفض برابرة المغرب الأقصى لأقرب العهود على يد ميسرة / المطغري<sup>(د)</sup>  
 أيام هشام بن عبد الملك ولم يراجعوا أمر العرب بعد، واستقلوا بأمر أنفسهم، وإن  
 10 بايعوا لإدريس، فلا تعدد دولته فيهم عربيّة، لأن البرابرة هم الذين تولوها، ولم يكن من  
 العرب فيها كبير عدد.

وبقيت إفريقية للأغالية ومن إليهم من العرب، فكان لهم من الحضارة بعض  
 الشيء بما حصل لهم من ترف الملك ونعيمه وكثرة عمران القيروان. وورث ذلك  
 عنهم كتامة، ثم صنهاجة من بعدهم. وذلك كله قليل، لم يبلغ أربعمئة سنة؛  
 15 وانصرمت دولتهم، واشتعلت صبغة الحضارة بما كانت غير مستحكمة. وتغلب بدو  
 العرب الهلاليين عليها وخرّبوها. وبقي أثر خفي من حضارة العُمران فيها، وإلى هذا  
 العهد يؤنس فيمن سلف له بالقلعة أو القيروان أو المهدية سلف، فتجد له من

(أ) من حاشية ع وحدها (ب) كانت في ع "القبط" وعنها قلت ط ج، واستبدلت بالقوط في ع ي (ج) في ج: يثبت، غير

معجمة (د) رُسمت في الأصول بطاء منقوطة في جوفها، لتقرأ بين النال والطاء.



أُخْوال<sup>(١)</sup> الحَضارة في شُؤون مَنزله وعَوائِد أحواله آثاراً مُلتبسَةً بغيرها، يُمَيِّزُها الحَضَرِيُّ البَصِيرُ بها. وكذا في أَكْثَرِ أَمْصارِ إفريقيَّة، وَلَيْسَ ذلك في المَغْرِبِ وأَمْصارِه، لِرُسوخ الدَّولة بإفريقيَّة أَكْثَرِ أَمداً مُنْذَ عَهْدِ الأغالبة والشَّيعة وصِنهاجَة.

وأَمَّا المَغْرِبُ، فانتقلَ إليه مُنْذُ دَوْلَة المُوَحِّدين من الأَنْدلس حَظٌّ [كَبير]<sup>(ب)</sup>

- 5 من الحَضارة، واستَحْكَمَتْ به عَوائِدُها بما كان لَدَوْلَتِهِم من الاستيلاء على بِلاد الأَنْدلس، وانتقلَ الكَثيرُ من أَهلها إليهم طَوْعاً وَكَرْهاً، وكانت من اتَّساع النِّطاق ما عِلِمَتْ، فكان فيها حَظٌّ صالحٌ من الحَضارة واستَحْكامها، ومُعْظَمُها من أَهل الأَنْدلس. ثُمَّ انتقلَ أَهلُ شَرْقِ الأَنْدلس عند جالية النِّصارى إلى إفريقيَّة؛ فأَبَقوا بها وبأَمْصارها من الحَضارة آثاراً، ومُعْظَمُها بتونس، اِمْتَزَجَتْ بِحَضارة مِصر وما يَنْتقله المُسافِرون من عَوائِدِها. [فكان]<sup>(ج)</sup> بِذلك لِلْمَغْرِبِ وإفريقيَّة حَظٌّ من الحَضارة صالحٌ 10 عَقَى عليه الخِلاءُ وَرَجَعَ على أَغْقابِه. وعادَ البَربر بِالْمَغْرِبِ إلى أَديانِهِم من البِداوَة والحُشونة. وعلى كُلِّ حالٍ، فَأَثَّرَتِ الحَضارة بإفريقيَّة أَكْثَرُ منها بِالْمَغْرِبِ وأَمْصارِه، لما تَداول فيها من الدَّولِ السَّالِفَةِ أَكْثَرُ من المَغْرِبِ، وَلَقُرْبَ عَوائِدِهِم من عَوائِدِ أَهلِ مِصر بِكَثْرَةِ المُتَرَدِّدين بَيْنَهُم. فَتَفْطَنُ / لِهَذَا السِّرِّ، فَإِنَّهُ خَفِيَ عَنِ النَّاسِ. [256]

- 15 واعْلَمْ أَنَّها أُمُورٌ مُتناسِبةٌ، وهي حالُ الدَّولة في القُوَّة والضَّعْف، وكَثْرَةُ الأُمَّة أو الجِيل، وعِظَمُ المَدِينَةِ أو المِصر، وكَثْرَةُ النِّعَمَةِ واليَسار. وَذلك أَنَّ الدَّولةَ والمَلِكَ صُورَةُ الخَلِيقَةِ والعُمران. وَكلُّها مادَّةٌ لَه، من الرِّعايا والأَمْصار وسائِرِ الأُخْوال.

(١) سقط من ي (ب) سقط من ظ (ج) في الأصول : فكانت .

وأموال الجباية عائدة عليهم، ويسارهم في الغالب من أسواقهم ومتاجرهم. وإذا أفاض السلطان عطاءه وأمواله في أهلها انبثت فيهم ورجعت إليه، ثم إليهم منه. فهي ذاهبة عنهم في الجباية والخراج، عائدة عليهم في العطاء. فعلى نسبة مال الدولة يكون يسار الرعايا، وعلى نسبة يسار الرعايا أيضاً وكثرتهم يكون مال الدولة. وأصله كله العمران وكثرته. 5

فاعتبره وتأمله في الدول تجده. والله يحكم، لا معقب لحكمه.

18 ﴿فَصُلِّ، فِي أَنَّ الْحَضَارَةَ غَايَةَ لِلْعُمَرَانِ وَنِهَايَةَ لِعُمُرِهِ، وَأَنَّ مُؤَذِّنَةَ بَفْسَادِهِ

قد بينا لك فيما سلف، أن الملك والدول<sup>(1)</sup> غاية للعصبية، وأن الحضارة غاية للبداءة، وأن العمران كله من بداءة وحضارة ومملك وسوق له عمر محسوس، كما أن للشخص الواحد من أشخاص المكنونات عمراً محسوساً. وتبين في المنقول والمنقول أن الأربعين للإنسان غاية في ترايد قواه ونموها، وأنه إذا بلغ سن الأربعين وقفت الطبيعة عن أثر النشوء والنمو برهة، ثم تأخذ بعد ذلك في الانحطاط. فلتعلم أن الحضارة في العمران أيضاً كذلك، لأنه غاية لا مزيد وراءها. 10

وذلك أن الترف والتعفة إذا حصل لأهل العمران، دعاهم بطبعه إلى مذاهب الحضارة والتخلق بعوايدها. والحضارة، كما علمت، هي الثفن في الترف 15

(1) ج: الدولة.

واستجادة أحواله، والكلف بالصنائع التي تُؤنق<sup>(أ)</sup> من أضنافه وسائر فنونه، كالصنائع المهيئة للمطابخ أو الملابس أو المباني أو الفرش أو الآنية، وكسائر أحوال المنزل. وللتأنيق في كل واحد من هذه صنائع كثيرة، لا يحتاج إليها عند البداوة وعدم التأنيق فيها. وإذا بلغ التأنيق / في هذه الأحوال المنزلية الغاية، تبعه طاعة الشهوات، فتتلون النفس من تلك العوائد بألوان كثيرة لا يستقيم حالها معها في دينها ولا دُنياها. أما 5 دينها، فلاستحكام صبغة العوائد التي يعسر نزعها. وأما دُنياها، فلكثرة الحاجات والمؤونات التي تطالب بها العوائد، ويعجز الكسب عن الوفاء بها.

[256ب]

❖ (ب) وبيانه أن المضر بالتفنن في الحضارة تعظم نفقات أهله. والحضارة تتفاوت بتفاوت العمران. فمتى كان العمران أكثر، كانت الحضارة أكمل. وقد كنا قَدَمْنَا أن المضر الكثير العمران، يختص بالغلاء في أسواقه وأسعار حاجاته، ثم 10 تزيدها المكوس غلاء، لأن كمال الحضارة إنما يكون عند نهاية الدولة في استيفائها، وهو زمن وضع المكوس في الدول لكثرة خزجها حينئذ، كما تقدم. والمكوس تعود على البياعات بالغلاء، لأن السوق والتجار كلهم يحتسبون على سلعهم وبضائعهم بجميع ما يُنفقونه، حتى [في] (ج) مؤونة أنفسهم. فيكون المكس لذلك داخلاً في قيم المبيعات وأثمانها، فتتعمد نفقات أهل الحضارة وتخرج عن القصد إلى الإسراف. ولا 15 يجدون وليجة عن ذلك لما ملكهم من أسر العوائد وطاعتها، وتذهب مكاسبهم كلها في النفقات، ويتتابعون في الإملاق والخصاصة، ويغلب عليهم الفقر، ويقل

(أ) ي: التي هي تؤنق (ب) بداية ما هو مكتوب في ع بخطه على طيارة، ونقلته ظ ي ج (ج) سقطت من ظ وحدها.

المُستامون للبضائع، فتكسُدُ الأسواقُ وتفسُدُ حالُ المدينة. وداعيةُ ذلك كله إفراطُ الحضارة والتّرف، وهذه مفسدُها في المدينة على العموم في الأسواق والغمران.

وأما فسادُ أهلها في ذواتهم واحداً واحداً على الخصوص، فمن الكدّ والتعب في حاجات العوائد، والتلّون بالّوان الشرّ في تحصيلها<sup>(أ)</sup>، وما يعودُ على النَّفس من الضرر بعد تحصيلها بحصول لَوْنٍ آخر من ألوانها. فلذلك يكثرُ منهم الفسقُ

والشرّ والسّفسفة والتّحيلُ على تحصيل المعاش من وَجْهَةٍ ومن غير وَجْهَةٍ. وتنصرفُ النَّفسُ إلى الفكر في ذلك والغوص عليه، واستِجْماع الحيلة له. فتجدُّهم أجرياء على

الكذب والمقامرة والغشّ والخلافة والسّرقة / والفجور في الأيمان والرّبا في البياعات. [٢٥٧] <sup>(ب)</sup> ثمّ تجدُّهم لكثرة الشهوات [والملاذ]<sup>(ج)</sup> الناشئة عن التّرف، أبصر<sup>(ب)</sup> بطرق

الفسق ومذاهبه والمجاهرة به وبدواعيه، وأطراح الحشمة في الخوض فيه، حتّى بين

الأقارب وذوي المحارم الذين تقتضي البداوة الحياء منهم في الإقذاع بذلك. وتجدُّهم

أيضاً أبصر بالمرّ والحديعة، يدفعون بذلك ما عساه ينالهم من القهر وما يتوقّعونهُ

من العقاب على تلك القبائح، حتّى يصير ذلك عادةً وخلقاً لأكثرهم إلّا من عصمه

الله. ويموج بحرُ المدينة بالسّفلة من أهل الخلق الذّميّة، ويجاريهم فيها كثير من

ناشئة الدّولة وولدانهم ممن أُهمل عن التّأديب، \* وأهمّله الدّولة من عدايدها<sup>(د)</sup>

وغلب عليه خلقُ الجوار والصّحابة<sup>(هـ)</sup>، وإن كانوا أهل أنساب وأبوات. وذلك أنّ

النّاس بشرٌ مُتماثلون، وإنّا تفاضّلوا وتميّزوا<sup>(و)</sup> بالخلق واكتساب الفضائل واجتناب

(أ) نهاية ما هو مكتوب في ع بخطه على طيارة، ونقلته ظي ج (ب) سقط ما بين النجمين من ي (ج) من ع، وسقط من

ظ (د) سقط ما بين النجمين من ي (هـ) ج: والصحاب، وسقط من ي (و) ع: وتمايزوا .

الرَّذَائِلُ، فَمِنْ اسْتَحْكَمَتْ فِيهِ صِبْغَةُ الرَّذِيلَةِ بَأْيٍ وَجْهٍ كَانَ، [و<sup>(أ)</sup>] فَسَدَتْ خُلُقُ  
 الْخَيْرِ فِيهِ، لَمْ يَنْفَعَهُ زَكَاةُ نَسَبِهِ وَلَا طَيْبُ مَنْبَتِهِ. وَلِهَذَا تَجِدُ كَثِيرًا مِنْ أَعْقَابِ الْبُيُوتِ  
 وَذَوِي الْأَحْسَابِ وَالْأَصَالَةِ وَأَهْلِ الدَّوَلِ، مَطْرَحِينَ فِي الْغِمَارِ، مُنْتَحِلِينَ لِلْحِرَفِ الدَّنِيَّةِ  
 فِي مَعَاشِهِمْ بِمَا فَسَدَ مِنْ أَخْلَاقِهِمْ وَمَا تَلَوَّنُوا بِهِ مِنْ صِبْغَةِ الشَّرِّ وَالسُّفُسْفَةِ. وَإِذَا كَثُرَ  
 ذَلِكَ فِي الْمَدِينَةِ أَوْ الْأُمَّةِ، تَأَذَّنَ اللَّهُ بِخَرَابِهَا وَانْقِرَاضِهَا. وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى <sup>(ب)</sup>: 5  
 ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا  
 تَدْمِيرًا﴾ [سورة الإسراء، الآية 16]. وَوَجْهُهُ أَنَّ مَكَاسِبَهُمْ حِينَئِذٍ لَا تَقِي بِحَاجَاتِهِمْ لَكثَرَةِ  
 الْعَوَائِدِ وَمُطَالَبَةِ النَّفْسِ بِهَا، فَلَا تَسْتَقِيمُ أَحْوَالُهُمْ. وَإِذَا فَسَدَتْ أَحْوَالُ الْأَشْخَاصِ  
 وَاحِدًا وَاحِدًا اخْتَلَّتْ نِظَامُ الْمَدِينَةِ وَخَرِبَتْ. وَهَذَا مَعْنَى مَا يَقُولُهُ بَعْضُ أَهْلِ الْخَوَاصِ:  
 إِنَّ الْمَدِينَةَ إِذَا كَثُرَ فِيهَا غَرْسُ النَّارَنْجِ تَأَذَّنَتْ بِالْخَرَابِ، حَتَّى أَنْ كَثِيرًا مِنَ الْعَامَّةِ 10  
 يَتَحَامَى <sup>(ج)</sup> غَرْسَ النَّارَنْجِ بِالْثَوْرِ، [تَطْيِيرًا بِهِ <sup>(د)</sup>]. وَلَيْسَ الْمُرَادُ ذَلِكَ، وَلَا أَنَّهُ طَيْرَةٌ <sup>(هـ)</sup>  
 فِي النَّارَنْجِ، وَإِنَّمَا مَعْنَاهُ أَنَّ الْبَسَاتِينَ وَإِجْرَاءَ الْمِيَاهِ هُوَ مِنْ تَوَابِعِ الْحَضَارَةِ. ثُمَّ إِنَّ النَّارَنْجَ  
 / وَاللَّيْمَ وَالسَّرَوَ وَأَمْثَالَ ذَلِكَ تَمَّا لَا طَعْمَ فِيهِ وَلَا مَنْفَعَةَ، هُوَ مِنْ غَايَاتِ الْحَضَارَةِ، إِذْ 257ب  
 لَا يُقْصَدُ بِهَا فِي الْبَسَاتِينَ إِلَّا أَشْكَالُهَا فَقَطْ، وَلَا تُغْرَسُ إِلَّا بَعْدَ الثَّقْنِ فِي مَذَاهِبِ  
 التَّرْفِ. وَهَذَا هُوَ الطَّوْرُ الَّذِي يُخْشَى مَعَهُ هَلَاكُ الْمَضَرِّ وَخَرَابُهُ، كَمَا قُلْنَا. وَلَقَدْ قِيلَ 15  
 مِثْلُ ذَلِكَ فِي الدَّفْلَى، وَهُوَ مِنْ هَذَا الْبَابِ، إِذِ الدَّفْلَى لَا يُقْصَدُ بِهَا إِلَّا تَلَوْنُ الْبَسَاتِينَ  
 بِنُورِهَا، مَا بَيْنَ أَحْمَرَ وَأَبْيَضَ، وَهُوَ مِنْ مَذَاهِبِ التَّرْفِ.

(أ) سقط العطف من ظ (ب) سقط من ج (ج) ي ج: يتجافى (د) من حاشية ع، وسقط من ظ ي ج (هـ) من ع  
 بعد شطب كلمة: خاصة، التي نقلتها ظ.

ومن مَفاسِدِ الحضارة أيضاً: الانبهاك في الشهوات والاسترسال فيها لكثرة الترف. فيتقَعُ التفتنُ في شهواتِ البطن من المأكَلِ ومَلَاذِهَا، \* والمشارِبِ وطيبها\*<sup>(1)</sup>. ويتبعُ ذلك التفتنُ في شهواتِ الفرج بأنواعِ المناكِحِ من الزنا واللواط. فيفضي ذلك إلى فسادِ النوع، إمّا بواسطة اختلاطِ الأنساب، كما في الزنا، فيتجهلُ كلُّ أحدٍ ابنته 5 إذ هو لغيرِ رَشْدَةٍ، ولأنَّ المِياهَ مُخْتَلِطَةً في الأرحامِ. فتفقدُ الشفقةُ الطبيعيةُ على البنين والقيامُ عليهم، فيهلكون، ويؤدي ذلك إلى انقطاعِ النوع. أو يكونُ فسادُ النوعِ بغيرِ واسطة، كما في اللواطِ المؤدِّي إلى عَدَمِ النسلِ رأساً، وهو أشدُّ في فسادِ النوع، إذ هو يؤدي إلى أن لا يوجدَ النوعُ، والزنا يؤدي إلى عَدَمِ ما يوجدُ منه. ولذلك كان مَذْهَبُ مالِك، رحمه الله، في اللواطِ أَظْهَرَ من مَذْهَبِ غَيْرِهِ، ودَلَّ 10 على أَنَّهُ أَبْصَرَ بِمَقاصِدِ الشَّريعةِ واعتبارها للمصالح.

فافهم ذلك واعتبر به أنَّ غايةَ العُمرانِ هي الحضارةُ والتَّرفُ، وأنَّه إذا بلغَ غايته انقلبَ إلى الفسادِ، وأخذ في الهَرَمِ، كالأعْمارِ الطَّبيعيةِ للحيوانات. بل نقولُ: إنَّ الخُلُقَ الحاصِلَةَ من الحضارةِ والتَّرفِ هي عَيْنُ الفسادِ، لأنَّ الإنسانَ إنَّما هو إنسانٌ باقتداره على جَلْبِ مَنافِعِهِ ودَفْعِ مَضارِّهِ واستِقامَةِ خُلُقِهِ للسَّعي في ذلك. والحضريُّ 15 لا يَقْدِرُ على مُباشرةِ حاجَتِهِ، إمَّا عَجْزاً بما حَصَلَ له من الدَّعة، أو تَرْفُعاً لما حَصَلَ من المَرْبِي في النِّعيمِ والتَّرفِ، وكلا الأمرين دَمِيمٌ. وكذلك لا يَقْدِرُ على دَفْعِ المضارِّ بما فَقَدَ من خُلُقِ البأسِ بالتَّرفِ والمَرْبِي في قَهْرِ التَّأديبِ والتعليمِ، فهو / لذلك عِيالٌ

[258]

(1) سقط ما بين النجمين من ي ج .

على الحامية التي تُدافع عنه. ثم هو فاسدٌ أيضاً في دينه غالباً بما أفسدت منه العوائد وطاعتها، وما تَلَوَّنت به النفس من مَلَكاتها، كما قرَّرناه، إلا في الأقلِّ النَّادر. وإذا فَسَدَ الإنسانُ في قُدرته ثمَّ في أخلاقه ودينه، فقد فَسَدَتِ إنسانيَّته، وصارَ مَسْخاً على الحقيقة. وبهذا الاعتبار، كان الذين يَتَقَرَّبون من جُنْدِ السُّلطان إلى البدَاوة والحُشونة أُنْفَع من الذين يَرْتَبون على الحضارة وحُلُقها. وهذا مَوْجُودٌ في كلِّ دَوْلَةٍ. فقد 5 تَبَيَّنَ أَنَّ الحضارة سَبَبُ الوُقُوفِ لِعُمُرِ العالَمِ من العُمُران والدُّول. ﴿وَاللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [سورة الزمر، من الآية 4، وسورة يوسف، من الآية 39، وسورة ص، من الآية 65].

19 ﴿فَصُلِّ<sup>(١)</sup>﴾، في أَنَّ الأُمُصَارَ التي تَكُونُ كِرَاسِيَّ لِلْمُلْكِ تَخْرُبُ بِجُرَابِ الدَّوْلَةِ وَاتِّقَاضِهَا

10 قد اسْتَقَرَّنا في العُمُران أَنَّ الدَّوْلَةَ إِذَا انْتَقَضَتْ وَاخْتَلَّتْ، فَإِنَّ الْمِصْرَ الَّذِي يَكُونُ كُرْسِيّاً لِسُلْطَانِهَا يَنْتَقِضُ عُمُرَانَهُ. وَرُبَّمَا يَنْتَهِي فِي انْتِقَاضِهِ إِلَى الْخَرَابِ، وَلَا يَكَادُ ذَلِكَ يَنْتَخِفُّ.

وَالسَّبَبُ فِيهِ أُمُورٌ:

الأوَّلُ: أَنَّ الدَّوْلَةَ لَا بُدَّ فِي أَوَّلِهَا مِنَ الْبَدَاوَةِ الْمُقْتَضِيَةِ لِلتَّجَافِي عَنْ أَمْوَالِ النَّاسِ وَالْبُعْدِ عَنِ التَّحَدُّقِ. وَيَدْعُو ذَلِكَ إِلَى تَخْفِيفِ الْجَبَايَةِ وَالْمَغَارِمِ الَّتِي مِنْهَا مَادَّةُ 15

(١) أضاف المؤلف هذا الفصل كله بخطه في مسودته ع، وشكَّه عنها بقية الأصول.

الدولة، فتقلّ التّفقات، ويَقْصُر التّرف. فإذا صار المِضر الذي كان كُرْسِيّاً للملّك في مَلَكَةِ هذه الدّولة المُتجدّدة ونُقِصت أحوال التّرف فيها، نُقِص التّرف فيمن تحت أيديها من أهل المِضر، لأنّ الرعايا تَبِعُ للدّولة. فيرجعون إلى خُلُق الدّولة إمّا طَوْعاً بما في طباع البَشَر من تَقْلِيد مَنبوعِهِمْ، أو كَرْهاً بما تَدْعُو إليه خُلُق الدّولة من الاتِّباض عن التّرف في جَميع الأحوال، وَقَلّة الفوائد التي هي مادّة العوائِد، فتَقْصُر لذلك حضارة المِضر، ويَذْهَبُ منه كثيرٌ من عوائِد التّرف. وهو مَعْنى ما نقوله من خراب المِضر.

الأمر الثاني: أنّ الدّولة إنّما يحصلُ لها الملّك والاستيلاء بالغلب، وإنّما يكونُ بَعْد العداوة والحروب. والعداوة تَقْتضي مُنافاة بَيْن أَهْلِ الدّولَتَيْن، ونَكير إحداهما على الأُخرى / في العوائِد والأحوال. وغلبُ أحدِ المُنافِين يَذْهَبُ بالمُنافي [258ب] الآخر. فتكون أحوال الدّولة السّابقة مُنكَرة عند أَهْلِ الدّولة الجديدة ومُسْتَشَنعة وقبيحة، وخصوصاً أحوال التّرف. فتَقْصِد في عِزْفهم بنكير الدّولة لها حتّى تَنشأ لهم بالتدريج عوائِد أُخرى من التّرف تكونُ عنها حضارة مُستأنفة، وفيما بَيْن ذلك قُصور الحضارة الأولى ونَقْصُها، وهو مَعْنى اختلال العُمران في المِضر.

15 الأمر الثالث: أنّ كلّ أُمَّة لا بُدَّ لهم من وَطَنٍ هُوَ مَنشؤُهُم ومنه أُولِيّةُ مُلْكِهِمْ. وإذا مَلَكُوا وَطْناً آخَرَ صارَ تَبَعاً للأوّل، وأمصارُه تابعةٌ لأمصار الأوّل، واتّسع نطاقُ الملّك عليهم. ولا بُدَّ من تَوْسُطِ الكُرْسِيِّ بَيْن تَحُومِ الممالك التي للدّولة، لأنّه شِبْهُ المَرْكَزِ لِلنَّطاقِ. فيبْعُدُ مَكَائِهِ عن مَكَانِ الكُرْسِيِّ الأوّل، وتَهْوِي أَفئِدَةُ النَّاسِ



إليه من أجل الدولة والسلطان. فَيَنْتَقِلُ إليه العُمران ويَحْفُ من مِصر الكرسي الأول. والحضارة إنما هي بُفور العُمران، كما قَدَّمناه، فتَنْقُصُ حضارته وتمُدُّه، وهو مَعْنَى اخْتِلَالِهِ. وهذا كما وَقَعَ للسُّلْجُوقِيَّةِ في عُدُولِهِمْ بِكُرْسِيَّهِمْ عن بَغْدَادِ إِلَى أَصْبَهَانَ، وَلِلْعَرَبِ قَبْلَهُمْ فِي الْعُدُولِ عَنِ الْمَدَائِنِ إِلَى الْكُوفَةِ وَالْبَصْرَةِ، وَلِبَنِي الْعَبَّاسِ فِي الْعُدُولِ عَنْ<sup>(أ)</sup> دِمَشْقَ إِلَى بَغْدَادَ، وَلِبَنِي مَرِّينَ بِالْمَغْرِبِ فِي الْعُدُولِ عَنْ مَرَّاكُشَ 5 إِلَى فَاسَ. وَبِالْجُمْلَةِ، فَاتَّخَذَ الدَّوْلَةُ الْكُرْسِيَّ فِي مِصرَ يُحِلُّ بِعُمرانِ الْكُرْسِيِ الْأَوَّلِ.

الأمر الرابع: أَنَّ الدَّوْلَةَ الْمُتَجَدِّدَةَ إِذَا غَلَبَتْ عَلَى الدَّوْلَةِ السَّابِقَةِ، لَا بُدَّ فِيهَا مِنْ تَتَبُعِ أَهْلَ الدَّوْلَةِ السَّابِقَةِ وَأَشْيَاعَهَا بِتَحْوِيلِهِمْ إِلَى قُطْرٍ آخَرَ يُؤْمَنُ فِيهِ غَائِلَتُهُمْ عَلَى الدَّوْلَةِ. وَأَكْثَرُ أَهْلِ الْمِصرِ الْكُرْسِيَّ أَشْيَاعَ لِلدَّوْلَةِ، إِمَّا مِنْ الْحَامِيَةِ الَّذِينَ نَزَلُوا بِهِ أَوَّلَ الدَّوْلَةِ، أَوْ مِنْ أَغْيَانِ الْمِصرِ، لِأَنَّ لَهُمْ فِي الْغَالِبِ مُخَالَطَةَ لِلدَّوْلَةِ عَلَى طَبَقَاتِهِمْ وَتَنَوُّعِ 10 أَصْنَافِهِمْ، بَلْ أَكْثَرُهُمْ نَاشِئٌ فِي الدَّوْلَةِ. فَهَمَّ شِيعَةٌ لَهَا، وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا بِالشُّوْكَهِ وَالْعَصَبِيَّةِ، فَهَمَّ بِالْمَيْلِ وَالْمَحَبَّةِ وَالْعَقِيدَةِ. وَطَبِيعَةُ الدَّوْلَةِ الْمُتَجَدِّدَةِ مَحْوُ آثَارِ الدَّوْلَةِ السَّابِقَةِ، فَتَنْقُلُهُمْ / مِنْ مِصرِ الْكُرْسِيَّ إِلَى وَطَنِهَا الْمُسْتَمْكِنِ<sup>(ب)</sup> فِي مَلِكْتِهَا. فَتَبْغُضُهُمْ [1259] عَلَى نَوْعِ التَّغْرِيبِ وَالْحَبْسِ، وَتَبْغُضُ عَلَى نَوْعِ الْكَرَامَةِ وَالتَّلَطُّفِ، بِحَيْثُ لَا يُؤَدِّي إِلَى التَّفَرُّدِ حَتَّى لَا يَبْقَى فِي مِصرِ الْكُرْسِيِ إِلَّا الْبَاعَةُ وَالْهَمْلُ مِنْ أَهْلِ الْقَلْحِ، وَالْعِيَارَةُ 15 وَسَوَادُ الْعَامَّةِ. وَتَنْزِلُ مَكَانَهُمْ مِنْ حَامِيَّتِهَا وَأَشْيَاعِهَا مِنْ تَسُدُّ بِهِ الْمِصرَ. وَإِذَا ذَهَبَ مِنَ الْمِصرِ أَغْيَانُهُ<sup>(ج)</sup> عَلَى طَبَقَاتِهِمْ نَقَصَ سَاكِنُهُ، وَهُوَ مَعْنَى اخْتِلَالِ عُمرانِهِ. ثُمَّ لَا بُدَّ لَهُ

(أ) ي: من (ب) في طع، وفي ج ي: المتمكن (ج) ي: أعيانهم.

أن يَسْتَجِدَّ عُمراناً آخَرَ في ظِلِّ الدَّوْلَةِ الجَدِيدَةِ، وَتَحْصُلُ فِيهِ حَضَارَةٌ أُخْرَى عَلَى قَدْرِ الدَّوْلَةِ. وَإِنَّمَا ذَلِكَ بِمِثَابَةِ مَنْ يَمْلِكُ بَيْتاً دَاخِلَهُ الْبِلَى، وَالكَثِيرُ مِنْ أَوْضَاعِهِ فِي بُيُوتِهِ وَمَرَافِقِهِ لَا تُوَافِقُ مُقْتَرَحَهُ، وَلَهُ قُدْرَةٌ عَلَى تَغْيِيرِ تِلْكَ الْأَوْضَاعِ وَإِعَادَةِ بِنَائِهَا عَلَى مَا يَخْتَارُهُ وَيُقْتَرَحُهُ، فَيَخْرُبُ ذَلِكَ الْبَيْتَ، ثُمَّ يُعِيدُ بِنَاءَهُ ثَانِياً. وَقَدْ وَقَعَ كَثِيرٌ مِنْ ذَلِكَ فِي الْأُمُصَارِ الَّتِي هِيَ كِرَاسِيٌّ لِلْمَلِكِ، وَشَاهِدُنَاهُ وَعَلِمْنَاهُ. وَاللَّهُ مُقَدِّرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ.

وَالسَّبَبُ الطَّبِيعِيُّ الْأَوَّلُ فِي ذَلِكَ عَلَى الْجُمْلَةِ، أَنَّ الدَّوْلَةَ وَالْمَلِكَ لِلْعُمَرَانِ بِمِثَابَةِ الصُّورَةِ لِلْمَادَّةِ، وَهُوَ الشَّكْلُ الْحَافِظُ بِنَوْعِهِ لَوْجُودِهَا، وَقَدْ تَقَرَّرَ فِي عُلُومِ الْحِكْمَةِ أَنَّهُ لَا يُمَكِّنُ انْفِكَائَهُمَا عَنْ الْآخَرِ. فَالدَّوْلَةُ دُونَ الْعُمَرَانِ لَا يُتَصَوَّرُ، وَالْعُمَرَانِ دُونَ الدَّوْلَةِ وَالْمَلِكِ مُتَعَذِّرٌ، بَمَا فِي طِبَاعِ الْبَشَرِ مِنَ التَّعَاوُنِ الدَّاعِي إِلَى الْوِازَعِ. فَتَتَعَيَّنُ السِّيَاسَةُ لِذَلِكَ، إِمَّا الشَّرْعِيَّةُ أَوْ الْمَلِكِيَّةُ، وَهُوَ مَعْنَى الدَّوْلَةِ. وَإِذَا كَانَا لَا يَنْفَكَّانِ، فَاخْتِلَالُ أَحَدِهِمَا مُؤَثِّرٌ فِي اخْتِلَالِ الْآخَرِ، كَمَا كَانَ عَدَمُهُ مُؤَثِّراً فِي عَدَمِهِ. وَالْحَلُّ الْعَظِيمُ إِنَّمَا يَكُونُ مِنْ حَلِّ الدَّوْلَةِ الْكُلِّيَّةِ، مِثْلَ دَوْلَةِ الْفُرْسِ، أَوْ الرُّومِ، أَوْ الْعَرَبِ عَلَى الْعُمُومِ، أَوْ بَنِي أُمَيَّةٍ أَوْ بَنِي الْعَبَّاسِ كَذَلِكَ. وَأَمَّا الدَّوْلُ الشَّخْصِيَّةُ، مِثْلَ دَوْلَةِ أُنُوشِرْوَانَ أَوْ هِرْقُلٍ أَوْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ أَوْ الرَّشِيدِ، فَأَشْخَاصُهَا مُتَعَاقِبَةٌ عَلَى الْعُمَرَانِ، حَافِظَةٌ لَوْجُودِهِ وَبَقَائِهِ، وَقَرِيبَةُ الشَّبَهِ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ، فَلَا تُؤَثِّرُ كَبِيرُ اخْتِلَالٍ؛ لِأَنَّ الدَّوْلَةَ بِالْحَقِيقَةِ / الْفَاعِلَةَ فِي مَادَّةِ الْعُمَرَانِ، إِنَّمَا هِيَ لِلْعَصَبِيَّةِ وَالشُّوْكَةِ، وَهِيَ مُسْتَمِرَّةٌ مَعَ أَشْخَاصِ الدَّوْلِ، فَإِذَا ذَهَبَتْ تِلْكَ الْعَصَبِيَّةُ وَدَفَعَتْهَا عَصَبِيَّةٌ أُخْرَى مُؤَثِّرَةٌ فِي الْعُمَرَانِ فَأَذْهَبَتْ أَهْلَ الشُّوْكَةِ بِأَجْمَعِهِمْ، عَظُمَ الْحَلُّ كَمَا قَرَّرْنَاهُ أَوَّلًا.

والله قادر على ما يشاء ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ [سورة إبراهيم، الآيتان 19، 20].

## 20 • فصل، في اختصاص بعض الأمصار ببعض الصنائع دون بعض

وذلك أنه من البين أن أعمال أهل المضر يستدعي بعضها بعضاً لما في طبيعة العمران من التعاون . وما يستدعي من الأعمال يختص ببعض أهل المضر ،  
5 فيقومون عليه، ويستبصرون في صناعته ويختصون بوظيفته، ويجعلون معاشهم فيه ورزقهم منه، لعموم البلوى به في المضر والحاجة إليه. وما لا يستدعي في المضر يكون عفوياً، إذ لا فائدة لمنتجها في الاعتراف به. وما يستدعي من ذلك لضرورة المعاش فيوجد في كل مضر، كالحياط والحداد والنجار وأمثالها. وما يستدعي لعوائد الترف وأحواله، فإنما يوجد في المدن المستبشرة في العمارة، الآخذة في عوائد الترف  
10 والحضارة، مثل: الزجاج، والصانع، والدهان، والطباخ، والصفار، والسفاج، والهراس، والدباج، وأمثال هذه. وهي متفاوتة. وبقدر ما تزيد عوائد الحضارة وتستدعي أحوال الترف تحدث صنائع لذلك النوع، فيوجد لذلك المضر دون غيره. ومن هذا الباب الحمامات ، لأنها إنما توجد في الأمصار المستحضرة المستبشرة العمران ، لما  
15 يدعو إليه الترف والغنى من التمتع. ولذلك لا تكون في المدن المتوسطة، وإن نزع بعض الملوك والرؤساء إليه فيختطها ويجري أحوالها. إلا أنها إذا لم تكن لها داعية من كافة الناس، فسرعان ما تهجر وتخرّب، ويفر عنها القومة لقلّة فائدتهم ومعاشهم منها. ﴿وَاللَّهُ يَقِضُ وَيَبْصُطُ﴾ [سورة البقرة، من الآية 245].

## 21 \* / فصل ، في وجود العصبية في الأمصار وتغلب بعضهم على بعض

من البين أن الالتحام والاتصال موجود في طباع البشر، وإن لم يكونوا أهل نسب واحد . إلا أنه، كما قدمناه ، أضعف مما يكون بالنسب، وأنه تحصل به العصبية بعضاً مما تحصل بالنسب. وأهل الأمصار كثير منهم ملتحمون بالصهر، 5 يجذب بعضهم بعضاً إلى أن يكونوا لحماً لحماً وقرابة قرابة. وتجذب بينهم من الصداقة والعداوة ما يكون بين القبائل والعشائر مثله، فيفترقون شيعاً وعصائب. فإذا نزل الهرم بالدولة وتقلص الملك عن القاصية، احتاج أهل أمصارها إلى القيام على أمرهم والنظر في حماية بلادهم، ورجعوا إلى الشورى وتميز العلية عن السفلة. والتفوش بطباعها متطاولاً إلى الغلب والرياسة، فتطمع المشيخة - لخلاء الجو من السلطان 10 والدولة القاهرة - إلى الاستبداد، وينازع كل صاحبه. ويستوصلون بالأتباع من الموالي والشيع والأخلاف، ويتدلون ما في أيديهم للأوغاد والأوشاب، فيعضون صب كل صاحبه، ويتعن الغلب لبعضهم، فيعطف على أكفائه ليغض من أعينهم، ويتبعهم بالقتل أو التغريب، حتى يخضد منهم الشوكات النافذة، ويقلم الأظفار الحادشة، ويستبد بمصره أجمع ، ويرى أنه قد استحدث ملكاً يورثه عقبه . فيحدث في ذلك 15 الملك الأصغر ما يحدث في الملك الأعظم<sup>(1)</sup> من عوارض الجدة والهرم. وربما يسمو بعض هؤلاء إلى منازع الملوك الأعظم، أصحاب القبائل والعشائر والعصبيات والزخرف والحروب والأقطار والممالك؛ فينتحلون من الجلوس على السرير، واتخاذ

(1) ج: الأكبر .

الآلة، وإعداد المراكب للسَّير في أقطار البلد، والتَّخْتُم، والتَّحِيَّة والخطاب بالتهويل، ما يَشْخَرُ منه من يشاهد أحوالهم، لما اتَّحلَّوه من شارات الملوك التي لَينسوا لها بأهل. إِنَّا دَفَعَهُمْ إِلَى ذَلِكَ تَقْلُصَ الدَّوْلَةُ، والتَّحَامُ بَعْضُ الْقَرَابَاتِ حَتَّى صَارَتْ عَصَبِيَّةً. وَقَدْ يَتَنَزَّهُ بَعْضُهُمْ عَنْ ذَلِكَ وَيَجْرِي عَلَى مَذَاهِبِ السَّدَاجَةِ فِرَاراً مِنْ

[260ب] التَّغْرِيبُ / بِنَفْسِهِ [لِلشُّخْرِيَّةِ] <sup>(أ)</sup> وَالْعَبَثُ. 5

وَقَعَ هَذَا بِإِفْرِيقِيَّةَ لِهَذَا الْعَهْدِ فِي آخِرِ الدَّوْلَةِ الْحَفْصِيَّةِ لِأَهْلِ بِلَادِ الْجَرِيدِ، مِنْ طَرَابُلُسَ وَقَابِسَ وَتَوَزَّرَ وَنُقْطَه وَقَفْصَه وَبَسْكَرَةَ وَالزَّابَ وَمَا إِلَى ذَلِكَ، سَمَّوْا إِلَى مِثْلِهَا عِنْدَ تَقْلُصِ ظِلِّ الدَّوْلَةِ عَنْهُمْ مُنْذُ عُقُودِ مِنَ السَّنِينَ. فَاسْتَعْلَبُوا عَلَى أَمْصَارِهِمْ، وَاسْتَبَدُّوا بِأَمْرِهَا عَلَى الدَّوْلَةِ فِي الْأَحْكَامِ وَالْجَبَايَةِ، وَأَعْطَوْا طَاعَةً مَعْرُوفَةً وَصَفْقَةً [مُفْرَضَةً] <sup>(ب)</sup>، وَأَقْطَعُوهَا جَانِباً مِنَ الْمَلَايِنَةِ وَالْمَلَاظِفَةِ وَالْإِنْقِيَادِ، وَهُمْ بِمَغْزِلِ عَنْهُ. 10 وَأُورِثُوا ذَلِكَ أَغْقَابَهُمْ لِهَذَا الْعَهْدِ. وَحَدَّثَ فِي خَلْفِهِمْ مِنَ الْغِلْظَةِ وَالتَّجَبُّرِ مَا يَحْدُثُ لِأَغْقَابِ الْمُلُوكِ وَخَلْفِهِمْ، وَنَظَمُوا أَنْفُسَهُمْ فِي عِدَادِ السُّلَاطِينِ، عَلَى قُرْبِ عَهْدِهِمْ بِالسُّوْقَةِ.

وَقَدْ كَانَ مِثْلُ ذَلِكَ وَقَعَ فِي آخِرِ الدَّوْلَةِ الصُّنْهَاجِيَّةِ، وَاسْتَقَلَّ بِأَمْصَارِ الْجَرِيدِ أَهْلُهَا، وَاسْتَبَدُّوا عَلَى الدَّوْلَةِ، حَتَّى اسْتَرْعَ ذَلِكَ مِنْهُمْ شَيْخُ الْمُوَحِّدِينَ وَمَلِكُهُمْ، عَبْدُ 15 الْمُؤْمِنِ بْنِ عَلِيٍّ، وَنَقَلَهم كُلَّهُمْ مِنْ إِمَارَتِهِمْ بِهَا \* إِلَى الْمَغْرِبِ \* <sup>(ج)</sup>، وَمَحَا مِنْ تِلْكَ الْبِلَادِ أَثَارَهُمْ، كَمَا نَذَكُرُ فِي أَخْبَارِهِ.

(أ) فِي ع ج ي ظ الشُّخْرِيَاءِ، وَلَيْسَ بِصَحِيحٍ (ب) فِي ظ: مَرْوُضَةٌ (ج) سَقَطَ مَا بَيْنَ الْجَمْعَيْنِ مِنْ ي .

وكذلك وقع بسببته لآخر دولة بني عبد المؤمن.

وهذا التغلب يكون غالباً في أهل السروات والبيوتات المرشحين للمشايخه والرياسة في المضر. وقد يحدث التغلب لبغض السفلة من الدهماء والغوغاء إذا حصلت له العصبية والاتحام بالأوغاد لأسباب يجبرها له المقدار ، فيغلب على المشيخة والعلية إذا كانوا فاقدين للعصاة. ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ﴾ [سورة يوسف، 5 من الآية 21].

## 22 \* فصل ، في لغات أهل الأمصار

اعلم أن لغات أهل الأمصار إنما تكون بلسان الأمة <sup>(أ)</sup> [أو] الجيل الغالين عليها أو <sup>(ب)</sup> المختطين لها. ولذلك <sup>(ج)</sup> كانت لغات الأمصار الإسلامية كلها بالمشرق والمغرب لهذا العهد عريّة ، وإن كان اللسان العربي المضرّي قد فسدت ملكته ، وتغير إغرائه.

والسبب في ذلك ما وقع للدولة الإسلامية من الغلب على الأمم . والدين والملة صورة للوجود والملك ، وكلها مواد له. والصورة مقدمة / على المادة، والدين <sup>[261 أ]</sup> إنما يستفاد من الشريعة ، وهي بلسان العرب ؛ لما أن النبي ﷺ عربي . فوجب هجر ما سوى اللسان العربي من الألسن في جميع ممالكها . واعتبر ذلك في نهى

(أ) في ط: والجيل (ب) في ط: و (ج) في ي: وكذلك.

عمر - رضي الله عنه - عن رطانة الأعاجم، وقال: إنها خبٌ. يعني: مَكْرٌ وخديعة<sup>(1)</sup>. فلما هجر الدين اللغات الأعجمية، وكان لسانُ القائمين بالدولة الإسلامية عربياً، هُجِرَتْ كُلُّهَا في جميع ممالكها، لأنَّ الناسَ تَبَعَ لِلسُّلْطَانِ وعلى دينه؛ فصار استعمالُ اللسانِ العربيِّ من شعائر الإسلام وطاعة العرب، وهَجَرَ الأُمَمُ لغاتهم وألَسَنَتْهم في جميع الأمصار والممالك، وصار اللسانُ العربيُّ لسانهم حتَّى رَسَخَ ذلك 5 لغةً في جميع أمصارهم ومُدُنهم، وصارت الألسُنُ [الأعجمية]<sup>(1)</sup> دخيلةً فيها وعربيةً. ثم فسَدَ اللسانُ العربيُّ بمخالطتها في بغض أحكامه وتغيُّر أواخره، وإن كان بقي في الدلالات على أصله. وسُمِّيَ لِسَاناً حَضَرِيّاً في جميع أمصار الإسلام.

وأيضاً، فأكثر الأمصار في المِلَّة لهذا العهد من أعقاب العرب، المالكين لها، الهالكين في تَرْفِها، بما كثروا العجمَ الذين كانوا بها، وورثوا أرضهم وديارهم. 10 واللغاتُ مُتَوَارِثَةٌ، فَبَقِيَتْ لغةُ الأعقابِ على حِيَالِ لغةِ الآباءِ، وإن فسدت أحكامها بمخالطة الأعجام شيئاً فشيئاً، وسُمِّيَتْ لُغَتُهُمْ حَضَرِيَّةً، منسوبةً إلى أهلِ الحواضرِ والأمصارِ، بخلافِ لغةِ البدو من العرب، فإنَّها كانت أعرق في العروبية.

ولمَّا تَمَلَّكَ العجمُ من الدِّينِ والسلجوقية بعدهم بالمشرق، وزناتة والبربرُ بالمغرب، وصار لهم الملكُ والاستيلاءُ على جميع الممالك الإسلامية، فسَدَ اللسانُ 15 العربيُّ لذلك، وكادَ يذهبُ، لولا ما حَفِظَهُ من عناية المسلمين بالكتاب والسنة

(1) من ع ج ي، وفي ظ: العجمية.

(1) المدونة 1: 63، المصنف لعبد الرزاق، حديث رقم (1609) والبيهقي في السنن الكبرى 9: 234.

اللذين بهما حُفِظَ الدِّينُ. وصارَ ذلك مُرَجَّحاً لِبَقَاءِ اللُّغَةِ الحَضَرِيَّةِ بِالْأُمُصَارِ عَرَبِيَّةً. فلَمَّا مَلَكَ الطُّطَرُ والمُغُلُّ<sup>(١)</sup> بِالْمَشْرِقِ، ولم يكونوا على دين الإسلام، ذَهَبَ ذلك المُرَجِّحُ، وفَسَدَتِ اللُّغَةُ العَرَبِيَّةُ على الإِطْلَاقِ، ولم يَتَّقِ لَهَا رَسْمٌ في المَمَالِكِ الإِسْلَامِيَّةِ، بِالْعِرَاقِ وَخُرَاسَانَ وَبِلَادِ فَارِسَ وَأَرْضِ الْهِنْدِ / والسُّنْدِ وما وراءَ النِّهْرِ و<sup>(ب)</sup> بِلَادِ [261ب] الشَّامِ وَبِلَادِ الرُّومِ . وَذَهَبَتْ أَسَالِيبُ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ مِنَ الشَّعْرِ والكَلَامِ ، إِلَّا قَلِيلاً 5 يَقَعُ<sup>(ج)</sup> تَعْلِيمُهُ صِنَاعِيّاً بِالْقَوَانِينِ الْمُتَدَارِسَةِ مِنْ عُلُومِ الْعَرَبِ وَحِفْظُ كَلَامِهِمْ لِمَنْ يَسَّرُهُ اللهُ لَذَلِكَ. وَرَبَّمَا بَقِيَتِ اللُّغَةُ العَرَبِيَّةُ الحَضَرِيَّةُ بِمَضَرَ وَالشَّامِ وَالْأَنْدَلُسِ وَالْمَغْرِبِ لِبَقَاءِ الدِّينِ طَالِباً لَهَا، فَانْحَفَظَتْ بَعْضُ<sup>(د)</sup> الشَّيْءِ. وَأَمَّا فِي مَمَالِكِ الْعِرَاقِ وَمَا وَرَاءَهُ، فَلَمْ يَتَّقِ لَهُ أَثَرٌ وَلَا عَيْنٌ ، حَتَّى أَنْ كُتِبَ الْعُلُومُ صَارَتْ تُكْتَبُ بِاللِّسَانِ الْعَجَمِيِّ ، وَكَذَا 10 تَدْرِيسُهُ فِي الْمَجَالِسِ. وَاللَّهُ مُقَدِّرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ.

(١) فِي ع: المَغُولُ (ب) فِي ظ: مِنْ (ج) ي: مَعَ (د) ي: بَعْضُ .



/ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

<sup>(١)</sup> وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت

الفصل الخامس \* من الكتاب الأول \* (ب)

(١) في ع ج: صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً، وفي ي: ربنا آتينا من لدنك رحمة، وهيئ لنا من أمرنا رشداً

(ب) من ع، وسقط من ط ي ج.



فِي الْمَعَاشِ وَوُجُوهِهِ مِنَ الْكَسْبِ وَالصَّنَائِعِ، وَمَا يُعْرِضُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ مِنَ  
الْأَحْوَالِ. وَفِيهِ مَسَائِلُ

1\* فَضْلٌ، فِي حَقِيقَةِ الرِّزْقِ وَالْكَسْبِ، وَشَرْحُهُمَا. وَأَنَّ الْكَسْبَ هُوَ قِيَمَةُ  
الْأَعْمَالِ الْبَشَرِيَّةِ

- اعْلَمْ أَنَّ الْإِنْسَانَ مُفْتَقِرٌ بِالطَّبْعِ إِلَى مَا يَقُوتهُ وَيَمُونُهُ فِي حَالَاتِهِ وَأَطْلُوه، مِنْ 5  
لَدُنْ نُشُوئِهِ إِلَى أَشَدِّهِ إِلَى<sup>(1)</sup> كِبَرِهِ. ﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾ [سورة محمد، مِنْ  
الآيَةِ 38]. وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ خَلَقَ جَمِيعَ مَا فِي الْعَالَمِ لِلْإِنْسَانِ وَأَمْتَنَ بِهِ [عَلَيْهِ]<sup>(ب)</sup> فِي غَيْرِ مَا  
آيَةٍ مِنْ كِتَابِهِ، فَقَالَ: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ﴾ [سورة  
الحاثية، مِنْ الْآيَةِ 13]، ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ [سورة إبراهيم، مِنْ الْآيَةِ 33]،  
و﴿سَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ﴾ [سورة الحاثية، مِنْ الْآيَةِ 12]، و﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ الْفُلْكَ﴾ [سورة 10  
إبراهيم، مِنْ الْآيَةِ 32]، وَسَخَّرَ لَكُمْ الْأَنْعَامَ<sup>(1)</sup>، وَكَثِيرٌ مِنْ شَوَاهِدِهِ. وَيَدُ الْإِنْسَانِ  
مَبْسُوطَةٌ عَلَى الْعَالَمِ وَمَا فِيهِ، بِمَا جَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنَ الِاسْتِخْلَافِ؛ وَأَيْدِي الْبَشَرِ  
مُنْتَشِرَةٌ، فَهِيَ مُشْتَرِكَةٌ فِي ذَلِكَ، وَمَا حَصَلَ عَلَيْهِ يَدُ هَذَا، أَمْتَنَ عَنِ الْآخِرِ إِلَّا بِعَوَضٍ.

(أ) فِي: ظ ع (ب) مِنْ ع، وَسَقَطَتْ مِنْ ظ ج ي (ج) فِي الْأَصُولِ كُلُّهَا بَدَأَ الْآيَةَ خَطَأً بِقَوْلِهِ: خَلَقَ.

(1) يُشِيرُ وَيُضَمِّنُ مَعْنَى مَا سَخَّرَهُ اللَّهُ لِلْإِنْسَانِ مِنَ الْأَنْعَامِ، ﴿وَمِنْ الْأَنْعَامِ حُمُولُهُ وَفَرَسُهُ﴾، [الْأَنْعَامِ،  
مِنْ الْآيَةِ 142]، ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ﴾ [الزَّخْرَفِ، مِنْ الْآيَةِ 12].

فالإنسان متى اقتدر على نفسه وتجاوزَ طَوْرَ الضُّعْفِ، سعى في اقتناء المكاسب لينفق ما آتاه الله منها في تحصيل حاجاته وضروراته بدفع الأعواض عنها. قال الله<sup>(١)</sup> تعالى : ﴿ فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ ﴾ [سورة العنكبوت ، من الآية 17].

5 وقد يحصل له ذلك بغير سعي، كالمطر المصلح للزراعة وأمثاله. إلا أنها إنما تكون معينة، ولا بد من سعيه معها كما يأتي. فتكون له تلك المكاسب معاشاً إن كانت بمقدار الضرورة والحاجة، ورياشاً ومتمولاً إن زادت على ذلك. ثم إن ذلك الحاصل أو المقتنى، إن عادت منفعته على العبد، وحصلت له ثمرته من إنفاقه في مصلحته وحاجاته، سمي رزقاً. قال ﷺ<sup>(١)</sup>: "إِنَّا لَكُ مِنْ مَالِكٍ مَا أَكَلْتَ فَأَفْتَيْتَ، 10 أَوْ لَبِئْتَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ". وإن لم ينتفع به في شيء من مصلحته ولا حاجاته فلا يسمى رزقاً. والمتملك منه حينئذ بسعي العبد وقدرته يسمى كسباً. وهذا مثل التراث، فإنه يسمى بالنسبة إلى الهالك كسباً ولا يسمى رزقاً، إذ لم يحصل له به منتفع. وبالنسبة إلى الوارثين متى انتفعوا به يسمى رزقاً.

هذا حقيقة مسمى الرزق عند أهل السنة. / وقد اشترط المغتزلة في تسميته [263] 15 رزقاً أن يكون بحيث يصح تملكه. وما لا يملك عندهم فلا<sup>(ب)</sup> يسمى رزقاً. وأخرجوا الغصوبات والحرام كله عن أن يسمى شيء منها رزقاً. والله تعالى يرزق

(١) في ظ وحدها (ب) ي: لا .

(1) قطعة من حديث قيس بن عاصم السعدي الذي أخرجه البخاري في الأدب المفرد رقم (953).

الغاصِبَ وَالظَّالِمَ، وَالْمُؤْمِنَ وَالْكَافِرَ، وَيَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ وَهُدَايَتِهِ مَنْ يَشَاءُ. وَلَهُمْ فِي ذَلِكَ حُجَجٌ لَيْسَ هَذَا مَوْضِعَ بَسْطِهَا.

ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ الْكَسْبَ إِنَّمَا يَكُونُ بِالسَّعْيِ فِي الْاِقْتِنَاءِ وَالْقَصْدِ إِلَى التَّخْصِيلِ. فَلَا بُدَّ فِي الرِّزْقِ مِنْ سَعْيٍ وَعَمَلٍ، وَلَوْ فِي تَسَاوُلِهِ وَابْتِغَائِهِ مِنْ وُجُوهِهِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ﴾ [سورة العنكبوت، من الآية 17]. وَالسَّعْيُ إِلَيْهِ إِنَّمَا يَكُونُ 5 بِأَقْدَارِ اللَّهِ تَعَالَى وَالْهَامِهِ، فَالْكُلُّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ. فَلَا بُدَّ مِنَ الْأَعْمَالِ الْإِنْسَانِيَّةِ فِي كُلِّ مَكْسُوبٍ وَمُتَمَوِّلٍ. لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ عَمَلًا بِنَفْسِهِ مِثْلَ الصَّنَائِعِ، فَظَاهِرٌ، وَإِنْ كَانَ مُقْتَنًى مِنْ الْحَيَوَانِ أَوْ النَّبَاتِ أَوْ الْمَعْدِنِ، فَلَا بُدَّ فِيهِ مِنَ الْعَمَلِ الْإِنْسَانِيِّ، كَمَا تَرَاهُ، وَإِلَّا لَمْ يَحْضَلْ وَلَمْ يَقَعْ بِهِ انْتِفَاعٌ.

ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ سَبَحَانَهُ خَلَقَ الْحَجَرَيْنِ الْمَعْدِنَيْنِ<sup>(أ)</sup> مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ قِيمَةً لِكُلِّ 10 مُتَمَوِّلٍ، وَهِيَ الذَّخِيرَةُ وَالْقِنْيَةُ لِأَهْلِ الْعَالَمِ فِي الْغَالِبِ. وَإِنْ اقْتَنَيْ سِوَاهُمَا فِي بَعْضِ الْأَخْيَانِ، فَإِنَّمَا هُوَ لِقَصْدِ تَحْصِيلِهَا بِمَا يَقَعُ فِي غَيْرِهَا مِنْ حَوَالَةِ الْأَسْوَاقِ الَّتِي هُمَا عَنْهَا بِمَعْزَلٍ، فَهُمَا أَصْلُ الْمَكْسَبِ وَالْقِنْيَةِ وَالذَّخِيرَةِ.

وَإِذَا تَقَرَّرَ هَذَا كُلُّهُ، فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُفِيدُهُ الْإِنْسَانُ وَيُقْتَنِيهِ مِنَ الْمُتَمَوِّلَاتِ، إِنْ كَانَ 15 مِنَ الصَّنَائِعِ، فَالْمُفَادُ الْمُقْتَنَى مِنْهُ [هُوَ]<sup>(ب)</sup> قِيمَةُ عَمَلِهِ، وَهُوَ الْقَصْدُ بِالْقِنْيَةِ، إِذْ لَيْسَ هُنَاكَ إِلَّا الْعَمَلُ، وَلَيْسَ بِمَقْصُودٍ<sup>(ج)</sup> بِنَفْسِهِ لِلْقِنْيَةِ. وَقَدْ يَكُونُ مَعَ الصَّنَائِعِ فِي بَعْضِهَا غَيْرُهَا، مِثْلُ التَّجَارَةِ وَالْحَيَاكَةِ مَعَهَا الْحَشَبُ وَالْعَزْلُ، إِلَّا أَنَّ الْعَمَلَ فِيهَا أَكْثَرُ، فَقِيمَتُهُ

(أ) فِي ع ي: الْمَعْدِنَيْنِ (ب) مِنْ ع وَحْدَهَا (ج) ي: فِي نَفْسِهِ.

أَكْثَرُ. وَإِنْ كَانَ مِنْ غَيْرِ الصَّنَائِعِ، فَلَا بُدَّ فِي قِيَمَةِ ذَلِكَ الْمَفَادِ وَالْقِيَمَةِ مِنْ دُخُولِ قِيَمَةِ الْعَمَلِ الَّذِي حَصَلَتْ [بِهِ] <sup>(أ)</sup>، إِذْ لَوْلَا الْعَمَلُ لَمْ تَحْصُلْ قِيَمَتُهَا. وَقَدْ تَكُونُ مِلَاحَظَةُ الْعَمَلِ ظَاهِرَةً فِي الْكَثِيرِ مِنْهَا، فَتَجْعَلُ لَهُ حِصَّةً مِنَ الْقِيَمَةِ، عَظُمَتْ أَوْ صَغُرَتْ. وَقَدْ تَخْفَى مِلَاحَظَةُ الْعَمَلِ، كَمَا فِي أَسْعَارِ الْأَقْوَاتِ بَيْنَ النَّاسِ؛ فَإِنَّ اعْتِبَارَ الْأَعْمَالِ وَالتَّفَقُّاتِ فِيهَا مِلَاحَظَةٌ <sup>(ب)</sup> فِي أَسْعَارِ الْحُبُوبِ، كَمَا قَدَّمْنَاهُ، لَكِنَّهُ خَفِيَ فِي الْأَفْطَارِ الَّتِي عِلَاجُ الْفَلَحِ / فِيهَا وَمَوْثِقَتُهُ يَسِيرَةٌ، فَلَا يَشْعُرُ بِهِ إِلَّا الْقَلِيلُ مِنْ أَهْلِ الْفَلَحِ.

[263ب]

فَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّ الْمَفَادَاتِ وَالْمُكْتَسَبَاتِ كُلَّهَا أَوْ أَكْثَرُهَا إِنَّمَا هِيَ قِيَمُ الْأَعْمَالِ الْإِنْسَانِيَّةِ، وَتَبَيَّنَ مُسَمَّى الرِّزْقِ، وَأَنَّهُ الْمُشْتَفَعُ بِهِ. فَقَدْ بَانَ مَعْنَى الْكَسْبِ وَالرِّزْقِ وَشَرَحُ مُسَمَّاهُمَا.

وَاعْلَمْ أَنَّهُ إِذَا فُقِدَتِ الْأَعْمَالُ أَوْ قَلَّتْ بَانَتْ قَاصِ <sup>(ج)</sup> الْعُمْرَانِ، تَأَذَّنَ اللَّهُ بِرَفْعِ الْكَسْبِ. أَلَا تَرَى إِلَى الْأَمْصَارِ الْقَلِيلَةِ السَّاكِنِ كَيْفَ يَقِلُّ الرِّزْقُ وَالْكَسْبُ فِيهَا، أَوْ يُفْقَدُ، لِقَلَّةِ الْأَعْمَالِ الْإِنْسَانِيَّةِ. وَكَذَلِكَ الْأَمْصَارُ الَّتِي تَكُونُ أَعْمَالُهَا أَكْثَرُ، يَكُونُ أَهْلُهَا أَوْسَعَ أَحْوَالاً وَأَشَدَّ رِفَاهِيَةً، كَمَا قَدَّمْنَاهُ قَبْلَ. وَمِنْ هَذَا الْبَابِ تَقُولُ الْعَامَّةُ فِي الْبِلَادِ <sup>(د)</sup> إِذَا تَنَاقَصَ عُمْرَانُهَا: قَدْ ذَهَبَ رِزْقُهَا. حَتَّى أَنَّ الْعُيُونَ وَالْأَنْهَارَ يَنْقَطِعُ جَزْيُهَا فِي الْقَفْرِ، لَمَّا أَنَّ فَوْزَ الْعُيُونَ إِنَّمَا يَكُونُ بِالْإِنْبَاطِ وَالْإِمْتِرَاءِ الَّذِي هُوَ الْعَمَلُ الْإِنْسَانِي، كَالْحَالِ فِي ضُرُوعِ الْأَنْعَامِ، فَمَا لَمْ يَكُنْ امْتِرَاءٌ وَلَا إِنْبَاطٌ نَضَبَتْ وَغَارَتْ

(أ) سَفَطٌ مِنْ ط (ب) ع: بِمِلَاحَظَةٍ (ج) ي: بَانَتْ قَاصِ (د) فِي ع: الْبِلَادِ.

بالجملة، كما يحفّ الضرع إذا ترك امتراؤه. وانظره في البلاد التي تعهد فيها العيون  
لأيام عمرانها ثم يأتي عليها الخراب، كيف تغور مياهها جملة كأن لم تكن. والله مقدر  
الليل والنهار.

## 2 \* فصل، في وجوه المعاش وأصنافه ومذاهبه

اعلم أن المعاش هو عبارة عن ابتغاء الرزق والسعي في تحصيله. وهو مفعول 5  
من العيش، [كأنه لما كان العيش]<sup>(1)</sup> الذي هو الحياة لا يحصل إلا بهذه، جعلت  
موضعا له على طريق المبالغة.

ثم إن تحصيل الرزق وكسبه، إما أن يكون بأخذه من يد الغير واثراعه  
بالاقتدار عليه على قانون متعارف، ويسمى مغرماً وجباية. وإما أن يكون من  
الحيوان الوحشي باقتراسه وأخذه برمييه من البر أو البحر، ويسمى اضطياداً. وإما 10  
أن يكون من الحيوان الداجن باستخراج فضوله المتصرف بين<sup>(ب)</sup> الناس في  
منافعهم، كاللبن من الأنعام، والحري من دوده، والقسل من نخله. أو يكون من  
النبات في الزرع والشجر بالقيام عليه وإعداده لاستخراج ثمرته، [و]<sup>(ج)</sup> يسمى  
هذا كله فلحاً. وإما أن يكون الكسب من الأعمال الإنسانية، إما / في مواد 264  
بعينها، وتسمى الصنائع، من كتابة، ونجارة، وخياطة، وحياكة، وفروسيّة، وأمثال 15  
ذلك، أو في مواد غير معيّنة، وهي جميع الامتهانات والتصرفات. وإما أن يكون

(1) من ع، وسقط من ظ (ب) ع: من (ج) من: ج ي .

الكسب من البضائع وإعدادها للأغراض، إمّا بالتقلب بها في البلاد، أو اختكارها وارتقاب حوالة الأسواق فيها، ويُسمّى هذا تجارة.

فهذه<sup>(1)</sup> وجوه المعاش وأصنافه. وهي معنى ما ذكره المحققون من أهل الأدب والحكمة، كالحريّ<sup>(1)</sup> وغيره. قالوا: المعاش: إمارة، وتجارة، وفلاحة، وصناعة. فأما الإمارة فليست بمذهب طبيعي للمعاش. فلا حاجة بنا إلى ذكرها. 5 وقد تقدّم شيء من أحوال الجبايات السلطانية وأهلها في الفصل الثاني.

وأما الفلاحة والصناعة والتجارة، فهي وجوه طبيعية للمعاش. أمّا الفلاحة فهي مُتَقَدِّمة عليها كلّها بالذات، إذ هي بسيطة وطبيعية [وفطرية]<sup>(ب)</sup> لا تحتاج إلى نظر ولا إلى علم. ولهذا<sup>(ج)</sup> تُنسب في الخليقة إلى آدم، أبي<sup>(د)</sup> البشر، وأنه مُعَلِّمُهَا والقائم عليها، إشارة إلى أنّها أقدم وجوه المعاش وأنسبها إلى الطبيعة. 10

وأما الصنائع، فهي ثانیةا ومتأخّرة عنها، لأنها مركّبة وعلميّة تُصَرَّف فيها الأفكار والأنظار. ولهذا لا توجد غالباً إلا في أهل الحضرة الذي هو متأخّر عن البدو وثان عنه. ومن هذا المعنى نُسِبَت إلى إدريس، الأب الثاني للخليقة، فإنه مُسْتَبْطِئُهَا لمن بغده من البشر بالوحي من الله تعالى.

(أ) ج: هذه (ب) من ع وسقطت من ظ ج ي (ج) ي: وإلى هذا (د) جاءت في الأصول الأربعة: أبو .

(1) ذكر ذلك في المقامة الساسانية (رقم 49) قال: جرّبت حقائق الأمور، وتلّوت تصاريّف الدهور، فرأيت المَرءَ بنسبه، لا بنسبه، والفخص عن مكسبه، لا عن حسبه، وكنت سمعت أن المعاش: إمارة، وتجارة، وزراعة، وصناعة. (المقامات 405 صادر- بيروت 1987)، شرح المقامات للشريشي 5: 326 (تحقيق أبو الفضل إبراهيم. القاهرة 1976) .



وأما التَّجَارَةُ، وإنْ كَانَتْ طَبِيعِيَّةً فِي الْكَسْبِ، فَلَا أَكْثَرَ مِنْ طَرَقِهَا وَمَذَاهِبِهَا إِنَّمَا هِيَ تَحْيَلَاتٌ فِي الْحَصُولِ عَلَى مَا بَيْنَ الْقِيَمَتَيْنِ فِي الشِّرَاءِ وَالْبَيْعِ، لِتَحْصُلِ فَائِدَةٍ الْكَسْبِ مِنْ تِلْكَ الْفَضْلَةِ. وَلِذَلِكَ أَبَاحَ الشَّرْعُ فِيهِ الْمَكَايَسَةَ لِمَا أَنَّهُ مِنْ بَابِ الْمُقَامَرَةِ، إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ أَخْذًا لِلْمَالِ مِنَ الْغَيْرِ مَجَانًا. فَلهَذَا اخْتَصَّ بِالْمَشْرُوعِيَّةِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

5

### 3 • فَضْلٌ، فِي أَنَّ الْحِدْمَةَ لَيْسَتْ مِنَ الْمَعَاشِ الطَّبِيعِيِّ

أَمَّا السُّلْطَانُ، فَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ اتِّخَاذِ الْحِدْمَةِ فِي سَائِرِ أَبْوَابِ الْإِمَارَةِ وَالْمُلْكِ الَّذِي هُوَ بِسَبِيلِهِ، مِنَ الْجُنْدِيِّ وَالشَّرْطِيِّ وَالْكَاتِبِ. وَيَسْتَكْفِي فِي كُلِّ بَابٍ / بِمَنْ يَعْلَمُ غِنَاءَهُ فِيهِ، وَيَتَكَفَّلُ بِأَرْزَاقِهِمْ مِنْ بَيْتِ مَالِهِ. وَهَذَا كُلُّهُ مُنْدرِجٌ فِي الْإِمَارَةِ وَمَعَاشِهَا، إِذْ كُلُّهُمْ يَتَسَحَّبُ عَلَيْهِمْ حُكْمُ الْإِمَارَةِ، وَالْمُلْكُ الْأَعْظَمُ هُوَ يَنْبُوعُ جَدَاوِلِهِمْ.

[264ب]

10

وَأَمَّا مَا دُونَ ذَلِكَ مِنَ الْحِدْمَةِ، فَسَبَبُهَا أَنَّ أَكْثَرَ الْمُتَرَفِّينَ يَتَرَفَّعُ عَنْ مُبَاشَرَةِ حَاجَاتِهِ، أَوْ يَكُونُ عَاجِزًا عَنْهَا لِمَا رَبَّى عَلَيْهِ مِنْ خُلُقِ التَّنَعُّمِ وَالتَّرَفِّ، فَيَتَّخِذُ مَنْ يَتَوَلَّى ذَلِكَ لَهُ، وَيَقْطَعُهُ عَلَيْهِ أَجْرًا مِنْ مَالِهِ. وَهَذِهِ الْحَالَةُ غَيْرُ مَحْمُودَةٍ بِحَسَبِ الرَّجُولَةِ الطَّبِيعِيَّةِ لِلْإِنْسَانِ؛ إِذِ الثَّقَةُ بِكُلِّ أَحَدٍ عَجْزٌ، وَلِأَنَّهَا تَزِيدُ فِي الْوِظَائِفِ وَالخَرْجِ، وَتُدُلُّ عَلَى الْعَجْزِ وَالْحَنَثِ الَّذِي يَنْبَغِي فِي مَذَاهِبِ الرَّجُولَةِ التَّنَزُّهُ عَنْهَا. إِلَّا أَنَّ الْعَوَائِدَ [تَقْلِبُ] <sup>(1)</sup> طِبَاعَ الْإِنْسَانِ إِلَى مَأْلُوفِهَا. فَهُوَ ابْنُ عَوَائِدِهِ لَا ابْنُ نَسَبِهِ.

15

(1) من ع، وفي ط ج ي: تَقْلِبُ.

ومع ذلك، فالخديم الذي يُستكفى به ويُوثق بغنائه كالمفقود. إذ الخديم القائم بذلك لا يعدو أربع حالات: إما مُضطلع بأمره موثوق فيما يحصل بيده، وإما بالعكس فيها، وهو أن يكون غير مُضطلع بأمره ولا موثوق فيما يحصل بيده، وإما بالعكس في إحداهما فقط، مثل أن يكون مُضطلعاً غير موثوق، أو موثقاً غير مُضطلع. فأما الأول، وهو المُضطلع الموثوق، فلا يمكن أحداً استعماله بوجه، إذ 5 هو باضطراره وثقته غني عن أهل الرتب الدنيا، ومختبر لمنال الأجر من الخدمة لاقتداره على أكثر من ذلك. فلا يستعمله إلا الأمراء أهل الجاه العريض، لعموم الحاجة إلى الجاه. وأما الصنف الثاني، وهو من ليس بمُضطلع ولا موثوق، فلا ينبغي لعقل استعماله، لأنه مُجحف بمخدومه في الأمرين معاً. فيُضيع عليه بعدم الاضطرار تارة، ويذهب ماله بالخيانة أخرى، فهو كل على مولاه. فهذان الصنفان لا يطمع أحد 10 في استعمالهما. ولم يبق إلا استعمال الصنفين الآخرين: موثوق غير مُضطلع، ومُضطلع غير موثوق. وللتاس في الترجيح بينهما مذهبان، ولكل من الترجيحين وجه. إلا أن المُضطلع ولو كان غير موثوق / أَرَجَحُ، لأنه يؤمن من تضييعه ويُحاول على التحرر من خيانتِه جُهد الاستِطاعة. وأما المُضيع ولو كان مأموناً، فضرره بالتضييع أكثر من نفعه. فاعلم ذلك واتخذ قانوناً في الاستِكفاء بالخدمة. والله قادر على ما 15 يشاء.

#### 4 • فصل، في أن ابتغاء الأموال من الدفائن والكُنُوم ليس بمعاشٍ طبيعيٍّ

اعلم أن كثيراً من ضُعفاء العقول في الأمصار يحرصون على استخراج الأموال من تحت الأرض، يبتغون الكسب من ذلك، ويعتقدون أن أموال الأمم السالفة مختزنة كلها تحت الأرض، مختوم عليها بطلاسم سحرية لا يقص ختامها ذلك إلا من عثر على علمه<sup>(1)</sup>، واستحضر ما يحله من البخور والدعاء والقربان.

فأهل الأمصار بإفريقية، يرون أن الإفرنجة الذين كانوا بها قبل الإسلام دفنوا أموالهم كذلك، وأودعوها في الصحف بالكتاب إلى أن يجدوا السبيل إلى استخراجها. وأهل الأمصار بالمشرق يرون مثل ذلك في أمم القبط والروم والفرس، ويتناقلون ذلك في أحاديث تشبه حديث خرافة، من انتهاء بعض الطالبين لذلك إلى حفر موضع المال ممن لم يعرف طليسمه ولا خبره، فيجدونه خلواً أو معموراً بالديدان، أو يُشارف الأموال والجواهر موضوعة والحرس دونها منتضين سيوفهم، أو تמיד به الأرض حتى يظنه خسفاً، أو مثل ذلك من الهذر.

وتجد كثيراً من طلبة البربر بالمغرب، العاجزين عن المعاش الطبيعي وأسبابه، يتقربون إلى أهل الدنيا بالأوراق المتخرمة الحواشي، إمّا بخطوط أعجمية، أو بما تُرجم بزعمهم منها من خطوط أهل الدفائن، بإعطاء الأمارات عليها في أماكنها، يبتغون بذلك الرزق منهم، بما يبعثونهم على الحفر والطلب، ويموّهون عليهم بأنه إنما حملهم على الاستعانة بهم طلب الجاه في مثل هذا من منال الحكام والعقوبات.

(1) ج: عمله .

وَرُبَّمَا تَكُونُ عِنْدَ بَعْضِهِمْ نَادِرَةً أَوْ غَيْبَةً مِنَ الْأَعْمَالِ السَّخَرِيَّةِ يُمَوِّهُ بِهَا عَلَى تَصْدِيقِ مَا بَقِيَ / مِنْ دَعْوَاهُ ، وَهُوَ بِمَغْزِلٍ عَنِ السَّخَرِ وَطُرُقِهِ ؛ فَيُؤَلِّغُ الْكَثِيرَ مِنْ ضُعْفَاءِ الْعُقُولِ بِجَمْعِ الْأَيْدِي عَلَى الْإِخْتِفَارِ ، وَالتَّسْتُرِ فِيهِ بِظُلُمَاتِ اللَّيْلِ مَخَافَةَ الرُّقْبَاءِ وَغَيُونِ أَهْلِ الدَّوَلِ<sup>(١)</sup> . فَإِذَا لَمْ يَغْتُرُوا عَلَى شَيْءٍ رَدُّوا ذَلِكَ إِلَى الْجَهْلِ بِالطَّلَسْمِ الَّذِي خُتِمَ بِهِ عَلَى ذَلِكَ الْمَالِ ، يُخَادِعُونَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ عَنْ إِخْفَاقِ مَطَامِعِهِمْ . 5

وَالَّذِي يَحْمِلُ عَلَى ذَلِكَ فِي الْغَالِبِ ، زِيَادَةُ عَلَى ضَعْفِ الْعَقْلِ ، إِنَّمَا هُوَ الْعَجْزُ عَنْ طَلَبِ الْمَعَاشِ بِالْوُجُوهِ الطَّبِيعِيَّةِ لِلْكَسْبِ مِنَ التَّجَارَةِ ، وَالْفَلْحِ ، وَالصَّنَاعَةِ . فَيُظَلِّبُونَهُ بِالْوُجُوهِ الْمُنْحَرِفَةِ ، وَعَلَى غَيْرِ الْوَجْهِ الطَّبِيعِيِّ مِنْ هَذَا وَأَمْثَالِهِ ، عَجْزاً عَنْ السَّعْيِ فِي الْمَكَاسِبِ ، وَرُكُوناً إِلَى تَنَاوُلِ الرِّزْقِ مِنْ غَيْرِ تَعَبٍ وَلَا نَصَبٍ فِي تَحْصِيلِهِ وَاكْتِسَابِهِ . 10 وَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ يُوقِعُونَ أَنْفُسَهُمْ بِإِبْتِغَاءِ ذَلِكَ ، مِنْ غَيْرِ وَجْهِهِ ، فِي نَصَبٍ وَمَتَاعِبٍ وَجُحْدٍ شَدِيدٍ أَشَدَّ مِنَ الْأَوَّلِ ، وَيُعَرِّضُونَ أَنْفُسَهُمْ - مَعَ ذَلِكَ - لِمَنَالِ الْعُقُوبَاتِ .

وَرُبَّمَا يَحْمِلُ - فِي الْأَكْثَرِ - عَلَى ذَلِكَ ، زِيَادَةُ التَّرَفِ وَعَوَائِدُهُ ، وَخُرُوجُهَا عَنْ حَدِّ النِّهَايَةِ حَتَّى تَقْصُرَ عَنْهَا وَجُوهُ الْكَسْبِ وَمَذَاهِبُهُ ، وَلَا تَقِي بِمَطَالِبِهَا . فَإِذَا عَجَزَ لَهُ الْكَسْبُ بِالْمَجْرَى الطَّبِيعِيِّ ، لَمْ يَجِدْ وَلِيَجَّةً فِي نَفْسِهِ إِلَّا التَّمَتِّيَ لَوْجُودِ الْمَالِ الْعَظِيمِ 15 دَفْعَةً مِنْ غَيْرِ كُلْفَةٍ ، لِيَفِي لَهُ ذَلِكَ بِالْعَوَائِدِ الَّتِي حَصَلَ فِي أَشْرَافِهَا ، فَيَخْرُصُ عَلَى ابْتِغَاءِ ذَلِكَ وَيَسْعَى فِيهِ جُحْدَهُ . وَلِهَذَا ، أَكْثَرُ مَنْ تَرَاهُمْ يَخْرِصُونَ عَلَى ذَلِكَ هُمْ

(١) ج: الدولة .

الْمُتَرْفُونَ مِنْ أَهْلِ الدُّوَلِ، وَمِنْ سُكَّانِ الْأَمْصَارِ الْكَثِيرَةِ التَّرَفِ، الْمَتَّسِعَةِ الْأَحْوَالِ،  
مِثْلَ مِصْرَ وَمَا فِي مَغْنَاهَا، تَجِدُ الْكَثِيرَ مِنْهُمْ مُغْرَمِينَ بِابْتِغَاءِ ذَلِكَ وَتَحْصِيلِهِ، وَمُسَاءَلَةِ  
الرُّكْبَانِ عَنْ شَوَادِهِ، كَمَا يَحْرِصُونَ عَلَى الْكِيمَاءِ.

هَكَذَا يَتَلَفْنَا عَنْ أَهْلِ مِصْرَ فِي مُفَاوِضَةٍ مِنْ يَلْقَوْنَهُ مِنْ طَلَبَةِ الْمَغَارِبَةِ، لَعَلَّهُمْ  
يَعْتُورُونَ مِنْهُ عَلَى دَفِينٍ أَوْ كَنْزٍ . وَيَزِيدُونَ عَلَى <sup>(أ)</sup> ذَلِكَ الْبَحْثَ عَنْ تَغْوِيرِ الْمِيَاهِ،  
لَمَّا يَرَوْنَ أَنَّ غَالِبَ هَذِهِ الْأَمْوَالِ الدَّفِينَةِ كُلُّهَا فِي مَجَارِي النَّيْلِ، وَأَنَّهُ أَعْظَمُ مَا يَسْتُرُ  
دَفِيناً أَوْ مُخْتَرِئاً فِي تِلْكَ الْآفَاقِ . / وَيَمُوهُ عَلَيْهِمْ أَصْحَابُ تِلْكَ الدَّفَائِرِ الْمُسْتَفْعَلَةِ فِي  
الْإِعْتِدَارِ عَنِ الْوُصُولِ إِلَيْهَا بِجَرِيَةِ النَّيْلِ، تَسْتُرُ بِذَلِكَ مِنْ <sup>(ب)</sup> الْكَذِبِ، حَتَّى يَحْضَلَ  
عَلَى مَعَاشِهِ. فَيَحْرِصُ سَامِعُ ذَلِكَ مِنْهُمْ عَلَى نُضُوبِ الْمَاءِ بِالْأَعْمَالِ السَّخَرِيَّةِ لِتَحْصِيلِ  
مَا ابْتِغَاهُ مِنْ بَعْدِهِ، كَلَفاً بِشَأْنِ السَّخْرِ مُتَوَارِئاً فِي ذَلِكَ الْقَطْرِ عَنْ أَوْلِيهِمْ. فَعُلُومُهُمْ  
السَّخَرِيَّةُ وَآثَارُهَا بَاقِيَةٌ بِأَرْضِهِمْ فِي الْبَرَاءِ وَغَيْرِهَا، وَقِصَّةُ سَحَرَةِ فِرْعَوْنَ شَاهِدَةٌ  
بِاخْتِصَاصِهِمْ بِذَلِكَ.

وَقَدْ يَتَنَاوَلُ أَهْلُ الْمَغْرِبِ قَصِيدَةً يَنْسِبُونَهَا إِلَى حُكَمَاءِ الْمَشْرِقِ، يُعْطَى فِيهَا  
كَيْفِيَّةُ الْعَمَلِ فِي التَّغْوِيرِ <sup>(ج)</sup> بِصِنَاعَةِ سَحَرِيَّةٍ حَسْبَمَا تَرَاهُ فِيهَا، وَهِيَ: [مِنْ الْكَامِلِ]

يَا طَالِباً لِلسَّرِّ فِي التَّغْوِيرِ      اسْمَعْ كَلَامَ الصَّدَقِ مِنْ خَبِيرٍ <sup>(د)</sup>  
دَعْ عَنْكَ مَا قَدْ صَنَّفُوا فِي كُنْهِمِ      مِنْ قَوْلِ بُهْتَانٍ وَلَفْظِ غُرُورِ  
وَاسْمَعْ لَصِيقِ مَقَالَتِي وَنَصِيحَتِي      إِنْ كُنْتَ تَمُنُّ لَا يَرَى بِالزُّورِ

(أ) ع ي ج: إلى (ب) سقط من ي (ج) ي: بالتغوير (د) ورد هذا العجز هكذا على بحر الرجز .

فَإِذَا أَرَدْتَ تَعَوُّرَ الْبَيْرِ الَّتِي  
 صَوَّرَ كَصَوْرَتِكَ الَّتِي أَوْفَقْتَهَا  
 وَيَدَاهُ مَاسِكَتَانِ لِلْحَبْلِ الَّذِي  
 وَبَصْرُهُ هَاءٌ كَمَا عَايَنْتَهَا  
 وَيَطَا عَلَى الطَّائَاتِ غَيْرَ مُلَامِسٍ  
 وَيَكُونُ حَوْلَ الْكُلِّ خَطٌّ دَائِرٌ  
 وَادْبَحْ عَلَيْهِ الطَّيْرَ وَالطَّخْهُ بِهِ  
 بِالسَّنْدَرُوسِ وَبِالْلَّبَانِ وَمَايَعُهُ  
 مِنْ أَحْمَرٍ أَوْ أَصْفَرٍ لَا أَزْرَقٍ  
 وَيَشْدُهُ خِيَطَانُ صَوْفٍ أَيْضٍ  
 وَالطَّالِعُ الْأَسَدُ الَّذِي قَدْ يَتَنَوَا  
 وَالْبَدْرُ مُتَّصِلٌ بِسَعْدٍ عُطَارِدٍ

5

10

/ يَعْني تكونُ الطَّائَاتِ بَيْنَ قَدَمَيْهِ كَأَنَّهُ يَمْشِي عَلَيْهَا.

[266ب]

وَعِنْدِي ، أَنَّ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ مِنْ تَقْوِيَّاتِ الْمُمْخَرِقِينَ ، فَلَهُمْ فِي ذَلِكَ أَحْوَالٌ  
 غَرِيبَةٌ وَاصْطِلَاحَاتٌ عَجِيبَةٌ. وَتَنْتَهِي الْمَخْرَقَةُ وَالْكَذِبُ بِهِمْ إِلَى أَنْ يَسْكُنُوا الْمَنَازِلَ  
 الْمَشْهُورَةَ وَالْدُّورَ الْمَعْرُوفَةَ بِمِثْلِ هَذَا، وَيَخْتَفِرُونَ بِهَا الْحُفَرَ، وَيَضَعُونَ فِيهَا الْمَطَابِقَ  
 وَالشَّوَاهِدَ الَّتِي يَكْتُبُونَهَا فِي صَحَائِفٍ كَذِبِهِمْ، ثُمَّ يَقْصِدُونَ ضُعْفَاءَ الْعُقُولِ بِأَمْثَالِ هَذِهِ  
 الصَّحَائِفِ، وَيَبْعَثُونَهُ عَلَى أَكْثَرِ ذَلِكَ الْمَنْزِلِ وَسُكْنَاهُ، وَيُوهِمُونَهُ أَنَّ بِهِ دَفِينًا مِنَ الْمَالِ  
 لَا يُعْبَرُ عَنْ كَثْرَتِهِ، وَيُطَالِبُونَهُ بِالْمَالِ لِاشْتِرَاءِ الْعَقَاقِيرِ وَالْبُخُورَاتِ لِحُلِّ الطَّلَاسِمِ،

15

وَيَعْدُونَهُ بِظُهُورِ الشَّوَاهِدِ الَّتِي قَدْ أَعَدُّوْهَا هُنَاكَ بِأَنْفُسِهِمْ وَمِنْ فِعْلِهِمْ. فَيَنْبَغُ بِمَا يَرَاهُ مِنْ ذَلِكَ، وَهُوَ قَدْ خُدِعَ وَلَبَسَ عَلَيْهِ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُ. وَبَيْنَهُمْ فِي ذَلِكَ اضْطِلَاحٌ فِي كَلَامِهِمْ يَلْبَسُونَ بِهِ عَلَيْهِمْ، لَتَخْفَى عَنْهُمْ مُحَاوَرَتُهُمْ فِيمَا يَتَنَاوَلُونَهُ مِنْ حَفَرٍ، وَبُحُورٍ، وَذَبْحِ حَيَوَانٍ، وَأَمْثَالِ ذَلِكَ. وَأَمَّا الْكَلَامُ فِي ذَلِكَ - عَلَى الْحَقِيقَةِ - فَلَا أَضَلَّ لَهُ فِي عِلْمٍ وَلَا خَبَرٍ.

5

وَاعْلَمْ أَنَّ الْكُنُوزَ وَإِنْ كَانَتْ تَوْجَدُ، لَكُنْهَا فِي حُكْمِ النَّادِرِ وَعَلَى وَجْهِ الْإِتِّفَاقِ، لَا عَلَى وَجْهِ الْقَصْدِ إِلَيْهَا. وَلَيْسَ ذَلِكَ بِأَمْرٍ تَعْمُّ بِهِ الْبَلَوَى حَتَّى يَذْخَرَ النَّاسُ غَالِبًا أَمْوَالَهُمْ تَحْتَ الْأَرْضِ وَيَحْتَمُوا عَلَيْهَا بِالطَّلَاسِمِ، لَا فِي الْقَدِيمِ وَلَا فِي الْحَدِيثِ. وَالرَّكَازُ الَّذِي وَرَدَ<sup>(1)</sup> فِي الْحَدِيثِ<sup>(1)</sup> وَفَرَضَهُ الْفُقَهَاءُ، وَهُوَ دَفْنُ الْجَاهِلِيَّةِ، إِنَّمَا يَوْجَدُ بِالْعُشُورِ وَالْإِتِّفَاقِ، لَا بِالْقَصْدِ وَالطَّلَبِ. وَأَيْضًا فَمَنْ اخْتَزَنَ مَالَهُ وَخَتَمَ عَلَيْهِ بِالْأَعْمَالِ السَّحَرِيَّةِ فَقَدْ بَالَغَ فِي إِخْفَائِهِ، فَكَيْفَ يَنْصَبُ عَلَيْهِ الْأَدِلَّةُ وَالْأَمَارَاتُ لِمَنْ يَبْتَغِيهِ، وَيَكْتُبُ ذَلِكَ فِي الصَّحَائِفِ حَتَّى يَطَّلِعَ عَلَى ذَخِيرَتِهِ أَهْلُ الْأَعْصَارِ وَالْآفَاقِ؟ هَذَا يُنَاقِضُ قَصْدَ الْإِخْفَاءِ. وَأَيْضًا، فَأَفْعَالُ الْعُقْلَاءِ لَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ لَغَرَضٍ مَقْصُودٍ فِي الْإِسْتِفَاعِ؛ وَمَنْ اخْتَزَنَ الْمَالَ فَإِنَّمَا<sup>(ب)</sup> يَخْتَزِنُهُ لَوْلَدِهِ أَوْ قَرِيبِهِ أَوْ مَنْ يُؤَثِّرُهُ بِهِ، وَأَمَّا أَنْ يَقْصِدَ إِخْفَاءَهُ بِالْكَلْبِيَّةِ عَنْ كُلِّ أَحَدٍ، وَإِنَّمَا هُوَ لِلْبَلَى / وَالْهَلَاكِ، أَوْ لِمَنْ لَا يَعْرِفُهُ بِالْكَلْبِيَّةِ مِّنْ سَيِّئَاتِي مِنَ الْأُمَمِ، فَهَذَا لَيْسَ مِنْ مَقَاصِدِ الْعُقْلَاءِ بِوَجْهِهِ.

[267]

(1) ألحقت في حاشية ع وانطمس جزء منها (ب) ي: فإته .

(1) يريد حديث "وفي الرِّكَازِ الخمس"، وهو حديث أخرجه مالك في الموطأ (671) و (2541) برواية الليثي والبخاري (1499) و (2355) و (6912) و (6913) ومسلم (1710) من حديث أبي هريرة .

وأما قولهم: أين أموال الأمم من قبلنا وما علم فيها من الكثرة والوفور؟ فاعلم  
أن الأموال من الذهب والفضة والجواهر والأمتعة إنما هي معادن ومكاسب، مثل  
الحديد والنحاس والرصاص وسائر العقارات والمعادن، والعُمران يُظهرها بالأعمال  
الإنسانية ويزيد فيها أو يُنقصها. وما يوجد منها بأيدي الناس فهو مُتناقل مُتوارث،  
5 وربما انتقل من قطرٍ إلى قطرٍ ومن دولةٍ إلى [دولة] <sup>(أ)</sup> أخرى بحسب أغراضه <sup>(ب)</sup>  
والعُمران الذي يستدعيه. فإن نقص المال في المغرب وإفريقية، فلم ينقص في بلاد  
الصقلية والإفريقية. وإن نقص في مصر والشام، فلم ينقص في الهند والصين. وإنما  
هي آلات ومكاسب، والعُمران يُوفرها أو يُنقصها. مع أن المعادن يُدركها البلى كما  
يُدرك سائر الموجودات، ويُسرّع إلى اللؤلؤ والجواهر أعظم مما يُسرّع إلى غيره. وكذا  
10 الذهب والفضة والنحاس والحديد والرصاص والقصدير ينالها من البلى والفناء ما  
يذهب بأعيانها لأقرب وقت.

وأما ما وقع في مصر من أمر المطالب والكنوز، فسببه أن مصر كانت في  
ملكة القبط منذ [الْفَيْن اثْنَيْن] <sup>(ج)</sup> أو تزيد من السنين. وكان موتاهم يُدفنون  
بموجودهم من الذهب والفضة والجواهر واللائي على مذهب من تقدم من أهل  
الدول. فلما انقرضت دولة القبط، ومَلَكَ الفُرس بلادهم، نُقروا عن ذلك في قبورهم  
15 وكشفوا عنه. فأخذوا من قبورهم ما لا يوصف، كالأهرام من قبور الملوك وغيرها.  
وكذا فعل اليونانيون من بعدهم، وصارت قبورهم مَظِنَّةً لذلك لهذا العهد، ويُعثر

(أ) من ي (ب) من ط ج ي: وفي ع: أعراضه (ج) من ع، وفي ط ج ي: ألف .



[267ب] على الدّفين فيها في كثيرٍ من الأوقات. أمّا ما يدفنونه من أموالهم، أو ما يكرّمون به موتاهم في الدّفن من أوعية وتوابيت من الذهب والفضّة مُعدّة لذلك، / فصارت قبورُ القَيْط - منذ آلاف من السنين - مَظَنّة لوجود ذلك فيها واستخراجها. حتّى أنّهم حين ضُربتِ المكوش على الأصناف آخر الدّول، ضُربت على أهل المطالب، وصارت ضريبة على من يشتغل بذلك من الحفّاء والمهوسين. فوجد بذلك المتعاطون 5 له من أهل الأطماع الذريعة إلى الكشف عنه والزعم باستخراجه. وما حصلوا إلّا على الخيبة في جميع مساعيهم. نعوذ بالله من الخسران؛ فيحتاج من دُفع إلى شيء من هذا الوسواس أو البُشلي به، أن يتعوذ بالله من العجز والكسل في طلب معاشه، كما تعوّد رسول الله ﷺ<sup>(1)</sup> من ذلك، ويتصرف عن طُرُق الشيطان ووسواسه، ولا يشغل نفسه بالمحالات والكاذب من الحكايات. ﴿وَاللَّهُ يَرزُقُ مَنْ 10 يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [سورة البقرة، من الآية 212].

## 5 • فصل، في أن الجاه مفيد للمال

وذلك أنّنا نجدُ صاحب الجاه<sup>(1)</sup> والخطوة في جميع أصناف المعاش أكثر يساراً وثروة من فاقده الجاه. والسبب في ذلك أنّ صاحب الجاه مَخْدوم بالأعمال، يُتَقَرَّب بها إليه في سبيل التّزلف والحاجة إلى جاهه. فالتّاس مُعِينُونَ<sup>(ب)</sup> له بأعمالهم في جميع 15

(1) ي: المال (ب) ي ج: معنيون.

(1) أخرجه البخاريّ (2823) و (4707) و (6367) و (6371) ومسلم (2706) من حديث أنس بن مالك .

حاجاته، من ضروريّ أو حاجيّ أو كماليّ، فتَحْصُلُ قِيَمُ تلك الأعمال كلّها من كسبه. وجميع ما شأنه أن تُبدَلَ فيه الأعْوَاضُ من العمل، يَسْتَعْمِلُ فيها النَّاسُ من غيرِ عَوَضٍ، فَتَتَوَفَّرُ قِيَمُ تلك الأعمال عليه. فهو يَبْنِي قِيَمَ للأعمال يَكْتَسِبُها، وقِيَمَ أُخْرَى تَدْعُوهُ الضَّرُورَةُ إلى إِخْرَاجِهَا فَتَتَوَفَّرُ عليه. والأعمالُ لصاحبِ الجاهِ كثيرةٌ، 5 فيفيدُ الغنى لأقربِ وقتٍ، ويزدادُ مع الأيام يساراً وثروةً. ولهذا المعنى كانت الإمارةُ أحدَ أسبابِ المعاش، كما قدَّمناه.

وفاقدُ الجاهِ بالكُلِّيَّةِ - ولو كان صاحبَ مالٍ - فلا يكونُ يسارُهُ إلا بمقدارِ ماله وعلى نسبةِ سَعْيِهِ، وهؤلاءُ هُمُ أَكْثَرُ الشُّجَّارِ. ولهذا تَجِدُ أَهْلَ الجاهِ منهم يكونونَ أَيْسَرَ بكثيرٍ.

- 10 وَمَا يَشْهَدُ لذلك، أَنَّا نَجِدُ كَثِيراً من الفُقهاءِ وأَهْلِ الدِّينِ والعبادةِ، إذا اشْتَهَرَ حُسْنُ الظَّنِّ بِهِمْ، واعتَقَدَ الجمهورُ معاملَةَ الله في إزفادِهِمْ، فأَخْلَصَ النَّاسُ في إعانتِهِمْ على أحوالِ دُنْيائِهِمْ والاعتِمَالِ في مَصَالِحِهِمْ، / أَسْرَعَتْ إِلَيْهِمُ الثَّرْوَةُ، وأَصْبَحُوا مِياسِيرَ من غيرِ مالٍ مُقْتَنَى، إِلَّا ما يَحْصُلُ لَهُمْ من قِيَمِ الأعمالِ الَّتِي وَقَعَتِ المَعُونَةُ بِهَا من النَّاسِ لَهُمْ. رَأَيْنَا من ذلك أَعْداداً في الْأَمْصارِ والمُدُنِ وفي البَدْوِ، يَسْعَى لَهُمُ 15 النَّاسُ في الفُلْحِ والتَّجَرِ وهو قَاعِدٌ بِمَنْزِلِهِ، لا يَبْرُحُ من مَكَانِهِ. فَيَتَنَمَّوْا مَالَهُ، وَيُعْظَمُ كَسْبُهُ، وَيَتَأَثَّلُ الغِنَى من غيرِ سَعْيٍ. وَيَعْجَبُ من لا يَقْطُنُ لهذا السِّرِّ في حالِ ثَرَوَتِهِ، وَأَسْبَابِ غِنَاهُ وَيَسَارِهِ. ﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [سورة البقرة، من الآية 212].

## 6 • فَصْلٌ، فِي أَنَّ السَّعَادَةَ وَالْكَسْبَ إِنَّمَا تَحْصُلُ غَالِبًا لِأَهْلِ الْخُضُوعِ وَالْمَلَقِ<sup>(١)</sup>، وَأَنَّ هَذَا الْخُلُقَ مِنْ أَسْبَابِ السَّعَادَةِ

قد سبق لنا فيما سلف أن الكسب الذي يستفيد به البشر إنما هو قيم أعمالهم. ولو قدر أحد عاطلاً عن العمل جملةً لكان فاقداً للكسب بالكلية. وعلى قدر عمله وشرفه بين الأعمال وحاجة الناس إليه يكون قدر قيمته، وعلى نسبة 5 ذلك ثمر كسبه أو نقصائه. وقد بينّا آنفاً أن الجاه يفيد المال بما يحصل لصاحبه من تقرب الناس إليه بأعمالهم وبأموالهم في دفع المضار وجلب المنافع. وكأن ما يتقربون به من عمل أو مال عوض عما يحصلون عليه بسبب الجاه من كثير<sup>(ب)</sup> الأغراض في صالح أو طالح، ونصير تلك الأعمال في كسبه، وقيمتها أموال وثروة له، فيستفيد الغنى واليسار لأقرب وقت.

10

ثم إن الجاه متوزع في الناس ومترتب فيهم طبقة بعد طبقة، ينتهي في العلو إلى الملوك الذين ليس فوقهم يدٌ غالبة، وفي السفلى على من لا يملك ضراً ولا نفعاً بين أبناء جنسه. وبين ذلك طبقات متعددة، حكمة من الله في خلقته بما ينتظم [به]<sup>(ج)</sup> معاشهم، وتيسر مصالحهم، ويتم بقاؤهم. لأن النوع الإنساني لما كان لا يتم وجوده وبقاؤه إلا بتعاون أبنائه على مصالحهم، لأنه قد تقرر أن الواحد منهم لا يتم 15 وجوده، وأنه وإن ندر ذلك في صورة مفروضة، فلا يصح بقاؤه.

ثم إن هذا التعاون لا [يُحصل]<sup>(د)</sup> إلا بالإكراه عليه، لجهلهم في الأكثر بمصالح

(١) ي: التلق (ب) سقط من ي (ج) زيادة يقتضها السياق (د) ظ: يصلح.

التَّوَعُّع، وَلَمَّا<sup>(١)</sup> جُعِلَ لَهُمُ مِنَ الْاِخْتِيَارِ، وَأَنَّ أَفْعَالَهُمْ إِنَّمَا تَصْدُرُ / بِالْفِكْرِ وَالرَّوِيَّةِ لَا  
بِالطَّنْعِ، فَقَدْ يَمْتَنِعُ مِنَ الْمُعَاوَنَةِ، فَيَتَعَيَّنُ حَمْلُهُ عَلَيْهَا. فَلَا بُدَّ مِنْ حَامِلٍ يُكْرِهُ أُنْبَاءَ التَّوَعُّعِ  
عَلَى مَصَالِحِهِمْ لِتَمِّمِ الْحِكْمَةُ الْإِلَهِيَّةُ فِي بَقَاءِ هَذَا التَّوَعُّعِ. وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ [تعالى] <sup>(ب)</sup> :  
﴿ وَرَفَعْنَا<sup>(ج)</sup> بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُلْخِيًّا وَرَحِمْتُ

5 رِبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [سورة الزخرف، من الآية 32].

فَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّ مَعْنَى الْجَاهِ هُوَ الْقُدْرَةُ الْحَاصِلَةُ<sup>(د)</sup> لِلْبَشَرِ عَلَى التَّصَرُّفِ فِيمَنْ  
تَحْتَ أَيْدِيهِمْ مِنْ أُنْبَاءِ جِنْسِهِمْ بِالْإِذْنِ وَالْمَنْعِ وَالتَّسْلُطِ فِيهِمْ بِالْقَهْرِ وَالْغَلْبَةِ لِيَحْمِلَهُمْ  
عَلَى دَفْعِ مَضَارِّهِمْ وَجَلْبِ مَنَافِعِهِمْ فِي الْعَدْلِ، وَبِأَخْكَامِ الشَّرَائِعِ أَوْ السِّيَاسَةِ، وَعَلَى  
أَغْرَاضِهِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ. لَكِنَّ الْأَوَّلَ مَقْصُودٌ فِي الْعِنَايَةِ الرَّبَّائِيَّةِ بِالذَّاتِ، وَالثَّانِي  
10 دَاخِلٌ فِيهَا بِالْعَرَضِ كَسَائِرِ الشُّرُورِ الدَّاخِلَةِ فِي الْقَضَاءِ الْإِلَهِيِّ. لِأَنَّهُ قَدْ لَا يَتِمُّ  
وُجُودُ الْخَيْرِ الْكَثِيرِ إِلَّا بِوُجُودِ شَرٍّ يَسِيرُ مِنْ أَجْلِ الْمَوَادِّ. فَلَا يَقُوتُ الْخَيْرُ لَذَلِكَ،  
بَلْ يَقَعُّ عَلَى مَا يَنْطَوِي عَلَيْهِ مِنَ الشَّرِّ الْيَسِيرِ. وَهَذَا مَعْنَى وَقُوعِ الظُّلْمِ فِي الْخَلِيقَةِ،  
فَتَفْقَهُمْ.

ثُمَّ إِنَّ كُلَّ طَبَقَةٍ مِنْ طَبَاقِ أَهْلِ الْعُمْرَانِ مِنْ مَدِينَةٍ أَوْ إِقْلِيمٍ لَهَا قُدْرَةٌ  
15 عَلَى مِنْ دُونِهَا مِنَ الطَّبَاقِ، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الطَّبَقَةِ السُّفْلَى يَسْتَعِيدُّ هَذَا الْجَاهُ مِنْ  
أَهْلِ الطَّبَقَةِ الَّتِي فَوْقَهُ، وَيُزَادُ كَاسِبُهُ تَصَرُّفًا فِيمَنْ تَحْتَ يَدِهِ عَلَى قَدَرِ مَا يَسْتَفِيدُ  
مِنْهُ.

(١) ج: وما (ب) من: ي (ج) جاءت في كل الأصول خطأ: وجعلنا (د) كذا في الأصول، ولعلها: الحاملة.

والجاء مع ذلك داخل على الناس في جميع أبواب المعاش، ويتسع ويضيق بحسب الطبقة والطور الذي فيه صاحبه. فإن كان الجاه متسعاً، كان الكسب الناشئ عنه كذلك، وإن كان ضيقاً وقليلًا، فمثله.

وفاقد الجاه ولو كان له مال، فلا يكون يساره إلا بمقدار عمله أو ماله، وعلى نسبة سعيه ذاهباً وجائياً في تميمته كأكثر التجار وأهل الفلاحة في الغالب. 5 وأهل الصنائع كذلك، إذا فقدوا الجاه واقتصروا على فوائد صنائعهم فإنهم يصيرون إلى الفقر والخصاصة في الأكثر، ولا تُسرّع إليهم ثروة، وإنما<sup>(1)</sup> يرمقون العيش ترميقاً، ويدفعون ضرورة الفقر مدافعةً.

وإذا تقرر ذلك، وأن الجاه متوزع، وأن السعادة والخير مقترنان بحصوله، عِلِمْتُ أَنَّ بَذْلَهُ وَإِفَادَتَهُ مِنْ / أَعْظَمِ النِّعَمِ وَأَجْلَهَا، وَأَنَّ بَاذِلَهُ مِنْ أَجْلِ الْمُتَنَعِمِينَ. وَإِنَّمَا 10 يَبْذُلُهُ لِمَنْ تَحْتَ يَدِهِ، فَيَكُونُ بَذْلُهُ بَيْنَ عَالِيَةٍ وَعَنْ عِزَّةٍ، فَيُخْتِاجُ طَالِبُهُ وَمُبْتَغِيهِ إِلَى خُضُوعٍ وَتَمَلُّقٍ كَمَا يَسْأَلُ أَهْلَ الْعِزِّ وَالْمُلُوكِ، وَإِلَّا فَيَتَعَذَّرُ حُصُولُهُ. فَلِذَلِكَ قُلْنَا: إِنَّ الْخُضُوعَ وَالْمَلَقَ مِنْ أَسْبَابِ حُصُولِ هَذَا الْجَاهِ الْمُحْصَلِ لِلْسَّعَادَةِ وَالْكَسْبِ، وَإِنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ الثَّرْوَةِ وَالسَّعَادَةِ بِهَذَا الْخُلُقِ. وَلِهَذَا نَجِدُ الْكَثِيرَ مِمَّنْ يَتَخَلَّقُ بِالتَّرَفُّعِ وَالشَّمَمِ لَا يَحْصُلُ لَهُمْ غَرَضٌ مِنَ الْجَاهِ، فَيَقْتَصِرُونَ فِي التَّكْسِبِ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، وَيَصِيرُونَ إِلَى 15 الْفَقْرِ وَالْخِصَاصَةِ.

(1) في ع: وإنا.

واعلم أن هذا الكبر والترفع من الخلق المذمومة، إنما يحصل من توهم الكمال، وأن الناس يحتاجون إلى بضاعته من علم أو صناعة، كالعالم المتبحر في علمه، والكاتب المجيد في كتابته، والشاعر البليغ في شعره، وكلُّ مُحسنٍ في صناعته يتوهم أن الناس يحتاجون إلى ما بيده، فيحدث له ترفع عليهم بذلك. وكذا 5 يتوهم أهل الأنساب ممن كان في آباءه ملك أو عالم مشهور أو كامل في طور، يفتخرون بما رأوه أو سمعوه من حال آباءهم في المدينة، ويتوهمون أنهم استحقوا مثل ذلك بقراباتهم إليهم ووراثتهم عنهم. فهم مستمسكون في الحاضر بالأمر المغدوم، إذ الكمال لا يورث. وكذلك أهل الحنكة والتجارب والبصر بالأمور، قد يتوهم بعضهم كمالاً في نفسه بذلك واحتياجاً إليه.

10 وتجذ هؤلاء الأصناف كلهم مترفعين لا يخضعون لصاحب جاه، ولا يتملقون لمن هو أعلى منهم، ويستصغرون من سواهم لا اعتقادهم الفضل على الناس. فيستنكف أحدهم عن الخضوع، ولو كان للملك، ويعده مذلة وهواناً وسفهاً، ويحاسب الناس في معاملتهم إياه بمقدار ما يتوهم في نفسه، ويحقد على من قصر له في شيء مما يتوهمه من ذلك. وربما يدخل على نفسه الهموم والأحزان من تقصيرهم فيه، ويستمر 15 في عناء عظيم من إيجاب الحق لنفسه وإيابة الناس له من ذلك. ويحصل له المقت في الناس، لما في طباع البشر من التأله. وقل أن يسلم أحد منهم لأحد في الكمال والترفع عليه، إلا أن يكون ذلك بنوع من القهر والغلبة والاستطالة. وهذا كله في ضمن الجاه.

فإذا فقد صاحب هذا الخلق الجاه، وهو مفقود له كما تبين لك، مقتة الناس

بهذا الترفع، ولم يحصل له حظ من إحصائهم. فقد جاء لذلك من أهل الطبقة التي هي أعلى منه، لأجل المقت وما يحصل له بذلك من القعود عن تعاهدهم وغشيان منازلهم. ففسد معاشه، وبقي في خصاصة وفقير أو فوق ذلك بقليل. وأما الثروة، فلا تحصل له أصلاً. ومن هذا اشتهر بين الناس أن الكامل في المعرفة محروم من الحظ، وأنه قد حوسب بما رزق من المعرفة، واقتطع ذلك له من الحظ. وهذا 5 معناه. ومن خلق لشيء يسر له. والله المقدر، لا رب سواه.

ولقد يقع في الدول اضطراب في المراتب من أجل هذا الخلق، ويرتفع فيها كثير من السفلة، وينزل كثير من العلية بسبب ذلك. وذلك أن الدول إذا بلغت غايتها من التغلب والاستيلاء، وانفرد منها منبث الملك بملكهم وسلاطنتهم، ويئس 10 سيواهم من ذلك، وإنما صاروا في مراتب دون مرتبة الملك، وتحت يد السلطان وكأنهم خول له، فإذا استمرت الدولة، وشمخ الملك، تساوى حينئذ في المنزلة عند السلطان كل من انتمى إلى خدمته وتقرّب إليه بنصيحته، واضطنعه السلطان لغنايه في كثير من مهماته. فتجد كثيراً من الشوق يسعى في التقرب من السلطان بجده ونضجه، ويتزلف إليه بوجوه خدمته، ويستعين على ذلك بعظيم من الخضوع 15 والتملق له ولحاشيته وأهل نسيبه، حتى ترسخ قدمه معهم، وينظم السلطان في جملته. فيحصل له بذلك حظ عظيم من السعادة، وينتظم في عداد أهل الدولة.

وناشئة الدولة، حينئذ، من أبناء قومها الذين ذلّلوا صعباتها ومهدوا أكنافها،

مُعْتَرُونَ<sup>(١)</sup> بما كان لأبائهم في ذلك من الآثار، تَشْمُخُ به نفوسهم على السُّلْطَانِ، وَيَعْتَدُونَ بِآثَارِهِ، وَيَجْرُونَ فِي مِضَارِ الدَّالَّةِ بِسَبَبِهِ. فَيَمَقُّهُمْ السُّلْطَانُ لِدَٰلِكَ وَيُأَعِدُّهُمْ، وَيَمِيلُ إِلَى هَؤُلَاءِ الْمُصْطَنِعِينَ الَّذِينَ لَا يَعْتَدُونَ بِقَدِيمٍ وَلَا/ يَذْهَبُونَ إِلَى دَالَّةٍ وَلَا تَرْفَعُ، إِنَّمَا دَأْبُهُمُ الْخُضُوعُ لَهُ وَالتَّمَلُّقُ وَالِاعْتِمَالُ فِي غَرَضِهِ مَتَى ذَهَبَ إِلَيْهِ. فَيَتَّسِعُ جَاهُهُمْ 5 وَتَعْلُو مَنَازِلُهُمْ، وَتَنْصَرِفُ إِلَيْهِمُ الْوُجُوهُ وَالْخَوَاصُّ بِمَا يَحْضُلُ لَهُمْ مِنْ مَيْلِ السُّلْطَانِ وَالْمَكَانَةِ عِنْدَهُ. وَيَبْقَى نَاشِئَةُ الدَّوْلَةِ فِيهَا هُمْ فِيهِ مِنَ التَّرَفُّعِ وَالِاعْتِدَادِ بِالْقَدِيمِ، لَا يَزِيدُهُمْ ذَلِكَ إِلَّا بُعْدًا مِنَ السُّلْطَانِ وَمَقْتًا، وَإِثَارًا لَهُؤُلَاءِ الْمُصْطَنِعِينَ عَلَيْهِمْ، إِلَى أَنْ تَنْقَرِضَ الدَّوْلَةُ. وَهَذَا أَمْرٌ طَبِيعِيٌّ فِي الدَّوْلِ، وَمِنْهُ جَاءَ شَأْنُ الْمُصْطَنِعِينَ فِي الْغَالِبِ. وَاللَّهُ ﴿فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [سورة البروج، من الآية 16].

7 10 ﴿فَصَلِّ، فِي أَنْ الْقَائِمِينَ بِأُمُورِ الدِّينِ مِنَ الْقَضَاءِ وَالْفُتْيَا وَالتَّدْرِيسِ وَالْإِمَامَةِ وَالْمُخَاطَبَةِ وَالْأَذَانِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، لَا تَعْظَمُ ثَرَوَتُهُمْ فِي الْغَالِبِ

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ، أَنَّ الْكَسْبَ، كَمَا قَدَّمَ نَاهُ، قِيَمَةُ الْأَعْمَالِ، وَأَنَّهَا مُتَفَاوِتَةٌ بِحَسَبِ الْحَاجَةِ إِلَيْهَا. فَإِذَا كَانَتْ الْأَعْمَالُ ضَرُورِيَّةً فِي الْعُمَرَانِ عَامَّةَ الْبَلَدِ فِيهِ، كَانَتْ قِيَمَتُهَا أَعْظَمَ، وَكَانَتْ الْحَاجَةُ إِلَيْهَا أَشَدَّ. وَأَهْلُ هَذِهِ الْبَضَائِعِ الدِّينِيَّةِ لَا يُضْطَرُّونَ 15 إِلَيْهِمْ عَامَّةُ الْخَلْقِ، وَإِنَّمَا يَحْتَاجُ إِلَى مَا عِنْدَهُمُ الْخَوَاصُّ مِمَّنْ أَقْبَلَ عَلَى دِينِهِ. وَإِنْ اخْتَبَجَ إِلَى الْفُتْيَا وَالْقَضَاءِ فِي الْخُصُومَاتِ، فَلَيْسَ عَلَى وَجْهِ الْاضْطِرَارِ وَالْعُمُومِ، فَيَقْعُ

(١) مِنْ ي ج، وَفِي ع ظ: وَيَجْرُونَ.



الاستغناء عن هؤلاء في الأكثر، وإنما بهم<sup>(أ)</sup> وإقامة مراسيمهم صاحب الدولة، بما له من النظر في المصالح. فيقسم لهم حظاً من الرزق على نسبة الحاجة إليهم، على النحو الذي قرّره، لا يساويهم بأهل الشؤكة ولا بأهل الصنائع الضرورية، وإن كانت بضاعتهم أشرف<sup>(ب)</sup> من حيث الدين والمراسيم الشرعية. لكنه يقسم بحسب عموم الحاجة وضرورة أهل العمران، فلا يصح في قسمتهم إلا القليل.

5

وهم أيضاً لشرف<sup>(ج)</sup> بضائعهم أعزّة على الخلق وعند نفوسهم، فلا يخضعون لأهل الجاه حتى ينالوا منه حظاً يستديرون به الرزق. بل ولا تفرغ أوقاتهم لذلك، لما هم فيه من الشغل بهذه البضائع الشريفة المشتملة على الفكر والبدن<sup>(د)</sup>، بل، ولا يسعهم ابتذال أنفسهم لأهل الدنيا لشرف بضائعهم، / فهم بمغزل عن ذلك. فلذلك لا تعظم ثروتهم في الغالب.

[270ب]

10

ولقد باحثت بغض الفضلاء، ونكر ذلك عليّ. فوقع بيدي أوراق مخرّمة من حُسابات الدواوين بدار المأمون، تشتمل على كثير من الدخل والخرج يومئذ، وكان فيما طالعت فيه أرزاق القضاة والأئمة والمؤذنين، فوقفته عليه، وعلم منه صحة ما قلته، ورجع إليه. وقضينا العجب من أسرار الله في خليقته، وحكمته في عوالمه. والله الخالق المقدّر.

15

(أ) سقط من ط (ب) سقط من ي (ج) من ع، وفي بقية الأصول: أشرف (د) كذا في الأصول.

8 • فَضْلٌ، فِي أَنَّ الْفَلَاحَةَ مِنْ مَعَاشِ الْمُسْتَضْعِفِينَ وَأَهْلِ الْعَافِيَةِ مِنَ الْبَدْوِ<sup>(1)</sup>

وذلك لأنه أضلّ في الطّبيعة وبسيط في منّاه. ولهذا لا نجدّه ينتحلّه أحد من أهل الحضر في الغالب ولا من المترفين، ويختصّ منتحلّه بالمدّة. قال ﷺ<sup>(1)</sup>، وقد رأى السّكّة بقبض دور الأنصار: "ما دخلت هذه دار قوم إلا دخله الذلّ".  
5 وحملّه البخاريّ على الاستكثار منه، وترجم عليه باب ما يحذر من عواقب الاشتغال بآلة الزّرع، أو تجاوز الحدّ الذي أمر به.

والسّبب فيه، والله أعلم، ما يتبعها من المغرم المفضي إلى التّحكّم واليد الغالية. فيكون الغارم ذليلاً بائساً بما تتناوله أيدي القهر والاستيطة. قال ﷺ<sup>(2)</sup>:  
"لا تقوم الساعة حتّى تعود الزّكاة مغرمّاً"، إشارة إلى الملك العضوض القاهر للنّاس،  
10 الذي معه التسلّط والجور ونسيان حقوق الله تعالى في المتّمولات، واعتبار الحقوق كلّها مغارم للملوك والدول. والله قادر على ما يشاء.

(أ) سقط من ي .

(1) أخرجه البخاريّ (2321) وترجم له في "باب ما يحذر من عواقب الاشتغال بآلة الزّرع، أو مجاوزة الحدّ الذي أمر به".

(2) قطعة من حديث طويل في أشراف الساعة، أخرجه الترمذيّ في جامعه (2210) من حديث عليّ. وفي (2211) من حديث أبي هريرة، وكلاهما إسناده ضعيف .

## 9 • فَصْلٌ، فِي مَعْنَى التِّجَارَةِ وَمَذَاهِبِهَا وَأَصْنَافِهَا

اعْلَمْ أَنَّ مَعْنَى التِّجَارَةِ مُحَاوَلَةٌ عَلَى الْكَسْبِ بِنَثْمِيَةِ الْمَالِ فِي شِرَاءِ  
السِّلَعَةِ<sup>(١)</sup> بِالرُّخْصِ وَبَيْعِهَا بِالْغَلَاءِ، مَا كَانَتْ السِّلَعَةُ، مِنْ رَقِيقٍ، أَوْ زَرْعٍ، أَوْ  
حَيَوَانٍ، أَوْ سِلَاحٍ، أَوْ قُمَاشٍ. وَذَلِكَ الْقَدْرُ التَّامِي يُسَمَّى رِبْحًا. وَالْمُحَاوَلَةُ لِذَلِكَ الرِّبْحِ  
إِمَّا بِأَنْ تُخْتَزَنَ السِّلَعَةُ وَيُتَحَيَّنَ بِهَا حَوَالَةُ السُّوقِ مِنَ الرُّخْصِ إِلَى الْغَلَاءِ، فَيَعْظُمُ 5  
رِبْحُهُ. وَإِمَّا بِأَنْ يَنْقَلَهُ إِلَى بَلَدٍ آخَرَ تَتَّفَقُ فِيهِ تِلْكَ السِّلَعَةُ أَكْثَرَ مِنْ بَلَدِهِ الَّذِي اشْتَرَاهَا  
فِيهِ، فَيَعْظُمُ رِبْحُهُ. وَلِذَلِكَ قَالَ بَعْضُ الشَّيُوخِ / مِنَ التَّجَّارِ لَطَالِبُ الْكَشْفِ عَنْ [271]  
حَقِيقَةِ التِّجَارَةِ: أَنَا أَعْلَمُكُمَهَا فِي كَلِمَتَيْنِ: اشْتَرِ الرِّخِصَ وَبِعِ الْغَالِي، وَقَدْ حَصَلَتْ  
التِّجَارَةُ. إِشَارَةٌ لَهُ بِذَلِكَ إِلَى الْمَعْنَى الَّتِي قَرَّرْنَاهُ. وَاللَّهُ ﴿الرَّزَاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾  
[سورة الناريات، من الآية 58].

(١) فِي ج: السِّلَعِ .

## 10 • فَصْلٌ<sup>١</sup>، فِي نَقْلِ التَّاجِرِ لِلسَّلَعِ

التَّاجِرُ البَصِيرُ بِالتَّجَارَةِ لَا يَنْتَقِلُ مِنَ السَّلَعِ إِلَّا مَا تَعَمَّ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ مِنَ الْغَنِيِّ  
وَالْفَقِيرِ وَالسُّلْطَانِ وَالسُّوقَةِ، إِذْ فِي ذَلِكَ نَقَاقُ سِلْعَتِهِ. وَإِنَّمَا إِذَا اخْتَصَّ نَقْلُهُ بِمَا  
يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْبَعْضُ فَقَطْ، فَقَدْ يَتَعَذَّرُ نَقْلُ سِلْعَتِهِ<sup>(١)</sup> حِينَئِذٍ بِإِعْوَازِ الشِّرَاءِ عَلَى ذَلِكَ  
5 الْبَعْضِ لِعَارِضٍ مِنَ الْعَوَارِضِ، فَتَكْسُدُ سَوْقُهُ، وَتَقْسُدُ أَرْبَاحُهُ.

وَكَذَلِكَ إِذَا نَقَلَ السَّلْعَةَ الْمُخْتَاةَ إِلَيْهَا، فَإِنَّمَا يَنْقَلُ الْوَسْطُ مِنْ صِنْفِهَا. فَإِنَّ  
الْغَالِيَّ مِنْ كُلِّ صِنْفٍ مِنَ السَّلَعِ إِنَّمَا يَخْتَصُّ بِهِ أَهْلُ الثَّرْوَةِ وَحَاشِيَةُ الدَّوْلَةِ، وَهُمْ  
الْأَقْلُ. وَإِنَّمَا يَكُونُ النَّاسُ أُسْوَةً فِي الْحَاجَةِ إِلَى الْوَسْطِ مِنْ كُلِّ صِنْفٍ. فَلْيَتَحَرَّ ذَلِكَ  
جُمْهُدُهُ، فَفِيهِ نَقَاقُ سِلْعَتِهِ أَوْ كَسَادُهَا.

(١) مِنْ ع وَسَقَطَ مِنْ ظ .

• ورد قبل هذا الفصل في نسخة المؤلف ومُسَوَّدَتِهِ "ع" فصلٌ قصيرٌ من ثمانية أسطر، عنوانه: فصلٌ في أنْ خُلِقَ التَّجَارُ نَارِلَةً عَنْ  
خُلُقِ الْأَشْرَافِ وَالْمُلُوكِ. ثم شَطِبَهُ جَمَلَةً، وَاسْتَبَدَّلَهُ بِخَطِّهِ فِيمَا يَأْتِي، بِالفصل رقم (14) في: أنْ خُلِقَ التَّجَارُ نَارِلَةً عَنْ خُلُقِ الرُّؤَسَاءِ،  
وَبَعِيدَةً عَنِ الْمَرْوَةِ. وَغَيَّرَ مَوْقِعَهُ، وَهَذَا نَصُّ الْفَصْلِ الْمُلغَى:

"وَذَلِكَ أَنَّ التَّجَارَ فِي غَالِبِ أَخْوَالِهِمْ إِنَّمَا يُعَانُونَ الْبَيْعَ وَالشِّرَاءَ، وَلَا بُدَّ فِيهِ مِنَ الْمَكَايَسَةِ ضَرُورَةً. فَإِنْ  
اِقْتَصَرَ عَلَيْهَا اِقْتَصَرَتْ بِهِ عَلَى خُلُقِهَا. وَهِيَ، أَعْنِي خُلُقَ الْمَكَايَسَةِ، بَعِيدَةٌ عَنِ الْمَرْوَةِ الَّتِي يَتَخَلَّقُ بِهَا الْمُلُوكُ  
وَالْأَشْرَافُ. وَأَمَّا إِنْ اسْتَرْذَلَ خُلُقُهُ بِمَا يَتَّبِعُ ذَلِكَ فِي أَهْلِ الطَّبَقَةِ الْوَسْطَى مِنْهُمْ مِنَ الْمَخَاكَةِ وَالْغَشِّ وَالْخِلَابَةِ  
وَتَعَاهُدِ الْأَيَّانِ الْكَاذِبَةِ عَلَى الْأَثْمَانِ رَدًّا وَقَبُولًا، فَأَجْدَرُ بِهَذَا الْخُلُقِ أَنْ يَكُونَ فِي غَايَةِ الْمَذْمَةِ، لِمَا هُوَ مَعْرُوفٌ.  
وَلِذَلِكَ تَجِدُ أَهْلَ الرِّيَاسَاتِ يَتَحَامَوْنَ الْإِحْتِرَافَ بِهَذِهِ الْحِرْفَةِ، لِأَجْلِ مَا تَكْسِبُ مِنْ هَذَا الْخُلُقِ. وَقَدْ يَوْجَدُ  
مِنْهُمْ مَنْ يَسْلَمُ مِنْ هَذَا الْخُلُقِ وَيَتَحَامَاهُ بِشَرَفِ نَفْسِهِ وَكَرَمِ خِلَالِهِ، إِلَّا أَنَّهُ فِي التَّادِرِ مِنَ الْوُجُودِ. وَاللَّهُ يَهْدِي  
مَنْ يَشَاءُ."

وكذلك نُقِلُ السِّلَعُ مِنَ الْبَلَدِ الْبَعِيدِ الْمَسَافَةِ أَوْ فِي شِدَّةِ الْخَطَرِ فِي الطَّرِيقَاتِ  
يَكُونُ أَكْثَرُ فَائِدَةٍ لِلتَّجَارَةِ<sup>(١)</sup> وَأَعْظَمُ أَرْبَاحاً وَأَكْفَلَ بِحَوَالَةِ الْأَسْوَاقِ، لِأَنَّ السِّلَعَ  
الْمُنْقُولَةَ حِينَئِذٍ تَكُونُ قَلِيلَةً مُعْزِزَةً لِبُعْدِ مَكَانِهَا أَوْ شِدَّةِ الْغَرَرِ فِي طَرِيقِهَا، فَيَقِلُّ  
حَامِلُوهَا وَيَعِزُّ وَجُودُهَا . وَإِذَا قَلَّتْ وَعَزَّتْ غَلَّتْ أَثْمَانُهَا . وَأَمَّا إِذَا كَانَ الْبَلَدُ قَرِيبَ  
الْمَسَافَةِ ، وَالطَّرِيقُ سَابِلاً بِالْأَمْنِ ، فَإِنَّهُ حِينَئِذٍ يَكْثُرُ نَاقِلُوهَا ، فَتَكْثُرُ وَتَرْخُصُ 5  
أَثْمَانُهَا.

ولهذا نَجِدُ التَّجَّارَ الَّذِينَ يُولَعُونَ بِالْدَّخُولِ إِلَى بِلَادِ السُّودَانِ، أَرْفَةَ النَّاسِ  
وَأَكْثَرَهُمْ أَمْوَالاً، لِبُعْدِ طَرِيقِهِمْ وَمَشَقَّتِهِ، وَاعْتِرَاضِ الْمَفَازَةِ الصَّعْبَةِ الْمُخْطِرَةِ بِالْخَوْفِ  
وَالْعَطَشِ، لَا يَوْجَدُ فِيهَا الْمَاءُ إِلَّا فِي أَمَاكِنَ مَعْلُومَةٍ يَهْتَدِي إِلَيْهَا أَدِلَاءُ الرُّكَّابِ. فَلَا  
يَزْتَكِبُ هَذَا الطَّرِيقُ وَبُعْدُهُ إِلَّا الْأَقْلُ مِنَ النَّاسِ؛ فَتَجِدُ سِلَعَ بِلَادِ السُّودَانِ قَلِيلَةً 10  
لَدَيْنَا، فَتَخْتَصُّ بِالْغَلَاءِ، وَكَذَلِكَ سِلَعُنَا لَدَيْهِمْ . فَتَعْظُمُ بَضَائِعُ التَّجَّارِ مِنْ تَنَاقُلِهَا،  
وَيُسْرِعُ إِلَيْهِمُ الْغِنَى وَالثَّرْوَةُ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ . وَكَذَلِكَ الْمَسَافِرُونَ مِنْ بِلَادِنَا إِلَى  
الْمَشْرِقِ، لِبُعْدِ الشُّقَّةِ أَيْضاً. وَأَمَّا الْمُتَرَدِّدُونَ فِي الْأَفْقِ الْوَاحِدِ مَا بَيْنَ أَمْصَارِهِ  
وَبُلْدَانِهِ ، / فَفَائِدَتُهُمْ قَلِيلَةٌ وَأَرْبَاحُهُمْ تَافِهَةٌ، لِكَثْرَةِ السِّلَعِ وَكَثْرَةِ نَاقِلِيهَا. وَاللَّهُ ﴿الرَّزَاقُ﴾ [271ب]  
ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿ [سورة الذَّارِيَاتِ، مِنْ آيَةِ 58].

## 11 \* فصلٌ في الاختِكار

ومما اشتهر عند ذوي البَصَر والتَّجربة في الأمصار، أنَّ اختِكار الزَّرع لَتَحَيْنِ  
 أوقات الغلاء به مَشُورٌ، وأنَّه يعودُ على فائدته بالتَّلف والخُسران. وسببُه، والله  
 أعلمُ، أنَّ النَّاسَ لِحاجَتِهِم إلى الأقوات مُضْطَرُّون إلى ما يَتَذَلُّون فيها من المال  
 اضْطِراراً، فتَبْقَى النُّفوسُ مُتَعَلِّقَةٌ به. وفي تَعَلُّقِ النُّفوسِ بِمالِها سرٌّ كبيرٌ في وَبالِه على  
 5 من يأخُذُه<sup>(١)</sup>. ولعلَّه الَّذي اعتَبَره الشَّارع في أَخْذِ أموال النَّاسِ بالباطِل. وهذا، وإنْ  
 لم يكن مَجَاناً، فَالنُّفوسُ مُتَعَلِّقَةٌ به، لِإِعْطائِهِ ضرورةً من غَيْرِ سَعَةٍ في العُذْر، فهو  
 كالمُكرِه. وما عدا الأقوات والمأكولات من المِبيعات لا اضْطِراراً<sup>(ب)</sup> للنَّاسِ إليها. وإنَّما  
 يَتَعَثَّمُ عليها التَّفَنُّنُ في الشَّهَوَاتِ، فلا يَتَذَلُّونَ أموالَهُم فيها إلَّا باختيارٍ وجرْصٍ، ولا  
 10 يَبْقَى لَهُم تَعَلُّقٌ بما أَعْطَوْه. فلهذا يَكُونُ من عُرفِ بالاختِكار تَجَمُّعُ القُوى النَّفسانيَّةِ  
 على مُتَابَعَتِهِ بما يأخُذُه من أموالِهِم، فَيَتَسُدَّ رَجُّهُ. واللهُ أعلمُ.

وسمعتُ فيما يُناسِبُ هذا، حكايةً طريفةً عن بَعْضِ مَشِيخَةِ المَغْرِبِ. أَخْبَرَنِي  
 شَيْخُنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الأَيْلِي، قال: حَضَرْتُ عند القاضي بفاس لَعَهْدِ السُّلْطَانِ أَبِي  
 سَعِيدٍ، وَهُوَ الفقيه أبو الحَسَنِ المَلِيلِي، وقد عُرِضَ عَلَيْهِ أن يَخْتَارَ بَعْضَ الألقابِ  
 15 المَخْزِيَّةِ لِجَرَايَتِهِ، قال: فَأَطْرَقَ مَلِيّاً، ثم قال لَهُ: من مَكْسِ الخَمْرِ. فَاسْتَضْحَكِ  
 الحاضِرُونَ من أَصْحَابِهِ وَعَجَبُوا، وساءلوه عن حِكْمَةِ ذَلِكَ، فقال: إذا كانت الجَبَايَا  
 كُلُّهَا حَرَاماً، فَأَخْتَارَ مِنْهَا ما لا تُتَابَعُهُ نُفُوسٌ مُعْطِيه، والخَمْرُ قُلٌّ أن يَتَذَلَّ أَحَدٌ فيها

(١) كَتَبَ بَعْدَهَا فِي ع: مَجَاناً، ثُمَّ شَطِهَا، وَلَمْ تَتَّبِعْهَا ط ج ي (ب) فِي ج: أَضْرَارُ.

ماله إلا وهو طرِبَ مسرورٌ بوجوده، غيرَ آسِفٍ عليه ولا مُتعلِّقٍ به. وهذه ملاحظة غريبة. والله تعالى أعلم.

## 12 • فصل<sup>(أ)</sup>، في أن مرخص الأسعاع مضرٌ بالمُخترفين بالرخيص

وذلك أن الكسب والمعاش، كما قدّمناه، إنما هو بالصنّاع أو التجارة. [272] والتجارة/ هي شراء البضائع والسلع وادّخارها، تُحَيِّنُ بها حوالة الأسواق بالزيادة 5 في أثمانها، ويُسمّى ربحاً. ويحصل منه الكسب والمعاش للمُخترفين بالتجارة دائماً. فإذا استُديم الرخص في سلعة أو عرض من مأكول أو ملبوس أو ممتولٍ على الجملة، ولم يحصل للتاجر حوالة الأسواق فيه، فسَدَ الربح و<sup>(ب)</sup> الثمَاء بطول تلك المدة، وكسدت سوق ذلك الصنف، ولم يحصل التاجر إلا على العناء، فيقعُد التّجار عن السّعي فيها، وتفسد رؤوس أموالهم.

واعتبر ذلك مثلاً بالزّرع إذا استُديم رخصه، كيف<sup>(ج)</sup> تفسد أحوال المُخترفين به في سائر أطواره، من الفلح والزراعة، لِقلة الربح فيه ونزارته أو فقده. فيفقدون الثمَاء في أموالهم، أو يجدونه على قلة، ويعودون بالإنفاق على رؤوس أموالهم، وتفسد أحوالهم، ويصيرون إلى الفقر والخصاصة. ويتبع ذلك فسادُ حال المُخترفين أيضاً بالطحن والخبز وبسائر<sup>(د)</sup> ما يتعلّق بالزّرع<sup>(هـ)</sup> من الحرف من لدن 15

(أ) هذا الفصل والفصلان بعد زيادة حررها المؤلف بخطه في ورقة بونها وأقمها على مسودته ع، وحدّد موقعها بإشارة المخرج آخر الفصل السابق، وبالتصيص اللفظي (ب) سقط العطف من ي (ج) ي: فإثّه (د) في ي ج: سائر (هـ) في ي: بالزراعة.

زراعته إلى مصيره مأكولاً. وكذا يفسد حال الجند إذا كانت أرزاقهم من السلطان عند<sup>(أ)</sup> أهل الفلح زرعاً بالإقطاع. فإنهم ثقل جبايتهم من ذلك، ويعجزون عن إقامة الجندية التي هم بسببها و<sup>(ب)</sup> يترزقون من السلطان عليها، فيقطع عنهم الرزق وتفسد أحوالهم. وكذا إذا استديم الرخص في السكر والعسل فسد جميع ما يتعلق به، وقعد المحترفون به عن التجارة فيه. وكذا حال الملبوسات إذا استديم فيها الرخص أيضاً<sup>(ج)</sup>.

فإذن، الرخص المفرط مجحف بمعاش المحترفين بذلك الصنف الرخيص، وكذا الغلاء المفرط أيضاً. و<sup>(د)</sup> ربما يكون في التادر سبباً لنماء المال، بسبب اختباره وعظم فائدته. وإنما معاش الناس وكسبهم في التوسط من ذلك وسرعة حوالة الأسواق، ومعرفة<sup>(هـ)</sup> ذلك ترجع إلى العوائد المتقررة بين أهل العمران.

وإنما يحمّد الرخص في الزرع من بين المبيعات لعموم الحاجة إليه، واضطرار الناس إلى الأقوات<sup>(و)</sup> من بين الغني والفقير. / والعالة من الخلق هم الأكثر في [272ب] العمران، فيعمد الرفق بذلك ويرجح جانب القوت على جانب التجارة في هذا الصنف الخاص.

15 والله ﴿الرَّزَاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [سورة الذاريات، من الآية 58].

(أ) ي: على (ب) سقط العطف من ي (ج) سقط من ي (د) سقط حرف العطف من ي (هـ) ي: وعلم ... يرجع (و) من هنا إلى آخر الفصل لا يوجد في ي، وبدلته: فيعتاضون بعض الشيء من حوالة الأسواق بتفاد السلعة التي بأيديهم، وهي الأقوات، فيتخذون لذلك معاضاً عما فاتهم.



# 13 • فَضْلٌ<sup>(١)</sup>، فِي أَيِّ أَصْنَافِ النَّاسِ [يَنْتَفِعُ]<sup>(ب)</sup> بِالتِّجَارَةِ، وَأَيُّهُمْ يَنْبَغِي لَهُ تَرْكُهَا

قد تقدّم لنا أنّ معنى التّجارة تنميّة المالِ بِشراء البضائع ومُحاولة بيعها بأعلى من ثمن الشّراء، إمّا بانتظار حوالة الأسواق، أو نقلها إلى بلدٍ هي فيه أنفق وأعلى، أو بيعها بالغلاء على الآجال. وهذا الرّبح بالنسبة إلى أصلِ المال نزرّ يسير، إلّا أنّ المال إذا<sup>(ج)</sup> كان كثيراً عظم الرّبح، لأن القليل في الكثير كثير.

ثم لا بُدّ في مُحاولة هذه التّمية، الذي هو الرّبح، من حصول هذا المال بأيدي الباعة في شراء البضائع وبيعها [ومُعَامَلَتِهِمْ فِي]<sup>(د)</sup> تقاضي أثمانها، وأهل النّصفه منهم قليل، فلا بُدّ من الغشّ والتّطفيف المُجحف بالبضائع، و[من]<sup>(هـ)</sup> المظل في الأثمان المُجحف بالرّبح، لتعطيل المُحاولة في تلك المدة، وبها تماؤه، ومن الجُحود والإنكار المُسحِت لرأس المال إن لم يُقَيّد بالكتاب والشّهادة. وغناء الحُكّام في ذلك قليل، لأنّ الحُكْم إنّما هو على الظّاهر. فيعاني التّاجر من ذلك أحوالاً صعبة، ولا يكاد يُحصّل على ذلك التّافه من الرّبح، إلّا بعظيم العناء والمشقة، أو لا يُحصّل، أو يتلاشى رأس ماله. فإن كان جريئاً على الخُصومة، بصيراً بالحُشبان، شديد المأحكة، مقدّماً على الحُكّام، كان ذلك أقرب له إلى النّصفه منهم بجُرأته ومُباحكته؛ وإلّا فلا بُدّ له من جاء يدرّع به يُوقِع<sup>(و)</sup> له الهيئته عند الباعة، ويَحْمِلُ الحُكّام على

(١) جاء هذا الفضل في حاشية (ي) بخط المؤلف من غير عنوان، وأُثبت في سياق نصّ الكتاب في نُسختي ظ ج (ب) في ظ: يتنصّعون (ج) في ج: إن (د) في ي، وسقط من ج ع (هـ) من ي (و) في ج: فيوقع.

إنصافه من غُرمائه<sup>(أ)</sup>. فتخصل له بذلك النصفة واستخلاص ماله منهم<sup>(ب)</sup> طوعاً في الأول، وكرهاً في الثاني. وأما من كان فاقداً للجزأة والإقدام من نفسه، وفاقداً للجاه من الحكام، فيتنبغي له أن يجتنب التجارة<sup>(ج)</sup>، لأنه يعرض بماله للذهاب والمضيعة<sup>(د)</sup>، ويصيِّره مأكلةً للباعة، ولا يكاد ينتصف منهم. لأنَّ الناس في الغالب<sup>(هـ)</sup> متطلِّعون<sup>(و)</sup> إلى ما في أيدي<sup>(ز)</sup> الناس. ولولا وازعُ الأحكام<sup>(ح)</sup> [ما سَلِمَ لأحدٍ شيءٌ مَّا في يده]<sup>(ط)</sup>، وخصوصاً / الباعة وسفلة الناس ورعا عنهم<sup>(ح)</sup>. ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ<sup>(ي)</sup> النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [سورة البقرة، من الآية 251].

[273]

14 ﴿فَضْلٌ، فِي أَنْ خُلِقَ التَّجَارُ نَامِرَةً عَنْ خُلُقِ الرُّؤَسَاءِ<sup>(ك)</sup>، وَبَعِيدَةٌ عَنْ الْمَرْوَةِ

10

قد قدَّمنا في الفضل قبله أنَّ التاجر مدفوعٌ إلى مُعانةِ البيع والشراء وجلبِ الفوائد والأرباح، ولا بُدَّ في ذلك من المكايسة والمحاكة والتَّحْدُلُق ومُمَارَسَةِ الحُصُومَاتِ والمَّلْجَاجِ، وهي عوارِضُ هذه الحِرْفة. وهذه الأوصافُ تُغْضُ من الرِّكَاةِ والمرُوءَةِ وتُخْذِجُ فيها. لأنَّ الأفعال لا بُدَّ من عَوْدِ آثارِها على النَّفْسِ. فأفعالُ الخير

(أ) في ي: مُعامله (ب) سقط من ي (ج) ي: الاحتراف بالتجارة (د) في ي: والضَّياع (هـ) في ي: وخصوصاً الرِّعَاع والباعة (و) ي: يشْرَهون (ز) في ي: سواهم متوِّثون عليه (ح) سقط ما بين النجمين من ي (ط) في ي: أصبحت أموال الناس نهياً (ي) وردت في النسخ: دفاع، وقد تقدَّمت هذه القراءة في 1: 245، والوجه فيها كما يقول الطبري، المصدر من قول القائل: دافع الله عن خلقه، فهو يدافع مُدافعةً ودفاعاً. جامع البيان 2: 755 (ك) في ي: الأشراف.

تَعُودُ بِآثَارِ الْخَيْرِ وَالزَّكَاةِ، وَأَفْعَالُ الشَّرِّ وَالسُّفْسَفَةِ تَعُودُ بِضِدِّ ذَلِكَ. فَتَتِمَّكَنُ وَتَرَسُخُ  
إِنْ سَبَقَتْ وَتَكَرَّرَتْ، وَتُنْقِصُ مِنْ خِلَالِ الْخَيْرِ إِنْ تَأَخَّرَتْ عَنْهَا بِمَا يَنْطَبِعُ مِنْ آثَارِهَا  
الْمَذْمُومَةِ فِي النَّفْسِ، شَأْنُ الْمَلَكَاتِ النَّاشِئَةِ عَنِ الْأَفْعَالِ.

وَتَتَفَاوَتْ هَذِهِ الْآثَارُ بِتَفَاوُتِ أَصْنَافِ الشُّجَارِ فِي أَطْوَارِهِمْ. فَمَنْ كَانَ مِنْهُمْ سَافِلَ  
الطُّورِ، مُخَالِطاً لِشِرَارِ الْبَاعَةِ أَهْلِ الْغَشِّ وَالْخِلَابَةِ وَالْفُجُورِ فِي الْأَيْمَانِ عَلَى الْبِيعَاتِ 5  
وَالْأَيْمَانِ إِقْرَاراً وَإِنْكَاراً، كَانَتْ رِدَاءَةٌ تِلْكَ الْخُلُقِ عِنْدَهُ أَشَدَّ، وَغَلَبَتْ عَلَيْهِ السُّفْسَفَةُ،  
وَبَعُدَ عَنِ الْمُرُوءَاتِ وَاكْتَسَابِهَا بِالْجُمْلَةِ، وَإِلَّا فَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ تَأْثِيرِ الْمَكَايَسَةِ وَالْمُحَاكَةِ  
فِي مُرُوءَتِهِ؛ وَفَقْدَانُ ذَلِكَ فِيهِمْ بِالْجُمْلَةِ قَلِيلٌ.

وَوُجُودُ الصَّنِفِ الثَّانِي مِنْهُمْ الَّذِي قَدَّمَ نَاهٍ فِي الْفَضْلِ قَبْلَهُ، أَنَّهُمْ يَدَّرِعُونَ بِالْجَاهِ  
وَيَعْوِضُ لَهُمْ مِنْ مُبَاشَرَةِ ذَلِكَ، فَهُمْ نَادِرٌ وَأَقْلُّ مِنْ نَادِرٍ. وَذَلِكَ أَنْ يَكُونَ الْمَالُ قَدْ 10  
تَوَقَّرَ عِنْدَهُ دَفْعَةً بِنُوعِ غَرِيبٍ، أَوْ وَرَثَةً عَنْ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، فَحَصَلَتْ لَهُ ثَرْوَةٌ  
تُعِينُهُ عَلَى الْإِتِّصَالِ بِأَهْلِ الدَّوْلَةِ وَتُكْسِبُهُ ظُهُوراً وَشُهْرَةً بَيْنَ أَهْلِ عَصْرِهِ، فَيَتَرَفَّعَ  
عَنِ مُبَاشَرَةِ ذَلِكَ بِنَفْسِهِ، وَيُدْفَعُهُ إِلَى مَنْ يَقُومُ لَهُ بِهِ مِنْ وُكَلَائِهِ وَحَشَمِهِ، وَيُسَهِّلَ  
لَهُمُ الْحُكَّامُ النَّصِيفَةَ فِي حُقُوقِهِمْ بِمَا يُؤْنِسُونَهُ مِنْ بَرِّهِ وَإِتِّحَافِهِ. فَيَتَعَدُّونَ عَنْ تِلْكَ الْخُلُقِ  
بِالْبُعْدِ عَنِ مُعَانَاةِ الْأَفْعَالِ / الْمُقْتَضِيَةِ لَهَا، كَمَا مَرَّ. فَتَكُونُ مُرُوءَتُهُمْ أَرْسَخَ وَأَبْعَدَ عَنْ 15  
[273ب] الْمُخْدِجَاتِ، إِلَّا مَا يَسْرِي مِنْ آثَارِ تِلْكَ الْأَفْعَالِ مِنْ وَرَاءِ الْحِجَابِ، فَإِنَّهُمْ  
يُضْطَرُّونَ إِلَى مُشَارَفَةِ أَحْوَالِ أَوْلِيائِكَ الْوُكَلَاءِ وَوِفَاقِهِمْ أَوْ خِلَافِهِمْ فِيمَا يَأْتُونَ أَوْ  
يَذَرُونَ مِنْ ذَلِكَ، إِلَّا أَنَّهُ قَلِيلٌ، وَلَا يَكَادُ يَظْهَرُ أَثَرُهُ ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا  
تَعْمَلُونَ﴾ [سورة الصافات، الآية 96].

## 15 • فصل، في أن الصنائع لا بد لها من المعلم

اعلم أن الصناعة هي ملكة في أمر عملي فكري، ويكونه عملياً هو جسماني  
مخسوس. والأحوال الجسمانية المخسوسة، فنقلها بالمباشرة أوعب لها وأكمل، لأن  
المباشرة في الأحوال الجسمانية المخسوسة أتم فائدة. والملكة صفة راسخة تحصل عن  
5 استعمال ذلك الفعل وتكرره مرة بعد أخرى حتى ترسخ صورته. وعلى نسبة  
الأصل تكون الملكة. ونقل المعايمة أوعب وأتم من نقل الخبر والعلم. فالملكة الحاصلة  
عنه أكمل وأرسخ من الملكة الحاصلة على<sup>(1)</sup> الخبر. وعلى قدر جودة التعليم وملكة  
المعلم يكون جذب المتعلم في الصناعة وحصول ملكته.

ثم إن الصنائع، منها البسيط، ومنها المركب. والبسيط هو الذي يختص  
10 بالضروريات، والمركب هو الذي يكون للكماليات. والمتقدم منها في التعليم هو البسيط  
لبساطته أولاً، ولأنه مختص بالضروري الذي تتوفر الدواعي على نقله. فيكون  
سابقاً في التعليم، ويكون تعليمه لذلك ناقصاً. ولا يزال الفكر يخرج أصنافها ومركباتها  
من القوة إلى الفعل بالاستنباط شيئاً فشيئاً على التدرج حتى تكمل. ولا يحصل  
ذلك دفعة، وإنما يحصل في أزمان وأجيال، إذ خروج الأشياء من القوة إلى الفعل  
15 لا يكون دفعة، لا سيما في الأمور الصناعية. فلا بد له إذن من زمان. ولهذا نجد  
الصنائع في الأمصار الصغيرة ناقصة، ولا يوجد منها إلا البسيط. فإذا تزايدت حضارتها  
ودعت أمور الترف فيها إلى استعمال الصنائع، خرجت من القوة على الفعل. والله أعلم.

(1) في ع : عن .

[274] 16 / فصل، في أَنَّ الصَّنَاعَ إِنَّمَا تَكْمُلُ<sup>(١)</sup> بِكَمَالِ العُمَرَانِ الحَضَرِيِّ  
وكشَرته

والسَّبَبُ في ذلك، أَنَّ النَّاسَ مَا لَمْ يُسْتَوْفِ العُمَرَانِ الحَضَرِيِّ، وَتَمَدَّنْ  
المَدِينَةُ، إِنَّمَا هُمُومُهُمْ فِي الضَّرُورِيِّ مِنَ المَعَاشِ، وَهُوَ تَحْصِيلُ<sup>(ب)</sup> الأَقْوَاتِ مِنَ الحِنْطَةِ  
وغيرها. فَإِذَا تَمَدَّنَتِ المَدِينَةُ وَتَزَيَّدَتِ فِيهَا الأَعْمَالُ، وَوَقَّتْ بِالضَّرُورِيِّ وَزَادَتْ عَلَيْهِ،  
5 صَرَفَ الزَّائِدَ، حِينَئِذٍ، إِلَى الكَمَالَاتِ مِنَ المَعَاشِ.

ثُمَّ إِنَّ الصَّنَاعَ وَالْعُلُومَ إِنَّمَا هِيَ لِلإِنْسَانِ مِنْ حَيْثُ فِكْرُهُ الَّذِي يَتِمَّزُّ بِهِ عَنْ  
الْحَيَوَانَاتِ، وَالْقُوَّةُ لَهُ مِنْ حَيْثُ الْحَيَوَانِيَّةُ وَالغَدَائِيَّةُ<sup>(ج)</sup>. فَهُوَ مُقَدَّمٌ لَضَرُورِيَّتِهِ عَلَى  
الْعُلُومِ وَالصَّنَائِعِ، وَهِيَ مُتَأَخِّرَةٌ عَنِ الضَّرُورِيِّ. وَعَلَى مِقْدَارِ عُمَرَانِ الْبَلَدِ تَكُونُ  
10 جُودَةُ الصَّنَائِعِ لِلتَّائِقِ فِيهَا حِينَئِذٍ، وَجُودَةُ مَا يُطْلَبُ مِنْهَا بِحَسَبِ دَوَاعِي التَّرَفِّ  
وَالثَّرْوَةِ.

وَأَمَّا العُمَرَانُ الْبَدَوِيُّ أَوِ الْقَلِيلُ، فَلَا يَحْتَاجُ مِنَ الصَّنَائِعِ إِلَّا الْبَسِيطَ خَاصَّةً  
الْمُسْتَعْمَلَ فِي الضَّرُورَاتِ، مِنْ نَجَارٍ، أَوْ حَدَادٍ، أَوْ خِيَّاطٍ، أَوْ جَزَّارٍ، أَوْ حَائِكٍ.  
وَإِذَا وُجِدَتْ هَذِهِ بَعْدَ، فَلَا تَوْجَدُ فِيهِ كَامِلَةٌ وَلَا مُسْتَجَادَةٌ، وَإِنَّمَا يَوْجَدُ مِنْهَا  
مِقْدَارُ<sup>(د)</sup> الضَّرُورَةِ، إِذْ هِيَ كُلُّهَا وَسَائِلُ إِلَى غَيْرِهَا، وَلَيْسَتْ مَقْصُودَةٌ لِدَاتِهَا. وَإِذَا  
15 زَخَرَ بَحْرُ العُمَرَانِ وَطَلِبَتْ فِيهَا الكَمَالَاتُ، كَانَ مِنْ جُمْلَتِهَا التَّائِقُ فِي الصَّنَائِعِ  
وَالْمُسْتَجَادَاتِهَا. فَكَمَلَتْ بِجَمِيعِ مُتَمَمَّاتِهَا، وَتَزَيَّدَتِ صُنَائِعُ أُخْرَى مَعَهَا مِمَّا تَدْعُو إِلَيْهِ عَوَائِدُ

(١) ع: يكمل (ب) ي: يحصل (ج) في ع: الغداية، وفي ط ج ي: الغداية مفعلة، ولعل الصواب ما أثبتناه (د) ع: بمقدار .

التَّرف وأحواله: من خَرَزَ، ودَبَّاحَ، وجَزَّارَ، وصَانِعَ، وأمثال ذلك. وقد تَنَّتَهِيَ هذه الأصناف إذا اسْتَبَحَرَ العُمُرَان، أن يُوجَدَ منها كثيرٌ من الكمالات، ويُتَأَقَّقَ فيها في الغاية، وتكون من وُجوه المعاش في المِصْرِ لِمُنْتَحِلِهَا، بل تكون فائِدَتُهَا من أعظم فَوَائِدِ الأعمال، لما يَدْعُو إليه التَّرف في المدينة، مثل الدَّهَانِ، والصَّقَارِ، والحمَامِيِّ،

5 والطَّبَّاحِ، والسَّفَّاجِ، والهَرَّاسِ، ومُعَلِّمِ الغِنَاءِ والرَّقْصِ، وقَرَعَ الطُّبُولِ على التَّوْقِيعِ؛

[274ب]

ومثل الوَرَّاقِينَ الَّذِينَ يُعَانُونَ صِنَاعَةَ / انْتِسَاخِ الْكُتُبِ وَتَجْلِيدِهَا وَتَضَحِيحِهَا، فَإِنَّ

هذه الصَّنَاعَةُ إِنَّمَا يَدْعُو إِلَيْهَا التَّرفُ فِي الْمَدِينَةِ مِنَ الْإشْتَغَالِ بِالْأُمُورِ الْفِكْرِيَّةِ وَأَمْثَالِ

ذلك. وقد تَخْرُجُ عن الحَدِّ إذا كَانَ الْعُمُرَانُ خَارِجًا عَنِ الْحَدِّ، كَمَا يَتَلَفْنَا عَنْ أَهْلِ

مِصْرَ، أَنَّ فِيهِمْ مَنْ يُعَلِّمُ الطُّيُورَ الْعُجَمَ وَالْحُمُرَ الْإِنْسِيَّةَ، وَيُخَيِّلُ أَشْيَاءَ مِنَ الْعَجَائِبِ

بِإِيْهِامِ قُلُوبِ الْأَعْيَانِ، وَتُعَلِّمُ الْحُدَاءَ وَالرَّقْصَ، وَالْمَشْيَ عَلَى الْخَيْوُطِ فِي الْهَوَاءِ، وَرَفَعَ

10 الْأَثْقَالَ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ وَالْحِجَارَةِ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الصَّنَائِعِ الَّتِي لَا تَوْجَدُ عِنْدَنَا

بِالْمَغْرِبِ، لِأَنَّ عُمُرَانَ أَمْصَارَهُ لَمْ يَبْلُغْ عُمُرَانَ مِصْرَ وَالْقَاهِرَةَ. وَاللَّهُ ﴿الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾

[سورة الزخرف، من الآية 84، سورة الذاريات، من الآية 30].

17 ﴿فَصُلِّ، فِي أَنَّ مَرُسُوحَ الصَّنَائِعِ فِي الْأَمْصَارِ بِرُسُوحِ الْحَضَارَةِ وَطُولِ

أَمْدِهَا

15

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ ظَاهِرٌ، وَهُوَ أَنَّ هَذِهِ كُلُّهَا عَوَائِدُ لِلْعُمُرَانِ وَالْوَأْنِ.

وَالْعَوَائِدُ إِنَّمَا تَرْسُخُ بِكَثْرَةِ التَّكْرَارِ وَطُولِ الْأَمَدِ، فَتَسْتَحْكُمُ صِبْغَةُ ذَلِكَ وَتَرْسُخُ فِي

الْأَجْيَالِ. وَإِذَا اسْتَحْكَمَتِ الصَّبْغَةُ عَسَرَ نَزْعُهَا. وَلِهَذَا فَإِنَّا نَجِدُ الْأَمْصَارَ الَّتِي كَانَتْ

استبحرت في الحضارة لما تراجع عمرانها وتناقص، بقيت فيها آثار من هذه الصنائع ليست في غيرها من الأمصار المستحدثة العمران، ولو بلغت مبالغها في الوفور والكثرة. وما ذاك إلا لأن أحوال تلك القديمة العمران مستحكمة راسخة بطول الأخقاب وتداول الأحوال وتكررها، وهذه لم تبلغ الغاية بعد.

- وهذا كالحال في الأندلس لهذا العهد؛ فإننا نجد فيها رسوم الصنائع قائمة 5 وأحوالها مستحكمة راسخة في جميع ما تدعو إليه عوايد أمصارها، كالمباني، والطبخ، وأصناف الغناء واللهو، من الآلات والأوتار والرقص، وتنضيد الفرش في القصور، وحسن الترتيب والأوضاع في البناء، وصوغ الآنية من المعادن والحرف وجميع المواعين، وإقامة الولائم والأعراس، وسائر الصنائع التي يدعو إليها الترف وعوائده.
- فتجدهم أقوم عليها وأبصر بها، وتجذ صنائعها / مستحكمة لديهم. فهم على حصة 10 مؤفورة من ذلك وحظ متميز بين جميع الأمصار، وإن كان عمرانها قد تناقص والكثير منه لا يساوي عمران غيرها من بلاد العدو. وما ذلك إلا لما قدمناه من زسوخ الحضارة فيهم برسوخ الدولة الأموية وما قبلها من دولة القوط وما بعدها من دولة الطوائف إلى هلم. فبلغت الحضارة فيها مبلغاً لم تبلغه في قطر، إلا ما ينقل عن العراق والشام ومصر أيضاً لطول آماة الدول فيها، فاستحكمت فيها الصنائع 15 وكلت جميع أصنافها على الاستجدادة والتنميق، وبقيت صيغتها ثابتة في ذلك العمران لا تفارقه إلى أن ينتقض بالكلية، حال الصنع إذا رسخ في الثوب.

وكذا أيضاً حال تونس فيما حصل فيها من الحضارة بالدول الصنهاجية والموحدين من بعدهم، وما استكمل لها ذلك من الصنائع في سائر الأحوال. وإن

كان ذلك دون الأندلس، إلا أنه متضاعف برُسوم منها تنتقل إليها من مصر، لقُرب  
المسافة بينها وتردد المسافرين من قُطرها إلى قُطر مصر في كلّ سنة. وربما سَكَن  
أهلها هنالك عُصوراً، فينقلون من عوائد ترفهم ومُحكَم صنائعهم ما يَتَّع لديهم مَوْقع  
الاستِخْسان. فصارت أحوالها في ذلك مُتشابهة من أحوالِ مصر لما ذكّرناه، ومن  
أحوالِ الأندلس، لما أنّ أكثر ساكنيها من شَرْق الأندلس حين الجلاء لعهد المائة  
السابعة. ورسخ فيها [من ذلك] <sup>(1)</sup> أحوالٌ، وإن كان عُمرانها ليس بمناسبٍ لذلك،  
لهذا العهد. إلا أنّ الصبغة إذا استحكمت قليلاً ما تحوّل إلا بزوال محلّها.

وكذا نجد بالقيروان ومراكش وقلعة ابن حماد أثراً باقياً من ذلك، وإن كانت  
هذه كلّها اليوم خراباً أو في حُكم الخراب. ولا يَتَفَتَّن لها إلا البصير من الناس،  
فيجد من هذه الصنائع أثارة تدلّه على ما كان بها، كأثر الخطّ الممخو في الكتاب .  
والله ﴿الْخَلْقُ الْعَلِيمُ﴾ [سورة الحجر، من الآية ، 86 ، وسورة يس، من الآية 81].

18\* / فصل، في أنّ الصنائع إنما تستجد وتكثر إذا كثر طلبها  
[275ب]

والسبب في ذلك أنّ الإنسان لا يَسمحُ بَعْمَلِهِ أن يَتَّع مَجَاناً، لأنّه كَسْبُهُ،  
ومنه معاشه، إذ لا فائدة له في جميع عُمره في شيءٍ ممّا سِواه، فلا يَصْرِفُهُ إلا فيما له  
قيمة في مِصرِهِ ليعودَ عليه بالنفع. وإذا كانت الصّناعة مطلوبة وتوجّه إليها الثّفاق،  
كانت حينئذٍ الصّناعة بمثابة السلعة التي تَنَقّ سوقها وتُجَلَب للبيع، فيجتهد الناس في

(1) من ع ج ي، وسقط من ظ .



المدينة لتتعلم تلك الصناعة ليكون منها معاشهم. وإذا لم تكن الصناعة مطلوبة، لم ينفق سوقها، ولا توجه قصد إلى تعلمها، فاخْتُصَّت بالتَّرك وفُقدت للإهمال. ولهذا يُقال عن عليٍّ <sup>(1)</sup> رضي الله عنه: قيمة كلِّ امرئ ما يُحسن. بمعنى أنَّ صناعته هي قيمته، أي قيمة عمله الذي هو معاشه.

وأيضاً فهنا سرٌّ آخر، وهو أنَّ الصناعات وإجادتها إنّما تطلبها الدولة، فهي 5 التي تنفق من سوقها وتوجه الطلبات إليها. وما لم تطلبه الدولة وإنّما يطلبه غيرها من أهل المِصر، فليس على نسبتها. لأنَّ الدولة هي السوق الأعظم، وفيها نقاق كلِّ شيء، والقليل والكثير فيها على نسبة واحدة، فما نفق فيها كان أكثرياً ضرورةً. والسوق، وإن طلبوا الصناعة، فليس طلبهم بعام ولا سوقهم بنافقة. والله قادر على ما يشاء.

10

## 19 • فصل، في أنَّ الأمصار إذا قاربَت الخراب انتقصت منها الصنائع

وذلك لما يبتئاه من أنَّ الصنائع إنّما تستجد إذا احتيج إليها وكثر طالبيها. فإذا 15 ضُعفت أحوال المِصر وأخذ في الهَرَم بانقِصاص عُمرانه وقلة ساكنيه، تناقص فيه الترف، ورَجَعوا إلى الاقتصار على الضروري من أحوالهم؛ فتقلَّ الصنائع التي كانت من ثوابع الترف، لأنَّ صاحبها حينئذٍ لا يصحُّ له بها معاش. فينفِر إلى غيرها،

(1) أخرجه الخطيب في تاريخ مدينة السلام 6: 178 وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله 1: 99 وابن مفلح في الآداب الشرعية 1: 378.

أو يَمُوتُ ولا يكون خَلْفَ منه، فيذْهَبُ رَسْمُ تلك الصَّنَائِعِ جملةً، كما يَذْهَبُ  
التَّقَاشُونَ والصَّوَاغُونَ / والكَتَابُ والنَّسَاحُ وأمثالهم من الصَّنَاعِ لحاجاتِ التَّرَفِ. ولا  
تَرَالُ الصَّنَاعَاتُ فِي تَنَاقُصٍ<sup>(١)</sup> ما دام الحِصْرُ فِي تَنَاقُصٍ<sup>(١)</sup> إِلَى أَنْ يَضْمَحِلَّ. وَاللَّهُ  
﴿الْخَلْقُ الْعَلِيمُ﴾ [سورة الحجر، من الآية 86، وسورة يس، من الآية 81]

## 5 20 • فَصْلٌ، فِي أَنَّ الْعَرَبَ أَبْعَدُ النَّاسِ عَنِ الصَّنَائِعِ

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ، أَنَّهُمْ أَعْرَقُوا فِي الْبَدْوِ، وَأَبْعَدُوا عَنِ الْعُمَرَانِ الْحَضَرِيِّ وَمَا  
يَدْعُو إِلَيْهِ مِنَ الصَّنَائِعِ وَغَيْرِهَا. وَالْعَجَمُ مِنْ أَهْلِ الْمَشْرِقِ، وَأُمَمُ الْمَشْرِقِ، وَأُمَمُ  
النَّصْرَانِيَّةِ عُدُوَّةُ الْبَحْرِ الرُّومِيِّ، أَقَوْمُ النَّاسِ عَلَيْهَا؛ لِأَنَّهُمْ أَعْرَقُوا فِي الْعُمَرَانِ الْحَضَرِيِّ  
وَأَبْعَدُوا عَنِ الْبَدْوِ وَعُمَرَانِهِ. حَتَّى أَنَّ الْإِبِلَ الَّتِي أَعَانَتْ الْعَرَبَ عَلَى التَّوَحُّشِ فِي الْقَفْرِ  
وَالْإِعْرَاقِ فِي الْبَدْوِ، مَفْقُودَةٌ لَدَيْهِمْ بِالْجُمْلَةِ، وَمَفْقُودَةٌ مَرَاعِيهَا وَالزَّمَالُ الْمُهَيَّئَةُ لِنَتَاجِهَا. 10  
وَلِهَذَا نَجَدُ أَوْطَانَ الْعَرَبِ وَمَا مَلَكَوهُ فِي الْإِسْلَامِ قَلِيلَ الصَّنَائِعِ بِالْجُمْلَةِ، حَتَّى تُجَلَّبَ  
إِلَيْهِ مِنْ قُطْرٍ آخَرَ.

وَانْظُرْ بِلَادَ الْعَجَمِ مِنَ الصِّينِ وَالْهِنْدِ وَأَرْضَ التُّرْكِ وَأُمَمِ النَّصْرَانِيَّةِ، كَيْفَ  
اسْتَكْثَرَتْ فِيهَا الصَّنَائِعُ وَاسْتَجَلَبَهَا الْأُمَمُ مِنْ عِنْدِهِمْ. وَعَجَمُ الْمَغْرِبِ مِنَ الْبَرِّ بِمِثَابَةِ  
الْعَرَبِ فِي ذَلِكَ، لِرُسُوخِهِمْ فِي الْبَدَاوَةِ مِنْذُ أَحْقَابٍ مِنَ السِّنِينَ. وَيَشْهَدُ لَكَ بِذَلِكَ 15  
قِلَّةُ الْأَمْصَارِ بِقُطْرِهِمْ، كَمَا قَدَّمَاهُ. فَالصَّنَائِعُ بِالْمَغْرِبِ لَذَلِكَ قَلِيلَةٌ وَغَيْرُ مُسْتَحْكَمَةٍ، إِلَّا

(١) فِي ج: تَنَاقُصٌ .

ما كان من صناعة الصوف في نسجه، والجلد في خزره ودبغه، فإنهم لما استحضروا بلغوا فيها المبالغ لعموم البلوى بها، وكَوْن هذين أغلب السلع في قُطْرهم لما هم عليه من حال البداوة.

وأما المشرق، فقد رسخت الصنائع فيه منذ مُلك الأمم الأقدمين، من الفرس والتبّط والقيبط وبنو إسرائيل ويونان والروم أحقاباً مُتطاولة، فرسخت فيهم أحوال الحضارة، ومن جُمَلتها الصنائع، كما قدّمناه، فلم يُنمَح رسمها . وأما اليمن والبحرين وعمان والجزيرة، وإن ملكها العرب، إلا أنهم تداولوا مُلكه آلافاً من السنين في أمم كثيرين منهم، واختطّوا أيضاً أمصاره ومُدنه، وبلغوا المبالغ من الحضارة والترّف، مثل عاد وثمود والعمالقَة وحِمْير من بعدهم والتبابعة والأدواء . فطال أمد الملك والحضارة واستحكمت صِبغتها، وتوفّرت الصنائع ورسخت، فلم تبَلِ الدولة كما قلناه، فبقيت مستجدةً حتى الآن، واختصّت بذلك الموطن، كصناعة الوشي والعصب وما يُستجد من حوك الثياب والحريز فيها. والله وارث الأرض ومن عليها.

21\* فصل، في أنّ من حصلت له ملكة في صناعة، فقل أن يُجيد بعدها ملكة في<sup>(1)</sup> أخرى

ومثال ذلك الخياط، إذا أجاد ملكة الخياطة وأحكمها، ورسخت في نفسه، فلا يُجيد من بعدها ملكة التجارة أو البناء، إلا أن تكون الأولى لم تستحكم بعد ولم

(1) سقط من ي ج .

تَرْسُخُ صِبْغَتِهَا. وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْمَلَكَاتِ صِفَاتٌ لِلنَّفْسِ وَالْوَانِ، فَلَا تَرْدَحِمُ دَفْعَةً. وَمَنْ كَانَ عَلَى الْفِطْرَةِ كَانَ أَسْهَلَ لِقَبُولِ الْمَلَكَاتِ وَأَحْسَنَ اسْتِعْدَاداً لِحُصُولِهَا. فَإِذَا تَلَوَّنَتِ النَّفْسُ بِالْمَلَكَةِ خَرَجَتْ عَنِ الْفِطْرَةِ، وَضَعُفَ فِيهَا الاسْتِعْدَادُ بِاللَّوْنِ الْحَاصِلِ مِنْ هَذِهِ الْمَلَكَةِ، فَكَانَ قَبُولُهَا لِلْمَلَكَةِ الْأُخْرَى أضعَفَ. وَهَذَا بَيِّنٌ يَشْهَدُ لَهُ 5 الْوُجُودُ. فَقُلْ أَنْ تَجِدَ صَاحِبَ صِنَاعَةٍ يُحْكِمُهَا فَيُحْكِمَ مِنْ بَعْدِهَا أُخْرَى، وَيَكُونُ فِيهَا مَعاً عَلَى رُتْبَةٍ وَاحِدَةٍ مِنَ الْإِجَادَةِ. حَتَّى أَنْ أَهْلَ الْعِلْمِ الَّذِينَ مَلَكَتْهُمْ فِكْرِيَّةٌ فَهْمُ هَذِهِ الْمَثَابَةِ، وَمَنْ حَصَلَ مِنْهُمْ عَلَى مَلَكَةِ عِلْمٍ مِنَ الْعُلُومِ وَأَجَادَهَا فِي الْغَايَةِ فَقُلْ أَنْ يُجِيدَ مَلَكَةَ عِلْمٍ آخَرَ عَلَى نِسْبَتِهِ، بَلْ يَكُونُ مُقْصِراً فِيهِ إِنْ طَلَبَهُ، إِلَّا فِي الْأَقْلِ التَّادِرِ مِنَ الْأَحْوَالِ. وَمَبْنَى سَبَبِهِ عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ شَأْنِ الاسْتِعْدَادِ وَتَلْوِينِهِ بِلَوْنِ الْمَلَكَةِ الْحَاصِلَةِ فِي النَّفْسِ. / وَاللَّهُ أَعْلَمُ. 10

[277 أ]

## 22 • فَصْلٌ، فِي الْإِشَارَةِ إِلَى أُمِّهِاتِ الصَّنَائِعِ

اعْلَمْ أَنَّ الصَّنَائِعَ فِي التَّنَوُّعِ الْإِنْسَانِيِّ كَثِيرَةٌ لِكَثْرَةِ الْأَعْمَالِ الْمُتَدَاوِلَةِ فِي الْعُمْرَانِ. فَهِيَ بِحَيْثُ تَشْدُّ عَنِ الْحَضَرِ وَلَا يَأْخُذُهَا الْعَدَدُ. إِلَّا أَنْ مِنْهَا مَا هُوَ ضَرُورِيٌّ فِي الْعُمْرَانِ، أَوْ شَرِيفٌ بِالْمَوْضُوعِ، فَتَخْصُّهَا بِالذِّكْرِ وَتَرْكُ مَا سِوَاهُمَا.

15 فَأَمَّا الضَّرُورِيُّ، فَكَالْفِلَاحَةِ، وَالْبِنَاءِ، وَالْخِيَاطَةِ، وَالتَّجَارَةِ، وَالْحَيَاكَةِ. وَأَمَّا الشَّرِيفَةُ بِالْمَوْضُوعِ، فَكَالتَّوْلِيدِ، وَالْكِتَابَةِ، وَالْوِرَاقَةِ، وَالْغِنَاءِ، وَالطَّبِّ.

فَأَمَّا التَّوْلِيدُ، فَإِنَّهَا ضَرُورِيَّةٌ فِي الْعُمُرَانِ وَعَامَّةُ الْبُلُوَى، إِذْ بِهَا تَحْصُلُ حَيَاةُ الْمَوْلُودِ وَتَتِمُّ غَالِبًا. وَمَوْضُوعُهَا مَعَ ذَلِكَ: الْمَوْلُودُونَ وَأُمَمَاتُهُمْ.

وَأَمَّا الطَّبُّ، فَهُوَ حِفْظُ الصَّحَّةِ لِلإِنْسَانِ وَدَفْعُ الْمَرَضِ عَنْهُ، وَيَتَفَرَّغُ عَنْ عِلْمِ الطَّبِّيعَةِ. وَمَوْضُوعُهُ مَعَ ذَلِكَ بَدَنُ الْإِنْسَانِ.

5 وَأَمَّا الْكِتَابَةُ وَمَا يَتَّبِعُهَا مِنَ الْوِرَاقَةِ، فَهِيَ حَافِظَةٌ عَلَى الْإِنْسَانِ حَاجَتَهُ، وَمُقَيِّدَةٌ لَهَا عَنِ النَّسْيَانِ، وَمُبَلِّغَةٌ ضَمَائِرَ النَّفْسِ إِلَى الْبَعِيدِ الْغَائِبِ، وَمُخَلِّدَةٌ نَتَاجِ الْأَفْكَارِ وَالْعُلُومِ فِي الصُّحُفِ، وَرَابِعَةٌ رُتَبُ الْوُجُودِ لِلْمَعَانِي.

وَأَمَّا الْغِنَاءُ، فَهُوَ نِسْبُ الْأَصْوَاتِ، وَمُظْهَرُ جَمَالِهَا لِلْأَسْمَاعِ.

وَكُلُّ هَذِهِ الصَّنَائِعِ الثَّلَاثِ دَاعٍ عَلَى مُخَالَطَةِ الْمُلُوكِ الْأَعَظِمِ فِي خُلُوتِهِمْ وَمَجَالِسِ أَنْسِهِمْ، فَلَهَا بِذَلِكَ شَرَفٌ لَيْسَ لغيرِهَا. وَمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الصَّنَائِعِ فَتَابِعَةٌ 10 وَمُقْتَبَهَةٌ فِي الْغَالِبِ. وَقَدْ يَخْتَلِفُ ذَلِكَ بِاخْتِلَافِ الْأَغْرَاضِ وَالذَّوَاعِي. وَاللَّهُ ﴿الْخَالِقُ الْعَلِيمُ﴾ [سورة الحجر، من الآية 86، وسورة يس، من الآية 81].

## 23 ﴿فَصَلِّ﴾ فِي صِنَاعَةِ الْفَلَاحَةِ

هَذِهِ الصَّنَاعَةُ ثَمَرُهَا اتِّخَاذُ الْأَقْوَاتِ وَالْحُبُوبِ، بِالْقِيَامِ عَلَى إِثَارَةِ الْأَرْضِ لَهَا 15 وَازْدِرَاعِهَا، وَعِلَاجُ نَبَاتِهَا، وَتَعَاهُدُهُ بِالسَّقْيِ وَالسُّنْمِيَةِ إِلَى بُلُوغِ غَايَتِهِ، ثُمَّ حَصَادِ سُنْبُلِهِ وَاسْتِخْرَاجِ حَبِّهِ مِنْ غِلَافِهِ، وَإِحْكَامِ الْأَعْمَالِ لَذَلِكَ وَتَحْصِيلِ أَسْبَابِهِ وَذَوَاعِيهِ.

وهي أقدم الصنائع، لما أنها مُحَصِّلَةٌ للقوت المَكْمَل لحياة / الإنسان غالباً، إذ [277ب]  
يُمكن وجوده من دون جميع الأشياء إلا من دون القوت. ولهذا ما اخْتُصَّت هذه  
الصناعة بالبُدْوِ، إذ قَدَّمْنَا أَنَّهُ أَقْدَمُ من الحَضَر وسابِقٌ عليه. فكانت هذه الصناعة  
لذلك بدويَّة لا يقوم عليها الحَضَر ولا يَعْرِفونها، لأنَّ أحوالهم كلَّها ثابِتة عن البداوة.  
5 فصنائعُهم ثابِتة عن صنائعها، وتابعة لها. والله ﴿الْخَلْقُ الْعَلِيمُ﴾ [سورة الحجر، من الآية  
86، وسورة يس، من الآية 81]

## 24 \* فَصْلٌ، فِي صِنَاعَةِ الْبِنَاءِ

هذه أوَّلُ صنائع العُمَران الحضريِّ وأقدمُها. وهي مَعْرِفَةُ العَمَل في اتِّخَاذِ  
البيوتِ والمنازل للسَّكَنِ<sup>(1)</sup> والمأوَى.

10 \* [وذلك أَنَّ الإنسانَ لما جُبِلَ عليه من الفِكر في عَوَاقِبِ أحواله لا بُدَّ له  
أن يُفَكِّر في مَوَانِعِ إِذَاةِ الحَرِّ والبَرْدِ عنه، باتِّخَاذِ البيوتِ ذواتِ الحِيطَانِ والسَّقْفِ  
الحائِلةِ دون ذلك من جِهاته. والبَشَرُ مُخْتَلِفُونَ في هذه الجِبِلَّةِ الفِكرِيَّةِ الَّتِي هِيَ مَعْنَى  
الإنسانيَّةِ. فالْمُعْتَدِلُونَ فيها - ولو على التَّقاوتِ - يَتَّخِذُونَ ذلك باعْتِدَالٍ، كأهل  
الإقليمِ الثَّانِي والثَّالِثِ والرَّابِعِ والخامسِ والسادسِ. وأمَّا أهلُ الأوَّلِ والسَّابِعِ فَيَتَّبِعُونَ  
15 عن اتِّخَاذِ ذلك، لانْحِرَافِهِمْ وَقُصُورِ أَفْكَارِهِمْ عن كَيْفِيَّةِ العَمَلِ في الصَّنَائِعِ الإنسانيَّةِ،  
فَيَأْوُونَ إلى الْغَيْرَانِ والكُھُوفِ، كما يَتَنَاوَلُونَ الْأَغْذِيَّةَ من غَيْرِ عِلاجٍ ولا نَضِجٍ.

(1) في ع ج ي: لكنَّ (ب) حاشية بخطه في ع، أثبتنا نسخة ج، وسقطت من نسختي ظ ي.

ثم المُتَعَدِّلُونَ الْمُتَّخِذُونَ الْبُيُوتَ لِلْمَأْوَى، قَدْ يَتَكَثَّرُونَ فَتَكْثُرُ بُيُوتُهُمْ فِي  
الْبَسِيطِ الْوَاحِدِ، بَحِثْ يَتَنَاقَرُونَ وَلَا يَتَعَارَفُونَ، فَيُخْشَى مِنْ طُرُقِ بَعْضِهِمْ  
الْبَغْضَ [بَيَاتاً] <sup>(أ)</sup> فَيَحْتَاجُونَ إِلَى حِفْظِ مُجْتَمَعِهِمْ بِإِدَارَةِ سِيَاكِ الْأَسْوَارِ الَّتِي تُحَوِّطُهُمْ،  
وَتَصِيرُ جَمِيعُهَا مَدِينَةً وَمِصْرًا \* وَاحِدًا يُحَوِّطُهُمْ فِيهِ الْحُكَّامُ بِدِفَاعِ بَعْضِهِمْ عَنْ  
بَعْضٍ \* <sup>(ب)</sup>. وَقَدْ يَحْتَاجُونَ إِلَى الْاِغْتِصَامِ مِنَ الْعَدُوِّ فَيَتَّخِذُونَ الْمَعَاقِلَ وَالْحَصُونِ لَهُمْ 5  
وَلَمْ تَحْتَ أَيْدِيهِمْ. وَهَؤُلَاءِ مِثْلُ الْمُلُوكِ وَمَنْ فِي مَعْنَاهُمْ مِنَ الْأَمْراءِ وَكِبَارِ الْقَبَائِلِ.

ثم تَخْتَلِفُ أَحْوَالُ الْبِنَاءِ <sup>(ج)</sup> فِي الْمَدْنِ، كُلُّ مَدِينَةٍ عَلَى مَا يَتَعَارَفُونَهُ  
وَيُضْطَلِحُونَ عَلَيْهِ، وَيُنَاسِبُ مَزَاجَ هَوَائِهِمْ وَاخْتِلَافَ أَحْوَالِهِمْ فِي الْغِنَى وَالْفَقْرِ. وَكَذَا  
حَالُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ الْوَاحِدَةِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّخِذُ الْقُصُورَ وَالْمَصَانِعَ الْعَظِيمَةَ السَّاحَةَ،  
الْمَشْتَمِلَةَ عَلَى عِدَّةِ الدُّورِ وَالْبُيُوتِ وَالْغُرَفِ لِكَثْرَةِ وَلَدِهِ وَحَشَمِهِ وَعِيَالِهِ وَتَابِعِهِ. 10  
وَيُؤَسِّسُ جُدْرَانَهَا بِالْحِجَارَةِ، وَيُلْحِمُ بَيْنَهَا بِالْكِلْسِ، وَيُعَالِي عَلَيْهَا بِالْأَصْبَغَةِ وَالْجِصِّ،  
وَيُبَالِغُ فِي كُلِّ ذَلِكَ بِالتَّنْجِيدِ وَالتَّنْمِيقِ، إِظْهَارًا لِلْبَسِيطَةِ <sup>(د)</sup> فِي الْعِنَايَةِ بِشَأْنِ الْمَأْوَى،  
وَيُهَيِّئُ مَعَ ذَلِكَ الْأَسْرَابَ وَالْمَطَامِيرَ لِاخْتِرَانِ أَقْوَاتِهِ، وَالْإِضْطِبْلَاتِ لِرَبْطِ مُقَرَّبَاتِهِ إِنْ  
كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجُنُودِ وَكَثْرَةِ التَّابِعِ وَالْغَاشِيَةِ، كَالْأَمْراءِ وَمَنْ فِي مَعْنَاهُمْ. وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْنِي  
الدُّوَيْرَةَ وَالْبُؤْيُوتَ لِنَفْسِهِ وَسَكْنِهِ وَوَلَدِهِ، لَا يَتَنَبَّغِي مَا وَرَاءَ ذَلِكَ، لِقُصُورِ حَالِهِ عَنْهُ، 15  
وَأَقْتِصَارِهِ عَلَى الْكِنِّ الطَّبِيعِيِّ لِلْبَشَرِ. وَيَبْنِي ذَلِكَ مَرَاتِبَ غَيْرَ مُنْخَصِرَةٍ.

(أ) من ج (ب) اشردت ج وحدها بما بين النجمين (ج) نهاية حاشية بخطه في ع، أثبتتها نسخة ج، وسقطت من نسختي ط ي

(د) ج: للبسيطة .

وقد يُحتاج إلى هذه الصّناعة أيضاً عند تأسيس الملوك وأهل الدّول المدن العظيمة والهيكل المرتفعة. ويبالغون في إتيان الأوضاع وعلو الأجرام مع الإحكام لتبلغ الصّناعة مبالغها. \* وهذه الصّناعة هي التي تحصل الدّواعي لذلك كلّها. وأكثر ما تكون هذه الصّناعة في الأقاليم المعتدلة \*<sup>(١)</sup> من الرّابع وما حوله؛ / إذ الأقاليم المنحرفة لا بناء فيها ، وإنّما يتخذون البيوت حظائر من القصب والطّين ، [أو يأوون إلى الكهوف والغيران] <sup>(ب)</sup> وإنّما توجد في الأقاليم المعتدلة <sup>(ج)</sup>.

[278]

5

وأهل هذه الصّناعة القائمون عليها متفاوتون. فمنهم البصير الماهر، ومنهم القاصر.

ثم هي تتنوع أنواعاً كثيرة:

فمنها البناء بالحجارة المنجّدة ، أو [بالآجر] <sup>(د)</sup> يقام بها الجدران ملصقاً بعضها إلى بعض بالطّين والكلس الذي يعقد معها فتلتحم كأنها جسم واحد.

10

ومنها البناء بالتراب خاصّة، [تقام منه الحيطان، بأن] <sup>(هـ)</sup> يتخذ له لوحان من الخشب مقدّران طولاً وعرضاً باختلاف العادات في التقدير، وأوسطه أربعة أذرع في ذراعين. فينصبان على أساس، وقد يوعد ما بينهما بما يراه صاحب البناء في عرض الأساس، ويوصل بينهما بأذرع من الخشب يربط عليها بالحبال والجُدل، وتُسَدُّ الجهتان الباقيتان من ذلك الخلاء <sup>(و)</sup> بينهما بلوحيان آخرين صغيرين. ثم يوضع فيه التراب مختلطاً بالكلس \* [ويملأ بالمراكز المعدّة لذلك، حتى ينعم ركزه وتختلط

15

(١) ما بين النجمين من: ظ ي، وسقط من ع ج (ب) حاشية من ع، وسقطت من ظ ج ي (ج) هذه الجملة من ظ، ووجدت في الأصل ع، ثم شطبها (د) من ع (هـ) حاشية بخطه من ع (و) في ج ي، وفي الأصل ع وغيّرت إلى الفضاء .



أجزاءه بالكلس<sup>(١)</sup>، ثم يَراد التُّرابُ ثانياً وثالثاً إلى أن يَمْتَلِئَ ذلك الخلاء<sup>(ب)</sup> بين اللوحين، وقد تداخلت أجزاء الكلس والتُّراب وصارت جنساً واحداً. ثم يُعاد نَصَبُ اللوحين على الصُّورة الأولى، ويركّز كذلك إلى أن يَتِمَّ، وتُنْتَظَمُ الألواحُ كُلُّها سَطْراً من فوق سَطْرٍ إلى أن يَتُنْتَظِمَ الحائطُ كُلُّهُ مُلتَحمِاً كأنَّه قطعةٌ واحدةٌ، ويُسمَّى الطَّائِيَّةُ، وصانِعُه الطَّوَابُ.

5

ومن صنائع البناء أيضاً أن تُجَلَّلَ الحيطانُ [بالكلس]<sup>(ج)</sup> بعد أن يُحَلَّ بالماء ويُخَمَّرَ أسبوعاً أو أسبوعين، على قَدَرِ ما يَغْتَدِلُ مزاجُهُ عن إفراطِ الناريةِ المُفْسِدةِ لِللِّحَامِ. فإذا تَمَّ له ما يَرْضاهُ من ذلك، علاه من فَوْقِ الحائطِ وذلكهُ إلى أن يَلْتَحِمَ. ومن صنائع البناء عَمَلُ الشَّقْفِ، بأن تُمدَّ الخَشْبُ المحَكَّمَةُ النَّجَارَةُ أو الساذجةُ على حائِطِي البَيْتِ، ومن فَوْقِها الألواحُ كذلك موصولةً بالدَّسائِرِ، ويُصَبُّ عليها 10 التُّرابُ والكلسُ، ويُطَلَّطُ بالمراكر حتَّى تَتَدَاخَلَ أجزاؤُهُما وتَلْتَحِمَ، ويُعالَى عليه الكلسُ كما عُولِيَ على الحائطِ.

/ ومن صناعةِ البناءِ ما يَرْجَعُ إلى التَّثْمِيقِ والتَّزْيِينِ، كما تُصَنَعُ من فوق الحيطانِ الأشكالُ المَجَسِّمَةُ من الجِصِّ يُعَقَّدُ بالماءِ، ثم يُرْفَعُ مُجَسِّداً وفيه بَقِيَّةُ البَلَلِ، فيشكَّلُ على التَّنَاسُبِ تَخْرِماً بِمِثاقِ الحديدِ، إلى أن يَبْقَى له رَوْنَقٌ ورُواءٌ. ورُبَّما 15 عُولِيَ على الحيطانِ أيضاً بِقِطْعِ الرُّخَامِ أو الآجُزِّ أو الخَزَفِ أو الصَّدْفِ أو السَّبِجِ، يُفَصِّلُ أجزاءً مُتجانِسةً أو مُخْتَلِفَةً، ويوضَعُ في الكلسِ على نِسَبٍ وأوضاعٍ مُقدَّرةٍ

[278ب]

(١) من ج ع ي، وسقط من ظ (ب) في ج ي، وفي الأصل ع وغيّرت إلى الفضاء (ج) من: ع ج ي، وسقطت من ظ.

عندهم، ويبدو به الحائط للعيان كأنه قطع التّرياض المُتَمَنِّمة، إلى غير ذلك من بناء الجباب والصّهاريج لسيح الماء، بعد أن تُعدّ في البيوت قصاع الرّخام، القوّراء المُحَكِّمة الحزط، بالفوّهات في وَسَطِهَا لتنع الماء الجاري إلى الصّهرج، يُجَلِّب إليها من خارج القنّوات المُفْضِيّة به إلى البيوت. وأمثال ذلك من أنواع البناء.

5 ويختلف الصنّاع في جميع ذلك باختلاف الحِذْق والبَصَر. ويغظم عُمران المدينة ويتّسع، فيكثّرون.

وربّما يرجع الحُكَّامُ إلى نَظَرِ هؤلاء فيما هم أبصرُ به من أحوال البناء. وذلك أنّ النَّاسَ في المُدُنِ لِكثْرَةِ الازدحام والعُمران، يتشاحّون حتّى في الفُضاء والهواء للأعلى والأسفل، وفي الارتفاع بظاهر البناء ممّا يُتَوَقَّع معه حُصول الضّرر في الحيطان، فيمنع جاره من ذلك إلّا ما كان له فيه حقٌّ. ويختلفون أيضاً في استحقاق الطّرق والمنافذ للمياه الجارية والفضلات المُسَرَّبة في القنّوات. وربّما يدّعي بعضهم حقّ بعض في حائطه أو علوّه أو قنّاته لتضاييق الجوار، أو يدّعي بعض على جاره اعتلال حائطه وخشية سُقوطه، ويحتاج إلى الحُكم عليه بهدمه ودفع ضرّره عن جاره عند من يراه، أو يحتاج إلى قسمة دارٍ أو عَرَصَةٍ بَيْنَ شريكين، بحيث لا يقع مَعَهُ فسادٌ في الدّار ولا إهمالٌ لمنفعتها. وأمثال ذلك. ويخفى جميع ذلك إلّا على أهل البَصَرِ بالبناء، العارفين بأحواله، المُستَدِلِّين عليها بالمعاقد/ والقُمُط ومراكز الخشب، وميل الحيطان واعتدالها، وقسم المساكن على نسبة أوضاعها ومنافعها، وتَشْرِيب<sup>(١)</sup>

[279 أ]

(١) ع: تشريب .

المياه في القنوات مَجْلُوبَةٌ وَمَدْفُوعَةٌ، بحيثُ لا تَضُرُّ بما مرّت عليه من البيوت والحيطان، وغير ذلك. فلهم بهذا كله البَصْرُ والخِبرَةُ الَّتِي لَيْسَتْ لغيرهم.

وهم مع ذلك يَخْتَلِفُونَ بالجُودة والقُصور في الأجيال باعتبار الدُّولِ وقُوَّتها. فإنّا قدّمنا أنّ الصّنائع وكماها إنّما هو بكمال الحضارة، وكثرتُها بكثرة الطّالب لها. فلذلك<sup>(١)</sup> عندما تكون الدولة بدويّة في أوّل أمرها تَقْتَصِرُ في أمر البناء إلى غير قطرها، كما 5 وَقَعَ للوليد بن عبد الملك حين أجمع بناء مَسْجِدِ المدينة والقُدس ومَسْجِدِهِ بالشّام. فبعث إلى ملك الرّوم بالقُسطنطينيّة في الفَعْلَةِ المَهْرَةَ في البناء، فبعث إليه منهم بمن كَمَّلَ له غَرَضَهُ من تلك المساجد.

وقد يُصَرِّفُ<sup>(ب)</sup> صاحبُ هذه الصّناعة أشياء من الهندسة، مثل تشوية 10 الحيطان بالوزن، وإجراء المياه بأخذ الارتفاع، وأمثال ذلك؛ فيحتاج إلى البَصْرِ بشيء من مسائله. وكذلك في جَرِّ الأثقال بالهندام، فإنّ الأجرام العظيمة إذا شِيدَتْ بالحجارة الكبيرة تَعْجُرُ قُدْرُ الفَعْلَةِ عن رَفْعِها إلى مكانها من الحائط؛ فيَتَحَيَّلُ لذلك بِمُضَاعَفَةِ قُوَّةِ الحَبْلِ، بإدخاله في المَعَالِقِ من أَقْنَابِ<sup>(ج)</sup> مقدرة على نسب هندسيّة، تُصَيِّرُ الثَّقِيلَ عند مُعَانَاةِ الرِّفْعِ خَفِيفاً، [وتسمّى الآلة لذلك بالمِيخَالِ]<sup>(د)</sup>. فيتمّ المراد من ذلك بغير كُلفَةٍ. وهذا إنّما يتمّ بأصول هندسيّة معروفة مُتَدَاوِلَةٌ بين البشر. ويمثلها 15 كان بناء الهياكل الماثلة لهذا العهد، الَّتِي يحسبُ النَّاسُ أنّها من بناء الجاهليّة، وأنّ أبدانهم كانت على نِسْبَتِها في عِظَمِ الجُثْثَانِ؛ وليس كذلك. وإنّما تمّ لهم ذلك بالحيل الهندسيّة، كما ذكّرناه. فتفهّم ذلك. واللّهُ ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ [سورة آل عمران، من الآية 47].

(١) في ع ج ي، وفي ظ: فكذلك (ب) كذا في ظ ع ج ي، بمعنى يستخدم (ج) ي: أقناب (د) من ع .

## 25 • فَضْلٌ، فِي صِنَاعَةِ النِّجَارَةِ

هذه الصَّنَاعَةُ من ضَرُورَاتِ العُمْرَانِ ، وَمَادَّتُهَا الخَشَبُ . وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى جَعَلَ لِلْآدَمِيِّ / فِي كُلِّ مُكُونٍ مِنَ الْمَكُونَاتِ مَنَافِعَ يُكْمِلُ بِهَا [279ب] ضَرُورَاتِهِ أَوْ حَاجَاتِهِ، وَكَانَ مِنْهَا الشَّجَرُ، فَإِنَّ لَهُ فِيهِ مِنَ الْمَنَافِعِ مَا لَا يَنْحَصِرُ، مِمَّا هُوَ مَعْرُوفٌ لِكُلِّ وَاحِدٍ . وَمِنْ مَنَافِعِهَا اتِّخَاذُهَا خَشَباً إِذَا يَبَسَتْ ، وَأَوَّلُ مَنَافِعِ الخَشَبِ أَنْ يَكُونَ وَقُوداً لِلنَّارِ فِي مَعَاشِهِمْ، وَعَصِيّاً لِلاتِّكَاءِ وَالذُّودِ، وَغَيْرِهَا مِنْ ضَرُورَاتِهِمْ، وَدَعَائِمِ مَا يُخْشَى مِثْلَهُ مِنْ أَثْقَالِهِمْ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ مَنَافِعُ أُخْرَى لِأَهْلِ الْبَدْوِ وَالْحَضَرِ.

فَأَمَّا أَهْلُ الْبَدْوِ، فَيَتَّخِذُونَ مِنْهَا الْعُمَدَ وَالْأَوْتَادَ لِخِيَامِهِمْ، وَالْحُدُوجَ لَطَعَاتِهِمْ، 10 وَالرِّمَاحَ وَالْقِيسِيَّ وَالسَّهَامَ لِسِلَاحِهِمْ <sup>(١)</sup> . وَأَمَّا أَهْلُ الْحَضَرِ فَالسُّقُفُ لِبُيُوتِهِمْ، وَالْأَغْلَاقُ لِأَبْوَابِهِمْ، وَالْكِرَاسِيُّ لَجُلُوسِهِمْ. وَكُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْ هَذِهِ، فَالْخَشَبُ مَادَّةٌ لَهَا، وَلَا تَصِيرُ إِلَى الصُّورَةِ الْخَاصَّةِ بِهَا إِلَّا بِالصَّنَاعَةِ. وَالصَّنَاعَةُ الْمَتَكْفِلَةُ بِذَلِكَ الْمُحْصَلَةَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْ صُورِهَا، هِيَ التَّجَارَةُ عَلَى اخْتِلَافِ رُتَبِهَا.

فِيحْتَاجُ صَاحِبُهَا إِلَى تَفْصِيلِ الخَشَبِ أَوَّلًا ، إِمَّا بِخَشَبِ أَصْغَرِ مِنْهُ أَوْ 15 بِالْوَاحِ ، ثُمَّ تَرْكِيبُ تِلْكَ الْفَصَائِلِ بِحَسَبِ الصُّورَةِ الْمَطْلُوبَةِ . فَهُوَ فِي كُلِّ ذَلِكَ يَحَاوِلُ بِصُنْعَتِهِ إِعْدَادَ تِلْكَ الْفَصَائِلِ بِالِاتِّظَامِ، إِلَى أَنْ تَصِيرَ أَعْضَاءُ لَذَلِكَ الشَّكْلِ الْمَخْصُوصِ. وَالْقَائِمُ عَلَى هَذِهِ الصَّنَاعَةِ هُوَ التَّجَارُ. وَهُوَ ضَرُورِيٌّ فِي الْعُمْرَانِ.

(١) ي: والسلاح.

ثم إذا عَظُمَت الحضارة وجاء الترف، وتأنق الناس فيما يتخذونه من كل صنف [من] <sup>(1)</sup> سقف أو باب أو كرسي أو ماعون، حدث التأنق في صناعة ذلك واستجداته بغرائب من الصنعة كمالية ليست من الضروري في شيء، مثل التخطيط في الأبواب والكراسي، ومثل تهيئة القطع من الخشب بصناعة الحُرط يحكم بزبها وتشكيلها ثم تؤلف على نسب مقدرة، وتلحم بالدساتير فتبدو لمزاي 5 العين ملتحمة وقد أخذ منها اختلاف الأشكال على تناسب، يُصنع هذا في كل شكل يتخذ من \*الخشب، فتجيء آنق ما يكون. وكذلك في جميع ما يحتاج إليه من الآلات المتخذة من الخشب\* <sup>(ب)</sup> من أي نوع كانت.

وكذلك قد يحتاج إلى هذه/ الصناعة في إنشاء السفن البحرية ذات الألواح والدُّسر. وهي أجرام هندسية صُنعت على قالب الحوت واعتبار سبحة في 10 الماء بقوامه وكلِّكه، ليكون ذلك الشكل أعون لها في مُصادمة الماء، وجعل لها عَوْض الحركة الحيوانية التي للسَّمك تحريك الرياح، وربما أُعِينت بحركة المقاذيف كما في الأساطيل.

وهذه الصناعة من أضلها مُحتاجة إلى جزء كبير من الهندسة في جميع أضافها. لأن إخراج الصور من القُوَّة إلى الفعل على وجه الإحكام مُحتاج إلى 15 معرفة التناسب في المقادير، إمّا عموماً أو خصوصاً، وتناسب المقادير لا بد من الرجوع فيه إلى المهندس. ولهذا كان أئمة الهندسة اليونانيون كلهم أئمة في هذه

(1) سقط من ظ (ب) سقط ما بين النجيين من ج .

الصَّانِعَة. فكان أفلدس، صاحبُ كتاب الأصول في الهندسة، نجَّاراً، وبها كان يُعرف. وكذلك أبلونيوس، صاحب كتاب المخروطات، وميلاؤش، وغيرهم.

وفيما يُقال: إِنَّ مُعَلِّمَ هذه الصَّانِعَة في الخَلِيقَة هو نوحٌ، عليه السَّلام، وبها أنشأ سفينة النِّجاة التي بها كانت مُعْجِزَتُهُ عند الطَّوفان. وهذا الخبر، وإن كان مُمَكِّناً، أَغْنَى كَوْنُهُ نَجَّاراً، إِلَّا أَنَّ كَوْنَهُ أَوَّلَ مَنْ عَمِلَهَا لا دَلِيلَ يَقُومُ عَلَيْهِ، لُبُغْدِ الآمَادِ؛ وَإِنَّمَا مَعْنَاهُ الإِشَارَةُ إِلَى قَدَمِ التِّجَارَةِ. لِأَنَّهُ لَمْ تَصِحَّ حِكَايَةُ عَنْهَا قَبْلَ خَبَرِ نوحٍ عَلَيْهِ السَّلام، فَجُعِلَ كَأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ تَعَلَّمَهَا. فَتَفَهَّمُوا أَسْرَارَ الصَّنَائِعِ فِي الخَلِيقَةِ. وَاللَّهُ ﴿الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ [سورة الحجر، من الآية 86، وسورة يس، من الآية 81].

## 26 • فَضْلٌ، فِي صِنَاعَةِ الْحَيَاكَةِ وَالْحَيَاطَةِ

10 <sup>(أ)</sup> [اعْلَمْ أَنَّ الْمُعْتَدِلِينَ مِنَ الْبَشَرِ فِي مَعْنَى الْإِنْسَانِيَةِ لَا بُدَّ لَهُمْ مِنَ الْفِكْرِ فِي [معنى] <sup>(ب)</sup> الدَّفءِ، كَالْفِكْرِ فِي الْكِئِ. وَيَحْضُلُ الدَّفءُ بِاشْتِمَالِ الْمَنَسُوجِ لِلْوِقَايَةِ مِنَ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ. وَلَا بُدَّ لَدُنْكَ مِنَ الْإِحَامِ الْغَزْلِ حَتَّى يَصِيرَ ثَوْباً وَاحِداً، وَهُوَ النَّسْجُ وَالْحَيَاكَةُ.

فَإِنْ كَانُوا بَادِيَةً اقْتَصَرُوا عَلَيْهِ، وَإِنْ مَالُوا إِلَى الْحَضَارَةِ، فَصَلُّوا تِلْكَ [الثِّيَابَ] <sup>(ج)</sup> الْمَنَسُوجَةَ قِطْعاً يُقَدَّرُونَ مِنْهَا ثَوْباً عَلَى الْبَدَنِ بِشَكْلِهِ وَتَعَدُّ أَعْضَائِهِ

(أ) حاشية من ع بخطه لم تنقلها ط ي (ب) من: ج (ج) من: ع ج

واختلاف نواحيها. ثم يلائمون بين تلك القطع بالوصلات، حتى يصير ثوباً واحداً مُقدّراً على البدن، ويلبسونها. والصناعة المُحصلة لهذه الملاءمة، هي الخياطة<sup>(أ)</sup>. وهاتان الصناعتان ضروريتان في العمران، لما يحتاج إليه البشر من الدّفء.

5 فالأولى للنسج الغزل من الصوف والقطن سدواً في الطول وإحاماً في العرض، وإحكاماً لذلك النسج بالالتحام الشديد، فتتم منها قطع مُقدّرة. فمنها الأكسيّة من الصوف للاشتغال، ومنها الثياب من القطن والكثان للباس.

[280ب] والصناعة الثانية لتقدير المنسوجات على اختلاف / الأشكال والعوائد ،  
تفصّل<sup>(ب)</sup> أولاً بالمقراض قطعاً مناسبة للأعضاء البدنية ، ثم تلتحم<sup>(ج)</sup> تلك القطع بالخياطة المحكمة وصلّاً أو حبكاً أو تثبيتاً<sup>(د)</sup> أو تفتيحاً على [حسب]<sup>(هـ)</sup> نوع  
10 الصناعة. وهذه الثانية مُختصة بالعمران الحضريّ، لما أنّ أهل البدو يستغنون عنها، وإنّما يشتعلون الأثواب اشتغالاً؛ وإنّما تفصيل الثياب وتقديرها وإحامها بالخياطة للباس، من مذاهب الحضارة وفنونها.

وتفهّم سرّ هذا في تحريم المَخيط في الحجّ، لما أنّ مشروعيّة الحجّ مُستَملة على بُند العلائق الدنيويّة كلّها، والرجوع إلى الله كما خلقنا أوّل مرّة، حتّى لا يُعلّق  
15 العبد قلبه بشيء من عوائد ترفه، لا طيباً ولا نساءً ولا مَخيطاً ولا خُفّاً، ولا يفرّض لصيدٍ ولا لشيء من عوائده التي تلوّث بها نفسه وخُلُقَه، مع أنّه يفقدُها

(أ) نهاية حاشية من ع بخطه، لم تنقلها ظ دي (ب) في ع: يُفصّل (ج) ج: تلتحم (د) ج: تثبيتاً (هـ) من: ع ي.

بالموت ضرورة. وإنما يحيى كآته وارداً على المخشّر، ضارِعاً بقلبه، مُخلصاً لربه. وكان جزاؤه - إن تمّ له إخلاصه في ذلك - أن يُخَرِّجَ من ذُنُوبِهِ كَيَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ.

سُبْحَاتِكَ مَا أَزْفَقَكَ بِعِبَادِكَ وَأَرْحَمَكَ بِهِمْ فِي طَلَبِ هِدَايَتِهِمْ إِلَيْكَ.

وهاتان الصّناعتان قديمتان في الخليقة، لما أنّ الدّفءَ ضروريٌّ للبشر في العُمران 5 المُعتدل. وأمّا المنحرف إلى الحرّ، فلا يَحتاج أهله إلى دِفءٍ، ولهذا يَلغنا عن أهل الإقليم الأوّل من السودان، أنّهم عُراة في الغالب. ولقدّم هذه الصّنائع تنسبها العامّة إلى إدريس، عليه السّلام، وهو أقدم الأنبياء. وربّما يُنسبونها إلى هُزْمَس، وقد يُقال: إن هُزْمَس هو إدريس. والله ﴿الْخَلْقُ الْعَلِيمُ﴾. [سورة الحجر، من الآية 86، وسورة يس، من الآية 81].

## 27 \* فَصْلٌ، فِي صِنَاعَةِ التَّوْلِيدِ

10 وهي صِنَاعَةٌ يُعْرَفُ بِهَا الْعَمَلُ فِي اسْتِخْرَاجِ الْمَوْلُودِ الْآدَمِيِّ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ، مِنَ الرَّفْقِ فِي إِخْرَاجِهِ مِنْ رَحِمِهَا وَتَهْيِئَةِ أَسْبَابِ ذَلِكَ، ثُمَّ مَا يُصْلِحُهُ بَعْدَ الْخُرُوجِ، عَلَى مَا تَذَكَّرَ. وهي مُخْتَصَّةٌ بِالنِّسَاءِ فِي غَالِبِ الْأَمْرِ، لِمَا أَنَّهُنَّ الظَّاهِرَاتُ بَعْضُهُنَّ عَلَى عَوْرَاتٍ بَعْضُ. وتُسَمَّى الْقَائِمَةُ عَلَى / ذَلِكَ مِنْهُنَّ الْقَابِلَةُ، اسْتَعِيرَ فِيهِ مَعْنَى الْإِعْطَاءِ [281أ] وَالْقَبُولِ، كَأَنَّ النِّسَاءَ تَعْطِيهَا الْجَنِينَ، وَكَأَنَّهَا تَقْبَلُهُ.

15 وذلك أَنَّ الْجَنِينَ إِذَا اسْتَكْمَلَ خَلْقَهُ فِي الرَّحِمِ وَأَطْوَارِهِ، وَبَلَغَ إِلَى غَايَتِهِ وَالْمُدَّةِ الَّتِي قَدَّرَ اللَّهُ لِمَكْنَتِهِ، وَهِيَ تِسْعَةُ أَشْهُرٍ فِي الْغَالِبِ، فَيَطْلُبُ الْخُرُوجَ بِمَا جَعَلَ اللَّهُ فِيهِ مِنَ الزُّرْعِ لَذَلِكَ، وَيَضِيقُ عَلَيْهِ الْمَنَقْدُ، فَيَغْسُرُ. وَرَبِّمَا مَرَّقَ بَعْضُ جَوَانِبِ الْفَرْجِ



بالضَّغْطِ، وَرَبَّمَا انْقَلَعَ مَا كَانَ فِي الْأَغْشِيَةِ مِنَ الْإِلْتِصَاقِ وَالِاتِّحَامِ بِالرَّجَمِ. وَهَذِهِ كُلُّهَا آلاَمٌ يَشْتَدُّ لَهَا الْوَجَعُ، وَهُوَ مَعْنَى الطَّلُوقِ، فَتَكُونُ الْقَابِلَةُ مُعِينَةً فِي ذَلِكَ بَعْضُ الشَّيْءِ، بَعْمَزِ الظَّهْرِ وَالْوَزَكَيْنِ، وَمَا يُحَاذِي الرَّجَمَ مِنَ الْأَسَافِلِ، تُسَاوِقُ بِذَلِكَ فِعْلَ الدَّافِعَةِ فِي إِخْرَاجِ الْجَنِينِ، وَتَسْهِّلُ مَا يَضْعُبُ مِنْهُ بِمَا يُمَكِّنُهَا، وَعَلَى مَا تَهْتَدِي إِلَى مَعْرِفَةِ عُسْرِهِ. ثُمَّ إِذَا خَرَجَ الْجَنِينُ بَقِيَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الرَّجَمِ الْوُضَلَةُ الَّتِي كَانَ يَتَعَدَّى 5 مِنْهَا مَتَصِلَةً مِنْ سُرَّتِهِ بِمِعَاةٍ. وَتِلْكَ الْوُضَلَةُ عَضْوٌ فَضْلِيٌّ لِتَغْذِيَةِ الْمَوْلُودِ خَاصَّةً، فَتَقْطَعُهَا الْقَابِلَةُ مِنْ حَيْثُ لَا يَتَعَدَّى مَكَانَ الْفَضْلَةِ وَلَا يَضُرُّ بِمِعَاةٍ وَلَا يَرْجِمُ أُمَّهُ، ثُمَّ تُدْمِلُ مَكَانَ الْجِرَاحَةِ مِنْهُ بِالْكَيِّْ أَوْ بِمَا تَرَاهُ مِنْ وُجُوهِ الْإِثْمَالِ.

ثُمَّ إِنَّ الْجَنِينَ عِنْدَ خُرُوجِهِ فِي ذَلِكَ الْمُنْقَذِ الضَّيِّقِ، وَهُوَ رَطْبُ الْعِظَامِ، سَهْلُ الْإِنْعِطَافِ وَالِاتِّنِاءِ، فَرَبَّمَا تَتَغَيَّرُ أَشْكَالُ أَعْضَائِهِ وَأَوْضَاعُهَا لِقُرْبِ التَّكْوِينِ 10 وَرُطُوبَةِ الْمَوَادِّ. فَتَتَنَاوَلُهُ الْقَابِلَةُ بِالْعَمَزِ وَالِإِضْلَاحِ حَتَّى يَرْجِعَ كُلُّ عَضْوٍ إِلَى شَكْلِهِ الطَّبِيعِيِّ وَوَضْعِهِ الْمَقْدَّرِ لَهُ، وَيَزْتَدُّ خَلْقُهُ سَوِيًّا.

ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ تُرَاجِعُ النَّفْسَاءُ وَتُحَاذِيهَا بِالْعَمَزِ وَالْمَلَايِنَةِ لَخُرُوجِ أَغْشِيَةِ الْجَنِينِ، لِأَنَّهَا رُبَّمَا تَتَأَخَّرُ عَنْ خُرُوجِهِ قَلِيلًا، وَيُخْشَى عِنْدَ ذَلِكَ أَنْ تُرَاجِعَ الْمَاسِكَةَ حَالَهَا الطَّبِيعِيَّةَ قَبْلَ اسْتِكْمَالِ خُرُوجِ الْأَغْشِيَةِ، وَهِيَ فَضْلَاتٌ، فَتَتَعَفَّنَ وَيَسْرِي عَفْنُهَا 15 إِلَى الرَّجَمِ، فَيَقَعُ الْهَلَاكُ. فَتُحَاذِرُ الْقَابِلَةُ هَذَا، / وَتُحَاوِلُ فِي إِعَانَةِ الدَّفْعِ إِلَى أَنْ تَخْرُجَ تِلْكَ الْأَغْشِيَةُ إِنْ كَانَتْ قَدْ تَأَخَّرَتْ.

ثُمَّ تَرْجِعُ إِلَى الْمَوْلُودِ، فَتَمَرِّخُ أَعْضَاءَهُ بِالْأَذْهَانِ وَالذَّرُورِ الْقَابِضَةِ لَتَشُدَّهَا، وَتَجَفِّفُ رُطُوبَاتِ الرَّجَمِ. وَتُخَنِّكُهُ لِرَفْعِ لَهَايَتِهِ، وَتُسَعِّطُهُ لِاسْتِفْرَاحِ بَطْنِ دِمَاغِهِ،

وَتُعْرِضُهُ بِاللُّعُوقِ لِدَفْعِ السَّدَدِ مِنْ مِعَاةٍ وَتَجْوِفُهَا عَنِ الْإِلْتِصَاقِ. ثُمَّ تُدَاوِي التَّفْسَاءَ  
بَعْدَ ذَلِكَ مِنَ الْوَهْنِ الَّذِي أَصَابَهَا بِالطَّلُقِ، وَمَا لَحِقَ رَجَمَها مِنْ أَلَمِ الْإِنْفِصَالِ، إِذِ  
الْمَوْلُودُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ عَضْوًا طَبِيعِيًّا، فَحَالَةُ التَّكْوِينِ فِي الرَّجَمِ صَيْرَتُهُ بِالْإِلْتِحَامِ  
كَالْعَضْوِ الْمُتَّصِلِ. فَلِذَلِكَ كَانَ فِي انْفِصَالِهِ أَلَمٌ يَقْرُبُ مِنْ أَلَمِ الْقَطْعِ. وَتُدَاوِي مَعَ ذَلِكَ  
5 مَا يُلْحَقُ الْفَرْجَ مِنْ جِرَاحَةِ التَّمْزِيقِ عِنْدَ الضَّغْطِ فِي الْخُرُوجِ. وَهَذِهِ كُلُّهَا أَدْوَاءُ نَجْدُ  
هَؤُلَاءِ الْقَوَائِلِ أَنْصَرَ بِدَوَائِهَا.

وَكَذَلِكَ مَا يَعْرِضُ لِلْمَوْلُودِ مُدَّةَ الرِّضَاعِ مِنْ أَدْوَاءٍ فِي بَدَنِهِ إِلَى حِينِ  
الْفِصَالِ، نَجْدُهُنَّ أَبْصَرَ بِهَا مِنَ الطَّبِيبِ الْمَاهِرِ. وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِأَنَّ بَدَنَ الْإِنْسَانِ فِي  
تِلْكَ الْحَالَةِ إِنَّمَا هُوَ بَدَنٌ إِنْسَانِيٌّ بِالْقُوَّةِ فَقَطْ. فَإِذَا جَاوَزَ الْفِصَالَ، صَارَ بَدَنًا إِنْسَانِيًّا  
بِالْفِعْلِ، فَكَانَتْ حَاجَتُهُ حِينَئِذٍ إِلَى الطَّبِيبِ أَشَدَّ. 10

فَهَذِهِ الصَّنَاعَةُ، كَمَا تَرَاهُ، ضَرُورِيَّةٌ فِي الْعُمُرَانِ لِلتَّنُوعِ الْإِنْسَانِيِّ، لَا يَتِمُّ كَوْنُ  
أَشْخَاصِهِ فِي الْغَالِبِ دُونَهَا.

وَقَدْ يَعْرِضُ لِبَعْضِ أَشْخَاصِ التَّنُوعِ الْإِسْتِغْنَاءُ عَنِ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ، إِمَّا بِخَلْقِ  
اللَّهِ ذَلِكَ لَهُمْ مُعْجِزَةً وَخَرَقًا لِلْعَادَةِ، كَمَا فِي حَقِّ الْأَنْبِيَاءِ، صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، أَوْ  
بِإِلْهَامٍ وَهْدَايَةٍ يُلْهِمُّ لَهَا الْمَوْلُودَ وَيُفْطِرُّ عَلَيْهَا، فَيَتِمُّ وَجُودُهُمْ مِنْ دُونِ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ. 15  
فَأَمَّا شَأْنُ الْمُعْجِزَةِ مِنْ ذَلِكَ، فَقَدْ وَقَعَ كَثِيرًا. وَمِنْهُ مَا رُوِيَ<sup>(1)</sup> أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ وُلِدَ

(1) هَذَا حَدِيثَانِ كِلَاهُمَا ضَعِيفٌ. أَوَّلُهُمَا حَدِيثُ الْأَوْزَاعِيِّ عَنْ حَسَّانَ بْنِ عَطِيَّةٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا وُلِدَ وَقَعَ  
عَلَى كَفِّهِ وَرَكَبَتِهِ شَاخِصًا بَصَرَهُ إِلَى السَّمَاءِ. أَخْرَجَهُ ابْنُ سَعْدٍ فِي طَبَقَاتِهِ 1: 103، وَهُوَ مُرْسَلٌ. وَثَانِيُهُمَا  
حَدِيثُ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: وُلِدَ النَّبِيُّ ﷺ مَخْتُونًا مَسْرُورًا، وَهُوَ حَدِيثٌ مُنْكَرٌ، أَخْرَجَهُ ابْنُ سَعْدٍ =

مَخْتُوناً مُسْرُوراً وَاضِعاً يَدَيْهِ عَلَى الْأَرْضِ، شَاخِصاً بَبَصَرِهِ إِلَى السَّمَاءِ. وَكَذَلِكَ شَأْنُ عِيسَى فِي الْمَهْدِ، وَغَيْرُ ذَلِكَ.

وَأَمَّا شَأْنُ الْإِلَهَامِ، فَلَا يُنْكَرُ. وَإِذَا كَانَتْ الْحَيَوَانَاتُ الْعُجْمُ تَخْتَصُّ بِغَرَائِبِ مِنَ الْإِلَهَامَاتِ، كَالنَّحْلِ وَغَيْرِهَا، فَمَا ظَنُّكَ بِالْإِنْسَانِ الْمُفْضَلِ عَلَيْهَا، وَخُصُوصاً بِمَنْ اخْتَصَّ بِكَرَامَةِ اللَّهِ. ثُمَّ الْإِلَهَامُ / الْعَامُّ لِلْمَوْلُودِينَ فِي الْإِقْبَالِ عَلَى الثَّنْدِيِّ مِنْ أَوْضَحِ 5 [282] شَاهِدٍ عَلَى وُجُودِ الْإِلَهَامِ لَهُمْ؛ فَشَأْنُ الْعِنَايَةِ الْإِلَهِيَّةِ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ يُحَاطَ بِهِ.

وَمِنْ هُنَا، يُفْهَمُ بُظْلَانُ رَأْيِ الْفَارَابِيِّ وَحُكْمَاءِ الْأَنْدَلُسِ فِيمَا اخْتَجَّوْا بِهِ لَعَدَمِ انْقِرَاضِ الْأَنْوَاعِ وَاسْتِحَالَةِ انْقِطَاعِ الْمَكُونَاتِ، وَخُصُوصاً فِي التَّنَوُّعِ الْإِنْسَانِيِّ. وَقَالُوا: لَوْ انْقَطَعَتْ أَشْخَاصُهُ لاسْتَحَالَ وُجُودُهَا بَعْدَ ذَلِكَ، لِتَوَقُّفِهِ عَلَى وُجُودِ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ الَّتِي لَا يَتِمُّ كَوْنُ الْإِنْسَانِ إِلَّا بِهَا. إِذْ لَوْ قَدَّرْنَا مَوْلُوداً دُونَ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ وَكَفَالَتِهَا 10 إِلَى حِينِ الْانْقِصَالِ لَمْ يَتِمَّ بَقَاؤُهُ أَصْلاً. وَوُجُودُ الصَّنَائِعِ دُونَ الْفِكْرِ مُمْتَنِعٌ، لِأَنَّهَا ثَمَرَتُهُ وَتَابِعَةٌ لَهُ.

وَتَكَلَّفَ ابْنُ سِينَا<sup>(1)</sup> فِي الرَّدِّ عَلَى هَذَا الرَّأْيِ، لِمُخَالَفَتِهِ إِيَّاهُ وَذَهَابِهِ إِلَى إِمْكَانِ انْقِطَاعِ الْأَنْوَاعِ وَخَرَابِ عَالَمِ التَّكْوِينِ، ثُمَّ عَوْدِهِ ثَانِيَةً لِاِقْتِضَاءِ فَلَكَيَّةِ

=أيضاً 1: 103، فالنَّابِتُ أَنَّ جَدَّه عَبْدَ الْمُطَلِّبِ حَقَّنَهُ يَوْمَ سَابِعِهِ. رَوَاهُ الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ عَنْ شُعَيْبِ بْنِ أَبِي حَمْزَةَ عَنْ عَطَاءِ الْخِرَاسَانِيِّ عَنْ عِكْرَمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ. وَقَالَ الذَّهَبِيُّ: هَذَا أَصَحُّ تَمَّا رَوَاهُ ابْنُ سَعْدٍ (تَارِيخُ الْإِسْلَامِ 1: 485).

(1) لَمْ يَرُدِّ ابْنُ سِينَا شَيْئاً مِنْ هَذَا فِي رِسَالَةِ حَيِّ بْنِ يَقْطَانَ، وَإِنَّمَا جَاءَ وَصَفُ "التَّخَلُّقِ الدَّائِي" تَقْلَافاً عَنْ زَعَمُوا ذَلِكَ، عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ ابْنِ الطَّفِيلِ فِي رِسَالَةِ حَيِّ بْنِ يَقْطَانَ 69-70، وَقَدْ نَقِدَ فِيهَا مِنْ تَقَدُّمِهِ مِنَ الْفَلَسَفَةِ، مِثْلُ: ابْنِ الصَّائِغِ، وَالْفَارَابِيِّ - الَّذِي كَانَ كَثِيرَ الشُّكُوكِ - وَابْنَ سِينَا، وَالْغَزَالِيَّ.

وأوضاع غريبة تتدر في الأخقاب بزعمه، فتقتضي تخمير طينة مناسبة لمزاجه بحرارة مناسبة، فيتم كونه إنساناً. ثم يقيض له حيوان يُخلق فيه إلهام لتربيته والحنو عليه إلى أن يتم وجوده وفصاله. وأطنب في بيان ذلك في الرسالة التي سماها برسالة حي ابن يقظان. وهذا الاستدلال غير صحيح، وإن كنا نوافقه على انقطاع الأنواع، لكن من غير ما استدلل به. فإن دليله مبني على إسناد الأفعال إلى العلة الموجبة، 5 ودليل القول بالفاعل المختار يرد عليه. ولا واسطة على القول بالفاعل المختار بين الأفعال والقدرة القديمة، ولا حاجة إلى هذا التكلف. ثم لو سلمناه جدلاً، فغاية ما يبنى عليه اطراد وجود هذا الشخص بخلق الإلهام لتربيته في الحيوان الأعجم، [وما الضرورة الداعية لذلك؟ وإذا كان الإلهام يُخلق في الحيوان الأعجم] <sup>(1)</sup>، فما المانع من خلقه للمولود نفسه، كما قرزناه أولاً؟ وخلق الإلهام في شخص لمصالح نفسه، أقرب 10 من خلقه فيه لمصالح غيره. فكل المذهبتين شاهدان على أنفسهما بالبطلان في مناحيها، لما قرزته لك. والله ﴿الْخَلْقُ الْعَلِيمُ﴾. [سورة الحجر، من الآية 86، وسورة يس، من الآية 81].

28 / فصل، في صناعة الطب، وأنها محتاج إليها في الحواضر والأمصار [282ب]

### دون البادية

15 هذه الصناعة ضرورية في المدن والأمصار لما عُرِف من فائدها. فإن ثمرتها حفظ الصحة للأصحاء، ودفع المرض عن المرضى بالمداداة، حتى يحصل لهم البرء من أدوائهم.

(1) سقط من ظ .

واعلم أنّ أصل الأمراض كلّها إنّما هو من الأغذية، كما قال في الحديث الجامع للطّب [كما يُنقل عن أهل الصناعة، وإن طعن فيه العلماء<sup>(1)</sup>]، وهو قوله<sup>(1)</sup>: "المعدة يَبْتُ الداء، والحُميّة رأس الدّواء". "وأصل كلّ داء البرّدة"<sup>(2)</sup>. فأما قوله: المعدة يَبْتُ الداء، فظاهر. وأما قوله: الحُميّة رأس الدّواء، فالحميّة الجوع، وهو الاختفاء من الطعام، والمعنى أنّ الجوع هو الدّواء العظيم الذي هو أصل الأدوية. وأما قوله: أصل كلّ 5 كل داء البرّدة، فمعنى البرّدة إدخال الطعام على الطعام في المعدة قبل أن يَتِمَّ هَضْمُ الأوّل. وشرح هذا، أنّ الله سبحانه خلق الإنسان وحفظ حياته بالغذاء يستعمله بالأكل، وتنفذ فيه القوى الهاضمة والغاذية إلى أن يصير دماً مُلائماً لأجزاء البدن من اللحم والعظم. ثم تأخذه النامية، فيثقل بها لحمًا وعظمًا. ومعنى الهضم: طبخ 10 الغذاء بالحرارة الغريزيّة طوراً بعد طور، حتّى يصير جزءاً بالفعل من البدن.

وتفسيره أنّ الغذاء إذا حصل في الفم ولاكثته الأشداق، أثرت فيه حرارة الفم طبخاً يسيراً، وقلّبت مزاجه بعض الشيء، كما تراه في اللقمة إذا تناولتها طعاماً ثم أجدها مضغاً، فترى مزاجها غير مزاج الطعام. ثم يحصل في المعدة، فتطبخه حرارة المعدة إلى أن يصير كيموساً، وهو صفو ذلك المطبوخ، وترسله إلى الكبد، وترسل ما يرسب منه في المعى ثقلًا ينفذ إلى المخرجين. ثم تطبخ حرارة الكبد ذلك 15

(1) من حاشية ع وحدها .

(1) لا يصح من حديث النبي ﷺ ، ولعله من كلام الحارث بن كدة كما في المقاصد الحسنة للسخاوي 611-612 وتخرّج الأحاديث والآثار للزّيلعي 1: 459 .

(2) حديث أخرجه ابن جبان في المجروحين 1: 204، والذهبي في الميزان 1: 359، من حديث أنيس وغيره. والبرّدة : التّخمة .

الكيموس إلى أن يصير دماً غبيطاً، وتطفو عليه رغوّة من الطبخ، هي الصفراء. وترسب منه أجزاء يابسة، هي السوداء. ويقتصر الحارّ الغريزيّ بعض الشيء عن طبخ الغليظ منه، فهو البلغم. ثمّ تُرسلها الكبد كلّها في العروق والجداول، ويأخذها [283] طبخ الحارّ الغريزيّ هنالك، فيكون عن الدّم الخالص بخار حارّ رطب يمدّ الروح الحيواني. وتأخذ النامية مأخذها في الدّم، فيكون لحمًا، ثمّ غليظه عظاماً. ثمّ يرسل البدن ما يقضّل عن حاجته من ذلك فضلات مختلفة من العرق واللّعاب والمخاط والدّمع. هذه صورة الغذاء وخروجه من القوّة إلى الفعل لحمًا.

ثمّ إنّ أصل الأمراض، ومعظمها هي الحميات. وسببها أنّ الحارّ الغريزيّ قد يضعف عن تمام التّضج في طبخه في كلّ طور من هذه، فيبقى ذلك الغذاء دون تّضج. وسببه غالباً كثرة الغذاء في المعدة حتّى يكون أغلب على الحارّ الغريزيّ، أو إدخال الطّعام إلى المعدة قبل أن تستوفي طبخ الأوّل، فيشتغل به الحارّ الغريزيّ، ويترك الأوّل بحاله، أو يتوزّع عليهما، فيقتصر عن تمام الطبخ والتّضج. وترسله المعدة كذلك إلى الكبد، فلا تقوى حرارة الكبد أيضاً على إنضاجه. وربّما بقي في الكبد من الغذاء السابق فضلة غير ناضجة، ويرسل الكبد جميع ذلك إلى العروق غير ناضج كما هو. فإذا أخذ البدن حاجته الملائمة، أرسله مع الفضلات الأخرى من العرق والدّمع واللّعاب إن اقتدر على ذلك. وربّما يعجز عن الكثير منه، فيبقى في العروق والكبد والمعدة وتتزايد مع الأيام. وكلّ ذي رطوبة من المفترجات إذا لم يأخذ الطّبخ والتّضج تعفن. فيتعفن ذلك الغذاء غير الناضج، وهو المسمّى بالخلط. وكلّ متعفن فيه حرارة غريبة، وتلك هي المسمّاة في بدن الإنسان بالحمى. واعتبر

ذلك في الطعام إذا ترك حتى يتعفن، وفي الزيل إذا تعفن كيف تبيع في الحرارة وتأخذ مأخذها. فهذا معنى الحميات في الأبدان، وهي رأس الأمراض وأصلها، كما وقع في الحديث.

[283ب] ولهذه الحميات علاجات بقطع الغذاء عن المريض / أسايغ معلومة، ثم تناوله  
الأغذية الملائمة حتى يتم برؤه . وكذلك في حال الصحة له علاج في التحفظ من  
5 هذا المرض وغيره. وقد يكون ذلك التعفن في عضو مخصوص، فيتولد عنه مرض  
في ذلك العضو، أو تحدث خراجات في البدن، إما في الأعضاء الرئيسية أو في  
غيرها. وقد يمرض العضو ويحدث عنه مرض القوى الموجودة له.  
هذه كلها جماع الأمراض، وأصلها في الغالب من الأغذية. وهذا كله مدفوع  
إلى الطبيب.

10

ووقع هذه الأمراض في أهل الحضر والأمصار أكثر، لحضب عيشهم،  
وكثرة ماكلهم، وقلة اقتصارهم على نوع واحد من الأغذية، وعدم توقيتهم لتناولها،  
وكثرة ما يخلطون بالأغذية من التوابل والبقول والفواكه رطباً ويابساً في سبيل  
العلاج بالطبخ. ولا يقتصرون في ذلك على نوع ولا أنواع. فربما عددنا في اللون  
الواحد من ألوان الطبخ أربعين نوعاً من الثبات والحيوان، فيصير للغذاء مزاج  
15 غريب. وربما يكون بعيداً عن ملاءمة البدن وأجزائه.

ثم إن الأهوية في الأمصار تفسد بمخالطة الأبخرة العفنة من كثرة الفضلات.  
والأهوية منشطة للأرواح ومقوية بنشاطها لأثر الحار الغريزي في الهضوم. ثم

[إِنَّ] <sup>(١)</sup> الرياضة مفقودة لأهل الأمصار، إذ هم في الغالب وادعون ساكنون، لا تأخذ منهم الرياضة شيئاً ولا تؤثر فيهم أثراً. فكان وقوع الأمراض كثيراً في المدن والأمصار، وعلى قدر وقوعه كانت حاجتهم إلى هذه الصناعة.

فأما أهل البدو، فأكلهم قليل في الغالب، والجوع أغلب عليهم لقلة الحبوب حتى صار لهم ذلك عادة، وربما يظن أنها جيلة لاستمرارها. ثم الأدم قليلة لديهم أو مفقودة بالجملة. وعلاج الطبخ بالتوابل والفواكه إنما يدعو إليه ترف الحضارة الذي هم عنه بمغزل، فيتناولون أغذيتهم بسيطة بعيدة عما يخالفها، ويقترب من مزارعها من ملاءمة / البدن. وأما أهويتهم فقليلة العفن لقلة الرطوبات والعفونات إن كانوا [١284] أهليين، أو لاختلاف الأهوية إن كانوا ظواعين.

ثم إن الرياضة موجودة فيهم من كثرة الحركة في ركض الخيل أو الصيد 10 أو طلب الحاجات أو مهنة أنفسهم في حاجاتهم. فيحسن بذلك كله <sup>(ب)</sup> الهضم ويجود، ويفقد إدخال الطعام على الطعام. فتكون أمرجتهم أصلح وأبعد عن الأمراض، فتقل حاجتهم إلى الطب. ولهذا لا يوجد الطبيب في البادية بوجه. وما ذلك إلا للاستغناء عنه، إذ لو احتيج إليه لوجد، لأنه يكون له بذلك في البدو معاش يدعو به إلى سكناه، سنة الله في عباده. ﴿وَلَنَجْجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ 15 [سورة الفتح، من الآية 23، وسورة الأحزاب، من الآية 62].

(١) من ج (ب) سقط من ج .



## 29 • فصل، في أن الخط والكتاب من عداد الصنائع الإنسانية

وهو رسوم وأشكال حَرْفِيَّةٌ تدلُّ على الكلمات المسموعة الدالة على ما في النفس. فهو ثاني رتبة عن الدلالة اللغوية. وهو صناعة شريفة، إذ الكتابة من خواص الإنسان التي تميّز بها عن الحيوان. وأيضاً فهي تُطلّع على ما في الضمائر، وتؤدي بها الأغراض إلى البلد البعيد، فتقضي الحاجات وقد دفعت مؤونة المباشرة لها، ويُطلّع بها على العلوم والمعارف وصحف الأولين وما كتبوه من علومهم وأخبارهم. فهي شريفة بجميع هذه الوجوه والمنافع، وخروجها في الإنسان من القوة إلى الفعل إنما يكون بالتعليم.

وعلى قدر الاجتماع والعُمران والتناغمي في الكمالات والطلب لذلك، تكون جودة الخط في المدينة، إذ هو من جملة الصنائع. وقد قدّمنا أن هذا شأنها وأنها تابعة للعُمران. ولهذا نجد أكثر البدو أميين لا يقرأون ولا يكتبون، ومن قرأ منهم أو كتب، فيكون خطه قاصراً وقراءته غير نافذة.

ونجد تعليم الخط في الأمصار الخارج عُمرانها عن الحد، أبلغ وأسهل وأحسن طريقاً لاستحكام الصبغة فيها، كما يحكى لنا عن مضر لهذا العهد، وأن بها معلمين مُتصّبين لتعليم الخط، يُلقون على المتعلم قوانين وأحكاماً في وضع كل حرف، ويزيدون إلى ذلك المباشرة بتعليم وضعه، فتغتضد لديه رتبة العلم والحس في التعليم، وتأتي ملكته على أتم الوجوه، وإنما أتى هذا من كمال الصنائع ووفورها بكثرة العُمران وانفساح الأعمال.

(١) أوليس الشأن في تعلّم الخطّ بالأندلس والمغرب كذلك في تعلّم كلّ حرفٍ باثّراده على قوانين يُلقِيها المُعلّم للمُتعلّم، وإنّا نتعلّم بمحاكاة الخطّ في هاته (ب) الكلمات جُملةً وتكرّر ذلك من المُتعلّم، ومطالعة المُعلّم له، إلى أن تحضّل له الإجادة ويتمكّن في هاته (ج) الملكة، فيُسمّى مُجيداً].

5 وقد كان الخطّ العربيّ بالغاً مبالغته من الإحكام والإتقان والجودة في دولة التّبايعه لما بلغت من الحضارة والتّرف، وهو المسمّى بالخطّ الحُميريّ. وانتقل منهم إلى الحيرة لما كان بها من دولة آل المنذر، نُسبَاء التّبايعه في العصبية، والمُجددين لمُلك العرب بأرض العراق. ولم يكن الخطّ عندهم من الإجادة كما كان عند التّبايعه، لقصور ما بين الدولتين. فكانت الحضارة وتوابعها من الصّنائع وغيرها قاصرة عن ذلك. 10 ومن الحيرة لِقِنه أهل الطّائف وقُريش فيما ذكر. يقال: إنّ الذي تعلّم الكتابة من الحيرة هو سُفيان بن أميّة، وقيل: حَزْبُ بن أميّة، وأخذها من أسلم بن سُدرة. وهو قولٌ مُمكنٌ، وأقربُ ممّن ذهب إلى أنّهم تعلّموها من إيادِ أهل العراق، لقول شاعرهم (١): [من المنسرح]

قومٌ لهم ساحةُ العراقِ إذا ساروا جميعاً والخطُّ والقلمُ

(١) من ع ج، وسقط من ظ ي (ب) في ج: كتابة (ج) من ع، وفي ج: بناته .

(1) هو أميّة بن أبي الصّلت التّقفّي، انظر ابن هشام: سيرة النّبي ﷺ 1: 48، ورواية آخر العجز عنده: والقلم والقلم. والبيت قبله:

قومي إيادٌ لو أنّهم أممٌ أو لو أقاموا فتهزل التّعمر

وهو قولٌ بعيدٌ، لأنَّ إياداً ولو نزلوا ساحةَ العراق، فلم يَزَالُوا على شَأْنِهِمْ من البداوة، والخطُّ من الصَّنَائِعِ الحَضَرِيَّةِ. وإنَّما مَعْنَى قول الشاعر أَنَّهُمْ أَقْرَبُ إِلَى الخطِّ والقَلَمِ من غَيْرِهِمْ من العَرَبِ لِقُرْبِهِمْ من ساحةِ الأَمْصَارِ وضَوَائِحِهَا. فالقولُ بأنَّ أَهْلَ الحِجَازِ إِنَّمَا لَقِنُوهَا من الحِيرَةِ ، وَلَقِنَهَا أَهْلُ الحِيرَةِ من التَّبَاعَةِ وَحَمِيرٍ ، هُوَ <sup>(1)</sup> الأَلْيَقُ من الأقوال.

5

(ب) [ورأيتُ في كتاب التَّكْمِلَةِ <sup>(1)</sup> لابن الأَبَّار، عند التَّعْرِيفِ بِابْنِ فَرْوُخِ القَيْرَوَانِيِّ الفَارِسِيِّ الأَنْدَلُسِيِّ، من أَصْحَابِ مَالِكٍ، واسمُهُ عبد الله بن فَرْوُخ، فقال: روى ابن فَرْوُخ عن عبد الرَّحْمَنِ بن زِيَاد بن أَنْعَم، عن أَبِيهِ، قال: قلتُ لعَبْدِ اللَّهِ بن عَبَّاسٍ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، خَبِّرُونِي عن هَذَا الْكِتَابِ الْعَرَبِيِّ، هَلْ كُنْتُمْ تَكْتُبُونَهُ قَبْلَ أَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ، تَجْمَعُونَ مِنْهُ مَا اجْتَمَعَ، وَتَفْرَقُونَ مِنْهُ مَا افْتَرَقَ، مِثْلَ الْأَلِفِ وَاللَّامِ وَالْمِيمِ وَالنُّونِ؟ قال: نَعَمْ، قُلْتُ: وَمِمَّنْ أَخَذْتُمُوهُ؟ قال: من حَزْبِ بنِ أُمَيَّةَ، قلتُ: وَمِمَّنْ أَخَذَهُ حَزْبٌ؟ قال: من عَبْدِ اللَّهِ بنِ جُدْعَانَ، قلتُ: وَمِمَّنْ أَخَذَهُ ابْنُ جُدْعَانَ؟ قال: من أَهْلِ الْأَنْبَارِ، قلتُ: وَمِمَّنْ أَخَذَهُ أَهْلُ الْأَنْبَارِ؟ قال: من طَارِئٍ طَرَأَ عَلَيْهِمْ من أَهْلِ الْيَمَنِ، قلتُ: وَمِمَّنْ أَخَذَهُ ذَلِكَ الطَّارِئُ؟ قال: مِنْ الْخُلُجَانِ بنِ الْقَاسِمِ، كَاتِبِ الْوَحْيِ لِهَوْدِ النَّبِيِّ، صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ: [من الطويل]

15

(أ) من: ج ع، وفي ي: وهو (ب) حاشية من ع بخطه سقطت من ج ي ظ .

(1) التَّكْمِلَةُ لِكِتَابِ الصَّلَةِ 2: 227 ، (تحقيق عبد السلام الهراس، دار المعرفة، الدار البيضاء، المغرب).

وَأَفِي كُلِّ عَامٍ سُنَّةٌ تُحَدِّثُونَهَا      ورَأَيْتُ عَلَى غَيْرِ الطَّرِيقِ يُعَبِّرُ  
وَلَلْمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ تَسْبُتُنَا      بِهَا جُزْهُمُ فِيمَنْ تَسْبُتُ وَحِمِيرُ

انتهى ما نقله ابن الأثير في كتاب التكملة.

وزاد آخره : حدثني بذلك أبو بكر بن أبي جَمْرَةَ في كتابه ، عن أبي بحر  
5 [سفيان]<sup>(١)</sup> بن العاص ، عن أبي الوليد الوقيشي ، عن أبي عُمر الطَّلَمَنَكِيِّ ، عن أبي  
عبد الله بن مُقَرَّح ، ومن خطه نقلته ، عن أبي سعيد بن يونس<sup>(ب)</sup> ، عن محمد بن  
موسى بن النُّعْمَان ، عن يحيى بن محمد بن حُشَيْش ، عن عُثْمَانَ بن أَيُّوب المَعَاوِرِيِّ  
التَوْسِيِّ ، عن بُهْلُول بن عُبَيْدَةَ التُّجِيبِيِّ ، عن عبد الله بن فَرْوَح . انتهى [ج].

وكان لِجَمِيرِ كِتَابَةٍ تُسَمَّى الْمُسْنَدَ ، حُرُوفُهَا مُنْفَصِلَةٌ . وكانوا يَمْنَعُونَ مِنْ تَعْلِيمِهَا  
10 إِلَّا بِأَذْنِهِمْ . ومن حَمِيرٍ تَعَلَّمْتُ مُضَرَّ الْكِتَابَةِ الْعَرَبِيَّةِ . إِلَّا أَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا مُجِيدِينَ لَهَا ،  
شَأْنَ الصَّنَاعِ إِذَا وَقَعَتْ بِالْبَدْوِ ، فَلَا تَكُونُ مُحْكَمَةً الْمَذَاهِبِ وَلَا مَائِلَةً إِلَى الْإِثْقَانِ  
[285 آ] وَالتَّنْمِيقِ ، لَبَوْنُ مَا يَتَيْنُ الْبَدْوِ وَالصَّنَاعَةَ ، وَاسْتِغْنَاءُ الْبَدْوِ عَنْهَا فِي الْأَكْثَرِ . فَكَانَتْ  
كِتَابَةُ الْعَرَبِ بَدْوِيَّةً مِثْلَ أَوْ قَرِيباً مِنْ كِتَابَتِهِمْ لِهَذَا الْعَهْدِ ، \* أَوْ نَقُولُ : إِنَّ كِتَابَتَهُمْ لِهَذَا  
الْعَهْدِ \*<sup>(د)</sup> أَحْسَنُ صِنَاعَةٍ ، لِأَنَّ هَؤُلَاءِ أَقْرَبُ إِلَى الْحَضَارَةِ وَمُخَالَطَةِ الْأَمْصَارِ وَالْدُّوَلِ .  
15 وَأَمَّا مُضَرٌ ، فَكَانُوا أَغْرَقَ فِي الْبَدْوِ وَأَبْعَدَ عَنِ الْحَضَرِ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ وَأَهْلِ الْعِرَاقِ

(١) من التكملة (ب) إل هنا ينتهي السند الذي ذكره ابن الأثير بعد الخبر . وما بعده هو سند آخر لأبي سعيد بن يونس ، ذكره ابن  
الأثير أيضاً في أول هذا النقل ، متصلاً بعبد الله بن فَرْوَح عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم عن أبيه عن ابن عباس (ج) نهاية  
حاشية من ع بخطه ، وسقطت من ج ي ظ (د) سقط ما بين النجيين من ي .

وأهل الشام ومصر. فكان الخطُّ العربيُّ لأوّل الإسلام غيرَ بالغٍ إلى الغاية من الإحكام والإتقان والإجادة، ولا إلى التّوسّط لمكان الغرب من البداوة والتّوحّش وبُعدهم عن الصّنائع.

وانظر ما وقع لأجل ذلك في رَسْم المصحف ، حيثُ كَتَبَهُ الصّحابةُ بِخُطوطهم وكانت غيرَ مُستَحْكَمَةٍ في الإجادة، فخالَف الكثيرُ من رُسومهم ما اقتَضَتْه [أَقْسَهُ] <sup>(١)</sup> رُسومِ صناعة الخطِّ عند أهلها. ثم اقتَفَى التّابعون من السّلف رَسْمهم فيها، تبرُّكاً بما رَسَمه أصحاب رَسول الله ﷺ وخَيْرُ الخلق من بعده، المتلقّون لوحيه من كتاب الله وكلامه، كما يُقْتَفَى لهذا العهد خطُّ وليٍّ أو عالمٍ تبرُّكاً، ويَتَّبَعُ رَسْمه خطأً أو صواباً . وأينَ نِسْبَةُ ذلك من الصّحابة وما كتبوه؟ فاتَّبِع ذلك وأُثِّبَ رَسماً، وثَبَّه العلماء بالرّسْم على مواضعه.

10

ولا تَلْتَفِتَنَّ في ذلك إلى ما يَزْعَمه بعضُ المغفّلين، من أنّهم كانوا مُحْكَمِينَ لصناعة الخطِّ، وأنّ ما يُتَخَيَّلُ من مُخالفة خُطوطهم لأصول الرّسْم ليس كما يُتَخَيَّل، بل لكلّها وجهٌ. ويقولون في مثل زيادة الألف في ﴿لَا أَذْبَحَنَّهُ﴾ [سورة التمل، من الآية 21]: إِنَّهُ تَنْبِيَةٌ عَلَى أَنَّ الذَّبْحَ لَمْ يَقْعُ، وفي زيادة الياء في ﴿يَأْيُذِرُ﴾ [سورة الداريات، من الآية 47] إِنَّهُ تَنْبِيَةٌ عَلَى كَمَالِ الْقُدْرَةِ الرِّبَاتِيَّةِ ، وأمثال ذلك ممّا لا أَضِلُّ لَهُ إِلَّا التَّحَكُّمُ المَحْضُ . وما حَلَمَهم على ذلك إِلَّا اعتقادُهُمْ أَنَّ في ذلك تَنْزِيهاً للصّحابة عن تَوَهُّمِ النّقص في قِلَّةِ إِجَادَةِ الخطِّ . وحَسِبُوا أَنَّ ذلك الخطَّ كَمالٌ،

15

(١) من حاشية ع ج ، وسقط من ظ ي .

فَنَزَّهُوهُمْ عَنْ نَقْصِهِ، وَنَسَبُوا إِلَيْهِمُ الْكِمَالَ بِإِجَادَتِهِ، وَطَلَبُوا تَغْلِيلَ مَا خَالَفَ الْإِجَادَةَ  
مِنْ رَسْمِهِ، وَذَلِكَ / لَيْسَ بِصَحِيحٍ.

[285ب]

وَاعْلَمْ أَنَّ الْخَطَّ لَيْسَ بِكِمَالٍ فِي حَقِّهِمْ، إِذِ الْخَطُّ مِنْ جُمْلَةِ الصَّنَائِعِ الْمَدِينَةِ  
الْمَعَاشِيَّةِ، كَمَا رَأَيْتَهُ فِي مَا مَرَّ. وَالْكِمَالُ فِي الصَّنَائِعِ إِضَافِيٌّ وَلَيْسَ بِكِمَالٍ مُطْلَقٍ، إِذْ لَا  
يَعُودُ نَقْصُهُ عَلَى الذَّاتِ فِي الدِّينِ وَلَا فِي الْخِلَالِ . وَإِنَّمَا يَعُودُ عَلَى أَسْبَابِ الْمَعَاشِ 5  
وَيَحْتَسِبُ الْعُمُرَانِ وَالتَّعَاوُنِ عَلَيْهِ لِأَجْلِ دَلَالَتِهِ عَلَى مَا فِي النُّفُوسِ. وَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ  
ﷺ أُمِّيًّا، وَكَانَ ذَلِكَ كِمَالًا فِي حَقِّهِ، وَبِالنَّسَبَةِ إِلَى مَقَامِهِ لَشَرَفِهِ وَتَزَهُّهِ عَنِ الصَّنَائِعِ  
الْعَمَلِيَّةِ الَّتِي هِيَ أَسْبَابُ الْمَعَاشِ وَالْعُمُرَانِ كُلِّهَا. وَلَيْسَتْ الْأُمِّيَّةُ كِمَالًا فِي حَقِّهَا نَحْنُ،  
إِذْ هُوَ مُنْقَطِعٌ إِلَى رَبِّهِ، وَنَحْنُ مُتَعَاوِنُونَ عَلَى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، شَأْنِ الصَّنَائِعِ كُلِّهَا، حَتَّى  
الْعُلُومِ الْإِصْطِلَاحِيَّةِ. فَإِنَّ الْكِمَالَ فِي حَقِّهِ هُوَ تَزَهُّهُ عَنْهَا جُمْلَةً بِخِلَافِنَا. 10

ثُمَّ لَمَّا جَاءَ الْمَلِكُ لِلْعَرَبِ، وَفَتَحُوا الْأَمْصَارَ، وَمَلَكَوا الْمَمَالِكَ، وَنَزَلُوا الْبَصْرَةَ  
وَالْكُوفَةَ، وَاحْتَاجَتِ الدَّوْلَةُ إِلَى الْكِتَابِ، اسْتَعْمَلُوا الْخَطَّ وَطَلَبُوا صِنَاعَتَهُ وَتَعَلَّمَتُهُ،  
وَتَدَاوَلُوهُ. فَتَرَقَّتِ الْإِجَادَةُ فِيهِ وَاسْتَحْكَمَ، وَبَلَغَ فِي الْكُوفَةِ وَالْبَصْرَةِ رُبَّةً مِنَ الْإِتْقَانِ،  
إِلَّا أَنَّهَا كَانَتْ دُونَ الْغَايَةِ. وَالْخَطُّ الْكُوفِيُّ مَعْرُوفٌ الرَّسْمِ لِهَذَا الْعَهْدِ.

ثُمَّ انْتَشَرَ<sup>(أ)</sup> الْعَرَبُ فِي الْأَفْطَارِ وَالْمَمَالِكِ ، وَافْتَتَحُوا إِفْرِيقِيَّةَ وَالْأَنْدَلُسَ . 15  
وَاخْتِطَّ بَنُو الْعَبَّاسِ بِغَدَادَ، وَتَرَقَّتِ الْخُطُوطُ فِيهَا إِلَى الْغَايَةِ لَمَّا اسْتَبْخَرَتْ فِي  
الْعُمُرَانِ وَكَانَتْ دَارَ الْإِسْلَامِ وَمَرْكَزَ الدَّوْلَةِ الْعَرَبِيَّةِ.<sup>(ب)</sup> [وَخَالَفَتْ أَوْضَاعُ الْخَطِّ

(أ) فِي ظ: انْشَرَتْ (ب) حَاشِيَةٌ مِنْ ع بَخْطَهُ وَمِنْ ج، وَلَمْ تَرُدْ فِي ظ ي .

ببغداد أوضاعه بالكوفة في الميل إلى إجادة الرسوم وجمال الرُّونق وحسن الرِّواء. واستحكمت هذه المخالفة في الأعصار، إلى أن رفع رايته ببغداد [أبو] علي بن مُقلة الوزير. ثم تلاه في ذلك علي بن هلال الكاتب، الشهير بابن البَوَّاب، ووقف سندُ تعليمها عليه في المائة الثالثة وما بعدها. وتعدت رسوم الخط البغدادي وأوضاعه عن الكوفي حتى انتهى إلى المِباينة. ثم ازدادت المخالفة بعد تلك العصور بتفنُّن الجهابذة 5 في إحكام رسومه وأوضاعه، حتى انتهى إلى \*المتأخرين، مثل ياقوت المستعصمي والولي علي العجمي\*<sup>(أ)</sup>، ووقف سندُ تعلم الخط عليهم<sup>(ب)</sup>. وانتقل ذلك<sup>(ج)</sup> إلى مصر، وخالفت طريقة العراق بعض الشيء، وَلَقِنَهَا العجم هنالك، فظهرت مخالفة<sup>(د)</sup> لخط أهل مصر أو مُباينة<sup>(هـ)</sup>.

10 وكان الخط الإفريقي المعروف رسمه القديم لهذا العهد، يقرب من أوضاع الخط المشرقي. وتخيّر مُلك الأندلس بالأمويين، فتميّزوا بأحوالهم من الحضارة والصنائع والخطوط، فتميّز صنف<sup>(هـ)</sup> خطهم الأندلسي كما هو معروف الرسم لهذا العهد.

وطما بحرُ العمران والحضارة في الدول الإسلامية في كل قطر، وعظم الملك، ونفقت أسواق العلوم، وأنشخت الكتب وأجيد كتبها وتجليدها، ومليت بها 15 القصور / والخزائن المملوكية بما لا كفاء له، وتنافس أهل الأقطار في ذلك وتناغوا فيه.

[286]

(أ) سقط ما بين النجمين من ج (ب) ج: به (ج) ج: كذلك (د) قراءة تهريمية من ج (هـ) سقط من ع ج، وفي ي: ضبط.

ثم لما انحَلَّ نظامُ الدَّولةِ<sup>(١)</sup> الإسلاميَّة وتناقصَتْ، تناقص ذلك أجمع،  
ودرسَتْ معالمُ بغداد بدروسِ الخلافة؛ فانتقل شأنها من الخطِّ والكتاب، بل  
والعلم، إلى مِصرَ والقاهرة. فلم تزل أسواقه بها نافقةً لهذا العهد. وللخطِّ بها مُعلِّمون  
يرسُمون للمُتعلِّم الحروف بقوانين في وضعها، وأشكالها مُتعارفة، بينهم. فلا يلبثُ  
5 المتعلِّم أو يُحْكِم أشكال تلك الحروف على تلك الأوضاع، وقد لَقِنها حسًّا، وحَذَقَ  
فَنَها دُرَيْةً وكتاباً، وأخذها قوانينَ عمليَّة، فتجىء أحسن ما يكون.

وأما أهلُ الأندلس، فافترقوا في الأقطار عند تلاشي مُلك العرب بها ومن  
خلفهم من البربر، وتغلَّبَتْ عليهم أُممُ النُصْرانيَّة. فانتشروا في غُدوة المغرب وإفريقيَّة  
من لدُن الدولة اللُمْتُونيَّة إلى هذا العهد، وشاركوا أهلَ العُمران بما لديهم من الصَّنائع،  
10 وتعلَّقوا بأذيال الدولة، فغلبَ خطُّهم على الخطِّ الإفريقي وعقَى عليه، ونسيَ خطُّ  
القَيروان والمهديَّة بنسيان عوايدِهما وصنائعهما. وصارَتْ حُطوطُ أهلِ إفريقيَّة كُلِّها  
على الرِّسْم الأندلسيِّ بتونس وما إليها، لتوفَّر أهلُ الأندلس بها عند الجالية من  
شَرْق الأندلس. وبقي منه رِسمٌ ببلاد الجريد الذين لم يُخالطوا كتاب الأندلس ولا  
تَمَرَّسوا بجوارهم، إذ إنَّما كانوا يَفِدُون على دار المُلِك بتونس. فصارَ خطُّ أهلِ إفريقيَّة  
15 من جنس<sup>(ب)</sup> حُطوطِ أهل الأندلس، حتَّى إذا تقلَّص ظلُّ الدولة المُوَحَّدية بغُص  
الشَّيْء، وتراجع أمرُ الحضارة والتَّرف بتراجع العُمران، نقصَ حينئذٍ حالُ الخطِّ،  
وفسدت رسومُه، وجُهل فيه وَجْهُ التَّعليم بفساد الحضارة وتناقص العُمران. وبقيت

(١) ج: الدول (ب) في ع: أحسن .



فيه آثار الخطّ الأندلسيّ تشهد بما كان لهم من ذلك، لما قدّمناه من أنّ الصّنائع إذا رَسَخَتْ بالحضارة فيَعْسُرَ مَحْوُهَا.

وَحَصَلَ فِي دَوْلَةِ بَنِي مَرِين بَعْدَ ذَلِكَ بِالْمَغْرِبِ الْأَقْصَى<sup>(أ)</sup>، لَوْنٌ مِنَ الْخَطِّ الْأَنْدَلُسِيِّ، لَقُرْبِ / جَوَارِهِمْ، وَسُقُوطِ مِنْ خَرَجِ مِنْهُمْ إِلَى فَاسٍ قَرِيباً، وَاسْتِغْلَامِ إِيَّاهُمْ سَائِرِ الدَّوَلَةِ. وَنُسِيَ عَهْدُ الْخَطِّ فِيهَا بَعْدَ مِنْ سُدَّةِ الْمَلِكِ وَدَارِهِ، كَأَنَّ لَمْ يُعْرَفْ. 5 فَصَارَتِ الْخُطُوطُ بِإِفْرِيقِيَّةِ وَالْمَغْرِبَيْنِ مَائِلَةً إِلَى الزَّدَاءَةِ، بَعِيدَةً عَنِ الْجُودَةِ. وَصَارَتِ الْكُتُبُ إِنْ انْتَسَخَتْ فَلَا فَائِدَةَ تَحْصُلُ لِمُتَصَفِّحِهَا مِنْهَا إِلَّا الْعَنَاءُ وَالْمَشَقَّةُ، لِكَثْرَةِ مَا يَقَعُ فِيهَا مِنَ الْقَبْسَادِ وَالتَّضْحِيفِ، وَتَغْيِيرِ الْأَشْكَالِ الْخَطِّيَّةِ عَنِ الْجُودَةِ، حَتَّى لَا تَكَادُ تُقْرَأُ إِلَّا بَعْدَ عُسْرِ. وَوَقَعَ فِيهِ مَا وَقَعَ فِي سَائِرِ الصَّنَائِعِ بِنَقْصِ الْحَضَارَةِ وَفَسَادِ الدَّوَلِ. 10 ﴿وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ﴾ [سورة الرعد، من الآية 41].

(ب) [وللأستاذ أبي الحسن علي بن هلال الكاتب البغدادي، الشهير بابن البواب، قصيدة في بحر [الكامل]<sup>(ج)</sup>، على رويّ الرّاء، يَذْكُرُ فِيهَا صِنَاعَةَ الْخَطِّ وَمَوَادِّهَا مِنْ أَحْسَنِ مَا كُتِبَ فِي ذَلِكَ، رَأَيْتُ إِثْبَاتَهَا فِي هَذَا الْبَابِ لِيَنْتَفِعَ بِهَا مَنْ يُرِيدُ تَعَلُّمَ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ. وَأَوَّلُهَا: [من الكامل]

15 يَا مَنْ يُرِيدُ إِجَادَةَ التَّخْرِيرِ وَيَرُومُ حُسْنَ الْخَطِّ وَالتَّصْوِيرِ  
إِنْ كَانَ عَزْمُكَ فِي الْكِتَابَةِ صَادِقاً فَارْغَبْ إِلَى مَوْلَاكَ فِي التَّنْسِيرِ  
أَعِذْ مِنَ الْأَقْلَامِ كُلِّ مُتَقِفٍ صَلِّ يَصُوغُ صِنَاعَةَ التَّخْبِيرِ

(أ) سقط من ع (ب) إضافة في ع بخطه تستمر إلى آخر الفصل ولم تنقل في ط، ج، ي (ج) في الأصول كلها من بحر البسيط، فصولناه .

وإذا عَمَدَتْ لَبْرِيه فَتَوَخَّهْ      عند القياس بأوسطِ التَّهْدِيرِ  
 انظر إلى طَرْفِيه فاجعل بَرْيَه      من جانب التَّدْقِيقِ والتَّخْصِيرِ  
 واجعل لُجْلَفَتِه قَوَاماً عادِلاً      يَخْلُو عن التَّطْوِيلِ والتَّخْصِيرِ  
 والشَّقِّ وَسَّطُه لِيَبْقَى بَرْيَه      من جَانِبِيه مُشَاكِلِ التَّهْدِيرِ  
 حَتَّى إِذَا أَتَيْتُ ذَلِكَ كُلَّه      إِتْقَانَ طَبِّ بِالْمُرَادِ خَيْرِ  
 فاضرف لرأي القطِّ عَزَمَكَ كُلَّه      فَالْقَطُّ فِيهِ جُمْلَةٌ التَّهْدِيرِ  
 لا تَطْمَعَنَّ فِي أَنْ أَبُوحَ بِسِرِّه      إِنِّي أَضِنُّ بِسِرِّهِ الْمُسْتَوْرِ  
 لَكِنَّ جُمْلَةً مَا أَقُولُ بِأَنَّهُ      مَا يَبْنِي تَخْرِيفٌ إِلَى تَنْوِيرِ  
 وَأَلْقِ دَوَاتَكَ بِاللُّدْخَانِ مُدْبِراً      بِالْخَلِّ أَوْ بِالْحِصْرِ الْمَقْصُورِ  
 وَأَضِفْ إِلَيْهِ مُغْرَةً قَدْ صُوِّلَتْ      مع أَصْفِرِ الزَّرْنِخِ وَالْكَافُورِ  
 حَتَّى إِذَا مَا خُمِرَتْ فَاعْمَدِ إِلَى الْـ      حُورِ النَّقِيِّ النَّاعِمِ الْمَخْبُورِ  
 فَاكْبِسْهُ بَعْدَ الْقَطْعِ بِالْمِغْصَارِ كَيْ      يَتَأَيَّ عن التَّشْعِيشِ والتَّغْيِيرِ  
 ثُمَّ اجْعَلِ التَّمْثِيلَ ذَائِبَكَ صَابِراً      مَا أَدْرَكَ الْمَأْمُولَ مِثْلُ صَبْرِ  
 ابدأ به فِي اللَّوْحِ مُنْتَضِياً لَهُ      عَزْماً تُجَرِّدُهُ مِنَ التَّشْمِيرِ  
 لَا تَخْجَلَنَّ مِنَ الرَّدِيءِ تَخْطُطُهُ      فِي أَوَّلِ التَّمْثِيلِ والتَّسْطِيرِ  
 فَالْأَمْرُ يَضْعُبُ ثُمَّ يَزْجَعُ هَيِّنَا      وَلَرُبَّ سَهْلٍ جَاءَ بَعْدَ عَسِيرِ  
 حَتَّى إِذَا أَدْرَكْتَ مَا أَمَلْتَهُ      أَضْحَيْتَ رَبَّ مَسْرَّةٍ وَخُبُورِ  
 فَاشْكُرْ إِلَهَكَ وَاتَّبِعْ رِضْوَانَهُ      إِنَّ الْإِلَهَ يُجِيبُ كُلَّ شُكُورِ

5

10

15

وَارْغَبْ لِكَفِّكَ أَنْ تَخْطَ بِنَانِهَا خَيْرًا تُخَلِّفُهُ بَدَارِ غُرُورِ  
فَجَمِيعُ فِعْلٍ الْمَرْءُ يَلْقَاهُ غَدًا عِنْدَ التِّقَاءِ كِتَابِهِ الْمَشْهُورِ

وَاعْلَمْ أَنَّ الْحَطَّ بَيَانٌ عَنِ الْقَوْلِ وَالْكَلَامِ، كَمَا أَنَّ الْقَوْلَ وَالْكَلَامَ بَيَانٌ عَمَّا فِي  
النَّفْسِ وَالضَّمِيرِ مِنَ الْمَعَانِي . فَلَا بُدَّ لِكُلِّ مَنِهْمَا أَنْ يَكُونَ وَاضِحَ الدَّلَالَةِ . قَالَ اللَّهُ  
تَعَالَى: ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ [سورة الرحمن، الآيتان 3، 4] . وَهُوَ يَشْتَمِلُ 5  
بَيَانَ الْأَدِلَّةَ كُلَّهَا . فَالْحَطُّ الْمَجُودُ كَمَا لَهُ أَنْ تَكُونَ دَلَالَتُهُ وَاضِحَةً بِإِبَانَةِ حُرُوفِهِ الْمُتَوَاضِعَةِ،  
وَإِجَادَةً وَضَعَهَا وَرَسَمَهَا، وَكُلُّ وَاحِدٍ عَلَى حَدِّهِ فَتَمَيَّزَ عَنِ الْآخَرِ، إِلَّا مَا اضْطَلَحَ عَلَيْهِ  
الْكِتَابُ مِنْ إِيصَالِ حُرُوفِ الْكَلِمَةِ الْوَاحِدَةِ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ، سِوَى حُرُوفِ اضْطَلَحُوا  
عَلَى قَطْعِهَا ، مِثْلَ الْأَلْفِ الْمُتَقَدِّمَةِ فِي الْكَلِمَةِ ، وَعَلَى الرَّاءِ وَالزَّيِّ وَالذَّالِ وَالذَّالِ  
وغيرها، بِخِلَافِ مَا إِذَا كَانَتْ مُتَأَخِّرَةً، وَهَكَذَا إِلَى آخِرِهَا. 10

ثُمَّ إِنَّ الْمُتَأَخِّرِينَ مِنَ الْكِتَابِ اضْطَلَحُوا عَلَى وَضْعِ كَلِمَاتٍ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ،  
وَحَذَفَ حُرُوفَ مَعْرُوفَةٍ عِنْدَهُمْ لَا يَعْرِفُهَا إِلَّا أَهْلُ مُصْطَلَحِهِمْ، فَيَسْتَعْجِلُ عَلَى  
غَيْرِهِمْ. وَهَؤُلَاءِ كُتَّابُ دَوَاوِينِ السُّلْطَانِ وَسِجِلَّاتِ الْقُضَاةِ، كَأَنَّهُمْ اتَّفَقُوا بِهَذَا  
الِاضْطِلَاحِ عَنْ غَيْرِهِمْ لِكَثْرَةِ ....<sup>(1)</sup> الْكِتَابَةِ عَلَيْهِمْ وَشُهْرَةِ كِتَابَتِهِمْ وَإِحَاطَةِ كَثِيرٍ مِنْ  
دَوَاهِمِهِ بِمُصْطَلَحِهِمْ . فَإِنْ كَتَبُوا ذَلِكَ لِمَنْ لَا خِبْرَةَ لَهُ بِمُصْطَلَحِهِمْ فِي ذَلِكَ فَيَنْبَغِي أَنْ 15  
يَغْدِلُوا عَنْ ذَلِكَ وَيَتَعَمَّدُوا الْبَيَانَ مَا اسْتَطَاعُوهُ، وَإِلَّا كَانَ بِمِثَابَةِ الْحَطِّ الْأَعْجَمِيِّ، لِأَنَّهَا  
بِمَنْزِلَةِ وَاحِدَةٍ فِي عَدَمِ التَّوَاضُّعِ عَلَيْهِ. وَلَيْسَ يُعْذَرُ فِي هَذَا الْقَدَرِ إِلَّا كُتَّابُ الْأَعْمَالِ

(1) بياض في ظ، ع بمقدار كلمة .

السُّلْطَانِيَّةُ فِي الْأَمْوَالِ وَالْخِيُولِ، لِأَنَّهُمْ مَطْلُوبُونَ بِكَثْمَانِ ذَلِكَ عَنِ النَّاسِ، فَإِنَّهُ مِنْ الْأَسْرَارِ السُّلْطَانِيَّةِ الَّتِي يَجِبُ إِخْفَاؤُهَا. فَيُبَالِغُونَ فِي رَسْمِ اصْطِلَاحٍ خَاصٍّ بِهِمْ، وَيَصِيرُ بِمِثَابَةِ الْمَعْنَى، وَهُوَ الْإِصْطِلَاحُ عَلَى الْعِبَارَةِ عَنِ الْحُرُوفِ بِكَلِمَاتٍ مِنْ أَسْمَاءِ الطَّيِّبِ أَوْ الْفَوَاكِهِ أَوْ الطَّيُورِ أَوْ الْأَزْهَارِ، أَوْ وَضَعَ أَشْكَالٍ أُخْرَى غَيْرِ أَشْكَالِ الْحُرُوفِ الْمُتَعَارِفَةِ، يَصْطَلِحُ عَلَيْهَا الْمُتَخَاطِبُونَ لِتَأْدِيَةِ مَا فِي ضَمَائِرِهِمْ بِالْكِتَابَةِ. وَرَبَّمَا 5 وَضَعَ حُدُوقَ الْكِتَابِ لِلْعُبُورِ عَلَى ذَلِكَ، وَإِنْ لَمْ يَضَعُوهُ أَوَّلًا، قَوَائِنَ لِمُقَابِلَةِ اسْتَخْرَجِهَا لِذَلِكَ بِمَدَارِكِهِمْ، يُسَمُّونَهَا فِكُّ الْمَعْنَى. وَلِلنَّاسِ فِيهَا دَوَائِنٌ مَشْهُورَةٌ. وَاللَّهُ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ.]

### 30 \* فَصْلٌ، فِي صِنَاعَةِ الْوِرَاقَةِ

كَانَتْ الْعِنَايَةُ قَدِيمًا بِالدَّوَائِنِ الْعِلْمِيَّةِ وَالسَّجِلَّاتِ فِي نَسْخِهَا وَتَجْلِيدِهَا 10 وَتَصْحِيحِهَا بِالزَّوَايَةِ وَالضَّبْطِ، وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ مَا وَقَعَ مِنْ ضَخَامَةِ الدَّوَلَةِ وَتَوَابِعِ الْحَضَارَةِ. وَقَدْ ذَهَبَ ذَلِكَ لِهَذَا الْعَهْدِ بِذَهَابِ الدُّوَلِ وَتَنَاقُصِ الْعُمَرَانِ، بَعْدَ أَنْ كَانَ مِنْهُ فِي الْمِلَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ بَحْرٌ زَاخِرٌ بِالْعِرَاقِ وَالْأَنْدَلُسِ، إِذْ هُوَ كُلُّهُ مِنْ تَوَابِعِ الْعُمَرَانِ وَاتِّسَاعِ نِطَاقِ الدُّوَلِ وَتَفَاقِ أَسْوَاقِ ذَلِكَ [لَدَيْهَا] <sup>(١)</sup>. فَكَثُرَتِ التَّوَالِيفُ الْعِلْمِيَّةُ 15 وَالدَّوَائِنُ، وَحَرَصَ النَّاسُ عَلَى تَنَاقُلِهَا فِي الْآفَاقِ وَالْأَعْصَارِ، فَانْتَشِخَتْ وَجُلِّدَتْ. وَجَاءَتْ صِنَاعَةُ الْوَرَّاقِينَ الْمُعَانِينَ لِلانْتِسَاخِ وَالتَّصْحِيحِ وَالتَّجْلِيدِ وَسَائِرِ أُمُورِ الْكُتُبِ وَالدَّوَائِنِ، وَاخْتَصَّتْ بِالْأَمْصَارِ الْعَظِيمَةِ الْعُمَرَانِ.

(١) مِنْ ع، وَفِي ط ج ي : لَدَيْهَا .

وكانت السجلات أولاً لانتساخ العلوم، وكُتِبَ الرسائل السلطانية والإقطاعات والصكوك في الرقوق المهيأة بالصناعة من الجلد، لكثرة الرّفه وقلة التّواليف صدر المِلّة، كما نذكره، وقلة الرسائل السلطانية والصكوك مع ذلك<sup>(١)</sup>. فاقْتَصَرُوا على الكتاب في الرّقّ تشريفاً للمكتوبات وميلاً بها إلى الصّحة والإتقان.

- 5 ثم طمأ بخر التّواليف والتّدوين، وكثر ترسيل السلطان وصكوكه، وضاق الرّقّ عن ذلك، فأشار الفضل بن يحيى بصناعة الكاغذ، وصنّعه، وكتب فيه رسائل السلطان وصكوكه. / واتّخذ الناس من بعده صُحفاً لمكتوباتهم السلطانية والعلمية. [287]
- وبلّغت الإِجادَةُ في صِناعَتِهِ ما شاءت.

- ثم وَقَفَتْ عِنايةُ أَهْلِ العُلومِ وَهَمُّ أَهْلِ الدّولِ على ضَبْطِ الدّواوين العِلْمية وتَصْحيحِها بِالرّوايةِ المُسَنّدةِ إلى مُؤَلِّفِها وواضِعِها، لأنّه الشّأنُ الأهمُّ من التّصحيح والضّبط. فبذلك تُسَنَدُ الأقوالُ إلى قائلِها، والفُتُيا إلى الحاكِمِ بها المُجْتَهِدِ في طريق استنباطِها. وما لم يَكُنْ تَصْحيحُ المُتونِ بِإِسنادِها إلى مُدَوِّنِها فلا يَصِحُّ إِسنادُ قولِهم ولا فُتُيا. وهكذا كان شَأْنُ أَهْلِ العِلْمِ وَحَمَلَتِهِ في العُصورِ والأجيالِ والآفاقِ، حتّى لَقَدْ قُصِرَتْ فائدةُ الصّناعةِ الحديثيّةِ في الرّوايةِ على هذه فَقَطْ، إذ ثَمَرُها الكُبْرى من مَعْرِفَةِ صَحيحِ الأحاديثِ وحسَنِها ومُسَنَدِها ومُرْسَلِها ومَقْطُوعِها ومَوْقُوفِها 10 من مَوْضوعِها، قد ذَهَبَتْ وَتَمَحَّضَتْ زُبْدَةُ ذلك في الأمّهات المُتَلَقَّاةِ بِالقَبولِ عند الأُمّةِ، وصار القَصْدُ إلى ذلك لَعْواً من العَمَلِ. ولم تَبَقْ ثَمَرَةُ الرّوايةِ والاسْتِغْمالِ بها 15

(١) سقط من ط .

إِلَّا فِي تَصْحِيحِ تِلْكَ الْأَمْهَاتِ الْحَدِيثِيَّةِ وَسِوَاهَا مِنْ كُتُبِ الْفِقْهِ لِلْفُتَيَا وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ  
الدَّوَاوِينِ وَالتَّوَالِيفِ الْعِلْمِيَّةِ وَاتِّصَالَ سَنَدِهَا بِمَوْلَفِيهَا، لِيَصِحَّ النُّقْلُ عَنْهُمْ وَالْإِسْنَادُ  
إِلَيْهِمْ.

وكانت هذه الرسومُ بالمشرقِ والأندلسِ مُعَبَّدَةً الطُّرُقِ وَاضِحَةً الْمَسَالِكِ.  
5 ولقد نجدُ الدَّوَاوِينَ الْمُنْتَسَخَةَ لِمَا كَانَ الْعَهْدُ فِي أَقْطَارِهِمْ عَلَى غَايَةِ مِنْ الْإِتْقَانِ وَالْإِحْكَامِ  
وَالصَّحَّةِ. وَمِنْهَا لِهَذَا الْعَهْدِ بِأَيْدِي النَّاسِ فِي الْعَالَمِ أَصُولٌ عَتِيقَةٌ تَشْهَدُ بِبُلُوغِ الْغَايَةِ لَهُمْ  
فِي ذَلِكَ. وَأَهْلُ الْآفَاقِ يَتَنَاقَلُونَهَا إِلَى الْآنَ، وَيَشُدُّونَ عَلَيْهَا يَدَ الضَّمَانَةِ.

ولقد ذهبَتْ هذه الرسومُ لهذا العهدِ جَمَلَةً بِالْمَغْرِبِ وَأَهْلِهِ لِانْقِطَاعِ صِنَاعَةِ  
الْخَطِّ وَالضَّبْطِ وَالرَّوَايَةِ مِنْهُ، بِانْتِقَاصِ عُمَرَانِهِ وَبِدَاوَةِ أَهْلِهِ، وَصَارَتْ الْأَمْهَاتُ  
10 وَالدَّوَاوِينَ تُنْتَسَخُ بِالْخُطُوطِ الْبَدَوِيَّةِ، يَنْسَخُهَا طَلِبَةُ الْبَرِّ صَحَافٌ مُسْتَعْجِمَةٌ  
بِرْدَاءَةِ الْخَطِّ وَكَثْرَةِ الْفَسَادِ / وَالتَّضْحِيفِ، فَتُسْتَغْلَقُ عَلَى مُتَصَفِّحِهَا، وَلَا يَحْصُلُ مِنْهَا  
[287ب] فَائِدَةٌ إِلَّا فِي الْأَقْلِّ النَّادِرِ.

وأيضاً، فقد دَخَلَ الْخَلَلُ مِنْ ذَلِكَ فِي الْفُتَيَا، فَإِنَّ غَالِبَ الْأَقْوَالِ الْمَغْرُورَةِ غَيْرُ  
مَرْوِيَةٍ عَنْ أَيْمَةِ الْمَذْهَبِ، وَإِنَّمَا تُتْلَى مِنْ تِلْكَ الدَّوَاوِينِ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ. وَتَبَعَ ذَلِكَ  
15 أَيْضاً مَا يَتَّصِدَّى إِلَيْهِ بَعْضُ أَيْمَتِهِمْ مِنَ التَّأْلِيفِ لِقَلَّةِ بَصَرِهِمْ بِصِنَاعَتِهِ وَعَدَمِ الصَّنَاعِ  
الْوَافِيَةِ بِمَقَاصِدِهِ. وَلَمْ يَبْقَ مِنْ هَذَا الرَّسْمِ إِلَّا أَثَارَةٌ بِالْأَنْدَلُسِ خَفِيَّةٌ بِالْأَمْحَاءِ، وَهِيَ  
عَلَى الْأَخْصِيحِلَالِ. فَقَدْ كَادَ الْعِلْمُ أَنْ يَنْقَطَعَ بِالْكَلْبِيَّةِ مِنَ الْمَغْرِبِ ﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى  
أَمْرِهِ ﴾ [سورة يوسف، من الآية 21].

وَيَبْلُغُنَا لِهَذَا الْعَهْدَ، أَنَّ صِنَاعَةَ الرِّوَايَةِ قَائِمَةٌ بِالْمَشْرِقِ، وَتَصَحِيحُ الدَّوَاوِينِ  
 لِمَنْ يَرُومُهُ بِذَلِكَ سَهْلٌ عَلَى مُبْتَغِيهِ، لِنَفَاقِ أَسْوَاقِ الْعُلُومِ وَالصَّنَائِعِ، كَمَا تَذَكَّرَهُ بَعْدُ.  
 إِلَّا أَنَّ الْخَطَّ<sup>(١)</sup> الَّذِي بَقِيَ مِنَ الْإِجَادَةِ فِي الْإِنْتِسَاخِ هُنَالِكَ إِنَّمَا هُوَ لِلْعَجَمِ وَفِي  
 خُطُوطِهِمْ . وَأَمَّا النَّسْخُ بِمَضَرٍ ، فَفُسَدٌ كَمَا فَسَدَ بِالْمَغْرِبِ وَأَشَدُّ . ﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ  
 عَلَى أَمْرِهِ ﴾ [سورة يوسف، من الآية 21] .

5

### 31 • فَصْلٌ فِي صِنَاعَةِ الْغِنَاءِ

هَذِهِ الصَّنَاعَةُ هِيَ تَلْحِينُ الْأَشْعَارِ الْموزُونَةِ، بِتَقْطِيعِ الْأَصْوَاتِ عَلَى نِسَبٍ  
 مُنْتَظِمَةٍ مَعْرُوفَةٍ تُوقَّعُ عَلَى كُلِّ صَوْتٍ مِنْهَا تَوْقِيعاً عِنْدَ قَطْعِهِ، فَتَكُونُ نِعْمَةً، ثُمَّ تُؤَلَّفُ  
 تِلْكَ النِّعَمُ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ عَلَى نِسَبٍ مُتَعَارِفَةٍ، فَيَلِدُ سَمَاعُهَا لِأَجْلِ ذَلِكَ التَّنَاسُبِ،  
 وَمَا يَحْدُثُ عَنْهُ مِنَ الْكَيْفِيَّةِ فِي تِلْكَ الْأَصْوَاتِ.

10

وَذَلِكَ أَنَّهُ تَبَيَّنَ فِي عِلْمِ الْمَوْسِيقَى أَنَّ الْأَصْوَاتَ تَتَنَاسَبُ لِيَكُونَ صَوْتُ،  
 نِصْفُ صَوْتٍ، وَرُبُعٌ آخَرٌ، وَخُمْسٌ آخَرٌ، وَجِزءٌ<sup>(ب)</sup> مِنْ أَحَدِ عَشَرَ مِنْ آخَرٍ.  
 وَاخْتِلَافُ هَذِهِ النِّسَبِ عِنْدَ تَأْدِيَتِهَا إِلَى السَّمْعِ يُخْرِجُهَا عَنِ الْبَسَاطَةِ إِلَى التَّرْكِيبِ.  
 وَلَيْسَ كُلُّ تَرْكِيبٍ مِنْهَا مَلْدُوداً عِنْدَ السَّمْعِ، بَلْ تَرَاكِبُ خَاصَّةٌ هِيَ الَّتِي حَصَرَهَا أَهْلُ  
 عِلْمِ الْمَوْسِيقَى وَتَكَلَّمُوا عَلَيْهَا، كَمَا هُوَ مَذْكُورٌ فِي مَوْضِعِهِ.

15

وَقَدْ يُسَاقُ ذَلِكَ التَّلْحِينُ فِي التَّغَمَّاتِ الْغِنَائِيَّةِ بِتَقْطِيعِ أَصْوَاتٍ أُخْرَى مِنْ

(١) مِنْ ظ ج ي ، وَفِي عِ الْخَطِّ (ب) فِي ع: وَجِزءاً .

الجمادات، إمّا بالقرع أو النفخ في آلات تُتخذ لذلك ، فتزيدها لذة عند / السمع . [288]  
 فمنها لهذا العهد بالمغرب أصناف، منها: المزمار، يُسمّونه الشبابة. وهي قصبة جوفاء  
 بأبخاش في جوانبها معدودة، يُنفخ فيها فتصوّث، ويخرج الصوت من جوفها على  
 سداة من تلك الأبخاش، ويُقطع الصوت بوضع الأصابع من اليدين جميعاً على تلك  
 5 الأبخاش ووضعا متعارفاً حتى تحدث النسب بين الأصوات فيه ، وتتصل كذلك  
 متناسبة. فيلتد السمع بإدراكها للتناسب الذي ذكرناه.

ومن جنس هذه الآلة آلة الزمر التي تُسمّى الزلامي، وهي شكل القصبة،  
 منحوتة الجانبين من الخشب، جوفاء من غير تدوير لأجل اثتلافها من قطعتين،  
 منفوذة كذلك بأبخاش معدودة يُنفخ فيها بقصبة صغيرة توصل، فينفذ النفخ بواسطتها  
 إليها وتصوّت بنغمة حادة، ويجري فيها من تقطيع الأصوات من تلك الأبخاش بالأصابع  
 10 مثل ما يجري في الشبابة.

ومن أحسن آلات الزمر لهذا العهد، البوق، وهو بوق من النحاس  
 أجوف في مقدار الذراع، يتسع إلى أن يكون انفراج مخرجه في مقدار [دون]<sup>(1)</sup>  
 الكف، على شكل بري القلم. ويُنفخ فيه بقصبة صغيرة تؤدّي الرّيح من الفم إليه،  
 15 فيخرج الصوت ثخيناً دويّاً . وفيه أبخاش أيضاً معدودة ، وتقطع نغمه منها كذلك  
 بالأصابع على التناسب، فيكون ملذوداً.

ومنها آلات الأوتار، وهي جوفاء كلّها ، [إمّا على شكل]<sup>(ب)</sup> قطعة من

(1) كذا في ع ج ي، وفي ظ: دور (ب) ي: شكلها .



الكرة، كالربط والرباب، أو على شكل مربع، كالقانون، توضع الأوتار على  
بساطها مشدودة في رأسها إلى دساتر جائلة ليتأق رحوها عند الحاجة إليه  
بإدارتها، ثم تفرغ الأوتار إما بعود آخر أو بوتر مشدود بين طرفي قوس يمر عليها  
بعد أن يطلّى بالشمع والكندر. ويقطع الصوت فيه بتخفيف اليد في إمراره و[نقله]<sup>(1)</sup>  
من وتر إلى وتر، واليد اليسرى مع ذلك في جميع آلات الأوتار توقع بأصابعها على  
أطراف الأوتار فيما يفرغ / أو يحك بالوتر ، فتحدث الأصوات متناسبة ملذودة.  
وقد يكون القزع في الطسوت بالقضبان أو في الأعواد بعضها ببعض على توقع  
متناسب يحدث عنه التذاذ بالمسموع.

[288ب]

ولتبين لك السبب في اللذة الناشئة عن الغناء. وذلك أن [اللذة]<sup>(ب)</sup> كما  
تقرر في موضعه ، هي إدراك الملائم ؛ والمحسوس إنما تدرك منه كيفية ، فإذا كانت  
مناسبة للمدرك وملائمة، كانت ملذودة. وإذا كانت منافية له، منافرة، كانت مؤلمة.  
فالملائم من الطعوم ما ناسبته كفيته حاسة الذوق في مزاجها وكذا الملائم من  
الملموسات، وفي الروائح ما ناسب مزاج الروح القلبي البخاري، لأنه المدرك،  
وإليه تؤدي الحاسة. ولهذا كانت الرياحين والأزهار العطريات أحسن رائحة وأشد  
ملاءمة للروح، لغلبة الحرارة فيها، التي هي مزاج الروح القلبي.

15

وأما المرئيات والمسموعات، فالملائم فيها تناسب الأوضاع في أشكالها  
وكيفياتها، فهو أنسب عند النفس وأشد ملاءمة لها. فإذا كان المرئي متناسباً في

(1) في ظ، ع: وينقله، وفي ج ي: أو ينقله (ب) ظ: المدة.

أشكاله وتخطيطه التي له بحسب مادته، بحيث لا يخرج عما تقتضيه مادته الخاصة من كمال المناسبة والوضع، وذلك هو معنى الجمال والحسن في كل مدرك، كان ذلك حينئذٍ مناسباً للنفس المدركة، فتلتذُّ بإدراك ملامحها. ولهذا نجد العاشقين المستهترين في المحبة، يُعبرون عن غاية محبتهم وعشقهم بامتزاج أزواجهم بروح المحبوب. ومغناه من وجه آخر، أن الوجود يُشرك بين الموجودات كما يقوله الحكماء، فتود أن تترج بما شهدت فيه الكمال لتتجد به.

ولما كان أنسب الأشياء إلى الإنسان وأقربها إلى أن يدرك الكمال في تناسب موضوعها هو شكله الإنساني، فكان إدراكه للجمال والحسن في تخطيطه وأصواته من المدارك التي هي أقرب إلى فطرته، فيلجج كل إنسان بالحسن من المزيّ أو المسموع بمقتضى الفطرة. والحسن في المسموع<sup>(١)</sup> أن تكون الأصوات متناسبة لا متنافرة. وذلك / أن الأصوات لها كميّات من الهمس والجهر والرخاوة والشدّة [289] والقلّة والضّغط وغير ذلك، والتناسب فيها هو الذي يوجب لها الحسن.

فأولاً: أن لا يخرج من الصوت إلى ضده دفعة، بل بتدريج، ثم يرجع كذلك. وكذا إلى المثل، بل لا بد من توسط المغاير بين الصوتين. وتأمل هذا من استقباح أهل اللسان التراكيب من الحروف المتنافرة أو المتقاربة الخارج، فإنه من بابه.

وثانياً: تناسبها بالأجزاء، كما مرّ أول الباب. فيخرج من الصوت إلى نصفه أو ثلثه أو جزء من كذا منه، على حسب ما يكون التنقل مناسباً على ما حصره

(١) في ظ: بمقتضى الفطرة. ولعلها مكررة من التاسع.

أهل صناعة الموسيقى. فإذا كانت الأصوات على تناسب في الكيفيات، \*كما ذكره  
أهل تلك الصناعة\*<sup>(1)</sup>، كانت ملائمة ملذوذة.

ومن هذا التناسب ما يكون بسيطاً ويكون الكثير من الناس مطبوعين  
عليه، لا يحتاجون فيه إلى تعليم ولا صناعة، كما نجد المطبوعين على الموازين الشعرية  
وتوقيع الرقص وأمثال ذلك. وتسمى العامة هذه القابلية بالمضمار. وكثير من القراء 5  
بهذه المثابة، يقرأون القرآن، فيجيدون في تلاحين أصواتهم كأنها المزامير، فيضطربون  
بحسن مساقفهم وتناسب نغماتهم.

ومن هذا التناسب ما يحدث بالتركيب، وليس كل الناس يستوي في  
معرفة، ولا كل الطباع توافق صاحبها في العمل به إذا علم.  
وهذا هو التلحين الذي يتكفل به علم الموسيقى، كما نشرحه بعد عند ذكر 10  
العلوم.

وقد أنكر مالك<sup>(1)</sup>، رضي الله عنه، القراءة بالتلاحين، وأجازها الشافعي،  
رضي الله عنه.

وليس المراد تلحين الموسيقى الصناعي، فإنه لا ينبغي أن يختلف في حظه،  
إذ صناعة الغناء مباينة للقرآن [بكل وجه]<sup>(ب)</sup>. 15

(1) سقط ما بين النجمين من ع، ومكانها إشارة مخرج غير موجود (ب) من ي .

(1) انظر ابن قدامة: المغني 1: 178، ابن مفلح: الآداب الشرعية 2: 203، د. بشار عواد معروف: البيان في  
حكم التنقي بالقرآن (ضمن كتاب الإعجاز القرآني، بغداد 1989).

(١) [لأنَّ القراءة والأداء يحتاج (ب) إلى مقدارٍ من الصوت يتَّعَيَّن (ج) أداء الحَرْف به من حيث إشباع الحركات في مواضعها (د) ومقدار المدِّ عند من يُطِيلُه أو يُقَصِّرُه، وأمثال ذلك. والتَّلْحِينُ أيضاً يتَّعَيَّن (هـ) له مقدارٌ من الصوت لا يتمُّ إلَّا به من أجل / التَّنَاسُبِ الَّذِي قُلْنَاهُ فِي حَقِيقَةِ التَّلْحِينِ، فاعتبار (و) أحدهما قد يُخِلُّ بِالْآخَرِ إِذَا تَعَارَضَا . وتقدِّمُ التَّلَاوَةُ مُتَّعِيْنَ فَرَاراً مِنْ تَغْيِيرِ الرِّوَايَةِ الْمُنْقُولَةِ فِي الْقُرْآنِ . 5 فلا يُفَكَّنُ اجْتِمَاعُ التَّلْحِينِ وَالْأَدَاءِ الْمَعْتَبَرِ فِي الْقُرْآنِ بَوَجه] (١) .

وإنَّما المراد في اختلافهم التَّلْحِينُ البسيط الَّذِي يَهْتَدِي إِلَيْهِ صَاحِبُ الْمِضْمَارِ بطبعه، كما قدَّمناه. فَيُرَدِّدُ أَصْوَاتَهُ تَرْدِيداً عَلَى نِسْبٍ يُذَكِّرُهَا الْعَالَمُ بِالْغِنَاءِ وَغَيْرُهُ. هذا هو محلُّ الخلافِ . والظَّاهِرُ تَنْزِيهُ الْقُرْآنِ عَنْ هَذَا ، كما ذهب إليه الإمامُ ، رحمه الله ، لأنَّ الْقُرْآنَ هو محلُّ خُشُوعٍ بِذِكْرِ الْمَوْتِ وَمَا بَعْدَهُ ، وليس مقام التذادِ 10 بِإِذْرَاكِ الْحَسَنِ (ز) مِنَ الْأَصْوَاتِ. وهكذا كانت قراءة الصَّحَابَةِ كما في أخبارهم. فأما قَوْلُهُ ﷺ (١): "لَقَدْ أُوتِيَ مِزْمَاراً مِنْ مِّزَامِيرِ دَاوُدَ" (ح)، فليس المرادُ به التَّردِيدُ والتَّلْحِينُ، وإنَّما معناه حُسْنُ الصَّوْتِ وَأَدَاءُ الْقِرَاءَةِ وَالْإِيَانَةُ فِي مَخَارِجِ الْحُرُوفِ وَالتَّنَطُّقِ بِهَا .

(أ) مخرج في ع بخطه، ومثله بخطه أيضاً في ي (ب) كذا بخطه، والصواب: يحتاجان (ج) ع: بتعيين أداة الحرف (د) ي: موضعها (هـ) ج: معين (و) من ج ظ، وفي ع: واعتبار (ز) ع: للحسن (ح) كذا في ط ج، وفي ع ي: آل داود .

(١) قالها النَّبِيُّ ﷺ فِي أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ حِينَ سَمِعَ قِرَاءَتَهُ. والحديث أخرجه الحميدي في مسنده (282) وأحمد 6: 37، وعبد بن حميد في المنتخب من مسنده (1476) والدارمي في سننه (1497) والنسائي في المجتبى 2: 180- وينظر المسند الجامع، 20: 338، حديث رقم (17215).

وإذ قد ذكرنا معنى الغناء، فاعلم أنه يحدث في العمران إذا توفّر  
وتجاوزوا حدّ الضروريّ إلى الحاجيّ، ثمّ إلى الكماليّ وتقنّوا فيه، فتحدّث<sup>(١)</sup> هذه  
الصناعة لأنّه لا يستدعيها إلّا من فرغ من جميع حاجاته الضروريّة والمهمّة من  
المعاش والمنزل وغيره. فلا يطلبها إلّا الفارغون عن سائر أحوالهم تقنّناً في مذاهب  
الملذّذات . وكان في سلطان العجم قبل الملة منها بحرّ زاخرّ في أمصارهم ومُدُنهم. 5  
وكان ملوكهم يتخذون ذلك ويولعون به ، حتّى لقد كان للملوك الفرس اهتمامٌ بأهل  
هذه الصناعة ، ولهم مكانٌ من دولّتهم . وكانوا يحضرون مشاهدتهم ومجاميعهم  
ويُعَتّون فيها. وهذا شأنُ العجم لهذا العهد في كلّ أفقٍ من آفاقهم ومملكتهم من  
ممالكهم.

وأما العرب، فكان لهم أولاً فنُّ الشعر، يؤلّفون فيه الكلام أجزاءً متساويةً 10  
على تناسبٍ بينها في عدّة حروفها المتحرّكة والسّاكنة، ويُفصّلون الكلام في تلك  
الأجزاء تفصيلاً يكون كلّ جزءٍ منها مُستقِلاً / بالإفادة، لا يتعطّف على الآخر، [1290]  
ويُسَمّونه البيت. فيلأئم الطّبع بالتجزئة أولاً، ثمّ بتناسُب الأجزاء في المقاطع  
والمبادئ، ثمّ بتأدية المعنى المقصود وتطبيق الكلام عليه. فلَهجوا به، وامتاز من يئن  
كلامهم بحظّ من الشّرف ليس لغيره ، لأجل اختصاصه بهذا التّناسب . وجعلوه 15  
ديواناً لأخبارهم وحكّهم وشرفهم، ومَحَكّاً لقرائحهم في إصابة المعاني وإجادة  
الأساليب. واستمروا على ذلك.

(١) في ع: فيخذث.

وهذا التَّنَاسُب [الَّذِي] <sup>(1)</sup> من أَجْلِ الأجزاء والمتحرّك والسّاكن من الحروف  
قَطْرَةٌ من بحر تناسب الأصوات كما هو معروف في كتاب الموسيقى <sup>(1)</sup>. إلا أنّهم لم  
يَشْعُرُوا بما سِوَاهُ، لأنّهم حينئذٍ لم يَنْتَحِلُوا عِلْماً ولا عَرَفُوا صِنَاعَةً، وكانت البداوةُ  
أَغْلَبَ نَحْلِهِمْ، ثم تَغَيَّرَتِ الحداةُ منهم في حُدَاءِ إِبْلِهِمْ وَالْفُثَيَانِ فِي فِضَاءِ خَلَوَاتِهِمْ، فَرَجَّعُوا  
5 الأصوات وَتَرْتَمَوْا، وَكَانُوا يُسَمَّونَ التَّرْتَمَ إِذَا كَانَ بِالشَّعْرِ غِنَاءٌ، وَإِذَا كَانَ بِالتَّهْلِيلِ أَوْ  
نَوْعِ الْقِرَاءَةِ تَغْيِيراً، بِالْغَيْنِ الْمُعْجَمَةِ وَالْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ. وَعَلَّلَهَا أَبُو إِسْحَاقَ الرَّجَّاجُ <sup>(2)</sup> بِأَنَّهَا  
تُذَكَّرُ بِالْغَايِرِ، وَهُوَ الْبَاقِي، أَيْ بِأَحْوَالِ الْآخِرَةِ. وَرَبَّمَا نَاسَبُوا فِي غِنَائِهِمْ بَيْنَ التَّغْيَاتِ  
مُنَاسَبَةً بَسِيطَةً، كَمَا ذَكَرَهُ ابْنُ رَشِيقٍ آخَرَ كِتَابَ الْعُمْدَةِ <sup>(3)</sup>، وَغَيْرُهُ. وَكَانُوا يُسَمُّونَهُ  
السَّنَادَ <sup>(4)</sup>. وَكَانَ أَكْثَرُ مَا يَكُونُ مِنْهُمْ فِي الْخَفِيفِ الَّذِي يُرْقِصُ عَلَيْهِ وَيُمَشِّي بِالدُّفِّ  
10 وَالْمِزْمَارِ، فَيُطْرَبُ وَيَسْتَخِفُّ الْحُلُومُ. وَكَانُوا يُسَمُّونَ هَذَا الْهَزَجَ <sup>(5)</sup>. وَهَذَا الْبَسِيطُ  
كُلُّهُ مِنَ التَّلَاحِينِ هُوَ مِنْ أَوَائِلِهَا، وَلَا يَبْعُدُ أَنْ تَنْفَطِنَ لَهُ الطَّبَاعُ مِنْ غَيْرِ تَعْلِيمٍ،  
شَأْنَ الْبَسَائِطِ كُلِّهَا مِنَ الصَّنَائِعِ.

(1) سقط من ط .

(1) الفارابي: الموسيقى الكبير ، انظر خاصة أجزاء الحروف ونظائرها كالإيقاع، ص 1075 - .

(2) اللسان (غ ب ر) وعبارة الزجاج فيه: سموا مغبرين لتزهيدهم الناس في الفانية وهي الدنيا وترغيبهم في الآخرة الباقية .

(3) العمدة : 2: 1130 .

(4) المصدر نفسه: 2: 1128 .

(5) المصدر والصفحة .

ولم يزل هذا شأن العرب في بداوتهم وجاهليتهم. فلما جاء الإسلام واستولوا على ممالك الدنيا وحازوا سلطان العجم وغلّبهم عليه، وكانوا من البداوة والغضاضة<sup>(١)</sup> على الحال التي عرفت لهم، مع غضارة الدين وشِدَّتِه في ترك أحوال الفراغ وما ليس بنافع في دين ولا معاش، فهجر ذلك شيئاً ما، ولم يكن الملدودُ عندهم إلا ترجيع القراءة والترنم بالشعر الذي كان ديدَنهم ومذهبهم. فلما جاءهم 5 الترف / وغلب عليهم الرفق بما حصل لهم من غنائم الأمم، صاروا إلى نضارة العيش ورقّة الحاشية واستيلاء الفراغ. وافترق المغنون من الفرس والروم، فوقعوا إلى الحجاز وصاروا موالى للعرب، وغنّوا جميعاً بالعيّدان والطناير والمعارف والمزامير. وسمع العرب تلحينهم الأصوات، فلحنوا عليها<sup>(ب)</sup> أشعارهم. وظهر بالمدينة نسيط الفارسي، وطويس، وسايب خاثر، مؤلى عبد الله بن جعفر، فسمعوا شعر العرب 10 ولحنوه وأجادوا فيه، وطار لهم ذكر. ثم أخذ عنهم مغبّد وطبقته، وابن شريح وأنظاره. وما زالت صناعة الغناء تندرج إلى أن كملت أيام بني العباس عند إبراهيم ابن المهدي، وإبراهيم الموصلي، وابنه إسحاق، وابنه حماد. وكان من ذلك في دولتهم ببغداد ما تبعه الحديث به وبمجالسه لهذا العهد. وأمعنوا في اللهو واللعب، واتخذت آلات الرقص في الملبس والقضبان والأشعار التي يترنم بها عليه، وجعل صنفاً 15 وحده. واتخذت آلات أخرى للرقص تسمى بالكرج، وهي تماثيل خيل مسرجة من الخشب، معلقة بأطراف أقبية تلبسها النسوان، ويحاكون بها امتطاء الخيل،

(١) من طع ي، وفي ج: أقرب إلى الغضاضة (ب) في ظ: فيها.

فِيَكُونُونَ وَيُقَاتِفُونَ، وَأَمْثَالُ ذَلِكَ مِنَ اللَّعِبِ الْمُعَدَّةِ لِلْوَلَائِمِ وَالْأَعْرَاسِ وَأَيَّامِ  
الْأَعْيَادِ وَمَجَالِسِ الْفَرَاغِ وَاللَّهْوِ. وَكَثُرَ ذَلِكَ <sup>(1)</sup> بَبْغَدَادِ وَأَمْصَارِ الْعِرَاقِ، وَانْتَشَرَ مِنْهَا  
فِيهَا سِوَاهَا.

وَكَانَ لِلْمَوْصِلِيِّينَ غُلَامٌ اسْمُهُ زُرْيَابٌ، أَخَذَ عَنْهُمْ الْغَنَاءَ فَأَجَادَ، فَصَرَفُوهُ إِلَى  
5 الْمَغْرِبِ، غَيْرَةَ بِهِ. فَلَحِقَ بِالْحَكَمِ بْنِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّاحِلِ، أَمِيرِ الْأَنْدَلُسِ،  
فَبَالَعَ فِي تَكْرِمَتِهِ وَرَكِبَ لِلْقَائِهِ، وَأَسْنَى لَهُ الْجَوَائِزَ وَالْإِقْطَاعَاتِ وَالْجَزَايَاتِ، وَأَحَلَّهُ  
مِنْ دَوْلَتِهِ وَنُدُمَائِهِ بِمَكَانٍ. فَأَوْرَثَ بِالْأَنْدَلُسِ مِنْ صِنَاعَةِ الْغَنَاءِ مَا تَنَاقَلُوهُ إِلَى أَزْمَانِ  
الطَّوَائِفِ. وَطَقَا مِنْهَا بِإِشْبِيلِيَّةَ بَحْرَ زَاخَرٍ، وَتَنَاقَلَ مِنْهَا بَعْدَ ذَهَابِ غَضَارَتِهَا إِلَى بِلَادِ  
الْعُدُوَّةِ بِإِفْرِيقِيَّةَ وَالْمَغْرِبِ، وَانْقَسَمَ إِلَى أَمْصَارِهَا. وَبِهَا الْآنَ [مِنْهَا] <sup>(ب)</sup> صُبَابَةٌ عَلَى  
10 تَرَاجُعِ عُثْمَانِهَا وَتَنَاقُصِ دَوْلِهَا.

وَهَذِهِ الصَّنَاعَةُ آخِرُ مَا يَحْصُلُ فِي الْعُثْمَانَ مِنَ الصَّنَائِعِ، لِأَنَّهَا كَمَالِيَّةٌ فِي غَيْرِ  
وُضْعَةٍ / مِنَ الْوُضَائِفِ إِلَّا وَضْعَةَ الْفَرَاغِ وَالْفَرَحِ. وَهِيَ أَيْضاً أَوَّلُ مَا يَنْقَطِعُ مِنْ  
[1291] الْعُثْمَانَ عِنْدَ اخْتِلَافِهِ وَتَرَاجُعِهِ. وَاللَّهُ ﴿الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾. [سُورَةُ الْحَجَرِ، مِنَ الْآيَةِ 86،  
وَسُورَةُ يَسَ، مِنَ الْآيَةِ 81].

(1) موقع مخرج غير موجود ساقط من ع ي (ب) سقط من ظ .



32 ﴿١﴾ فصل، في أن الصنائع تكتسب صاحبها عقلاً وخصوصاً الكتاب (ب)

## والحساب

قد ذكرنا في الكتاب أن النفس الناطقة للإنسان إنما توجد فيه بالقوة، وأن خروجها من القوة إلى الفعل إنما هو بتجدد العلوم والإدراكات من المحسوسات أولاً، ثم ما يكتسب بعدها بالقوة النظرية إلى أن تصير إدراكاً بالفعل وعقلاً مخضاً، فتكون ذاتاً روحانية، وتستكمل حينئذ وجودها. فوجب لذلك أن يكون كل نوع من العلم والنظر يُفيدُها عقلاً مزيداً. والصنائع أبداً يحصل عنها وعن ملكتها قانون علمي مُستفاد من تلك الملكة. فهذا كانت الحنكة في التجربة تُفيدُ عقلاً، والملكات الصناعية تُفيدُ عقلاً، والحضارة الكاملة تُفيدُ عقلاً، لأنها مُجمعة من صنائع في شأن تدبير المنزل ومُعاشرة أبناء الجنس وتحصيل الآداب في مُخالطتهم، ثم القيام بأمور الدين واعتبار آدابها وشرايطها. وهذه كلها قوانين تُنتظم علوماً، فتحصل منها زيادة عقلي.

والكتابة من بين الصنائع أكثر إفادة لذلك، لأنها تشتمل على علوم وأنظار بخلاف الصنائع.

وبيانه: أن في الكتابة انتقلاً من صور الحروف الخطية إلى الكلمات اللفظية في الخيال، ومن الكلمات اللفظية في الخيال إلى المعاني التي في النفس. فهو ينتقل أبداً من دليل إلى دليل ما دام مُتلبساً بالكتابة. وتعود النفس ذلك دائماً فتحصل

(١) سيجل هذا الفصل على صفحات المخطوط ع بخطه (ب) ج ي : الكتابة.

لها ملكة الانتقال من الأدلة إلى المدلولات، وهو معنى النظر العقلي الذي تُكتسب به العلوم المجهولة، فثُكتسب بذلك ملكة من التَّعَقُّل يكون زيادة عقل، ويحصل به<sup>(أ)</sup> مزيد فطنة وكَيْس في الأمور، بما تَعَوَّدوه من ذلك الانتقال. ولذلك قال كِسْرَى في كتابه لما رآهم: \*بتلك الفطنة والكَيْس\*<sup>(ب)</sup>: ديوانه، أي: شياطين وجنون. قالوا: وذلك أضل اشتقاق الديوان لأهل الكتابة.

ويُلْحَقُ بذلك الحساب، فإن في / صناعة الحساب نوعٌ تَصَرُّفٌ<sup>(ج)</sup> في العدد<sup>(د)</sup> بالضم [والتفريق]<sup>(هـ)</sup> يُحتاج فيه إلى استدلال كبير، فينبغي مُتَعَوِّدًا للاستدلال والنظر، وهو معنى العقل.

﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [سورة النحل، الآية 78].

(أ) سقط من ع (ب) من ظ ج، وسقط من ع ي (ج) سقط من ظ (د) سقط من ي (هـ) سقط من ظ .

/ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ<sup>(١)</sup>

الفصلُ السادس \* من الكتاب الأول \*<sup>(ب)</sup>

(١) من ظي، وفي ج ع: وصلى الله على سيدنا محمد وآله (ب) سقط من ي .



فِي الْعُلُومِ وَأَصْنَافِهَا، وَالتَّعْلِيمِ وَطُرُقِهِ، [وَسَائِرِ وُجُوهِهِ] <sup>(أ)</sup> وَمَا يَغْرِضُ فِي  
ذَلِكَ كُلِّهِ مِنَ الْأَحْوَالِ . وَفِيهِ مُقَدِّمَةٌ وَلَوْاحِقُ

(ب) [فَالْمُقَدِّمَةُ فِي الْفِكْرِ الْإِنْسَانِيِّ الَّذِي تَمَيَّزَ بِهِ الْبَشَرُ عَنِ الْحَيَوَانَاتِ، وَاهْتَدَى  
بِهِ لِتَحْصِيلِ مَعَاشِهِ وَالتَّعَاوُنِ عَلَيْهِ بِأَبْنَاءِ جَنْسِهِ، وَالنَّظَرِ فِي مَعْبُودِهِ وَمَا جَاءَتْ بِهِ  
الرُّسُلُ مِنْ عِنْدِهِ؛ فَصَارَ جَمِيعُ الْحَيَوَانَاتِ فِي طَاعَتِهِ وَمَلَكَهَ قُدْرَتُهُ، وَفَضَّلَهُ بِهِ عَلَى  
كَثِيرٍ مِنْ خَلْقِهِ.

## 1 • فُضِّلَ، فِي الْفِكْرِ الْإِنْسَانِيِّ

اعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ مَيَّزَ الْبَشَرَ عَنْ سَائِرِ الْحَيَوَانَاتِ بِالْفِكْرِ، الَّذِي جَعَلَهُ  
مَبْدَأَ كَمَالِهِ وَنِهَايَةَ فَضْلِهِ عَلَى الْكَائِنَاتِ وَشَرَفَهُ . وَذَلِكَ أَنَّ الْإِدْرَاكَ، وَهُوَ شَعُورُ  
الْمُدْرِكِ فِي ذَاتِهِ بِمَا هُوَ خَارِجٌ عَنْ ذَاتِهِ، وَهُوَ خَاصٌّ بِالْحَيَوَانِ فَقَطُّ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ  
الْكَائِنَاتِ وَالْمَوْجُودَاتِ. فَالْحَيَوَانَاتُ تَشْعُرُ بِمَا هُوَ خَارِجٌ عَنْ ذَاتِهَا بِمَا رَكَّبَ اللَّهُ فِيهَا  
مِنَ الْحَوَاسِّ الظَّاهِرَةِ: السَّمْعَ، وَالْبَصَرَ، وَالشَّمَّ، وَالنَّوْقَ، وَاللَّمْسَ. وَيَزِيدُ الْإِنْسَانُ

(أ) سقط من ع (ب) هذه المقدمة والفصول الستة الأولى (1-6) انفردت بها ع، ولم ترد في الأصول الأخرى . وقد أثبتنا في  
مفتتح كل صفحة منها خطأ مائلاً (/) للتدليل على ما في محتوى كل صفحة، دون الإشارة إلى رقمها تجنباً للتداخل مع أرقام  
صفحات (ط) .

من بينها أنه يُدرك الخارج عن ذاته بالفكر الذي وراء حسّه. وذلك بقوى جعلت له في بطون دماغه، ينتزع بها صُور المحسوسات ويحوّل بذهنيه فيها، فيجرّد منها صُوراً أخرى.

والفكر هو التصرف في تلك الصُور وراء الحس، وجولان الذهن فيها بالاتّراع 5 والتّركيب. وهو معنى الأفيّدة، من قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾ [سورة النحل، من الآية 78].

والأفيّدة، جمع فؤاد، وهو هنا الفكر. وهو على مراتب:

الأولى: تعقل الأمور المترتبة في الخارج ترتيباً طبيعياً أو وضعياً، ليُقصد إيقاعها بقدرته. وهذا الفكر أكثره تصوّرات، وهو العقل التّمييزي الذي به يحصل 10 منافعه ومعاشه ويدفع مضارّه.

الثانية: الفكر الذي يُفيد الآراء والآداب في معاملة أبنائه جنسه وسياستهم. وأكثرها تصديقات تحصل بالتّجربة / شيئاً شيناً، إلى أن تَمّ الفائدة منها. وهذا هو المسمّى بالعقل التّجريبي.

الثالثة: الفكر الذي يُفيد العلم أو الظنّ بمطلوب وراء الحس، لا يتعلّق به 15 عمل. وهذا هو العقل التّطريي. وهو تصوّرات وتصديقات تنظّم انتظاماً خاصاً على شروط خاصة، فتفيد معلوماً آخر من جنسها في التّصوّر أو التّصديق. ثمّ ينظّم مع غيره، فيفيد معلوماً آخر كذلك. وغايته إفادته تصوّر الوجود على ما هو عليه

بأجناسه وفُصُوله وأسبابه وعِلَّله. فيكْمُلُ الفِكرُ بذلك في حَقِيقته، ويصيرُ عَقْلاً مَحْضاً، ونفساً مُدْرِكَةً. وهو مَعْنَى الحَقِيقَةِ الإنْسَانِيَّةِ.

## 2\* فَصْلٌ ، فِي أَنَّ عَوَالِمَ الْحَوَادِثِ الْفَعْلِيَّةِ إِنَّمَا تَتِمُّ بِالْفِكْرِ

اعْلَمْ أَنَّ عَالَمَ الْكَائِنَاتِ يَشْتَمِلُ عَلَى : ذَوَاتٍ مَحْضَةٍ ، كَالْعُنَاصِرِ وَآثَارِهَا ،  
وَالْمَكُونَاتِ الثَّلَاثَةِ عَنْهَا ، الَّتِي هِيَ : الْمَعْدِنُ ، وَالنَّبَاتُ ، وَالْحَيَوَانُ ، وَهَذِهِ كُلُّهَا 5  
مَتَعَلِّقَاتُ الْقُدْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ. وَعَلَى أَفْعَالٍ صَادِرَةٍ عَنِ الْحَيَوَانَاتِ ، وَاقِعَةٍ بِقُصُودِهَا ، مَتَعَلِّقَةٌ  
بِالْقُدْرَةِ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَهَا عَلَيْهَا. فَهِيَ مَنْتَظِمٌ مُتَرَتِّبٌ ، وَهِيَ الْأَفْعَالُ الْبَشَرِيَّةُ ، وَمِنْهَا  
غَيْرُ مَنْتَظِمٍ وَلَا مُتَرَتِّبٍ ، وَهِيَ أَفْعَالُ الْحَيَوَانَاتِ غَيْرِ الْبَشَرِ.

وَذَلِكَ أَنَّ الْفِكْرَ يُدْرِكُ التَّرْتِيبَ بَيْنَ الْحَوَادِثِ بِالطَّبَعِ أَوْ الْوَضْعِ . فَإِذَا قَصَدَ  
إِجَادَ شَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ ، فَلَأَجْلِ التَّرْتِيبِ بَيْنَ الْحَوَادِثِ لَا بُدَّ مِنَ التَّفَقُّطِ بِسَبَبِهِ أَوْ 10  
عِلَّتِهِ أَوْ شَرْطِهِ ، وَهِيَ - عَلَى الْجُمْلَةِ - مَبَادِئُهُ ، إِذْ لَا يَوْجَدُ إِلَّا ثَانِيًا عَنْهَا. وَلَا يُمَكِّنُ  
إِيقَاعُ الْمُتَقَدِّمِ مُتَأَخِّرًا وَلَا الْمُتَأَخِّرِ مُتَقَدِّمًا. وَذَلِكَ الْمَبْدَأُ قَدْ يَكُونُ لَهُ مَبْدَأٌ آخَرُ مِنْ  
تِلْكَ الْمَبَادِئِ لَا يَوْجَدُ إِلَّا مُتَأَخِّرًا عَنْهُ. وَقَدْ يَزْتَقِي ذَلِكَ أَوْ يَنْتَهِي. فَإِذَا انْتَهَى إِلَى آخِرِ  
الْمَبَادِئِ فِي مَرْتَبَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثٍ أَوْ أَزِيدَ ، وَشَرَعَ فِي الْعَمَلِ الَّذِي يَوْجَدُ بِهِ ذَلِكَ الشَّيْءُ ،  
بَدَأَ بِالْمَبْدَأِ الْأَخِيرِ الَّذِي انْتَهَى إِلَيْهِ الْفِكْرُ ، فَكَانَ أَوَّلَ عَمَلِهِ. ثُمَّ تَابَعَ مَا بَعْدَ إِلَى آخِرِ 15  
الْمَسَبِّبَاتِ الَّتِي كَانَتْ أَوَّلَ فِكْرَتِهِ.

مثلاً، لو فَكَّر في اتِّخَاذِ سَقْفٍ يُكِنُّهُ، انْتَقَلَ بِذِهْنِهِ إِلَى الْحَائِطِ الَّذِي  
يُدْعِمُهُ، ثُمَّ إِلَى الْأَسَاسِ الَّذِي يَقِفُ عَلَيْهِ الْحَائِطُ، فَهُوَ آخِرُ الْفِكْرَةِ. ثُمَّ يَبْدَأُ فِي  
الْعَمَلِ بِالْأَسَاسِ، / ثُمَّ بِالْحَائِطِ، ثُمَّ بِالسَّقْفِ، وَهُوَ آخِرُ الْعَمَلِ. وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِمْ:  
أَوَّلُ الْعَمَلِ آخِرُ الْفِكْرَةِ، وَأَوَّلُ الْفِكْرَةِ آخِرُ الْعَمَلِ. فَلَا يَتِمُّ فِعْلُ الْإِنْسَانِ فِي الْخَارِجِ  
إِلَّا بِالْفِكْرِ فِي هَذِهِ الْمُرْتَبَاتِ لِتَوْقُفِ بَعْضِهَا عَلَى بَعْضٍ، ثُمَّ يَشْرَعُ فِي فِعْلِهَا. وَأَوَّلُ  
5 هَذَا الْفِكْرِ هُوَ الْمُسَبَّبُ الْأَخِيرُ، وَهُوَ آخِرُهَا فِي الْعَمَلِ. وَأَوَّلُهَا فِي الْعَمَلِ هُوَ السَّبَبُ  
الأَوَّلُ، وَهُوَ آخِرُهَا فِي الْفِكْرِ. وَلِأَجْلِ الْعُثُورِ عَلَى هَذَا التَّرْتِيبِ يَحْصُلُ الْإِنْتِظَامُ فِي  
الْأَفْعَالِ الْبَشَرِيَّةِ.

وَأَمَّا الْأَفْعَالُ الْحَيَوَانِيَّةُ لِغَيْرِ الْبَشَرِ، فَلَيْسَ فِيهَا انْتِظَامٌ، لِعَدَمِ الْفِكْرِ الَّذِي  
10 يَغْتَرُّ بِهِ الْفَاعِلُ عَلَى التَّرْتِيبِ فِيمَا يَفْعَلُ، إِذِ الْحَيَوَانَاتُ إِنَّمَا تُدْرِكُ بِالْحَوَاسِّ، وَمُذْرَكَاتُهَا  
مُتَفَرِّقَةٌ خَلِيقَةً مِنَ الرِّبْطِ، لِأَنَّهُ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالْفِكْرِ. وَلَمَّا كَانَتْ الْحَوَادِثُ الْمُعْتَبَرَةُ فِي عَالَمِ  
الْكَائِنَاتِ هِيَ الْمُنْتَظِمَةُ، وَغَيْرِ الْمُنْتَظِمَةِ إِنَّمَا هِيَ تَبَعٌ لَهَا، انْتَدَرَجَتْ حِينَئِذٍ أَفْعَالُ  
الْحَيَوَانَاتِ فِيهَا، وَكَانَتْ مُسَخَّرَةً لِلْبَشَرِ، وَاسْتَوَلَتْ أَفْعَالُ الْبَشَرِ عَلَى عَالَمِ الْحَوَادِثِ  
بِمَا فِيهِ، فَكَانَ كُلُّهُ فِي طَاعَتِهِ وَتَسْخِيرِهِ. وَهَذَا مَعْنَى الْإِسْتِخْلَافِ الْمُشَارِ إِلَيْهِ فِي قَوْلِهِ  
15 تَعَالَى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [سورة البقرة، من الآية 30].

فَهَذَا الْفِكْرُ هُوَ الْخَاصَّةُ الْبَشَرِيَّةُ الَّتِي تَمَيَّزُ بِهَا الْبَشَرُ عَنْ غَيْرِهِ مِنَ الْحَيَوَانِ.  
وَعَلَى قَدْرِ حُصُولِ الْأَسْبَابِ وَالْمُسَبَّبَاتِ فِي الْفِكْرِ مُرْتَبَةً<sup>(1)</sup> تَكُونُ إِنْسَانِيَّتُهُ. فَمِنْ

(1) ع: منزلة .



الناس من تتوالى له السببية في مرتبتين أو ثلاث، ومنهم من لا يتجاوزها، ومنهم من ينتهي إلى خمس أو ست، فتكون المرتبة أعلى.

واعتبر<sup>(أ)</sup> ذلك بلاعب الشطرنج، فإن في اللاعبين من يتصور ثلاث حركات والخمس التي<sup>(ب)</sup> ترتبها وضعي، ومنهم من يقصر عن ذلك لقصور ذهنه. وإن كان هذا المثال غير مطابق، لأن لعب الشطرنج بالملكة، ومعرفة الأسباب 5 والمستببات بالطبع. لكنه مثال يحتذي به الناظر في تعقل ما يورد عليه من القواعد. والله خلق الإنسان وفضله على كثير ممن خلق تفضيلاً.

### 3 • فصل، في العقل التجريبي، وكيفية حدوثه

إنك تسمع في كتب الحكماء قولهم: الإنسان مدي بالطبع. يذكرونه في إثبات النبوات وغيرها. والنسبة فيه / إلى المدينة، وهي عندهم كناية عن الاجتماع البشري. 10 ومعنى هذا القول أنه لا تمكن حياة المنفرد من البشر ولا يتم وجوده إلا مع أبناء جنسه، وذلك لما هو عليه من العجز عن استكمال وجوده وحياته. فهو محتاج إلى المعاونة في جميع حاجاته أبداً بطبعه. وتلك المعاونة لا بد فيها من المفاوضة أولاً، ثم المشاركة وما بعدها. وربما تقضي المعاملة عند اتحاد الأغراض إلى المنازعة والمشاجرة، فتنشأ المناقرة والموافقة، والصداقة والعداوة، وتؤول إلى الحرب والسلم بين الأمم 15 والقبائل. وليس ذلك على أي وجه اتفق، كما بين الهمل من الحيوانات، بل البشر

(أ) ع: اعتبر (ب) ع: الذي .

بما جعل فيهم من انتظام الأفعال وترتبها بالفكر كما تقدم، جعل ذلك مُنْتَظماً فيهم  
ويُسَرِّهم لإيقاعه على وجوه سياسية وقوانين حكيمية يُتَكَبَّرُونَ فيها عن المفاسد إلى  
المصالح، وعن الحسن إلى القبيح، بعد أن يُمَيِّزُوا القبائح والمفسدة بما ينشأ عن فعل  
من ذلك عن تجربة صحيحة وعوائد معروفة بينهم . فيفارقون الهمل من الحيوان،  
5 وتظهر عليهم نتيجة الفكر في انتظام الأفعال وبُعدها عن الفساد.

هذه المعاني التي يحصل بها ذلك لا تبعد عن الحس كل البعد، ولا يتعمق  
فيها الناظر، بل كلها تدرك بالتجربة، وبها تُستفاد، لأنها معاني جزئية تتعلق  
بالمحسوسات، وصدقها وكذبها يظهر قريباً في الواقع. فيستفيد طالبيها حصول العلم  
بها من ذلك، ويستفيد كل واحد من البشر القدر الذي يُسَّرَ له منها، مُقتَصِصاً له  
10 بالتجربة بين الوقائع في مُعاملة أبناء جنسه حتى يتعَيَّنَ له ما يجب ويتبغى فعلاً  
وتركاً، وتحصل بملاسته الملكة في مُعاملة أبناء جنسه. ومن تتبَّع ذلك سائر عمره  
حصل له العثور على كل قضية قضية، ولا بد بما تسعه التجربة من الزمن. وقد  
يسهل الله على كثير من البشر تحصيل ذلك في أقرب من زمن تحصيلها بالتجربة  
إذا قلَّد فيها الآباء والمشايخ والأكابر ولقن عنهم ووعى تعليمهم، فيستغني عن طول  
15 المعاناة في تتبع الوقائع واقتناص هذا المعنى من بينها. ومن فقد المعلم في ذلك والتقليد  
فيه، أو أعرض عن حسن استماعه / واتباعه، طال عناؤه في التأدب بذلك.  
فيجري في غير مألوف، ويُذكرها على غير نسبة. فتوجد آدابه ومُعاملاته سيئة  
الأوضاع، بادية الخلل، ويفسد حاله في معاشه بين أبناء جنسه. وهذا معنى القول

المشهور<sup>(1)</sup>: من لم يؤدِّبه والداه، أدِّبهُ الزَّمانُ. أي، من لم يَلْقَ الآدابَ في مُعاملات البشر من والدَيْه، وفي مَعْنَاهِما المَشِيخَةُ والأَكابر، ويتعلَّم ذلك منهم، رَجَعَ إلى تعلُّمه بالطَّبع من الواقعات على توالي الأَيَّام، فيكونُ الزَّمانُ مُعلِّمه ومُؤدِّبه لضرورة ذلك بضرورة المُعاونة الَّتِي هي طبيعَتُه.

وهذا هو العَقْلُ التَّجْرِبِيُّ ، وهو يَحْصُلُ بعد العَقْلِ التَّمييزِيِّ الَّذِي تَقَعُ بِهِ 5 الأفعالُ، كما قدَّمناه.

وبعد هذين مَرْتَبَةُ العَقْلِ النَّظَرِيِّ الَّذِي تَكْمُلُ بِتفسيره أَهلُ العُلومِ، فلا نَحْتَاجُ إلى تفسيره في هذا الكتاب. واللَّهِ جَعَلَ ﴿لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [سورة المؤمنون، من الآية 78].

10

#### 4 • فَصْلٌ، فِي عُلُومِ الْبَشَرِ وَعُلُومِ الْمَلَائِكَةِ

إِنَّا نَشْهَدُ فِي أَنْفُسِنَا بِالوُجْدَانِ الصَّحِيحِ وجودَ ثَلَاثَةِ عَوَالِمَ، أَوَّلُهَا عَالَمُ الْحِسِّ، وَنَعْتَبِرُهُ بِمداركِ الْحِسِّ الَّذِي شارَكْنَا فِيهِ الْحَيَوَانَاتُ بِالْإِدْرَاكِ. ثُمَّ نَعْتَبِرُ الْفِكْرَ الَّذِي اخْتَصَّ بِهِ الْبَشَرُ، فنَعْلَمُ مِنْهُ وجودَ النَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ عِلْماً صَرُورِيّاً بما بين جَنْبَيْنَا مِنْ

(1) وَضَمَّنَ الْمُغْنَى أَبُو مُحَلِّمٍ (عَوْفُ بْنُ مُحَلِّمٍ الْخَزَاعِي) فِي قَوْلِهِ:

مَنْ لَمْ يُؤدِّبْهُ وَالِدَاهُ أَدِّبَهُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ

انظر التذكرة الحمدونية 8: 111، الرَّمَحَشَرِيُّ: ربيع الأبرار 4: 395 ونسبها ابن عبد ربه: العقد الفريد 2: 441 إلى إبراهيم بن شكلة (المهدي).

مداركها العِلْمِيَّة الَّتِي هِيَ فَوْقَ مَدَارِكِ الْحِسِّ، فَنَرَاهُ عَالِماً آخَرَ فَوْقَ عَالَمِ الْحِسِّ. ثُمَّ نَسْتَدِلُّ عَلَى عَالَمٍ ثَالِثٍ فَوْقَنَا بِمَا نَحْسُ فِيْنَا مِنْ آثَارِهِ الَّتِي تُلْقَى فِي أَفْئِدَتِنَا، كَالْإِرَادَاتِ وَالْوَجْهَاتِ نَحْوَ الْحَرَكَاتِ الْفِعْلِيَّةِ، فَنَعْلَمُ أَنَّ هُنَاكَ فَاعِلاً يَتَعَنُّا عَلَيْهَا مِنْ عَالَمٍ فَوْقَ عَالَمِنَا، وَهُوَ عَالَمُ الْأَرْوَاحِ وَالْمَلَائِكَةِ. وَفِيهِ ذَوَاتٌ مُدْرِكَةٌ لَوْجُودِ آثَارِهَا فِيْنَا، مَعَ مَا يَتَنَّنَا وَيَتَنُّهَا مِنَ الْمَغَايِرَةِ. 5

وَرُبَّمَا يُسْتَدَلُّ عَلَى هَذَا الْعَالَمِ الْأَعْلَى الرُّوحَانِيِّ وَذَوَاتِهِ، بِالرُّؤْيَا وَمَا نَجِدُ فِي النَّوْمِ وَيُلْقَى عَلَيْنَا فِيهِ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي نَحْنُ فِي غَفْلَةٍ عَنْهَا فِي الْيَقَظَةِ، وَتَطَابِقُ الْوَاقِعِ فِي الصَّحِيحَةِ مِنْهَا، فَنَعْلَمُ أَنَّهَا حَقٌّ وَمِنْ عَالَمِ الْحَقِّ. وَأَمَّا أَضْغَاثُ الْأَحْلَامِ، فَصُورٌ خَيَالِيَّةٌ يَخْزِنُهَا الْإِدْرَاكُ فِي الْبَاطِنِ، وَيَجُولُ فِيهَا الْفِكْرُ بَعْدَ الْغَيْبَةِ عَنِ الْحِسِّ. وَلَا نَجِدُ عَلَى هَذَا الْعَالَمِ الرُّوحَانِيِّ بَرَهَاناً أَوْضَحَ مِنْ هَذَا، فَتَعَلَّمْهُ لِنَدْرِكَ عَلَى الْجُمْلَةِ، وَلَا نُدْرِكُ لَهُ تَفْصِيلاً. 10

وَمَا يَزْعُمُهُ الْحُكَمَاءُ الْإِلَهِيُّونَ / فِي تَفْصِيلِ ذَوَاتِهِ وَتَرْتِيبِهَا، الْمُسَمَّاةِ عَنْدهُمْ بِالْعُقُولِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ بَيِّنِيٍّ، لِاخْتِلَالِ شَرْطِ الْبُرْهَانِ النَّظَرِيِّ فِيهِ، كَمَا هُوَ مُقَرَّرٌ فِي كَلَامِهِمْ فِي الْمُنْطَقِ. لِأَنَّ مِنْ شَرْطِهِ أَنْ تَكُونَ قَضَايَاهُ أَوْلِيَّةً ذَاتِيَّةً، وَهَذِهِ الذَّوَاتُ الرُّوحَانِيَّةُ مَجْهُولَةُ الذَّاتِيَّاتِ. فَلَا سَبِيلَ لِلْبُرْهَانِ فِيهَا، وَلَا يَبْقَى لَنَا مَدْرِكٌ فِي تَفْصِيلِ هَذِهِ الْعَوَالِمِ إِلَّا مَا نَقْتَسِبُهُ مِنَ الشَّرْعِيَّاتِ الَّتِي يُوضِّحُهَا الْإِيمَانُ وَيَحْكُمُهَا. 15

وَأَبْعَدُ هَذِهِ الْعَوَالِمِ فِي مُدْرِكِنَا عَالَمُ الْبَشَرِ، لِأَنَّهُ وَجْدَانِيٌّ مُشْهُودٌ فِي مَدَارِكِنَا الْجِسْمَانِيَّةِ وَالرُّوحَانِيَّةِ، وَيَشْتَرِكُ فِي عَالَمِ الْحِسِّ مَعَ الْحَيَوَانَاتِ، وَفِي عَالَمِ الْعَقْلِ

والأزواج مع الملائكة الذين ذواتهم من جنس ذواته، وهي ذوات مجردة عن  
الجسمانية والمادة، وعقل صرف يتجد فيه العقل والعقل والمقول، وكأنه ذات  
حقيقتها الإدراك والعقل. فعلومهم حاصلة دائماً مطابقة بالطبع لمعلوماتها لا يقع فيها  
خلل البتة. وعلم البشر هو حصول صورة المعلوم في ذواتهم بعد أن لا تكون حاصلة،  
فهو كله مكتسب . والذات التي تحصل فيها صور المعلومات ، وهي النفس، مادة 5  
هَيُولَاتِيَّة تلبس صور الوجود بصور المعلومات الحاصلة فيها شيئاً شيئاً حتى  
تستكمل، ويصح وجودها بالموت في مادتها وصورتها. فالمطلوبات فيها مترددة بين  
التفي والإثبات دائماً ، تطلب أحدهما بالوسط الرابط بين الطرفين. فإذا حصل  
وصار معلوماً افتقر إلى بيان المطابقة. وربما أوضحها البرهان الصناعي، لكنه من وراء  
الحجاب، وليس كالمعانيات التي في علوم الملائكة. وقد يتكشف ذلك الحجاب، فيصير 10  
إلى المطابقة بالعيان الإدراكي.

فقد تبين أن البشر جاهل بالطبع، للتردد الذي في علمه، وعالم بالكسب  
والصناعة، لتخصيله المطلوب بفكره بالشروط الصناعية. وكشف الحجاب الذي  
أشرنا إليه، إنما هو بالرياضة بالأذكار التي أفضلها صلاة تهى عن الفحشاء والمنكر،  
وبالتزهد عن المتناولات المهمة ورأسها الصوم، وبالوجهة إلى الله بجميع قواه . والله 15  
﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [سورة العلق، الآية 5].

## 5 • فَضْلٌ ، فِي عُلُومِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ

إِنَّا نَجِدُ هَذَا الصَّنْفَ مِنَ الْبَشَرِ / تَغْتَرِبُهُمْ حَالَةُ الْإِلَهِيَّةِ خَارِجَةً عَنْ مَنَازِعِ الْبَشَرِ وَأَحْوَالِهِمْ ، فَتَغْلِبُ الْوَجْهَةُ الرَّبَّائِيَّةُ فِيهِمْ عَلَى الْبَشَرِيَّةِ فِي الْقُوَى الْإِدْرَاكِيَّةِ وَالنَّزَوَعِيَّةِ مِنَ الشَّهْوَةِ وَالْغَضَبِ وَسَائِرِ الْأَحْوَالِ الْبَدَنِيَّةِ . فَتَجِدُهُمْ مُتَنَزِّهِينَ عَنِ الْأَحْوَالِ الْبَشَرِيَّةِ ، إِلَّا فِي الضَّرُورَاتِ مِنْهَا ، مُقْبِلِينَ عَلَى الْأَحْوَالِ الرَّبَّائِيَّةِ مِنَ الْعِبَادَةِ وَالذِّكْرِ 5 لِلَّهِ ، بِمَا يَقْتَضِي مَعْرِفَتَهُمْ بِهِ ، مُخْبِرِينَ عَنْهُ بِمَا يُوحَى إِلَيْهِمْ فِي تِلْكَ الْحَالَةِ مِنْ هِدَايَةِ الْأُمَّةِ عَلَى طَرِيقَةٍ وَاحِدَةٍ وَسَنَنِ مَعَهُودٍ مِنْهُمْ ، لَا يَتَبَدَّلُ فِيهِمْ كَأَنَّهُ جِبِلَّةٌ فَطَرَهُمُ اللَّهُ عَلَيْهَا.

وَقَدْ تَقَدَّمَ لَنَا الْكَلَامُ فِي الْوَحْيِ أَوَّلَ الْكِتَابِ فِي فَضْلِ الْمُدْرِكِينَ لِلْغَيْبِ . وَبَيَّنَّا 10 هُنَالِكَ أَنَّ الْوُجُودَ كُلَّهُ فِي عَوَالِمِهِ الْبَسِيطَةِ وَالْمُرَكَّبَةِ عَلَى تَرْتِيبٍ طَبِيعِيٍّ مِنْ أَعْلَاهَا وَأَسْفَلِهَا مُتَّصِلَةٌ كُلُّهَا اتِّصَالًا لَا يَنْخَرِمُ ، وَأَنَّ الذَّوَاتِ الَّتِي فِي آخِرِ كُلِّ أَفْقٍ مِنَ الْعَوَالِمِ مُسْتَعِدَّةٌ لِأَن تَنْقَلِبَ إِلَى الذَّاتِ الَّتِي تَجَاوَرُهَا مِنَ الْأَسْفَلِ وَالْأَعْلَى اسْتِعْدَادًا طَبِيعِيًّا كَمَا فِي الْعُنَاصِرِ الْجِسْمَانِيَّةِ الْبَسِيطَةِ ، وَكَمَا هُوَ فِي النَّخْلِ وَالْكَزْمِ مِنْ آخِرِ أَفْقِ النَّبَاتِ 15 مَعَ الْحَلَزُونِ وَالصَّدَفِ مِنْ أَفْقِ الْحَيَوَانِ ، وَكَمَا فِي الْقِرْدَةِ الَّتِي اسْتَجْمَعَ فِيهَا الْكَيْسُ وَالْإِدْرَاكُ مَعَ الْإِنْسَانِ صَاحِبِ الْفِكْرِ وَالرُّيَّةِ . وَهَذَا الْاسْتِعْدَادُ الَّذِي فِي جَانِبَيْ كُلِّ أَفْقٍ مِنَ الْعَوَالِمِ هُوَ مَعْنَى الْإِتِّصَالِ فِيهَا.

وَفَوْقَ الْعَالَمِ الْبَشَرِيِّ عَالَمٌ رُوحَانِيٌّ شَهِدَتْ لَنَا بِهِ الْآثَارُ الَّتِي فِينَا مِنْهُ ، بِمَا يُعْطِينَا مِنْ قُوَى الْإِدْرَاكِ وَالْإِرَادَةِ . فَذَوَاتُ ذَلِكَ الْعَالَمِ إِدْرَاكٌ صِرْفٌ وَتَعْقُلٌ مَخْصُصٌ ،

وهو عالم الملائكة. فوجب من ذلك كله أن يكون للنفس الإنسانية استعداداً  
للانسلاخ من البشرية إلى الملكية لتصير بالفعل من جنس الملائكة وقتاً من  
الأوقات وفي لمحة من اللحظات. ثم تراجع بشرتها وقد تَلَقَّتْ في عالم الملكية ما  
كُلِّفَتْ بتبليغِهِ إلى أبناء جنسها من البشر؛ وهذا هو معنى الوحي.

- 5 وخطاب الملائكة والأنبياء كلهم مفطورون عليه كأنه جيلة لهم. ويعالجون في  
ذلك الانسلاخ من الشدة والغطيط ما هو معروف عنهم. وعلومهم في تلك الحالة  
علم شهادة وعيان لا يلحقه الخطأ والزلل، ولا يقع فيه الغلط والوهم، بل المطابقة  
فيه ذاتية لزوال حجاب الغيب وحصول الشهادة الواضحة. وعند / مفارقة هذه  
الحالة إلى البشرية لا يفارق علمهم الوضوح، استصحاباً له من تلك الحالة الأولى،  
ولما هم عليه من الزكاء المفضي بهم إليها، يتردد ذلك فيهم دائماً إلى أن تكمل هداية  
10 الأمة التي بعثوا لها، كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىٰ أَنَّمَا  
إِلَهُكُمْ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ﴾ [سورة فصلت، من الآية 6].

فافهم ذلك، وراجع ما قدمناه لك أول الكتاب في أصناف المدركين للغيب،  
يتضح لك شرحه وبيانه، فقد بسطنا هنا لك بسطاً شافياً. والله الموفق.

## 6 \* فصل، في أن الإنسان جاهل بالذات، عالم بالكسب

قد بينا أول هذه الفصول أن الإنسان من جنس الحيوانات، وأن الله ميزه  
عنها بالفكر الذي جعل له، يوقع به أفعاله على انتظام، وهو العقل التمييزي، أو

يَقْتَنِصُ به العلم بالآراء والمصالح والمفاسد من أبناء جنسه، وهو العقل التجريبي، أو يَحْصُلُ به على تصوّر الموجودات غائباً وشاهداً على ما هي عليه، وهو العقل النظري.

وهذا الفكر إنّما يحصل له بعد كمال الحيوانية فيه، ويبدأ من التمييز. فهو قبل التمييز خلوّ من العلم بالجملة، معدود من الحيوانات، لاحق بمبدئه في التكوين من 5 النطفة والعلقة والمضغة. وما حصل له بعد ذلك، فهو بما جعل له من مدارك الحس والأفئدة التي هي الفكر. قال تعالى في الامتحان علينا: ﴿وَجَعَلْ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾ [سورة السجدة، من الآية 9]. فهو في الحالة الأولى قبل التمييز هيولى فقط، لجهله بجميع المعارف. ثم يستكمل صورته بالعلم الذي يكتسبه 10 بالآلة، فتكمل ذاته الإنسانية في وجودها.

وانظر إلى قوله تعالى في مبدئ الوحي على نبيه: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [سورة العلق، من الآية 1 - 5]. أي: أكسبه من العلم ما لم يكن حاصلاً له بقدر أن كان علقاً ومضغة. فقد كشفت لنا طبيعته وذاته ما هو عليه من الجهل الذاتي والعلم الكسبي، وأشارت إليه الآية الكريمة، تقرر فيه الامتحان عليه بأول مراتب 15 وجوده، وهي الإنسانية، وحالاتها الفطرية والكسبية في أول التنزيل ومبدئ الوحي. ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً﴾ <sup>(1)</sup> [سورة النساء، من الآية 17].

(1) آخر الفصول الستة الأولى من الفصل السادس، التي افردت بها ع .



## 7 \* فصل<sup>(1)</sup>، في أن العلم والتعليم طبعي في العمران البشري

وذلك أن الإنسان قد شاركته جميع الحيوانات في حيوانيته من الحس والحركة والغذاء والكن وغير ذلك، وإنما تميز عنها بالفكر الذي يهتدي به لتحقيق معاشه والتعاون عليه بأبناء جنسه، والاجتماع المهني لذلك التعاون، وقبول ما جاءت به الأنبياء عن الله تعالى، والعمل به واتباع صلاح أخراه، فهو مفكر في ذلك كله 5 دائماً لا يقتصر عن الفكر فيه طرفة عين، بل اختلاج الفكر أسرع من لمح البصر. وعن هذا الفكر تنشأ العلوم وما قدمناه من الصنائع. ثم لأجل هذا الفكر، وما جبل عليه الإنسان بل الحيوان من تحقيق ما تستدعيه الطباع، فيكون الفكر رغباً في تحقيق ما ليس عنده من الإدراكات، فيرجع إلى من سبقه بعلم أو زاد عليه بمعرفة أو إدراك، أو أخذه ممن تقدمه من الأنبياء الذين يبلغونه لمن تلقاه، فيلقن ذلك عنهم 10 ويحرص على أخذه وعلمه. ثم إن فكره ونظره يتوجه إلى واحد من الحقائق، وينظر ما يعرض له لذاته واحداً بعد آخر، ويتمرن على ذلك حتى يصير إلحاق العوارض بتلك الحقيقة ملكة له، فيكون علمه حينئذ بما يعرض لتلك الحقيقة علماً مخصوصاً، وتشوف نفوس أهل الجيل الناشئ إلى تحقيق ذلك، فيتزعجون<sup>(ب)</sup> إلى أهل معرفته ويحيي التعليم من هذا. فقد تبين بذلك أن العلم والتعليم طبعي في 15 البشر. والله أعلم.

(1) هذا الفصل مثبت في ظ ج ي، وهو فاتحة الفصل السادس فيها، ولم يرد في نسخة ع (ب) وقد قرأ: فيفرغون.

## 8 • فصل، في أنَّ تَعْلَمَ<sup>(أ)</sup> الْعِلْمَ مِنْ جُمْلَةِ الصَّنَائِعِ

وذلك أنَّ الحِذْقَ في الْعِلْمِ واليَقِينَ<sup>(ب)</sup> فيه والاستيلاء عليه ، إنَّما هو بِحُصُولِ  
[ 293 ] مَلَكَةٍ فِي الْإِحَاطَةِ بِمَبَادِيهِ وَقَوَاعِيدِهِ / والوقوف على مَسَائِلِهِ واستنباط فُرُوعِهِ مِنْ  
أَصُولِهِ. وما لم تَحْصُلْ هذه الْمَلَكَةُ لم يكنِ الحِذْقُ في ذلك الفنِّ حَاصِلًا.

5 وهذه الْمَلَكَةُ هي غَيْرُ الْفَهْمِ وَالْوَعْيِ. لَأَنَّا نَجِدُ فَهْمَ الْمَسْأَلَةِ الْوَاحِدَةِ مِنَ الْفَنِّ  
الوَاحِدِ مُشْتَرَكًا بَيْنَ مَنْ شَدَا فِي ذَلِكَ الْفَنِّ وَمَنْ هُوَ مُبْتَدِئٌ فِيهِ، وَبَيْنَ الْعَامِّيِّ الَّذِي  
لَمْ يُحْصَلْ عِلْمًا وَبَيْنَ الْعَالِمِ التَّحْرِيرِ. وَالْمَلَكَةُ إِنَّمَا هِيَ لِلْعَالِمِ أَوْ الشَّادِي فِي الْفُنُونِ دُونَ  
مِنْ سِوَاهُمَا. فَذَلَّ عَلَى أَنَّ هَذِهِ الْمَلَكَةَ غَيْرُ الْفَهْمِ.

وَالْمَلَكَاتُ كُلُّهَا جِسْمَانِيَّةٌ ، وَسَوَاءٌ كَانَتْ فِي الْبَدَنِ أَوْ فِي الدِّمَاغِ مِنَ الْفِكْرِ  
10 وَغَيْرِهِ، كَالْحِسَابِ. وَالْجِسْمَانِيَّاتُ كُلُّهَا مُحَسُّوسَةٌ، فَتَقْتَضِرُ إِلَى التَّعْلِيمِ؛ وَلِهَذَا كَانَ السَّنَدُ  
فِي التَّعْلِيمِ فِي كُلِّ عِلْمٍ أَوْ صِنَاعَةٍ يَفْتَقِرُ إِلَى مَشَاهِيرِ الْمُعَلِّمِينَ فِيهَا، مُعْتَبَرًا عِنْدَ أَهْلِ  
كُلِّ أَفْقٍ وَجِيلٍ.

وَيَذَلُّ أَيْضًا عَلَى أَنَّ تَعْلِيمَ الْعِلْمِ صِنَاعَةٌ اخْتِلَافِ الْأَصْطِلَاحَاتِ فِيهِ. فَكُلُّ  
إِمَامٍ مِنَ الْأَيِّمَةِ الْمَشَاهِيرِ اصْطِلَاحٌ فِي التَّعْلِيمِ يُخْتَصُّ بِهِ، شَأْنُ الصَّنَائِعِ كُلِّهَا. فَذَلَّ  
15 عَلَى أَنَّ ذَلِكَ الْأَصْطِلَاحَ لَيْسَ مِنَ الْعِلْمِ. إِذْ لَوْ كَانَ مِنَ الْعِلْمِ لَكَانَ وَاحِدًا عِنْدَ  
جَمِيعِهِمْ. أَلَا تَرَى إِلَى عِلْمِ الْكَلَامِ كَيْفَ تَخَالَفَ فِي تَعْلِيمِهِ اصْطِلَاحُ الْمُتَقَدِّمِينَ  
وَالْمُتَأَخِّرِينَ؛ وَكَذَا أَصُولُ الْفِقْهِ، وَكَذَا الْعَرَبِيَّةُ وَالْفِقْهُ، وَكَذَا كُلُّ عِلْمٍ يَتَوَجَّهُ<sup>(ج)</sup> إِلَى

(أ) مِنْ ع، وَفِي ظ ج ي: تَعْلِيم (ب) ج: التَّفَنُّن (ج) كَذَا فِي ظ ج ي، وَفِي ع: يُحْتَاج .

مُطَالَعَتِهِ تَجِدُ الاصْطِلَاحَاتِ فِي تَعْلِيمِهِ مُتَخَالِفَةً. فَدَلَّ عَلَى أَنَّهَا صِنَاعَاتٌ فِي التَّعْلِيمِ،  
وَالْعِلْمِ وَاحِدٌ فِي نَفْسِهِ.

وَإِذَا تَقَرَّرَ ذَلِكَ، فَاعْلَمْ أَنَّ سَنَدَ الْعِلْمِ لِهَذَا الْعَهْدِ قَدْ كَادَ أَنْ يَنْقَطَعَ عَنْ أَهْلِ  
الْمَغْرِبِ كُلِّهِمْ بِاخْتِلَالِ عُمُرَانِهِ وَتَنَاقُصِ الدَّوَلِ فِيهِ، وَمَا يَحْدُثُ عَنْ ذَلِكَ مِنْ نَقْصِ  
الصَّنَائِعِ وَفَقْدَانِهَا كَمَا مَرَّ . وَذَلِكَ أَنَّ الْقَيْرَوَانَ وَقُرْطُبَةَ كَانَتَا حَاضِرَتَيِ الْمَغْرِبِ  
وَالْأَنْدَلُسِ، وَاسْتَبَحَرَ عُمُرَانُهُمَا<sup>(١)</sup>، وَكَانَ فِيهِمَا لِلْعُلُومِ وَالصَّنَائِعِ أَسْوَاقٌ نَافِقَةٌ وَبُحُورٌ  
زَاخِرَةٌ. وَرَسَخَ فِيهِمَا التَّعْلِيمُ لِمُتَدَادِ عَصُورِهِمَا وَمَا كَانَ فِيهِمَا مِنَ الْحَضَارَةِ . فَلَمَّا خَرِبَتَا  
انْقَطَعَ التَّعْلِيمُ عَنِ الْمَغْرِبِ إِلَّا قَلِيلًا / كَانَ فِي دَوْلَةِ الْمُوَحِّدِينَ بِمَرَّاكُشِ مُسْتَفَادًا مِنْهَا.  
وَلَمْ تَرَسَخِ الْحَضَارَةُ بِمَرَّاكُشِ لِبِدَاوَةِ الدَّوَلَةِ الْمُوَحَّدِيَّةِ فِي أَوَّلِهَا وَقُرْبِ عَهْدِ انْقِرَاضِهَا  
بِمَبْدَأِهَا، فَلَمْ تَنْصِلِ أَحْوَالُ الْحَضَارَةِ فِيهَا إِلَّا فِي الْأَقْلِ.

10

وَبَعْدَ انْقِرَاضِ الدَّوَلَةِ بِمَرَّاكُشِ، ارْتَحَلَ إِلَى الْمَشْرِقِ مِنْ إفْرِيقِيَّةِ الْقَاضِي أَبُو  
الْقَاسِمِ بْنِ زَيْتُونٍ، لِعَهْدِ أَوَاسِطِ الْمِائَةِ السَّابِعَةِ، فَأَدْرَكَ تَلْمِيزَ الْإِمَامِ ابْنِ الْخَطِيبِ،  
وَأَخَذَ عَنْهُمْ، وَلَقِيَ تَعْلِيمَهُمْ، وَخَذِقَ فِي الْعَقْلِيَّاتِ وَالنَّقْلِيَّاتِ، وَرَجَعَ إِلَى تُونِسَ بِعِلْمٍ  
كَبِيرٍ وَتَعْلِيمٍ حَسَنِ.

وَجَاءَ عَلَى إِثْرِهِ مِنَ الْمَشْرِقِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنُ شُعَيْبِ الدُّكَّالِيِّ، كَانَ ارْتَحَلَ إِلَيْهِ  
مِنَ الْمَغْرِبِ، فَأَخَذَ عَنْ مَشْيَخَةِ مِصْرَ، وَرَجَعَ إِلَى تُونِسَ وَاسْتَقَرَّ بِهَا، وَكَانَ تَعْلِيمُهُ  
مُفِيدًا. فَأَخَذَ عَنْهَا أَهْلُ تُونِسَ، وَاتَّصَلَ سَنَدُ تَعْلِيمِهَا فِي تَلْمِيزِهَا جِيلًا بَعْدَ جِيلٍ،

(١) ج: عمرانها .

حتى انتهى إلى القاضي محمد بن عبدالسلام، شارح ابن الحاجب وتلميذه. \* وانتقل من تونس إلى تلمسان في <sup>(أ)</sup> ابن الإمام وتلميذه \* <sup>(ب)</sup>، فإنه قرأ مع ابن عبد السلام على مَشِيخة واحدة وفي مجالس بأعيانها. وتلميذ ابن عبد السلام بتونس وابن الإمام بتلمسان لهذا العهد، إلا أنهم من القلة بحيث يُخشى انقطاع سندهم.

5 ثم ارتحل من زواوة في آخر المائة السابعة أبو علي ناصر الدين المشدالي \* [إلى المشرق] <sup>(ج)</sup> وأدرك تلميذ \* <sup>(د)</sup> أبي عمرو بن الحاجب، وأخذ عنهم ولقن تعليمهم. وقرأ مع شهاب الدين القرافي في مجالس واحدة، وحذق في العقليات والتقليات، ورجع إلى المغرب بعلم كبير وتعليم مفيد، ونزل بجاية، واتصل سند تعليمه في طلبتها. وربما انتقل إلى تلمسان عمران المشدالي، من تلميذه، وأوطنها وبث طريقته فيها. وتلميذه لهذا العهد بجاية وتلمسان قليل، أو أقل من القليل.

وبقيت فاش وسائر أمصار المغرب خلوا من حُسن التعليم من لدن اقراض تعليم قُرطبة والقيروان، ولم يتصل سند / التعليم فيهم، فعسر عليهم حصول الملكة [294] والحذق في العلوم. وأيسر طرق هذه الملكة قُوَّة <sup>(هـ)</sup> اللسان بالمحاورة والمناظرة في المسائل العلمية، فهو الذي يُقرب شأنها ويحصل مرامها. فتجد طالب العلم منهم بعد ذهاب الكثير من أعمارهم في مُلازمة المجالس العلمية، سُكوتا لا يُنطقون

(أ) في ظ: فرأ (ب) سقط ما بين التجمين من ي (ج) سقط من ظ (د) سقط ما بين التجمين من ي ج (هـ) من ع ج، وفي ي: فتق، وفي ظ: فترة.

ولا يُقاوضون، وعنايتهم بالحفظ أكثر من الحاجة. فلا يحصلون على طائل من ملكة التصرف في العلم والتعليم. ثم<sup>(١)</sup> بعد تحصيل من يرى منهم أنه قد حصل، تجد ملكته قاصرة في علمه إن<sup>(ب)</sup> فاوز أو ناظر أو علم. وما أتاها القصور إلا من قبل التعليم وانقطاع سنده. وإلا فحفظهم أبلغ من حفظ سواهم، لشدّة عنايتهم به وظنهم أنه المقصود من الملكة العلميّة، وليس كذلك. ومّا يشهد بذلك في المغرب، 5 أن المدة المعيّنة لسكنى طلبّة العلم بالمدارس عندهم ستّ عشرة سنة، وهي بتونس خمس سنين. وهذه المدة بالمدارس على المتعارف هي أقلّ ما يتأتّى فيها لطالب العلم حصول مَبْتغاه من الملكة العلميّة أو اليأس من تحصيلها. فطال أمدها في المغرب لهذه العصور لأجل عُسرهما من قلة الجودة في التعليم خاصّة، لا ممّا سوى ذلك.

10

وأما أهل الأندلس، فذهب رسم التعليم من بينهم، وذهبت عنايتهم بالعلوم لتناقص<sup>(ج)</sup> عُمران المسلمين بها منذ مئتين من السنين. ولم يبق من رسم العلم فيهم إلا فنّ العربيّة والأدب، اقتصروا عليه، والحفظ سند تعليمه بينهم فاحتفظ بحفظه.

وأما الفقه بينهم، فرسم خلوّ وأثر بعد عين. وأما العقليّات، فلا أثر ولا عين. وما ذاك إلا لانقطاع سند التعليم فيها بتناقص العُمران وتغلّب العدو على عامتها، 15 قليلاً بسيف البحر، شغلهم بمعايشهم أكثر من شغلهم بما بعدها. ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ﴾ [سورة يوسف، من الآية 21].

(١) سقط من ع (ب) في ظ: إذ (ج) ي ج: تناقض.

وأما المشرق<sup>(أ)</sup> ، فلم يَنْقُطِعْ سُنْدُ التَّعْلِيمِ فِيهِ ، بَلْ أَسْوَاقُهُ / نَافِقَةٌ ، وَبُحُورُهُ [294ب] زَاخِرَةٌ لِاتِّصَالِ الْعُمَرَانِ الْمُؤَفُّورِ ، وَاتِّصَالِ السُّنْدِ فِيهِ . وَإِنْ كَانَتْ الْأَمْصَارُ الْعَظِيمَةُ الَّتِي كَانَتْ مَعَادِنُ الْعِلْمِ قَدْ خَرِبَتْ ، مِثْلَ بَغْدَادَ وَالْبَصْرَةَ وَالْكُوفَةَ ، إِلَّا أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَدَالَ مِنْهَا بِأَمْصَارٍ أَعْظَمَ مِنْ تِلْكَ . وَانْتَقَلَ الْعِلْمُ مِنْهَا إِلَى عِرَاقِ الْعَجَمِ بِخُرَاسَانَ وَمَا وَرَاءَ النَّهْرِ 5 مِنَ الْمَشْرِقِ ، ثُمَّ إِلَى الْقَاهِرَةِ وَمَا إِلَيْهَا مِنَ الْمَغْرِبِ . فَلَمْ تَزَلْ مَوْفُورَةٌ وَعِمْرَانُهَا مُتَّصِلَةٌ وَسُنْدُ التَّعْلِيمِ بِهَا قَائِمًا . فَأَهْلُ الْمَشْرِقِ عَلَى الْجُمْلَةِ أَرْسَخُوا فِي صِنَاعَةِ تَعْلِيمِ الْعِلْمِ ، بَلْ وَفِي سَائِرِ الصَّنَائِعِ ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَظُنُّ كَثِيرٌ مِنْ رَحَّالَةِ أَهْلِ الْمَغْرِبِ إِلَى الْمَشْرِقِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ ، أَنَّ عَقُولَهُمْ عَلَى الْجُمْلَةِ أَكْمَلُ مِنْ عُقُولِ أَهْلِ الْمَغْرِبِ ، وَأَنَّ نُفُوسَهُمْ 10 النَّاظِقَةُ أَكْمَلُ بِفِطْرَتِهَا مِنْ نُفُوسِ أَهْلِ الْمَغْرِبِ . وَيَعْتَقِدُونَ التَّفَاوْتَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ فِي حَقِيقَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ ، لَمَّا يَرَوْنَ مِنْ كَيْسِهِمْ فِي الْعُلُومِ وَالصَّنَائِعِ . وَلَيْسَ كَذَلِكَ ، وَلَا بَيِّنُ قُطْرِ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ تَفَاوُتٌ بِهَذَا الْخُدَارِ الَّذِي [هُوَ]<sup>(ب)</sup> تَفَاوُتٌ فِي الْحَقِيقَةِ الْوَاحِدَةِ . اللَّهُمَّ إِلَّا الْأَقَالِيمَ الْمُنْحَرِفَةَ ، مِثْلَ الْأَوَّلِ وَالسَّابِعِ ، فَإِنَّ الْأُمُزْجَةَ فِيهَا مَنْحَرِفَةٌ ، وَالنُّفُوسَ 15 عَلَى نِسْبَتِهَا ، كَمَا مَرَّ . وَإِنَّمَا الَّذِي فَضَّلَ بِهِ أَهْلُ الْمَشْرِقِ أَهْلَ الْمَغْرِبِ ، فَهُوَ مَا يَحْصُلُ فِي النَّفْسِ مِنْ آثَارِ الْحَضَارَةِ مِنَ [الْعَقْلِ]<sup>(ج)</sup> الْمَزِيدِ ، كَمَا تَقَدَّمَ فِي الصَّنَائِعِ . وَتَزِيدُهُ الْآنَ شَرْحًا وَتَحْقِيقًا .

وَذَلِكَ أَنَّ الْحَضَرَ لَهُمْ آدَابٌ فِي أَحْوَالِهِمْ مِنَ الْمَعَاشِ وَالْمَسْكَنِ وَالْبِنَاءِ وَأُمُورِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا ، وَكَذَلِكَ سَائِرُ عَادِيَاتِهِمْ وَمُعَامَلَاتِهِمْ وَجَمِيعُ تَصَرُّفَاتِهِمْ . فَلَهُمْ فِي ذَلِكَ

(أ) فِي ج: وَأَمَّا أَهْلُ الْمَشْرِقِ (ب) مِنْ ي (ج) مِنْ: ع ج ي، وَفِي ظ: الْفَعْل .

آداب<sup>(١)</sup> يوقف عندها في جميع ما يتناولونه ويتلبسون به من أخذ وترك، حتى كأنها حدود لا تتعدى. وهي مع ذلك صنائع يتلقاها الآخر عن الأول منهم. ولا شك أن كل صناعة مترتبة فيرجع منها إلى النفس أثر يكسبها عقلاً مزيداً تستعد به لقبول صناعة أخرى، ويهيئها به العقل لسرعة الإدراك للمعارف.

[295] ولقد يبلغنا في تعليم الصنائع عن أهل مصر / غايات لا تدرك، مثل أنهم يعلمون الحضر الإنسيّة، والحيوانات العجم من الماشي والطائر، مفردات من الكلام والأفعال يستغرب ندورها ويعجز أهل المغرب عن فهمها، فضلاً عن تعليمها.

وحسن الملكات في التعليم والصنائع وسائر الأحوال العادية يزيد<sup>(ب)</sup> الإنسان ذكاء في عقله وإضاءة في فكره بكثرة الملكات الحاصلة للنفس، إذ قدّمنا أن النفس إنما تنشأ بالإدراكات وما يرجع إليها من الملكات، فيزدادون بذلك كينساً لما يرجع إلى النفس من الآثار العلميّة، فيظنّه العامي تفاوتاً في الحقيقة الإنسانيّة؛ وليس كذلك.

ألا ترى إلى الحضر مع أهل البدو، كيف نجد الحضريّ متحلياً بالذكاء، ممثلاً من الكيس، حتى إن البدويّ ليظنّه أنّه قد فاته في حقيقة إنسانيّته وعقله، وليس كذلك. وما ذلك إلا لإجادته من ملكات الصنائع والآداب في العوائد والأحوال الحضريّة ما لا يعرفه البدويّ. فلما امتلأ الحضريّ من الصنائع وملكاتها وحسن تعليمها، ظنّ كل من قَصّر عن تلك الملكات أنّها لكمال في عقله، وأنّ نفوس أهل البدو قاصرة بفطرتها وجبلتها عن فطرتها، وليس كذلك. فإنّا نجد في أهل البدو من

(١) كذا في: ط ع ج، وفي ي: أبواب (ب) ج: تزيد.

هو في أعلى رتبة من الفهم والكمال في عقله وفطرته. وإنما الذي ظهر على أهل الحضرة من ذلك فهو رونق الصنائع والتعليم، فإن لهما آثاراً ترجع إلى النفس، كما قدمناه. وكذا أهل المشرق، لما كانوا في التعليم والصنائع أرسخ رتبة وأعلى قدماً، وكان أهل المغرب أقرب إلى البداوة، لما قدمناه في الفصل قبل هذا، ظن المغفلون في بادئ الرأي أنه لكمال في حقيقة الإنسانية اختصوا به عن أهل المغرب، وليس ذلك بصحيح، فتفهّمه. والله ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾ [سورة فاطر، من الآية 1].

## 9 فصل، في أن العلوم إنما تكثر حيث يكثر العمران وتُعظم الحضارة

والسبب في ذلك، أن تعلّم العلم، كما قلناه، من جملة الصنائع. وقد كنّا قدّمنا أن الصنائع إنما تكثر في الأمصار؛ وعلى نسبة عمرانها في الكثرة والقلّة والحضارة / والتّرف، تكون نسبة الصنائع في الجودة والكثرة، لأنّه أمر زائد على المعاش. فتمت [295ب]

فصلت أعمال أهل العمران عن معاشهم، انصرفت إلى ما وراء المعاش من التصرف في خاصيّة الإنسان، وهي العلوم والصنائع. ومن تشوّف بفطرته إلى العلم ممّن نشأ في القرى والأمصار غير المتمدّنة، فلا يجد فيها التعلّم الذي هو صناعي، لفقدان الصنائع في أهل البدو، كما قدمناه. ولا بدّ له من الرحلة في طلبه في الأمصار المستتبحة، شأن الصنائع كلّها.

واعتبر ما قرّرناه بحال بغداد وقزطبة والقيروان والبصرة والكوفة، لما كثر عمرانها صدر الإسلام واستوت فيها الحضارة، كيف زخرت فيها بحار العلم، وتغنّوا



في اصطلاحات التعليم وأصناف العلوم، واستنباط المسائل والفنون، حتى أربوا على المتقدمين وفاتوا المتأخرين. ولما تناقص عُمرانها وابتدعَت سُكَّانُها، انطوى ذلك البساطُ جملةً بما عليه، وفقد العلمُ بها والتعليمُ، وانتقلَ إلى غيرها من أمصار الإسلام.

- ونحنُ لهذا العهد، نرى أنَّ العلمَ والتعليمَ إنَّما هو بالقاهرة من بلادِ مصرَ، لما 5 أنَّ عُمرانها مُستبَحَّرٌ، وحضارتها مُستَحْكَمَةٌ منذُ آلافِ من السنين. فاستحكمت فيها الصنائعُ ونقشت، ومن جُمَلَتِها تعليمُ العلمِ. وأكَّد ذلك فيها وحفظه ما وَقَعَ لهذه العصور بها مُنذُ مائتين من السنين في دولةِ الترك من أيامِ صلاح الدين بن أيُّوب، وهلمَّ جَرًّا. وذلك أنَّ أمراءَ الترك في دولَّتِهِم يُحَشِّونَ عاديةً سُلطانِهِم على من يَتَخَلَّفونَهُ 10 من ذُرِّيَّتِهِم لما له عليهم من الرِّقِّ أو الولاءِ، ولما يُحَشِّى من معاطبِ الملكِ ونكباتِهِ. فاستكثروا من بناءِ المدارس والزوايا والرُّبُط، ووقفوا عليها الأوقافَ المُغَلَّةَ، يَجْعَلُونَ فيها شِرْكَاءَ لَوْلِيِهِم بنظرٍ عليها أو نصيبٍ فيها، مع ما فيهم غالباً من الجنوحِ إلى الخيرِ والتماسِ الأجورِ في المقاصدِ والأفعالِ. فكَثُرَتِ الأوقافُ لذلك، وعَظُمَتِ الغَلَّاتُ والفوائدُ، وكَثُرَ / طالِبُ العلمِ ومُعَلِّمُهُ بكثرةِ جِرايَتِهِم منها، وازتَحَلَّ إليها الناسُ في 15 طَلَبِ العلمِ من العراقِ والمغربِ، ونَقَّشَتْ بها أسواقُ العلومِ ورَزَخَرَتْ بجارِها. واللهُ ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ [سورة الشورى، من الآية 49].

## 10 • فصل ، في أصناف العلوم الواقعة في العمران لهذا العهد

اعلم أن العلوم التي يخوض فيها البشر ويتداولونها في الأمصار تحصيلاً وتعلماً، هي على صنفين: صنف طبيعي للإنسان، يهتدي إليه بفكره، وصنف ثقلي يأخذه عن وضعه.

5 والأول: هي العلوم الحكيمية الفلسفية، وهي التي يمكن أن يقف عليها الإنسان بطبيعة فكره ويهتدي بمداركه البشرية إلى موضوعاتها ومسائلها وأنها يراها فيها ووجوه تعلّمها، حتى يقفه نظره وبحته على الصواب من الخطأ فيها من حيث هو إنسان ذو فكر.

والثاني: هي العلوم النقلية الوضعية، وهي كلها مستندة إلى الخبر عن الوضع 10 الشرعي، ولا مجال فيها للعقل إلا في إلحاق الفروع من مسائلها بالأصول، لأن الجزئيات الحادثة المتعاقبة لا تدرج تحت الثقل الكلي بمجرد وضعه، فتحتاج إلى الإلحاق بوجه قياسي. إلا أن هذا القياس ينفرغ عن الخبر بثبوت الحكم في الأصل، وهو ثقلي، فرجع هذا القياس إلى الثقل لتقرّعه عنه.

وأصل هذه العلوم النقلية كلها هي الشرعيات من الكتاب والسنة التي هي 15 مشروعة لنا من الله ورسوله، وما يتعلق بذلك من العلوم التي تهيئنا للاستفادة منها. ثم يستتبع ذلك علوم اللسان العربي، الذي هو لسان الملة وبه تنزل القرآن. وأصناف هذه العلوم النقلية كثيرة، لأن المكلف يجب عليه أن يعلم أحكام الله المفروضة عليه وعلى أبنائه جنسه، وهي مأخوذة من الكتاب والسنة بالنص أو

بالإجماع أو بالإلحاق. فلا بُدَّ من النظر في الكتاب بيان ألفاظه أولاً، وهذا هو علم التفسير. ثم بإسناد نقله وروايته إلى النبي ﷺ الذي جاء به من عند الله، واختلاف / روايات القراء في قراءته، وهذا هو علم القراءات. ثم بإسناد السنة إلى صاحبها، والكلام في الرواة الناقلين لها، ومعرفة أحوالهم وعدالتهم، ليقع الوثوق بأخبارهم ويعلم ما يجب العمل بمقتضاه من ذلك، وهذه هي علوم الحديث. ثم لا بُدَّ في 5 استنباط هذه الأحكام من أصولها من وجه قانوني يقيدنا العلم بكيفية هذا الاستنباط، وهذا هو أصول الفقه. وبعد هذه تحصل الثمرة بمعرفة أحكام الله في أفعال المكلفين، وهذا هو الفقه. ثم إنَّ التكليف منها بدني ومنها قلبي، وهو المختص بالإيمان وما يجب أن يُعتقد مما لا يُعتقد، وهذه هي العقائد الإيمانية في الذات والصفات وأُمور الحشر 10 والتَّعِيم والعذاب والقدر. والحجَّاج عن هذه بالأدلة العقلية هو علم الكلام. ثم النظر في القرآن والحديث لا بُدَّ أن تتقدَّمه العلوم اللسانية، لأنَّه مُتَوَقَّف عليها. وهي أصناف، فمنها: علم اللغة، وعلم النحو، وعلم البيان، وعلم الأدب، حسبما نتكلم عليها كلَّها. وهذه العلوم الثقليَّة كلَّها مُختَصَّة بالمِلَّة الإسلامية وأهلها، وإن كانت كلَّ مِلَّة على الجُملة لا بُدَّ فيها من مثل ذلك، فهي مُشَارِكَةٌ لها في الجنس البعيد من حيث 15 أنَّها علومُ الشَّريعة المنزَّلة من عند الله على صاحبِ الشَّريعة المبلَّغ لها. وأمَّا على الخصوص، فمباينةٌ لجميع [الملل] <sup>(1)</sup>، لأنَّها ناسِخَةٌ لها. وكلَّ ما قبلها من علوم الملل فهَجُورَةٌ، والنَّظَرُ فيها مَحْظُورٌ. فقد نهى الشرعُ عن النظر في

(1) ط: الأم.

الكتب المنزلة غير القرآن، وقال ﷺ<sup>(1)</sup> : "لا تُصدّقوا أهل الكتاب ولا تُكذّبوهم، ﴿وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ﴾" [سورة العنكبوت، من الآية 46]. ورأى في يد عمر - رضي الله عنه - ورقة من التوراة، فغضب حتى تبين الغضب في وجهه، ثم قال<sup>(2)</sup> : "ألم آتكم بها بيضاء نقية ؟ والله لو كان موسى حياً ما وسّعهُ إلاّ اتباعي". 5

ثم إنّ هذه العلوم الشرعيّة الثقلية قد نفقت / أسواقها في هذه الملة بما لا مريد عليه، وانتهت فيها مدارك الناظرين إلى التي لا فوقها، وهذبت الاصطلاحات، ورُتبت الفنون، فجاءت من وراء الغاية في الحسن والتّعميق. وكان لكلّ فنّ رجالٌ يرجع إليهم فيه ، وأوضاعٌ يُستفاد منها التّعليم . واحتُصّ المشرق من ذلك والمغرب بما هو مشهورٌ منها حسبما نذكره الآن عند تعديد هذه الفنون. 10

وقد كسدت لهذا العهد أسواق العلم بالمغرب لشناقص العُمران فيه، وانقطاع سندِ التّعليم ، كما قدّمناه في الفصل قبله. وما أدري ما فعل الله بالمشرق، والظنُّ به نفاق العلم فيه، واتّصال التّعليم في العلوم وفي سائر الصّنائع الصّوريّة والكالميّة، لكثرة العُمران فيه والحضارة، ووجود الإعانة لطالب العلم بالجراية من الأوقاف التي اتّسعت بها أرزاقهم. والله مُقدّر الليل والنّهار. 15

(1) أخرجه البخاري في ثلاثة مواضع من صحيحه: في التفسير (4485) والاعتصام (7362) والتوحيد (7542).  
(2) أخرجه أحمد في مسنده 3: 387، وأبو عبيد في غريب الحديث 3: 28، وابن أبي شيبة في المصنف 9: 27، وابن أبي عاصم في السنّة (50) والدارمي في سننه (435) كلهم من طرق عن مجالد، عن الشعبي، عن جابر، ومجالد وهو ابن سعيد، ضعيف.

## 11 • فَصْلٌ ، فِي عِلْمِ الْقُرْآنِ مِنَ التَّفْسِيرِ وَالْقِرَاءَاتِ

القرآن هو كلامُ الله المنزَّل على نبيِّه، المكتوبُ بينَ دَقَّتَي المصحف. وهو متواترٌ بينَ الأمة، إلا أنَّ الصُّحابةَ رَوَوْهُ عن رسول الله ﷺ على طُرُقٍ مُخْتَلِفَةٍ في بَعْضِ أَلْفَاظِهِ وَكَيْفِيَّاتِ الحُرُوفِ في أَدَائِهَا . وَتَنَوَّلَ ذَلِكَ وَاشْتَهَرَ ، إِلَى أَنْ اسْتَقَرَّتْ مِنْهَا سَبْعُ طُرُقٍ مُعَيَّنَةٍ تَوَاتَرَ نَقْلُهَا أَيْضاً بِأَدَائِهَا، وَاخْتَصَّتْ بِالِائْتِسَابِ إِلَى مَنْ اشْتَهَرَ بِرَوَايَتِهَا مِنَ الْجَمْعِ الْغَفِيرِ . فَصَارَتْ هَذِهِ الْقِرَاءَاتُ السَّبْعُ أُصُولاً لِلْقِرَاءَةِ . وَزَيْدٌ بَعْدَ ذَلِكَ قِرَاءَاتٌ أُخَرُ لَحِقَتْ بِالسَّبْعِ ، إِلَّا أَنَّهَا عِنْدَ أَيْمَةِ الْقِرَاءَةِ لَا تَقْوَى قُوَّتُهَا فِي النَّقْلِ.

وهذه القراءاتُ السَّبْعُ معروفةٌ في كَثِبِهَا. وَقَدْ خَالَفَ بَعْضُ النَّاسِ فِي تَوَاتُرِ طُرُقِهَا، لِأَنَّهَا عِنْدَهُمْ كَيْفِيَّاتٌ لِلْأَدَاءِ، وَهُوَ غَيْرُ مُنْضَبِطٍ. وَلَيْسَ ذَلِكَ عِنْدَهُمْ بِقَادِحٍ فِي تَوَاتُرِ الْقُرْآنِ. وَأَبَاهُ الْأَكْثَرُ، \*<sup>(أ)</sup> وَقَالُوا بِتَوَاتُرِهَا. وَقَالَ آخَرُونَ / بِتَوَاتُرِ غَيْرِ الْأَدَاءِ مِنْهَا، كَالْمَدِّ وَ[التَّسْهِيلِ] <sup>(ب)</sup> لَعَدَمِ الْوُقُوفِ عَلَى كَيْفِيَّتِهِ بِالسَّمْعِ\*، وَهُوَ الصَّحِيحُ. وَلَمْ يَزَلِ الْقُرَّاءُ يَتَدَاوَلُونَ هَذِهِ الْقِرَاءَاتِ وَرَوَايَتِهَا إِلَى أَنْ كُتِبَتِ الْعُلُومُ وَدُوِّنتِ، فَكُتِبَتْ فِيهَا كُتِبَ مِنَ الْعُلُومِ، وَصَارَتْ صِنَاعَةً مَخْصُوصَةً وَعِلْماً مُنْفَرِداً.

وَتَنَاوَلَهُ النَّاسُ بِالْمَشْرِقِ وَالْأَنْدَلُسِ فِي جِيلٍ بَعْدَ جِيلٍ ، إِلَى أَنْ مَلَكَ بِمَشْرِقِ الْأَنْدَلُسِ مُجَاهِدٌ، مِنْ مَوَالِي الْعَامِرِيِّينَ، وَكَانَ مُعْتَنِياً بِهَذَا الْفَنِّ مِنْ بَيْنِ فُنُونِ الْقُرْآنِ لَمَّا أَخَذَهُ بِهِ مَوْلَاهُ الْمَنْصُورُ بْنُ أَبِي عَامِرٍ، وَاجْتَهَدَ فِي تَعْلِيمِهِ وَعَرَضَهُ عَلَى مَنْ كَانَ مِنْ

(أ) سقط ما بين النجمين من ع، وفيها إشارة لمُخَرَّجٍ إِلَى يَسَارِ الصَّفْحَةِ لَا وَجُودَ لَهُ (ب) من: ع ج ي، وفي ظ: التمهيل .

أَيِّمَةُ الْقُرَاءِ بِحَضْرَتِهِ، فَكَانَ سَهْمُهُ فِي ذَلِكَ وَافِرًا. وَاخْتَصَّ مُجَاهِدٌ بَعْدَ ذَلِكَ بِإِمَارَةِ دَانِيَّةَ وَالْجَزَائِرِ الشَّرْقِيَّةِ، فَتَفَقَّتْ بِهَا سَوْقُ الْقِرَاءَةِ [بما] <sup>(أ)</sup> كَانَ هُوَ مِنْ أَيْمَتِهَا، وَبِمَا كَانَ لَهُ مِنَ الْعِنَايَةِ بِسَائِرِ الْعُلُومِ عُمُومًا وَبِالْقِرَاءَةِ خُصُوصًا. فَظَهَرَ لَعَهْدِهِ أَبُو عَمْرٍو الدَّائِي، وَبَلَغَ الْغَايَةَ فِيهَا، وَوَقَفَتْ عَلَيْهِ مَعْرِفَتُهَا، وَانْتَهَتْ إِلَى رِوَايَتِهِ أَسَانِيدُهَا، وَتَعَدَّدَتْ 5 تَوَالِيفُهُ فِيهَا، وَعَوَّلَ النَّاسُ عَلَيْهَا، وَعَدَّلُوا عَنْ غَيْرِهِ، وَاعْتَمَدُوا مِنْ بَيْنِهَا كِتَابَ التِّيْسِيرِ لَهُ.

ثُمَّ ظَهَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فِيهَا يَلِيهِ مِنَ الْعُصُورِ وَالْأَجْيَالِ، أَبُو الْقَاسِمِ ابْنُ فَيْرُزَةَ، مِنْ أَهْلِ شَاطِئَةِ، فَعَمِدَ إِلَى تَهْذِيبِ مَا دَوَّنَهُ أَبُو عَمْرٍو وَتَلْخِصِهِ. فَنَظَّمَ ذَلِكَ كُلَّهُ فِي قَصِيدَةٍ لَغَزٍ <sup>(ب)</sup> فِيهَا أَسْمَاءُ الْقُرَاءِ بِحُرُوفِ أَمْجَدٍ، عَلَى تَرْتِيبِ أَحْكَمِهِ لِيَتَيَسَّرَ عَلَيْهِ مَا قَصَدَ مِنَ الْإِخْتِصَارِ، وَلِيَكُونَ <sup>(ج)</sup> أَسْهَلَ لِلْحِفْظِ لِأَجْلِ نَظْمِهَا. فَاسْتَوْعَبَ فِيهَا الْفَنَّ 10 اسْتِعَابًا حَسَنًا، وَعَنَى النَّاسُ بِحِفْظِهَا وَتَلْقِينِهَا لِلْوَلَدِ الْمُتَعَلِّمِينَ. وَجَرَى الْعَمَلُ عَلَى ذَلِكَ فِي أَمْصَارِ الْمَغْرِبِ وَالْأَنْدَلُسِ.

وَرَبَّمَا أُضِيفَ إِلَى فَنِّ الْقِرَاءَاتِ فَنُّ الرِّسْمِ أَيْضًا، وَهِيَ أَوْضَاعُ حُرُوفِ الْقُرْآنِ فِي الْمُصْحَفِ وَرُسُومُهُ الْخَطِّيَّةُ. لِأَنَّ فِيهِ حُرُوفًا كَثِيرَةً وَقَعَ رَسْمُهَا عَلَى غَيْرِ الْمَعْرُوفِ 15 مِنْ قِيَاسِ الْخَطِّ، كَزِيَادَةِ الْيَاءِ فِي ﴿بِأَيِّدٍ﴾ [سُورَةُ النَّارِ، مِنَ الْآيَةِ 47]، وَزِيَادَةُ الْأَلْفِ فِي ﴿لَا أَذْبَحَنَّهُ﴾ [سُورَةُ النَّعْلِ، مِنَ الْآيَةِ 21] وَ﴿وَلَا أَوْضَعُوا﴾ [سُورَةُ التَّوْبَةِ، مِنَ الْآيَةِ 47]. وَالْوَاوُ فِي ﴿جَزَوْا الظَّالِمِينَ﴾ [سُورَةُ الْحَشْرِ، مِنَ الْآيَةِ 17]،

(أ) مِنْ ع، وَفِي ظ: لا (ب) فِي نَسْخَةِ ظ: بِتَشْدِيدِ الْغَيْنِ (ج) ع: وَلْتَكُونَ .

[298] وحَذَفِ / الألف في مواضعٍ دونَ أُخْرَى، وما رُسِمَ فيه التَّاءُ<sup>(1)</sup> ممدوداً والأصلُ فيه مَرْبُوطٌ على شَكلِ الهاء، وغير ذلك. وقد مرَّ تعليلُ هذا الرِّسْمِ المُصَحَّفي عند الكلام في الخطِّ. فلَمَّا جاءَتْ هذه مخالفةٌ لأوضاع الخطِّ وقانونه، اختِيجَ إلى حَصْرِها؛ فكتبَ فيها النَّاسُ أيضاً عندَ كَثِبِهِم في العُلُومِ؛ وانتهتْ بالمَغْرِبِ إلى أبي عمرو الدَّانِي المذكور، فكتبَ فيها كُتُباً من أشهرها: كتابُ المُقْنَعِ، وأخذ به النَّاسُ 5 وعَوَّلُوا عليه. ونَظَّمَهُ أبو القاسمِ الشَّاطِطِيُّ في قَصِيدَتِهِ الشَّهِيرَةِ على رَويِّ الرِّاءِ، ووَلَعَ النَّاسَ بِحِفْظِهَا.

ثم كَثُرَ الخِلَافُ في الرِّسْمِ في كَلِمَاتٍ وحُرُوفٍ أُخْرَى ذَكَرَهَا أبو داود سُلَيْمَانُ ابْنُ نِجَاحٍ من مَوَالِي مُجَاهِدٍ، في كُتُبِهِ، وهو من تَلْمِيزِ أَبِي عَمْرٍو الدَّانِي، والمشهور بِحَمْلِ عُلُومِهِ وروايَةِ كُتُبِهِ. ثم نُقِلَ بَعْدَهُ خِلَافٌ آخَرُ، فنَظَّمَ الحَرَّازُ، من المتأخِّرين 10 بالمَغْرِبِ، أَرْجُوزَةً أُخْرَى زَادَ فيها على المُقْنَعِ خِلَافاً كَثِيراً وَعَزَّاهُ لِنَاقِلِيهِ. واشتهرتْ بالمَغْرِبِ، واقتَصَرَ النَّاسُ على حِفْظِهَا وهَجَرُوا بِهَا كُتُبَ أَبِي دَاوُدَ وَأَبِي عَمْرٍو والشَّاطِطِيِّ في الرِّسْمِ.

وَأَمَّا التَّفْسِيرُ، فاعْلَمْ أَنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ بِلُغَةِ الْعَرَبِ وعلى أَسَالِيبٍ بِلَاغَتِهِمْ. وكانوا 15 كُلُّهُمْ يَفْهَمُونَهُ وَيَعْلَمُونَ مَعَانِيَهُ في مُفْرَدَاتِهِ وَتَرَاكِيبِهِ. وكان يُنَزَّلُ جُمَلًا جُمَلًا وآيَاتٍ آيَاتٍ لِبَيَانِ التَّوْحِيدِ والفُرُوضِ الدِّينِيَّةِ بِحَسَبِ الْوَقَائِعِ. ومنها ما هو في الْعَقَائِدِ الْإِيمَانِيَّةِ، ومنها ما هو في أَحْكَامِ الْجَوَارِحِ، ومنها ما يَتَقَدَّمُ، ومنها ما يَتَأَخَّرُ ويكون نَاسِخًا لَهُ.

(1) ع: الثالث .

وكان النبي ﷺ، [هو المبيّن لذلك كما قال: ﴿لَتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾  
[سورة النحل، من الآية 44]. فكان النبي ﷺ<sup>(أ)</sup> يبيّن المَجْمَل، ويُمَيِّزُ النَّاسِخَ من  
المنسوخ، ويعرفه أصحابه، فعرفوه، وعرفوا سبب نزول الآيات ومقتضى الحال  
منها منقولاً عنه، كما عُلِمَ من قوله: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [سورة النصر،  
الآية 1] 5 أنها نغى النبي ﷺ، وأمثال ذلك.

[ونُقِلَ ذلك]<sup>(ب)</sup> عن الصحابة رضوان الله عليهم، وتداول ذلك التابعون من  
بعدهم ونُقِلَ عنهم. ولم يزل ذلك متناقلًا بين الصدر الأول والسلف، حتى صارت  
المعارف علوماً ودُونت / الكُتُب. فكتب الكثير من ذلك، ونُقِلَت الآثار الواردة فيه  
عن الصحابة والتابعين، وانتهى ذلك إلى الطبري، والواقدي، والشعالي، وأمثالهم من  
المفسرين، فكتبوا فيه ما شاء الله أن يكتبوه من الآثار. 10

ثم صارت علومُ اللسان صناعةً<sup>(ج)</sup> من الكلام في موضوعات اللغة وأحكام  
الإغراب والبلاغة في التراكيب. فوضعت الدواوين في ذلك بعد أن كانت ملكات  
للعرب لا يرجع فيها إلى نقل ولا كتاب. فتنوسى ذلك، وصارت تُتَلَقَّى من كتب  
أهل اللسان، فاحتيج إلى ذلك في تفسير القرآن لأنه بلسان العرب وعلى منهاج  
بلاغتهم. وصار التفسير على صنفين: 15

تفسير ثقلي: مُستند إلى الآثار المنقولة عن السلف، وهي معرفة الناسخ  
والمنسوخ، وأسباب النزول، ومقاصد الآي، وكل ذلك لا يعرف إلا بالنقل عن  
الصحابة والتابعين. وقد جمع المتقدمون في ذلك وأوعوا.

(أ) من ع ج ي، وسقط من ظ (ب) من ع ج ي، وسقط من ظ (ج) من ظ ج ي، وفي ع: صناعة.



إِلَّا أَنْ كُتِبَهِمْ وَمَنْقُولَاتِهِمْ تَشْتَمِلُ عَلَى الْعَثِّ وَالسَّمِينِ، وَ[الْمَقْبُولِ] <sup>(١)</sup> وَالْمَزْدُودِ. وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْعَرَبَ لَمْ يَكُونُوا أَهْلَ كِتَابٍ وَلَا عِلْمٍ، وَإِنَّمَا غَلَبَ عَلَيْهِمُ الْبَدَاوَةُ وَالْأُمِّيَّةُ، فَإِذَا تَشَوَّفُوا إِلَى مَعْرِفَةِ شَيْءٍ مِمَّا تَتَشَوَّفُ إِلَيْهِ النَّفُوسُ الْإِنْسَانِيَّةُ فِي أَسْبَابِ الْمَكُونَاتِ وَبَدْءِ الْخَلِيقَةِ وَأَسْرَارِ الْوُجُودِ، فَإِنَّمَا يَسْأَلُونَ عَنْهُ أَهْلَ الْكِتَابِ قَبْلَهُمْ وَيَسْتَفِيدُونَهُ مِنْهُمْ، وَهُمْ أَهْلُ التَّوْرَةِ مِنَ الْيَهُودِ وَمَنْ تَبَعَ دِينَهُمْ مِنَ النَّصَارَى. وَأَهْلُ 5 التَّوْرَةِ الَّذِينَ يَبْنِي الْعَرَبُ يَوْمُنَا بِأَدْيَةٍ مِثْلِهِمْ، وَلَا يَعْرِفُونَ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا مَا تَعْرِفُهُ الْعَامَّةُ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ. وَمُعْظَمُهُمْ مِنْ حِمَيْرِ الَّذِينَ أَخَذُوا بِدِينِ الْيَهُودِيَّةِ؛ فَلَقَا أَسْلَمُوا بِقُوَا عَلَى مَا كَانَ عَنْدهُمْ مِمَّا لَا تَعْلُقُ لَهُ بِالْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ الَّتِي يَخْتِطُّونَ لَهَا، مِثْلَ أَخْبَارِ بَدْءِ الْخَلِيقَةِ وَمَا يَرْجِعُ إِلَى الْحَدَثَانِ وَالْمَلَا حِمٍ، وَأَمْثَالِ ذَلِكَ. وَهَؤُلَاءِ مِثْلُ: كَغَبِ 10 الْأَخْبَارِ، وَوَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ، وَأَمْثَالِهِمْ. فَامْتَلَأَتْ التَّفَاسِيرُ مِنَ النُّقُولَاتِ عَنْهُمْ فِي أَمْثَالِ هَذِهِ الْأَغْرَاضِ أَخْبَاراً مَوْقُوفَةً / عَلَيْهِمْ، وَلَيْسَتْ تَمَّا يَزْجَعُ إِلَى الْأَحْكَامِ فَيَتَحَرَّى فِيهَا الصَّحَّةَ الَّتِي يَجِبُ بِهَا الْعَمَلُ. وَتَسَاهَلُ الْمَفْسَّرُونَ فِي مِثْلِ ذَلِكَ، وَمَلَأُوا كُتُبَ التَّفْسِيرِ بِهَذِهِ النُّقُولَاتِ، وَأَصْلُهَا كَمَا قُلْنَا، عَنْ أَهْلِ التَّوْرَةِ الَّذِينَ يَسْكُنُونَ الْبَادِيَّةَ، وَلَا تَحْقِيقَ عَنْدهُمْ بِمَعْرِفَةِ مَا يَنْقُلُونَهُ مِنْ ذَلِكَ، إِلَّا أَنَّهُمْ بَعْدَ صِيَّتِهِمْ 15 وَعَظُمَتْ أَقْدَارُهُمْ بِمَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الْمَقَامَاتِ فِي الدِّينِ وَالْمِلَّةِ، فَتُلْقِيَتْ بِالْقَبُولِ مِنْ يَوْمُنَا. فَلَمَّا رَجَعَ النَّاسُ إِلَى التَّحْقِيقِ وَالتَّمْحِصِ، وَجَاءَ أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ عَظِيَّةٍ، مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ بِالْمَغْرِبِ، فَلَخَّصَ تِلْكَ التَّفَاسِيرَ كُلَّهَا، وَتَحَرَّى مَا هُوَ أَقْرَبُ إِلَى الصَّحَّةِ مِنْهَا، وَوَضَعَ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ مُتَدَاوِلٍ بَيْنَ أَهْلِ الْمَغْرِبِ وَالْأَنْدَلُسِ، حَسَنَ الْمَنْحَى،

(١) مِنْ ج ي، وَفِي ظ ع: الْمَقُولُ.

وتبعه القُرْطُبِيُّ في تلك الطَّرِيقَةِ على مَنَهاجٍ واحدٍ في كتابٍ آخرٍ مشهورٍ بالمشرق.  
والصَّنْفُ الآخر من التَّفْسِيرِ: وهو ما يَرْجِعُ إلى اللِّسان من مَعْرِفَةِ اللُّغَةِ  
والبَلَاغَةِ في تَأْذِيَةِ المَعْنَى بحسن المقاصد والأساليب. وهذا الصَّنْفُ من التَّفْسِيرِ قَلٌّ  
أن يَنْقَرِدَ عن الأوَّل، إذ الأوَّل هو المَقْصود بالذَّات، وإنَّما جاء هذا بعد أن صار  
5 اللِّسانُ وعلومُه صناعاتٍ. نَعَمْ، يكونُ في بَعْضِ التَّفاسيرِ غالباً.

ومن أَحْسَنِ ما اشْتَمَلَ عليه هذا الفنُّ من التَّفْسِيرِ، كتابُ الكَشَافِ لِلزَّمْخَشَرِيِّ،  
من أَهْلِ خُوارِزْمٍ<sup>(١)</sup>. إلَّا أنَّ مؤلِّفَهُ من أَهْلِ الاعتِزالِ في العقائِدِ، فيأتي بالحِجَاجِ على  
مَذاهِبِهِم الفاسِدةِ حيثُ يَعرِضُ له في آيِ القُرْآنِ من طُرُقِ البَلَاغَةِ، فصار بذلك  
لِلْمُحَقِّقِينَ من أَهْلِ السُّنَّةِ انحرافٌ عنه وتَحْذِيرٌ لِلْجُمْهُورِ من مَكَامِينِهِ، مع إقْرارِهِم بِرُسُوخِ  
10 قَدَمِهِ فيما يَتَعَلَّقُ باللِّسانِ والبَلَاغَةِ. وإذا كان الناظرُ فيه واقِفاً على المَذاهِبِ السُّنِّيَّةِ  
مُحْسِناً لِلحِجَاجِ عَنِهَا، فلا جَرَمَ أَنَّهُ مَأْمُونٌ من غَوَائِلِهِ، فليَتَعَتَّمِ مَطالَعَتَهُ لَغَرَابَةِ فُنُونِهِ في  
اللِّسانِ. ولقد وَصَلَ إلينا في هذه العُصُورِ تَأليفٌ لِبَعْضِ العِراقِيِّينَ، وهو شَرْفُ الدِّينِ  
الطَّيْبِيِّ، من أَهْلِ تَوْرِيذٍ من عِراقِ العَجَمِ، شَرَحَ فيه كتابَ الزَّمْخَشَرِيِّ هذا، وتَبَعَ أَلْفاظَهُ،  
وَتَعَرَّضَ لمَذاهِبِهِ/ في الاعتِزالِ وأَدِلَّتِهِ، يَزَيِّفُهَا وَيُبَيِّنُ أَنَّ البَلَاغَةَ إِنَّمَا تَقَعُ في الآيَةِ على  
15 ما يَراهُ أَهْلُ السُّنَّةِ، لا على مَذَهِبِ المُعْتَزِلَةِ. فَأَحْسَنُ في ذلك ما شاء، مع إِمْتِناعِهِ  
في سائِرِ فُنُونِ البَلَاغَةِ. ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [سورة يوسف، من الآية 76].

(١) ورد في ظ ج ي: "من أَهْلِ خُوارِزْمِ العِراقِ". وليس لهذه الإضافة حَقِيقَةُ جُغرافيَّة. وقد نَقَلْتُ النسخَ ذلك عن الأصل "ع".  
وبَيَّانُهُ: أنَّ ناسِخَهَا ابنَ الفَخَّارِ، كَتَبَ: "من أَهْلِ العِراقِ"، ثم أَصْلَحَهَا ابنُ خَلْدُونٍ بِخَطِّهِ بإضافةِ كَلِمَةِ "خُوارِزْمِ" بِخَطِّ دَقِيقٍ في  
حاشِيَةِ آخِرِ السَّطْرِ بِعَدِ كَلِمَةِ: "أَهْلٍ"، ونَسِيَ أن يُلغِيَ كَلِمَةَ "العِراقِ" الَّتِي يَبْتَدَأُ بِهَا السَّطْرَ التَّالِي. فوَقَعَ النِّسَاحُونَ في الوَهْمِ.

## 12 \* علوم الحديث<sup>(1)</sup>

وأما علوم الحديث: فهي كثيرة ومتنوعة، لأن منها ما ينظر في ناسخه ومُنسوخه؛ وذلك بما ثبت في شريعتنا من جواز النسخ ووقوعه لطفاً من الله بعباده وتخفيفاً عنهم، باعتبار مصالحهم التي تكفل لهم بها. قال تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾ [سورة البقرة، من الآية 106]. فإذا تعارض 5

(1) اعتاد ابن خلدون أن يتناول بعض الفصول بالتنقيح والتهديب، كما عبر آخر المقدمة، وقد يقتضي الأمر إعادة كتابة الفصول على خطة مغايرة في العرض والاستيعاب، وقد رأيت في بعض هذه الحالات أن أحفظ بتنقيح لما لها من الفائدة في تبين أسلوب تفكيره وفي تحليل مواد كتابة فصوله. ويبقى أن هناك قرائن كوديكولوجية تساعد بفضل المخطوط ع على ترتيب أي النصين أحدث. وفي هذه الحالة فإن ورود هذا النص بخطه في متن نسخة "ع" التي تعتبر أقدم الأصول وأحدثها في الآن نفسه، بما تناولها من زيادات لم تقطع طيبة إقامته بالقاهرة، يُعَدُّ الأحدث تاريخاً:

### علوم الحديث:

وأما علوم الحديث فهي كثيرة ومتنوعة، فإن منها ما ينظر في ناسخه ومُنسوخه، وذلك بما ثبت في شريعتنا من جواز النسخ ووقوعه، لطفاً من الله بعباده، وتخفيفاً عنهم باعتبار مصالحهم التي تكفل لهم بها. قال تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾ [سورة البقرة، من الآية 106]. ومعرفة الناسخ والمنسوخ وإن كان عامّاً للقرآن والحديث، إلا أن الذي في القرآن منه اندرج في تفاسيره، وبقي ما كان خاصاً بالحديث راجعاً إلى علومه، فإذا تعارض الخبران بالنفي والإثبات، وتعدّر الجمع بينهما ببعض التأويل، وعلم تقدم أحدهما، تعين أن المتأخر ناسخ. وهو من أهم علوم الحديث وأضعفها؛ قال الزهرري: أعيا الفقهاء وأعجزهم أن يعرفوا ناسخ حديث رسول الله ﷺ من منسوخه. وكان للشافعي رضي الله عنه فيه قدم راسخة.

ومن علوم الحديث معرفة القوانين التي وضعها أئمة المحدثين لمعرفة الأسانيد والرواة وأسمائهم، وكيفية أخذ بعضهم عن بعض، وأحوالهم وصفاتهم واختلاف اصطلاحاتهم. وتحصيل ذلك أن الإجماع واقع على وجوب العمل بالخبر الثابت عن رسول الله ﷺ، وذلك بشرط أن يغلب =

الخبران بالتثني والإثبات، وتعذر الجمع بينهما ببعض التأويل، وعلم تقدم أحدهما، تعين أن المتأخر ناسخ.

على الظن صدقه، فيجب على المجتهد تحقيق الطرق التي تحصل ذلك الظن، وذلك بالنظر في أسانيد الحديث، بمعرفة زواته بالعدالة والضبط والإتقان والبراءة من الشهو والعفلة، بوصف عدول الأمة لهم بذلك، ثم تفاوت مراتبهم فيه، ثم كيفية رواية بعضهم عن بعض بسماع الراوي من الشيخ أو قراءته عليه، أو سماعه يقرأ عليه، وكتابة الشيخ له أو مناولته، أو إجازته في الصحة والقبول؛ منقول عنهم. وأعلى مراتب المقبول عندهم الصحيح، ثم الحسن، وأدون مراتبها الضعيف، ويشتمل على المرسل والمنقطع والمفضل والمعلل والشاذ والغريب والمنكر. فمنها ما اختلفوا في رده، ومنها ما أجمعوا عليه.

وكذلك شأنهم في الصحيح، فمنه ما أجمعوا على قبوله وصحته، ومنها ما اختلفوا فيه، وبينهم في تفسير هذه الألقاب اختلاف كثير. ثم أثبتوا ذلك بالكلام في ألفاظ تقع في متون الحديث من غريب أو مشكل أو تصحيف أو مفترق أو مختلف، ووضعوا لهذه الفصول كلها قانوناً كفيلاً ببيان تلك المراتب والألقاب، وسلامة الطرق عن دخول التقصيص فيها. وأول من وضع في هذا القانون من فحول أئمة الحديث، أبو عبد الله الحاكم، وهو الذي هذب وأظهر محاسنه، وتواليا فيه مشهوراً.

ثم كتب أئمتهم فيه من بعده، وأشهر كتاب للمتأخرين فيه كتاب أبي عمرو بن الصلاح، كان في أوائل المائة السابعة، وتلاه مخي الدين النووي بمثل ذلك. والقرن شريف في مغزاه، لآته معرفة ما تحفظ به السنن المنقولة عن صاحب الشريعة، حتى يتعين قبولها أو ردها.

واعلم أن رواة السنة من الصحابة والتابعين معروفون في أمصار الإسلام، منهم بالحجاز وبالبحر وبالكوفة، ثم بالشام ومصر، مشهورون في أعصارهم. وكانت طريقة الحجاز من بينهم أعلى وأمتن في الصحة بتجافهم عن قبول المستورين المجهولة أحوالهم. وسيئد الطريقة الحجازية بعد السلف الإمام مالك عالم المدينة، ثم أصحابه؛ مثل الإمام محمد بن إدريس الشافعي؛ وابن وهب، وابن بكير، والقنبي، ومحمد بن الحسن، ومن بعدهم الإمام أحمد في آخرين من أمثالهم. وكان علم الشريعة في مبدأ الأمر نقلاً صرفاً لا نظراً ولا رأياً ولا تعمقاً في القياس. وشمر لها السلف وتحزروا =

ومعرفة النَّاسِخِ والمَنْسُوخِ من أهمِّ علوم الحديث وأصعبها. قال الزُّهْرِيُّ<sup>(1)</sup>: أَغْنَى  
الْفُقَهَاءُ وَأَعْجَزَهُمْ أَنْ يَعْرِفُوا نَاسِخَ حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ مَنْسُوخِهِ. وكان للشافعي  
- رضي الله عنه - فيه قَدَمٌ رَاسِخَةٌ.

= الصَّحِيحُ حَتَّى أَكْمَلُوهَا، وَكُتِبَ مَالِكُ رَحْمَةُ اللَّهِ كِتَابَ الْمُوطَأِ عَلَى طَرِيقَةِ الْحِجَازِيِّينَ، أَوْدَعَهُ  
أَصُولَ الْأَخْكَامِ مِنَ الصَّحِيحِ الْمُتَّفَقِ عَلَيْهِ، وَرَتَّبَهُ عَلَى أَبْوَابِ الْفَقْهِ. ثُمَّ غَنَى الْحِفَاطَ بِمَعْرِفَةِ طُرُقِ  
الْأَحَادِيثِ وَأَسَانِيدِهَا الْمُخْتَلَفَةِ، الْحِجَازِيَّةِ وَالْعِرَاقِيَّةِ وَغَيْرِهَا. وَقَدْ تَنَحَّدَ فِي بَعْضِ الْأَحَادِيثِ وَتَتَعَدَّدَ،  
وَيَتَكَرَّرُ الْحَدِيثُ فِي أَبْوَابِ الْفَقْهِ بِاخْتِلَافِ الْمَعَانِي الَّتِي اشْتَمَلَ عَلَيْهَا. وَجَاءَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ  
الْبُخَارِيُّ، فَأَوْسَعَ نِطَاقَ الرِّوَايَةِ، وَخَرَّجَ أَحَادِيثَ السُّنَّةِ عَلَى أَبْوَابِهَا فِي مُسْنَدِهِ الصَّحِيحِ، وَجَمَعَ  
طُرُقَ الْحِجَازِيِّينَ وَالْعِرَاقِيِّينَ وَالشَّامِيِّينَ، وَاعْتَمَدَ مِنْهَا مَا أَجْمَعُوا عَلَيْهِ دُونَ مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ. وَتَكَرَّرَتْ  
أَحَادِيثُهُ فِي الْأَبْوَابِ بِاخْتِلَافِ مَعَانِيهَا كَمَا أَشْرْنَا إِلَيْهِ، فَاشْتَمَلَ كِتَابُهُ عَلَى سَبْعَةِ آلَافِ حَدِيثٍ  
وَمِائَتَيْنِ، تَكَرَّرَتْ مِنْهَا ثَلَاثَةُ آلَافٍ، وَفَرَّقَ الطَّرِيقَ وَالْأَسَانِيدَ عَلَيْهَا مُخْتَلَفَةً فِي كُلِّ بَابٍ. ثُمَّ جَاءَ  
مُسْلِمُ بْنُ الْحَجَّاجِ الْقُشَيْرِيُّ، فَأَلَّفَ مُسْنَدَهُ الصَّحِيحَ، اتَّبَعَ فِيهِ الْبُخَارِيَّ فِي ثَقُلِ الْمُجْمَعِ عَلَى صِحَّتِهِ،  
وَحَذَفَ الْمُتَكَرِّرَ، وَجَمَعَ الطَّرِيقَ وَالْأَسَانِيدَ، فَبَوَّيْتَهُ عَلَى أَبْوَابِ الْفَقْهِ وَتَرَاوَجَهُ. وَاسْتَذْرَكَ النَّاسَ عَلَيْهَا  
فِي اسْتِيعَابِ الصَّحِيحِ، وَجَاءُوا بِمَا أَغْفَلُوا عَنْ شُرُوطِهَا. ثُمَّ كَتَبَ أَبُو دَاوُدَ السَّجِسْتَانِيُّ، وَأَبُو  
عِيسَى التِّرْمِذِيُّ، وَأَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّسَائِيُّ فِي السَّنَنِ بِأَوْسَعِ مِنَ الصَّحِيحِ، وَقَصَدُوا مَا تَوَقَّعَتْ فِيهِ  
شُرُوطُ الْعَمَلِ، إِمَّا مِنَ الرِّبَّةِ الْعَالِيَةِ فِي الْإِسْنَادِ، وَهِيَ الصَّحِيحُ كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ؛ وَإِمَّا مِنَ الَّذِي  
دُونَهُ كَالْحَسَنِ وَغَيْرِهِ، لِيَكُونَ ذَلِكَ إِمَامًا لِلْعَمَلِ بِالسُّنَّةِ. وَهَذِهِ الْمَسَانِيدُ الْمُعْتَمَدَةُ فِي الْمِلَّةِ، وَهِيَ  
أَمْهَاتُ كُتُبِ الْحَدِيثِ مِنَ السُّنَّةِ. وَلَحِقَ بِهِذِهِ الْخَفِيسَةُ مَسَانِيدُ أُخْرَى، كَمُسْنَدِ أَبِي دَاوُدَ  
الطَّيَالِسِيِّ، وَالْبَزَّارِ، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، وَالدَّارِمِيُّ، وَأَبِي يَعْلَى الْمُوَصِّلِيُّ، وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ، قَاصِدِينَ فِيهَا  
الْمُسْنَدَاتِ عَنِ الصُّحْبَةِ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَكُونَ مُحْتَجًّا بِهَا. هَكَذَا قَالَ ابْنُ الصَّلَاحِ الْمَقْدَمَةُ فِي عُلُومِ  
الْحَدِيثِ [27-38]. وَفِي الرِّوَايَةِ عَنِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ لِابْنِهِ عَبْدِ اللَّهِ فِي كِتَابِهِ الْمُسْنَدَ، =

(1) أبو نعيم: حلية الأولياء 3: 365، ابن عبد البر: التمهيد 3: 332، الذهبي: سير أعلام النبلاء 5: 346، وانظر  
رسالة الشافعي 106 .

ومن علوم الحديث: النَّظَرُ في الأسانيد ومعرفة ما يجب العمل به من الأحاديث بوقوعه على السند الكامل الشروط، لأن العمل إنما وجب بما يغلب على الظن صدقه من أخبار رسول الله ﷺ، فيجتهد في الطريق الذي يحصل ذلك الظن، وهو بمعرفة رُواة الحديث بالعدالة والضبط، وإثبات<sup>(1)</sup> ذلك بالنقل عن أعلام الدين بتعديلهم وبراءتهم من الجرح والغفلة، ويكون لنا ذلك دليلاً على

(1) من ج ي، وفي ط: ثبت .

= وهو يشتمل على أحد وثلاثين ألف حديث. وعن جماعة من أصحابه أنهم قالوا: قرأ علينا المسند، وقال: هذا كتاب انتقيته من سبع مائة ألف وخمسين ألف حديث مما اختلف فيه المسلمون من الأحاديث النبوية، وما لم تجدوه فيه فليس بحجة، فهذا يدل على أن جميع ما في مسنده يصح الاحتجاج به، عكس ما قاله ابن الصلاح، نقلته من مناقب الإمام أحمد. وقد اشطع لهذا العهد تخرج شيء من الأحاديث واستدراكها على المتقدمين، إذ العادة تشهد بأن هؤلاء الأئمة على تعدد عصورهم وتلاحق عصورهم وكفائتهم واجتهادهم، لم يكونوا ليغفلوا شيئاً من السنة أو يتركوه حتى يعثر عليه المتأخر، وإنما تنصرف العناية لهذا العهد إلى تصحيح الأمهات المكتوبة وضبطها بالرواية، وإسنادها إلى مؤلفيها، لتصل الأسانيد محكمة من مبدئها إلى مُنتهاها، ولم يزدوا في ذلك على العناية بأكثر من هذه الأمهات الخمسة إلا في الأقل. فأما صحيح البخاري، وهو أعلاها رتبة، فاستصعب الناس شرحه واستغلغوا منحه، من أجل ما يحتاج إليه من معرفة الطرق المتعددة ورجالها من أهل الحجاز والشام والعراق، ومعرفة أحوالهم واختلاف الناس فيهم، وكذلك يحتاج إلى إمعان النظر في الثقة في التراجم، لأنه يترجم الترجمة ويحدد فيها الحديث بسند أو طريق، ثم يترجم أخرى ويورد فيها ذلك الحديث بعينه لما تضمنته من المعنى الذي ترجم به الباب، وكذلك في ترجمة وترجمة إلى أن يتكرر الحديث في أبواب متفرقة بحسب معانيه واختلافها. ومن النظر في تراجمه بيان المناسبة بين الترجمة والأحاديث التي في ضمنها؛ فقد وقع له في كثير من تراجمه خفاء المناسبة بينها وبين الأحاديث التي في ضمنها، وطال كلام =

القبول أو الترك. وكذلك مراتب هؤلاء الثقل من الصحابة والتابعين وتفاوتهم<sup>(١)</sup> في ذلك وتمييزهم فيه واحداً واحداً. وكذلك الأسانيد تتفاوت باتصالها وانقطاعها، بأن يكون الراوي لم يلق [الراوي]<sup>(ب)</sup> الذي نقل عنه ، وبسلامتها من العلل الموهنة لها،

(١) في ج: تفاوتهم (ب) في ط ج ي: للراوي، ولعل الأصح ما أثبتناه .

= الناس في بيانها، كما وقع في كتاب الفتن<sup>(\*)</sup> في الباب الذي ترجم فيه بقوله: باب تخريب البيت ذي السويقتين من الحبشة. ثم قال عن الله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا﴾ [سورة البقرة، من الآية 125]. ولم يزد على ذلك في الباب شيئاً. وخفي على الناس وجه المناسبة بين هذه الترجمة وما في الباب ، فمنهم من قال: كان المصنف رحمه الله يكتب التراجم في المسودة ثم يكتب الأحاديث في كل ترجمة حسب ما يتيسر له ، وتوفي قبل أن يستوفي حشو التراجم فروق الكتاب، كذلك وسمعت من أصحاب القاضي ابن بكار قاضي غرناطة، واستشهد في واقعة طريف سنة أربعين وسبعمائة، وكان قائماً على صحيح البخاري، أنه أراد بالترجمة تفسير الآية، بأن ذلك مشروع لا مقدر، لأن الإشكال إنما جاء من تفسير جعلنا، بقدرنا، وإذا كان بمعنى: شرعنا، لم يكن لبس في تخريب ذي السويقتين إياها. سمعت ذلك من شيخنا أبي البركات البليقي عنه، وكان من أجله تلميذه.

ومن شرح الكتاب ولم يستوف هذا كله فيه، فلم يوف حق الشرح، كابن بطال، وابن المهلب، وابن التين، ونحوهم. ولقد سمعت كثيراً من شيوخنا رحمهم الله يقولون: شرح كتاب البخاري دين على الأمة. يعنون أن أحداً من علماء الأمة لم يوف ما وجب له من الشرح بذلك الاعتبار.

وأما صحيح مسلم، فكثر عناية أهل المغرب به، وأكثروا عليه، وأجمعوا على تفضيله على كتاب البخاري. قال ابن الصلاح: وإنما يفضل على كتاب البخاري بما وقع فيه من تجريده عما =

(\*) ليس في "كتاب الفتن". والحديث في كتاب الحج ، باب قوله تعالى: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾ [سورة المائدة، من الآية 97] ، وباب هدم الكعبة، حديث (1591) و (1596) وهو في كتاب الفتن من صحيح مسلم (2909) .

وَيَنْتَهِي بِالتَّفَاوُتِ إِلَى طَرِيقٍ<sup>(١)</sup>، بِحُكْمٍ يَقْبُولُ الْأَعْلَى وَرَدُّ الْأَسْفَلِ، وَيُخْتَلَفُ فِي  
الْمَتَوَسِّطِ بِحَسَبِ الْمُنْقُولِ عَنْ أَيْمَةِ الشَّانِ. وَلَهُمْ فِي ذَلِكَ أَلْفَاظٌ اضْطَلَحُوا / عَلَى [300]  
وَضَعُهَا لِهَذِهِ الْمَرَاتِبِ الْمُرْتَبَةِ، مِثْلُ: الصَّحِيحِ، وَالْحَسَنِ، وَالضَّعِيفِ، وَالْمُرْسَلِ،  
وَالْمُنْقَطِعِ، وَالْمُعْضَلِ، وَالشَّاذِّ، وَالْغَرِيبِ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ أَلْقَابِهِ الْمَتَدَاوِلَةِ<sup>(ب)</sup> بَيْنَهُمْ.

(١) مِنْ ج، وَفِي ظ ي: طَرَفَيْنِ (ب) فِي ج: الْمُبَادَلَةُ.

مَرْجُوحٌ بِهِ الْبُخَارِيُّ كِتَابَهُ مِنْ غَيْرِ الصَّحِيحِ، مِمَّا لَمْ يَكُنْ عَلَى شَرْطِهِ، وَأَكْثَرُ مَا وَقَعَ فِي التَّرَاجِمِ.  
وَأُمِلَى الْإِمَامُ الْمَازَرِيُّ مِنْ فُقَهَاءِ الْمَالِكِيَّةِ عَلَيْهِ شَرْحاً، وَسَمَّاهُ الْمُعْلِمَ بِفَوَائِدِ مُسْلِمٍ، وَاشْتَمَلَ عَلَى  
عَيُونٍ مِنْ عِلْمِ الْحَدِيثِ وَمَنْتَيْنِ مِنَ الْفِقْهِ. ثُمَّ أَكْمَلَهُ الْقَاضِي عِيَاضٌ مِنْ بَعْدِهِ وَتَمَّمَهُ، وَسَمَّاهُ إِكْمَالَ  
الْمُعْلِمِ، وَتَلَاهُمَا مَحْيِي الدِّينِ التَّوَوِّيُّ بِشَرْحِ اسْتَوْفَى مَا فِي الْكِتَابَيْنِ وَزَادَ عَلَيْهَا، وَجَاءَ شَرْحاً وَافِياً.  
وَأَمَّا كُتُبُ السُّنَنِ الْأُخْرَى الثَّلَاثَةُ، وَفِيهَا مُعْظَمُ مَا أَخَذَ الْفُقَهَاءُ، فَأَكْثَرُ شَرْحِهَا فِي كُتُبِ  
الْفِقْهِ، إِلَّا مَا يَخْتَصُّ بِعِلْمِ الْحَدِيثِ، فَكُتِبَ النَّاسُ عَلَيْهَا وَاسْتَوْفَوْا مِنْ ذَلِكَ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ عُلُومِ  
الْحَدِيثِ وَمَوْضُوعَاتِهَا وَالْمَسَانِيدِ الَّتِي اشْتَمَلَتْ عَلَى الْأَحَادِيثِ الْمَعْمُولِ بِهَا مِنَ السُّنَنِ.

وَاعْلَمْ أَنَّ الْأَحَادِيثَ قَدْ تَمَيَّزَتْ مَرَاتِبُهَا لِهَذَا الْعَهْدِ، بَيْنَ صَحِيحٍ وَحَسَنِ وَضَعِيفٍ وَمَغْلُولٍ  
وْغَيْرِهَا، مَيَّزَهَا أَيْمَةُ الْحَدِيثِ وَجَاهِدَتُهُ وَعَرَفُوهَا، وَلَمْ يَبْقَ طَرِيقٌ فِي تَصْحِيحِ مَا لَمْ يَصَحَّ مِنْ قَبْلِ.  
وَلَقَدْ كَانَ الْأَيْمَةُ فِي الْحَدِيثِ يَعْرِفُونَ الْأَحَادِيثَ بِطُرُقِهَا وَأَسَانِيدِهَا، بِحَيْثُ لَوْ رُويَ حَدِيثٌ بِغَيْرِ  
سَنَدِهِ وَطَرِيقِهِ تَقَطَّنُوا إِلَى أَنَّهُ قَدْ قَلَبَ عَنْ وَضْعِهِ؛ وَلَقَدْ وَقَعَ مِثْلُ ذَلِكَ لِلْإِمَامِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ  
الْبُخَارِيِّ حِينَ وَرَدَ عَلَى بَغْدَادٍ وَقَصَدَ الْمُحَدِّثُونَ امْتِحَانَهُ، فَسَأَلُوهُ عَنْ أَحَادِيثَ قَلَبُوا أَسَانِيدَهَا،  
فَقَالَ: لَا أَعْرِفُ هَذِهِ، وَلَكِنْ حَدَّثَنِي فُلَانٌ، ثُمَّ أَتَى بِجَمِيعِ تِلْكَ الْأَحَادِيثِ عَلَى الْوَضْعِ الصَّحِيحِ،  
وَرَدَّ كُلَّ مَثْنٍ إِلَى سَنَدِهِ، فَأَقْرَأُوا لَهُ بِالْإِمَامَةِ.

وَاعْلَمْ أَيْضاً، أَنَّ الْأَيْمَةَ الْمُجْتَهِدِينَ تَفَاوَتُوا فِي الْإِكْثَارِ مِنْ هَذِهِ الْبِضَاعَةِ وَالْإِقْلَالِ، فَأَبُو  
حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ يُقَالُ: إِنَّهُ بَلَغَ رَوَايَتَهُ إِلَى سَبْعَةِ عَشَرَ حَدِيثاً أَوْ نَحْوِهَا إِلَى خَمْسِينَ؛ وَمَالِكٌ  
رَحِمَهُ اللَّهُ إِنَّهُ صَحَّحَ عِنْدَهُ مَا فِي كِتَابِ الْمُوطَّأِ وَغَايَتُهَا ثَلَاثُ مِائَةِ حَدِيثٍ أَوْ نَحْوِهَا؛ وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ فِي  
مُسْنَدِهِ أَرْبَعُونَ أَلْفَ حَدِيثٍ، وَالْكُلُّ عَلَى مَا آدَاهُ إِلَيْهِ اجْتِهَادُهُمْ فِي ذَلِكَ. =



وَيُؤَبَّوْا عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا وَتَقْلُوا مَا فِيهِ مِنَ الْخِلَافِ لِأَيِّمَةِ الشَّانِ أَوْ الْوِفَاقِ، ثُمَّ النَّظَرُ فِي كَيْفِيَّةِ اخْتِزَانِ الرُّوَاةِ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ بِقِرَاءَةٍ أَوْ كِتَابَةٍ أَوْ مُنَاوَلَةٍ أَوْ إِجَازَةٍ، وَتَقَاوُثُ رُتَبِهَا، وَمَا لِلْعُلَمَاءِ فِي ذَلِكَ مِنَ الْخِلَافِ بِالْقَبُولِ وَالرَّدِّ. ثُمَّ أَتْبَعُوا ذَلِكَ بِالْكَلَامِ فِي أَلْفَاظِ تَقَعُ فِي مُتُونِ الْحَدِيثِ مِنْ غَرِيبٍ أَوْ مُشْكِلٍ أَوْ تَضْحِيفٍ أَوْ مُفْتَرَقٍ مِنْهَا

وقد يقول بعض المتعصبيين المتعسفين أن منهم من كان قليل البضاعة في الحديث، ولهذا قلت روايته. ولا سبيل إلى هذا المعتقد في كبار الأئمة، لأن الشريعة إنما تؤخذ من الكتاب والسنة، ومن كان قليل البضاعة من الحديث فیتعین علیه طلبه وروايته والجد والتشمير في ذلك، ليأخذ الدين عن أصول صحيحة، ويتلقى الأحكام عن صاحبها المبلغ لها عن الله. وإنما أقل منهم من أقل الرواية، لأجل المطاعين التي تعترضه فيها والعلل التي تغمض في طرقها، سيما والجرح مقدم عند الأكثر، فيؤديه الاجتهاد إلى ترك الأخذ بما يعرض مثل ذلك فيه من الأحاديث وطرق الأسانيد، ويكثر ذلك فتقل روايته لضعف الطرق، هذا مع أن أهل الحجاز أكثر رواية للحديث من أهل العراق، لأن المدينة دار الهجرة ومأوى الصحابة، ومن انتقل منهم إلى العراق كان شغلهم بالجهاد أكثر. والإمام أبو حنيفة إنما قلت روايته لما شدد في شروط الرواية والتحمل، فاستضعبت، [وضعف الحديث إذا عارضه القطعي فاستضعف العقلي]، قلت من أجلها روايته فقل حديثه، لا أنه ترك رواية الحديث متعمداً، فحاشاه من ذلك. ويدل على أنه من كبار المجتهدين في علم الحديث، اعتماد مذهبه بينهم، والتعويل عليه، واعتباره رداً وقبولاً. وأما غيره من المحدثين وهم الجمهور، فتوسعوا في الشروط وكثر حديثهم، والكُلُّ عن اجتهاد. وقد توسع أصحابه من بعده في الشروط وكثرت روايتهم. وروى الطحاوي فأكثر، وكتب مسنده وهو جليل الثمر، إلا أنه لا يعدل الصحيحين، لأن الشروط التي اعتمدها البخاري ومسلم في كتابيها مجمعة عليها بين الأمة كما قالوه، وشروط الطحاوي غير متفق عليها، كالرواية عن المستور الحال وغيره. فلماذا قدم الصحيحان، بل وكتب السنن المعروفة، عليه، لتأخر شرطه عن شروطهم. ومن أجل هذا قيل في الصحيحين بالإجماع على قبولهما من جهة الإجماع على صحة ما فيهما على الشروط المتفق عليها. فلا تأخذك ريبة في ذلك، فالقوم أحق الناس بالظن الجميل بهم، والتماس الخارج الصحيحة لهم.

وَمُخْتَلَفٌ، وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ. هَذَا مُعْظَمُ مَا يَنْظَرُ فِيهِ أَهْلُ الْحَدِيثِ وَغَالِبُهُ. وَكَانَتْ أَحْوَالُ ثَقَلَةِ الْحَدِيثِ فِي عُصُورِ السَّلَفِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ مَعْرُوفَةً، كُلٌّ عِنْدَ أَهْلِ بَلَدِهِ. فَمِنْهُمْ بِالْحِجَازِ، وَمِنْهُمْ بِالْبَصْرَةِ، وَالْكُوفَةِ مِنَ الْعِرَاقِ، وَمِنْهُمْ بِالشَّامِ، وَمِصْرَ، وَالْجَمِيعُ مَعْرُوفُونَ مَشْهُورُونَ فِي أَعْصَارِهِمْ. وَكَانَتْ طَرِيقَةُ أَهْلِ الْحِجَازِ فِي 5 أَعْصَارِهِمْ فِي الْأَسَانِيدِ أَعْلَى مِمَّنْ سِوَاهُمْ وَأَمْتَنَ فِي الصَّحَّةِ، لِاسْتِدَادِهِمْ فِي شُرُوطِ النَّقْلِ مِنَ الْعَدَالَةِ وَالضَّبْطِ، وَتَجَافِيهِمْ عَنِ قَبُولِ الْمَجْهُولِ الْحَالِ فِي ذَلِكَ.

وسَيَدُّ<sup>(أ)</sup> الطَّرِيقَةَ الْحِجَازِيَّةَ بَعْدَ السَّلَفِ، الْإِمَامُ مَالِكٌ، عَالِمُ الْمَدِينَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثُمَّ أَصْحَابُهُ، مِثْلُ الْإِمَامِ مُحَمَّدِ بْنِ إِدْرِيسَ الشَّافِعِيِّ \* وَالْقَعْنَبِيِّ وَابْنِ وَهْبٍ، وَمَنْ بَعْدَهُمْ \*<sup>(ب)</sup> الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، وَأَمْثَالُهُمْ.

وَكَانَ عِلْمُ الشَّرِيعَةِ فِي مَبْدَأٍ [هَذَا] <sup>(ج)</sup> الْأَمْرُ نَقْلًا صِرْفًا؛ وَشَمَّرَ لَهَا السَّلَفُ 10 وَتَحَرَّوْا الصَّحِيحَ حَتَّى أَكْمَلُوهَا. وَكَتَبَ مَالِكٌ رَحِمَهُ اللَّهُ كِتَابَ<sup>(د)</sup> الْمَوْطَأَ، أَوْدَعَهُ

(أ) فِي ي: مَسَد (ب) مَسَقَطُ مَا بَيْنَ النَجْمَيْنِ مِنْ ي (ج) مِنْ ي (د) فِي ج: كِتَابُهُ.

= ثُمَّ<sup>(أ)</sup> مِنْ عُلُومِ الْحَدِيثِ تَصْرِيفُ هَذَا الْقَانُونِ فِي الْكَلَامِ عَلَى الْأَحَادِيثِ وَاجِدًا وَاجِدًا فِي أَبْوَابِهَا وَتَرَاجُمِهَا فِي تَفَاسِيرِ هَذِهِ الْمَسَانِيدِ، كَمَا فَعَلَهُ الْحَافِظُ أَبُو عَمْرِو بْنُ عَبْدِ الْبَرِّ، وَأَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ خَزْمٍ، وَالْقَاضِي عِيَّاضُ، وَمُخِي الدِّينِ التَّوَوِّي، وَابْنُ الْعَطَاءِ مِنْ بَعْدِهِمَا. وَكَثِيرٌ مِنْ أَيْمَةِ الْمَغَارِبَةِ وَالْمَشَارِقَةِ، وَإِنْ كَانَ فِي كَلَامِهِمْ عَلَى تِلْكَ الْأَحَادِيثِ غَيْرُ ذَلِكَ مِنْ فِقْهِ مُتُونِهَا وَلُغَتِهَا وَإِعْرَاجِهَا، إِلَّا أَنَّ كَلَامَهُمْ فِي أَسَانِيدِهَا بِصَنَاعَةِ الْحَدِيثِ أَوْعَبُ، وَأَكْثَرُ هَذِهِ .....<sup>(ب)</sup> عُلُومِ الْحَدِيثِ الْمَتَدَاوِلَةِ بَيْنَ أَيْمَةِ الْأَعْصَارِ لِهَذَا الْعَهْدِ، وَاللَّهُ الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ وَالْمَعِينُ عَلَيْهِ.

(أ) مِنْ هُنَا إِلَى الْآخِرِ، حَاشِيَةٌ بِخَطِّ نَسَخٍ مُتَأَخِّرٍ (ب) كَلِمَةٌ غَيْرُ مَفْرُوءَةٍ.

أصول الأحكام من الصحيح المتفق عليه، ورَبَّته على أبواب الفقه. ثم غني الحفظ بمعرفة طُرُق الأحاديث وأسانيدها المختلفة. وربّما يقع إسناد الحديث من طرق متعددة وعن رِوَاة مُخْتَلِفِينَ، وقد يقع الحديث أيضاً في أبواب متعددة باختلاف المعاني التي اشتمل عليها. / وجاء محمد بن إسماعيل البخاري إمام المحدثين لعصره، [300ب]

5 فخرج أحاديث السُّنَّة على أبوابها في مُسْنَدِهِ الصحيح، بجميع الطُّرُق التي للحجازيين والعراقيين والشَّامِيِّين. واعتمد منها ما أجمعوا عليه دون ما اختلفوا فيه<sup>(1)</sup>، وكرّر الأحاديث يسوقها في كلّ باب بمعنى ذلك الباب الذي تضمّنه الحديث، فتكرّرت لذلك أحاديثه، حتّى يُقال: إنّه اشتمل على سبعة آلاف حديث ومائتين، منها ثلاثة آلاف متكرّرة، وفَرَّق الطرق والأسانيد عليها مُختلفة في كلّ باب.

10 ثم جاء الإمام مسلم بن الحجاج القشيري رحمه الله، فألّف مُسْنَدَهُ الصحيح، حدّا فيه حدّو البخاري في نقل المُجمَع عليه، وحذف المتكرّر منها، وجمع الطرق والأسانيد، ويوّبه على أبواب الفقه وتراجمه. ومع ذلك فلم يستوعب الصحيح كلّهُ، وقد استدرك الثّاس عليها في ذلك. ثم كتب أبو داود السّجستاني، وأبو عيسى الترمذي، وأبو عبد الرحمن النسوي في السُّنَنِ بأوسع من الصحيح، وقصدوا ما توقّرت فيه شروط العمل، إمّا من الرّتبة العالية في الإسناد، وهو الصحيح كما هو 15 معرُوف، وإمّا من الذي دونه من الحسّن وغيره، ليكون ذلك إماماً للسُّنَّة والعمل بها. وهذه هي [المسانيد]<sup>(ب)</sup> المشهورة في المِلَّة، وهي أمّهاتُ كُتُب الحديث في السُّنَّة. فإنّها وإن تعدّدت فترجع إلى هذه في الأغلب.

(1) سقط من ج (ب) من ج ي، وفي ظ: الأسانيد.

ومعرفة هذه الشروط والاضطلاحات كلها هي علم الحديث. وربما تفرّد عنها  
 النَّاسِخُ والمنسوخُ فيجعلُ فتناً برأسه، وكذا الغريبُ، وللناس فيه تواليُف مشهورة،  
 ثمَّ المؤتلفُ والمختلفُ. وقد ألف الناس في علوم الحديث وأكثروا. ومن فحول علمائه  
 وأيمتهم أبو عبدالله الحاكم، وتواليُفه فيه مشهورة، وهو الذي هدّبه وأظهر محاسنَه.  
 5 وأشهرُ كتابٍ للمتأخّرين فيه، كتابُ أبي عمرو ابن الصّلاح، كان لعهد أوائل المائة  
 السّابعة، وتلاهُ مُحيي الدّين النّوويّ بمثل ذلك. والفضُّ شريفٌ في مغزاه لأنّه معرفة  
 ما تحفظُ به السّننُ المنقولةُ عن صاحب الشريعة.

[301] وقد انقطعَ لهذا العهد / تخرجُ شيءٌ من الأحاديثِ واستدراكها على المتقدّمين؛  
 إذ العادةُ تشهدُ بأنّ هؤلاء الأئمة على تعدّدهم وتلاحق عُصورهم وكفائتهم واجتهادهم  
 10 لم يكونوا ليُغفلوا شيئاً من السّنة أو يتركوه حتّى يَغثُر عليه المتأخّر؛ هذا بعيدٌ عنهم.  
 وإنّا ننصرف العناية لهذا العهد إلى توضيح الأمّهات المكتوبة، وضبطها بالرواية عن  
 مصنّفها، والنظر في أسانيدِها إلى مؤلّفها، وعرض ذلك على ما تقرّر في علوم  
 الحديث من الشروط والأحكام، لتتصلّ الأسانيدُ محكمة إلى مُنتهاها. ولم يزيدوا في  
 ذلك على العناية بأكثر من هذه الأمّهات الخمس إلّا في القليل.

15 فأما البخاريُّ، وهو أعلاها رتبة، فاشتصّب النَّاس شرحه، واستغلّقوا منحاؤه،  
 من أجل ما يُحتاج إليه من معرفة الطّرق المتعدّدة، ورجالها من أهل الحجاز  
 والشّام والعراق، ومعرفة أحوالهم واختلاف النَّاس فيهم، وكذلك يُحتاج إلى إمعان  
 النّظر في التّفقّه في تراجمه، لأنّه يترجمُ الترجمة ويوردُ فيها الحديث بسننٍ أو طريقٍ،

ثم يترجم أخرى ويورد فيها ذلك الحديث بعينه لما تَضَمَّنَهُ من المعنى الذي تَرَجَّم به الباب، وكذلك في تَرْجَمَةٍ وترجمة إلى أن يتكرر الحديث في أبواب كثيرة بحسب معانيه واختلافها. ومن شَرَحَهُ ولم يَسْتَوْفِ هذا فيه، فلم يُوفِ حقَّ الشرح، كابن بَطَّال وابن المهلب وابن التين، ونحوهم. ولقد سمعتُ كثيراً من شيوخنا، رحمهم الله، يقولون : شرح كتاب البخاري، دَيْنٌ على الأمة . يعنون أن أحداً من علماء الأمة لم يوفِّ ما يَجِبُ له من الشرح بذلك الاعتبار.

أما<sup>(1)</sup> صحيح مُسْلِم، فكثُرَت عناية علماء المغرب به، وأكْبَرُوا عليه، وأجمعوا على تفضيله على كتاب البخاري. قال ابن الصلاح<sup>(2)</sup>: وإنما يُفَضَّل على كتاب البخاري بما وَقَعَ فيه من تجريده عما مَزَجَ به البخاري كتابه من غير الصحيح مما لم يَكُنْبه على شرطه. وأكثر ما وَقَعَ له في التراجم.

10

[301 ب] وأَمَلَى الإمام المازري من فقهاء المالكية / عليه شرحاً وسماه: المعلم بفوائد مُسْلِم، واشتَمَلَ على عُيُونٍ من علم الحديث ومَتِنٍ من<sup>(ب)</sup> الفقه. ثم أَكْمَلَهُ القاضي عياض من بعده وتَمَّمَهُ وسماه: إكمال المعلم. وتلاهما مُحِيي الدين النَّوَوِيُّ بشرح استَوْفَى ما في الكتابين، وزاد عليهما، وجاء شرحاً وافياً.

15 وأما كُتُبُ السُّنَنِ الأخرى وفيها مُعْظَم ما خِذَ الفقهاء، فأكثُرُ شَرْحِها في كُتُبِ الفقه، إلا ما يَخْتَصُّ بعلم الحديث، فكَتَبَ النَّاسُ عليها، واستَوْفَوْا من ذلك ما

(1) في ي: وأما (ب) سقط من ج .

(1) المقدمة : ص 161 .

يُجْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ عُلُومِ الْحَدِيثِ وَمَوْضُوعَاتِهَا، وَالْمَسَانِيدِ الَّتِي اشْتَمَلَتْ عَلَى الْأَحَادِيثِ الْمَعْمُولِ بِهَا مِنَ السُّنَّةِ.

وَعَلِمَ أَنَّ الْأَحَادِيثَ قَدْ تَمَيَّزَتْ مَرَاتِبُهَا لِهَذَا الْعَهْدِ بَيْنَ صَحِيحٍ وَحَسَنِ وَضَعِيفٍ وَمَغْلُولٍ<sup>(1)</sup> وَغَيْرِهَا، مَيَّزَهَا أَيْمَةُ الْحَدِيثِ وَجَهَابُذُهُ، وَعَرَفُوهَا وَلَمْ يَتَّقَ طَرِيقَ فِي تَضَحِيحِ مَا لَمْ يَصِحَّ مِنْ قَبْلُ، وَلَقَدْ كَانَ الْأَيْمَةُ فِي الْحَدِيثِ يَعْرِفُونَ الْأَحَادِيثَ بِطُرُقِهَا وَأَسَانِيدِهَا، بَحِثُ لَوْ رُوِيَ حَدِيثٌ بِغَيْرِ سَنَدِهِ وَطَرِيقِهِ تَقَطَّنُوا إِلَى أَنَّهُ قَدْ قَلِبَ عَنْ وَضْعِهِ. وَلَقَدْ وَقَعَ مِثْلُ ذَلِكَ لِلْإِمَامِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْبَخَارِيِّ حِينَ وَرَدَ عَلَى بَغْدَادَ، وَقَصَدَ الْمَحْدَثُونَ امْتِحَانَهُ، فَسَأَلُوهُ عَنْ أَحَادِيثَ قَلَبُوا أَسَانِيدَهَا، فَقَالَ: لَا أَعْرِفُ هَذِهِ، وَلَكِنْ حَدَّثَنِي فَلَانٌ، ثُمَّ أَتَى بِجَمِيعِ تِلْكَ الْأَحَادِيثِ عَلَى الْوَضْعِ الصَّحِيحِ، وَرَدَّ كُلَّ مِثْنٍ إِلَى سَنَدِهِ، فَأَقَرُّوا لَهُ بِالْإِمَامَةِ<sup>(1)</sup>.

وَعَلِمَ أَيْضًا أَنَّ الْأَيْمَةَ الْمُجْتَهِدِينَ تَفَاوَتُوا فِي الْإِكْثَارِ مِنْ هَذِهِ الْبِضَاعَةِ وَالْإِفْلَالِ، فَأَبُو حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى<sup>(ب)</sup> يُقَالُ: إِنَّهُ إِنَّمَا بَلَغَتْ رِوَايَتُهُ إِلَى سَبْعَةِ عَشَرَ حَدِيثًا أَوْ نَحْوَهَا، وَمَالِكٌ رَحِمَهُ اللَّهُ إِنَّمَا صَحَّ عِنْدَهُ مَا فِي كِتَابِ الْمُوَطَّأِ، وَغَايَتُهَا اثْنَاثُمَاةَ حَدِيثٍ<sup>(ج)</sup> أَوْ نَحْوَهَا، وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ [رَحِمَهُ اللَّهُ]<sup>(د)</sup> فِي مُسْنَدِهِ خَمْسُونَ أَلْفَ حَدِيثٍ، وَالْكُلُّ عَلَى مَا أَدَّاهُ إِلَيْهِ اجْتِهَادُهُمْ فِي ذَلِكَ.

(1) كذا، ومصطلح المحدثين: مُغْلٍ (ب) سقط من ج ي (ج) سقط من ج ظ، وفراغ كلمتين في ي، والتكلمة من ع (د) من ي .

(1) الخبر في تاريخ مدينة السلام للخطيب البغدادي 2: 340، وسير أعلام النبلاء للذهبي 12: 408 .

وقد يقول بعض المتعصّبين المتعسّفين أنّ منهم من كان قليل البضاعة في الحديث ، ولهذا قلّت روايته . ولا سبيل إلى هذا المعتقد في كبار الأئمة ، لأنّ الشريعة / إنّما تؤخذ من الكتاب والسنة ، ومن كان قليل البضاعة من الحديث فيتعيّن عليه طلبه وروايته والجدّ والتّشمير في ذلك ، ليأخذ الدّين عن أصول صحيحة ، ويتلقّى الأحكام عن صاحبها المبلّغ لها عن الله . وإنّما أقلّ منهم من أقلّ 5 الرواية لأجل المطاعين التي تعترضه فيها والعلل التي تغمض في طرقها، سيّما والجرح مقدّم عند الأكثر، فيؤدّيه الاجتهاد إلى ترك الأخذ بما يغرض مثل ذلك فيه من الأحاديث وطرق الأسانيد، ويكثر ذلك <sup>(١)</sup>، فتقلّ روايته لضعف الطرق. هذا مع أنّ أهل الحجاز أكثر رواية للحديث من أهل العراق، لأنّ المدينة دار الهجرة ومأوى الصحابة، ومن انتقل منهم إلى العراق كان شغلهم بالجهاد أكثر. والإمام أبو حنيفة إنّما 10 قلّت روايته لما شدّد في شروط الرواية والتّحمل، \* [وضعف الحديث إذا عارضه العقل القطعي] <sup>(ب)</sup> \* <sup>(ج)</sup> فاستضعب <sup>(د)</sup>، وقلّت من أجلها روايته، فقلّ حديثه، لا أنّه ترك رواية الحديث متعمّداً، فحاشاه من ذلك. ويدلّك على أنّه من كبار المجتهدين في علم الحديث اعتماد مذهبه بينهم، والتعويل عليه واعتباره ردّاً وقبولا. وأما غيره من المحدثين وهم الجمهور، فتوسّعوا في الشروط وكثّر حديثهم ، والكُلّ عن اجتهاد . وقد 15 توسّع أصحابه من بعده في الشروط وكثرت روايتهم. وروى الطحاوي فأكثروا كتب مسنده، وهو جليل القدر، إلّا أنّه لا يغدّل الصّحيحين، لأنّ الشروط التي اعتمدها

(١) في ي: وكثّر لذلك (ب) في ج: العقل القطعي (ج) سقط ما بين النجمين من ط ي (د) من ي، وفي ط ج: فاستضعبت .

البخاري ومُسْلِم في كتابَيْهما مُجْمَع عليهما بين الأُمَّة كما قالوه، وشُرُوط الطَّحاوي غير مُتَّفِق عليهما، كالرَّواية عن المُستور الحال وغيره. فلهذا قُدِّم الصَّحيحان، بل وكتبُ السُّنَنِ المعروفةُ عليه، لتأخُّر شَرْطِه عن شُرُوطِهم. ومن أَجل هذا قيل في الصَّحيحَيْن بالإجماع على قبولهما من جَمَّة الإجماع على صِحَّة ما فيها على الشُّروط المُتَّفِقِ عليهما. فلا تأخذكَ رِيبَةٌ في ذلك ؛ فالقُومُ أَحَقُّ النَّاسِ بِالظَّنِّ<sup>(١)</sup> الجميل بهم، والتَّماس المَخارج / الصَّحيحة لَهم. والله الهادي إلى الحَقِّ والمعِين عليه.

[302ب]

### 13 • الفِقهُ وما يَتَّبَعُه من الفَرَائضِ<sup>(ب)</sup>

والفِقهُ هو مَعْرِفَةُ أَحْكامِ اللَّهِ تعالى في أفعال المُكَلَّفِينَ، بالوُجوب، والحُظُر، والنَّذْب، والكَراهَةِ، والإِباحَةِ. وهي مُتَلَقَّاةٌ من الكتاب والسُّنَّة، وما نَصَبَهُ الشَّارِعُ لمَعْرِفَتِها من الأدِلَّة. فإذا اسْتُخْرِجَتِ الأحكامُ من تلك الأدِلَّة قيل لها: فِقه.

وكان السَّلَفُ يَسْتَخْرِجونَها من تلك الأدِلَّة على اِختِلافٍ فيها بينهم لا بُدَّ من وُقوعه، ضرورة أَنَّ الأدِلَّةَ غالِبُها من النَّصوص، وهي بِلُغَةِ العَرَب، وفي [اِقتِضاءاتِ أَلْفاظِها]<sup>(ج)</sup> خِلافٌ بَيْنَهم مَعروفٌ. وأيضاً فالسُّنَّةُ مُخْتَلَفَةٌ الطُّرُقِ في الثَّبوتِ، وتَتعارَضُ في الأكثرِ أَحكامُها، فتَحْتَاجُ إلى التَّرْجيحِ، وهو مُخْتَلَفٌ. وأيضاً فالأدِلَّةُ من غير النَّصوص مُخْتَلَفٌ فيها. وأيضاً فالوَقائِعُ المُتَجَدِّدةُ لا توفِي بها النَّصوصُ، وما

(١) ي : بالنظر (ب) كتب المؤلف قسماً كبيراً من هذا الفصل في الأصل ع بخطه (ج) من ع ج ي ، وفي ظ: الكثير من معانيها .



كان منها غير داخل في التصوص فيُحتمل على منصوص [لمشابهة]<sup>(أ)</sup> يئنها. وهذه كلها مشارات<sup>(ب)</sup> للخلاف ضرورة الوقوع. ومن هنا وقع الخلاف بين السلف والأئمة من بعدهم.

ثم إن الصحابة لم يكونوا كلهم أهل فُتيا ، ولا كان الدين يؤخذ عن جميعهم، وإنما كان ذلك مختصاً منهم بالحاقلين للقرآن، العارفين بناسخه ومنسوخه، ومُتشابهه 5 ومُحكّمه وسائر دلالاته، بما تلقّوه من النبي ﷺ أو ممن سمعوه منه من عليّتهم. وكانوا يُسمّون لذلك القراء، أي الذين يقرأون الكتاب. لأن العرب كانوا أمة أمية، فاختص من كان منهم قارئاً للكتاب بهذا الاسم، لغرابته يؤمّئذ. وبقي الأمر كذلك صدر الملة. ثم عظمت أمصار الإسلام، وذهبت الأمية عن العرب بممارسة الكتاب، وتمكّن الاستنباط ، وكمل الفقه وأصبح صناعة وعلماً ، فبدّلوا باسم الفقهاء 10 والعلماء من القراء.

[303] وانقسم الفقه فيهم إلى طريقتين : طريقة أهل الرأي / والقياس ، وهم أهل العراق، وطريقة [أهل]<sup>(ج)</sup> الحديث، وهم أهل الحجاز. وكان الحديث قليلاً في أهل العراق، لما قدّمناه، فاستكثروا من القياس ومهروا فيه. فلذلك قيل لهم: أهل الرأي. ومقدّم جماعتهم الذي استقرّ المذهب فيه وفي أصحابه، الإمام أبو حنيفة، وإمام 15 أهل الحجاز، مالك بن أنس، والشافعي من بعده.

(أ) من ع، وفي ظ ي ج: بمشابهة (ب) من ظ ي، وفي ع: إثارات، وفي ج: شارات (ج) سقط من ظ .

ثم أنكر القياس طائفة من العلماء وأبطلوا العمل به، وهم الظاهريّة، وجعلوا مدارك الشرع كلّها منحصرة في النصوص والإجماع، وردّوا القياس الجليّ والعلة المنصوصة إلى النصّ، لأنّ النصّ على العلة نصّ على الحكم في جميع محالّها. وكان إمام هذا المذهب داود بن عليّ وابنه وأصحابهما.

5 فكانت هذه المذاهب الثلاثة هي مذاهب الجمهور المشتهرة بين الأمة.

وشدّ أهل البيت بمذهب ابتدعوه وفقه انفردوا به، ويتّوه على مذهبهم في تناول بعض الصحابة بالقدح، وعلى قولهم بعصمة الأيّمة ورفع الخلاف عن أقوالهم. وهي كلّها أصول واهية.

10 وشدّ بمثل ذلك الخوارج. ولم يخفّل الجمهور بمذاهبهم، بل أوسعوها جانب الإنكار والقدح، فلا يعرف شيء من مذاهبهم ولا تروى كتبهم ولا أثر لشيء منها إلا في مواطنهم.

فكتب الشيعة في بلادهم وحيث كانت دولهم قائمة في المغرب والمشرق واليمن، والخوارج كذلك. ولكلّ منهم كتب وتوايف وآراء في الفقه غريبة.

15 ثم درس مذهب أهل الظاهر اليوم بدروس أيمته وإنكار الجمهور على منتهله، ولم يبق إلا في الكتب المجلدة. وربّما يغكّف كثير من البطالين من يكلف باشتغال مذهبهم على تلك الكتب، يروم أخذ فقههم منها ومذهبهم، فلا يخلو بطائل، ويصير إلى مخالفة الجمهور وإنكارهم عليه. وربّما عدّ بهذه النحلة في أهل البدع، بتلقينه العلم من الكتب من غير مفتاح المعلمين. وقد فعل ذلك ابن حزم بالأندلس،

[303ب] على علو رتبته / في حفظ الحديث ، وصار إلى مذهب أهل الظاهر ، ومهر فيه باجتهاد زعمه في أقوالهم؛ وخالف إمامهم داود ، وتعرض للكثير من أئمة المسلمين، فنقم الناس ذلك عليه، وأوسعوا مذهبه استهجاناً وإنكاراً، وتلقوا كتبه بالإغفال والترك، \*حتى إنها ليخطر بيعها بالأسواق، وربما تُشَرَّق بعض الأحيان\*<sup>(١)</sup>.

5 ولم يبق إلا مذاهب أهل الرأي من العراق، وأهل الحديث من الحجاز.

فأما أهل العراق، فإمامهم الذي استقرت عنده مذاهبهم، أبو حنيفة النعمان ابن ثابت. فمقامه في الفقه لا يلحق، شهد له بذلك أهل جلده، وخصوصاً مالكا والشافعي.

وأما أهل الحجاز ، فكان إمامهم مالك بن أنس الأصبحي ، إمام دار الهجرة رحمه الله. واختص بزيادة مدرك آخر للأحكام غير المدارك المعتبرة عند غيره، وهو عمل أهل المدينة. لأنه رأى أنهم فيما يتفقون<sup>(ب)</sup> عليه من فعل أو ترك متابعون لمن قبلهم ضرورة ، لديهم [واقتيديهم]<sup>(ج)</sup>، وكذا إلى الجيل المباشرين لفعل النبي ﷺ، الآخذين ذلك عنه . وصار ذلك عنده من أصول الأدلة الشرعية. وظن كثير أن ذلك من مسائل الإجماع، فأئكره. لأن دليل الإجماع لا يخص أهل المدينة من سواهم، بل هو شامل للأمة.

واعلم أن الإجماع إنما هو الاتفاق على الأمر الديني عن اجتهاد. ومالك رحمه الله<sup>(د)</sup> لم يعتبر عمل أهل المدينة من هذا المعنى، وإنما اعتبره من حيث اتباع

(١) ما بين النجمين ورد في ط ع ج، ومشطوب في ي (ب) في ي: ينفقون محالة، وفي ج: يتفقون (ج) في ط: اقتدارهم (د) من ي ع.

الجيل بالمشاهدة للجيل بالمشاهدة، إلى أن يَنْتَهِى إلى الشارع صلوات الله عليه،  
 وضرورة اقتدائهم تُعَيِّن ذلك. نَعَمْ، المسألة ذِكِرَتْ في باب الإجماع، لأنَّه أَلِيْقُ  
 الأبواب بها من حيث ما فيها من الاتفاق الجامع بينها وبين الإجماع. إلاَّ أنَّ اتفاق  
 أهل الإجماع عن اجتهاد ورأي<sup>(أ)</sup>، بالنظر في الأدلة؛ واتفاق هؤلاء في فعل أو  
 ترك، مُستَندِين إلى مشاهدة من قَبْلَهُمْ. ولو ذَكَرْتَ المسألة في باب فعل النَّبِيِّ ﷺ 5  
 وتقريره<sup>(ب)</sup>، أو مع الأدلة / المختلف فيها، مثل شَرْع من قَبْلَنَا، ومذهب الصحابي،  
 والاستصحاب، لكان أَلِيْقَ بها. \*والله الموفق للصواب\*<sup>(ج)</sup>.

[304 أ]

ثمَّ كان من بَعْد مالِك بن أَنَس، مُحَمَّد بنُ إِدْرِيس المَظَلِّي الشَّافِعِي، رحمه الله،  
 رحَلَ إلى العِراق من بَعْد مالِك، وَلَقِيَ أَصْحَابَ الإِمَامِ أَبِي حَنِيفَةَ وأَخَذَ عَنْهُمْ، وَمَزَجَ  
 طَرِيقَةَ أَهْلِ الحِجَاز بِطَرِيقَةِ أَهْلِ العِراق. واختَصَّ بِمَذْهَبٍ، وخَالَفَ مالِكاَ رَحِمَهُ اللهُ 10  
 في كَثِيرٍ من مَذَاهِبِهِ<sup>(د)</sup>.

وجاء من بَعْدَهُمَا أَحْمَدُ بنُ حَنْبَلٍ [رحمه الله]<sup>(هـ)</sup>، وكان من عِلْيَةِ المُحَدِّثِينَ.  
 وَقَرَأَ أَصْحَابُهُ عَلَى أَصْحَابِ أَبِي حَنِيفَةَ، مع وَفُورِ بَضَاعَتِهِم من الحديث. [فاختَصُّوا]<sup>(و)</sup>  
 بِمَذْهَبٍ آخَرَ.

ووقف التَّقْلِيدُ في الأَمصارِ عند هؤلاء الأَرْبَعَةِ، ودرَسَ المُقَلِّدُونَ لِمَن سِوَاهُمْ. 15  
 وَسَدَّ النَّاسُ بابَ الخِلافِ وطُرُقَهُ لِمَا كَثُرَ من شُعْبِ الاضْطِلاحاتِ في العُلُومِ، ولَمَّا  
 عاقَ عن الوُصولِ إلى رُتْبَةِ الاجْتِهَادِ، ولَمَّا خُشِيَ من إسنَادِ ذلكِ إلى غَيْرِ أَهْلِهِ ومن  
 لا يوثِقُ بِرَأْيِهِ ولا بِدِينِهِ؛ فَصَرَّحُوا بِالْعَجزِ والإِغْوَازِ، وَرَدُّوا النَّاسَ إلى تَقْلِيدِ هؤلاء،

(أ) في ي: ونظر (ب) سقط من ج (ج) سقط من ج ي (د) ي: مذهبه (هـ) من ي (و) في ظ: فاخص.

كُلٌّ وَمِنْ اخْتَصَّ بِهِ مِنَ الْمُقَلِّدِينَ، وَحَظَرُوا أَنْ يُتَدَاوَلَ تَقْلِيدُهُمْ لِمَا فِيهِ مِنَ التَّلَاعِبِ. وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا نَقْلُ مَذَاهِبِهِمْ، وَعَمِلَ كُلُّ مُقَلِّدٍ بِمَذْهَبٍ مِنْ قَلْدِهِ مِنْهُمْ بَعْدَ تَضَحِيحِ الْأُصُولِ وَاتِّصَالِ سَنَدِهَا بِالرَّوَايَةِ، لَا مَحْصُولَ الْيَوْمَ لِلْفِقْهِ غَيْرُ هَذَا. وَمُدَّعَى الْجَهْدِ لِهَذَا الْعَهْدِ مُرَدُّهُ عَلَى عَقِبِهِ مَهْجُورٌ تَقْلِيدُهُ.

5 وقد صار أهل الإسلام اليوم على تقليد هؤلاء الأربعة.

فَأَمَّا ابْنُ حَنْبَلٍ، فَمُقَلِّدٌ قَلِيلٌ، [البُغْدَ مَذْهَبُهُ عَنِ الْجَهْدِ، وَأَصَالَتُهُ فِي مُعَاَصِدَةِ الرَّوَايَةِ وَالْأَخْبَارِ بَعْضًا بَعْضًا] <sup>(1)</sup> وَأَكْثَرُهُمْ بِالشَّامِ وَالْعِرَاقِ مِنْ بَغْدَادَ وَنَوَاحِيهَا. وَهُمْ أَكْثَرُ النَّاسِ حِفْظًا لِلسُّنَّةِ وَرَوَايَةً لِلْحَدِيثِ [وَمِثْلًا بِالِاسْتِنْبَاطِ إِلَيْهِ عَنِ الْقِيَاسِ مَا أَمَّكَنَ]. وَكَانَ لَهُمْ بِبَغْدَادَ كَثْرَةٌ وَصَوْلَةٌ، حَتَّى كَانُوا يَتَوَاقَعُونَ مَعَ الشَّيْعَةِ فِي نَوَاحِيهَا، وَعَظَّمَتِ الْفِتْنَةُ بِبَغْدَادَ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ. ثُمَّ انْقَطَعَ ذَلِكَ عِنْدَ اسْتِيلَاءِ الطُّطَرِ عَلَيْهَا، وَلَمْ يَرَجَعْ، وَصَارَتْ كَثْرَتُهُمْ بِالشَّامِ] <sup>(ب)</sup>.

وَأَمَّا أَبُو حَنِيفَةَ، فَمُقَلِّدُهُ الْيَوْمَ أَهْلُ الْعِرَاقِ وَمُسْلِمَةُ الْهِنْدِ وَالصِّينِ وَمَا وَرَاءَ النَّهْرِ، وَبِلَادُ الْعَجَمِ كُلُّهُمْ، لِمَا كَانَ مَذْهَبُهُ أَخَصَّ بِالْعِرَاقِ وَدَارِ الْإِسْلَامِ، وَكَانَ تَلْمِيزُهُ صَحَابَةَ الْخُلَفَاءِ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ. فَكَثُرَتْ تَوَالِيْفُهُمْ وَمُنَاطَرَاتُهُمْ مَعَ الشَّافِعِيَّةِ، وَ[حَسُنَتْ] <sup>(ج)</sup> / مَنَاجِيهِمْ <sup>(د)</sup> فِي الْخِلَافَاتِ، وَجَاءُوا مِنْهَا بِعِلْمٍ مُسْتَطَرَفٍ وَأَنْظَارٍ غَرِيبَةٍ. وَهِيَ بَيْنَ أَيْدِي النَّاسِ. وَبِالْمَغْرِبِ مِنْهَا شَيْءٌ قَلِيلٌ، نَقَلَهُ إِلَيْهِ الْقَاضِي ابْنُ الْعَرَبِيِّ <sup>(1)</sup> وَأَبُو الْوَلِيدِ الْبَاجِي فِي رَحْلَتِهِمَا.

(1) مِنْ ي (ب) مِنْ ع ج ، وَسَقَطَ مِنْ ظ ي (ج) سَقَطَ مِنْ ظ (د) كَذَا، وَلَعَلَّهَا: مَبْنَحْتُهُمْ .

(1) قَانُونُ التَّأْوِيلِ: 76 - 77 .

وَأَمَّا الشَّافِعِيُّ [رحمه الله]<sup>(١)</sup>، فَمُقَلِّدُوهُ بِمَضَرٍ أَكْثَرُ مِمَّا سِوَاهَا. وَقَدْ كَانَ انْتَشَرَ  
مَذْهَبُهُ بِالْعِرَاقِ وَخُرَاسَانَ وَمَا وَرَاءَ النَّهْرِ، وَقَاسَمُوا الْحَنْفِيَّةَ الْفَتَوَى وَالتَّدْرِيسَ فِي  
جَمِيعِ الْأَمْصَارِ، وَعَظُمَتِ مَجَالِسُ الْمَنَظَرَاتِ بَيْنَهُمْ، وَشُجِنَتْ كُتُبُ الْخِلَافِيَّاتِ بِأَنْوَاعِ  
اسْتِدْلَالِهِمْ. ثُمَّ دَرَسَ ذَلِكَ كُلُّهُ بِدُرُوسِ الْمَشْرِقِ وَأَقْطَارِهِ.

- 5 [وَكَانَ الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ الشَّافِعِيُّ لَمَّا نَزَلَ<sup>(ب)</sup> عَلَى بَنِي عَبْدِ الْحَكَمِ بِمَضَرَ،  
أَخَذَ عَنْهُ جَمَاعَةٌ \* مِنْهُمْ. وَكَانَ مِنْ تَلْمِيزِهِ بِهَا الْبُؤَيْطِيُّ، وَالْمُزَنِّيُّ، وَغَيْرُهُمْ. وَكَانَ بِهَا مِنْ  
الْمَالِكِيَّةِ جَمَاعَةٌ \*<sup>(ج)</sup> مِنْ بَنِي عَبْدِ الْحَكَمِ، وَأَشْهَبُ، وَابْنُ الْقَاسِمِ، وَابْنُ الْمَوَّازِ، وَغَيْرُهُمْ،  
ثُمَّ الْحَارِثُ بْنُ مِسْكِينٍ، وَبَنُوهُ، \* ثُمَّ الْقَاضِي أَبُو إِسْحَاقَ ابْنَ شُعْبَانَ وَأَصْحَابُهُ \*<sup>(د)</sup>. ثُمَّ  
انْقَرَضَ فَقْهُ أَهْلِ السُّنَّةِ [وَالْجَمَاعَةِ]<sup>(هـ)</sup> مِنْ مَضَرَ بِظُهُورِ دَوْلَةِ الرَّافِضَةِ. وَتَدَاوَلَ بِهَا فَقْهُ  
10 أَهْلِ الْبَيْتِ، [وَكَادَ مَنْ سِوَاهُمْ أَنْ يَتَلَاشَوْا وَيَذْهَبُوا. وَارْتَحَلَ إِلَيْهَا الْقَاضِي عَبْدُ  
الْوَهَّابِ مِنْ بَغْدَادَ، آخِرَ الْمِائَةِ الرَّابِعَةِ، عَلَى مَا عَلِمَ مِنَ الْحَاجَةِ وَالتَّقَلُّبِ فِي الْمَعَاشِ.  
فَتَأَدَّنَ<sup>(و)</sup> خِلَفَاءُ الْعَبِيدِيِّينَ بِإِكْرَامِهِ وَإِظْهَارِ فَضْلِهِ، نَعِيًّا عَلَى بَنِي الْعَبَّاسِ فِي أَطْرَاحِ  
مِثْلِ هَذَا الْإِمَامِ وَالْإِغْتِيَاطِ بِهِ. فَتَقَقَّتْ سَوَاقُ الْمَالِكِيَّةِ بِمَضَرَ قَلِيلًا، إِلَى<sup>(ز)</sup> أَنْ  
انْقَرَضَتْ<sup>(ح)</sup> دَوْلَةُ الْعَبِيدِيِّينَ مِنَ الرَّافِضَةِ عَلَى يَدِ صَلَاحِ الدِّينِ ابْنِ أَيُّوبَ. فَذَهَبَ  
15 مِنْهَا فَقْهُ أَهْلِ الْبَيْتِ، [وَعَادَ]<sup>(ط)</sup> فَقْهُ الْجَمَاعَةِ إِلَى ظُهُورِهِ بَيْنَهُمْ. وَتَوَقَّرَ مِنْ ذَلِكَ فَقْهُ  
الشَّافِعِيِّ وَأَصْحَابِهِ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ وَالشَّامِ، فَعَادَ إِلَى \* أَحْسَنَ مَا كَانَ \*<sup>(ي)</sup>، وَتَقَقَّقَ

(أ) مِنْ ي (ب) سَقَطَ مِنْ ظ (ج) سَقَطَ مَا بَيْنَ النَجْمَيْنِ مِنْ ي (د) مِنْ ج ع، وَسَقَطَ مِنْ ظ ي (هـ) مِنْ ع ج، وَسَقَطَ  
مِنْ ظ ي (و) ج: فَبَادَر (ز) مِنْ ع ج، وَسَقَطَ مِنْ ظ ي (ح) ي: ذَهَبَتْ (ط) هَذِهِ الْجُمْلَةُ مَشْطُوبَةٌ فِي ع، وَفِي ي ظ:  
وَرَجَعَ إِلَيْهِمْ فَقْهُ الشَّافِعِيِّ وَأَصْحَابِهِ (ي) سَقَطَ مَا بَيْنَ النَجْمَيْنِ مِنْ ج .

سوقه. [وجلب كتاب الرافعي منها إلى الشام ومصر]<sup>(أ)</sup>، واشتهر منهم مخيي الدين  
التووي من الحلبة التي ربيت في ظل النولة الأيوبية بالشام، وعز الدين ابن عبد  
السلام [أيضاً]<sup>(ب)</sup>، ثم ابن الرفعة بمصر، وتقي الدين ابن دقيق العيد، ثم تقي الدين  
الشنكي من بعدهما، إلى أن انتهى ذلك إلى شيخ الإسلام بمصر لهذا العهد، وهو  
سراج الدين البلقيني. فهو اليوم كبير الشافعية [بها]<sup>(ج)</sup>، لا بل كبير العلماء من أهل  
5 العصر.

وأما مالك [رحمه الله]<sup>(د)</sup>، فاختص مذهبه<sup>(هـ)</sup> بأهل المغرب والأندلس، وإن  
كان يوجد في غيرهم. إلا أنهم لم يقلدوا غيره إلا في القليل، لما أن رحلتهم غالباً  
كانت إلى الحجاز، وهو منتهى سفرهم. والمدينة يومئذ دار العلم، ومنها خرج إلى  
العراق، ولم يكن العراق في طريقهم. / فاقترضوا على الأخذ من علماء المدينة،  
10 وشيخهم يومئذ وإمامهم مالك، [وشيوخه من قبله وتلميذه من بعده]<sup>(و)</sup>. فرجع إليه  
أهل المغرب والأندلس وقلدوه دون غيره ممن لم تصل إليهم طريقته. وأيضاً فالبداوة  
كانت غالبية على أهل المغرب والأندلس، ولم يكونوا يعانون الحضارة التي لأهل  
العراق، فكانوا إلى أهل الحجاز أميل لمناسبة البداوة. ولهذا لم يزل المذهب المالكي  
عندهم غصاً ولم يأخذه تنقيح الحضارة وتهذيبها، كما وقع في غيره من المذاهب.  
15

ولما صار مذهب كل إمام عالماً مخصوصاً عند أهل مذهبه، ولم يكن لهم  
سبيل إلى الاجتهاد والقياس، فاحتاجوا إلى تنظير المسائل في الإلحاق وتفريقها عند

(أ) سقط من ظي (ب) من ي ج (ج) في ظ ح ي: بمصر (د) من ي (هـ) ي: بمذهبه أهل (و) من ع ج ي،  
وسقط من ظ.

الاشتباه، بعد الاستناد إلى الأصول المتقررة من مذهب إمامهم. وصار ذلك كله يحتاج إلى ملكة راسخة يُقْتَدَرُ بها على ذلك النوع من التنظير والتفرقة، واتباع مذهب<sup>(١)</sup> إمامهم فيها ما استطاعوا. وهذه الملكة هي علم الفقه لهذا العهد.

وأهل المغرب جميعاً مُقلِّدون لمالك رضي الله عنه. وقد كان تلميذه افترقوا 5 بمصر والعراق. فكان بالعراق منهم القاضي إسماعيل وطبقته، مثل ابن خوازمنداد، وابن المنتاب، والقاضي أبو بكر الأبهري، والقاضي أبو الحسن بن القصار، والقاضي عبد الوهاب، ومن بعدهم. وكان بمصر ابن القاسم، وأشهب، وابن عبد الحكم، والحارث بن مسكين، وطبقته. ورحل من الأندلس [يحيى بن يحيى الليثي، ولقي مالكا وروى عنه كتاب الموطأ، وكان من جلة أصحابه. ورحل بعده]<sup>(ب)</sup> عبد الملك 10 ابن حبيب، فأخذ عن ابن القاسم وطبقته، وبث مذهب مالك بالأندلس، ودون فيه كتاب الواضحة. ثم دون العنبي، من تلاميذه، كتاب العنبيّة.

ورحل من إفريقية أسد بن الفرات، فكتب عن أصحاب أبي حنيفة أولاً، ثم انتقل إلى مذهب مالك، وكتب عن ابن القاسم في سائر أبواب الفقه. وجاء إلى القيروان بكتابه، وسُمِّيَ الأَسَدِيَّة، نسبةً إلى أسد بن الفرات. / فقرأها سَخْنُونٌ على 15 أسد، ثم ارتحل إلى المشرق، ولقي ابن القاسم وأخذ عنه، وعارضه بمسائل الأَسَدِيَّة، فرجع عن كثير منها. وكتب سَخْنُونٌ مسائله ودونها، وأثبت ما رجع عنه منها. وكتب معه ابن القاسم إلى أسد أن يَمْحَوْ من أَسَدِيَّة ما رجع عنه، وأن يأخذ بكتاب

(١) مذاهب (ب) من حاشية بخطه، ولم تنبها ط ج ي .



سُخْنُونَ . فَأَيْنَ مِنْ ذَلِكَ ، فَتَرَكَ النَّاسُ كِتَابَهُ وَاتَّبَعُوا مُدَوَّنَةَ سُخْنُونَ ، عَلَى مَا كَانَ فِيهَا مِنْ اخْتِلَافِ الْمَسَائِلِ فِي الْأَبْوَابِ . فَكَانَتْ تُسَمَّى الْمُدَوَّنَةُ وَالْمُخْتَلِطَةُ . وَعَكَّفَ أَهْلُ الْقَيْرَوَانِ عَلَى هَذِهِ الْمُدَوَّنَةِ ، وَأَهْلُ الْأَنْدَلُسِ عَلَى الْوَاضِحَةِ وَالْعُثَيْيَةِ .

ثُمَّ اخْتَصَرَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ الْمُدَوَّنَةَ وَالْمُخْتَلِطَةَ فِي كِتَابِهِ الْمُسَمَّى بِالْمُخْتَصَرِ ، وَلَخَّصَهُ أَيْضاً أَبُو سَعِيدٍ الْبَرَادِيعِيُّ ، مِنْ فُقَهَاءِ الْقَيْرَوَانِ ، فِي كِتَابِهِ الْمُسَمَّى بِالْتَهْذِيبِ . وَاعْتَمَدَهُ 5 الْمَشِيخَةُ مِنْ أَهْلِ إِفْرِيقِيَّةَ ، وَأَخَذُوا بِهِ وَتَرَكُوا مَا سِوَاهُ . وَكَذَلِكَ اعْتَمَدَ أَهْلُ الْأَنْدَلُسِ كِتَابَ الْعُثَيْيَةِ ، وَهَجَرُوا الْوَاضِحَةَ وَمَا سِوَاهَا .

وَلَمْ يَزَلْ عُلَمَاءُ الْمَذْهَبِ يَتَعَاهَدُونَ هَذِهِ الْأُمّهَاتِ بِالشَّرْحِ وَالِإِيضَاحِ وَالْجَمْعِ . فَكَتَبَ أَهْلُ إِفْرِيقِيَّةَ عَلَى الْمُدَوَّنَةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبُوهُ ، مِثْلُ ابْنِ يُونُسَ ، وَاللَّخْمِيِّ ، وَابْنِ مُحَرَّرِ ، وَالتُّونُسِيِّ ، وَابْنِ بَشِيرٍ وَأَمْثَالِهِمْ . وَكَتَبَ أَهْلُ الْأَنْدَلُسِ عَلَى الْعُثَيْيَةِ مَا 10 شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبُوهُ ، مِثْلُ ابْنِ رُشْدٍ وَأَمْثَالِهِ .

وَجَمَعَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ جَمِيعَ مَا فِي الْأُمّهَاتِ مِنَ الْمَسَائِلِ وَالْخِلَافِ وَالْأَقْوَالِ فِي كِتَابِ النَّوَادِرِ . فَاشْتَمَلَ عَلَى جَمِيعِ أَقْوَالِ الْمَذْهَبِ ، وَ[فَرَّغَ] <sup>(1)</sup> الْأُمّهَاتِ كُلَّهَا فِي هَذَا الْكِتَابِ . وَنَقَلَ ابْنُ يُونُسَ مُعْظَمَهُ فِي كِتَابِهِ عَلَى الْمُدَوَّنَةِ .

وَزَخَرَتْ بِحَارِ الْمَذْهَبِ الْمَالِكِيِّ فِي الْأَفْقَيْنِ إِلَى انْقِرَاضِ دَوْلَةِ قُرْطُبَةَ 15 وَالْقَيْرَوَانِ . ثُمَّ تَمَسَّكَ بِهِمَا أَهْلُ الْمَغْرِبِ بَعْدَ ذَلِكَ .

(1) مِنْ ع ج ، وَفِي ط ي : فَرَّغَ .

إلى أن جاء كتابُ أبي عمرو بن الحَاجِب، لخص فيه طُرُقَ أهلِ المذهب في كل باب، وتعدد أقوالهم في كل مسألة، فجاء كالبرنامج للمذهب.

وكانت الطريقة المالكية<sup>(١)</sup> بقيت في مصر من لُبن الحارث بن مسكين، وابن ميسر، وابن اللّهيبي، وابن رَشيق، [وابن شاس، وكانت الإسكندرية في بني عوف وبني سَند]<sup>(ب)</sup>، وابن عطاء الله، ولا أدري عن أخذها أبو عمرو بن الحَاجِب، / لكنّه 5 جاء بعد انقراض دولة العبّيديّين، وذهاب فقه آل البيت، وظهور فقهاء السُنة من الشافعية والمالكية<sup>(١)</sup>.

(١) أوجز ابن خلدون في سياق نسختي ط ي حديثه عن المذهب المالكي في هذا الموضع. ويبدو أنّه أعاد النظر فيما كان كتبه في هذا الجزء من الفصل وتوسّع فيه. فلم نَحْمِه على متن ط ي المتطابقين اجتناباً لتكرار بعض المحتوى، وأفردناه هنا عن نسختي ع ج منفصلاً، وموقعه بين حرفي (أ - أ) :

وتميّزت للمذهب المالكي ثلاث طُرُق: للقرويين، وكبيرهم سَنُحُون الآخذ عن ابن القاسم. وللقرطبيين [في ج: القرطبيين]، وكبيرهم ابن حبيب الآخذ عن مالك، ومُطَرِّف، وابن الماجشون، وأصْبَغ. وللإِراقِيين [في ج: العراقيين]، وكبيرهم القاضي إسماعيل وأصحابه. وكانت طريقة المصريين تابعة للعراقيين. وإنَّ القاضي عبد الوهاب انتقل إليها من تعداد آخر المائة الرابعة، وأخذ أهلها عنه.

وكانت الطريقة المالكية بمصر من لدن الحارث بن مسكين، وابن ميسر، وابن اللّهيبي، وابن رَشيق. وكانت خافية بسبب ظهور الرافضة وفقه أهل البيت.

وأما طريقة العراقيين، فكانت مهجورة عند أهل القيروان والأندلس، لبُعدها عنهم وخفاء مدارِكها وقلة اطلاعهم على مأخذهم فيها. والقوم أهل اجتهاد، وإن كان خاصاً، لا يَزُون التَّقليد ولا يَرْضُونه طريقاً. ولذلك [في ج: فلذلك] نجدُ أهل المغرب والأندلس لا يأخذون برأي العراقيين فيما لا يجدون فيه رواية عن الإمام، أو واحد [في ج: أحداً] من أصحابه.

ثم امتزجت الطُرق بعد ذلك، ورحل أبو بكر الطرطوشي من الأندلس في المائة السادسة، ونزل البيت المقدس وأوطنه. وأخذ عنه أهل مصر والإسكندرية، ومزجوا طريقته الأندلسية =

(ب) من ي.

ولما جاء كتابه إلى المغرب آخِر المائة السابعة، عكف عليه الكثير من طلبته المغرب، وخصوصاً أهل بجاية، لما كان كبير مشيختهم أبو علي ناصر الدين الزواوي هو الذي جلبه إلى المغرب، فإنه كان قرأ على أصحابه بمصر، ونسخ مختصره ذلك وجاء به، فانتشر بقطر بجاية في تلميذه، ومنهم انتقل إلى سائر أمصار المغرب. وطلبة الفقه بالمغرب لهذا العهد يتداولون قراءته ويتدارسونه، 5 لما يؤثر عن الشيخ ناصر الدين من الترغيب فيه. وقد شرحه جماعة من شيوخهم،

= بطريقتهم المصرية. وكان من جلة أصحابه الفقيه سند، صاحب الطراز، وأصحابه. وأخذ عنهم جماعة، كان منهم بنو عوف وأصحابهم. وأخذ عنهم أبو عمرو ابن الحاجب، وبغده شهاب الدين القرافي. واتصل ذلك في تلك الأغصان.

وكان فقه الشافعية قد انقرض أيضاً بمصر منذ دولة العبّيديين<sup>(1)</sup>، أهل البيت. فظهر بعدهم في الفقهاء الذين جددوه كتاب الرافعي، فقيه أهل خراسان منهم. وظهر بالشام مخي الدين التووي، من تلك الحلبية.

ثم امتزجت طريقة المغاربة من المالكية أيضاً بطريقة العراقيين من لدن الشرفساحي، كان بالإسكندرية ظاهراً في الطريقة المغربية والمصرية. فبنى المستنصر العباسي، أبو المستنصر وابن الظاهر، مدرسته ببغداد، واستدعاه لها من خلفاء العبّيديين الذين كانوا يومئذ بالقاهرة، فأذنوا له في الرحيل إليه. فلما قديم بغداد، ولأه تدريس المستنصرية، وأقام هنالك إلى أن استولى هولاكو على بغداد سنة ست وخمسين من المائة السابعة، وخلص من تيار تلك التكبنة وخلّى سبيله. فعاش هنالك إلى أن مات في أيام ابنه أحمد أبغا.

وتلخصت طرق هؤلاء المصريين ممتزجة بطرق المغاربة، كما ذكرناه، في مختصر أبي عمرو ابن الحاجب، يذكر فقه الباب في مسائله\* المفترقة، ويذكر الأقوال في كل مسألة\*<sup>(ب)</sup> على تعدادها، فجاء كالبرنامج للمذهب].

(1) سقط من ج (ب) سقط ما بين النجمين من ج .

كابن عبد السلام، وابن راشد، وابن هارون، وكلهم من مشيخة أهل تونس.  
وسابقُ خلبتهم<sup>(١)</sup> في الإجابة في ذلك<sup>(ب)</sup> ابن عبد السلام. وهم مع ذلك يتعهدون  
كتاب التهذيب في دروسهم. والله يهدي من يشاء.

وأما علم الفرائض، وهو معرفة فروض الوراثة، وتصحيح سهام الفريضة  
5 من كم تصح باعتماد فروضها الأصول أو مناسختها. وذلك إذا هلك أحد الورثة،  
وانكسرت سهامه على فروض ورثته، فإنه حينئذ يحتاج إلى حُساب يُصحح  
الفريضة الأولى حتى يصل أهل الفروض جميعاً في الفريضتين إلى فروضهم من غير  
تجزئة. وقد تكون هذه المناسخات أكثر من واحدٍ واثنين. وتتعدد كذلك بعدد أكثر،  
ويقدر ما تتعدد تحتاج إلى الحُساب.

10 وكذا إذا كانت الفريضة ذات وجهين، مثل أن يقر بعض الورثة بوارث  
وينكره الآخر، فتصحح على الوجهين حينئذٍ ويُنظر مبلغ السهام، ثم تقسم التركة  
على نسب سهام الورثة من أصل الفريضة. وكل ذلك مُحْتَاجٌ إلى الحُساب.  
فأفردوا هذا الباب من أبواب الفقه لما اجتمع فيه إلى الفقه من الحُساب وكان غالباً  
/ فيه، وجعلوه فناً مُنفرداً.

[306 ب]

15 وللتاس فيه تواليف كثيرة، أشهرها عند المالكية من متأخري الأندلس كتاب  
ابن ثابت، ومختصر القاضي أبي القاسم الحوفي، ثم الجعدي. ومن متأخري إفريقية،  
ابن المنذر الطرايس، وأمثالهم.

(١) ع: أهل خلبتهم (ب) سقط ما بين النجمين من ج .

وأما الشافعية والحنفية والحنابلة، فلهم فيه تواليف كثيرة وأعمال عظيمة صعبة،  
شاهدة لهم باتساع الذرع في الفقه والحساب، وخصوصاً أبا المعالي - رحمه الله -  
وأمثاله من أهل المذاهب.

وهو فنٌ شريف لجمعه بين المعقول والمنقول، والوصول به إلى الحقوق في  
الوراثات عندما تُجهل الحظوظ وتُشكل على القاسمين \* بوجوه صحيحة يقينية<sup>(1)</sup>. 5  
وللعلماء من أهل الأمصار بها عناية. ومن المصنفين من يَجْنَحُ فيها إلى الغلو في  
الحساب، وفرض المسائل التي تحتاج في استخراج المجهولات من فنون الحساب،  
كالجبر والمقابلة، والتصرف في الجذور، وأمثال ذلك، فيملأون بها تواليقهم. وهو وإن  
لم يكن مُتداولاً بين الناس، ولا يُفيد فيما يتداولونه من وراثاتهم لغرابته وقلة وقوعه،  
فهو يُفيد المِرانَ وتحصيل الملكة في المتداول على أكمل الوجوه. 10

وقد يَجْتَجُّ الأكثر من أهل هذا الفن على فضله بالحديث المنقول عن أبي  
هريرة: "أن الفرائض ثلث العلم، وأنها أول ما يُنسى". وفي رواية: نصف العلم.  
خرجه أبو نعيم الحافظ<sup>(1)</sup>، واحتج به أهل الفرائض بناء على أن المراد بالفرائض

(1) سقط من ي .

(1) لم نقف عليه من رواية أبي نعيم في كتبه، ولكنه روي مرفوعاً من حديث أبي هريرة: قال رسول الله  
ﷺ: "يا أبا هريرة، تعلّموا الفرائض وعَلِّمُوهُ فَإِنَّهُ نَصْفُ الْعِلْمِ، وَهُوَ يُنْسَى، وَهُوَ أَوَّلُ شَيْءٍ يُنْزَعُ مِنْ  
أُمَّتِي". أخرجه ابن ماجه (2719)، والدارقطني 4: 67، والحاكم في المستدرک 4: 332، والبيهقي في سننه  
الكبرى 6: 209، والميزي في تهذيب الكمال 7: 40، وإسناده ضعيف لضعف حفص بن عمر بن أبي  
العطاف راويه عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة. وأما "ثلث العلم" فقد وردت من قول طاووس  
وقتادة كما في سنن البيهقي 6: 209 .

فروض الوراثة. والذي يظهر أن هذا المخمل بعيد، وأن المراد بالفرائض إنما هي الفروض التكميلية في العبادات والعادات والمواثيق وغيرها، وبهذا المعنى تصح فيها التصفية والتولية. وأما فروض الوراثة، فهي أقل من ذلك كله بالنسبة إلى علم الشريعة كلها؛ ويعين هذا المراد أن حمل لفظ الفرائض على هذا الفن المخصوص أو

5 تخصيصه بفروض / الوراثة، إنما هو اصطلاح ناشئ للفقهاء عند حدوث الفنون والاصطلاحات. ولم يكن صدر الإسلام يطلق هذا اللفظ إلا على عمومته، مشتقاً من الفرض الذي هو لغة التقدير أو القطع. وما كان المراد [به] <sup>(1)</sup> في إطلاقه إلا جميع الفروض، كما قلناه. وهي حقيقة الشرعية. فلا ينبغي أن يحمل إلا على ما كان يحمل في عصرهم، فهو الأليق بمرادهم منه. والله أعلم.

#### 10 14 أصول الفقه وما يتعلق به من الجدل والمخلافات

أعلم أن أصول الفقه من أعظم العلوم الشرعية [وأجلها قدراً وأكثرها فائدة]. وهو النظر في الأدلة الشرعية <sup>(1)</sup> من حيث تؤخذ منها الأحكام والتكاليف.

وأصول الأدلة الشرعية هي الكتاب الذي هو القرآن، ثم السنة المبينة له. فعلى عهد النبي ﷺ كانت الأحكام تتلقى منه بما يوحى إليه من القرآن، ويبيّن بقوله وفعله بخطاب شفاهي لا يحتاج إلى نقل ولا إلى نظر وقياس. ومن بعده - صلوات الله عليه - تعدّر الخطاب الشفاهي، وانخفض القرآن بالتواتر. وأما السنة، فأجمع

(1) سقط من ط.

الصَّحَابَةُ - رضوانُ الله عليهم - على وُجوب العملِ بما يَصِلُ إلينا منها قولاً أو فعلاً بالتَّكْلِ الصَّحِيحِ الَّذِي يَغْلِبُ على الظَّنِّ صِدْقُهُ. وتعيَّنت دَلَالَةُ الشَّرْعِ في الكتاب والسُّنَّة بهذا الاعتبار.

ثُمَّ تَنَزَّلَ الإجماعُ مُنزَلَتَهُمَا لإجماع الصَّحابة على التَّكْيِيرِ على مُخالفِهِمْ<sup>(أ)</sup>. ولا يَكُونُ مِثْلُ ذَلِكَ إِلَّا عن مُسْتَنَدٍ، لأنَّ مِثْلَهُمْ لا يَتَّفِقُونَ عن غير دليلٍ ثابتٍ، مع 5 شهادة الأَدِلَّةِ بِعِصْمَةِ الجَمَاعَةِ؛ فَصَارَ الإجماعُ دليلاً ثابِتاً في الشَّرْعِيَّاتِ.

ثُمَّ نَظَرْنَا في طُرُقِ اسْتِدْلَالِ الصَّحَابَةِ والسَّلَفِ بِالْكِتَابِ والسُّنَّةِ، فإذا هم يُقَايِسُونَ الْأَشْبَاهَ مِنْهَا<sup>(ب)</sup> بِالْأَشْبَاهِ، وَيُنَظِّرونَ الْأَمْثَالَ بِالْأَمْثَالِ بِإجماعٍ مِنْهُمْ، وتَسْلِمُ [بَعْضُهُمْ]<sup>(ج)</sup> لِبَعْضٍ في ذَلِكَ. فَإِنَّ كَثِيراً من الْوَاقِعَاتِ بَعْدَهُ - صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ - لَمْ تَنْدَرْخْ في التَّصَوُّصِ / الثَّابِتَةِ، فَقَايَسُوهَا بِمَا ثَبَّتَ، وَأَلْحَقُوهَا بِمَا نَصَّ عَلَيْهِ 10 بِشُرُوطٍ في ذَلِكَ الْإِلْحَاقِ، يُصَحِّحُ تِلْكَ الْمَسَاوَاةَ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ أَوْ الْمِثْلَيْنِ حَتَّى يَغْلِبَ على الظَّنِّ أَنَّ حَكَمَ اللَّهِ فِيهَا وَاحِدٌ. وَصَارَ ذَلِكَ دليلاً شَرْعِيّاً بِإجماعِهِمْ عَلَيْهِ، وَهُوَ الْقِيَاسُ، وَهُوَ رَابِعُ الْأَدِلَّةِ.

وَاتَّفَقَ جَمْهُورُ الْعُلَمَاءِ على أَنَّ هَذِهِ هِيَ أَصُولُ الْأَدِلَّةِ، وَإِنْ خَالَفَ بَعْضُهُمْ في الإجماعِ والقِيَاسِ، إِلَّا أَنَّهُ شُدُودٌ. وَأَلْحَقَ بَعْضُهُمْ بِهِذِهِ [الْأَدِلَّةُ]<sup>(د)</sup> الْأَرْبَعَةَ، أَدِلَّةً أُخْرَى 15 لَا حَاجَةَ بِنَا على ذِكْرِهَا، لَضَعْفِ مَذْرِكِهَا<sup>(هـ)</sup> وَشُدُودِ الْقَوْلِ بِهَا<sup>(و)</sup>.

(أ) ظ: مخالفتهم (ب) من ظ ج ي، وسقط من ع (ج) في ظ: بعض (د) سقط من ظ ع ي (هـ) من ظ ج، وفي ع ي: مداركها (و) ي: فيها.

فكان من أوّل مباحث هذا الفن النظر في كَوْن هذه أدلّة.

فأمّا الكتاب، فدليله المعجزة القاطعة في مَنَنِهِ، والتّواتر في نَقْلِهِ. فلم يَبْقَ فيه مجال للاختيال.

5 وأما السُّنّة وما نُقِلَ إلينا منها، فالإجماع على وجوب العمل بما يَصِحُّ منها، كما قدّمنا، معتضداً بما كان عليه العمل في حياته - صلوات الله عليه - من إيفاد الكتب والرُّسل إلى التّواحي بالأحكام والشرائع آمراً وناهياً.

وأما الإجماع، فلا تفاقهم - رضوان الله عليهم - على إنكار مخالفتهم، مع العِصمة الثابتة للأئمة.

وأما القياس، فبإجماع الصحابة - رضي الله عنهم - عليه كما قدّمناه.

10 هذه أصول الأدلّة.

ثمّ إنّ المنقول من السُّنّة يحتاج إلى توضيح الخبر بالنظر في طرق النُّقل وعدالة النّافلين، لتتميّز الحالة المحصّلة للظنّ بصدقه التي هي مناط وجوب العمل بالخبر. وهذه أيضاً من قواعد الفنّ. ويلحق بذلك عند التعارض بين الخبرين وطلب المتقدّم منها معرفة النّاسخ والمنسوخ، وهي من فصوله أيضاً وأبوابه.

15 ثمّ بعد ذلك؛ يتعيّن النظر في دلالات الألفاظ. وذلك أنّ استفادة المعاني على

الإطلاق من تراكيب الكلام على الإطلاق، تتوقّف على معرفة الدلالات الوضعيّة مفردة ومركبة. والقوانين اللّسانيّة في ذلك هي علوم النّحو والتّصريف / والبيان. [308] وحين كان اللسان ملكة لأهله لم تكن هذه علوماً ولا قوانين، ولم يكن الفقيه حينئذ



بحِجَاجِ إِيَّاهَا، لِأَنَّهَا جَبِلَتْهُ وَمَلَكَتْهُ. فَلَمَّا فَسَدَتْ الْمَلَكَةُ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ، قَيَّدَهَا الْجَهَابِذَةُ الْمُتَجَرِّدُونَ لِذَلِكَ، بِثَقْلِ صَحِيحٍ وَمَقَاسٍ مُسْتَنْبَطَةٍ صَحِيحَةٍ، وَصَارَتْ عُلُومًا يَحْتَاجُ إِلَيْهَا الْفَقِيهُ فِي مَعْرِفَةِ أَحْكَامِ اللَّهِ.

ثُمَّ إِنَّ هُنَا اسْتِفَادَةَ أُخْرَى خَاصَّةً مِنْ تَرَكَيبِ الْكَلَامِ، وَهِيَ اسْتِفَادَةُ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ بَيْنَ الْمَعَانِي مِنْ أَدِلَّتِهَا الْخَاصَّةِ بَيْنَ تَرَكَيبِ الْكَلَامِ، وَهُوَ الْفِقْهُ. وَلَا تَكْفِي فِيهِ 5 مَعْرِفَةُ الدَّلَالَاتِ الْوَضْعِيَّةِ عَلَى الْإِطْلَاقِ، بَلْ لَا بُدَّ مِنْ مَعْرِفَةِ أُمُورٍ أُخْرَى تَتَوَقَّفُ عَلَيْهَا تِلْكَ الدَّلَالَةُ الْخَاصَّةُ، وَبِهَا تُسْتَفَادُ الْأَحْكَامُ بِحَسَبِ مَا أَصَلَ أَهْلُ الشَّرْعِ وَجْهَابِذَةُ الْعِلْمِ مِنْ ذَلِكَ، وَجَعَلُوهُ قَوَانِينَ لِهَذِهِ الْاسْتِفَادَةِ؛ مِثْلُ أَنَّ اللَّغَةَ لَا تَتَبَيَّنُ قِيَاسًا، وَالْمُشْتَرَكُ لَا يُرَادُ بِهِ مَعْنِيَةٌ مَعًا، وَالْوَاوُ لَا تَقْتَضِي التَّرْتِيبَ، وَالْعَامُّ إِذَا أُخْرِجَتْ 10 أَفْرَادُ الْخَاصِّ مِنْهُ هَلْ يَنْتَقِي حُجَّةٌ فِيهَا عَدَاهَا، وَالْأَمْرُ لِلْوُجُوبِ أَوْ النَّدْبِ، وَلِلْفَقْرِ أَوْ التَّرَاحِي، وَالنَّهْيُ يَقْتَضِي الْفُسَادَ أَوْ الصَّحَّةَ<sup>(1)</sup>، وَالْمَطْلَقُ هَلْ يُحْمَلُ عَلَى الْمُقَيَّدِ، وَالتَّصُّ عَلَى الْعِلَّةِ كَافٍ فِي التَّعْدِي أَوْ لَا؟ وَأَمْثَالُ ذَلِكَ. فَكَانَتْ كُلُّهَا مِنْ قَوَاعِدِ هَذَا الْفَنِّ. وَلِكُونِهَا مِنْ مَبَاحِثِ الدَّلَالَةِ كَانَتْ لُغَوِيَّةً.

ثُمَّ إِنَّ النَّظَرَ فِي الْقِيَاسِ مِنْ أَكْثَرِ قَوَاعِدِ هَذَا الْفَنِّ. لِأَنَّ فِيهِ تَحْقِيقَ الْأَصْلِ وَالْفَرْعِ فِيمَا يُقَاسُ وَيُمَثَّلُ مِنَ الْأَحْكَامِ، وَتَنْقِيحِ الْوُصْفِ الَّذِي يَغْلِبُ عَلَى الظَّنِّ أَنَّ 15 الْحُكْمَ عُلِّقَ بِهِ فِي الْأَصْلِ مِنْ بَيْنِ أَوْصَافِ ذَلِكَ الْمَحَلِّ، وَوُجُودَ ذَلِكَ الْوُصْفِ فِي الْفَرْعِ مِنْ غَيْرِ مُعَارِضٍ يَمْنَعُ مِنْ تَرْتِيبِ الْحُكْمِ عَلَيْهِ، إِلَى مَسَائِلَ أُخْرَى مِنْ تَوَاجِعِ ذَلِكَ، كُلُّهَا قَوَاعِدُ لِهَذَا الْفَنِّ.

(1) اختلاف الأصوليين كان في هل النهي يقتضي الفساد أو البطلان؟

واعلم أنّ هذا الفنّ من الفنون المُستحدّثة في المِلَّة. وكان السّلف في غُنيّة

[308 ب]

عنه ، بما أنّ استفادة المعاني / من الألفاظ لا يُحتاج فيها إلى أزيد ممّا عندهم من  
المَلَكَة اللّسانيّة . وأمّا القوانين التي يُحتاج إليها في استفادة الأحكام خصوصاً ،  
فَعَنَّهُمْ أُخِذَ مُعْظَمُهَا. وأمّا الأسانيدُ ، فلم يكونوا يُحتاجون إلى النّظر فيها ، لقُرب العُصر  
5 ومُمارَسة النّقْلة وخِبَرَتِهِمْ بِهِمْ . فلَمَّا انقَرَضَ السّلف وذهب الصّدُر الأوّل ، وانقلبت  
العلومُ كُلُّهَا صناعيّةً ، كما قرّرناه من قَبْلُ ، احتاجَ الفقهاء والمُجتهدون إلى تحصيل  
هذه القوانين والقواعد لاستِفادة الأحكام من الأدلّة. فكتبوها فنّاً قائماً برأسه سَمَّوْهُ  
أُصولَ الفِقه.

وكان أوّل من كتب فيه الشّافعيّ، رضي الله عنه، وأُملى فيه رسالته المشهورة،

10 تكلم فيها في الأوامر والنّواهي، والبيان، والخبر، والنّسخ<sup>(1)</sup>، وحُكْمُ العِلّة المنصوصة  
من القياس. ثمّ كَتَبَ فقهاء الحنفيّة فيه، وَحَقَّقُوا تلك القواعد وأَوْسَعُوا القولَ فيها.

وكتب المتكلّمون أيضاً كذلك؛ إلّا أنّ كتابَةَ الفقهاء فيها أَمَسَ بالفِقه وأَلْيَقُ  
بالفروع، لكثرة الأمثلة منها والشّواهد، وبناء المسائل فيها على النُّكْتِ الفقهية.  
والمُتكلّمون يُجَرِّدون صوَر تلك المسائل عن الفِقه، ويَمِيلُونَ إلى الاستِدلال العَقْلِيّ  
15 ما أمكن، لأنّه<sup>(ب)</sup> قَالِبُ فُنُونِهِمْ وَمُقْتَضَى طَرِيقَتِهِمْ.

فكان لفقهاء الحنفيّة فيها يَدٌ طَوْلَى من الغوص على النُّكْتِ الفقهية والتّقاط  
هذه القوانين من مسائل الفِقه ما أمكن. وجاء أبو زَيْد الدُّبُوسِيّ، من أَيْمَتِهِمْ،

(1) سقط من ج (ب) لأن العقل .

فكتب في القياس بأوسع من جميعهم، وتَمَّ الأبحاث والشروط التي يحتاج إليها فيه.  
فكملت صناعة أصول الفقه بكماله، وتهذبت مسأله، وتمهّدت قواعده.

وعني الناس بطريقة المتكلمين فيه. وكان من أحسن ما كتب فيه المتكلمون  
كتاباً: البرهان لإمام الحرمين، والمستصفي للغزالي، وهما من الأشعرية، وكتاباً:  
العقد<sup>(1)</sup> لعبد الجبار، وشرحه المعتمد لأبي الحسين البصري، وهما من / المغتزلة. 5  
وكانت الأربعة قواعد هذا الفن وأزكاته.

ثم لخص هذه الكتب الأربعة فخلان من المتكلمين المتأخرين، وهما الإمام  
فخر الدين ابن الخطيب في كتاب المَحْصول، وسيف الدين الآمدي في كتاب  
الإحكام، واختلقت طرائفهما في الفن بين التحقيق والحجاج. فابن الخطيب أميل إلى  
الاستكثار من الأدلة والاحتجاج، والآمدي مولع بتحقيق المذاهب وتفريع المسائل. 10  
فأما كتاب المَحْصول، فاختصره تلميذ الإمام، مثل سراج الدين الأزموي في كتاب  
التحصيل، وتاج الدين الأزموي في كتاب الحاصل. واقتطف شهاب الدين القرافي  
منها مقدمات وقواعد في كتاب صغير سماه التنقيحات. وكذلك فعل البيضاوي  
في كتاب المنهاج. وعني المبتدئون بهذين الكتابين، وشرّحهما كثير من الناس. وأما  
كتاب الإحكام للآمدي، وهو أكثر تحقيقاً في المسائل، فلخصه أبو عمرو بن 15  
الحاجب في كتابه المعروف بالمختصر الكبير؛ ثم اختصره في كتاب آخر تداوله  
طلبة العلم، وعني أهل المشرق والمغرب بمطالعيته وشرحه. وحصلت زبدة طريقة  
المتكلمين في هذا الفن، في هذه المختصرات.

(1) كذا في ظ ج ي، وهو الصحيح، وفي ع: العهد.

وأما طريقة الحنفية، فكتبوا فيها كثيراً. وكان من أحسن كتابة المتقدمين فيها،  
تأليف أبي زيد الدبوسي، وأحسن تأليف<sup>(١)</sup> المتأخرين تأليف سيف الإسلام  
البرذوي، من أئمتهم، وهو مستوعب. وجاء ابن الساعاتي، من فقهاء الحنفية، فجمع  
بين كتاب الإحكام وكتاب البرذوي في الطريقتين، وسمى كتابه بالبدیع. فجاء من  
أحسن الأوضاع وأبدعها. وأئمة العلماء لهذا العهد يتداولونه قراءة وبحثاً؛ وولع كثير  
5 من علماء العجم بشرحه. والحال على ذلك لهذا العهد.

\*[هذه حقيقة هذا الفن وتعيين موضوعاته وتعدد تأليفه<sup>(ب)</sup> المشهورة  
لهذا]<sup>(ج)</sup> العهد فيه. والله ينفعنا بالعلم ويجعلنا من أهله، بمنه.

/ وأما الخلافات، فاعلم أن هذا الفقه المستنبط من الأدلة الشرعية كثر  
10 فيه الخلاف بين المجتهدين، باختلاف مداركهم وأنظارهم، خلافاً لا بد من وقوعه لما  
قدمناه. واتسع ذلك في الملة اتساعاً عظيماً، وكان للمقلدين أن يقلدوا من شاءوا منهم.  
ثم لما انتهى ذلك إلى الأئمة الأربعة من علماء الأمصار، وكانوا بمكان من حسن  
الظن بهم، اقتصر الناس على تقليدهم. ومنع من تقليد سواهم، لذهاب الاجتهاد  
بصعوبته<sup>(د)</sup> وتشعب العلوم التي هي مواده باتصال الزمان، وافتقار من يقوم على  
15 سوى هذه المذاهب الأربعة. فأقيمت هذه المذاهب الأربعة أصولاً للملة، وأجري  
الخلاف بين المتمسكين بها والآخذين بأحكامها مجرى الخلاف في النصوص  
الشرعية والأصول الفقهية.

(١) في ج ي: كتابة (ب) في ج ي: التأليف (ج) سقط ما بين النجمين من ظ (د) ي: لصعوبته .

وجرت بينهم المناظرات في تصحيح كلٍّ منهم مذهب إمامه، تجري على أصول صحيحة وطرائق قويمية، ويحتاج بها كلٌّ على صحة مذهبه الذي قلّده وتمسك به، وأجريت في مسائل الشريعة كلها وفي كلِّ بابٍ من أبواب الفقه، فتارة يكون الخلاف بين الشافعي ومالك، وأبو حنيفة يوافق أحدهما. وتارة بين مالك وأبي حنيفة، والشافعي يوافق أحدهما، وتارة بين الشافعي وأبي حنيفة<sup>(١)</sup> ومالك يوافق أحدهما. 5 وكان في هذه المناظرات بيان ماخذ هؤلاء الأئمة ومثارا اختلافهم ومواقع اجتهدهم.

وكان هذا الصنف من العلم يُسمى بالخلافيات. ولا بُدَّ لصاحبه من معرفة القواعد التي يتوصل بها إلى استنباط الأحكام كما يحتاج إليها المجتهد. إلا أن المجتهد يحتاج إليها للاستنباط، وصاحب الخلافات يحتاج إليها لحفظ تلك المسائل المستنبطة من أن يهدمها المخالف بأدلتيه. وهو لعُمري علمٌ جليلٌ الفائدة في تعرّف ماخذ الأئمة 10 وأدلتهم ومران المطالعين له على الاستدلال فيما يرومون الاستدلال عليه.

وتواليف الحنفية فيه<sup>(ب)</sup> والشافعية / أكثر من تواليف المالكية. لأن القياس عند الحنفية أصلٌ للكثير من فروع مذهبهم، كما عرفت. فهم لذلك أهل النظر والبحث. وأمّا المالكية، فالأثر أكثر مُعتمدهم وليسوا بأهل نظر. وأيضاً، فأكثُرهم أهل المغرب، وهم بادية غفل من الصنائع إلا في الأقل. 15

وللغزالي [رحمه الله]<sup>(ج)</sup> فيه كتاب المأخذ، ولأبي بكر بن العربي، من المالكية، كتاب التلخيص، جلبه من المشرق، ولأبي زيد الدبوسي كتاب التعليق، ولابن

(١) سقط من ظ (ب) سقط من ي (ج) من ي .

القصار، من شيوخ المالكية، عيون الأدلة. وقد جمع ابن الساعاتي في مختصره في أصول الفقه جميع ما يتبني عليها من الفقه الخلافية، مدرجاً في كل مسألة منه ما يتبني عليها من الخلافات.

وأما الجدل، وهو معرفة آداب المناظرة التي تجري بين أهل المذاهب الفقهية وغيرهم، فإنه لما كان باب المناظرة في الرد والقبول متسعاً، وكل واحد من المتناظرين في الاستدلال والجواب مُرسلاً عنائه في الاحتجاج، ومنه ما يكون صواباً ومنه ما يكون خطأ، فاحتاج الأئمة أن يضعوا آداباً وأحكاماً يقف المتناظران عند حدودها في الرد والقبول، وكيف يكون حال المستدل والمجيب، وحيث يسوغ له أن يكون مُستدلاً، وكيف يكون مخصوماً منقطعاً، ومحل اعتراضه أو معارضته، وأين يجب عليه السكوت، ولخصمه الكلام والاستدلال. ولذلك قيل فيه: إنه معرفة بالقواعد من الحدود والآداب في الاستدلال، التي يتوصل بها إلى حفظ رأي أو هدمه، كان ذلك الرأي من الفقه أو غيره.

وهي طريقان: طريقة البردوي، وهي خاصة بالأدلة<sup>(1)</sup> الشرعية من النص والإجماع والاستدلال. وطريقة العميدي، وهي عامة في كل دليل يُستدل به من أي علم كان، وأكثره استدلال. وهو من المناحي الحسنة، والمغالطات فيه في نفس الأمر كثيرة. وإذا اعتُبر بالنظر / المنطقي، كان في الغالب أشبه بالقياس المغالطي [310ب] والسوفسطائي. إلا أن صور الأدلة والأقضية فيه محفوظة مراعاةً يتحرى فيها طرق الاستدلال كما ينبغي.

(أ) في ج ي : بالآلة .

وهذا العميدي هو أول من كتب فيها، ونُسبت الطريقة إليه، ووضع كتابه  
المسمى بالإرشاد مختصراً. وتبعه من بعده من المتأخرين، كالنسفي وغيره، جاءوا  
على أثره وسلكوا مسلكه. وكثرت في الطريقة التواليف، وهي لهذا العهد مهجورة  
لنقص العلم والتعليم في الأمصار الإسلامية؛ وهي مع ذلك كمالية وليست ضرورية.  
﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ﴾ [سورة يوسف، من الآية 21].

5

## 15 \* علم الكلام

وهو علم يتضمّن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية، والردّ على  
المبتدعة المخرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة.

وسرّ هذه العقائد الإيمانية هو التوحيد. فلنقدّم هنا لطيفة في بزهان عقلي  
يكشف لنا عن التوحيد على أقرب الطرق والماخذ، ثم نرجع إلى تحقيق علم الكلام  
وفيما ينظر، ونشير إلى سبب حدوثه في الملة وما دعا إلى وضعه، فنقول:

اعلم أنّ الحوادث في عالم الكائنات، سواء كانت من الدّوات أو الأفعال البشريّة  
أو الحيوانيّة، فلا بدّ لها من أسباب بهذا المعنى متقدمة عليه، بها يقع في مستقرّ  
العادة وعنها يتمّ كونه. وكلّ واحدٍ من تلك الأسباب [حادثٌ أيضاً، فلا بدّ له من  
أسباب أخرى. ولا تزال تلك الأسباب]<sup>(1)</sup> مُرتقبة حتّى تنتهي إلى مسبب الأسباب  
وموجدّها وخالقها سبحانه، لا إله إلاّ هو. وتلك الأسباب في ارتقائها تتضاعف

15

(1) سقط من ظ .

فَتَنْفَسُحُ طَوَلاً وَعَرْضاً، وَيَحَارُ الْعَقْلُ فِي إِدْرَاكِهَا وَتَعْدِيدِهَا. فَإِذَنْ، لَا يَخْصُرُهَا إِلَّا الْعِلْمُ الْمَحِيطُ، سَيِّئاً الْأَفْعَالُ الْبَشَرِيَّةُ وَالْحَيَوَانِيَّةُ. فَإِنَّ مِنْ جُمْلَةِ أَسْبَابِهَا فِي الشَّاهِدِ الْقُصُودَ وَالْإِرَادَاتِ، إِذْ لَا يَتِمُّ كَوْنُ الْفِعْلِ إِلَّا بِإِرَادَتِهِ وَالْقَصْدِ إِلَيْهِ. وَالْقُصُودُ وَالْإِرَادَاتُ أُمُورٌ نَفْسَانِيَّةٌ نَاشِئَةٌ فِي الْغَالِبِ عَنْ تَصَوُّرَاتٍ سَابِقَةٍ / يَتَلَوُّ بَعْضُهَا بَعْضاً. [311]

5 وتلك التَّصَوُّرَاتُ هي أسبابُ قَصْدِ الْفِعْلِ. وقد تكونُ أسبابُ تلكِ التَّصَوُّرَاتِ تَصَوُّرَاتٍ أُخْرَى. وكلَّ مَا يَقَعُ فِي النَّفْسِ مِنَ التَّصَوُّرَاتِ، فَمَجْهُولٌ سَبَبُهُ، إِذْ لَا يَطَّلِعُ أَحَدٌ عَلَى مَبَادِي الْأُمُورِ النَّفْسَانِيَّةِ وَلَا عَلَى تَرْتِيبِهَا. إِنَّمَا هِيَ أَشْيَاءٌ يُلْقِيهَا اللَّهُ فِي الْفِكْرِ، يَتَّبِعُ بَعْضُهَا بَعْضاً. وَالْإِنْسَانُ عاجِزٌ عَنْ مَعْرِفَةِ مَبَادِيهَا وَغَايَاتِهَا. وَإِنَّمَا يَحِيطُ عِلْماً فِي الْغَالِبِ بِالْأَسْبَابِ الَّتِي هِيَ طَبِيعِيَّةٌ ظَاهِرَةٌ، وَتَقَعُ فِي مَدَارِكِنَا عَلَى نِظَامٍ وَتَرْتِيبٍ، 10 لِأَنَّ الطَّبِيعَةَ مَخْصُورَةٌ لِلنَّفْسِ وَتَحْتَ طَوْرِهَا. وَأَمَّا التَّصَوُّرَاتُ، فَنِطَاقُهَا أَوْسَعُ مِنَ النَّفْسِ، لِأَنَّهَا لِلْعَقْلِ الَّذِي هُوَ فَوْقَ طَوْرِ النَّفْسِ. فَلَا تَكَادُ النَّفْسُ تُدْرِكُ الْكَثِيرَ مِنْهَا، فَضْلاً عَنِ الْإِحَاطَةِ.

وَتَأَمَّلْ مِنْ ذَلِكَ حِكْمَةَ الشَّارِعِ فِي نَهْيِهِ عَنِ النَّظَرِ إِلَى الْأَسْبَابِ وَالْوُقُوفِ مَعَهَا. فَإِنَّهُ وَإِذْ يَهَيِّمُ فِيهِ الْفِكْرُ وَلَا يَحُلُو مِنْهُ بَطَائِلٌ، وَلَا يَظْفَرُ بِحَقِيقَةٍ<sup>(1)</sup>. ﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [سورة الأنعام، من الآية 91]. 15

وَرُبَّمَا انْقَطَعَ فِي وَقُوفِهِ عَنِ الِارْتِقَاءِ إِلَى مَا فَوْقَهُ، فَزَلَّتْ قَدَمُهُ وَأَضْبَحَ فِي الضَّالِّينَ الْهَالِكِينَ، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْحِزْمَانِ وَالْحُسْرَانِ الْمُبِينِ. وَلَا تَحْسَبَنَّ أَنَّ هَذَا الْوُقُوفَ أَوْ الرَّجُوعَ عَنْهُ<sup>(ب)</sup> فِي قُدْرَتِكَ أَوْ اخْتِيَارِكَ، بَلْ هُوَ لَوْ يَحْصُلُ لِلنَّفْسِ، وَصَبْغَةٌ

(1) في ع: بحقيقته (ب) في ط ج ي، وسقط من ع.



تَسْتَحْكُمُ مِنَ الْخَوْضِ فِي الْأَسْبَابِ عَلَى نِسْبَةٍ لَا نَعْلَمُهَا، إِذْ لَوْ عَلِمْنَاهَا لَتَحَرَّرْنَا مِنْهَا. فَلْيَتَحَرَّرْ مِنْ ذَلِكَ بِقَطْعِ النَّظَرِ عَنْهَا جُمْلَةً.

- وأيضاً فوجهُ تأثيرِ هذه الأسبابِ في الكثير من مُسَبِّباتِها مَجْهُولٌ، لأنها إنَّما يوقَّفُ عليها بِالْعَادَةِ، وقضيَّةُ الافتِرانِ الشاهدِ بالاستِنَادِ في الظَّاهِرِ، وحقيقتُ التأثيرِ وَكَيْفِيَّتُهُ، مَجْهُولَةٌ. ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [سورة الإسراء، من الآية 85]. 5
- فلذلك أُمِرْنَا بِقَطْعِ النَّظَرِ عَنْهَا وإلغائها جُمْلَةً، والتَّوَجُّهُ إِلَى مُسَبِّبِ الْأَسْبَابِ كُلِّهَا وفاعِلِها ومُوجِدِها، لَتَرْسَخَ صِبْغَةُ التَّوْحِيدِ فِي النَّفْسِ عَلَى مَا عَلَّمْنَا / الشَّارِعُ الَّذِي [311ب]
- هو أَعْرَفُ بِمَصَالِحِ دِينِنَا وطُرُقِ سَعَادَتِنَا لِاطِّلَاعِهِ عَلَى مَا وَرَاءَ الْحِسِّ. قَالَ ﷺ<sup>(1)</sup>: "مَنْ مَاتَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ". فَإِنْ وَقَفَ عِنْدَ تِلْكَ الْأَسْبَابِ، فَقَدْ انْقَطَعَ، وَحُقَّتْ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْكُفْرِ. وَإِنْ سَبَحَ فِي بَحْرِ النَّظَرِ وَالبَحْثِ عَنْهَا وَعَنْ أَسْبَابِهَا 10 وتأثيراتها واحداً بعد واحدٍ، فَأَنَا الضَّامِنُ لَهُ أَلَّا يَعُودَ إِلَّا بِالْحَيِّتَةِ. فَلِذَلِكَ نَهَانَا [الشَّارِعُ]<sup>(1)</sup> عَنِ النَّظَرِ إِلَى الْأَسْبَابِ، وَأَمَرْنَا بِالتَّوْحِيدِ الْمُطْلَقِ. ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [سورة الإخلاص].

- وَلَا تَتَّقَنَّ بِمَا يَزْعُمُ لَكَ الْفِكْرُ مِنْ أَنَّهُ مُقْتَدِرٌ عَلَى الْإِحَاطَةِ بِالْكَائِنَاتِ وَأَسْبَابِهَا، 15 وَالْوُقُوفِ عَلَى تَفْصِيلِ الْوُجُودِ كُلِّهِ، وَسَفَةَ رَأْيِهِ فِي ذَلِكَ. وَاعْلَمْ أَنَّ الْوُجُودَ عِنْدَ كُلِّ

(أ) فِي ظَوْحِهَا: الشَّرْعُ .

(1) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (26) مِنْ حَدِيثِ عَثْمَانَ بْنِ عَفَانَ، وَالطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ (4041) مِنْ حَدِيثِ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ، وَ 20 (79) مِنْ حَدِيثِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، وَأَخْرَجَهُ أَحْمَدُ 5: 229، وَالنَّسَائِيُّ فِي عَمَلِ الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ (1134)، وَابْنُ خُزَيْمَةَ فِي التَّوْحِيدِ 2: 787، وَابْنُ مَنْدَةَ فِي الْإِيمَانِ (94) .

مُدْرِكٍ فِي بَادئِ رَأْيِهِ أَنَّهُ مُنْحَصِرٌ فِي مَدَارِكِهِ، لَا يَغْدُوهَا. وَالْأَمْرُ فِي نَفْسِهِ بِخِلَافِ ذَلِكَ، وَالْحَقُّ مِنْ وَرَائِهِ. أَلَا تَرَى الْأَصَمَّ كَيْفَ يَنْحَصِرُ الْوُجُودُ عِنْدَهُ فِي الْمَحْسُوسَاتِ الْأَزْبَعِ وَالْمَعْقُولَاتِ، وَسَقَطَ مِنَ الْوُجُودِ عِنْدَهُ صِنْفُ الْمَسْمُوعَاتِ؟ وَكَذَلِكَ الْأَعْمَى [الْأَكْمَه] <sup>(١)</sup> أَيْضاً، يَسْقُطُ مِنَ الْوُجُودِ عِنْدَهُ صِنْفُ الْمَرْتَبَاتِ، وَلَوْلَا مَا يَزِدُّهُمْ إِلَى ذَلِكَ، تَقْلِيدُ الْآبَاءِ وَالْمَشِيخَةِ مِنْ أَهْلِ عَصَرِهِمُ وَالْكَافَّةِ لَمَا أَقْتَرُوا بِهِ. لَكِنَّهُمْ يَتَّبِعُونَ الْكَافَّةَ فِي إِثْبَاتِ هَذِهِ الْأَصْنَافِ، لَا بِمُقْتَضَى فِطْرَتِهِمْ وَطَبِيعَةِ إِدْرَاكِهِمْ. وَلَوْ سُئِلَ الْحَيَوَانُ الْأَعْجَمُ وَنَطَقَ، لَوَجَدْنَاهُ مُنْكَرَا صِنْفِ الْمَعْقُولَاتِ، وَسَاقِطَةً لَدِيهِ بِالْكَلِّيَّةِ.

وَإِذَا عَلِمْتَ ذَلِكَ، فَلَعَلَّ هُنَاكَ ضَرْباً مِنَ الْإِدْرَاكِ غَيْرَ مُدْرَكَاتِنَا <sup>(ب)</sup>، لِأَنَّ إِدْرَاكَاتِنَا <sup>(ج)</sup> مَخْلُوقَةٌ مُخَدَّتَةٌ، وَخَلَقَ اللَّهُ ﴿أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ [سُورَةُ غَافِرٍ، مِنْ الْآيَةِ 57]، وَالْحَصْرَ مَجْهُولٌ، وَالْوُجُودَ أَوْسَعُ نِطَاقاً مِنْ ذَلِكَ. ﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾ [سُورَةُ الْبُرُوجِ، الْآيَةُ 20]. فَاتَّهَمُوا إِدْرَاكَكَ وَمُدْرَكَاتِكَ فِي الْحَصْرِ، وَاتَّبَعُوا مَا أَمَرَ الشَّارِعُ بِهِ فِي اعْتِقَادِكَ وَعَمَلِكَ، فَهُوَ أَحْرَضَ عَلَى سَعَادَتِكَ، وَأَعْلَمَ بِمَا يَنْفَعُكَ، لِأَنَّهُ مِنْ طَوْرِ فَوْقِ إِدْرَاكَكَ وَمِنْ نِطَاقٍ أَوْسَعَ مِنْ نِطَاقِ عَقْلِكَ. / وَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِحٍ فِي [312] الْعَقْلِ وَمَدَارِكِهِ، بَلِ الْعَقْلُ مِيزَانٌ صَحِيحٌ، وَأَحْكَامُهُ يَقِينِيَّةٌ لَا كَذِبَ فِيهَا. غَيْرَ أَنَّكَ لَا تَطْمَعُ أَنْ تَزِنَ بِهِ أُمُورَ التَّوْحِيدِ وَالْآخِرَةِ، وَحَقِيقَةَ الثَّبُوتِ وَحَقَائِقَ الصِّفَاتِ الْإِلَهِيَةِ وَكُلِّ مَا وَرَاءَ طَوْرِهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ طَمَعٌ فِي مُحَالٍ. وَمِثَالُ ذَلِكَ مِثَالُ رَجُلٍ رَأَى الْمِيزَانَ الَّذِي يوزَنُ بِهِ الذَّهَبُ، فَطَمَعُ أَنْ يَزِنَ بِهِ الْجِبَالَ، وَهَذَا لَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمِيزَانَ فِي أَحْكَامِهِ

(١) مخرج بخطه في ع، وسقط من ط ج ي (ب) في ط: مدرَكاتها (ج) ط: إدراكاتها.

غيرُ صادقٍ، لكن للعقل حدٌّ يَتَقَفُ عنده ولا يتعدى طوره، حتى يكون له أن يُحيط بالله وبصِفاته. فإنه ذرّةٌ من ذرّاتِ الوجود الحاصل منه. وتَقَطَّنُ من هذا الغلطِ من يُقدِّم العقلَ على السَّمْعِ في أمثالِ هذه القضايا، وقُصورِ فهمِهِ واضمحلالِ رأيه، فقد يَتَبَيَّنُ لك الحقُّ من ذلك.

- 5 وإذا تَبَيَّنَ ذلك ، فلعلَّ الأسبابَ إذا تَجَاوَزَتْ في الارتقاء نطاقَ إدراكنا ووجودنا، خَرَجَتْ عن أن تكونَ مُدْرَكَةً، فيضِلُّ العقلُ في بَيِّداءِ الأوهام، ويَحَارُ وَيَنْقَطِعُ. فإذن، التَّوْحِيدُ هو العَجْزُ عن إدراكِ الأسبابِ وكيفياتِ تأثيراتها، وتفويضُ ذلك إلى خالقها المحيطِ بها، إذ لا فاعلَ غيرَه، وكلُّها ترتقي إليه وترجعُ إلى قُدْرَتِهِ. وَعَلِمْنَا به إنّما هو من حيثِ صُدُورنا عنه لا غير. وهذا هو مَعْنَى ما نُقِلَ عن بعضِ الصّديقين: العَجْزُ عن [دَرْكِ] <sup>(1)</sup> الإِدْرَاكِ <sup>(2)</sup> إدْرَاكِ.
- 10

ثمَّ إنّ المُعْتَبَرَ في هذا التَّوْحِيدِ، لَيْسَ هو الإيمانُ فقط، الَّذِي هو تصديقٌ حُكْمِي، فإنَّ ذلك من حديثِ النَّفْسِ. وإنَّما الكَمَالُ فيه حصولُ صفةٍ منه تَكْيِيفُ بها النَّفْسُ. كما أنَّ المطلوبَ من الأَعْمَالِ والعباداتِ أيضاً حصولُ مَلَكَةِ الطَّاعَةِ والانتقيادِ، وتَفْرِيقُ القَلْبِ من شواغلِ ما سِوَى المَعْبُودِ، حتَّى ينقلبَ المريدُ السَّالِكُ رَبَّانِيًّا.

15

(1) زيادة اقتضاها أصل النَّصِّ ومعناه .

(2) عزا غير واحد هذا القول لأبي بكر الصديق، وما أظنّه قاله، فقول المؤلف: بعض الصديقين، أجود. ومَن عزاه إلى أبي بكر: الإسفراني في "التبصير في الدين" 160، والغزالي في "المقصد الأسنى" 54، وعلي القاري في "الردّ على من قال بوحدة الوجود" 1: 18، 74، 90 .

والفرق بين الحال والعلم في العقائد ، فرق ما بين القول والاتصاف .

[312ب] وشَرُّهُ، أَنَّ كثيراً من الناس / يَعْلَمُ أَنَّ رَحْمَةَ الْيَتِيمِ وَالْمَسْكِينِ قُرْبَةٌ إِلَى اللَّهِ مَنْدُوبٌ إِلَيْهَا، وَيَقُولُ [بذلك]<sup>(1)</sup> وَيَعْتَرِفُ بِهِ وَيَذْكُرُ مَا أَخَذَهُ مِنَ الشَّرِيعَةِ، وَهُوَ لَوْ رَأَى يَتِيماً أَوْ مَسْكِيناً مِنْ أُنْبَاءِ الْمُسْتَضْعِفِينَ لَفَرَّ عَنْهُ وَاسْتَنَكَفَ أَنْ يُبَاشِرَهُ، فَضْلاً عَنْ التَّمَسُّحِ عَلَيْهِ لِلرَّحْمَةِ، وَمَا بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ مَقَامَاتِ الْعَطْفِ وَالْحَنُوءِ وَالصَّدَقَةِ. فَهَذَا إِنَّمَا حَصَلَ<sup>(ب)</sup> لَهُ - مِنْ رَحْمَةِ الْيَتِيمِ - مَقَامُ الْعِلْمِ، وَلَمْ يَخْضُلْ لَهُ مَقَامُ الْحَالِ وَالِاتِّصَافِ. وَمَنْ النَّاسُ مَنْ يَخْضُلُ [لَهُ] مَعَ مَقَامِ الْعِلْمِ وَالِاعْتِرَافِ، بِأَنَّ رَحْمَةَ الْمَسْكِينِ قُرْبَةٌ إِلَى اللَّهِ، مَقَامٌ آخِرُ أَعْلَى مِنَ الْأَوَّلِ، وَهُوَ الْإِتِّصَافُ بِالرَّحْمَةِ وَحُصُولُ مَلَكَتِهَا. فَمَتَى رَأَى يَتِيماً أَوْ مَسْكِيناً بَادَرَ إِلَيْهِ وَمَسَحَ عَلَيْهِ وَالتَّمَسَّ الثَّوَابَ فِي الشَّفَقَةِ عَلَيْهِ، لَا يَكَادُ يَضُرُّ عَنْ ذَلِكَ وَلَوْ دُفِعَ عَنْهُ . ثُمَّ يَتَصَدَّقُ عَلَيْهِ بِمَا حَضَرَهُ مِنْ ذَاتِ يَدِهِ.

وكذا عِلْمُكَ بِالتَّوْحِيدِ مَعَ اتِّصَافِكَ بِهِ. وَالْعِلْمُ حَاصِلٌ عَنِ الْإِتِّصَافِ ضَرُورَةً، وَهُوَ أَوثَقُ مَبْنًى مِنَ الْعِلْمِ الْحَاصِلِ قَبْلَ الْإِتِّصَافِ. وَلَيْسَ الْإِتِّصَافُ بِحَاصِلٍ عَنْ مُجَرَّدِ الْعِلْمِ حَتَّى يَقَعَ الْعَمَلُ وَيَتَكَرَّرُ مِرَاراً غَيْرَ مُنْخَصِرَةٍ ، فَتَرَسَّخَ الْمَلَكَةُ وَيَخْضُلَ الْإِتِّصَافُ وَالتَّحْقِيقُ ، وَيَجِيءُ الْعِلْمُ الثَّانِي النَّافِعُ فِي الْآخِرَةِ . فَإِنَّ الْعِلْمَ الْأَوَّلَ الْمُجَرَّدَ عَنِ الْإِتِّصَافِ قَلِيلُ الْجَدْوَى وَالنَّفْعِ. وَهَذَا عِلْمٌ أَكْثَرُ النُّظَارِ، وَالْمَطْلُوبُ إِنَّمَا هُوَ الْعِلْمُ الْحَالِي النَّاشِئُ عَنِ الْعِبَادَةِ.

(1) من ع ج ي ، وسقط من ظ (ب) في ع: يحصل .

واعلم أن الكمال عند الشارع في كل ما كلف به إنما هو في هذا. فما طلب اعتقاده فالكمال فيه في العلم الثاني الحاصل عن الاتصاف، وما طلب عمله من العبادات، فالكمال فيها في حصول الاتصاف والتحقق بها. ثم إن الإقبال على العبادات والمواظبة عليها هو المحصل لهذه الثمرة الشريفة. قال ﷺ<sup>(1)</sup> في رأس العبادات: "جعلت قرة عيني في الصلاة". فإن الصلاة صارت له صفة وحالاً يجد 5 فيها منتهى لذته وقرّة عينه. وأين / هذه من صلاة الناس، ومن لهم بها ﴿ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾ [سورة الماعون، الآيتان 4، 5]. اللهم وفقنا و ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ [سورة الفاتحة، الآيتان 6، 7].

[313]

10 فقد تبين لك من جميع ما قررناه، أن المطلوب في التكليف كلها حصول ملكة راسخة في النفس، ينشأ عنها علم اضطراري للنفس، هو التوحيد، وهو العقيدة الإيمانية، وهو الذي تحصل به السعادة، وأن ذلك سواء في التكليف القلبية أو البدنية. وتفهم منه أن الإيمان الذي هو أصل التكليف كلها ويتبوعها هو بهذه المثابة، وأنه ذو مراتب: أولها، التصديق القلبي الموافق للسان، وأعلىها 15 حصول كيفية من ذلك الاعتقاد القلبي وما يتبعه من العمل، مستولية على القلب، فتستتبع الجوارح، وتندرج في طاعتها جميع التصرفات، حتى تنخرط الأفعال كلها

(1) حديث حسن أخرجه أحمد في مسنده 3: 128، 199، 285، والنسائي في المجتبى 7: 61-62، والطبراني في المعجم الأوسط (5768)، وفي المعجم الصغير (741)، والحاكم في المستدرک 2: 160، والخطيب البغدادي في تاريخ مدينة السلام 14: 343 من حديث أنس بن مالك.

في طاعة ذلك التَّصديق الإيمانيّ. وهذا أرفع مراتب الإيمان، وهو الإيمان الكامل الذي لا يُقَارَفُ المؤمنُ معه كبيرة ولا صغيرة، إذ حصولُ الملكة ورسوخها مانعٌ مع الانحراف عن مَنَاجِيها طَرْفَةً عَيْنٍ. قال ﷺ (1): "لا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وهو مُؤْمِنٌ". وفي حديث هِرْقَل (2)، لما سأل أبا سُفْيَانَ بْنَ حَزْبٍ عن النَّبِيِّ ﷺ وأحواله، فقال في أصحابه: هل يَزْتَدُّ أَحَدٌ مِنْهُمْ سَخَطَةً لِدِينِهِ [بعد أن يَدْخُلَ فِيهِ] (1)؟ قال: لا. قال: وكذلك الإيمان حين تُخَالِطُ بِشَاشَتِهِ الْقُلُوبَ. وَمَعْنَاهُ أَنَّ مَلَكَةَ الإيمان إذا اسْتَقَرَّتْ عَسَرَ عَلَى النَّفْسِ [مُخَالَفَتُهَا] (ب)، شَأْنَ الْمَلَكَاتِ إِذَا اسْتَقَرَّتْ، فَإِنَّهَا تَحْصُلُ بِمَثَابَةِ الْحَبْلَةِ وَالْفِطْرَةِ. وهذه هي الرِّبَّةُ الْعَالِيَةُ مِنَ الْإِيمَانِ، وهي في الرِّبَّةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الْعِصْمَةِ، لِأَنَّ الْعِصْمَةَ وَاجِبَةٌ لِلْأَنْبِيَاءِ وَجُوباً سَابِقاً، وهذه حَاصِلَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ حُصُولاً تَابِعاً لأَعْمَالِهِمْ وَتَصَدِيقِهِمْ. 10

فهذه الْمَلَكَةُ وَرُسُوخُهَا يَقَعُ التَّفَاوُثُ فِي الْإِيمَانِ [الَّذِي] (ج) يُثَلَى عَلَيْكَ / من أقاويل السَّلَف. وفي تَرَاجِمِ الْبُخَارِيِّ [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ] (د) فِي بَابِ الْإِيمَانِ (3)، [313ب] كَثِيرٌ مِنْهُ، مِثْلَ: أَنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ (4)، وَأَنَّهُ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ (5)، وَأَنَّ الصَّلَاةَ وَالصَّيَامَ

(أ) من حاشية ع، وسقط من ظ ج ي (ب) من ع، وفي ظ: مَخَالَطَتُهَا (ج) كَذَا فِي ع، وَفِي ظ ج ي: كَالَّذِي (د) مِنْ ي.

(1) فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ: الْبُخَارِيُّ 3: 135، 178، 195-، 8: 204 حَدِيثٌ رَقْمُ (6810) وَمُسْلِمٌ (57).

(2) قِطْعَةٌ مِنْ حَدِيثِ هِرْقَلِ الطَّوِيلِ الَّذِي أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ (7) وَمُسْلِمٌ (1773).

(3) هُوَ أَوَّلُ كِتَابٍ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ 1: 8.

(4) الْمَصْدَرُ نَفْسُهُ: 1: 8.

(5) الْمَصْدَرُ نَفْسُهُ 1: 17.

من الإيمان<sup>(1)</sup>، وَأَنَّ تَطَوُّعَ رَمَضَانَ من الإيمان<sup>(2)</sup>، والحياة من الإيمان<sup>(3)</sup>. والمراد بهذا كله الإيمان الكامل الذي أَسْرَنَّا إِلَيْهِ وإلى حُصُولِ مَلَكَتِهِ، وهو فِعْلِيٌّ. وَأَمَّا التَّصَدِيقُ الَّذِي هُوَ أَوَّلُ مَرَاتِبِهِ، فَلَا تَفَاوُثَ فِيهِ. فَمَنْ اعْتَبَرَ أَوَائِلَ الْأَسْمَاءِ، وَحَمَلَهُ عَلَى التَّصَدِيقِ، مَنَعَ مِنَ التَّفَاوُثِ، كَمَا قَالَ أَيْمَنُ الْمُتَكَلِّمِينَ، وَمَنْ اعْتَبَرَ أَوَاخِرَ الْأَسْمَاءِ وَحَمَلَهُ عَلَى هَذِهِ الْمَلَكَةِ الَّتِي هِيَ الْإِيمَانُ الْكَامِلُ، ظَهَرَ لَهُ التَّفَاوُثُ. وَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِحٍ 5 فِي اتِّحَادِ حَقِيقَتِهِ الْأُولَى الَّتِي هِيَ التَّصَدِيقُ، إِذِ التَّصَدِيقُ مَوْجُودٌ فِي جَمِيعِ رُتَبِهِ، لِأَنَّهُ أَقَلُّ مَا يَنْطَلِقُ عَلَيْهِ اسْمُ الْإِيمَانِ، وَهُوَ الْمُخْلَصُ مِنْ عَهْدَةِ الْكُفْرِ، وَالْفَيْصَلُ بَيْنَ الْكَافِرِ وَالْمُؤْمِنِ. فَلَا يُجْزِئُ أَقَلُّ مِنْهُ، وَهُوَ فِي نَفْسِهِ حَقِيقَةٌ وَاحِدَةٌ لَا تَتَفَاوُثُ. وَإِنَّمَا التَّفَاوُثُ فِي الْحَالِ الْحَاصِلَةِ عَنِ الْأَعْمَالِ، كَمَا قُلْنَا؛ فَافْهَمُهُ.

وَاعْلَمْ أَنَّ الشَّارِعَ وَصَفَ لَنَا هَذَا الْإِيمَانَ الَّذِي فِي الرُّتَبَةِ الْأُولَى الَّذِي هُوَ 10 تَصَدِيقٌ، وَعَيْنَ أُمُورٍ مُخْصُوصَةٍ كَلَّفْنَا التَّصَدِيقَ بِهَا بِقُلُوبِنَا وَاعْتِقَادِهَا فِي أَنْفُسِنَا، مَعَ الْإِقْرَارِ بِهَا بِالْإِسْتِنَاتِ، وَهِيَ الْعَقَائِدُ الَّتِي تَقَرَّرَتْ فِي الدِّينِ. قَالَ ﷺ حِينَ سُئِلَ عَنِ الْإِيمَانِ، فَقَالَ<sup>(4)</sup>: "أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ". وَهَذِهِ هِيَ الْعَقَائِدُ الْإِيمَانِيَّةُ الْمَقَرَّرَةُ فِي عِلْمِ الْكَلَامِ.

(1) صحيح البخاري 1: 16 .

(2) المصدر نفسه .

(3) المصدر نفسه 1: 12 .

(4) أخرجه مسلم في الإيمان (10) من حديث ابن عمر (8) بهذا اللفظ، وأخرجه بمثله أيضاً (10) من حديث أبي هريرة، وأخرجه هو (9) والبخاري في صحيحه 1: 19 حديث (50) من حديث أبي هريرة أيضاً، وليس فيه: وتؤمن بالقدر خيره وشره .

ولنُشِرَ إليها مُجْمَلَةٌ لِيَتَبَيَّنَ لَكَ حَقِيقَةُ هَذَا الْفَرَقِ وَكَيْفِيَّةُ حُدُوثِهِ، فنقول: اعْلَمْ  
 أَنَّ الشَّارِعَ لَمَّا أَمَرْنَا بِالْإِيمَانِ بِهَذَا الْخَالِقِ، الَّذِي رَدَّ الْأَفْعَالَ كُلَّهَا إِلَيْهِ، وَافْرَدَهُ بِهَا، كَمَا  
 قَدَّمْنَاهُ، وَعَرَّفْنَا أَنْ فِي هَذَا الْإِيمَانِ نَجَاتُنَا إِذَا حُضِرْنَا عِنْدَ الْمَوْتِ، لَمْ يُعَرَّفْنَا بِكُنْهِ  
 حَقِيقَةِ هَذَا الْخَالِقِ الْمَعْبُودِ، إِذْ ذَلِكَ مُتَعَدِّزٌ عَلَى إِدْرَاكِنَا / وَمِنْ فَوْقِ طَوْرِنَا. فَكَلَّفْنَا [314] 5  
 أَوَّلًا اعْتِقَادَ تَنْزِيهِهِ فِي ذَاتِهِ عَنْ مُشَابَهَةِ الْمَخْلُوقِينَ، وَإِلَّا لَمَّا صَحَّ أَنَّهُ خَالِقٌ لَهُمْ، لَعَدَمَ  
 الْفَارِقِ عَلَى ذَلِكَ التَّقْدِيرِ. ثُمَّ تَنْزِيهِهِ عَنْ صِفَاتِ النَّقْصِ، وَإِلَّا لَشَابَهَةِ الْمَخْلُوقِينَ. ثُمَّ  
 تَوْحِيدِهِ [بِالْأُلُوْهِيَّةِ] <sup>(1)</sup>، وَإِلَّا لَمْ يَتِمَّ الْخَلْقُ لِلتَّمَنُّعِ. ثُمَّ اعْتِقَادَ أَنَّهُ عَالِمٌ قَادِرٌ، فَبِذَلِكَ تَتِمُّ  
 الْأَفْعَالَ شَاهِدًا أَقْضِيَّتِهِ، لِكَمَالِ الْإِبْجَادِ وَالْخَلْقِ. وَمُرِيدٌ، وَإِلَّا لَمْ يَتَخَصَّصْ شَيْءٌ مِنَ  
 الْمَخْلُوقَاتِ. وَمُقَدَّرٌ لِكُلِّ كَائِنٍ، وَإِلَّا فَالْإِرَادَةُ حَادِثَةٌ. وَأَنَّهُ يَعِيدُنَا بَعْدَ الْمَوْتِ، تَكْمِيلًا  
 10 لِعِنَايَتِهِ بِالْإِبْجَادِ الْأَوَّلِ. وَلَوْ كَانَ لِلْفَنَاءِ الصَّرْفُ كَانَ عَبَثًا، فَهُوَ لِلْبَقَاءِ السَّرْمَدِيِّ بَعْدَ  
 الْمَوْتِ. ثُمَّ اعْتِقَادَ بَعْثِهِ الرُّسُلَ لِلنَّجَاةِ مِنْ شَقَاءِ هَذَا الْمَعَادِ، لاختلافِ أحواله بالشَّقَاءِ  
 وَالسَّعَادَةِ. وَعَدَمَ مَعْرِفَتِنَا بِذَلِكَ، وَتِمَامَ لُطْفِهِ بِنَا فِي الْإِنْبَاءِ بِذَلِكَ، وَبَيَانَ الطَّرِيقَيْنِ،  
 وَأَنَّ الْجَنَّةَ لِلتَّعِيمِ، وَجَهَنَّمَ لِلْعَذَابِ. هَذِهِ <sup>(ب)</sup> أَمْهَاتُ الْعَقَائِدِ الْإِيمَانِيَّةِ، مُعَلَّلَةٌ بِأَدِلَّتِهَا  
 الْعَقْلِيَّةِ. وَأَدِلَّتُهَا مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ كَثِيرٌ.

15 وَعَنْ تِلْكَ الْأَدِلَّةِ أَخَذَهَا السَّلَفُ، وَأَرْشَدَ إِلَيْهَا الْعُلَمَاءُ، وَحَقَّقَهَا الْأَيُّمَةُ. إِلَّا أَنَّهُ  
 عَرَضَ بَعْدَ ذَلِكَ خِلَافٌ فِي تَفَاصِيلِ هَذِهِ الْعَقَائِدِ، أَكْثَرُ مَثَارِهَا مِنَ الْآيِ الْمُتَشَابِهَةِ.  
 فَدَعَا ذَلِكَ إِلَى الْحِصَامِ وَالتَّنَاطُرِ وَالِاسْتِدْلَالِ بِالْعَقْلِ، زِيَادَةً إِلَى التَّقْلِ. فَحَدَثَ  
 بِذَلِكَ عِلْمُ الْكَلَامِ. وَلِنُبَيِّنَ لَكَ تَفْصِيلَ هَذَا الْمُجْمَلِ.

(1) كَذَا فِي ع ج، وَفِي ط ي: بِالْإِبْجَادِ (ب) فِي ع: فَهَذِهِ.



وذلك أنَّ القرآنَ وردَ فيه وَصْفُ المَعْبُودِ بالتَّنْزِيهِ المُنْطَلَقِ الظَّاهِرِ الدَّلَالَةُ من غير تأويلٍ في آيٍ كثيرة. وهي سُلُوبٌ كُلُّهَا وصرِيحَةٌ في بابِها. فوجب الإيمانُ بها. ووقعَ في كلامِ الشَّارِعِ صلواتُ الله عليه وكلامُ الصَّحَابَةِ والتَّابِعِينَ تفسِيرُها على ظاهِرِها. ثمَّ وردَتْ في القرآنِ آيٌ أخرى قليلةٌ ، توهمُ التَّشْبِيهَ مَرَّةً في الذَّاتِ ، وأخرى في الصِّفَاتِ . فَأَمَّا السَّلَفُ ، فغلبوا أدلةَ التَّنْزِيهِ لكثرتها / ووضوح دلائلِها ، وعلموا 5 استحالةَ التَّشْبِيهِ ، وقضوا بأنَّ الآياتِ من كلامِ الله ، فأمنوا بها ولم يتعرَّضوا لمعناها ببحثٍ ولا تأويلٍ. وهذا مَعْنَى قولِ الكثيرِ منهم: أمرُوها<sup>(1)</sup> كما جاءَتْ ، أي: آمنوا بأنَّها من عند الله ، ولا تتعرَّضوا لتأويلِها ولا تغيِّرُها ، لجوازِ أن تكونَ ابتلاءً. فيجبُ الوقْفُ والإذعانُ له.

وشدَّ لعَصرهم مبتدعةً اتَّبَعُوا ما تَشَابَهَ من الآياتِ \* وتَوَعَّلُوا في التَّشْبِيهِ<sup>(2)</sup> ، 10 ففريقٌ شَبَّهُوا في الذَّاتِ باعْتِقادِ اليَدِ والقَدَمِ والوَجْهِ ، عَمَلًا بظواهرِ وردَتْ بذلك. فوقَّعوا في التَّجْسِيمِ الصَّريحِ ومُخالَفةِ آيِ التَّنْزِيهِ. لأنَّ معقوليَّةَ الجِسْمِ تُقْتَضِي التَّقْصُّ والافتِقَارَ. وتَغْلِيْبُ<sup>(ب)</sup> آياتِ السُّلُوبِ في التَّنْزِيهِ المُنْطَلَقِ الَّتِي هي أَكْثَرُ مَواردَ وأوضحُ دَلالةً ، أَوْلَى من<sup>(ب)</sup> التَّعَلُّقِ بظواهرِ هذه الَّتِي لنا غُنيَّةٌ عنها<sup>(ج)</sup> ، وَجَمْعُ بَيْنِ الدَّلِيلِينِ بتأويلِها. ثمَّ يَفَرُّونَ من شناعةِ ذلك بقولهم: جِسْمٌ لا كالأجسامِ. وليس ذلك 15 بدافعٍ عنهم ، لأنَّه قولٌ مُتَنَاقِضٌ ، وَجَمْعُ بَيْنِ نَقْيٍ وإثباتٍ ؛ إن كانا لمعقوليَّةٍ واحدةٍ من

(أ) سقط ما بين النجمين من ع (ب) ما بين الباءين حاشية في ع بخطه (ج) سقط من ظ ي ج .

(1) استعملها سفيان بن عيينة في الأخبار عن الصفات (الميزي: تهذيب الكمال 1: 514) والزهرري ومكحول (الذهبي: سير أعلام النبلاء 5: 162، 7: 247) ومالك والثوري والليث والأوزاعي (تذكرة الحفاظ 1: 304).

الجِسم، وإن خالفًا بينهما ونفياً المعقوليّة المتعارفة فقد وافقونا في التّزيه. ولم يبق إلاّ  
 جعلهم لفظَ الجسم اسماً من أسمائه، ويتوقّف مثله على الأذن. وفريقٌ منهم ذهبوا  
 إلى التّشبيه في الصفات، كإثبات الجهة والاستواء والنّزول والصّوت والحرف،  
 وأمثال ذلك. وآل قولهم إلى التّجسيم، فنزَعوا مثل الأولين إلى قولهم: صوتٌ لا  
 5 كالأصوات، جهةٌ لا كالجّهات، نزولٌ لا كالنّزول، ينعنون من الأجسام. واندفع ذلك  
 بما دُفع [به] <sup>(1)</sup> الأول. ولم يبق في هذه الطّواهر إلاّ اعتقادات السّلف ومذاهبهم،  
 والإيمان بها كما هي، لئلاّ يكرّ التّفي لمعانيها على نفيا مع أنّها صحيحةٌ ثابتةٌ من  
 القرآن. وإلى هذا ينظر ما تراه في عقيدة الرّسالة لابن أبي زَيْد، وكتاب / المختصر [315]  
 له، وفي كتب الحافظ ابن عبد البر، وغيرهم. فإنهم يُحْمِونَ على هذا المعنى. ولا  
 10 تُغْمِضُ عينك عن القرائن الدّالة على ذلك في عُضُونِ كلامهم.

ثمّ لما كُثِرَت العلوم والصّنائع، وولّع الناس بالتّدوين والبحث في سائر  
 الأنحاء، وألّف المتكلّمون في التّزيه، حدثت بدعة المغترّة في تعميم هذا التّزيه في  
 أي السّلوب. فقضوا بنفي صفات المعاني، من العلم والقُدرة والإرادة والحياة،  
 زائدة على أحكامها، لما يلزم عن <sup>(ب)</sup> ذلك من تعدّد القديم بزعمهم. وهو مردودٌ بأنّ  
 15 الصّفات ليست نفس الذات ولا غيرها. وقضوا بنفي صفة الإرادة، فلزمهم نفي  
 القدر، لأنّ معناه سبق الإرادة للكائنات. وقضوا بنفي السّمع والبصر لكونهما من  
 عوارض الأجسام، وهو مردودٌ بأنّ الصّفات ليست نفس الذات ولا غيرها. وقضوا

(1) من ع وحدها (ب) ع: على .

بِنَفْيِ صِفَةِ الْإِرَادَةِ، فَلَزِمَهُمْ نَفْيُ الْقَدَرِ، لِأَنَّ مَعْنَاهُ سَبْقُ الْإِرَادَةِ لِلْكَائِنَاتِ. وَقَضُوا  
بِنَفْيِ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ لَكُونِهِمَا مِنْ عَوَارِضِ الْأَجْسَامِ، وَهُوَ مُرَدُّ لِعَدَمِ اشْتِرَاطِ الْبَيِّنَةِ  
فِي مَذَلُولِ هَذَا اللَّفْظِ، وَإِنَّمَا هُوَ إِدْرَاكٌ لِلْمَسْمُوعِ أَوْ الْمُبْصَرِ. وَقَضُوا بِنَفْيِ الْكَلَامِ  
لِشَبْهِهِ مَا فِي السَّمْعِ وَالْبَصَرِ، وَلَمْ يَغْلِقُوا صِفَةَ الْكَلَامِ الَّتِي تَقُومُ بِالنَّفْسِ، فَقَضُوا بِأَنَّ  
5 الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ؛ بِدَعْوَةِ صَرَحَ السَّلَفُ بِخِلَافِهَا. وَعَظُمَ ضَرَرُ هَذِهِ الْبِدْعَةِ، وَلَقِنَهَا بَعْضُ  
الْخُلَفَاءِ عَنْ بَعْضِ أَيْمَتِهِمْ، فَحُمِلَ عَلَيْهَا النَّاسُ، وَخَالَفَهُمْ أَيْمَةُ الدِّينِ<sup>(1)</sup>، فَاسْتَبَاحَ  
بِخِلَافِهِمْ أَنْبَازَ كَثِيرٍ مِنْهُمْ وَدُمَاءَهُمْ. وَكَانَ ذَلِكَ سَبَبًا لَانْتِهَاضِ أَهْلِ السُّنَّةِ بِالْأَدِلَّةِ  
الْعَقْلِيَّةِ عَلَى هَذِهِ الْعَقَائِدِ دَفْعًا فِي صُدُورِ هَذِهِ الْبِدْعِ. وَقَامَ بِذَلِكَ الشَّيْخُ أَبُو الْحَسَنِ  
الْأَشْعَرِيُّ، إِمَامُ الْمُتَكَلِّمِينَ، فَتَوَسَّطَ بَيْنَ الطَّرِيقِ، وَنَفَى التَّشْبِيهَ، وَأَثَبَتِ الصِّفَاتِ  
10 الْمَعْنَوِيَّةَ، وَقَصَرَ التَّنْزِيهَ عَلَى مَا قَصَرَهُ عَلَيْهِ السَّلَفُ. وَشَهِدَتْ لَهُ الْأَدِلَّةُ الْمُخَصَّصَةُ  
لِعُمُومِهِ، فَأَثَبَتِ الصِّفَاتِ الْأَرْبَعُ الْمَعْنَوِيَّةَ، وَالسَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْكَلَامَ الْقَائِمَ بِالنَّفْسِ،  
بِطَرِيقِ الْعَقْلِ وَالنَّقْلِ. وَرَدَّ عَلَى الْمُبْتَدِعَةِ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ. وَتَكَلَّمَ مَعَهُمْ فِيمَا مَهَّدُوهُ لِهَذِهِ  
الْبِدْعِ مِنَ الْقَوْلِ بِالصَّلَاحِ وَالْأَصْلَحِ، وَالتَّحْسِينِ وَالتَّقْبِيحِ. وَكَمَّلَ الْعَقَائِدَ فِي الْبُعْثَةِ،  
وَأَحْوَالِ / الْمَعَادِ، وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَالثَّوَابِ، وَالْعِقَابِ. وَأَلْحَقَ بِذَلِكَ الْكَلَامَ  
[315ب] فِي الْإِمَامَةِ، لَمَّا ظَهَرَ حِينَئِذٍ مِنْ بَدْعَةِ الْإِمَامِيَّةِ فِي قَوْلِهِمْ: إِنَّهَا مِنْ عَقَائِدِ الْإِيمَانِ،  
15 وَإِنَّهَا يَجِبُ عَلَى النَّبِيِّ تَعْيِينُهَا وَالْخُرُوجُ عَنْ الْعَهْدَةِ فِيهَا لِمَنْ هِيَ لَهُ، وَكَذَلِكَ عَلَى  
الْأُمَّةِ.

(1) ي: السلف .

وقصارى أمر الإمامة أنها قضية مصلحية إجماعية، ولا تلحق بالعقائد؛ فلذلك الحقوها بمسائل هذا الفن.

وسمّوا مجموعة علم الكلام، إمّا لما فيه من المناظرة على البدع، وهي كلام صرّف، وليست براجعة إلى عمل. وإمّا لأنّ سبب وضعه والخوض فيه هو تنازعهم في إثبات الكلام النفساني. 5

وكثر أتباع الشيخ أبي الحسن الأشعري، واقتفى طريقته من بعده تلميذه، كابن مجاهد وغيره. وأخذ عنهم القاضي أبو بكر الباقلاني، فتصدّر للإمامة في طريقته، وهذبها ووضع المقدمات العقلية التي تتوقف عليها الأدلة والأنظار في ذلك، مثل إثبات الجوهر الفرد، والخلاء، وأنّ العرض لا يقوم بالعرض، وأنّه لا يبقى زمنين، وأمثال ذلك ممّا تتوقف عليه أدلّتهم. وجعل هذه القواعد تبعاً للعقائد 10 الإيمانية في وجوب اعتقادها لتوقف تلك الأدلة عليها، وأنّ بطلان الدليل يؤذن ببطلان المذلول. فكمّلت هذه الطريقة، وجاءت من أحسن الفنون النظرية والعلوم الدينية. إلّا أنّ صور الأدلة فيها بعض الأخطاء على غير الوجه الصناعي، لسداجة القوم، ولأنّ صناعة المنطق التي تُسبر بها الأدلة وتُعتبر بها الأقيسة، لم تكن حينئذ ظاهرة في الملّة. ولو ظهر منها بعض الشيء فلم<sup>(1)</sup> يأخذ بها المتكلمون، لملاستها 15 للعلوم الفلسفية المباشرة لعقائد الشرع بالجملة. فكانت عندهم مهجورة لذلك. ثمّ جاء بعد القاضي أبي بكر من أئمة الأشعرية، إمام الحرمين أبو المعالي، وأملّى في الطريقة

(1) ع: لم .

[316] كتاب الشامل، وأوسع<sup>(1)</sup> القول فيه. ثم لخصه في كتاب الإرشاد. واتخذ الناس إماماً لعقائدهم. ثم انتشر من بعد ذلك علم المنطق / في الملة، وقرأه الناس، وفرقوا بينه وبين العلوم الفلسفية بأنه قانون ومعيّار للأدلة فقط، تُسبر به الأدلة منها كما تُسبر من سواها. ثم نظروا في تلك القواعد المقدمات في فنّ الكلام للأقدمين، فخالفوا الكثير منها بالبراهين التي أدّتهم إلى ذلك. وربما أن كثيراً منها مُقتبس من 5 كلام الفلاسفة في الطبيعيات والإلهيات. فلما سبروها بمعيّار المنطق ردّهم إلى ذلك فيها، ولم يعتقدوا بطلان المدلول من بطلان دليله، كما صار إليه القاضي. فصارت هذه الطريقة في مُصطلحهم مباينة للطريقة الأولى، وتُسمى طريقة المتأخرين. وربما أدخلوا فيها الردّ على الفلاسفة فيما يخالفون فيه من العقائد الإيمانية، وجعلوهم من خصوم العقائد، لتناسب الكثير من مذاهب المبتدعة ومذاهبهم. 10

وأول من كتب في طريقة الكلام على هذا المنحى الغزالي [رحمه الله]<sup>(ب)</sup> وتبعه الإمام ابن الخطيب، وجماعة ففقوا أثرهم واعتمدوا تقليدهم. ثم توغل المتأخرون من بعدهم في مخالطة كتب الفلسفة، والتبس عليهم شأن الموضوع في العلمين، فحسبوه فيها واحداً من اشتباه المسائل فيها.

واعلم أن المتكلمين لما كانوا يشتدلّون في أكثر أحوالهم بالكائنات وأحوالها على 15 وجود الباري وصفاته، وهو نوع استدلالهم غالباً، والجسم الطبيعي الذي ينظر فيه الفيلسوف في الطبيعيات هو بعض من هذه الكائنات. إلا أن نظره فيها مخالف

(1) ع: وسع (ب) من ي .

لنَظَرِ المتكَلِّم، هو يَنْظُرُ في الجِسم من حيثُ يتحرَّكُ وَيَسْكُنُ، والمتكَلِّمُ ينظر فيه من حيثُ يدلُّ على الفاعِل. وكذا نَظَرُ الفَيلسُوفِ في الإلهيات، إنّما هو نَظَرٌ في الوجودِ المطلق وما يقتضيه لذاته، ونَظَرُ المتكَلِّمِ في الوجودِ من حيثُ يدلُّ على الموجدِ.

5 وبالجملة، فموضوعُ عِلْمِ الكلام عند أهلِهِ إنّما هو العقائدُ الإيمانيّةُ بعد / فَرَضِها [316ب] صحيحة من الشرع، من حيثُ يمكنُ أن يُستدلَّ عليها بالأدلة العقلية، فتُدْفَعُ البدعُ وتُرَالُ الشكوكُ والشُّبُهَةُ عن تلك العقائد.

وإذا تأملتَ حالَ الفَنِّ في حدوثه وكيف تدرّج كلامُ الناس فيه صَدرًا بعد صدر، وكلُّهم يَفْرِضُ العقائدَ صحيحةً وَيَسْتَنْهَضُ الحججَ والأدلة، علمتَ حينئذٍ صحّة ما قررناه لك في موضوع الفَنِّ، وأنّه لا يَعدُوهُ. ولقد اختلفت الطريقتان عند هؤلاء المتأخّرين، والتبسَتْ مسائلُ الكلام بمسائلِ الفَلَسَفَةِ، بحيثُ لا يُمَيِّزُ أحدُ الفَنِّينِ من الآخر، ولا يَحْصُلُ طائِبٌ عليه من كتبهم، كما فعله البينصاويُّ في الطوالع، ومن جاء بَعْدَهُ من علماء العَجَمِ في جميع تَواليفهم.

15 إلا أن هذه الطريقتَ قد يُعْنَى بها بعضُ طَلَبَةِ العِلْمِ، للاطلاع على المذاهبِ والإغراقِ في مَعْرِفَةِ الحِجَاجِ لوفور ذلك فيها. وأمّا محاذاةُ طَريقَةِ السَّلَفِ بعقائدِ عِلْمِ الكلام، فإنّما هُوَ<sup>(1)</sup> في الطَريقَةِ القَدِيمَةِ للمتكلِّمين، وأصلها كتابُ الإرشاد وما حذا

(1) ع: هي .

حَذْوُهُ. ومن أراد إدخال الردّ على الفلاسفة في عقائده، فعليه بكتب الغزالي والإمام ابن الخطيب، فإنها وإن وقع فيها مخالفة للاضطلاح القديم، فليس فيها من الاختلاط في المسائل والالتباس في الموضوع ما في طريقة هؤلاء المتأخرين من بعدهم.

- 5 وعلى الجملة، فينبغي أن تعلم أن هذا العلم الذي هو علم الكلام غير ضروري لهذا العهد على طالب العلم، إذ الملحذة والمبتدعة قد انقضىوا، والأئمة من أهل السنة كفونا شأنهم فيما دونوا وكتبوا. والأدلة العقلية، إنما احتيج إليها لما دافعوا ونصروا. وأما الآن، فلم يبق منها إلا كلام ينزه الباري عن الكثير من إيهاماته وإطلاقاته. ولقد سأل الجنيّد عن قوم مرّ بهم من المتكلمين يفيضون فيه، فقال: ما هؤلاء ؟ فقيل : قومٌ يُزْهَوْنَ / الله بالأدلة عن صفات الحُدُوثِ وسماتِ النقص. 10 [1317]
- فقال<sup>(1)</sup> : نفى الغيب حيث يستحيل الغيب غيبٌ . لكن فائدته في آحاد الناس وطلبة العلم فائدة مُعْتَبَرَةٌ ، إذ لا يحسنُ بحاملِ السُّنَّةِ الجَهِلُ بالحِجَاجِ النظرية على عقائدها. ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة آل عمران، من الآية 68].

(1) نقل المقرئ من كتاب المحاضرات لجده، قوله: قيل لصوفي: لم تقول الله الله، ولا تقول: لا إله إلا الله؟ فقال: نفى الغيب حيث يستحيل الغيب غيبٌ (نقح الطيب 5: 385).

16 ﴿ فَصُلِّ<sup>(١)</sup> ﴾ ، فِي كَشْفِ الْغَطَاءِ عَنِ الْمُتَشَابِهِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ،  
وَمَا حَدَّثَ لِأَجْلِ ذَلِكَ مِنْ طَوَائِفِ السُّنَّةِ وَالْمُبْتَدِعَةِ فِي الْأَعْتِقَادَاتِ

اعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ إِلَيْنَا نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا ﷺ ، يَدْعُونَا إِلَى التَّجَاةِ وَالْفُوزِ  
بِالنَّعِيمِ ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابَهُ الْكَرِيمَ بِاللَّسَانِ الْعَرَبِيِّ الْمُبِينِ ، يُخَاطِبُنَا فِيهِ بِالتَّكْلِيفِ  
5 الْمُفْضِيَةِ بِنَا إِلَى ذَلِكَ . وَكَانَ فِي خِلَالِ هَذَا الْخِطَابِ وَمِنْ ضَرُورَاتِهِ ذِكْرُ صِفَاتِهِ  
سُبْحَانَهُ وَأَسْمَائِهِ لِيَعْرِفُنَا بِذَاتِهِ ، وَذِكْرُ الرُّوحِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِنَا ، وَذِكْرُ الْوَحْيِ وَالْمَلَائِكَةِ  
الْوَسَائِطِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رُسُلِهِ إِلَيْنَا ، وَذَكَرَ لَنَا يَوْمَ الْبَعْثِ وَإِنْذَارَاتِهِ ، وَلَمْ يُعَيِّنْ لَنَا الْوَقْتَ  
فِي شَيْءٍ مِنْهَا . وَثَبَّتَ فِي هَذَا الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ حُرُوفٌ مِنَ الْهَجَاءِ مُقَطَّعَةٌ فِي أَوَّلِ بَعْضِ  
سُورِهِ لَا سَبِيلَ لَنَا إِلَى فَهْمِ الْمَرَادِ بِهَا . وَسَمَّى هَذِهِ الْأَنْوَاعَ كُلَّهَا مِنَ الْكِتَابِ مُتَشَابِهَةً وَذَمَّ  
10 عَلَى اتِّبَاعِهَا ، فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ  
الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَّهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ  
الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۚ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا  
بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [سورة آل عمران ، الآية 7] . وَحَمَلَ  
الْعُلَمَاءُ مِنْ سَلَفِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ هَذِهِ الْآيَةَ عَلَى أَنَّ الْمَحْكَمَاتِ هِيَ الْمَبِينَاتُ الثَّابِتَةُ  
15 الْأَحْكَامِ . وَلِذَلِكَ قَالَ الْفُقَهَاءُ فِي اضْطِلَاحِهِمُ : الْمُحْكَمُ ، الْمُتَضَخُّ الْمَعْنَى<sup>(١)</sup> . وَأَمَّا  
الْمُتَشَابِهَاتُ فَلَهُمْ فِيهَا عِبَارَاتٌ ، فَقِيلَ : هِيَ الَّتِي تَفْتَقِرُ إِلَى نَظَرٍ وَتَفْسِيرٍ يُصَحِّحُ مَعْنَاهَا

(١) هذا الفصل انفردت به نسخة ع ، ولم يرد في ط ج ي .

(١) لعله نقله من المحرر الوجيز 1: 43 ، وهو في تفسير البغوي 1: 279 ، وتفسير القرطبي 4: 11 .



لتعارضها مع آية أخرى أو مع العقل، فتَحْفَى دَلَالَتُهَا وَتَشْتَبِهُهُ. وعلى هذا قال ابن عباس<sup>(1)</sup>: الْمُتَشَابِهُ يُؤْمَنُ بِهِ وَلَا يُعْمَلُ بِهِ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ وَعِكْرِمَةُ: كُلُّ مَا سِوَى آيَاتِ الْأَحْكَامِ وَالْقَصَصِ مُتَشَابِهٌ. وعليه القاضي أبو بكر، وإمام الحرمين<sup>(2)</sup>. وقال الثوري والشَّعْبِيُّ وَجَمَاعَةٌ مِنْ عُلَمَاءِ السَّلَفِ: الْمُتَشَابِهُ مَا لَمْ يَكُنْ سَبِيلًا إِلَى عِلْمِهِ، كَشُرُوطِ السَّاعَةِ، وَأَوْقَاتِ الْإِنْذَارَاتِ، وَحُرُوفِ الْهَجَاءِ فِي أَوَائِلِ السُّورِ<sup>(3)</sup>. وقوله في الآية: 5 ﴿هُنَّ أُمَّ الْكِتَابِ﴾ أي: مُعْظَمُهُ وَغَالِيَتُهُ، وَالْمُتَشَابِهُ أَقْلُهُ، وَقَدْ يَرُدُّ إِلَى الْمُحْكَمِ. ثُمَّ دَمَّ الْمُتَّبِعِينَ لِلْمُتَشَابِهِ بِالتَّأْوِيلِ، أَوْ بِحَمْلِهَا عَلَى مَعَانٍ لَا تُقْبَلُ مِنْهَا فِي لِسَانِ الْعَرَبِ الَّذِي خُوِّطْنَا بِهِ، وَسَمَّاهُمْ أَهْلَ زَيْغٍ، أَيْ مَيْلٍ عَنِ الْحَقِّ مِنَ الْكُفَّارِ وَالزَّانِقَةِ وَجَهْلَةِ أَهْلِ الْبِدْعِ، وَأَنَّ فَعْلَهُمْ ذَلِكَ قَصْدًا لِلْفِتْنَةِ الَّتِي هِيَ الشَّرْكُ أَوِ اللَّبْسُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، أَوْ قَصْدًا لِتَأْوِيلِهَا بِمَا يَشْتَبِهُونَهُ، فَيَفْتَدُونَ<sup>(4)</sup> بِهِ فِي بِدْعَتِهِمْ. ثُمَّ أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ بِأَنَّهُ اسْتَأْثَرَ 10 بِتَأْوِيلِهَا وَلَا يَعْلَمُهُ إِلَّا هُوَ، فَقَالَ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾. ثُمَّ أَثْبَتَ عَلَى الْعُلَمَاءِ بِالْإِيمَانِ بِهَا فَقَطْ، فَقَالَ: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ﴾. وَلِهَذَا جَعَلَ السَّلَفُ ﴿وَالرَّاسِخُونَ﴾ مُسْتَأْنَفًا، وَرَجَّحُوهُ عَلَى الْعَطْفِ، لِأَنَّ الْإِيمَانَ بِالْغَيْبِ أَبْلَغُ فِي الثَّنَاءِ، وَمَعَ عَطْفِهِ إِنَّمَا يَكُونُ إِيمَانًا بِالشَّاهِدِ، لِأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ التَّأْوِيلَ حِينَئِذٍ فَلَا

(1) وردت في ع محملة غير مقروءة .

(1) تفسير ابن حاتم 2: 593، وتفسير الطبري 3: 172، والدر المنثور للسيوطي 2: 144 .

(2) المحرر الوجيز 1: 400، وتفسير الثعلبي 3: 10، الدر المنثور 2: 145 .

(3) نقله من المحرر الوجيز 1: 401 لأنه لم يذكر الأسماء غيره. وهو في تفسير الطبري 3: 174، وتفسير البغوي 1: 279، وأحكام القرآن للجصاص 2: 283 .

يَكُونُ غَيْبًا . وَيَعْضُدُ ذَلِكَ قَوْلُهُ : ﴿ كُلُّ مَنٍ عِنْدَ رَبِّنَا ﴾ . ويدلّ على أنّ التّأويلَ فيها غيرُ معلومٍ للبشر، إذ الألفاظُ اللّغويّةُ إنّما يُفهمُ منها المعاني التي وضَعها العربُ لها، فإذا استحال إسنادُ الخبرِ إلى مُخبّرٍ عنه جَهِلنا مدلولَ الكلام حينئذٍ. وإن جاءنا من عند الله فوَضنا علَمه إليه، ولا نشغلُ أنفسنا بمدلولٍ نلتَمِسُه له ؛ فلا سبيلَ لنا إلى ذلك . وقد قالت عائِشةُ رضي الله عنها : إذا رأيتمُ الذين يجادلونَ 5 في القرآن ، فهم الذين عَنَى الله ، فاحذروهم<sup>(1)</sup> . هذا مذهبُ السّلفِ في الآياتِ المُتشابهة. وجاء في السّنة ألفاظٌ مثلُ ذلك، مَحْمَلُها<sup>(1)</sup> عندهم محلُّ الآياتِ، لأنّ المنبَع واحدٌ.

وإذا تقررَت أصنافُ المُتشابهاتِ على ما قلناه، فلنرجع إلى اختلافِ التّاسِ 10 فيها . وأمّا ما يرجعُ منها على ما ذكره إلى السّاعةِ وأُشراطِها وأوقاتِ الإنذاراتِ ، وعددِ الزّبانيةِ وأمثالِ ذلك، فليس هذا، والله أعلمُ، من المُتشابه؛ لأنّه لم يرد فيه لفظٌ محتمل ولا غيره، وإنّما هي أزمنةٌ لحادِثاتِ استأثّر الله بعِلْمِها بَنَصّه في كتابه وعلى لسان نبيّه<sup>(2)</sup>، وقال: ﴿ إِنَّمَا عَلِمَهَا عِنْدَ اللَّهِ ﴾ [سورة الأعراف، من الآية 187]. والعجبُ ممّن عدّها في المُتشابه. وأمّا الحروفُ المقطّعة أوّل السّور فحقيقتُها حروفُ 15 الهجاء ، وليس ببعيدٍ أن تكون مُرادَةٌ . وقد قال الزّمخشرّي<sup>(3)</sup> : فيها إشارةٌ إلى بُعد

(1) ع: مجملها .

(1) هو في الصحيحين : البخاري (4547) ومسلم (1665) .

(2) ينظر مثلاً، البخاريّ 1: 20 حديث (50)، ومسلم (10) و (14) .

(3) الكشاف 1: 69 - .

الغاية في الإعجاز، لأنَّ القرآنَ المنزلَ مؤلَّفٌ منها، والبشرُ فيها سواءٌ، والتفاوتُ موجودٌ في دلالتها بعدَ التَّأليفِ. وإنَّ عدلَ عن هذا الوجهِ الَّذي تَضَمَّنَ الدَّلالةَ على الحقيقة، فإنَّما يكونُ بنقلِ صحيح، كقولهم في ﴿طه﴾: إِنَّهُ نِدَاءٌ مِنْ طَاهِرٍ وَهَادِي، وأمثال ذلك، والنقلُ الصَّحيحُ مُتَعَدِّزٌ، فيجبيءُ التَّشابهُ من هذا الوجهِ. وأمَّا الوحيُ والملائكةُ والروحُ والجِنُّ فاشتباهُها من خفاءِ دلالتها الحقيقة، لأنها غيرُ مُتعارفة، 5 فجاء التَّشابهُ فيها من أجل ذلك. وقد أَلْحَقَ بعضُ النَّاسِ بها كلَّ ما في مَعْنَاهَا من أحوالِ القيامةِ والجنةِ والنَّارِ والدَّجَالِ والْفِتَنِ والشُّرُوطِ، وما هو بخلافِ القوائدِ المألوفة؛ وهو غيرُ بعيدٍ؛ إلَّا أنَّ الجمهورَ لا يوافقونهم عليه، وسيِّئاً المتكلمونَ، فقد عَيَّنوا محامِلَها على ما تراه في كُتُبِهِمْ. ولم يَتَّقِ من المتشابهِ إلَّا بالصفاتِ الَّتِي وَصَفَ اللهَ بها نَفْسَهُ في كتابه وعلى لسانِ نَبِيِّهِ مَّا يُؤْهِمُ ظاهِرُهُ نَقْصاً أو تَعْجِيزاً. وقد 10 اختلفَ النَّاسُ في هذه الظواهرِ من بعدِ السَّلفِ الَّذينَ قَرَرْنَا مَذْهَبَهُمْ، وتنازعوا وَتَطَرَّقَ الْبِدْعُ إِلَى الْعَقَائِدِ. فَلْنُشِرْ إِلَى بَيَانِ مَذْهَبِهِمْ وَإِثَارِ الصَّحِيحِ مِنْهَا عَلَى الْفَاسِدِ، فنقول، وما توفيقِي إلَّا بالله:

اعْلَمْ أَنَّ اللهَ سَبْحَانَهُ وَصَفَ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ بِأَنَّهُ عَالِمٌ قَادِرٌ مَرِيدٌ حَيٌّ سَمِيعٌ بَصِيرٌ مُتَكَلِّمٌ جَلِيلٌ كَرِيمٌ جَوَادٌّ مُنْعِمٌ عَزِيزٌ عَظِيمٌ؛ وَكَذَلِكَ أَثَبَتْ لِنَفْسِهِ الْيَدَيْنِ 15 وَالْعَيْنَيْنِ وَالْوَجْهَ وَالْقَدَمَ وَالسَّاقَ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الصِّفَاتِ. فَمِنْهَا مَا يَقْتَضِي <sup>(١)</sup> صَحَّةَ الْأُلُوْهِيَّةِ مِثْلَ الْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ وَالْإِرَادَةِ ثُمَّ الْحَيَاةِ الَّتِي هِيَ شَرْطُ جَمِيعِهَا. وَمِنْهَا مَا هِيَ

(١) فِي ع: يَقْضِي .

صِفَةُ الْكَمَالِ كَالسَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَالْكَلَامِ. وَمِنْهَا مَا يُوهِمُ النَّقْصَ كَالِاسْتِواءِ وَالنَّزُولِ  
وَالْمَجِيءِ، وَكَالْوَجْهِ وَالْيَدَيْنِ وَالْعَيْنَيْنِ الَّتِي هِيَ صِفَاتُ الْمُخْدَثَاتِ. ثُمَّ أَخْبَرَ أَنَّا نَرَى  
رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، لَا نُضَامُ فِي رُؤْيَيْهِ.

فَأَمَّا السَّلَفُ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ، فَأَثْبَتُوا لَهُ صِفَاتِ الْأُلُوْهِيَّةِ وَالْكَمَالِ  
5 وَفَوَّضُوا إِلَيْهِ مَا يُوهِمُ النَّقْصَ سَاكِتِينَ عَنْ مَذْلُولِهِ. ثُمَّ اخْتَلَفَ النَّاسُ مِنْ بَعْدِهِمْ،  
وَجَاءَ الْمُعْتَزِلَةُ فَأَثْبَتُوا هَذِهِ الصِّفَاتِ أَحْكَاماً ذَهْنِيَّةً مُجَرَّدَةً، وَلَمْ يُثَبِّتُوا صِفَةً تَقُومُ لِدَانَتِهِ،  
وَسَمَّوْا ذَلِكَ تَوْحِيداً. وَجَعَلُوا الْإِنْسَانَ خَالِقاً لِأَفْعَالِهِ وَلَا تَتَعَلَّقُ بِهَا قُدْرَةُ اللَّهِ، سَيِّئاً  
الشَّرَّورَ وَالْمَعَاصِي مِنْهَا، إِذْ يَمْتَنِعُ عَلَى الْحَكِيمِ فِعْلُهَا. وَجَعَلُوا مِرَاعَاةَ الْأَصْلَحِ لِلْعِبَادِ  
وَاجِبَةً عَلَيْهِ، وَسَمَّوْا ذَلِكَ عَدَلاً، بَعْدَ أَنْ كَانُوا أَوَّلَ يَقُولُونَ بِنَفْيِ الْقَدَرِ، وَأَنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ  
10 مُسْتَأْتَفٌ بِعِلْمِ حَادِثٍ وَقُدْرَةِ وَإِرَادَةِ كَذَلِكَ كَمَا وَرَدَ فِي الصَّحِيحِ<sup>(1)</sup>، وَأَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ  
عُمَرَ تَبَرَّأَ مِنْ مَفْعَدِ الْجَهَنِّيِّ وَأَصْحَابِهِ الْقَائِلِينَ بِذَلِكَ. وَانْتَهَى نَفْيُ الْقَدَرِ إِلَى وَاصِلِ بْنِ  
عَطَاءٍ الْغَزَالِ مِنْهُمْ تَلْمِيزِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ لِعَهْدِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ، ثُمَّ آخِراً إِلَى مَعْمَرِ  
السُّلَمِيِّ، وَرَجَعُوا عَنِ الْقَوْلِ بِهِ. وَكَانَ مِنْهُمْ أَبُو الْهَذِيلِ الْعَلَّافُ، وَهُوَ شَيْخُ الْمُعْتَزِلَةِ،  
أَخَذَ الطَّرِيقَةَ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ خَالِدِ الطَّوِيلِ عَنْ وَاصِلٍ، وَكَانَ مِنْ ثِقَاةِ الْقَدَرِ، وَاتَّبَعَ رَأْيَ  
15 الْفَلَاسِفَةِ فِي نَفْيِ الصِّفَاتِ الْوُجُودِيَّةِ لظُهُورِ مَذَاهِبِهِمْ يَوْمئِذٍ. ثُمَّ جَاءَ إِبْرَاهِيمُ النَّظَّامُ  
وَقَالَ بِالْقَدَرِ وَاتَّبَعُوهُ، وَطَالَعَ كَتَبَ الْفَلَاسِفَةِ وَشَدَّدَ فِي نَفْيِ الصِّفَاتِ، وَقَرَّرَ قَوَاعِدَ  
الْإِعْتِزَالِ. ثُمَّ جَاءَ الْجَاحِظُ وَالْكَفِيُّ وَالْجَبَّائِيَّةُ. وَكَانَتْ طَرِيقَتُهُمْ تُسَمَّى عِلْمَ الْكَلَامِ، إِمَّا

(1) قِطْعَةٌ مِنْ حَدِيثٍ أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (1) وَالتِّرْمِذِيُّ (2610) وَأَبُو دَاوُدَ (4695) وَ (4696) وَ (4697).

لما فيها من الججاج والجِدال، وهو الذي يُسمَّى كلاماً؛ وإمّا لأنَّ أصلَ طريقَتهم نقي صِفَة الكلام. فلهذا كان الشافعي يقول<sup>(1)</sup>: حَقُّهم أن يُضَرِّبوا بالجريد ويُطافَ بهم. وقَرَّر هؤلاء طريقَتهم، وتتابع ذلك في أتباعهم وأثبتوا منها وردّوا. إلى أن ظهر الشيخ أبو الحسن الأشعري، وناظر بعض مشيختهم في مسائل الصّلاح والأصْلح، فرفض طريقَتهم، وكان على رأي عبد الله بن سعيد بن كُلاب، وأبي العباس القلانسي، 5 والحارث بن أسد المحاسبي، من أتباع السلف وعلى طريقة السُّنَّة، فأيدَ مقالاتهم بالحُجج الكلاميّة، وأثبت الصّفات القائمة بذات الله تعالى من العِلْم والقُدرة والإرادة والحياة التي بها يَمُ دليْل التّمايُ وتَصِحُّ المعجزاتُ للأنبياء. وكان من مذهبهم إثبات الكلام والسَّمع والبَصَر، لأنّها وإن أُوهمَ ظاهرها التّقصُّ بالصّوت والحَرْف الجسمانيّين، فقد وُجِد للكلام عند العَرَب مدلولٌ آخر غير الحَرْف والصّوت، وهو ما يدور في 10 الحَلَد، والكلامُ حقيقةٌ فيه دون الأوّل. فأثبتوه لله تعالى، وانتهى إِيهاُمُ التّقص، وأثبتوا هذه الصّفة قديمةً عامّةً التعلُّق، شأن الصّفات الأخرى، وصار القرآنُ اسماً مُشترِكا بين القديم القائم بذات الله، وهو الكلامُ النّفسيّ، والمحدَث الذي هو الحروفُ المؤلّفةُ المقرّوءةُ بالأصوات. فإذا قيل: قديمٌ، فالمرادُ الأوّل، وإذا قيل: مقرّوءٌ مَسْموعٌ فلدلالةُ القِراءة والكِتابَةِ عليه. وتَوَرَّع الإمامُ أحمدُ من إطلاق لَفْظِ الحُدُوث عليه؛ 15 لأنّه لم يُسمع من السلف قَبْلَه [أنّه]<sup>(1)</sup> يقول: إنّ المصاحفَ المكتوبةَ قديمةً، ولا أنَّ

(1) قراءة تقريبية من حاشية ع .

(1) أبو نعيم: حلية الأولياء 9: 116، وشرف أصحاب الحديث: للخطيب البغدادي 78، والغزالي: إحياء علوم الدين 1: 95، وسير أعلام النبلاء 10: 29 .

القراءة الجارية على الألسنة قديمة، وهو يُشاهدُها مُحدثةً. وإنّا منعه من ذلك الورع  
 الذي كان عليه. وأمّا غير ذلك فإنكازاً للضروريات، وحاشاه منه. وأمّا السَّمْع  
 والبصر، وإن كان يوهّم إدراك الجارحة، فهو يدلُّ أيضاً لغةً على إدراك المسموع  
 والمُبَصَّر، ويُنْتَفَى إيهامُ النَّقْصِ حينئذٍ، لأنّه حقيقةٌ لغويةٌ فيها. وأمّا لَفْظُ الاستواءِ،  
 5 والمجيء، والتّزول، والوجه، واليدَيْن، والعَيْنَيْن، وأمثال ذلك، فَعَدَلُوا عن حقائقها  
 اللغوية لما فيها من إيهام النَّقْصِ بالتّشبيه إلى مجازاتها على طريقة العرب، حيث  
 تتعذّر حقائق الألفاظ، فيرجعون إلى المجاز، كما في قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ﴾  
 [سورة الكهف، من الآية 77] وأمثاله طريقةٌ معروفةٌ لهم غيرُ مُنْكَرَةٍ ولا مُبْتَدَعَةٍ. وحملهم  
 على هذا التّأويل، وإن كان مُخَالَفاً لمذهب السّلف في التّفويض، أنّ جماعةً من  
 10 من أتباع السّلف وهم المُحَدِّثُونَ والمتأخّرون من الحنابلة ارتبكوا في محمّل هذه  
 الصّفات، فحملوها على صفاتٍ ثابتةٍ لله تعالى مجهولة الكيفيّة، فيقولون في  
 ﴿أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [سورة الأعراف، من الآية 54]: ثُبْتُ لَهُ استواءٌ بحسب مدلول  
 اللفظ، فراراً من تعطيله؛ ولا نقول بكيفيّته فراراً من القول بالتّشبيه الذي تنفيه  
 آياتُ السّلوب، من قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [سورة الشورى، من الآية 11]،  
 15 ﴿سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ [سورة المؤمنون، من الآية 91]؛ تعالى الله عما يقول  
 الظالمون؛ ﴿لَمْ يَكِلْهُ وَلَمْ يُولَدْ﴾ [سورة الإخلاص، الآية 3]. ولا يعلمون مع  
 ذلك أنّهم ولجوا من باب التّشبيه في قولهم بإثبات استواء، والاستواء عند أهل اللغة  
 إنّما هو موضوعه الاستقرار والتّمكن، وهو جِسْمَانِيٌّ. وأمّا التّعطل الذي يُشْنَعُونَ  
 بالزّامه، وهو تعطيل اللفظ، فلا محذور فيه، وإنّا المحذور في تعطيل الآلهة. وكذلك

يُسْتَعَوْنَ بِالْإِزَامِ التَّكْلِيفِ بِمَا لَا يُطَاقُ؛ وَهُوَ تَمْوِيَةٌ؛ لِأَنَّ التَّشَابَهَ لَمْ يَقَعْ فِي التَّكْلِيفِ.  
ثُمَّ يَدْعُونَ أَنَّ هَذَا هُوَ مَذْهَبُ السَّلَفِ، وَحَاشَ لِلَّهِ مِنْ ذَلِكَ، وَإِنَّمَا مَذْهَبُ السَّلَفِ  
مَا قَرَّرْنَاهُ أَوَّلًا مِنْ تَقْوِيضِ الْمُرَادِ بِهَا إِلَى اللَّهِ، وَالسَّكُوتِ<sup>(1)</sup> عَنْ فَهْمِهَا. وَقَدْ يَحْتَجُّونَ  
لِإِبْطَالِ الْإِسْتِوَاءِ لِلَّهِ بِقَوْلِ مَالِكٍ: الْإِسْتِوَاءُ مَعْلُومٌ وَالْكَيْفُ مَجْهُولٌ<sup>(2)</sup>؛ وَلَمْ يُرِدْ مَالِكٌ  
أَنَّ الْإِسْتِوَاءَ مَعْلُومُ الثَّبُوتِ لِلَّهِ، وَحَاشَاهُ مِنْ ذَلِكَ، لِأَنَّهُ يَعْلَمُ مَدْلُولَ الْإِسْتِوَاءِ؛ وَإِنَّمَا  
أَرَادَ أَنَّ الْإِسْتِوَاءَ مَعْلُومٌ مِنَ اللَّغَةِ وَهُوَ الْجِسْمَانِي، وَكَيْفِيَّتِهِ، أَيْ حَقِيقَتِهِ، لِأَنَّ حَقَائِقَ  
الصِّفَاتِ كُلِّهَا كَيْفِيَّاتٌ، وَهِيَ مَجْهُولَةُ الثَّبُوتِ لِلَّهِ. وَكَذَلِكَ يَحْتَجُّونَ عَلَى إِثْبَاتِ الْمَكَانِ  
بِحَدِيثِ السُّودَاءِ<sup>(2)</sup>، وَأَنَّهَا لَمَّا قَالَ لَهَا ﷺ: "أَيْنَ اللَّهُ"؟ وَقَالَتْ: فِي السَّمَاءِ. فَقَالَ: "أَعْنَيْتِهَا  
فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ". وَالتَّبَيُّ ﷺ لَمْ يُثَبِّتْ لَهَا الْإِيمَانَ بِإِثْبَاتِهَا الْمَكَانَ لِلَّهِ، بَلْ لِأَنَّهَا آمَنَتْ بِمَا جَاءَ  
مِنْ ظَوَاهِرِ أَنَّ اللَّهَ فِي السَّمَاءِ، فَدَخَلَتْ فِي جُمْلَةِ الرَّاسِخِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْمُتَشَابِهِ  
مِنْ غَيْرِ كَشْفٍ عَنْ مَعْنَاهُ، وَالْقَطْعُ بِنَفْيِ الْمَكَانِ حَاصِلٌ مِنْ دَلِيلِ الْعَقْلِ النَّافِي  
لِلْإِفْتِقَارِ، وَمِنْ أَدَلَّةِ السُّلُوبِ الْمُؤَدَّةِ بِالتَّنْزِيهِ، مِثْلُ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾  
[سُورَةُ الشُّورَى، مِنْ آيَةِ 11] وَأَشْبَاهُهُ، وَمِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي  
الْأَرْضِ﴾ [سُورَةُ الْأَنْعَامِ، مِنْ آيَةِ 3]، إِذِ الْمَوْجُودُ لَا يَكُونُ فِي مَكَانَيْنِ، فَلَيْسَتْ "فِي"  
هُنَا لِلْمَكَانِ قِطْعًا وَالْمُرَادُ غَيْرُهُ. ثُمَّ طَرَدُوا ذَلِكَ الْمَحْمَلُ<sup>(ب)</sup> الَّذِي ابْتَدَعُوهُ فِي ظَوَاهِرِ  
الْوَجْهِ وَالْعَيْنَيْنِ وَالْيَدَيْنِ وَالْمَحْجِيءِ وَالتَّزْوِيلِ وَالْكَلَامِ بِالْحَرْفِ وَالصَّوْتِ، يَجْعَلُونَ لَهَا

(1) كَتَبَهَا فِي الْحَاشِيَةِ بِخَطِّهِ بِالضَّادِ: الصَّكُوتُ (ب) نَهْرًا أَيْضًا فِي حَاشِيَةِ ع: الْحَمَلِ.

(1) الْإِسْتِذْكَارُ لِابْنِ عَبْدِ الْبَرِّ 2: 529، تَرْتِيبُ الْمَدَارِكِ 1: 170.

(2) قِطْعَةٌ مِنْ حَدِيثِ صَحِيحٍ أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ 5: 447، وَمُسْلِمٌ (537)، وَأَبُو دَاوُدَ (930)، وَالنَّسَائِيُّ 3: 14-18.

مَذْلُولَاتٍ أَعْمَ مِنَ الْجِسْمَانِيَّةِ، وَيُزْهِوْنَهُ عَنْ مَذْلُولِ الْجِسْمَانِيَّاتِ مِنْهَا. وَهَذَا شَيْءٌ لَا يُعْرَفُ فِي اللُّغَةِ. وَقَدْ دَرَجَ عَلَى ذَلِكَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ مِنْهُمْ. وَنَافَرَهُمْ أَهْلُ السُّنَّةِ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ الْأَشْعَرِيَّةَ وَالْحَنْفِيَّةَ وَرَفَضُوا عَقَائِدَهُمْ فِي ذَلِكَ. وَوَقَعَ بَيْنَ مُتَكَلِّمِي الْحَنْفِيَّةِ بُخَارِي وَبَيْنَ الْإِمَامِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْبُخَارِيِّ مَا هُوَ مَعْرُوفٌ<sup>(1)</sup>.

5 وَأَمَّا الْمَجَسِّمَةُ، فَفَعَلُوا مِثْلَ ذَلِكَ فِي إِثْبَاتِ الْجِسْمِيَّةِ لِلَّهِ، وَأَنَّهُ لَا كَالْأَجْسَامِ؛ وَلَفْظُ الْجِسْمِ لَمْ يَتَّبَثْ فِي مَنْقُولِ الشَّرْعِيَّاتِ. وَإِنَّمَا جَرَّاهُمْ عَلَيْهِ إِثْبَاتُ هَذِهِ الظَّوَاهِرِ؛ فَلَمْ يَقْتَصِرُوا عَلَيْهَا، بَلْ تَوَغَّلُوا وَأَثْبَتُوا الْجِسْمِيَّةَ، يَزْعُمُونَ فِيهَا مِثْلَ ذَلِكَ، وَيُزْهِوْنَهُ بِقَوْلِ مُتَنَاقِضٍ سَفْسَافٍ، وَهُوَ قَوْلُهُمْ: جِسْمٌ لَا كَالْأَجْسَامِ، وَالْجِسْمُ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ هُوَ الْعَمِيقُ الْمَحْدُودُ، وَغَيْرُ هَذَا التَّفْسِيرِ، مِنْ أَنَّهُ الْقَائِمُ بِالذَّاتِ، أَوِ الْمَرْكَبُ مِنَ الْجَوَاهِرِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، فَاصْطِلَاحَاتٌ لِلْمُتَكَلِّمِينَ يُرِيدُونَ بِهَا غَيْرَ الْمَذْلُولِ اللَّغَوِيِّ. فَلِهَذَا 10 كَانَ الْمَجَسِّمَةُ أَوْغَلَ فِي الْبِدْعَةِ، بَلْ وَالْكَفْرِ، حَيْثُ أَثْبَتُوا لِلَّهِ وَضْعاً مُوَهِّماً يُوهِمُ النِّقْصَ لَمْ يَرُدُّ فِي كَلَامِهِ وَلَا كَلَامِ نَبِيِّهِ.

فَقَدْ تَبَيَّنَ لَكَ الْفَرْقُ بَيْنَ مَذَاهِبِ السَّلَفِ وَالْمُتَكَلِّمِينَ السُّنِّيَّةِ وَالْمُحَدِّثِينَ، وَالْمُبْتَدِعَةِ مِنَ الْمُعْتَزَلَةِ وَالْمَجَسِّمَةِ بِمَا أَطَّلَعْنَاكَ عَلَيْهِ.

(1) لم يقع بين الحنفية والبخاري في بخاري نزاع، وإنما وقع مع أمير بخاري خالد بن أحمد كما في تاريخ الخطيب 2: 355، ووقع نزاع معروف مع محمد بن يحيى الذهلي بنيسابور. انظر أيضاً: تاريخ الخطيب 2: 352.



وفي المحدثين غلاة يسمّون المشبهة لتضريحهم بالتشبيه؛ حتى إنّه يحكى عن بعضهم أنّه قال<sup>(1)</sup>: اغفوا عن اللّحية والفَرْج وسلّوا عمّا بدا لكم من سيّوَاهُما. وإن لم يتأوّل ذلك لهم بأنّهم يُريدون حَضْر ما وردَ من هذه الطّواهر الموهمة وحملها على ذلك المخمل الذي لا يمتّهم ، وإلاّ فهو كُفْرٌ صريحٌ والعياذُ لله . وكُتِبُ أهلُ السُّنّة مشحونةٌ بالحِجَاب على هذه البدع وبَسَط الرّدّ عليهم بالأدلة الصّحيحة . وإنا أَوْمانا 5 إلى ذلك إيماءٌ يتميّز به فصولُ المغالاة وحملها. ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾ [سورة الأعراف، من الآية 43].

وأما الطّواهرُ الخفيّة الدّلالة، كالوُحْي والملائكة والروح والجنّ والبرزخ وأحوال القيامة والدّجال والفتن والشّروط وسائر ما هو مُتَعَدِّر على الفهم أو مُخَالِف للعاديّات : فإنّ حملناه على ما ذهب إليه الأشعريّة في تفاصيله ، وهم أهلُ السُّنّة، 10 فلا تشابه؛ وإن قلنا فيه بالتشابه فلنوضّح القول في كشف الحِجَاب عنه، فنقول:

اغْلَمْ أَنَّ العالَمَ البشريّ أشرفُ العوالم من الموجودات وأزفَعُها. وهو، وإن اتّحدت حقيقةُ الإنسانيّة فيه، فله أطوارٌ يخالف كل واحدٍ منها الآخر بأحوال تختصّ به، حتّى كأنّ الحقائق فيها مُختلِفَةٌ.

فالطّورُ الأوّل: عالَمُ الجِسْمانيّ بِجِسْمِهِ الظّاهر وفكره المعاشي وسائر تصرّفاتِه 15 التي أعطاه إياها وجوده الحاضر.

(1) المقولة منسوبة لداود الجواربي . (الشهرستاني: الملل والنحل 1: 105 ) .

الطور الثاني: عالم النوم، وهو تصوّر الخيال بإثفاذ تصوّراته جائلة في باطنه، فيذكرك منها بحواسه الظاهرة مُجَرَّدة عن الأزمنة والأمكنة وسائر الأحوال الجسمانية، ويُشاهدُها في مكان ليس هو فيه، ويحدث له الصّاح منها البشري بما يترقّب من مسرّاته الدنيويّة والأخرويّة، كما وعد به الصادق صلوات الله عليه. 5 وهذان الطوران عامان في جميع أشخاص البشر، وهما مُختلفان في المدارك كما تراه.

الطور الثالث: طور النبوة، وهو خاصّ بأشرف صنف البشر، بما خصّهم الله به من معرفته وتوحيده وتزّل ملائكته عليهم بوحيه، وتكليفهم بإصلاح البشر في أحوال كلّها مغيرة لأحوال البشرية الظاهرة.

الطور الرابع: طور الموت الذي يفارق أشخاص البشر فيه حياتهم الظاهرة إلى وجود قبل القيامة، يُسمّى البرزخ، يتنعمون فيه ويُعدّون على حسب أعمالهم، ثم يُفَضَّون إلى يوم القيامة الكبرى، وهي دار الجزاء الأكبر نعيماً وعذاباً في الجنة أو في النار. 10

والطوران الأولان شاهدهما وجداني. والطور الثالث النبويّ شاهده المعجزة والأحوال المختصة بالأنبياء. والطور الرابع شاهده ما تنزل على الأنبياء من وحي الله في المعاد وأحوال البرزخ والقيامة، مع أنّ العقل يقضي به كما نبهنا الله عليه في كثير من آيات البعثة. ومن أوضح الأدلة على صحّتها أنّ أشخاص الإنسان 15 لو لم يكن لهم وجود آخر بعد الموت غير هذا المشاهد، تتلقّى فيه أحوالاً تليق به، لكان إيجادهُ الأول عبثاً؛ إذ الموت إذا كان عدماً كان مآل الشخص إلى العدم؛ فلا يكون لوجوده الأول حكمة؛ والعَبَثُ على الحكيم مُحالٌ. وإذا تفرّرت هذه الأطوار

الأربعة، فلنأخذ في بيان مدارك الإنسان فيها كيف تختلف اختلافاً بيناً يكشف لك غور التشابه:

فأما مداركه في الطور الأول فواضحة جليّة . قال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ ﴾ [سورة النحل، من الآية 78]. فهذه المدارك يستولي على ملكات المعارف 5 ويستكمل حقيقة إنسانيته ويوفي حق العبادّة المفضية به إلى النجاة .

وأما مداركه في الطور الثاني، وهو طور النّوم، فهي المدارك التي في الحس الظاهر بعينها؛ لكن ليست في الجوارح كما هي في اليقظة. لكنّ الرائي يتيقن كلّ شيء أدركه في نومه ، لا يشك فيه ولا يرتاب ، مع خلوّ الجوارح عن الاستعمال العاديّ لها. والناس في حقيقة هذه الحالة فريقان: 10

الحكماء، ويزعمون أنّ الصّور الخياليّة يدفعها الخيال بحركة الفكر إلى الحس المشترك، الذي هو الفصل المشترك بين الحس الظاهر والحس الباطن، فيتصوّر محسوسه بالظاهر في الحواس كلّها. ويشكل عليهم هذا أنّ المرائي الصّادقة التي هي من الله أو من الملك أرسخ وأثبت في الإدراك من المرائي الخياليّة الشيطانيّة، مع أنّ الخيال فيها على ما قرّروه واجد. 15

الفريق الثاني: المتكلمون أجملوا فيها القول، وقالوا: هو إدراك يخلقه الله في الحاسة فيقع كما يقع في اليقظة. وهذا أليق، وإن كنا لا نتصوّر كيفيّة. وهذا الإدراك التّوميّ أوضح شاهد على ما يقع بعده من المدارك الحسيّة في الأطوار.

وأما الطُّورُ الثَّالثُ، وهو طُورُ الأنبياء، فلمدارك الحِسِّيَّةِ فيها مجهولة الكَيْفِيَّةِ عندنا، وَجَدائِيَّةٌ عندهم بأَوْضَحَ من اليقين. فَرى النَّبِيُّ اللهُ والملائكة، ويسْمَعُ كلامُ اللهِ مِنْهُ أو من الملائكة، وَيَرى الْجَنَّةَ والنَّارَ والعَرْشَ والكُرْسِيَّ، ويَخْتَرِقُ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ في إِسْرَائِهِ، ويرْكَبُ البُرَاقَ فيها، ويلْقَى التَّبَيَّنَ هنالك، وَيُصَلِّيَ بِهِمْ، وَيُذَكِّرُ 5 أنواعَ المداركِ الحِسِّيَّةِ كما يُذَكِّرُ في طَوْرِهِ الجِسْمَانِيَّ والنُّومِيَّ بعِلْمِ ضَرْوَرِيٍّ يَخْلُقُهُ اللهُ لَهُ، لا بالإدراكِ العاديِّ للبَشَرِ في الجوارِح. ولا تَلْتَفِتْ في ذلك إلى ما يَقُولُهُ ابنُ سِينَا<sup>(1)</sup> من تَنْزِيلِهِ أَمْرَ النُّبُوَّةِ على أَمْرِ النَّوْمِ في دَفْعِ الخِيَالِ صُورَةَ إلى الحِسِّ المُشْتَرَكِ. فَإِنَّ الكلامَ عَلَيْهِمْ هُنَا أَشَدُّ من الكلامِ في النَّوْمِ، لَأَنَّ هَذَا التَّنْزِيلَ طَبِيعَةٌ وَاحِدَةٌ كما قَرَّرْنَاهُ. فَيَكُونُ على هَذَا حَقِيقَةُ الوَحْيِ والرُّؤْيَا من النَّبِيِّ وَاحِدَةٌ في يَقِينِهَا 10 وَحَقِيقَتِهَا، وَلَيْسَتْ كَذَلِكَ على ما عَلِمْتَ من رُؤْيَا النَّبِيِّ ﷺ قُبِيلِ الوَحْيِ بِسِتَّةِ أَشْهُرٍ، وَأَنَّهَا كَانَتْ بَدْءَ الوَحْيِ وَمَقْدَمَتَهُ. وَيُشْعِرُ ذَلِكَ بِأَنَّهَا دُونُهُ في الْحَقِيقَةِ.

وكذلك حال الوَحْيِ في نَفْسِهِ. فَقَدْ كَانَ يَصْعُبُ عَلَيْهِ، وَيُقَاسَى مِنْهُ شِدَّةً، كما فِي الصَّحِيحِ<sup>(2)</sup>، حَتَّى كَانَ الْقُرْآنُ يَنْزِلُ آيَاتٍ مَقْطَعَةً، وَبَعْدَ ذَلِكَ نَزَلَتْ عَلَيْهِ ﴿بَرَاءَةٌ﴾ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ جَمَلَةٌ وَاحِدَةٌ، وَهُوَ يَسِيرُ على نَاقَتِهِ، فَلَوْ كَانَ ذَلِكَ مِنْ تَنْزِيلِ الْفِكْرِ إِلَى الْخِيَالِ فَقَطْ وَمِنْ الْخِيَالِ إِلَى الْحِسِّ الْمُشْتَرَكِ، لَمْ يَكُنْ بَيْنَ هَذِهِ 15 الْحَالَاتِ فَرْقٌ.

(1) الإشارات والتنبهات - القسمان 3 و 4، ص 878 - 880.

(2) يعني صحيح مسلم (448) وهو من قول ابن عباس، وتقدم التخرُّج في الجزء الأول من الكتاب الأول: 1.

وأما الطُّورُ الرَّابِعُ، وهو طُورُ الأَمْواتِ في بَزَرِخِهِم، الَّذِي أَوَّلُهُ الْقَبْرُ، وَهُمْ مُجَرَّدُونَ عَنِ الْبَدَنِ، أَوْ فِي بَعْثَتِهِمْ عِنْدَمَا يَرْجِعُونَ إِلَى الْأَجْسَامِ، فَمَدَارِكُهُم الْحِسِّيَّةُ مَوْجُودَةٌ لَهُمْ. فَيَرَى الْمَيِّتُ فِي قَبْرِهِ [الْمَلَائِكِينَ] <sup>(أ)</sup> يُسَائِلَانِهِ، وَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ أَوْ النَّارِ بَعَيْنَيَّ رَأْسِهِ، وَيَرَى شُهَدَاءَ الْجَنَازَةِ وَيَسْمَعُ كَلَامَهُمْ وَخَفَقَ نِعَالِهِمْ فِي الْإِنْصِرَافِ عَنْهُ، وَيَسْمَعُ مَا يُذَكِّرُونَهُ بِهِ مِنَ التَّوْحِيدِ أَوْ مِنْ تَقْرِيرِ الشَّهَادَتَيْنِ وَغَيْرِ ذَلِكَ. وَفِي <sup>5</sup> الصَّحِيحِ <sup>(١)</sup>: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَقَفَ عَلَى قَلْبِ بَدْرِ وَفِيهِ قَتْلَى الْمُشْرِكِينَ مِنْ قُرَيْشٍ، وَنَادَاهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ. فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَتُكَلِّمُ هَؤُلَاءِ الْجَيْفَ؟! فَقَالَ ﷺ: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ مِنْهُمْ لَمَّا أَقُولُ". ثُمَّ فِي الْبَعْثَةِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُعَايِنُونَ بِأَسْمَاعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ، كَمَا كَانُوا يُعَايِنُونَ فِي الْحَيَاةِ، مِنْ نَعِيمِ الْجَنَّةِ عَلَى مَرَاتِيهِ وَعَذَابِ النَّارِ عَلَى مَرَاتِيهِ، وَيَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ وَيَرَوْنَ رَبَّهُمْ، كَمَا وَرَدَ فِي الصَّحِيحِ <sup>(٢)</sup>: "إِنَّكُمْ تَرَوْنَ <sup>10</sup> رَبَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ". وَهَذِهِ الْمَدَارِكُ لَمْ تَكُنْ لَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَهِيَ حِسِّيَّةٌ مِثْلُهَا، وَتَقَعُ فِي الْجَوَارِحِ بِالْعِلْمِ الضَّرُورِيِّ الَّذِي يَخْلُقُهُ <sup>(ب)</sup> اللَّهُ كَمَا قُلْنَا. وَسِرُّ هَذَا، أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ النَّفْسَ الْإِنْسَانِيَّةَ ... <sup>(ج)</sup> تَنْشَأُ بِالْبَدَنِ وَمَدَارِكِهِ.

(أ) فِي الْأَصُولِ: الْمَلَكُ، وَمَوْقِعُ الْمَفْعُولِ بِهِ وَاضِحٌ بِالْعَطْفِ التَّالِي فِي النَّصِّ، فَأَصْلَحْنَاهُ (ب) فِي ع: يَخْلُقُهُ (ج) ذَكَرَ بَيْنَ الْكَلِمَتَيْنِ لَفْظَةً: هِيَ، فَأَصْبَحَتْ الْعِبَارَةُ بِهَا قُلُقَةً، فَأَسْقَطْنَاهَا لِلْحَاشِيَةِ.

(١) حَدِيثٌ أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (3065) وَمُسْلِمٌ (2875) مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ أَبِي طَالْحَةَ زَيْدِ بْنِ سَهْلٍ. وَتَمَامُ تَخْرِيجِهِ فِي جَامِعِ التِّرْمِذِيِّ (1551).

(٢) الْبُخَارِيُّ 1: 145 حَدِيثٌ (554) وَ 1: 150 حَدِيثٌ (573) وَ 6: 173 حَدِيثٌ (4851) وَ 9: 156 حَدِيثٌ (7435) وَ (7436) وَمُسْلِمٌ (633) مِنْ حَدِيثِ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيِّ.

فإذا فارقت البدن بنومٍ أو موتٍ، أو صار النبي حالة الوحي من المدارك البشرية إلى المدارك الملكية، فقد / استصحبت ما كان معها من المدارك البشرية مجردة عن الجوارح، فيدرك بها في ذلك الطور أي إدراكٍ شاءت منها أرفع من إدراكها وهي في الجسد؛ قاله الغزالي<sup>(1)</sup> رحمه الله. وزاد على ذلك أن للنفس الإنسانية صورة تبقى لها بعد المفارقة ، فيها العينان والأذنان وسائر الجوارح المذكورة ، أمثالاً لما كان في البدن وصوراً. وأنا أقول: إنما يشير بذلك إلى الملكات الحاصلة من تصريف هذه الجوارح في بدنها زيادة على الإدراك. فإذا تقطعت لهذا كله، علمت أن هذه المدارك موجودة في الأطوار الأربعة، لكن ليس على ما كانت في الحياة الدنيا، وإنما هي تختلف بالقوة والضعف بحسب ما يعرض لها من الأحوال . ويشير المتكلمون إلى هذا إشارة مجملة بأن الله يخلق فيها علماً ضرورياً بذلك المذكور، أي مدرك كان. ويعنون به هذا القدر الذي أوضحنه.

وهذه نبذة أومأنا بها إلى ما يوضح القول في المتشابه. ولو أوسعنا الكلام فيه لقصرت المدارك عنه. فلنضرع إلى الله في الهداية والفهم عن أنبيائه وكتابه بما حصل به الحق في توحيدنا والظفر بنجاتنا . ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾<sup>(1)</sup> [سورة البقرة، 15 من الآية 213].

(1) آخر الفصل المنقول عن ع وحدها .

(1) تهافت الفلاسفة 226 .

## 17 • عِلْمُ التَّصَوُّفِ

هذا العلم من علوم الشريعة الحادثة في الملة. وأصله أن طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين<sup>(أ)</sup> ومن بعدهم طريقة الحق والهداية. وأصلها العكوف على العبادة، والانتقطاع إلى الله، والإغراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة [وجاه ومال]<sup>(ب)</sup>، والانفراد<sup>5</sup> عن الخلق في الخلوة للعبادة. وكان ذلك عاماً في الصحابة والسلف، فلما فشا الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده، وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا، اختص المقلبون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة.

قال القشيري<sup>(1)</sup> رحمه الله : ولا يشهد لهذا الاسم اشتقاق من جهة العربية ولا قياس ؛ والظاهر أنه لُقِبَ . ومن قال: اشتقاقه من الصفاء أو من الصفة أو من الصف، فبعيد من جهة القياس اللغوي. قال: وكذلك من الصوف، لأنهم لم يختصوا بلبسه.

[قلت: والأظهر - إن قيل بالاشتقاق - أنه من الصوف. وهم في الغالب مختصون بلبسه]<sup>(ج)</sup>، لما كانوا عليه من مخالفة الناس<sup>(د)</sup> في لبس فاخر الثياب إلى لبس الصوف.

15

(أ) سقط من ج (ب) في ع ج ي: ومال وجه (ج) سقط من ط (د) كذا في ع ط ج، وفي ي: القياس .

(1) الرسالة القشيرية 126 .

فلما اختص هؤلاء بمذهب الزهد والافتراق عن الخلق والإقبال على العبادة،  
 اختصوا بمواجه مذكرات لهم. وذلك أن الإنسان بما هو إنسان، إنما يتميز عن سائر  
 الحيوان بالإدراك. وإدراكه نوعان: إدراك للعلوم والمعارف من اليقين والظن والشك  
 والوهم، وإدراك للأحوال القائمة به من الفرح والحزن والقبض والبسط والرضا  
 والغضب / والصبر والشكر، وأمثال ذلك. فالمنعنى <sup>(1)</sup> العاقل والمتصرف في البدن، [317ب]  
 ينشأ من إدراكات وإرادات وأحوال، وهي التي تتميز بها الإنسان كما قلناه. وبعضها  
 ينشأ عن بغض، كما ينشأ العلم عن الأدلة، والفرح أو الحزن عن إدراك المؤلم  
 والممتد به، والنشاط عن الحمام، والكسل عن الإغيا. وكذلك المريد في مجاهدته  
 وعبادته، لا بد أن ينشأ له عن كل مجاهدة حال هي نتيجة لتلك المجاهدة. وتلك  
 10 الحال، إما أن تكون نوع عبادة فتزسخ وتصير مقاماً للمريد، وإما أن لا تكون عبادة،  
 [وإنما تكون] <sup>(ب)</sup> صفة حاصلة للنفس من فرح أو سرور أو نشاط أو كسل، أو  
 غير ذلك.

والمقامات، لا يزال المريد يترقى فيها من مقام إلى مقام، إلى أن ينتهي إلى  
 التوحيد والمعرفة التي هي الغاية المطلوبة للسعادة. قال عليه السلام: "من مات يشهد أن لا  
 15 إله إلا الله دخل الجنة" <sup>(1)</sup>. فالمريد لا بد له من الترقى في هذه الأقطار، وأصلها كلها  
 الطاعة والإخلاص، ويتقدمها الإيمان ويصاحبها، وتنشأ عنها الأحوال، والصفات  
 نتائج وثمرات، ثم تنشأ عنها أخرى وأخرى إلى مقام التوحيد والعرفان. وإذا وقع

(1) في ج ي: فالجزء (ب) من ط ج ي، وفي ع: وإما أن يكون .

(1) تقدم تخريجه في صفحة (231) .



تقصير في النتيجة أو خلل، فيعلم أنه إنما أُتي من قبل التّقصير في الذي قَبْلَهُ، وكذلك في الخواطر النفسانية والواردات القلبية. فهذا يحتاج المريد إلى مُحاسبة نفسه في سائر أعماله وينظر في [حقاتها]<sup>(١)</sup>، لأن حصول النتائج عن الأعمال ضروري، وقصورها من الخلل فيها كذلك. والمريد يجد ذلك بذوقه، ويحاسب نفسه على أسبابه. ولا يُشاركهم في ذلك إلا القليل من الناس، لأن الغفلة عن هذا كأنها 5 شاملة.

وغاية أهل العبادات إذا لم ينتهوا إلى هذا النوع، أنهم يأتون بالطاعات مُخلصة من نظر الفقه في الأجزاء والامثال، وهؤلاء يبحثون عن / نتائجها بالأذواق والمواجد، ليطلعوا على أنها [خالصة]<sup>(ب)</sup> من التّقصير أو لا. فظهر أن أصل طريقتهم كلها محاسبة النفس على الأفعال والثّروك، والكلام في هذه الأذواق والمواجد 10 التي تحصل عن المجاهدات، ثم تستقر للمريد مقاماً ويترقى منها إلى غيرها.

ثم لهم مع ذلك آداب مخصصة بهم واصطلاحات في ألفاظ تدور [في التعليم]<sup>(ج)</sup> بينهم، إذ الأوضاع اللغوية إنما هي للمعاني المتعارفة. فإذا عرّض من المعاني ما هو غير متعارف اصطلاحاً على التعبير عنه بلفظ يتيسر فهمه منه. فهذا اختص هؤلاء بهذا النوع من العلم الذي ليس يوجد لغيرهم من أهل الشريعة الكلام 15 فيه. وصار علم الشريعة على صنفين: صنف<sup>(د)</sup> مخصص بالفقهاء وأهل الفتيا، وهي الأحكام العامة في العبادات والعادات والمعاملات، وصنف<sup>(د)</sup> مخصص بالقوم

(١) من ع، وفي ظ: خفاياها (ب) من ع، وفي ظ: خالية (ج) حاشية في ع بخطه، لم تذكرها ظ ج ي (د) ي: صف .

في القيام بهذه المجاهدة ومُحاسبة النفس عليها، والكلام في الأذواق والمواجه  
العارضة في طريقها، وكيفية التَّرقِّي فيها<sup>(١)</sup> من ذوق إلى ذوق، وشرح الاصطلاحات  
التي تدور بينهم في ذلك.

فلما كُتبت العلوم ودُوِّنت ، وألّف الفقهاء في الفقه وأصوله ، والكلام ،  
5 والتفسير ، وغير ذلك ، كتب رجالٌ من أهل هذه الطريقة في طريقهم . فمنهم من  
كتب في أحكام الورع ومُحاسبة النفس على الاقتداء في الأخذ والتَّرك ، كما فعله  
المحاسبِي في كتاب الرِّعاية ، له ، ومنهم من كتب في آداب الطريقة وأذواق أهلها  
ومواجههم في الأحوال ، كما فعله القشيري في كتاب الرسالة ، والشَّهْرُزْدِي في  
كتاب عوارف المعارف ، وأمثالهم . وجمع الغزالي [رحمه الله]<sup>(ب)</sup> بين الأمرين في  
10 كتاب الإحياء ، فدوّن فيه أحكام الورع والاقتداء ، ثمَّ بيّن آداب القوم وسُنَنهم ،  
وشرح<sup>(ج)</sup> اصطلاحاتهم في عباراتهم . وصار علمُ التَّصَوُّف / في المِلَّةِ علماً مُدَوَّناً بعدَ  
[318ب] أن كانت الطريقة عبادةً فقط ، وكانت أحكامها إنّما تتلقّى من صدور الرِّجال ، كما  
وَقَعَ في سائر العلوم التي دُوِّنت بالكتاب من التفسير والحديث والفقه والأصول  
وغير ذلك .

15 ثمَّ إنّ هذه المجاهدة والخلوة<sup>(د)</sup> والذكر ، يتبّعها غالباً كَشْفُ حِجَابِ الحِسِّ ،  
والاطِّلاعُ على عوالم من أمور الله ليس لصاحب الحِسِّ إدراكُ شيءٍ منها ، والروحُ  
من تلك العوالم . وسبَّبَ هذا الكَشْفُ أنّ الروحَ إذا رَجَعَ عن الحِسِّ الظَّاهِرِ إلى

(١) ي: منها (ب) من ي (ج) في ع: في شرح (د) سقط من ع .

الباطن، ضَعُفَتْ أحوالُ الحِسِّ وَقَوِيَتْ أحوالُ الرُّوحِ وغَلَبَ سُلْطَانُهُ وَتَجَدَّدَ نَشْؤُهُ،  
وأَعَانَ على ذلك الذِّكْرُ، فَإِنَّهُ كَالْغِذَاءِ لِنُتْمِيَةِ الرُّوحِ. ولا يَزَالُ في نُمُوٍّ وَتَزْيِيدٍ إلى أن  
يَصِيرَ<sup>(١)</sup> شُهوداً بعد أن كان عِلْماً وَيَكْشِفُ حِجَابَ الحِسِّ، وَيَتِمُّ وجودَ النَّفْسِ الَّذِي  
لَهَا من ذاتِهَا، وهو عَيْنُ الإِدْرَاكِ، فَيَتَعَرَّضُ حينئِذٍ للمَوَاهِبِ الرَّبَّانِيَّةِ وَالْعُلُومِ اللَّدِّيَّةِ  
وَالْفَنَحِ الإِلَهِيِّ، وَتَقَرَّبَ ذَاتُهُ في تَحَقُّقِ حَقِيقَتِهَا مِنَ الْأَفْقِ الْأَعْلَى، أَفْقِ الْمَلَائِكَةِ. 5

وهذا الكَشْفُ كَثِيراً ما يَغْرِضُ لِأَهْلِ المُجَاهَدَةِ، فَيُذَكِّرُونَ من حَقَائِقِ الوجودِ  
ما لا يُذَكِّرُ سِوَاهُمْ. وكذلك يُذَكِّرُونَ كَثِيراً من الواقِعَاتِ قَبْلَ وَقوعِهَا، وَيَتَصَوِّفُونَ  
بِهِمِهِمْ وَقُوَى نُفُوسِهِمْ في المَوْجُودَاتِ السَّفَلِيَّةِ وَتَصِيرُ طُوعَ إِرَادَتِهِمْ. فَالْعُظَمَاءُ مِنْهُمْ لَا  
يَعْتَبِرُونَ هذا الكَشْفَ وَلَا التَّصَرُّفَ، وَلَا يُخْبِرُونَ عن حَقِيقَةِ شَيْءٍ لَمْ يُؤْمَرُوا بِالتَّكَلُّمِ  
فِيهِ، بَلْ يَعُدُّونَ ما يَقَعُ لَهُمْ من ذلك مَحْنَةً، وَيَتَعَوَّدُونَ مِنْهُ إِذَا هَاجَمَهُمْ. وقد كان 10  
الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ على مِثْلِ هذه المُجَاهَدَةِ، وَكَانَ حَظُّهُمْ من هذه الكَرَامَاتِ  
أَوْفَرَ الحِظُوظِ، لَكِنَّهُمْ لَمْ تَقَعْ لَهُمْ بِهَا عِنَايَةٌ. وَفِي فَضَائِلِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعَلِيٌّ  
رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ كَثِيرٌ مِنْهَا. وَتَبِعَهُمْ فِي ذَلِكَ أَهْلُ الطَّرِيقَةِ مِمَّنْ اشْتَمَلَتْ رِسَالَةُ الْقَشِيرِيِّ  
[319] / على ذِكْرِهِمْ وَمَنْ تَبَعَ طَرِيقَهُمْ مِنْ بَعْدِهِمْ.

ثُمَّ إِنَّ قَوْماً مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ انْصَرَفَتْ عِنَايَتُهُمْ إِلَى كَشْفِ الْحِجَابِ وَالْكَلامِ فِي 15  
الْمَدَارِكِ الَّتِي وَرَاءَهُ، وَاخْتَلَفَتْ طُرُقُ الرِّيَاضَةِ عِنْدَهُمْ فِي ذَلِكَ بِاخْتِلَافِ تَعْلِيمِهِمْ فِي  
إِمَانَةِ الْقُوَى الْحِسِّيَّةِ وَتَغْذِيَةِ الرُّوحِ الْعَاقِلِ بِالذِّكْرِ، حَتَّى يَحْصَلَ لِلنَّفْسِ إِدْرَاكُهَا الَّذِي

(١) ع: نصير .

لها من ذاتها بتمام نُشُوها وتغذيتها. فإذا حصل ذلك زعموا أنَّ الوجود قد انحصر في مداركها حينئذٍ، وأنهم كشفوا ذوات الوجود وتصوروا حقائقه كلها من العرش إلى الطُّش<sup>(1)</sup>. هكذا قال الغزالي [رحمه الله]<sup>(1)</sup> في كتاب الإحياء بعد أن ذكر صورة الرياضة.

5 ثم إنَّ هذا الكشف لا يكون صحيحاً كاملاً عندهم إلا إذا كان ناشئاً عن الاستقامة، لأنَّ الكشف قد يحصل لصاحب [الجوع والحلوة]<sup>(ب)</sup> وإن لم تكن هناك استقامة، كالسحرة والتصارى وغيرهم من المُرناضين، وليس مرادنا إلا الكشف الناشئ عن الاستقامة. ومثاله أنَّ المِرْاة الصَّقيلة إذا كانت مُحْدبة أو مُقعرة وحوذِي بها جهة المُرِّي، فإنه يتشكَّل فيها مُعوجاً على غير صورته، وإذا كانت مُسطحة تشكَّل فيها المُرِّي صحيحاً. فالاستقامة للنفس كالانبساط للمِرْاة فيما ينطبِع فيها من الأحوال. 10

ولما غني المتأخرون بهذا النوع من الكشف، تكلموا في حقائق الموجودات العلوية والسفلية، وحقائق الملك والروح والعرش والكُرسي، وأمثال ذلك، وقصرت مداركهم من لم يُشاركهم في طريقهم عن فهم أذواقهم ومواجهتهم في ذلك. فأهل الفُتيا بين مُنكرٍ عليهم ومُسَلِّمٍ لهم. وليس البرهان والدليل بنافع في هذا الطريق رداً وقبولاً، إذ هي من قبِل الوجدانيات. 15

(أ) من ي (ب) من ع، وفي ج ي ظ: الحلوة والجوع.

(1) كنا في الأصول، ولا معنى للطش، وهو المطر الخفيف والذي لا تقابل بينه وبين العرش، وعبارة الغزالي في الإحياء (4: 303) أصوب، فقد أوردها في باب المستحق للمحبة، بصيغة: من ذروة العرش إلى مُنتهى العرش.

## [تَفْصِيلٌ وَتَحْقِيقٌ<sup>(1)</sup> :

يَقَعُ كَثِيرًا فِي كَلَامِ أَهْلِ الْعَقَائِدِ مِنْ عُلَمَاءِ الْحَدِيثِ وَالْفِقْهِ، أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى مُبَايِنٌ لِمَخْلُوقَاتِهِ، وَيَقَعُ لِلْمُتَكَلِّمِينَ أَنَّهُ لَا مَبَايِنَ وَلَا مُتَّصِلَ، وَيَقَعُ لِلْفَلَّاسِيفَةِ أَنَّهُ لَا دَاخِلَ الْعَالَمِ وَلَا خَارِجَهُ، وَيَقَعُ لِلْمُتَأَخِّرِينَ مِنَ الْمُتَصَوِّفَةِ أَنَّهُ مُتَّجِدٌ بِالْمَخْلُوقَاتِ، إِمَّا بِمَعْنَى الْحُلُولِ فِيهَا، أَوْ بِمَعْنَى أَنَّهُ هُوَ نَفْسُهَا، وَلَيْسَ هُنَاكَ غَيْرُهُ جَمَلَةً وَلَا تَفْصِيلًا. 5 فَلَئِبَّيْنِ تَفْصِيلِ هَذِهِ الْمَذَاهِبِ، وَنَشْرَحُ حَقِيقَةَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا، حَتَّى تَتَضَحَّ مَعَانِيهَا، فَنَقُولُ:

إِنَّ الْمُبَايِنَةَ تُقَالُ لِمَعْنَيْنِ، أَحَدُهُمَا: الْمُبَايِنَةُ فِي الْحِيزِ وَالْجِهَةِ، وَيُقَابِلُهُ الْإِتِّصَالُ. وَتُشْعِرُ هَذِهِ الْمَقَالَةُ عَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ بِالْمَكَانِ، إِمَّا صَرِيحًا وَهُوَ تَجَسُّيمٌ، أَوْ لُزُومًا وَهُوَ تَشْبِيهٌ مِنْ قَبِيلِ الْقَوْلِ بِالْجِهَةِ. وَقَدْ نُقِلَ مِثْلُهُ عَنْ بَعْضِ عُلَمَاءِ السَّلَفِ مِنَ التَّضَرُّيحِ 10 بِهَذِهِ الْمُبَايِنَةِ. فَيَحْتَمِلُ غَيْرَ هَذَا الْمَعْنَى. وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَنْكَرَ الْمُتَكَلِّمُونَ هَذِهِ الْمُبَايِنَةَ، وَقَالُوا: لَا يُقَالُ فِي الْبَارِئِ: إِنَّهُ مُبَايِنٌ لِمَخْلُوقَاتِهِ وَلَا مُتَّصِلٌ بِهَا، لِأَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا يَكُونُ لِلْمُتَحَيِّزَاتِ. وَمَا يُقَالُ مِنْ أَنَّ الْمَحَلَّ لَا يَخْلُو عَنْ الْإِتِّصَافِ بِالْمَعْنَى وَضِدِّهِ، فَهُوَ مَشْرُوطٌ بِصِحَّةِ الْإِتِّصَافِ أَوَّلًا. وَأَمَّا مَعَ امْتِنَاعِهِ فَلَا. بَلْ يَجُوزُ الْخُلُوعُ عَنِ الْمَعْنَى وَضِدِّهِ، كَمَا يُقَالُ فِي الْجَمَادِ: لَا عَالِمٌ وَلَا جَاهِلٌ، وَلَا قَادِرٌ وَلَا عَاجِزٌ، وَلَا مُدْرِكٌ وَلَا 15 مُؤَوَّفٌ<sup>(ب)</sup>. وَصِحَّةُ الْإِتِّصَافِ بِهَذِهِ الْمُبَايِنَةِ مَشْرُوطٌ بِالْحُصُولِ فِي الْجِهَةِ عَلَى مَا نَقُولُ

(أ) انفردت نسخة ع بهذا النص مضافاً على وجهي بطاقة بخط ابن خلدون، وسقط من ظ ج ي (ب) كذا بخطه، ومعناه غير واضح.

من مَذْلُولِهَا. والبارئُ سُبْحَانَهُ مُنَزَّةٌ عَنْ ذَلِكَ. ذكره ابن التِّلْفَسَانِي فِي شَرْحِ اللَّمَعِ  
لِإِمَامِ الْحَرَمَيْنِ، وَقَالَ: وَلَا يُقَالُ فِي الْبَارِئِ: مُبَايِنٌ لِلْعَالَمِ وَلَا مُتَّصِلٌ بِهِ، وَلَا دَاخِلٌ  
فِيهِ وَلَا خَارِجٌ عَنْهُ. وَهُوَ مَعْنَى مَا تَقُولُهُ الْفَلَاسِفَةُ أَنَّهُ لَا دَاخِلَ الْعَالَمِ وَلَا خَارِجَهُ،  
بِنَاءٍ عَلَى وُجُودِ الْجَوَاهِرِ غَيْرِ الْمُتَحَيِّزَةِ. وَأَنْكَرَهَا الْمُتَكَلِّمُونَ، لِمَا يُلْزَمُ مِنْ مُسَاوَاتِهَا  
5 لِلْبَارِئِ فِي أَخْصِّ الصِّفَاتِ. وَهُوَ مَبْسُوطٌ فِي عِلْمِ الْكَلَامِ.

وَأَمَّا الْمَعْنَى الْآخَرُ لِلْمُبَايِنَةِ، فَهُوَ الْمُغَايِرَةُ وَالْمُخَالَفَةُ. فَيُقَالُ: الْبَارِئُ مُبَايِنٌ لِخُلُوقَاتِهِ  
فِي ذَاتِهِ وَهُوِيَّتِهِ وَوُجُودِهِ وَصِفَاتِهِ، وَيُقَابِلُهُ الْإِتِّحَادُ وَالْإِمْتِزَاجُ وَالْإِخْتِلَاطُ. وَهَذِهِ  
الْمُبَايِنَةُ هِيَ مَذْهَبُ أَهْلِ الْحَقِّ كُلِّهِمْ مِنْ جُمْهُورِ السَّلَفِ وَعُلَمَاءِ أَهْلِ الشَّرَائِعِ  
وَالْمُتَكَلِّمِينَ وَالتَّصَوُّفَةِ الْأَقْدَمِينَ، كَأَهْلِ الرِّسَالَةِ وَمَنْ نَحْنَا مِنْهُمْ.

10 وَذَهَبَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُتَّصِفَةِ الْمُتَأَخِّرِينَ الَّذِينَ صَيَّرُوا الْمَدَارِكَ الْوُجْدَانِيَّةَ عِلْمِيَّةَ  
نَظَرِيَّةً، إِلَى أَنَّ الْبَارِئَ تَعَالَى مُتَّحِدٌ بِمَخْلُوقَاتِهِ فِي هُوِيَّتِهِ وَوُجُودِهِ وَصِفَاتِهِ، وَرَبِّهَا  
يُزْعَمُونَ أَنَّهُ مَذْهَبُ الْفَلَاسِفَةِ قَبْلَ أَرِسْطُو، مِثْلَ أَفْلَاطُونٍ وَسُقْرَاطِ، وَهُوَ الَّذِي  
يَعْنِيهِ الْمُتَكَلِّمُونَ حَيْثُ يَنْقُلُونَهُ فِي عِلْمِ الْكَلَامِ وَيُحَاوِلُونَ الرَّدَّ عَلَيْهِ، لَا أَنَّهُ ذَاتَانِ  
تَتَنَفَّى أَحَدَاهُمَا أَوْ تَتَدْرَجُ ائْتِدَاجَ الْجُزْءِ. فَإِنَّ تِلْكَ مُغَايِرَةٌ صَرِيحَةٌ، وَلَا يَقُولُونَ بِذَلِكَ.  
15 وَهَذَا الْإِتِّحَادُ هُوَ الْحُلُولُ الَّذِي يَدَّعِيهِ النَّصَّارَى فِي الْمَسِيحِ. وَهُوَ أَغْرَبُ، لِأَنَّهُ  
حُلُولٌ قَدِيمٌ فِي مُخَدَّثٍ، أَوْ إِتِّحَادُهُ بِهِ. وَهُوَ أَيْضاً عَيْنُ مَا تَقُولُهُ الْإِمَامِيَّةُ مِنَ الشَّيْعَةِ  
فِي الْأَيْمَةِ.

وَتَقْرِيرُ هَذَا الْإِتِّحَادِ فِي كَلَامِهِمْ عَلَى طَرِيقَيْنِ:

الأولى، أن ذات القديم كامنة في المحدثات محسوسها ومفعولها، متحدة بها في التصورين، وهي كلها مظاهر له، وهو القائم عليها، أي المقوم لوجودها، بمعنى أنها لولاه كانت عدماً. وهو رأي أهل الحلول.

الثانية، طريق أهل الوحدة المطلقة. وكأنهم استشعروا من تقرير أهل الحلول الغيرية المنافية لمعقول الاتحاد، فنقوها بين القديم وبين المخلوقات في الذات والوجود والصفات، وغالطوا في غيرية المظاهر المذكورة بالحس والعقل، بأن ذلك من المدارك البشرية، وهي أوهام. ولا يريدون الوهم الذي هو قسيم العلم والظن والشك، وإنما يريدون أنها كلها عدَم في الحقيقة، وجود في المدرك البشري فقط، ولا وجود بالحقيقة إلا للقديم، لا في الظاهر ولا في الباطن، كما نقررهُ بعد بحسب الإمكان. والتعويل في تعقل ذلك على النظر والاستدلال كما في المدارك البشرية غير مفيد، لأن ذلك إنما يُثقل من المدارك الملكية، وإنما هي حاصلة للأنبياء بالفطرة، ومن بعدهم للأولياء بهدائيتهم. وقصدُهم من يقصدُ الحصول عليها بالطريقة العلمية ضلالاً<sup>(1)</sup>.

وربما قصد بعض المصنفين بيان مذاهبهم في كشف الوجود وترتيب حقائقه  
[319ب] / فأتى بالأغمض فالأغمض بالنسبة إلى أهل النظر والاصطلاحات والعلوم ،  
كما فعل الفرغاني، شارح قصيدة ابن الفارض في الديباجة التي كتب في صدر ذلك الشرح . فإنه ذكر في صدور الوجود عن الفاعل وترتيبه أن الوجود كله صادر عن صفة الوحدة التي هي مظهر الأحدية ، وهما معاً صادران عن الذات الكريمة

(1) انتهى محتوى البطاقة التي انفردت نسخة ع بها وبخطه، وسقطت من ط ج ي .

التي هي عين الوحدة لا غير. ويُسمون هذا الصدور بالتجلي. وأول مراتب التجليات عندهم تجلي الذات على نفسه، وهو يتضمن الكمال بإفاسة الإيجاد والظهور، لقوله في الحديث الذي يتناقلونه: "كث كثرًا مخفياً فأحييت أن أعرف، فخلقت الخلق ليغرفني"<sup>(1)</sup>. وهذا الكمال في الإيجاد المتنزل في الوجود وتفصيل الحقائق، وهو 5 عندهم عالم المعاني والحضرة العمانية والحقيقة المحمدية. وفيها حقائق الصفات، واللوح، والقلم، وحقائق الأنبياء والرسل أجمعين، والكمل من أهل الملة<sup>(2)</sup> المحمدية. وهذا كله تفصيل الحقيقة المحمدية. وتصدر عن هذه الحقائق حقائق<sup>(3)</sup> أخرى في الحضرة الهبائية، وهي مرتبة المثال، ثم عنها العرش، ثم الكرسي، ثم الأفلاك، ثم عالم العناصر، ثم عالم التركيب. هذا في عالم الرقي. فإذا تجلت، فهي في عالم الفتح. [انتهى]<sup>(ج)</sup>.

ويُسمى هذا المذهب مذهب أهل التجلي والمظاهر والحضرات. وهو كلام لا 10 يقتدر أهل النظر على تحصيل مقتضاه لغموضه وانغلاقه، ويُعد ما بين كلام صاحب المشاهدة والتوجدان وصاحب الدليل. وربما أنكر بظاهر الشرع هذا الترتيب، [فإنه لا يعرف في شيء من مناجيه]<sup>(د)</sup>.

وكذلك ذهب آخرون منهم إلى القول بالوحدة المطلقة، وهو رأي أغرب 15 من الأول في تعقله وتفاريجه. يزعمون فيه أن<sup>(هـ)</sup> الوجود كله [له]<sup>(و)</sup> قوى في تفاصيله، بها كانت حقائق الموجودات / وصورها وموادها.

[320 أ]

(1) في ع: الأمة (ب) سقط من ج (ج) سقط من ط ج ي (د) من ع، وسقط من ط ج ي (هـ) سقط من ج (و) سقط من ط.

(1) حديث موضوع ذكره ابن عراقي في تنزيه الشريعة 1: 148، وعلي القاري في الأسرار المرفوعة (232) والفتي في تذكرة الموضوعات 11، وأورده ابن العربي في الفتوحات الباب 198 بمعناه.



والعناصرُ إنّما كانت بما فيها من القوى. وكذلك ما دبتُها لها في نفسها قوّةٌ بها كان وجودُها. ثم إنّ المركّبات فيها تلك القوى مُتَضَمِّنَةٌ في القوّة التي كان بها التّركيبُ، كالقوّة المعدنيّة، فيها قوى العناصر بهيولائها وزيادة القوّة المعدنيّة، ثمّ القوّة الحيوانيّة تتضمّنُ القوّة المعدنيّة وزيادة قوّتها في نفسها. وكذا القوّة الإنسانيّة مع الحيوانيّة، ثمّ الفلّكُ يتضمّنُ القوّة الإنسانيّة وزيادة. وكذا الدّواتُ الروحانيّة. والقوّة الجامعةُ للكلِّ 5 من غير تفصيلٍ هي القوّة الإلهيّة. فهي التي انبثّت في جميع الموجودات، كلّيّةٌ وجُزئيّةٌ، وجمعتها وأحاطت بها من كلّ وجهٍ، لا من جهة الظُّهور ولا من جهة الخفاء، ولا من جهة الصّورة ولا من جهة المادّة. فالكلُّ واحدٌ، وهو نفسُ الذاتِ الإلهيّة. وهي في الحقيقة واحدةٌ بسيطةٌ، والاعتبارُ هو المُفَصَّلُ لها، كالإنسانيّة مع الحيوانيّة. ألا ترى أنّها مُنْدَرِجَةٌ فيها وكائنةٌ بكونها ؟ فتارةً يمثّلونها بالجنس مع التّوع في كلّ موجودٍ، كما ذكرناه، 10 وتارةً بالكلِّ مع الجزء على طريقة المثال. وهم في هذا كلّهم يقرّون من التّركيب والكثرة بوجهٍ من الوجوه. وإنّما أوجِبَها عندهم الوهمُ والخيالُ.

والذي يظهر من كلام ابن دِهَاقٍ<sup>(1)</sup> في تشرير هذا المذهب، أنّ حقيقة ما يقولونه في التّوحيّد شبيهةٌ بما يقوله الحكماء في الألوان، من أنّ وجودها مشروطٌ بالضّوء، فإذا عُدِمَ الضّوء لم تكن الألوان موجودةً بوجهٍ. وكذا عندهم الموجوداتُ المحسوسةُ كلّها 15 مشروطةٌ بوجود المدرك الحسيّ، بل والموجوداتُ المعقولةُ والمتوهّمةُ أيضاً مشروطةٌ بوجود المدرك العقليّ. فإذن، الوجودُ المُفَصَّلُ كلّهُ مشروطٌ بالمدرك البشريّ. فلو قرّضنا عَدَمَ المدرك البشريّ جملةً لم يكن هناك تفصيلٌ / في الوجود، بل هو بسيطٌ واحدٌ. [320ب]

(1) كذا ضبطه ابن خلدون، وفي الإحاطة (1: 333) بتشديد الهاء .

فالحَرُّ والبرْدُ، والصَّلابةُ واللِّينُ، بل والأَرْضُ والماءُ، والتَّارُ والسماءُ  
والكواكِبُ، إِنَّمَا وُجِدَتْ لوجودِ الحواسِّ المدركةِ لها، لما جُعِلَ في المدركِ من  
التفصيل الذي لَيْسَ في الوجودِ، وإِنَّمَا هو في المداركِ فقط. فإذا فُقِدَت المداركُ  
المفصلةُ، فلا تفصيل، إِنَّمَا هو إدراكٌ واحدٌ، وهو أَنَا لا غَيْرُهُ. وَيَعْتَبِرُونَ ذلك بحالِ  
5 التَّامِّ، فَإِنَّهُ إِذَا نَامَ وَفَقَدَ الحِسَّ الظَّاهِرَ فَقَدْ كَلَّ مَحْسُوسٍ وهو في تلك الحالةِ، إِلَّا  
ما يُفَصِّلُهُ له الخيالُ. قالوا: فكذلك اليَـطْـطَانُ، إِنَّمَا يَـعْتَبِرُ تلكَ المدركاتِ كُلَّها على  
التفصيلِ بنوعِ مَدْرَكِهِ البَشَرِيِّ. ولو قد فَقَدَ مَدْرَكَهُ [البَشَرِيَّ]<sup>(1)</sup> فَقَدْ التَّفْصِيلَ. وهذا  
هو مَعْنَى قَوْلِهِم: الوَهْمُ، لا الوَهْمُ الَّذِي هو من جُمْلَةِ المداركِ البَشَرِيَّةِ.

هذا مُلَخَّصُ رأيِهِم على ما يُفْهَمُ من كلامِ ابنِ دِهَاقٍ، وهو في غَايَةِ السُّقُوطِ.  
10 لَأَنَّا نَقْطَعُ بوجُودِ البَلَدِ الَّذِي نَحْنُ مُسَافِرُونَ عَنْهُ وإِلَيْهِ يَقِيناً مع غَيْبَتِهِ عن أَعْيُنِنَا،  
وبوجودِ السَّمَاءِ الْمُظَلَّةِ والكواكِبِ وسائِرِ الأشياءِ الغائِيَةِ عَنَّا. والإنسانُ قاطِعٌ بِذلكِ،  
ولا يُكَايِرُ أَحَدٌ نَفْسَهُ في اليَقِينِ.

مع أَنَّ المُحَقِّقِينَ من المُتَصَوِّفَةِ المُتَأَخِّرِينَ، يَقُولُونَ: إِنَّ المُرِيدَ عِنْدَ الكَشْفِ  
رَبِّاً يَـعْرِضُ لَهُ تَوَهُّمُ هَذِهِ الوَحْدَةِ، وَيُسَمَّى ذلكَ عِنْدَهُم مَقَامَ الجَمْعِ. ثُمَّ تَتَرَقَّى عَنْهُ إِلَى  
15 التَّمْيِيزِ بَيْنَ المَوْجُودَاتِ، وَيُـعَبَّرُونَ عَنْ ذلكَ بِمَقَامِ الفَرْقِ، وهو مَقَامُ العَارِفِ المُحَقِّقِ.  
وَلَا بُدَّ لِلْمُرِيدِ عِنْدَهُم من عَقَبَةِ الجَمْعِ، وَهِيَ عَقَبَةُ ضَعْفَةٍ، لِأَنَّهُ يُخْشَى عَلَى المُرِيدِ من  
وُقُوفِهِ عِنْدَهَا، فَتَخَسَّرُ صَفَقَتُهُ. فَقَدْ تَبَيَّنَتْ مَرَاتِبُ أَهْلِ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ.

(1) من ج .

## [فَصْلٌ<sup>(١)</sup>]

ثُمَّ إِنَّ هَؤُلَاءِ الْمُتَأَخِّرِينَ مِنَ الْمُتَصَوِّفَةِ الْمُتَكَلِّمِينَ فِي الْكَشْفِ وَفِيَا وَرَاءَ<sup>(ب)</sup>  
 الْحِسِّ، تَوَغَّلُوا فِي ذَلِكَ، وَذَهَبَ الْكَثِيرُ مِنْهُمْ إِلَى الْحُلُولِ وَالْوَحْدَةِ، كَمَا أَشْرْنَا إِلَيْهِ،  
 وَمَلَأُوا الصُّحُفَ مِنْهُ، مِثْلَ الْهَرَوِيِّ / فِي كِتَابِ الْمَقَامَاتِ، لَهُ، وَغَيْرِهِ، وَتَابَعَهُمْ ابْنُ [321]  
 الْعَرَبِيِّ، وَابْنُ سَبْعِينَ وَتَلْمِيزُهُمَا، ثُمَّ ابْنُ الْعَفِيفِ، وَابْنُ الْفَارِضِ، وَالتَّجْمُ الْإِسْرَائِيلِي 5  
 فِي قِصَائِدِهِمْ. وَكَانَ سَلَفُهُمْ مُخَالِطِينَ لِلْإِسْمَاعِيلِيَّةِ الْمُتَأَخِّرِينَ مِنَ الرَّافِضَةِ، الدَّائِنِينَ  
 أَيْضاً بِالْحُلُولِ وَالْهَيْئَةِ الْأَيِّمَةِ، مَذْهَباً لَمْ يُعْرِفْ لِأَوَّلِيهِمْ. فَأُشْرِبَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ  
 مَذْهَبَ الْآخَرِ، وَاخْتَلَطَ كَلَامُهُمْ، وَتَشَابَهَتْ عَقَائِدُهُمْ.

وظَهَرَ فِي كَلَامِ الْمُتَصَوِّفَةِ الْقَوْلُ بِالْقُطْبِ، وَمَعْنَاهُ رَأْسُ الْعَارِفِينَ، يَزْعُمُونَ أَنَّهُ لَا  
 يُمَكِّنُ أَنْ يُسَاوِيَهُ أَحَدٌ فِي مَقَامِهِ فِي الْمَعْرِفَةِ حَتَّى يَتَّبِعَهُ اللَّهُ. ثُمَّ يُورَثُ مَقَامَهُ لآخر 10  
 مِنْ أَهْلِ الْعِرْفَانِ. وَقَدْ أَشَارَ إِلَى ذَلِكَ ابْنُ سِينَا فِي كِتَابِ الْإِشَارَاتِ فِي فُصُولِ  
 التَّصَوُّفِ مِنْهَا، فَقَالَ<sup>(١)</sup>: جَلَّ جَنَابُ الْحَقِّ أَنْ يَكُونَ شَرْعَةً لِكُلِّ وَارِدٍ، أَوْ يَطَّلَعَ عَلَيْهِ  
 إِلَّا الْوَاحِدَ بَعْدَ الْوَاحِدِ. وَهَذَا الْكَلَامُ<sup>(ج)</sup> لَا تَقُومُ عَلَيْهِ حُجَّةٌ عَقْلِيَّةٌ وَلَا دَلِيلٌ شَرْعِيٌّ،  
 إِنَّمَا هُوَ مِنْ أَنْوَاعِ الْخُطَابَةِ. وَهُوَ بَغِينُهُ مَا يَقُولُهُ الرَّافِضَةُ فِي تَوَارِثِ الْأَيِّمَةِ عِنْدَهُمْ.  
 فَاَنْظُرْ كَيْفَ سَرَقَتْ طِبَاعُ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ هَذَا الرَّأْيَ مِنَ الرَّافِضَةِ وَدَانُوا بِهِ. 15

(أ) العنوان من ع وحدها (ب) ظ: وراءه (ج) ج ي: كلام.

(١) الإشارات والتبصيات، القسمان 2، 3، ص: 851، وفيها: شريعة لكل وارد.

ثُمَّ قَالُوا بِتَرْتِيبِ وُجُودِ الْأَبْدَالِ بَعْدَ هَذَا الْقُطْبِ ، كَمَا قَالَ الشَّيْعَةُ فِي النُّقَبَاءِ ،  
 حَتَّى إِنَّهُمْ لَمَّا أَسْنَدُوا لِبَاسِ خِرْقَةِ النَّصُوفِ لِيَجْعَلُوهُ أَضْلاً لَطَرِيقَتِهِمْ وَنَحْلَتِهِمْ وَقَفُوهُ  
 عَلَى عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . وَهُوَ مِنْ هَذَا الْمَغْنَى أَيْضاً . وَإِلَّا فَعَلِيَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ  
 لَمْ يُخْتَصَّ مِنْ بَيْنِ الصَّحَابَةِ بِنَحْلَةٍ وَلَا طَرِيقَةٍ فِي لَبَاسٍ وَلَا حَالٍ ، بَلْ كَانَ أَبُو بَكْرٍ  
 5 وَعُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَزْهَدَ النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَكْثَرَهُمْ عِبَادَةً . وَلَمْ يُخْتَصَّ  
 أَحَدٌ مِنْهُمْ فِي الدِّينِ بِشَيْءٍ يُؤَثِّرُ عَنْهُ عَلَى الْخُصُوصِ ، بَلْ كَانَ الصَّحَابَةُ كُلُّهُمْ أُسُوةً فِي  
 الدِّينِ وَالسُّورَةِ وَالزُّهْدِ وَالْمُجَاهَدَةِ ، تَشْهَدُ بِذَلِكَ سِيرَتُهُمْ وَأَخْبَارُهُمْ . نَعَمْ ، إِنَّ الشَّيْعَةَ  
 يَخْتَلُونَ بِمَا يَنْقُلُونَ مِنْ ذَلِكَ اخْتِصَاصَ عَلِيٍّ بِالْفَضَائِلِ / دُونَ مَنْ سِوَاهُ مِنَ الصَّحَابَةِ ،  
 [321ب] ذَاهِباً مَعَ عَقَائِدِ الشَّيْعِ الْمَعْرُوفَةِ لَهُمْ .

10 (1) [وَالَّذِي يَظْهَرُ ، أَنَّ الْمُتَصَوِّفَةَ بِالْعِرَاقِ لَمَّا ظَهَرَتِ الْإِسْمَاعِيلِيَّةُ مِنَ الشَّيْعَةِ ،  
 وَظَهَرَ مِنْ كَلَامِهِمْ فِي الْإِمَامَةِ وَمَا يَزْجَعُ إِلَيْهَا مَا هُوَ مَعْرُوفٌ ، فَاقْتَبَسُوا مِنْ ذَلِكَ  
 الْمَوَازَنَةَ بَيْنَ الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ ، وَجَعَلُوا الْإِمَامَةَ لِسِيَاسَةِ الْخَلْقِ فِي الْاِثْقَادِ إِلَى  
 الشَّرْعِ ، وَأَفْرَدُوهُ بِذَلِكَ أَنْ لَا يَقَعَ اخْتِلَافٌ كَمَا تَقَرَّرَ فِي الشَّرْعِ ، ثُمَّ جَعَلُوا هَذَا  
 الْقُطْبَ لِتَعْلِيمِ الْمَعْرِفَةِ بِاللَّهِ ، لِأَنَّهُ رَأْسُ الْعَارِفِينَ . وَأَفْرَدُوهُ بِذَلِكَ تَشْبِيهاً بِالْإِمَامِ فِي  
 15 الظَّاهِرِ ، مِنْ أَنْ يَكُونَ (ب) عَلَى وَزَانِهِ . وَإِنَّمَا سَمَّوْهُ قُطْباً لِمَدَارِ الْمَعْرِفَةِ عَلَيْهِ . وَجَعَلُوا  
 الْأَبْدَالَ كَالنُّقَبَاءِ ، مِبَالِغَةً فِي التَّشْبِيهِ ] .

(1) حاشية افتردت بها نسخة وحدها ، والغريب أنه توجد إشارة للمخرج في هذا الموقع متجهة عكس موقع الحاشية (ب) قراءة  
 تقريبية لانطاس الكلمة في الأصل .

فتأمل ذلك من كلام هؤلاء<sup>(١)</sup> المتصوفة، [واعلم أننا يشهد لك بما قلناه كلام هؤلاء المتصوفة]<sup>(ب)</sup> في أمر الفاطمي وما شنعوا به كتبهم من ذلك مما ليس لسلف المتصوفة فيه كلام بنفي ولا إثبات. وإنما هو مأخوذ من كلام الشيعة والرافضة ومذاهبهم في كتبهم. والله يهدي إلى الحق.

[تذييل]<sup>(ج)</sup>

5

<sup>(د)</sup> وقد رأيت أن أجلب هنا فصلاً من كلام شيخنا العارف، كبير الأولياء بالأندلس، أبي مهدي، عيسى بن الزيات، كان يقع له أكثر الأوقات على أبيات الهروي التي وقعت له في كتاب المقامات، له، توهم القول بالوحدانية المطلقة أو تكاد تصرّح بها. وهي قوله<sup>(١)</sup>: [من السريع]

10

ما وَحَدَ الواحدَ من واحدٍ      إذْ كُلُّ من وَحَدَهُ جاحِدُ  
توحيدُ من يَنطِقُ عن نَعْتِهِ      تَثْنِيَّةٌ أَبْطَلَهَا الواحدُ  
توحيدُهُ إِيَّاهُ تَوْحِيدُهُ      وَنَعْتُ من يَنْعَتُهُ لاجِدُ

15

فيقول رحمه الله على سبيل العذر عنه: استشكل الناس إطلاق لفظ الجحود على كل من وَحَدَ الواحدَ ، ولفظ الإلحاد على من نَعَتَهُ وَوَصَفَهُ . واستنبشوا هذه الأبيات، وحملوا على قائلها واستخفوه. ونحن نقول على رأي هذه الطائفة: إن معنى

(١) سقط من ج (ب) من ط ج، وسقط من ع ي (ج) العنوان من ع وحدها (د) أوردت النسخ ط ع ج كامل نص هذا التذييل، وسقط من ي .

(١) التلمساني : شرح منازل السائرين إلى الحق المبين للهروي 2: 609

التَّوْحِيدَ عِنْدَهُمْ انْتِفَاءُ عَيْنِ الْحُدُوثِ بِثُبُوتِ عَيْنِ الْقِدَمِ، وَإِنَّ الْوُجُودَ كُلَّهُ حَقِيقَةٌ  
 وَاحِدَةٌ، وَآيَةُ وَاحِدَةٌ. وَقَدْ قَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْخَرَّازُ، مِنْ [كِبَارِ الْقَوْمِ]<sup>(أ)</sup>: الْحَقُّ عَيْنُ<sup>(ب)</sup>  
 مَا ظَهَرَ وَعَيْنُ<sup>(ب)</sup> مَا بَطَنَ. وَيَرَوْنَ أَنَّ وَقُوعَ التَّعَدُّدِ فِي تِلْكَ الْحَقِيقَةِ وَوُجُودَ الْإِثْنَيْنِ  
 وَهُمْ بِاعْتِبَارِ حَضَرَاتِ الْحِسِّ بِمَنْزِلَةِ صُورِ الظُّلَالِ وَالصَّدَى وَصُورِ الْمَرَائِي. وَأَنَّ كُلَّ  
 5 مَا سِوَى عَيْنِ الْقِدَمِ إِذَا اسْتُثْبِعَ فَهُوَ عَدَمٌ. وَهَذَا مَعْنَى "كَانَ اللَّهُ وَلَا شَيْءٌ مَعَهُ"،  
 وَهُوَ الْآنَ عَلَى مَا عَلَيْهِ كَانَ عِنْدَهُمْ. وَمَعْنَى قَوْلِ لَبِيدٍ الَّذِي صَدَّقَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ<sup>(1)</sup>  
 [فِي قَوْلِهِ] (ج):

أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ

قالوا: فمن وَحَّدَ وَنَعَتْ فَقَدْ قَالَ بِمَوْحِدٍ مُخَدَّبٍ هُوَ نَفْسُهُ، وَتَوْحِيدٍ مُخَدَّبٍ هُوَ  
 10 فِعْلُهُ، وَمُؤَوَّحِدٍ قَدِيمٍ هُوَ مَعْبُودُهُ. / وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ مَعْنَى التَّوْحِيدِ انْتِفَاءُ عَيْنِ الْحُدُوثِ، [322 أ]  
 وَعَيْنُ الْحُدُوثِ الْآنَ ثَابِتَةٌ، بَلْ وَمُتَعَدَّدَةٌ، وَالتَّوْحِيدُ مَجْهُودٌ، وَالِدَّعْوَى كَاذِبَةٌ، كَمَنْ  
 يَقُولُ لغيره وهما معاً في بَيْتٍ وَاحِدٍ<sup>(د)</sup>: لَيْسَ فِي الْبَيْتِ غَيْرُكَ، فَيَقُولُ الْآخَرُ بِلِسَانِ  
 حاله: لَا يَصِحُّ هَذَا إِلَّا لَوْ عُدِمَتْ أَنْتَ. وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْمُحَقِّقِينَ فِي قَوْلِهِمْ: خَلَقَ اللَّهُ  
 الزَّمَانَ: هَذِهِ أَلْفَاظٌ تُنَاقِضُ أَصُولَهَا، لِأَنَّ خَلْقَ الزَّمَانِ مُتَقَدِّمٌ عَلَى الزَّمَانِ، وَهُوَ فِعْلٌ

(أ) ظ: كبارهم (ب) ظ: غير (ج) سقط من ظ (د) سقط من ع ج .

(1) من حديث أبي هريرة: أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد: ألا ... وهو في الصحيحين: البخاري (3841) و (6741) ومسلم (2256) وعجز البيت: وكل نعيم لا محالة زائل. (انظر شرح ديوان لبيد العامري 256)، والبيت من قصيدة يرثي بها النعمان بن المنذر، طالعها:

أَلَا تَسْأَلَانِ الْمَرْءَ مَاذَا يُحَاوِلُ      أَنْحَبَ فَيَقْضَى أَمْ ضَلَالٌ وَبَاطِلٌ

لأبد من وقوعه في الزمان. وإنما حمل على ذلك ضيق العبارة عن الحقائق، وعجز اللغات عن تأدية الحق فيها وبها.

فإذا تحقّق أنّ الموحّد هو الموحّد وغدِم ما سواه جملةً، صحّ التّوحيد حقيقةً. وهذا معنى قولهم: لا يعرف الله إلا الله. ولا خرج على من وحد الحق مع بقاء الرسوم والآثار، وإنما هو من باب: حسنات الأبرار سيئات المقرّبين، لأنّ ذلك 5 لازم التّقييد والعبوديّة والشفعيّة. ومن ترقّى إلى مقام الجمع كان في حقه نقصاً، مع علمه بمزبذبه، وأنّه تلبّس تستلزمه العبوديّة ويضعه الشّهود ويظهر من دنس حدوثه عين الجمع.

وأعرق الأصناف في هذا الزّعم، القائلون بالوحدّة المطلقة، ومدار المعرفة بكلّ اعتبار على الانتهاء إلى الواحد. وإنما صدر هذا القول من التّأظيم على سبيل 10 التّحريض والتّنبية والتّفطين لمقام أعلى، ترتفع فيه الشّفعيّة ويحصل التّوحيد المطلق عينا لا خطاباً وعبارة. فمن سلّم استراح، ومن نازعته حقيقة أنس بقوله: كنت سمعاً وبصره<sup>(1)</sup>. وإذا عرفت المعاني لا مشاحة في الألفاظ. والذي يفيد هذا كلّهُ تحقّق أمرٍ فوق هذا الطّور لا نطق فيه ولا خبر عنه. وهذا المقدار من الإشارة كافٍ؛ والتّعمّق في مثل هذا حجاب، وهو الذي أوقع في المقالات المعروفة. 15

انتهى كلام الشيخ أبي مهدي ابن الزّيّات<sup>(1)</sup>. ونقلته<sup>(ب)</sup> من كتاب الوزير ابن

(أ) سقط من ع (ب) سقط من ع ج .

(1) قطعة من الحديث القدسي: "من عادى لي ولياً" الذي تردّد به البخاريّ 8: 131 حديث رقم (6502).

الخطيب الذي أَلَفَهُ / في المَحَبَّة، وسمَّاهُ<sup>(1)</sup> التعريف بالحَبِّ الشريف. وقد سَمِعْتُهُ من [322ب] شَيْخنا أَبِي مَهْدِي مَراراً، إِلَّا أَنِّي رَأَيْتُ [أَنْ]<sup>(1)</sup> رَسومَ الكُتابِ أَوْعَى لَهُ لَطولَ عَهْدِي بِهِ. [والله الموقِّع]<sup>(ب)</sup>.

(ج) ثُمَّ إِنَّ كَثِيراً مِنَ الْفُقَهَاءِ وَأَهْلِ الْفُتْيَا انْتَدَبُوا لِلرَّدِّ عَلَى هَؤُلَاءِ الْمُتَأَخِّرِينَ فِي هَذِهِ الْمَقَالَاتِ وَأَمْثَالِهَا ، وَشَمَلُوا بِالتَّكْرِيرِ سَائِرَ مَا وَقَعَ لَهُمْ فِي الطَّرِيقَةِ . وَالْحَقُّ أَنَّ الْكَلَامَ مَعَهُمْ فِيهِ تَفْصِيلٌ. فَإِنَّ كَلَامَهُمْ فِي أَرْبَعَةِ مَوَاضِعَ:

أَحَدُهَا: الْكَلَامُ عَلَى الْمَجَاهِدَاتِ، وَمَا يَحْصُلُ مِنَ الْأَذْوَاقِ وَالْمُواجِدِ، وَمُحَاسِنَةِ النَّفْسِ عَلَى الْأَعْمَالِ لِتَحْصُلِ تِلْكَ الْأَذْوَاقِ الَّتِي تُصِيرُ مَقَاماً، وَيَتَرَقَّى مِنْهُ إِلَى غَيْرِهِ كَمَا قُلْنَا.

10 وَثَانِيهَا: الْكَلَامُ فِي الْكَشْفِ وَالْحَقَائِقِ الْمَدْرَكَةِ مِنْ عَالَمِ الْغَيْبِ ، مِثْلَ الصِّفَاتِ الرَّبَّانِيَّةِ، وَالْعَرْشِ، وَالْكُرْسِيِّ، وَالْمَلَائِكَةِ، وَالْوَحْيِ، وَالتَّبَوُّةِ، وَالرُّوحِ، وَحَقَائِقِ كُلِّ مَوْجُودٍ غَائِبٍ أَوْ شَاهِدٍ، وَتَرْتِيبِ الْأَكْوَانِ فِي صُدُورِهَا عَنْ مُوجِدِهَا وَمَكُونِهَا، كَمَا مَرَّ. وَثَالِثُهَا: التَّصَرُّفَاتُ فِي الْعَوَالِمِ وَالْأَكْوَانِ بِأَنْوَاعِ الْكِرَامَاتِ.

ورَابِعُهَا: أَلْفَاظُ مُوهِمَةُ الظَّاهِرِ، صَدَرَتْ مِنَ الْكَثِيرِ مِنْ أَيْمَةِ الْقَوْمِ، يُعْتَبِرُونَ 15 عَنْهَا فِي اضْطِلَاحِهِمُ بِالشَّطِّحَاتِ تُشْتَشْكَلُ ظَوَاهِرُهَا، فُتْكَرُ، وَمُحَسَّنٌ، وَمُتَأَوَّلٌ.

(أ) من ج ع، وسقط من ظ (ب) من ع ج وسقط من ظ (ج) بدء استئناف نسخة ي للنص بعد انقطاعها .

(1) ابن الخطيب : التعريف 499 .



فأما الكلام في المجاهدات والمقامات وما يحصل من الأذواق والمواجد في نتائجها، ومُحاسبة النفس على التقصير في أسبابها، فأمر لا مدفع فيه لأحد. وأذواقهم فيه صحيحة، والتحقق بها هو عين السعادة.

وأما الكلام في كرامات القوم وإخبارهم بالمغيبات وتصرفهم في الكائنات، فأمر صحيح غير منكر، وإن مال بعض العلماء إلى إنكارها، فليس ذلك من الحق. وما احتج به الأستاذ أبو إسحاق الإسفرايني من أئمة الأشعرية على إنكارها بالتباسها بالمُعجزة<sup>(1)</sup>، فقد فرق المحققون من أهل السنة بينهما بالتحدّي، وهو دعوى وقوع المعجزة على وفق ما جاء به. قالوا: ثم إن وقوعها على وفق دعوى الكاذب غير مقدور، لأن دالة المعجزة / على الصدق عقلية، فإن صفة نفسها التصديق. فلو وَقَعَت مع الكاذب لتبدلت صفة النفس، وهو مُحال. هذا مع أن الوجود شاهد 10 بوقوع الكثير من هذه الكرامات، وإنكارها نوع مكابرة. وقد وَقَعَ للصحابه وأكابر السلف كثير من ذلك؛ وهو معلوم مشهور.

وأما الكلام في الكشف وإعطاء حقائق العلويات وترتيب صدور الكائنات، فأكثر كلامهم فيه من نوع التشابه لما الله وجداني عندهم. وفاقد الوجدان بمغزل عن أذواقهم فيه. واللغات لا تُعطي دالة على مرادهم منه، لأنها لم توضع إلا للمتعارف، 15 وأكثره من المخسوسات. فينبغي أن لا نعرض لكلامهم في ذلك، ونتركه فيما تركناه من التشابه. ومن رزقه الله فهم شيء من هذه الكلمات على الوجه الموافق لظاهر الشريعة، فأكرم بها سعادة.

(1) انظر الرسالة الشنيرة: 158 (باب كرامات الأولياء).

وأما الألفاظ الموهمة التي يُعبرون عنها بالشّطحات، ويؤاخذهم بها أهل  
الشرع، فاعلم أنّ الإنصاف في شأن القوم أنّهم أهل غيبة عن الحسّ، والواردات  
تملكهم حتى ينطقوا عنها بما لا يقصدونه. وصاحب الغيبة غير مخاطب، والمجبور  
معدور. فمن علم منهم فضله واقتداؤه، حُمل على القصد الجميل من هذا وأمثاله،  
5 وأنّ العبارة عن المواجد صعبة لفقدان الوضع لها، كما وقع لأبي يزيد [البسطامي] <sup>(1)</sup> <sup>(1)</sup>  
 وأمثاله. ومن لم يعلم فضله ولا اشتبه، فمؤاخذ بما صدر عنه من ذلك، إذ لم يتبين  
لنا ما يحملنا على تأويل كلامه. وأما من تكلم بمثلها وهو حاضر في حسّه ولم تملكه  
الحال، فمؤاخذ أيضاً. ولهذا أفقّى الفقهاء وأكابر المتصوّفة بقتل الحلاج، لأنّه تكلم في  
حضور وهو مالك لحاله. والله أعلم.

10 وسلف المتصوّفة من أهل الرسالة، أعلام الملّة الذين أشرنا إليهم من قبل، لم  
يكن لهم حِزْص على كشف الحجاب، ولا هذا النوع من الإدراك. إنّما همّهم الاتّباع  
والاقتداء ما استطاعوا. / ومن عَرَضَ له شيءٌ من ذلك أَعْرَضَ عنه ولم يحفل به،  
[323ب] بل يَفِرُّون منه، ويَرَوْنَ أنّه من العوائق والمَحَن، وأنّه إدراكٌ من إدراكات النَّفْسِ  
مخلوقٌ حادثٌ، وأنّ الموجودات لا تنحصر في مدارك الإنسان، وعلم الله أوسع،  
15 وخلقُه أكبرُ، وشريعته بالهداية أملك. فلم ينطقوا بشيءٍ ممّا يذكرون، بل حَظَرُوا  
الحوَظ في ذلك، ومنَعُوا من يُكشِفُ له الحجاب من أصحابهم من الحَوَظ فيه  
والوقوف عنده. بل يلتزمون طريقهم كما كانوا في عالم الحسّ قبل الكشف من

(i) من ع، وسقط من ط ج ي .

(1) كان يقول: سبحاني ما أعظم شاني ! انظر الصفيدي : الوافي 16: 516 .

الاتباع والافتداء، ويأْمرون أصحابهم بالتزامها. وهكذا ينبغي أن تكون حال المرید. والله الموفق.

## 18 \* علمُ تعبير الرؤيا

- هذا العلم من العلوم الشرعیة ، وهو حادث في الملة عندما صارت العلوم صنائع وكتب الناس فيها . وأمّا الرؤيا والتعبير لها فقد كان موجوداً في السلف كما هو في الخلف. وربما كان في الملل والأمم من قبل، إلا أنه لم يصل إلينا للاكتفاء فيه بكلام المعبرين من أهل الإسلام. وإلا فالرؤيا موجودة في صنف البشر على الإطلاق، ولا بد من تعبيرها. وقد كان يوسف الصديق صلوات الله عليه يُعبر الرؤيا، كما وقع في القرآن. وكذا ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ ، وعن أبي بكر رضي الله عنه<sup>(1)</sup>.
- والرؤيا مدرك من مدارك الغيب. وقال ﷺ<sup>(2)</sup>: "الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة". وقال<sup>(3)</sup>: "لم يبق من المبشرات إلا الرؤيا الصالحة، يراها الرجل الصالح أو تری له". وأول ما بدئ به النبي ﷺ من الوحي الرؤيا.

(1) ينظر في ذلك مجمل كتاب "التعبير" في صحيح البخاري 9: 37-58 ففيه عشرات الأحاديث التي عبرها رسول الله ﷺ وأبو بكر أيضاً .

(2) أخرجه مالك في الموطأ (2746) برواية الليثي، وأحمد 3: 149 والبخاري (6983) وابن ماجه (3893) وغيرهم .

(3) أخرجه مالك في الموطأ (2749) برواية الليثي من حديث عطاء بن يسار مرسلأ. وأخرج البخاري (6990) من حديث أبي هريرة القسم الأول منه. وقال ابن عبد البر: وحديث عطاء بن يسار المذكور في هذا الباب يتصل معناه من وجوه ثابتة من حديث ابن عباس، وحذيفة، وابن عمرو، وعائشة، وأم كرز الخزاعية. (التمهيد 5: 56) .

فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح<sup>(1)</sup>. وكان ﷺ إذا انقفل من صلاة الغداة يقول لأصحابه: "هل رأى أحدٌ منكم الليلة رؤيا؟"<sup>(2)</sup> يسألهم عن ذلك ليستبشّر بما يقع من ذلك ممّا فيه ظهور الدين وإعزازه.

- / وأما السبب في كون الرؤيا مذكراً للغيب، فهو أنّ الروحَ القلبيّ، وهو [324] 5 البخار اللطيف المنبعث من تجويف القلب اللّحميّ، ينتشر في الشريانات ومع الدم في سائر البدن، وبه تكمل أفعال القوى الحيوانيّة وإحساسها. فإذا أدركه الملال بكثرة التصرف في الإحساس بالحواس الحفّس، وتصريف القوى الظاهرة، وغشي سطح البدن ما يغشاه من برد الليل، انخس الروح من سائر أقطار البدن إلى مركزه القلبيّ يستجم بذلك لمعاودة فعله، فتعطّلت الحواس الظاهرة كلّها. وذلك هو 10 معنى النوم، كما تقدّم في أول الكتاب.

ثم إنّ هذا الروح القلبيّ هو مطيّة للروح العاقل من الإنسان. والروح العاقل مدرك لجميع ما في عالم الأمر بذاته، إذ حقيقته وذاته أنّه عين الإدراك. وإنّما يمنع من تعقّله للمدارك الغيبيّة ما هو فيه من حجاب الاشتغال بالبدن وقوّاه وحواسّه. فلو 15 قد خلا من هذا الحجاب وتجرّد عنه، لرجع إلى حقيقته، وهو عين الإدراك، فيعقل كلّ مدرك. فإذا تجرّد عن بعضها خفت شواغله، فلا بدّ له من إدراك لمحة من عالمه بقدر ما تجرّد له. وهو في هذه الحالة قد خفت عنه شواغل الحس الظاهر

(1) أخرجه البخاري (3) و (4670) و (6581) ومسلم (160) والترمذي (3632) وفيه تمام تحريجه .  
(2) أخرجه مالك في الموطأ (2748 برواية الليثي) وأحمد 2: 325 من حديث أبي هريرة، وأخرجه البخاري (845) و (1386) و (2085) و (2791) ومسلم (2275) من حديث سمرة بن جندب . وله طرق أخرى.

كلها، وهي الشاغل الأعظم. فاستعدّ لقبول ما هنالك من المدارك اللائقة به من عالمه. وإذا أدرك ما يدرك من عوالمه<sup>(أ)</sup>، رجع به إلى بدنه، إذ هو ما دام في بدنه جسماني، لا يمكنه التصرف إلا بالمدارك الجسائية. والمدارك الجسائية للعلم إنما هي الدماغية، والمتصرف منها هو الخيال. فإنه يتنزع من الصور المحسوسة صوراً خيالية، ثم يدفعها إلى [الحافظة]<sup>(ب)</sup> تحفظها له إلى وقت الحاجة إليها عند النظر 5 والانتدلال. وكذلك تجرد النفس منها صوراً أخرى نفسائية عقلية، فيترقى التجريد من المحسوس / إلى المفعول، والخيال واسطة بينهما. وكذلك إذا أدركت النفس من عالمها ما تدركه، ألقتة إلى الخيال، فيصوره بالصور المناسبة له، ويدفعه إلى الحس المشترك، فيراه التام كآته محسوس، فيتزل [هذا]<sup>(ج)</sup> المدرك من الروح العقلي إلى الحس، والخيال أيضاً واسطة.

10

هذا حقيقة الرؤيا؛ ومن هذا التقرير، يظهر لك الفرق بين الرؤيا الصادقة وأضغاث الأحلام الكاذبة. فإنها كلها صور في الخيال حالة النوم. لكن إن كانت تلك الصور منزلة من الروح العقلي المدرك فهي رؤيا، وإن كانت مأخوذة من الصور التي في الحافظة التي كان الخيال أودعها إياها منذ اليقظة، فهي أضغاث أحلام.

15

<sup>(د)</sup> [واعلم أن للرؤيا الصادقة<sup>(هـ)</sup> علامات تؤذن بصدقها وتشهد بصحتها،

(أ) ج: عالمه (ب) ظ: الحافظ (ج) من ع، وسقط من ظ ي ج (د) هذا النص مدرج في متن نسخة ع، ومضاف في بطاقة على نسخة ج، وسقط من ظ ي (هـ) ج: وللرؤيا الصادقة.

فَيَسْتَشْعِرُ الرَّائِيَ الْبَشَارَةَ مِنْ اللَّهِ بِمَا أُلْقِيَ إِلَيْهِ فِي نَوْمِهِ. فَهُنَا: سُرْعَةُ انْتِبَاهِ الرَّائِيَ  
عِنْدَمَا يُدْرِكُ الرَّؤْيَا، كَأَنَّهُ يُعَاجِلُ الرَّجُوعَ إِلَى الْحِسِّ بِالْيَقَظَةِ، وَلَوْ كَانَ مُسْتَغْرِقًا فِي  
نَوْمِهِ لِثِقَلِ مَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ الْإِدْرَاكِ. فَيَفِرُّ مِنْ تِلْكَ الْحَالَةِ إِلَى حَالَةِ الْحِسِّ  
الَّتِي تَبْقَى النَّفْسُ فِيهَا مُنْعَمَسَةً بِالْبَدَنِ وَعَوَارِضِهِ. وَمِنْهَا: ثُبُوتُ ذَلِكَ الْإِدْرَاكِ وَدَوَامُهُ  
5 بِانْطِبَاعِ تِلْكَ الرَّؤْيَا بِتَفَاصِيلِهَا فِي حِفْظِهِ، فَلَا يَتَخَلَّلُهَا سَهْوٌ وَلَا نِسْيَانٌ، وَلَا يَحْتَاجُ  
إِلَى إِخْضَارِهَا بِالْفِكْرِ وَالتَّذْكَرِ، بَلْ تَبْقَى مُتَصَوِّرَةً فِي ذَهْنِهِ إِذَا انْتَبَهَ، وَلَا يَغْرُبُ عَنْهُ  
مِنْهَا شَيْءٌ، لِأَنَّ الْإِدْرَاكَ النَّفْسَانِيَّ لَيْسَ بِزَمَانِيٍّ، وَلَا يَلْحَقُهُ تَرْتِيبٌ، بَلْ يُدْرِكُهُ دَفْعَةٌ  
فِي زَمَنِ فَرْدٍ.

وَأَضْغَاثُ الْأَحْلَامِ زَمَانِيَّةٌ، لِأَنَّهَا فِي الْقُوَى الدَّمَاعِيَّةِ، يَسْتَخْرِجُهَا الْخَيَالُ مِنْ  
10 الْحَافِظَةِ إِلَى الْحِسِّ الْمَشْتَرَكِ، كَمَا قُلْنَا. وَأَفْعَالُ الْبَدَنِ كُلُّهَا زَمَانِيَّةٌ، فَيَلْحَقُهَا التَّرْتِيبُ  
فِي الْإِدْرَاكِ، وَالْمُتَقَدِّمُ وَالْمُتَأَخَّرُ، وَيَغْرُضُ النَّسْيَانُ الْعَارِضُ لِلْقُوَى الدَّمَاعِيَّةِ. وَلَيْسَ  
كَذَلِكَ مَدَارِكُ النَّفْسِ النَّاطِقَةِ، إِذْ لَيْسَتْ بِزَمَانِيَّةٍ وَلَا تَرْتِيبُ فِيهَا. وَمَا يَنْطَبِعُ فِيهَا مِنْ  
الْإِدْرَاكَاتِ فَيَنْطَبِعُ دَفْعَةً وَاحِدَةً فِي أَقْرَبِ مِنْ لَمَحِ الْبَصَرِ. وَقَدْ تَبْقَى الرَّؤْيَا بَعْدَ  
الْإِنْتِبَاهِ حَاضِرَةً فِي الْحِفْظِ أَيْامًا مِنَ الْعُمُرِ، لَا تَشُدُّ بِالْغَفْلَةِ عَنِ الْفِكْرِ بَوَاجِهُ إِذَا كَانَ  
15 الْإِدْرَاكِ الْأَوَّلُ [لَهَا] <sup>(١)</sup> قُوِيًّا. وَإِذَا كَانَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ الرَّؤْيَا بَعْدَ الْإِنْتِبَاهِ مِنَ النَّوْمِ بِأَعْمَالِ  
الْفِكْرِ وَالْوِجْهَةِ إِلَيْهَا، أَوْ يَنْسَى الْكَثِيرَ مِنْ تَفَاصِيلِهَا حَتَّى يَتَذَكَّرَهَا، فَلَيْسَتْ الرَّؤْيَا  
بَصَادِقَةٍ، وَإِنَّمَا هِيَ مِنْ أَضْغَاثِ الْأَحْلَامِ.

(١) من ج .

وهذه العلامات من خواص الوحي . قال الله تعالى لنبيه : ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأَهُ فَأَنبَحْ قُرْآنَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾ [سورة القيامة، الآيات 16- 19]. والرؤيا لها نسبة من النبوة والوحي، كما في الصحيح. قال ﷺ<sup>(1)</sup>: "الرؤيا جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة". فليخصها أيضاً نسبة إلى خواص النبوة بذلك القدر. فلا تستبعد ذلك، فهذا وجهه. والله 5 الخالق لما يشاء<sup>(1)</sup>.

وأما معنى التعبير، فاعلم أن الروح العقلي إذا أدرك مدركه وألقاه إلى الخيال فصوره، فإنما يصوره في الصور المناسبة لذلك المعنى بعض الشيء. كما يدرك معنى السلطان الأعظم، فيصوره الخيال بصورة البحر، أو يدرك العداوة فيصورها الخيال في صورة الحية. فإذا استيقظ وهو لم يعلم من أمره إلا أنه رأى البحر أو الحية، فينظر 10 المعبر بقوة التشبيه بعد أن يتيقن أن البحر صورة محسوسة وأن المدرك وراءها، ويهتدي<sup>(ب)</sup> بقرائن أخرى تعين له المدرك، فيقول مثلاً: هو السلطان، لأن البحر خلق عظيم يناسب أن يشبه به السلطان. وكذا الحية، يناسب أن تشبه بالعدو لعظم<sup>(ج)</sup> ضررها. وكذا الأواني تشبه بالنساء، لأنهن أوعية. وأمثال ذلك.

ومن المرائي ما يكون صريحاً لا تقتصر إلى تعبير لجلائها ووضوحها، أو قُرب 15 [النسبة]<sup>(د)</sup> فيها بين المدرك وشبهه. ولهذا وقع في الصحيح: "الرؤيا ثلاث: رؤيا من

(أ) نهاية النص المدرج في متن نسخة ع، والمضاف في بطاقة على نسخة ج، وقد سقط من ط ي (ب) في ي: وهو يهتدي (ج) في ع: لعظم (د) ط ي: التشبيه .

(1) تقدم ترجمته في صفحة 281 حاشية 2 .

الله، ورؤيا من الملك، ورؤيا من الشيطان<sup>(1)</sup>. فالرؤيا التي من الله هي الصريحة التي لا تفتقر إلى تأويل، والتي من الملك هي / الرؤيا الصادقة تفتقر إلى التعبير، والرؤيا التي من الشيطان هي الأضغاث.

واعلم أيضاً أن الخيال إذا ألقى إليه الروح مدركه، فإنما يصوره في القوالب المعتادة للحس. وما لم يكن الحس أدركه قط من القوالب فلا يصور فيه شيئاً. فلا يمكن من ولد أعمى أكمة<sup>(1)</sup> أن يصور له السلطان بالبحر، ولا العدو بالحية، ولا النساء بالأواني، لأنه لم يدرك شيئاً من هذه، وإنما يصور له الخيال أمثال هذه في شبهها ومناسبتها من جنس مداركه التي هي المسموعات والمشموحات. وليتخفظ المعبر من مثل هذا، فربما اختلط به التعبير وفسد قانونه.

ثم إن علم التعبير علم بقوانين كلية يثني عليها المعبر عبارة ما يقص عليه. وتأويله كما يقولون: البحر يدل على السلطان. وفي موضع آخر يقولون: البحر يدل على الغيظ، وفي موضع آخر على الهَم والأمر الفادح. ومثل ما يقولون: الحية تدل على العدو. وفي موضع آخر يقولون: \*تدل على الحياة. وفي موضع آخر يقولون\*<sup>(ب)</sup>: هي كاتم سر، وأمثال ذلك. فيحفظ المعبر هذه القوانين الكلية، ويعبر في كل موضع بما تقتضيه القرائن التي تُعَيَّن من هذه ما هو أليق بالرؤيا. وتلك القرائن، منها في اليقظة، ومنها في النوم، ومنها ما يتقدح في نفس المعبر بالخاصية التي خلقت فيه. وكل مُيسر لما خلق له.

(أ) حاشية مضافة في ع لم تدرجها ط ج ي (ب) من ع ظ، وأغفلها ج ي .

(1) البخاري 9: 48 (7017)، مسلم (2263)، وتقدم في الجزء الأول 1: 186 (1) .



ولم يَزَلْ هذا العِلْمُ يُتَنَاقَلُ بين السَّلَفِ، وكان مُحَمَّد بن سيرينَ فيهم من أَشْهَرِ  
 العُلَمَاءِ به . وَكُنِيت عنه في ذلك قَوَانِينُ ، وَتَنَاقَلَهَا النَّاسُ لهذا العَهْدِ . وَأَلَّفَ  
 الكِرْمَانِيُّ فيه من بَعْدِهِ، ثُمَّ أَلَّفَ المتَأَخَّرُونَ وَأَكْثَرُوا. وَالمُتَدَاوِلُ بين أَهلِ المَغْرِبِ لهذا  
 العَهْدِ كُتِبَ ابن أبي طَالِب القَيْرَوَانِيُّ، من عُلَمَاءِ أَهلِ القَيْرَوَانِ، مِثْلُ المُنْتَعِ (1) وَغَيْرِهِ.  
 وَكِتَابُ الإِشَارَةِ لِلسَّالِمِيِّ من أَثْنَعِ الكُتُبِ فيه [وَأَخْصَرُهَا. وَكَذَلِكَ كِتَابُ المَرْقَبَةِ العُلْيَا 5  
 لابن رَاشِدٍ، من مَشِيخَتِنَا بَتُونِس] (ب).

[325ب] وَهُوَ عِلْمٌ مَضِيٌّ بِنُورِ النُّبُوَّةِ ، لِلْمُنَاسَبَةِ الَّتِي بَيْنَهُمَا ، وَلَكُونِهَا / كَانَتْ مِنْ  
 مَدَارِكِ الوَحْيِ، كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ (1). وَ﴿اللَّهُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ [سُورَةُ التَّوْبَةِ،  
 مِنَ آيَةِ 78].

10

## 19\* العُلُومُ الْعَقْلِيَّةُ وَأَصْنَافُهَا

وَأَمَّا العُلُومُ الْعَقْلِيَّةُ الَّتِي هِيَ طَبِيعِيَّةٌ لِلإِنْسَانِ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ ذُو فِكْرٍ، فَهِيَ  
 غَيْرُ مُخْتَصَّةٍ بِمِلَّةٍ، بَلْ يَوْجَدُ النَّظَرُ فِيهَا لِأَهْلِ المِلَلِ كُلِّهِمْ، وَيَسْتَوُونَ فِي مَدَارِكِهَا  
 وَمَبَاجِئِهَا. وَهِيَ مَوْجُودَةٌ فِي النُّوعِ الإِنْسَانِيِّ مُذْ كَانَ عُمْرَانُ الخَلِيقَةِ. وَتُسَمَّى هَذِهِ  
 العُلُومُ عُلُومَ الفَلَسَفَةِ وَالحِكْمَةِ.

(1) سَقَطَ مِنْ ج (ب) مِنْ ع وَحْدَهَا، لَمْ تَدْرَجْهُ ظ ي ج .

(1) يُشِيرُ إِلَى حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: "الرُّؤْيَا الحَسَنَةُ مِنَ الرَّجُلِ الصَّالِحِ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ  
 وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ". وَتَقْدَمُ تَخْرِيجُهَا فِي صَفْحَةِ (281) .

وهي مُشتملة على أربعة علوم:

الأول، علم المنطق. وهو علم يعصم الذهن عن الخطأ في افتتاص المطالب المجهولة من الأمور الحاصلة المعلومة<sup>(أ)</sup>. وفائدته تمييز الخطأ من الصواب فيما يلتبس فيه الناظر في الموجودات وعوارضها<sup>(ب)</sup> ليقف على تحقيق الحق في الكائنات [نقياً وثبوتاً]<sup>(ج)</sup> بمنتهى فكره. 5

ثم النظر بعد ذلك عندهم، إما في المحسوسات من الأجسام العنصرية والمكونة عنها من المعدن والتببات والحيوان، والأجسام الفلكية، والحركات الطبيعية، أو النفس التي تنبعث عنها الحركات، وغير ذلك. ويسمى هذا الفن بالعلم الطبيعي، وهو العلم الثاني منها.

وإما أن يكون النظر في الأمور التي وراء الطبيعة من الروحانيات، ويسمونه 10 العلم الإلهي، وهو العلم الثالث منها.

والعلم الرابع، وهو الناظر في المقادير. ويشتمل على أربعة علوم، وهي التي تسمى التعاليم.

أولها: علم الهندسة، وهو النظر في المقادير على الإطلاق، إما المنفصلة من 15 حيث كونها معدودة، أو المتصلة<sup>(د)</sup>. وهي إما ذو بُعد واحد، وهو الخط، أو ذو بُعدين، وهو السطح، أو ذو أبعاد ثلاثة، وهو الجسم التعليمي. يُنظر في هذه

(أ) سقط من ج (ب) كذا في ط ج ي، وفي ع: التصورات والتصديقات الذاتية والعرضية، ليقف (ج) من ع، وسقط من ط ج ي (د) ع: متصلة.

المقادير وما يَغْرَضُ لها، إمّا من حيث ذاتها ، أو من حيثُ نسبةً بَعْضُها إلى بَعْضٍ.

وثانيها: علم الأَمرِثا طيقي، وهو معرفة ما يَغْرَضُ للكمّ المنفصل الذي هو [326] العدَدُ، ويوجدُ له من الخواصّ والعوارض / اللَّاحِقة.

وثالثُها: علم الموسيقى، وهو معرفة نِسَبِ<sup>(أ)</sup> الأَصْوات والنَّغم بَعْضُها من 5 بعض، وتقدِيرُها بالعدَدِ. وثمرته معرفة تلاحين الغناء.

ورابعها: علم الهيئة، وهو تَعْيِينُ الأشكال للأفلاك، وَحَضْرُ أَوْضَاعِها، وتعدُّدها لكلِّ كوكبٍ من السَّيَّارة [والثَّابِتة]<sup>(ب)</sup>، والقيامُ على مَعْرِفةِ ذلك من قِبَلِ الحركاتِ السَّماويَّةِ المشاهِدةِ الموجودةِ لكلِّ واحدٍ منها ، ومن رُجوعِها واستِقَامَتِها وإقبالِها وإدبارِها. 10

فهذه أصولُ العُلومِ الفَلَسَفيَّةِ، وهي سَبْعَةٌ: المنطقُ، وهو المقَدِّم، وبَعْدَهُ التَّعاليمُ. فالأَمرِثا طيقي أولاً، ثمَّ الهَنْدَسَةُ، ثمَّ الهيئةُ، ثمَّ الموسيقى، ثمَّ الطَّبيعياتُ، ثمَّ الإلهياتُ.

ولكلِّ واحدٍ منها فروعٌ تَتَفَرَّعُ عنه. فمن فُروعِ الطَّبيعياتِ الطَّبُّ، ومن فُروعِ 15 علمِ العدَدِ علمُ الحسابِ، والفرائضُ، والمعاملاتُ . ومن فُروعِ الهيئةِ الأَزياجُ ، وهي قوانينُ حُسباناتِ حركاتِ الكواكبِ وتعدُّيلِها، ليوَقَّفَ على مَوَاضِعِها متى قُصِدَ ذلك. ومن فُروعِ النَّظَرِ في النُّجومِ علمُ الأَحْكامِ النُّجوميَّةِ.

(أ) من ط ج ي ، وفي ع: نِسْبَةٌ (ب) من ع، وسقط من ط ج ي .

ونحن نتكلّم عليها واحداً بعد واحدٍ إلى آخرها.

واعلم أنّ أكثر من عُنِيَ بها في الأجيال [الذين]<sup>(أ)</sup> عرفنا أخبارهم، الأمتان العظيمتان في الدولة قبل الإسلام، وهما فارس والروم. فكانت أسواق العلوم نافقة لديهم على ما بلغنا، لما كان العُمُران موفوراً فيهم، والدولة والسلطان قبيل الإسلام وعصره لهم. فكان لهذه العلوم بحورٌ زاخرةٌ في آفاقهم وأمصارهم.

وكان للكلدانيين ومن قبلهم من السريانيين ومن عاصرهم من القبط، عنايةٌ بالسحر والنجامة، وما يتبعها من التأثيرات والطلسمات. وأخذ ذلك عنهم الأمم، من فارس ويونان، واختص به القبط، وطما بجزرها فيهم، كما وقع في المثلّو من خبر هاروت / وماروت وشأن السحرة، وما نقله أهل العالم<sup>(ب)</sup> من شأن البراي<sup>(ج)</sup> بصعيد مصر. ثم تتابعت الملل بحظر ذلك وتحريره، فدرست علومه وبطلت كأن لم تكن، إلا بقايا يتناقلها منتحلو هذه الصنائع، الله أعلم بصحتها. مع أنّ سيوف الشرع قائمة على ظهورها ومانيعة من [اختيارها]<sup>(د)</sup>.

وأما الفرس، فكان شأن هذه العلوم العقلية عندهم عظيماً ونطاقها متسعاً، لما كانت<sup>(هـ)</sup> عليه دولهم من الضخامة واتصال الملك. ولقد يقال: إنّ هذه العلوم إنّما وصلت إلى يونان منهم، حين قتل الإسكندر دارا وغلب على مملكة الكينية، فاستولى على كتبهم وعلومهم. إلا أنّ المسلمين لما افتتحو بلاد فارس وأصابوا من

(أ) من ع، وفي ط ج ي: الذي (ب) من ط ج ي، وفي ع: العلم (ج) في ع: البراي (د) من ع، وفي ط ج ي: اختبارها (هـ) في ج: كان.

كتبهم وصحائف علومهم ما لا يأخذه الحضر، كتب سعد ابن أبي وقاص إلى عمر بن الخطاب يستأذنه في شأنها وتنفيذها للمسلمين، فكتب إليه عمر أن اطرحوها<sup>(1)</sup> في الماء، فإن يكن ما فيها هدى فقد هدانا الله بأهدى منه، وإن يكن ضللاً فقد كفناه الله؛ فطرحوها في الماء أو في النار، وذهبت علوم الفرس فيها عن أن تصل إلينا.

5

وأما الروم، فكانت الدولة منهم<sup>(ب)</sup> ليونان أولاً. وكان لهذه العلوم بينهم مجال رخب، وحملها مشاهير من رجالهم، مثل أساطين الحكمة وغيرهم. واحتص فيها المشاءون، منهم أصحاب الرواق، بطريقة حسنة في التعليم، كانوا يقرأون في رواق يظلهم من الشمس والبرد على ما زعموا. واتصل فيها سند تعليمهم على ما يزعمون من لدن لقمان الحكيم في تلميذه إلى سُقراط الدن، ثم إلى تلميذه أفلاطون، ثم إلى 10 تلميذه أرسطو، ثم إلى تلميذه الإسكندر الأفروديسي وتامسطيوس، وغيرهم. وكان أرسطو معلماً للإسكندر، ملكهم الذي غلب الفرس على ملكهم واتزع الملك من أيديهم. وكان أرسطو في هذه العلوم قدماً وأبعدهم فيها صيناً وشهرة. وكان يسمى [١٣٢٧] / المعلم الأول، فطار له في العالم ذكر.

ولما انقرض أمر اليونانيين، وصار الأمر للقيصرية، وأخذوا بدين النصرانية، 15 هجروا<sup>(ج)</sup> تلك العلوم كما تقتضيها الملل والشرائع فيها، وبقيت في صُحفها ودواوينها مخلدة باقية في خزائهم. ثم ملكوا الشام وكُتب هذه العلوم باقية فيهم.

(١) من ظ ج ي، وفي ع: اطرخها (ب) ج: فهم (ج) ظ: وهجروا.

ثم جاء الله بالإسلام، وكان لأهله الظهور الذي لا كفاء له. وابتزوا الروم ملكهم فيما ابتزوه للأمم. وابتدأ أمرهم بالسداجة والغفلة عن الصنائع، حتى إذا تبخبح السلطان والدولة، وأخذوا من الحضارة بالخط الذي لم يكن لغيرهم من الأمم، وتقتنوا في الصنائع والعلوم، تشوفوا إلى الاطلاع على هذه العلوم الحكيمة بما سمعوا 5 من الأساقفة والأقسة المعاهدين بعض ذكر منها، وما تنمو إليه أفكار الإنسان فيها. فبعث أبو جعفر المنصور إلى ملك الروم أن يبعث إليه بكتب التعاليم مترجمة. فبعث إليه بكتاب أوقليدس، وبعض كتب الطبيعيات. وقرأها المسلمون واطلعوا على ما فيها، وازدادوا حرصاً على الظفر بما بقي [منها] <sup>(1)</sup>.

وجاء المأمون من بعد ذلك، وكانت له في العلم رغبة بما كان يتحمله. فانبعث 10 لهذه العلوم حرصاً، وأوفد الرسل على ملوك <sup>(ب)</sup> الروم في استخراج علوم اليونانيين وانساجها بالخط العربي. وبعث المترجمين لذلك، فأوعى منه واستوعب. وعكف عليها النظار من أهل الإسلام، وحذقوا في فنونها، وانتهت إلى الغاية أنظارهم فيها. وخالفوا كثيراً من آراء المعلم الأول، واختصوه بالرد والقبول لوقوف الشهرة عنده. ودونوا في ذلك الدواوين، وأزبنوا على من تقدمهم في هذه العلوم.

15 وكان من أكابرهم في الملة أبو نصر الفارابي، وأبو علي بن سينا بالمشرق، والقاضي أبو الوليد بن رشد، والوزير أبو بكر بن الصائغ بالأندلس، / إلى آخرين [327ب] بلغوا الغاية في هذه العلوم، واختص هؤلاء بالشهرة والذكر. واقتصر كثير على

(1) من ع ج ي، وفي ظ: فيها (ب) ج: ملك.

انْتِحَالِ التَّعَالِيمِ وَمَا يَنْضَافُ إِلَيْهَا مِنْ عُلُومِ النَّجَامَةِ وَالسَّخَرِ وَالطَّلَسَمَاتِ. وَوَقَفَتْ  
الشُّهُرَةُ فِي هَذَا الْمُنْتَحَلِ عَلَى [جَابِرِ بْنِ حَيَّانٍ مِنْ أَهْلِ الْمَشْرِقِ]<sup>(أ)</sup>، وَعَلَى مَسْأَلَةِ  
[ابن أحمد]<sup>(ب)</sup> الْمَجْرِيَّيَّ، مِنْ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ وَتَلْمِيذِهِ. وَدَخَلَ عَلَى الْمَلَّةِ - مِنْ هَذِهِ  
الْعُلُومِ وَأَهْلِهَا - دَاخِلَةً. وَاسْتَهْوَتْ الْكَثِيرَ مِنَ النَّاسِ بِمَا جَنَحُوا إِلَيْهَا وَقَلَّدُوا آرَاءَهَا. وَالذَّنْبُ  
فِي ذَلِكَ لِمَنْ ارْتَكَبَهُ. ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ﴾ [سورة الأنعام ، من الآية 137]. 5

ثُمَّ إِنَّ الْمَغْرِبَ وَالْأَنْدَلُسَ، لَمَّا رَكَدَتْ رِيحُ الْعُمُرَانِ بِهِ وَتَنَاقَصَتِ الْعُلُومُ بِتَنَاقُصِهِ،  
اَضْمَحَلَّ ذَلِكَ مِنْهُ، إِلَّا قَلِيلًا مِنْ رُسُومِهِ تَجِدُهَا فِي تَفَارِيقِ مِنَ النَّاسِ، وَتَحْتَ رِقْبَةٍ  
مِنْ عُلَمَاءِ السُّنَّةِ.

وَيَبْلُغُنَا عَنْ أَهْلِ الْمَشْرِقِ أَنَّ بَضَائِعَ هَذِهِ الْعُلُومِ لَمْ تَزَلْ عِنْدَهُمْ مَوْفُورَةً، وَخُصُوصًا  
فِي عِرَاقِ الْعَجَمِ وَمَا بَعْدَهُ فِيمَا وَرَاءَ النَّهْرِ، وَأَنَّهُمْ عَلَى تَبَجٍّ مِنَ الْعُلُومِ الْعَقْلِيَّةِ وَالتَّقْلِيَّةِ،  
لِتَوْفُرِ عُمرَانِهِمْ وَاسْتِحْكَامِ الْحَضَارَةِ فِيهِمْ. 10

وَلَقَدْ وَقَفْتُ بِمَضْرٍ عَلَى تَوَالِيفٍ فِي الْمَقُولِ مُتَعَدِّدَةٍ لِرَجُلٍ مِنْ عُظَمَاءِ هَرَاةَ،  
مِنْ بَلَدِ خُرَاسَانَ، يَشْتَهَرُ<sup>(ج)</sup> بِسَعْدِ الدِّينِ التَّفْتَازَانِيِّ، مِنْهَا<sup>(د)</sup> فِي عِلْمِ الْكَلَامِ وَأَصُولِ  
الْفِقْهِ وَالْبَيَانِ، تَشْهَدُ بِأَنَّهُ لَهَا مَلَكَةٌ رَاسِخَةٌ فِي هَذِهِ الْعُلُومِ. وَفِي أَثْنَائِهَا مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ  
لَهَا اِطْلَاعًا عَلَى<sup>(هـ)</sup> الْعُلُومِ الْحِكْمِيَّةِ وَتَضَلُّعًا بِهَا، وَقَدَمًا عَالِيَةً فِي سَائِرِ الْفُنُونِ الْعَقْلِيَّةِ. 15  
﴿وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَن يَشَاءُ﴾ [سورة آل عمران، من الآية 13].

(أ) مخرج بخطه في ع، لم تنقله ظ ج ي (ب) سقط من ظ وحدها (ج) في ع ج ي : يُنْفَر (د) سقط من ج  
(هـ) ي: في .

و<sup>(أ)</sup> كذلك يَبْلُغنا لهذا العهد، أن هذه العلوم الفلسفية ببلاد الفرنجة من أرض رومة وما إليها من العدو الشمالية نافقة الأسواق، وأن رسومها هنالك مُتَجَدِّدة، ومجالس تعليمها مُتَعَدِّدة، ودواوينها جامعة، وحملتها [متوفرون]<sup>(ب)</sup>، وطلبتها مُتَكَثِّرون. والله أعلم بما هنالك. [وهو]<sup>(ج)</sup> ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [سورة القصص، من الآية 68].

[328<sup>أ</sup>]

## 5 20 / العلوم العددية

وأولها الأمر تماطقي. وهو معرفة خواص الأعداد من حيث التأليف، إما على التوالي أو بالتضعيف.

مثل: أن الأعداد إذا توالَتْ مُتَفَاضِلَةٌ بعدد واحد، فإنَّ جَمْعَ الطَّرَفَيْنِ منها مُساوٍ<sup>(د)</sup> لجمع كلَّ عددين، بُعْدهما من الطرفين بُعد واحد.

ومثلُ ضِعْفِ الواسِطة ، إن كان عدَّة تلك الأعداد فرداً ، مثل الأعداد على تواليها، والأزواج على تواليها، \* والأفراد على تواليها<sup>(هـ)</sup>.

ومثل أن الأعداد إذا توالَتْ على نسبة واحدة [بأن]<sup>(و)</sup> يكون أولها نصف ثانيها، وثانيها نصف ثالثها، إلى آخرها، أو يكون أولها ثلث ثانيها، وثانيها ثلث ثالثها، إلى آخرها، فإنَّ ضَرْبَ الطرفين أحدهما في الآخر، كضرب كلَّ عددين بُعْدهما من الطرفين بُعد واحد أحدهما في الآخر.

(أ) سقط العطف من ع (ب) من ع، وفي ظ: متوفرون (ج) في ظ: والله ﴿يَخْلُقُ ...﴾ (د) ج: متساو (هـ) ما بين النجمين سقط من ع (و) من ع وحدها.



ومثل مربع الواسطة إن كانت العدة فرداً، وذلك مثل أعداد زوج الزوج المتوالية من اثنين، فأربعة، فثمانية، فستة عشر.

ومثل ما يحدث من الخواص العددية في وضع المثلثات العددية والمربعات والخمسات والمسدسات، إذا وضعت متتالية في سطورها، بأن تجمع من الواحد إلى العدد الأخير فيكون مثلثه. وتتوالى المثلثات هكذا في سطر تحت الأضلاع، 5 ثم تزيد على كل مثلث مثلث الضلع الذي قبله فيكون مربعه، وتزيد على كل مربع مثلث الذي قبله فيكون مخمسه، وهلم جرا. وتتوالى الأشكال على توالي الأضلاع. ويحدث جدول ذو طول وعرض. ففي عرضه الأعداد على تواليها، ثم المثلثات على تواليها، ثم المربعات، ثم الخمسات، إلى آخرها. وفي طوله كل عدد وأشكاله بالغاً ما بلغ. ويحدث في [جميعها]<sup>(1)</sup> وقسمة بعضها على بعض<sup>(ب)</sup> طولاً وعرضاً خواص غريبة 10 استقرت منها وتقررت في دواوينهم مسائلها<sup>(ج)</sup>.

[328 ب] وكذلك ما يحدث للزوج، والفرد، وزوج / الزوج، وزوج الفرد، [وزوج الزوج والفرد. فإن لكل منها خواص تخص<sup>(د)</sup> به تضمنها هذا الفن]<sup>(هـ)</sup> وليس في غيره.

15 وهذا الفن أول أجزاء التعاليم وأينها. ويدخل في براهين الحساب. وللحكام المتقدمين والمتأخرين فيه تواليف؛ وأكثرهم يدرجونه في التعاليم ولا يفردونه بالتأليف. فعَل ذلك ابن سينا في كتاب الشفاء والنجاة، وغيره من المتقدمين. وأمّا المتأخرون

(1) من ع ي، وفي ط ج: جميعها (ب) كترت ع بعده كلمة قسمة ولا معنى له (ج) في ج: بمسائلها (د) كذا في ع، وفي ج ي: تختص (هـ) من: ع ج ي، وسقط من ط.

فهو عندهم مَهْجُورٌ، إذ<sup>(١)</sup> هو غيرُ متداولٍ، ومنفعته في البراهين لا في الحساب،  
فَهَجَرُوهُ لذلك بعد أن اسْتَخْلَصُوا زُبْدَتَهُ في البراهين الحِسَابِيَّةِ، كما فَعَلَهُ ابنُ البَتَّاءِ في  
كتاب رَفْعِ الحِجَابِ، وغيره. والله أعلم.

ومن فُرُوعِ عِلْمِ العَدَدِ: صِنَاعَةُ الحِسَابِ. وهي صِنَاعَةُ عَمَلِيَّةٍ في حُسْبَانِ  
5 الأَعْدَادِ بِالضَّمِّ والتَّفْرِيقِ، فَالضَّمُّ يَكُونُ في الأَعْدَادِ بِالإِفْرَادِ، وهو الجَمْعُ. وبِالتَّضْعِيفِ،  
أي: يُضَاعَفُ عَدَدٌ بِأَحَادٍ عَدِيدٍ آخَرٍ. وهذا هو الضَّرْبُ. والتَّفْرِيقُ أَيْضاً يَكُونُ في  
الأَعْدَادِ، إمَّا بِالإِفْرَادِ، مثلُ إِزَالَةِ عَدَدٍ مِنْ عَدَدٍ وَمَعْرِفَةِ البَاقِي، وهو الطَّرْحُ، أو  
تَفْصِيلِ عَدَدٍ بِأَجْزَاءٍ مُتَسَاوِيَةٍ تَكُونُ عِدَّتُهَا مُحْصَلَةٌ، وهو القِسْمَةُ.

وسواءٌ كَانَ هَذَا الضَّمُّ والتَّفْرِيقُ في الصَّحِيحِ مِنَ العَدَدِ أو الكَسْرِ.

10 وَمَعْنَى الكَسْرِ، نِسْبَةُ عَدَدٍ إِلَى عَدَدٍ، وَتِلْكَ النِّسْبَةُ تُسَمَّى كَسْراً. وَكَذَلِكَ  
يَكُونُ الضَّمُّ والتَّفْرِيقُ في الجُذُورِ، وَمَعْنَاهَا العَدْدُ الَّذِي يُضْرَبُ فِي مِثْلِهِ فَيَكُونُ مِنْهُ  
العَدْدُ المُرَبَّعُ.

[وَالْعَدْدُ الَّذِي يَكُونُ مُصَرَّحاً بِهِ يُسَمَّى المُنْطِقَ، وَمُرَبَّعُهُ كَذَلِكَ. وَلَا يَحْتَاجُ  
فِيهِ أَنْ يَكْلَفَ عَمَلٌ بِالحُسْبَانِ. وَالَّذِي لَا يَكُونُ مُصَرَّحاً بِهِ يُسَمَّى الأَصَمَّ. وَمُرَبَّعُهُ إمَّا  
15 مُنْطِقٌ، مِثْلُ جَذَرِ ثَلَاثَةِ الَّذِي مُرَبَّعُهُ ثَلَاثَةٌ، وَإِمَّا أَصَمٌّ، مِثْلُ جَذَرِ ثَلَاثَةِ الَّذِي مُرَبَّعُهُ  
جَذَرُ ثَلَاثَةٍ. وَهُوَ أَصَمٌّ، وَيَحْتَاجُ إِلَى عَمَلٍ مِنَ الحُسْبَانِ] <sup>(ب)</sup>، فَإِنَّ تِلْكَ الجُذُورَ أَيْضاً  
يَدْخُلُهَا الضَّمُّ والتَّفْرِيقُ.

(١) ع: وهو (ب) مخرج في حاشية ع بخطه، وسقط من ط ج ي.

وهذه الصناعة [الحسابية]<sup>(أ)</sup> حادثة، احتيج إليها للحُسابان في المعاملات، وألف فيها الناس كثيراً وتداولوها<sup>(ب)</sup> في الأمصار بالتعليم للولدان . ومن أحسن التعليم عندهم الابتداء بها، لأنها معارف متَّصحة وبراهينها منتظمة. فينشأ عنها في الغالب عقلٌ مضيءٌ دَرَبٌ على الصَّواب . وقد يُقال: إنَّ من أخذ نفسه بتعليم الحساب أولَ أمره أنه يَغْلِبُ عليه الصَّدقُ ، / لما في الحساب من 5 صِحَّةِ المباني ومناقشة النفس، فيصيرُ له ذلك خُلُقاً ويتعوَّد الصَّدق ويُلَازِمُه مذهباً.

ومن أحسن التَّوَالِيفِ المبسوطَةِ فيها لهذا العهد بالمغرب، كتابُ الحِصَارِ الصَّغِيرِ. ولابن البتَّة المراكشي فيه تلخيص ضابطٌ لقوانين أعماله مفيدٌ . ثمَّ شَرَحَهُ بكتابٍ سمَّاهُ رفع الحِجَابِ، وهو مُسْتَعْلَقٌ على المبتدئ ، بما فيه من البراهين الوثيقة 10 المباني، وهو كتابٌ جليلُ القدر، أذكرُنا المشيخة تُعَظِّمُه، وهو<sup>(ج)</sup> جديرٌ بذلك. \*وساوق فيه المؤلفُ رحمه الله كتابَ فقه الحساب لابن مُنِعم، وكتاب<sup>(د)</sup> الكامل للأخْذَبِ<sup>(هـ)</sup>، ولَخَّصَ براهينَها وَغَيرَها<sup>(و)</sup> عن اصطلاح الحُرُوف فيها إلى عِلَلٍ مَعْنَوِيَّةٍ [ظاهرة]<sup>(ز)</sup> هي العبارة بالحُرُوفِ وَلُبُها<sup>(ح)</sup>، وهي كُلُّها مُسْتَعْلَقَةٌ\*<sup>(ط)</sup>.

وإنَّما جاءها الاستِغْلَاقُ من طريق البرهان، شأنَ علومِ التَّعاليم. لأنَّ مسائلَها 15 وأعمالَها واضحةٌ كُلُّها. وإذا قُصِدَ شَرْحُها، فإنَّما هو إعطاءُ العِلَلِ في تلك الأعمال. وفي

(أ) من حاشية ع، وسقط من ط ج ي (ب) ي: فتداولوها (ج) في ي: وهو كتاب، ومشطوبة في ط (د) سقط من ع (هـ) في ع: الأجر (و) في ج: وَغَيرَها (ز) من ع ج (ح) ع ج: وَرَبَذَتْها (ط) ما بين النجمين حاشية في ط بخط ابن خلدون عدل فيها نص ع وضبطه؛ وسقطت الحاشية كلها من ي.

ذلك من العُسْرِ على الفَهْم ما لا يوجَدُ في أَعْمَالِ المسَائِلِ . فتَأَمَّلْهُ . والله يَهْدِي بنوره  
من يشاء .

ومن فروعِهِ: الجَبْرُ والمُقَابَلَةُ . وهي صِنَاعَةٌ يُسْتَخْرَجُ بها العَدَدُ المَجْهُولُ من قَبْلِ  
المَعْلُومِ المَفْرُوضِ إذا كان بَيْنَهُما نِسْبَةٌ تَقْتَضِي ذلك . فاضْطَلَحُوا فيها على أن جَعَلُوا  
5 المَجْهُولَاتِ مَرَاتِبَ من طَرِيقِ التَّضْعِيفِ بالضَّرْبِ . أولُهَا العَدَدُ ، لَأَنَّهُ <sup>(أ)</sup> به يَتَعَيَّنُ  
المَطْلُوبُ المَجْهُولُ باستِخْرَاجِهِ من نِسْبَةِ المَجْهُولِ إِلَيْهِ . وَثَانِيهَا الشَّيْءُ ، لَأَنَّ كُلَّ مَجْهُولٍ  
فَهُوَ من حَيْثُ إِبْهَامُهُ شَيْءٌ . وَهُوَ أَيْضاً [جَذْرٌ] <sup>(ب)</sup> لما يَلْزَمُ من تَضْعِيفِهِ في المَرْتَبَةِ  
الثَّانِيَةِ . وَثَالِثُهَا المَالُ ، وَهُوَ مُرْتَبِعٌ مُبْهَمٌ .

وما بَعْدَ ذلك فَعَلَى نِسْبَةِ الأُسِّ في المَضْرُوبِينَ . ثُمَّ يَقَعُ العَمَلُ المَفْرُوضُ في  
10 المَسْأَلَةِ ، فَيُخْرَجُ إلى مُعَادَلَةٍ بَيْنَ مُخْتَلِفَيْنِ أو أَكْثَرَ من هَذِهِ الأَجْنَاسِ . فَيُقَابِلُونَ بَعْضُهَا  
بِبَعْضٍ ، وَيَجْتَبِرُونَ مَا فِيهَا مِنَ الكَسْرِ حَتَّى يَصِيرَ صَحِيحاً . وَيَحْطُونَ المَرَاتِبَ إلى أَقْلٍ  
الأُسُوسِ إِنْ أُمِكنَ ، حَتَّى تَصِيرَ إلى الثَّلَاثَةِ الَّتِي عَلَيْهَا مَدَارُ الجَبْرِ عِنْدَهُمْ ، وَهِيَ  
العَدَدُ ، وَالشَّيْءُ ، وَالْمَالُ .

فَإِنْ كَانَتِ المَعَادَلَةُ بَيْنَ وَاحِدٍ وَوَاحِدٍ ، تَعَيَّنَ . فَالْمَالُ أوِ الجَذْرُ يَزُولُ إِبْهَامُهُ  
15 بِمَعَادَلَةِ العَدَدِ وَيَتَعَيَّنُ . وَالْمَالُ إِنْ عَادَلَ الجَذْرَ ، فَيَتَعَيَّنُ بَعْدَهَا .

/ وَإِنْ كَانَتِ المَعَادَلَةُ بَيْنَ وَاحِدٍ وَاثْنَيْنِ ، أَخْرَجَهُ العَمَلُ الهِنْدَسِيُّ <sup>(ج)</sup> مِنْ طَرِيقِ [329ب]

(أ) ي: لأن (ب) ظ: جنور (ج) كتب الناسخ الجملة في ظ مقلوبة هكذا: بين واحد واثنين أخرجه العمل الهندسي وإن كانت  
المعادلة .

تفصيل الضرب في الاثنين وهي مهمة، فيعينها ذلك الضرب المفصل. ولا تمكن المعادلة بين اثنين واثنين.

وأكثر ما انتهت المعادلة عندهم إلى ست مسائل. لأن المعادلة بين عدد وجذر ومال مفردة أو <sup>(1)</sup> مركبة تحيئ ستة.

5 وأول من كتب في هذا الفن أبو عبد الله الخوارزمي. وبعده أبو كامل شجاع ابن أسلم. وجاء الناس على أثره فيه. وكتبه في مسائله الست من أحسن الكتب الموضوعة فيه. وشرحه كثير من أهل الأندلس فأجادوا. ومن أحسن شروحاته كتاب القرشي.

وقد بلغنا أن بعض أئمة التعلیم من أهل المشرق أنهى المعادلات <sup>(ب)</sup> إلى أكثر من هذه الستة أجناس وبلغها إلى فوق العشرين ، واستخرج لها كلها أعمالاً وثيقة 10 براهين هندسية. والله ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾ [سورة فاطر، من الآية 1].

ومن فروعها أيضاً: المعاملات. وهو <sup>(ج)</sup> تصرف الحساب في معاملات المدن في البياعات والمساحات والزكوات وسائر ما يفرض فيه العدد من المعاملات، تصرف في ذلك صناعة الحساب في المجهول والمعلوم والكسر والصحيح والجذور 15 وغيرها.

والغرض من تكثير المسائل المفروضة فيها حصول الميران والدزبة بتكرار العمل حتى ترسخ الملكة في صناعة الحساب.

(1) من طع، وفي ج ي: و (ب) في ط ع، وفي ج ي: المعاملات (ج) ج: وهي .

ولأهل الصناعة الحسابية من أهل الأندلس تواليف فيها متعددة، من أشهرها معاملات الزهراوي، وابن السّمح، وأبي مُسلم بن خلدون، من تلميذ مسلمة المخرّيطي، وأمثالهم.

ومن فُروعه أيضاً: الفرائض. وهي صناعة حسابية في تصحيح السّهام لذوي 5 الفروض في الوراثة<sup>(1)</sup> إذا تعدّدت وهلك بعض الوارثين وانكسرت سهامه على ورثته، أو زادت الفروض عند اجتماعها وتزاحمها على المال كلّ، أو كان في الفريضة / إقرار أو إنكار من بعض الورثة دون بعض. فيحتاج في ذلك [كله]<sup>(ب)</sup> إلى عمل [330] تُعَيَّن به سهام الفريضة إلى كم تصحّ، وسهام الورثة من كلّ بطن مُصحّاً حتّى تكون حظوظ الوارثين من المال على نسبة سهامهم من جملة سهام الفريضة.

10 فيدخلها من صناعة الحساب جزء كبير من صحيحه وكُسوره و[جذوره]<sup>(ج)</sup> ومعلومه ومجهوله، ويترتب على ترتيب أبواب الفرائض الفقهيّة ومسائلها.

فتشتمل حينئذ هذه الصناعة على جزء من الفقه، وهو أحكام الوراثة في الفروض والعول والإقرار والإنكار والوصايا والتدبير، وغير ذلك من مسائلها، وعلى جزء من الحساب، وهو تصحيح الشّهان باعتبار الحكم الفقهيّ.

15 وهي من أجلّ العلوم. وقد يورد أهلها أحاديث نبويّة تشهد بفضلها، مثل: "الفرائض ثلث العلم، وأنها أول ما يُزفّع من العلوم"<sup>(1)</sup>، وغير ذلك. وعندي أنّ

(أ) ع: الوراثة (ب) سقط من ظ (ج) في ظ: حدوده .

(1) تقدّم تخريجه في صفحة 219 .

ظواهر تلك الأحاديث كلها إنما هي في الفرائض العينية، كما تقدّم، لا فرائض الوراثة؛ فإنها أقل من أن تكون في كمّيها ثلث العلم. وأمّا الفرائض العينية، فكثيرة.

وقد ألف الناس في هذا الفن قديماً وحديثاً وأوعبوا . ومن أحسن التّواليف فيه على مذهب مالك رحمه الله كتاب ابن ثابت ، ومختصر القاضي أبي القاسم 5 الحوفي، وكتاب ابن المنّمّر والجعدي والصّودي، وغيرهم. لكنّ الفضل للحوفي، وكتابه مقدّم على جميعها. وقد شرّحه من شيوخنا أبو عبد الله، محمد بن سليمان السّطي، كبير مشيخة فاس، فأوضح وأوعب. ولإمام الحرمين فيها تواليف على مذهب الشافعي، تشهد باتساع باعه في العلوم، ورسوخ قدمه . وكذا للحنفية والحنابلة.

10

ومقامات الناس في العلوم مختلفة. والله يهدي من يشاء.

## 21 \* العلوم الهندسية

هذا العلم هو الناظر في المقادير؛ إمّا المتصلة، كالخط والسطح والجسم، أو المنفصلة كالأعداد، وفيما يعرض / لها من العوارض الذاتية.

[330ب]

15

مثل أن كلّ مثلث فزواياه مثل قائمتين.  
ومثل أن كلّ خطين متوازيين لا يلتقيان في جهة، ولو خرّجا إلى غير نهاية.  
ومثل أن كلّ خطين متقاطعين، فالزاويتان المتقابلتان منهما متساويتان.

ومثل أن الأربعة المقادير المتناسبة، ضُرب الأول منها في الثالث كضرب الثاني في الرابع.

وأمثال ذلك.

والكتاب المترجم لليوناتيين في هذه الصناعة كتاب أوقليدس، ويُسمى كتاب 5 الأصول والأركان، وهو أبسط ما وُضع فيها للمتعلّمين، وأول ما تُرجم من كتب اليونانيين في الملة أيام أبي جعفر المنصور. ونسخه مُختلفة باختلاف المترجمين. فمنها لحنين بن إسحاق، ولثابت بن قرة، وليوسف بن الحجاج.

ويشتمل على خمس عشرة مقالة؛ أربعة في السطوح، وواحدة في الأقدار 10 المتناسبة، وأخرى في نسب السطوح بعضها إلى بعض، وثلاث في العدد، والعاشر في المنطقات والقوية على المنطقات، ومعناه الجذور، وخمس في المجسمات. وقد اختصره الناس مختصرات كثيرة، كما فعله ابن سينا في تعاليم الشفاء، أفرد له جزءاً منها واختصه به. وكذلك ابن الصلّ في كتاب الاقتصار، وغيرهم. وشرحه آخرون شروحاً كثيرة. وهو مبدأ العلوم الهندسية بإطلاق.

واعلم أن الهندسة تُفيد صاحبها إضاءة في عقله واستقامة في فكره. لأن 15 براهينها كلها بينة الانتظام، جلية الترتيب، لا يكاد الغلط يدخل أقيستها لترتيبها وانتظامها. فيبعد الفكر بممارستها عن الخطأ، وينشأ لصاحبها عقله على ذلك المهيّج. ولقد زعموا أنه كان مكتوباً على باب أفلاطون: من لم يكن مُهندساً فلا يدخل منزلاً. وكان شيوخنا رحمهم الله يقولون: ممارسة علم الهندسة للفكر بمثابة الصابون



[331] / للتَّوْبِ الَّذِي يَغْسِلُ مِنْهُ الْأَفْذَارَ وَيُنْقِيهِ مِنَ الْأَوْضَارِ وَالْأَذْرَانِ. وَإِنَّمَا ذَلِكَ لِمَا أَسْرَنَّا إِلَيْهِ مِنْ تَرْتِيبِهِ وَانْتِظَامِهِ.

ومن فروع هذا الفنّ، الهندسةُ المخصوصةُ بالأشكالِ الكُرِّيَّةِ والمَخْرُوطَاتِ. أمَّا الأشكالُ الكُرِّيَّةُ، ففيها كتابان من كتب اليونانيّين، لتاؤدُوسِيوس وميلاؤش في سُطُوحِهَا وَقُطُوعِهَا. وكتاب تاؤدُوسِيوس مقدّم في التّعليم على كتاب ميلاؤش، 5 لتوقّف كثير من براهينه عليه. ولا بدّ منها لمن يُريدُ الخوض في علم الهيئَةِ، \*لأنّ براهينها متوقّفةٌ عليها<sup>(1)</sup>. فإنّ الكلام في الهيئَةِ\*<sup>(ب)</sup> كَلَّه كلام في الكُرَاتِ السَّامِيَّةِ وما يَعرِضُ فيها من القُطُوعِ والدَّوَائِرِ بِأَسْبَابِ الحَرَكَاتِ، كما نذكره. فقد يتوقّف على معرفة أحكام الأشكال الكُرِّيَّةِ، سطوحها وقطوعها.

وأما المَخْرُوطَاتُ، فهو من فروع الهندسة أيضاً. وهو علم ينظر فيما يقع في 10 الأجسام المخرّوطة من الأشكال والقُطُوع. ويُبرهن على ما يَعرِضُ لذلك من العوارض براهين هندسيّة متوقّفة على التّعليم الأوّل. وفائدتها تظهر في الصّنائع العمليّة التي موادّها الأجسام، مثل التّجارة والبناء، وكيف تُصنّع التّماثيل الغريبة والهيكلُ التّادِرة، وكيف يُتَحَيَّل على جَرِّ الأثقال ونَقْلِ الهياكلِ بالهِنْدَامِ والمِيخَالِ، وأمثال ذلك.

وقد أفرَدَ بعضُ المؤلّفين في هذا الفنّ كتاباً في الحِيلِ العمليّةِ، يتضمّن من 15 الصّناعات الغريبة والحِيلِ المُسْتَطَرَفَةِ كُلِّ عَجِيبٍ. وربّما استغلّق على الفُهوم لصُعوبَةِ بَراهِينِهِ الهندسيّة. وهو موجودٌ بأيّدي النّاس، ويتُسَبّونه لبني شاكِر.

(أ) ط: عليها (ب) سقط ما بين النجمين من ج .

ومن فُروع الهندسة: المساحة، وهو فنُّ يُحتاج إليه في مسح الأرض<sup>(١)</sup>.  
ومغناه استخراج مقدار أرض معلومة بنسبة شبرٍ أو ذراعٍ أو غيرها، أو نسبة  
أرض من أرض / إذا قُويست بمثل ذلك.

[331ب]

ويُحتاج إلى ذلك في توظيف الخراج على المزارع والقدن وبساتين الغراس،  
5 وفي قسمة الحوائط والأراضي بين الشركاء أو الورثة، وأمثال ذلك.  
وللتاس فيها موضوعات حسنة وكثيرة.

المنظر<sup>(ب)</sup> من فُروع الهندسة، وهو علمٌ يَتَبَيَّنُ به أسباب الغلط في الإدراك  
البصريِّ بمعرفة كيفية وقوعها، بناءً على أن إدراك البصر يكون بمخروط شعاعي،  
رأسه نقطة الباصر، وقاعدته المرئي. ثم يقع الغلط كثيراً في رؤية القريب كبيراً والبعيد  
10 صغيراً. وكذلك رؤية الأشباح الصغيرة تحت الماء ووراء الأجسام الشفافة كبيرة،  
ورؤية النقطة النازلة من المطر خطاً مستقيماً، والشعلة دائرة، وأمثال ذلك.

فيتبين في هذا العلم أسباب ذلك وكيفياته بالبراهين الهندسية. ويتبين به أيضاً  
اختلاف المنظر في القمر باختلاف العروض الذي تنبني عليه معرفة رؤية الأهلة،  
وحصول الكسوفات، وكثير من أمثال هذا.

15 وقد أُلّف في هذا الفن كثير من اليونانيين.

وأشهر من أُلّف فيه من الإسلاميين ابن الهيثم. ولغيره فيه أيضاً تواليف.  
وهو من هذه العلوم الرياضية وتفاريعها.

(١) كذا في ط ع ج، وفي ي: الأراضي (ب) كذا جاءت الجملة اسمية في ط ج ي، وفي ع: ومن فُروع الهندسة المناظر.

## 22 • عِلْمُ الْهَيْئَةِ

وهو عِلْمٌ يَنْظُرُ فِي حَرَكَاتِ الْكَوَاكِبِ الثَّابِتَةِ وَالْمُتَحَيِّرَةِ. وَيُسْتَدَلُّ بِكَيْفِيَّاتِ تِلْكَ الْحَرَكَاتِ عَلَى أَشْكَالٍ وَأَوْضَاعٍ لِلْأَفْلَاقِ لَزِمَتْ عَنْهَا هَذِهِ الْحَرَكَاتُ الْمَحْسُوسَةُ بِطَرِيقِ هَنْدَسِيَّةٍ. كَمَا يُبْرَهُنُ عَلَى أَنَّ مَرْكَزَ الْأَرْضِ مُبَايِنٌ لِمَرْكَزِ فَلَكِ الشَّمْسِ بِوُجُودِ حَرَكَةِ الْإِقْبَالِ وَالْإِذْبَارِ . وَكَمَا يُسْتَدَلُّ بِالرُّجُوعِ وَالِاسْتِقَامَةِ لِلْكَوَاكِبِ <sup>(أ)</sup> عَلَى وُجُودِ أَفْلَاقٍ 5 صَغِيرَةٍ حَامِلَةٍ لَهَا ، مَتَحَرِّكَةٍ دَاخِلَ فَلَكِهَا الْأَعْظَمِ . وَكَمَا يُبْرَهُنُ عَلَى وُجُودِ الْفَلَكَ الثَّامِنِ بِحَرَكَةِ الْكَوَاكِبِ الثَّابِتَةِ . وَكَمَا يُبْرَهُنُ عَلَى تَعَدُّدِ الْأَفْلَاقِ / لِلْكَوَكِبِ الْوَاحِدِ [332] بَتَّعَدُّدِ الْمَيُولِ لَهُ. وَأَمْثَالُ ذَلِكَ.

وإِدْرَاكُ الْمَوْجُودِ مِنَ الْحَرَكَاتِ وَكَيْفِيَّاتِهَا وَأَجْنَاسِهَا إِنَّمَا هُوَ بِالرَّصْدِ. فَإِنَّمَا عَلِمْنَا حَرَكَةَ الْإِقْبَالِ وَالْإِذْبَارِ بِهِ ، وَكَذَا تَرْتَبُ الْأَفْلَاقُ فِي طَبَقَاتِهَا ، وَكَذَا الرُّجُوعُ وَالِاسْتِقَامَةُ ، 10 وَأَمْثَالُ ذَلِكَ.

وَكَانَ الْيُونَانِيُّونَ يَعْتَنُونَ بِالرَّصْدِ كَثِيرًا ، وَيَتَّخِذُونَ لَهُ الْآلَاتِ الَّتِي تَوْضَعُ لِرَّصْدِ بِهَا حَرَكَةُ [الْكُوكِبِ] <sup>(ب)</sup> الْمَعْيَنِ. وَكَانَتْ تُسَمَّى عِنْدَهُمْ ذَاتَ الْحَلْقِ. وَصَنَاعَةُ عَمَلِهَا وَالْبِرْهَانُ عَلَيْهِ فِي مُطَابَقَةِ حَرَكَتِهَا بِحَرَكَةِ الْفَلَكَ مَنْقُولٌ بِأَيْدِي النَّاسِ.

وَأَمَّا فِي الْإِسْلَامِ ، فَلَمْ تَنْفَعْ بِهِ عَنَایَةٌ إِلَّا فِي الْقَلِيلِ . وَكَانَ فِي أَيَّامِ الْمَأْمُونِ شَيْءٌ 15 مِنْهُ. وَصَنَعَ هَذِهِ الْآلَةَ <sup>(ج)</sup> الْمَعْرُوفَةَ بِذَاتِ الْحَلْقِ ، وَشَرَعَ فِي ذَلِكَ فَلَمْ يَتِمَّ. وَلَمَّا مَاتَ ذَهَبَ رَسْمُهُ وَأُغْفِلَ ، وَاعْتَمِدَ مِنْ بَعْدِهِ عَلَى الْأَرْصَادِ الْقَدِيمَةِ. وَلَيْسَتْ بِمُغْنِيَةٍ

(أ) فِي ع: لِلْكُوكِبِ (ب) فِي ط ج: الْكَوَاكِبِ (ج) فِي ع: الْأَدَلَّةُ ، خَطَا .

لاختلاف الحركات باتصال الأقطاب، وإنَّ مطابقة حركة الآلة في الرُّصد لحركة  
الأفلاك والكواكب إنما هو بالتقريب، ولا يُعطي التحقيق. فإذا طال الزَّمان أظهر<sup>(1)</sup>  
تفاوت ذلك التقريب.

وهذه الهيئة صناعة شريفة، وليست على ما يفهم، في المشهور، أنها تُعطي  
5 صورة السماوات وتُرتب الأفلاك بالحقيقة، بل إنما تُعطي أنَّ هذه الصور والهيئات  
للأفلاك لزمت عن هذه الحركات. وأنت تعلم أنه لا ينبغي أن يكون الشيء الواحد  
لازماً لمختلفين. وإن قلنا: إنَّ الحركات لازمة، فهو استدلال باللازم على وجود  
الملزوم، ولا يُعطي الحقيقة بوجه. على أنه علم جليل، وهو أحد أركان التعاليم.

ومن أحسن التّوَاليف فيه كتاب المجسطي، منسوب لبطلميوس. وليس من  
10 ملوك اليونانيين الذين أسماؤهم بطلميوس، على ما حَقَّقه شراح الكتاب. وقد  
اختصره الأيُّمة من حكماء الإسلام، كما فعله ابن سينا، / وأدرجه في تعاليم الشفاء،  
ولخصه ابن رشد أيضاً من حكماء الأندلس، وابن السَّمح، وابن الصِّلْت في كتاب  
الاقتصار. وابن الفرغاني هيئة ملخصة، قرَّبها وحذف براهينها الهندسية<sup>(ب)</sup>.

والله ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [سورة العلق، الآية 5].

15 ومن فروعِه: علمُ الأزياج، وهي صناعة حسابية على قوانين عدديَّة فيما  
يُخَصُّ كلِّ كوكب من طريق حركته وما أدَّى إليه بُرْهان الهيئة في وضعه من سرعة  
وبُطء، واستقامة ورجوع، وغير ذلك. يُعرف به<sup>(ج)</sup> مواضع الكواكب في أفلاكها

(1) كذا في طع، وفي ج ي: ظهر (ب) سقط من ج (ج) ع: بها.

لأيّ وقتٍ فُرِضَ من قِبَلِ حُسبانِ حركاتِها على تلكِ القوانينِ المُستخرَجةِ من كُتبِ  
الهيئة.

ولهذه الصّناعةِ قوانينٌ كالمقدّماتِ والأصولِ لها في مَعْرِفَةِ الشّهورِ والأَيّامِ  
والتّواريخِ الماضِيَةِ ، وأصولٌ متقرّرةٌ من مَعْرِفَةِ الأَوْجِ والحُضيضِ والمَيُولِ وأَصْنَافِ  
الحركاتِ ، واستِخراجِ بَعْضِها من بَعْضٍ ، يَضَعُونَهَا في جَدَاوِلَ مُرتَبَةٍ تَسْهِيلاً على  
5 المتعلّمينَ ، وتُسَمَّى الأَزْيَاجُ ويُسمَّى استِخراجُ مواضعِ الكواكِبِ لِلوَقْتِ المُفروضِ بهذه  
الصّناعةِ تَغْدِيلاً وتَقْوِيماً.

وللناسِ فيه تواليُفٌ كثيرةٌ لِلْمُتَقَدِّمينَ والمتأخّرينَ ، مثلُ البتّانيّ وابنِ الكَمّادِ.

وقد عَوَّلَ المتأخّرونَ لهذا العهدِ بالمغربِ على زَيْجٍ منسوبٍ لابنِ إِسحاقَ ،  
10 ويَزْعَمُونَ أَنَّ ابنَ إِسحاقَ عَوَّلَ فيه على الرّصدِ ، وأنَّ يَهُودِيّاً كانَ بصِقْلِيَّةً ماهراً في  
الهيئةِ والتّعاليمِ ، وكانَ قد عَنِيَ بالرّصدِ ، وكانَ يبعثُ إليه بما يَصِحُّ له من ذلكِ من  
أحوالِ الكواكِبِ وحركاتِها؛ فكأنَّ أَهْلَ المغربِ لذلكِ عُنُوا به لوثاقَةِ مَبْناءٍ فيها<sup>(1)</sup>  
يَزْعَمُونَ. وَلَحَّضَهُ ابنُ البَناءِ في آخرِ سَمَاءِ المنهاجِ. فَوَلَّعَ به النَّاسُ لما سَهَّلَ من الأَعْمَالِ فيه.

وإنّما يُحْتَاجُ إلى مواضعِ الكواكِبِ من الفلكِ لِتُبْنَى عليها الأحكامُ التّجُومِيَّةُ ،  
وهي<sup>(ب)</sup> مَعْرِفَةُ الآثارِ التي تَحْدُثُ عنها بأوضاعِها في عَالَمِ الإنسانِ ، من المِلَلِ والدُّوَلِ  
15 والمواليدِ البَشَرِيَّةِ / \*والكوائِنِ الحادِثَةِ\*<sup>(ج)</sup> ، كما نُبيِّنُهُ بعدُ ، ونُوضِّحُ فيه أدلَّتَهُمْ ، إنَّ

[333]

شاءَ اللهُ تعالى.

(1) ي: على ما (ب) في ع ج ي: وهو (ج) سقط من ي .

## 23 • علم المنطق

وهو قوانين يُعرف بها الصحيح من الفاسد في الحدود المعرفة للماهيات والحجج المفيدة للتصديقات.

وذلك أن<sup>(١)</sup> الأصل في الإدراك إنما هو المحسوسات بالحواس الخمس. وجميع  
5 الحيوانات مُشتركة في هذا الإدراك من الناطق وغيره. وإنما يتميز الإنسان عنها  
بإدراك الكلّيات، وهي مُجرّدة من المحسوسات. وذلك بأن يحصل في [الخيال]<sup>(ب)</sup>  
من الأشخاص المتفكّة صورة منطبعة<sup>(ج)</sup> على جميع تلك الأشخاص المحسوسة، وهي  
[الكلّي]<sup>(د)</sup>. ثم ينظر الذهن بين تلك الأشخاص<sup>(هـ)</sup> المتفكّة وأشخاص أخرى ثوابتها  
في بعض، فتحصل له صورة تنطبق أيضاً عليها باعتبار ما اتفقا فيه. ولا يزال يترقى  
10 في التجريد إلى الكلّي الذي<sup>(و)</sup> لا يجد كلياً آخر معه يوافقه، فيكون لأجل ذلك  
بسيطاً.

وهذا مثل ما تُجرّد من أشخاص الإنسان صورة النوع المنطبقة عليها؛ ثم  
ينظر بينه وبين الحيوان وتُجرّد صورة الجنس المنطوق عليها، ثم بينها وبين النبات،  
إلى أن ينتهي إلى الجنس العالي، وهو الجوهر، فلا يجد كلياً يوافقه في شيء، فيقف  
15 العقل هنالك عن التجريد.

(١) في ع: لأن (ب) ظ: الذهن (ج) كذا في ط ج ي، وفي ع: منطبعة (د) من ع، وفي ظ: الكل (هـ) في ع: الأشخاص المحسوسة، وشطب التعت وأسقط من ط ج ي (و) سقط من ج.

ثُمَّ إِنَّ الْإِنْسَانَ، لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ لَهُ الْفِكْرَ الَّذِي بِهِ يَدْرِكُ الْعُلُومَ وَالصَّنَائِعَ، وَكَانَ الْعِلْمُ إِمَّا تَصَوُّراً لِلْمَاهِيَّاتِ، وَيُعْنَى بِهِ إدْرَاكٌ سَادِجٌ مِنْ غَيْرِ حَكْمٍ مَعَهُ، وَإِمَّا تَصْدِيقٌ، أَيْ حَكْمٌ بِثُبُوتِ أَمْرٍ لِأَمْرٍ. فَصَارَ سَعْيُ الْفِكْرِ فِي تَحْصِيلِ الْمَطْلُوبَاتِ إِمَّا بِأَنْ تُجْمَعَ تِلْكَ الْكَلِّيَّاتُ بَعْضٌ إِلَى بَعْضٍ عَلَى جِهَةِ التَّأْلِيفِ، فَتَحْصُلَ صُورَةٌ فِي الذَّهْنِ كُلِّيَّةٌ مُنطَبِقَةٌ عَلَى أَفْرَادٍ فِي الْخَارِجِ، فَتَكُونُ تِلْكَ الصُّورَةُ الذَّهْنِيَّةُ مُفِيدَةً لِمَعْرِفَةِ مَاهِيَّةِ تِلْكَ الْأَشْخَاصِ. وَإِمَّا بِأَنْ يُحْكَمَ بِأَمْرٍ عَلَى أَمْرٍ فَيُثَبَّتَ لَهُ، وَيَكُونُ ذَلِكَ تَصْدِيقاً. وَغَايَتُهُ فِي الْحَقِيقَةِ رَاجِعَةٌ إِلَى التَّصَوُّرِ، / لِأَنَّ فَايِدَةَ ذَلِكَ إِذَا حَصَلَ فَإِنَّمَا هِيَ مَعْرِفَةُ حَقَائِقِ الْأَشْيَاءِ، الَّذِي هُوَ مُقْتَضَى الْعِلْمِ [الْحِكْمِيِّ] <sup>(أ)</sup>.

وهذا السَّعْيُ مِنَ الْفِكْرِ قَدْ يَكُونُ بِطَرِيقٍ صَحِيحٍ، وَقَدْ يَكُونُ بِطَرِيقٍ فَاسِدٍ. فَاقْتَضَى ذَلِكَ تَمْيِيزَ الطَّرِيقِ الَّتِي <sup>(ب)</sup> يَسْعَى بِهَا <sup>(ج)</sup> الْفِكْرُ فِي تَحْصِيلِ الْمَطْلُوبِ الْعِلْمِيَّةِ لِتَمْيِيزِ فِيهَا الصَّحِيحِ مِنَ الْفَاسِدِ. فَكَانَ ذَلِكَ قَانُونَ الْمُنْطِقِ.

وَتَكَلَّمَ فِيهِ الْمُتَقَدِّمُونَ أَوَّلَ مَا تَكَلَّمُوا بِهِ جُمْلًا جُمْلًا وَمُفْتَرِقًا. وَلَمْ تُهْدَبْ طَرَفُهُ وَلَمْ تُجْمَعْ مَسَائِلُهُ حَتَّى ظَهَرَ فِي يُونَانَ أَرِسْطُو. فَهَدَّبَ مَنَاجِيهَهُ، وَرَتَّبَ مَسَائِلَهُ وَفَصُولَهُ، وَجَعَلَهُ أَوَّلَ الْعُلُومِ الْحِكْمِيَّةِ وَفَاتَحَتْهَا <sup>(د)</sup>. وَلِذَلِكَ يُسَمَّى بِالْمُعَلِّمِ الْأَوَّلِ. وَكِتَابُهُ الْمَخْصُوصُ بِالْمُنْطِقِ يُسَمَّى الْقَصَصُ. وَهُوَ يَشْتَمِلُ عَلَى ثَمَانِيَةِ كُتُبٍ: ثَلَاثَةٌ <sup>(هـ)</sup> مِنْهَا فِي صُورَةِ الْقِيَاسِ، وَخَمْسَةٌ <sup>(و)</sup> فِي مَادَّتِهِ.

(أ) مِنْ ع، وَسَقَطَ مِنْ ط ج ي (ب) فِي النُّسخِ جَمِيعاً: الَّذِي، وَلَا يَسْتَقِيمُ نَحْواً (ج) مِنْ ط ج ي، وَفِي ع: بِهِ (د) ج: فَاتَحَتْهُ (هـ) مِنْ ط، وَفِي ع ج ي: أَرْبَعَةٌ (و) فِي حَاشِيَةِ ج: أَرْبَعَةٌ.

وذلك أنَّ المطالبَ التَّصْديقيَّةَ على أنحاء. فمنها ما يكونُ المطلوبُ فيه اليقينَ بطَّبيعِهِ. ومنها ما يكونُ المطلوبُ فيه الظَّنَّ، وهو على مراتب. فيُنظر في القياس من حيثُ المطلوبُ الَّذي يفيدُهُ، وما ينبغي أن تكونَ مُقدِّماتُهُ بذلك الاعتبارَ، ومن أيِّ جنسٍ تكونُ من العلمِ أو الظَّنِّ. وقد يُنظرُ في القياس لا باعتبارِ مطلوبٍ مخصوصٍ، بل من جهةِ إنتاجِهِ خاصَّةً. ويُقالُ للنَّظَرِ الأوَّلِ: إنَّهُ من حيثُ المادَّةُ، وبمعنى به المادَّةُ 5 المنتِجةُ للمطلوبِ المخصوصِ من يقينٍ أو ظنٍّ. ويُقالُ للنَّظَرِ الثَّاني: إنَّهُ من حيثُ الصَّورةُ وإنتاجُ القياسِ على الإطلاقِ. فكانت لذلك كتبُ المنطق ثمانيةً.

الأوَّلُ: في الأجناسِ العاليةِ<sup>(١)</sup> التي<sup>(ب)</sup> ينتهي إليها تجريدُ المحسوساتِ في الذَّهنِ. وهي التي ليس فوقَها جنسٌ. ويسمَّى كتابُ المَقولاتِ.

والثَّاني: في القضايا التَّصْديقيَّةِ وأصنافِها. ويسمَّى كتابُ العِبارَةِ. 10

والثَّالثُ: في القياسِ وصورةِ إنتاجِهِ على الإطلاقِ. ويسمَّى كتابُ القِياسِ. وهذا آخرُ النَّظَرِ من حيثُ الصَّورةُ.

ثم الرَّابِعُ: /كتابُ البرهانِ. وهو النَّظَرُ في القِياسِ المنتِجِ لليقينِ، وكيف يجبُ 334 أن تكونَ مُقدِّماتُهُ يقينيَّةً. ويختصُّ بشروطٍ أخرى لإفادةِ اليقينِ، مذكورةٌ فيه. مثل كونها ذاتيَّةً، وأوليَّةً، وغير ذلك. وفي هذا الكتابُ الكلامُ في المَعْرِفاتِ والمَحْدودِ، إذ 15 المطلوبُ فيها إنَّما هو اليقينُ، لوجوبِ المطابقةِ بينَ الحدِّ والمَحْدودِ، لا يَحْتَمِلُ غَيْرَها. فلذلك اختصَّت عند المتقدمين بهذا الكتاب.

(١) سقط من ج (ب) من ط ع، وفي ج ي: الَّذِي .



والخامس: كتابُ الجَدَلِ. وهو القياسُ المفيدُ قَطْعَ المُشَاغِبِ وإفحامَ الخصمِ، وما يجبُ أن يُستَعْمَلَ فيه من المشهوراتِ. ويختصُّ أيضاً من جهةِ إفادتهِ لهذا الغرضِ بشروطٍ أخرى هي مذكورةٌ هناك. وفي هذا الكتابُ تُذكرُ المواضعُ التي يستنبطُ منها صاحبُ القياسِ قياسه\* بتمييز<sup>(أ)</sup> الجامع بين طرفي المطلوب المسمّى بالوَسَطِ\*<sup>(ب)</sup>. وفيه عكوسُ القضايا.

5

والسادس: كتابُ السَّفَسْطَةِ. وهو القياسُ الذي يُفيدُ خلافَ الحقِّ، ويُغالطُ به المناظرُ صاحبه، وهو فاسدٌ بالغرضِ و<sup>(ج)</sup>الموضوع. وإنما كُتِبَ ليُعرفَ به القياسُ المغالطي، فيُحذَرُ منه.

السابع: كتابُ المَخْطَاطَةِ. وهو القياسُ المفيدُ ترغيبَ الجمهورِ وتحملهم على المرادِ منهم، وما يجبُ أن يُستعملَ في ذلك من المقالات.

10

والثامن: كتابُ الشَّعْرِ. وهو القياسُ الذي يُفيدُ التمثيلَ والتشبيهَ، خاصّةً للإقبالِ على الشيءِ أو التفرقةِ عنه، وما يجبُ أن يُستعملَ فيه من القضايا التخيلية. هذه كتبُ المنطقِ الثمانية عند المتقدمين.

ثم إنَّ حكماءَ اليونانيين ، بعد أن تهذَّبتِ الصَّنَاعَةُ ورُبِّتَتْ ، رأوا أَنَّهُ لا بُدَّ من الكلامِ في الكَلِّيَّاتِ الخمسِ المفيدةِ للتَّصَوُّرِ\*<sup>(د)</sup> المطابقِ للماهيَّاتِ [في الخارجِ]<sup>(هـ)</sup> أو لأجزائها أو عوارضها وهي : الجنسُ ، والفصلُ ، والنوعُ ، والخاصَّةُ ، والعَرَضُ

15

(أ) سقط من ج (ب) سقط ما بين النجمين من ي (ج) سقط العاطف من ج ي (د) سقط ما بين النجمين من ي (هـ) من ع وسقط من ظ .

العام<sup>(١)</sup> فاستدركوا فيها مقالة تختص بها مقدمة بين يدي الفن، فصارت مقالاته تسعاً.

وترجمت كلها في الملة الإسلامية، وتناولها فلاسفة الإسلام بالشرح والتلخيص، كما فعله<sup>(ب)</sup> الفارابي، وابن سينا، ثم ابن رشد، من فلاسفة الأندلس.

5 ولابن سينا / كتاب الشفاء، استوعب فيه علوم الفلسفة السبعة كلها. [334ب]

ثم جاء المتأخرون، فغيروا اصطلاح المنطق، وألحقوا بالنظر في الكليات الخمس ثمرته، وهي الكلام في الحدود والرسم، نقلوها من كتاب البرهان، وحذفوا كتاب المقولات، لأنّ نظر المنطقي فيه بالعرض لا بالذات، وألحقوا في كتاب العبارة الكلام في العكس، وإن كان من كتاب الجدل في كتب المتقدمين، لكنّه من توابع الكلام في القضايا ببعض الوجوه. 10

ثم تكلموا في القياس من حيث إنتاجه للمطالب على العموم، لا بحسب مادّة. وحذفوا النظر فيه بحسب المادّة، وهي الكتب الخمسة: البرهان، والجدل، والخطابة، والشعر، والسفسطة. وربما يُلّم بعضهم باليسير منها إماماً، وأغفلوها كأن لم تكن، [وهي<sup>(ج)</sup> المهم المعتمد في الفن].

15 ثم تكلموا فيما وضعوه من ذلك كلاماً مستنبحاً<sup>(د)</sup>، ونظروا فيه من حيث إنّهُ فنّ برأيه، لا من حيث إنّهُ آلة للعلوم. فطال الكلام فيه واتسع. وأوّل من فعل ذلك الإمام فخر الدين ابن الخطيب، ومن بعده أفضل الدين الخونجى، وعلى كتبه

(١) نهاية السقط من ي (ب) ج: نقله (ج) في ط: وهو (د) سقط من ج .

معتمد المشاركة لهذا العهد . وله في هذه الصناعة: كتاب كشف الأسرار، وهو طويل، ومختصر الموجز، وهو حسن في التعليم، ثم مختصر الجمل، في قدر أربعة أوراق، أخذ بمجامع الفن وأصوله، يتداوله المتعلمون لهذا العهد فينتفعون به. وهجرت كتب المتقدمين وطرقهم كأن لم تكن. وهي مُنتِلئة من ثَمرة المنطق وفائدته كما قلناه . والله الهادي للصواب.

5

### فائدة<sup>(١)</sup>

ثم اعلم أن هذا الفن قد اشتد النكير على انتحاله من <sup>(ج)</sup> متقدمي المتكلمين أئمة السلف <sup>(ج)</sup>، وبالغوا في الطعن عليه والتحذير منه، وحظروا تعلّمه وتعليمه. وجاء المتأخرون من بعدهم من لدن الغزالي والإمام ابن الخطيب، فسامحوا في ذلك بغض الشيء، وأكّبت الناس على انتحاله من يومئذ، إلا قليلاً يجتَحون فيه إلى رأي المتقدمين، / فينفرون عنه ويبالغون في إنكاره . فلنبين لك نُكته القبول والرد في ذلك، لتعلم مقاصد العلماء فيما يذهبون إليه <sup>(د)</sup> .

وذلك أن المتكلمين لما وضعوا علم الكلام لتضر العقائد الإيمانية بالحجج العقلية، كانت طريقتهم في ذلك بأدلة خاصة ذكروها في كتبهم، كالدليل على حدث <sup>(هـ)</sup> العالم بإثبات الأغراض وحدوثها وامتناع خلوّ الأجسام عنها ، وما لا يخلو عن

15

(أ) كذا في ط، وفي ع: فصل ، ولم تُبَيّر في ج، وسقط كامل نص الفائدة من ي (ب) سقط من ع (ج) ع ج: متقدمي السلف والمتكلمين (د) ع ج: في مذاهبهم (هـ) كذا في الأصول، ويعني حدوث .

الحوادثِ حادثٌ، [وكاِثباتهم التَّوْحِيدَ]<sup>(أ)</sup> بدليل التَّمَنُّعِ، وإثباتِ الصِّفَاتِ [القَدِيمَةِ]<sup>(ب)</sup> بالجوامعِ الأَزْبَعَةِ، إلحاقاً للغائبِ بالشَّاهدِ، وغيرِ ذلك من أدلَّتْهم المذكورةُ في كُتُبِهِمْ.

ثمَّ قَرَّروا تلكَ الأدلَّةَ بتمهيدِ قواعدَ وأصولٍ هي كالمقدماتِ لها، مثل إثباتِ الجَوْهَرِ الفَرْدِ، والزَّمَنِ الفَرْدِ، والخَلَاءِ، [ونفي الطَّبِيعَةِ والتَّرَكِيبِ العَقْلِيِّ للماهِيَّاتِ]<sup>(ب)</sup>، وأنَّ العَرَضَ لا يَبْقَى زَمَنَيْنِ، وإثباتِ الحَالِ، وهي صِفَةُ [المَوْجُودِ]<sup>(ج)</sup> لا موجودةٌ ولا معدومةٌ، وغيرِ ذلك من قواعدهم الَّتِي بَتُّوا عليها أدلَّتْهم الخاصَّةُ.

ثمَّ ذهبَ الشَّيْخُ أَبُو الحَسَنِ، والقَاضِي أَبُو بَكْرٍ، والأَسْتَاذُ أَبُو إِسْحَاقَ، إلى أَنَّ أدلَّةَ العَقَائِدِ منعكسةٌ عليها<sup>(د)</sup>، بمعنى أَنَّها إِذَا بَطَلَتْ بَطَلَ مَدْلُولُهَا. ولهذا رأى القَاضِي أَبُو بَكْرٍ أَنَّها<sup>(هـ)</sup> تَنْزَلُ مَنْزِلَةَ<sup>(هـ)</sup> العَقَائِدِ، والقَدْحُ فيها قَدْحٌ في العَقَائِدِ لِإِنِّبائها عليها. 10

وَإِذَا تَأَمَّلْتَ المنطقَ، وجذته كُلُّهُ يدورُ على التَّرَكِيبِ العَقْلِيِّ، وإثباتِ الكُلِّيِّ الطَّبِيعِيِّ في الخَارِجِ لِيَنْطَبِقَ عليه الكُلِّيُّ الذَّهْنِيُّ المُنْقَسِمُ إلى الكُلِّيَّاتِ الحَمْسِ، الَّتِي هي: الجِنْسُ، والتَّوَعُّ، والفَضْلُ، والخاصَّةُ، والعَرَضُ العامُّ. وهذا باطلٌ عند المتكلمينَ. والكُلِّيُّ والذَّائِي عندهم إِنَّمَا هو اغْتِيَابُ ذَهْنِيٍّ لَيْسَ في الخَارِجِ مَا يُطَابِقُهُ، أو حَالٌ عند من يَقُولُ بِهَا، فَتَبْطُلُ الكُلِّيَّاتُ الحَمْسُ والتَّعْرِيفُ المَبْنِيُّ عليها والمَقُولَاتُ العَشْرُ. وَيَبْطُلُ العَرَضُ الذَّائِي، فَتَبْطُلُ بِطُلَايِهِ القَضَايَا [الضَّرُورِيَّةُ الذَّائِيَّةُ]<sup>(و)</sup> المَشْتَرِطَةُ 15

(أ) سقط من ظ (ب) سقط من ظ (ج) من ع، وفي ج: لوجود، وسقط من ظ (د) سقط من ع ج (هـ) ع: بمثابة (و) سقط من ظ .

في البرهان عندهم . وتبطل العلة العقلية ، فيبطل كتاب البرهان <sup>(١)</sup> وتبطل المواضع التي يؤخذ منها الوسط الجامع بين طرفي المطلوب في / القياس ، وهو لباب كتاب الجدل . ولا يبقى من القياس إلا الصوري فقط <sup>(٢)</sup> ، ومن التعريفات المساوي في الصادقية على أفراد المحدود ، لا يكون أعم <sup>(ب)</sup> فيكثر ، ولا أخص فيخرج بعضها . وهو الذي يعبر عنه النحاة بالجمع والمنع ، والمتكلمون بالظرد والعكس .

5

وتنهديم أركان المنطق جملة . وإن أثبتنا هذه كما في علم المنطق ، أبطلنا كثيراً من مقدمات المتكلمين في التكير على انتحال المنطق ، وعدّوه بدعة أو كُفراً على ما يصحّ من انعكاس الأدلة على العقائد ، كما قدّمناه .

والتأخرون من لدن الغزالي لما أنكروا انعكاس الأدلة ، ولم يلزم عندهم من بطلان الدليل بطلان مدلوله ، وظهر لهم صحة <sup>(ج)</sup> رأي أهل المنطق في التركيب العقلية ووجود الماهيات الطبيعية [وكلياتها] <sup>(د)</sup> في الخارج ، لم يكن المنطق عندهم منافياً <sup>(هـ)</sup> للعقائد الإيمانية ، وإن كان منافياً لبعض أدلتها كما رأيت <sup>(و)</sup> ، بل قد يستدلون <sup>(ز)</sup> على إبطال كثير من هذه <sup>(ح)</sup> المقدمات الكلامية ، كما يستدلون على نفي الجوهر الفرد ، وبإثبات الخلاء وبقاء الأغراض وغيرها ، و[يستدلون] <sup>(ط)</sup> من

10

(١) وردت هذه الجملة المحصورة بين الألفين في ع وفي ج كما يلي : وتبطل المواضع التي هي لباب كتاب الجدل وهي التي يؤخذ منها الوسط الجامع بين الطرفين في القياس ولا يبقى القياس الصوري (ب) في ع : أعم منها فيدخل غيرها ، ولا أخص فيخرج بعضه (ج) ع : وصحّ عندهم (د) سقط من ظ (هـ) في ج ع : قضوا بأن المنطق غير مناف (و) من ظ وحدها (ز) سقط من ع ، وفيها بعدها : بل قد يستدل (ح) ع : تلك (ط) من ع ج ، وفي ظ : ويستدلون .

أدلة المتكلمين على العقائد بأدلة أخرى يُصحّحونها بالنظر والقياس العقلي ، ولم يقدح ذلك عندهم في العقائد السنيّة بوجه . وهذا رأي الإمام والغزالي وتابعيهما لهذا العهد . فتأمل ذلك ، واعرف مدارك العلماء وما أخذهم فيها يذهبون إليه . والله الهادي والموفق للصواب .

## 5 24 • الطّبيعيّات

وهو علمٌ يَنَحُثُ عن الجسم من جهة ما يلحقه من الحركة والشّكون . فينظر في الأجسام السّماويّة و<sup>(أ)</sup> العنصريّة ، وما يتولّد عنها من إنسان وحيوان ونبات ومعدّين ، وما يتكوّن في الأرض من العيون والزلازل ، وفي الجوّ من / السّحاب والبخار والرّعد والبرق والصّواعق ، وغير ذلك <sup>(ب)</sup> ، وفي مبدأ الحركة للأجسام ، وهو النفس على تنوّعها في الإنسان والحيوان والنبات . 10

وكُتِبَ أرسطو<sup>(ج)</sup> فيه موجودّة بين أيدي الناس ، تُرجمت مع ما تُرجم من علوم الفلاسفة أيّام المأمون . وألّف النّاس على حذوها ، [مُسْتَتَبِعِينَ لها بالبيان والشرح] <sup>(د)</sup> . وأوعب من ألّف في ذلك ابن سينا في كتاب الشّفاء ، جمع فيه العلوم السّبعة للفلاسفة ، كما قدّمنا ؛ ثمّ لخصّه في كتاب النّجاة وفي كتاب الإشارات . وكأنّه يُخالف أرسطو<sup>(ج)</sup> في الكثير من مسائلها ويقول برأيه فيها . 15

(أ) سقط العطف من ع (ب) ج: وفي ذلك (ج) ضبطه في نسخة ع بالحركات: أرسطو (د) من ع وحدها ، وسقط من ط ج ي .

وأما ابنُ رُشدٍ، فلَخَّصَ كُتُبَ<sup>(أ)</sup> أَرِسْطُو<sup>(ب)</sup> وشرَّحها مُتَّبِعاً له غيرَ مُخَالِفٍ.  
وَأَلَّفَ النَّاسُ بَعْدَهُ<sup>(ج)</sup> في ذلك كثيراً. لكن هذه هي المشهورة لهذا العهد والمعتبرة في  
الصَّنَاعَةِ.

ولأهلِ المَشْرِقِ عنايةٌ بكتابِ الإِشَارَاتِ لابنِ سِينَا. وللإمامِ ابنِ الحَظِيْبِ عليه  
شَرْحٌ حَسَنٌ، وكذا الأَمِدِيُّ. وشرَّحه نصيرُ الدِّينِ الطُّوسِيُّ المعروفُ بِخَوَاجِه، من  
أهلِ العِراقِ. وبحثَ مع الإمامِ في كثيرٍ من مَسَائِلِهِ، فأَوْفَى على أَنْظَارِهِ وَبُحُوثِهِ.  
﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [سورة يوسف، من الآية 76].

## 25 • عِلْمُ الطَّبِّ

وهي صِنَاعَةٌ تَنْظُرُ في بَدَنِ الْإِنْسَانِ مِنْ حَيْثُ يَمْرُضُ وَيَصِحُّ. فيحاولُ صاحبُها  
على حِفْظِ الصَّحَّةِ وَبَرِّءِ الْمَرِضِ بِالْأَدْوِيَةِ وَالْأَغْذِيَةِ، بعد أن يُبَيِّنَ الْمَرَضَ الَّذِي يُخْصُ  
كُلَّ عَضْوٍ<sup>(د)</sup> مِنْ أَعْضَاءِ الْبَدَنِ، وَأَسْبَابَ تِلْكَ الْأَمْرَاضِ الَّتِي تُنشَأُ عَنْهَا، وَمَا يَكُلُّ  
مَرِضٍ مِنَ الْأَدْوِيَةِ، مُسْتَدِلِّينَ عَلَى ذَلِكَ بِأَمْرِجَةِ الْأَدْوِيَةِ وَقُوَاهَا، وَعَلَى الْمَرِضِ  
[بِالْعَلَامَاتِ الْمُؤَدِّةِ]<sup>(هـ)</sup> بِنُضْجِهِ وَقَبُولِهِ الدَّوَاءِ أَوْ لَا فِي السَّحْنَةِ وَالْفَضْلَاتِ وَالتَّنْبُضِ،  
مُحَازِينَ لِذَلِكَ<sup>(و)</sup> الْقُوَّةَ الطَّبِيعِيَّةَ<sup>(ز)</sup>، فَإِنَّهَا الْمُدَبِّرَةُ فِي حَالَتِي الصَّحَّةِ وَالْمَرَضِ. وَإِنَّمَا  
الطَّبِيبُ يُحَازِيهَا وَيُعِينُهَا بَعْضَ الشَّيْءِ بِحَسَبِ مَا تَقْتَضِيهِ طَبِيعَةُ الْمَادَّةِ وَالْفَضْلِ وَالسَّنِّ.  
وَيُسَمَّى الْعِلْمُ الْجَامِعُ لِهَذَا كُلِّهِ عِلْمُ الطَّبِّ.

(أ) في ج ي: كتاب (ب) ضبطه في نسخة ع بالحركات: أَرِسْطُو (ج) سقط من ج ي (د) من ع، وفي ط ج ي: كل عضو  
عضو (هـ) يابض في ط (و) ع: بذلك (ز) من ط، وفي ع ج ي: قوة الطبيعة.

وَرُبَّمَا أَفْرَدُوا بَعْضَ الْأَعْضَاءِ / بالكلام ، وَجَعَلُوهُ عِلْمًا خَاصًّا ، كَالْعَيْنِ وَعِلَّالِهَا [336ب] وَأَكْحَالِهَا.

وكذلك أَلْحَقُوا بِالْفَنِّ مَنَافِعَ الْأَعْضَاءِ. وَمَعْنَاهُ الْمَنَفَعَةُ الَّتِي لِأَجْلِهَا خُلِقَ كُلُّ عَضْوٍ مِنْ أَعْضَاءِ الْبَدَنِ الْحَيَوَانِيِّ. وَإِنْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مِنْ مَوْضُوعِ عِلْمِ الطَّبِّ، إِلَّا أَنَّهُمْ جَعَلُوهُ مِنْ لَوَاحِقِهِ وَتَوَابِعِهِ. 5

[وَالْجَالِينُوسُ فِي هَذَا الْفَنِّ كِتَابٌ جَلِيلٌ عَظِيمُ الْمَنَفَعَةِ] <sup>(أ)</sup>. وَهُوَ إِمَامُ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ الَّتِي تُرْجِمَتْ كُتُبُهُ فِيهَا مِنْ [الْأَقْدَمِينَ] <sup>(ب)</sup>. وَيُقَالُ: كَانَ مُعَاصِرًا لِعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَيُقَالُ: مَاتَ بِصِقْلِيَّةٍ فِي سَبِيلِ تَقْلُبٍ وَمُطَاوَعَةٍ اغْتِرَابٍ. وَتَوَالَيْفُهُ فِيهَا هِيَ الْأُمَمَاتُ الَّتِي افْتَدَى بِهَا جَمِيعُ الْأَطِبَّاءِ مِنْ بَعْدِهِ.

وَكَانَ فِي الْإِسْلَامِ فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ أَيْمَةٌ جَاءُوا مِنْ وَرَاءِ الْغَايَةِ ، مِثْلَ الرَّازِيِّ وَالْمَجُوسِيِّ وَابْنِ سِينَا. وَمِنْ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ أَيْضًا كَثِيرٌ، وَأَشْهُرُهُمْ ابْنُ زُهْرٍ. 10 وَهِيَ لِهَذَا الْعَهْدِ فِي الْمَدَنِ الْإِسْلَامِيَّةِ كَأَنَّهَا نَقَصَتْ لِحُفُوفِ الْعُمُرَانِ وَتَنَاقُصِهِ. وَهِيَ مِنَ الصَّنَائِعِ الَّتِي لَا تَسْتَدْعِيهَا إِلَّا الْحَضَارَةُ وَالتَّرَفُّ، كَمَا نُبَيِّنُهُ بَعْدَ.

## 1. فَضْلٌ <sup>(ج)</sup>

وَلِلْبَادِيَةِ مِنْ أَهْلِ الْعُمُرَانِ طِبٌّ يَنْبُؤُونَهُ فِي غَالِبِ الْأَمْرِ عَلَى تَجَرِبَةٍ قَاصِرَةٍ عَلَى بَعْضِ الْأَشْخَاصِ ، وَيَتَدَاوَلُونَهُ مَتَوَارَثًا عَنْ مَشَايخِ الْحَيِّ وَعَجَائِزِهِ . وَرُبَّمَا يَصْخُ مِنْهُ 15

(أ) مِنْ ع.، وَسَقَطَ مِنْ ط ج ي (ب) فِي ع: جَالِينُوسُ، تَمَّ شَطَبُهَا وَبَقِيَ فِي ط ج ي (ج) فِي ع ط وَحْدَهَا .



البعض، إلا أنه ليس على قانون طبيعى، ولا عن موافقة للمزاج. وكان عند العرب من هذا الطب كثير. وكان فيهم أطباء معروفون، كالحارث بن كلدة وغيره.

والطب المنقول في الشرعيات<sup>(١)</sup> من هذا القبيل، وليس من الوحي في شيء، إنما هو أمر كان عادياً للعرب، ووقع في ذكر أحوال النبي ﷺ من نوع ذكر أحواله التي هي عادة جيله، لا من جهة أن ذلك مشروع على ذلك النحو من العمل. فإنه 5 ﷺ إنما بعث ليُعرفنا الشرائع، ولم يُبعث لتعريف الطب ولا غيره من العاديات. وقد وقع له في شأن تلقيح النخل ما وقع، فقال: "أتم أعلم بأمور دنياكم"<sup>(١)</sup>. فلا ينبغي أن / يحمل شيء من الطب الذي وقع في الأحاديث الصحيحة المنقولة على [١٣٣٧] أنه مشروع، فليس هناك ما يدل عليه. اللهم إلا إن استعمل على جهة التبرك<sup>(ب)</sup> وصدق العقد الإيماني، فيكون له أثر عظيم في النفع. وليس ذلك من الطب 10 المزاجي، وإنما هو من آثار [الصدق في الكلمة الإيمانية] (ج)، كما وقع في مداواة المبطلون بالعسل<sup>(٢)</sup> [ونحوه]<sup>(د)</sup>. والله الهادي إلى الصواب.

(١) كذا في ط ج ي، وفي ع: التبويات (ب) سقط من ج (ج) من ع، وبياض في ظ (د) من ع ج، وسقط من ط ي.

(١) أخرجه مسلم (2363) من حديث أنس بن مالك.

(٢) في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري. البخاري 7: 159، 165، مسلم (2217).

## 26 \* [عِلْمُ] <sup>(١)</sup> الْفَلَاخَةِ

هذه الصَّنَاعَةُ من فُرُوعِ الطَّبِيعِيَّاتِ. وهي <sup>(ب)</sup> النَّظَرُ في النَّبَاتِ من حيثُ  
تَنْمِيَّتُهُ ونُشُوؤُهُ بالسَّقْيِ والعِلاجِ واستِجَادَةِ المُنْتَبِ وصِلَاحِيَةِ الفَضْلِ وتَعَاهُدِهِ \* بما  
يُضِلُّحُهُ وَيُنْمِيهِ من ذَلِكَ كُلِّهِ \* <sup>(ج)</sup>. وكان للمتقدِّمين بها عِنايةٌ كَبِيرَةٌ. وكان النَّظَرُ فيها  
5 \* عامًّا عندهم في النَّبَاتِ \* <sup>(د)</sup> من جِهَةِ غَرْسِهِ وتَنْمِيَّتِهِ و[من] <sup>(هـ)</sup> جِهَةِ خَوَاصِّهِ وروْحَانِيَّتِهِ  
ومُشَاكَلَتِهَا لروْحَانِيَّاتِ الكَوَاكِبِ والهَيَاكِلِ المُسْتَعْمَلِ ذَلِكَ في بَابِ السَّخْرِ، فَعُظِّمَتْ  
عِنَايَتُهُمْ بِهِ لِأَجْلِ ذَلِكَ.

وَتُرْجِمَ من كُتُبِ اليُونَانِيَّتين كِتَابُ الْفَلَاخَةِ النَّبَطِيَّةِ، مَنْسُوبَةٌ لِعُلَمَاءِ النَّبَطِ،  
مَشْتَمَلَةٌ من ذَلِكَ على عِلْمٍ كَبِيرٍ. وَلَمَّا نَظَرَ أَهْلُ المِلَّةِ فِيهَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ هَذَا الْكِتَابُ، وَكَانَ  
10 بَابُ السَّخْرِ مَسْدُودًا وَالنَّظَرُ فِيهِ مُحْظُورًا، فَاقْتَصَرُوا مِنْهُ على الْكَلَامِ في النَّبَاتِ من جِهَةِ  
غَرْسِهِ وَعِلاجِهِ وما يَعْرضُ لَهُ في ذَلِكَ، وَحَذَفُوا الْكَلَامَ في الْفَنِّ الْآخِرِ مِنْهُ جُمْلَةً.

وَاخْتَصَرَ ابْنُ الْعَوَّامِ كِتَابَ الْفَلَاخَةِ النَّبَطِيَّةِ على هَذَا المِنْهَاجِ، وَبَقِيَ الْفَنُّ  
الْآخِرُ مِنْهَا مُغْفَلًا. نَقَلَ مِنْهُ مَسْلَمَةُ في كُتُبِهِ السَّحَرِيَّةِ أُمَهَاتٍ من مَسَائِلِهِ، كَمَا نَذَرُ  
عِنْدَ الْكَلَامِ على السَّخْرِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

15 وَكُتِبَ الْمُتَأَخِّرِينَ في الْفَلَاخَةِ كَثِيرَةٌ، وَلَا يَغْدُونَ فِيهَا الْكَلَامَ في الْغَرَايِسِ  
وَالْعِلاجِ وَحِفْظِ النَّبَاتِ من جَوَائِحِهِ وَعَوَائِقِهِ وما يَعْرضُ في ذَلِكَ كُلِّهِ. وهي مَوْجُودَةٌ.

(أ) من ع، وسقط من ط ي ج (ب) ط: وهو (ج) فيما بين النجمين في ج ي: بمثل ذلك (د) سقط ما بين النجمين من ع  
(هـ) من ج ي، وسقط من ع ط .

## 27 • عِلْمُ الْإِلَهِيَّاتِ

وهو عِلْمٌ يَنْظُرُ - بَرَعْمِهِمْ - فِي الْوُجُودِ الْمَطْلَقِ. فَأَوَّلًا فِي الْأُمُورِ الْعَامَّةِ لِلْجِسْمَانِيَّاتِ [337ب] وَالرُّوحَانِيَّاتِ / مِنَ الْمَاهِيَّاتِ، وَالْوَحْدَةِ، وَالْكَثَرَةِ، وَالْوُجُوبِ، وَالْإِمْكَانِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ. ثُمَّ يَنْظُرُ فِي مَبَادِي الْمَوْجُودَاتِ، وَأَنْهَا رُوحَانِيَّاتٌ. ثُمَّ فِي كَيْفِيَّةِ صُذُورِ الْمَوْجُودَاتِ عَنْهَا وَتَرْتِيبِهَا. ثُمَّ فِي أَحْوَالِ النَّفْسِ بَعْدَ مُفَارَقَةِ الْأَجْسَامِ وَعَوْدِهَا إِلَى الْمُبْدَأِ. 5

وهو عِنْدَهُمْ عِلْمٌ شَرِيفٌ، يَزْعُمُونَ أَنَّهُ يَقْفَهُمْ عَلَى مَعْرِفَةِ الْوُجُودِ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ، وَأَنَّ ذَلِكَ عَيْنُ السَّعَادَةِ بَرَعْمِهِمْ. وَسَيَأْتِي الرَّدُّ عَلَيْهِمْ بَعْدُ. وَهُوَ تَالٍ لِلطَّبِيعِيَّاتِ فِي تَرْتِيبِهِمْ. وَلِذَلِكَ يُسَمَّوْنَهُ عِلْمَ مَا بَعْدَ الطَّبِيعَةِ. وَكُتِبَ الْمَعْلَمُ الْأَوَّلُ فِيهِ مَوْجُودَةٌ بَيْنَ أَيْدِي النَّاسِ؛ وَلَخَصَّهَا ابْنُ سِينَا فِي كِتَابِ الشِّفَاءِ وَالتَّجَاةِ، وَكَذَلِكَ لَخَصَّهَا ابْنُ رُشْدٍ 10 مِنْ حُكَمَاءِ الْأَنْدَلُسِ.

وَلَمَّا وَضَعَ الْمُتَأَخَّرُونَ فِي عُلُومِ الْقَوْمِ وَدَوَّنُوا فِيهَا، وَرَدَّ عَلَيْهِمُ الْعَزَازِيُّ مَا رَدَّهُ مِنْهَا، ثُمَّ خَلَطَ الْمُتَأَخَّرُونَ [فِي عُلُومِ الْقَوْمِ] <sup>(1)</sup> مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ مَسَائِلَ عِلْمِ الْكَلَامِ بِمَسَائِلِ الْفَلَسَفَةِ، لِاشْتِرَاكِهَا فِي الْمُبَاحِثِ، وَتَشَابُهَ مَوْضُوعِ عِلْمِ الْكَلَامِ بِمَوْضُوعِ الْإِلَهِيَّاتِ وَمَسَائِلِهِ بِمَسَائِلِهَا، فَصَارَتْ كَأَنَّهَا فَنٌّ وَاحِدٌ. وَغَيَّرُوا تَرْتِيبَ الْحُكَمَاءِ فِي مَسَائِلِ الطَّبِيعِيَّاتِ وَالْإِلَهِيَّاتِ، وَخَلَطَوْهَا فَنًّا وَاحِدًا، قَدَّمُوا فِيهِ الْكَلَامَ فِي الْأُمُورِ الْعَامَّةِ، ثُمَّ 15 أَتَبَعُوهُ بِالْجِسْمَانِيَّاتِ وَتَوَابِعِهَا، ثُمَّ بِالرُّوحَانِيَّاتِ وَتَوَابِعِهَا، إِلَى آخِرِ الْعِلْمِ، كَمَا فَعَلَهُ الْإِمَامُ ابْنُ الْخَطِيبِ فِي الْمُبَاحِثِ الْمَشْرِقِيَّةِ، وَجَمِيعُ مَنْ بَعْدَهُ مِنْ عُلَمَاءِ الْكَلَامِ.

(1) مِنْ ي .

وصار علم الكلام مُختلطاً بمسائل الحكمة، وكُتِبَ محشوةً بها، كأنَّ الغرض من موضوعيها ومسائلها واحدٌ. والتبس ذلك على الناس، وهو غيرُ صوابٍ. لأنَّ مسائلَ علم الكلام إنما هي عقائدٌ مُتَلَقَّاةٌ من الشريعة كما نَقَلَهَا السلف من غير رجوع [فيها]<sup>(١)</sup> إلى العقل ولا تعويل عليه، بمعنى أنها لا تثبت إلا به. فإنَّ العقل معزولٌ عن الشرع

5 وأنظاريه، وما تحدَّث فيه المتكلمون من إقامة الحجج، فليس بحثاً عن الحق / فيها، [338 أ]

ليُعلم بالدليل بعد أن لم يكن معلوماً كما هو شأنُ الفلسفة، بل إنما هو التماسُ حُجَّةٍ عقليةٍ تُعْضِدُ عقائدَ الإيمان ومذاهبَ السلف فيها، وتدفعُ شبهةَ أهلِ البدع عنها، الذين زعموا<sup>(ب)</sup> أنَّ مداركهم فيها عقليةٌ، وذلك بعد أن تُفرضُ صحيحةٌ بالأدلةِ الثقليةِ كما تَلَقَّاهَا السلف واعتقدوها؛ وكثيرٌ ما يَينُ المقامين. وذلك أنَّ مداركَ صاحبِ الشريعة أوسعُ، لا تُسَاعِ نِطاقُهَا عن مداركِ الأنظار العقلية. فهي<sup>(ج)</sup> فَوْقَهَا ومُحِيطَةٌ بها، لا سْتِمْدَادُهَا من الأنوار الإلهية، فلا تدخلُ تحتَ قانونِ النَّظَرِ الضَّعِيفِ والمداركِ المُحَاطِ بها. فإذا هَدَانَا الشَّارِعُ إلى مُدْرِكٍ فَيَتَبَغَى أن نُقَدِّمَهُ على مدارِكنا وثَبِّقَ به دونها ولا نَنْظُرَ في تَصْحِيحِهِ بِمُدْرِكِ الْعَقْلِ ولو عَارَضَهُ، بل نَعْتَقِدُ مَا أَمَرْنَا بِهِ اعتقاداً وعِلْماً ونَسْكُتُ عَمَّا لم نفهم من ذلك، ونَفُوضُهُ إلى الشَّارِعِ، ونَغْزِلُ الْعَقْلَ عَنْهُ.

15 والمتكلمون إنما دَعَاهُمْ إلى ذلك كلامُ أَهْلِ الْإِلْحَادِ فِي مُعَارَضَاتِ الْعُقَايِدِ السَّلَفِيَّةِ بِالْبِدْعِ النَّظَرِيَّةِ، فَاحْتَاجُوا إِلَى الرَّدِّ عَلَيْهِمْ مِنْ جَنْسِ مُعَارَضَاتِهِمْ، وَاسْتَدْعَى ذَلِكَ الْحُجَجَ النَّظَرِيَّةَ وَمَحَاذَةَ الْعُقَايِدِ السَّلَفِيَّةِ بِهَا.

(١) كذا في ع ج ي، وفي ظ: منها (ب) في ع: يزعمون (ج) في ج: فهو .

وأما النظرُ في مسائلِ الطَّبِيعِيَّاتِ والإِلَهِيَّاتِ بالتَّصْحِيحِ والبُطْلَانِ، فليس من مَوْضُوعِ عِلْمِ الْكَلَامِ ولا من جِنْسِ أَنْظَارِ الْمُتَكَلِّمِينَ. فاعْلَمْ ذلكَ لتميُّزِ به بين الفَنَيْنِ، فإنَّهما<sup>(١)</sup> مُخْتَلِطَانِ عِنْدَ الْمُتَأَخِّرِينَ فِي الْوَضْعِ وَالتَّأْلِيفِ، وَالْحَقُّ مُغَايِرَةٌ كُلِّ مِنْهُمَا لِصَاحِبِهِ بِالْمَوْضُوعِ وَالْمَسَائِلِ. وَإِنَّمَا جَاءَ الْإِتْيَاسُ مِنْ اتِّحَادِ الْمَطَالِبِ عِنْدَ الْإِسْتِدْلَالِ، وَصَارَ اخْتِجَاجُ أَهْلِ الْكَلَامِ كَأَنَّهُ إِنْشَاءٌ لَطَلَبِ الْإِعْتِقَادِ بِالْدَّلِيلِ. وَلَيْسَ كَذَلِكَ، بَلْ 5 إِنَّمَا هُوَ رَدٌّ عَلَى الْمُلْجِدِينَ، وَالْمَطْلُوبُ مَفْرُوضُ الصَّدَقِ مَعْلُومُهُ.

[338ب] وكذا جاء المتأخرون من غلاة المتصوفة / المتكلمين بالموافق أيضاً، فخلطوا مسائل الفنين بفنهم، وجعلوا الكلام واحداً فيها كلها، مثل كلامهم في الثبوت والاتحاد والحلول والوحدانية وغير ذلك. والمدارك في هذه الفنون الثلاثة متغايرة مختلفة، وأبعدها من جنس الفنون والعلوم مدارك المتصوفة، لأنهم يدعون فيها 10 الوجدان، ويفترون عن الدليل. والوجدان بعيد عن المدارك العلمية وأنحائها وتوابعها، كما بينناه وتبينته. والله الهادي إلى الصواب بمنه.

## 28 ❁ علومُ السِّحْرِ وَالطَّلَسْمَاتِ<sup>(ب)</sup>

وهي عِلْمٌ بِكَيْفِيَّةِ اسْتِعْدَادَاتِ تَقْتَدِرُ الْنُفُوسُ الْبَشَرِيَّةُ بِهَا عَلَى التَّأَثِيرَاتِ فِي عَالَمِ الْعَنَاصِرِ، إِمَّا بغير مُعَيَّنٍ، أَوْ بِمُعَيَّنٍ مِنَ الْأُمُورِ السَّمَاوِيَّةِ. وَالْأَوَّلُ هُوَ السِّحْرُ، 15 وَالثَّانِي هُوَ الطَّلَسْمَاتُ.

(أ) فِي ع: وَإِنَّمَا (ب) جَاءَتْ فِي ي بِلَامِينَ: الطَّلَسْمَاتُ، كَمَا ذَكَرْتُ فِي كَامِلِ النَّصِّ.

ولما كانت هذه العلوم مهجورة عند الشرائع، لما فيها من الضرر، ولما يُشترط فيها من الوجهة إلى غير الله، من كوكب أو غيره، كانت كتبها كالمفقودة بين الناس، إلا ما وُجد في كتب الأمم الأقدمين فيما قبل نبوة موسى عليه السلام، مثل التبت<sup>(١)</sup> والكلدانيتين. فإن جميع من تقدّمه من الأنبياء لم يُشرّعوا الشرائع ولا جاءوا بالأحكام، 5 إنما كانت كتبهم مواضع وتوحيداً لله وتذكيراً بالجنة والنار.

وكانت هذه العلوم في أهل بابل من السريانيين والكلدانيتين، وفي أهل مصر من القبط، وغيرهم. وكان لهم فيها التواليف والآثار. ولم يترجم لنا من كتبهم فيها<sup>(ب)</sup> إلا القليل، مثل الفلاحة التبتية [لابن وحشية]<sup>(ج)</sup>، من أوضاع أهل بابل. فأخذ الناس هذا العلم منها وتفننوا فيه، ووُضعت بعد ذلك الأوضاع مثل مصاحف الكواكب السبعة، وكتاب طُفطم الهندي في صور الدّرج والكواكب، 10 وغيرهم.

ثم ظهر بالمشرق جابر بن حيان، كبير السحرة في هذه الملة. فتصّفح كتب القوم، واستخرج الصناعة، وغاص على زبدتها. واستخرجها<sup>(د)</sup> ووضع فيها عدة من / التواليف، وأكثر الكلام فيها وفي صناعة الكيمياء، لأنها من ثوابها. لأنّ إحالة [1339] الأجسام النوعية من صورة إلى أخرى إنما يكون بالقوى النفسانية لا بالصناعة 15 العملية. فهو من قبيل السحر، كما نذكره في موضعه.

(١) ي: التبت (ب) في ج: منها (ج) من ع وحدها (د) ي ج: فاستخرجها.

ثم جاء مسلمة بن أحمد المجريطي ، إمام أهل الأندلس في التعاليم  
 و<sup>(١)</sup> السخریات، فلخص جميع تلك الكتب وهذبها، وجمع طرقها في كتابه الذي سماه  
 غاية الحكيم. ولم يكتب أحد في هذا العلم بعده.  
 ولنقدم هنا مقدمة يتبين لك بها<sup>(ب)</sup> حقيقة السحر.

5 وذلك أن النفوس البشرية، وإن كانت واحدة بالتّوع، فهي مختلفة بالخواص. وهي أصناف، كل صنف مختص بخاصية لا توجد في الصنف الآخر. وصارت تلك الخواص فطرة وجبلة لصنفها.

فنفس الأنبياء، عليهم السلام، لها خاصية تستعد بها للمعرفة الربانية، ومخاطبة الملائكة عليهم السلام عن الله سبحانه وتعالى، كما مرّ، وما يتبع ذلك من التأثير في الأكوان.  
 10

[ونفس السحرة لها خاصية التأثير في الأكوان]<sup>(ج)</sup> واستجلاب روحانية الكواكب للتصرف بها والتأثير بقوة نفسانية أو شيطانية. فأما تأثير الأنبياء، فممدد إلهي وخاصية ربانية. ونفس الكهنة لها خاصية الاطلاع على المغيبات بقوة شيطانية، وهكذا كل صنف مختص بخاصية لا توجد في الآخر.

15 والنفوس الساجرة على مراتب ثلاثة يأتي شرحها:

فأولها المؤثرة بالهمة فقط، من غير آلة ولا معين. وهذا هو الذي تسميه الفلاسفة السحر.

(١) سقط حرف العطف من ج (ب) في ع ي: منها (ج) من ع ج ي، وسقط من ظ .

والثاني بمعين من [مزاج]<sup>(١)</sup> الأفلاك أو العناصر أو خواص الأعداد، ويُسمونه  
الطلّسات. وهو أضعف رتبة من الأول.

والثالث تأثير في القوى المشخّلة . [يَعْمَدُ]<sup>(ب)</sup> صاحبُ هذا التأثير إلى القوى  
المتخيلة، فيَتَصَرَّف فيها بنوع من التَّصَرُّف، ويُلقِي فيها أنواعاً من الخيالات / والمحاكاة [339ب]  
5 وصوراً مما يقصده<sup>(ج)</sup> من ذلك، ثمَّ يُنْزِلُهَا إلى الحِس من الرّائين بقوة نفسه المؤثرة فيه.  
فينظر الرّاعون كأنّها في الخارج، وليس هناك شيءٌ، كما يُحْكِي عن بغضهم أنّه يُري  
البساتين والأنهار والقصور، وليس هناك شيءٌ من ذلك. ويُسمّى هذا عند الفلاسفة  
الشَّعوذة، أو الشَّعْبَذَة. هذا تفصيل مراتبه.

ثمّ هذه الخاصية تكون في السّاحر بالقوّة ، شأن القوى البشريّة كلّها ، وإنّما  
10 تخرج إلى الفعل بالريّاضة . وريّاضة السّخر كلّها إنّما تكون بالتّوجّه إلى الأفلاك  
والكواكب والعوالم العلويّة والشّياطين بأنواع التّعظيم والعبادة والخضوع والتّذلّل.  
فهي لذلك وُجّهة إلى غير الله وسجودٌ له. والوجهة إلى غير الله كفرٌ. فلهذا كان  
السّخر كُفْراً، والكفر من مَوَادّه وأسبابه، كما رأيت. ولهذا اختلف الفقهاء في قتل  
السّاحر، هل هو لكفره السّابق على فعله، أو لتصرّفه بالإفساد وما يَنشأ عنه من  
15 الفساد في الأكوان؟ والكلُّ حاصلٌ منه.

ثمّ لما كانت المَرتبتان الأولىان من السّخر لها حقيقة في الخارج، والمَرتبة الأخيرة  
الثالثة لا حقيقة لها، اختلف العلماء في السّخر، هل له حقيقة أو إنّما هو تخيّل؟

(١) من ع ج ي. وفي ظ: سراج (ب) من ع ج ي، وفي ظ: يعمل (ج) ي: تقصده .



فالقائلون بأن له حقيقة، نظروا إلى المرتبتين الأولتين؛ والقائلون بأنه لا حقيقة له، نظروا إلى الرتبة الثالثة الأخيرة. فليس بينهم اختلاف في نفس الأمر، بل إنما جاء من قبل اشتباه هذه المراتب. والله أعلم.

واعلم أن وجود السحر لا مزية فيه بين العقلاء، من أجل التأثير الذي ذكرناه. وقد نطق به القرآن؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ 5 النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ / وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [سورة البقرة، من الآية 102].

10 وسُحِرَ<sup>(1)</sup> رسول الله ﷺ، حتى كان يُخِيلُ إليه أنه يفعل الشيء ولا يفعله، وجعل سحره في مُشْطٍ مُشَاقَّةٍ<sup>(1)</sup> وجُفٍّ طُلْعَةٍ. ودُفِنَ في بئر ذُرْوَانَ<sup>(2)</sup>، فأنزل الله عز وجل [عليه]<sup>(ب)</sup> في المَعُودَتَيْنِ ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ [سورة الفلق، الآية 4]. قالت عائشة رضي الله عنها: فكان لا يقرأ على عُقْدَةٍ من تلك العُقَدِ الَّتِي سُحِرَ فِيهَا إِلَّا انْحَلَّتْ.

(أ) في ع: وفي الصحيح: أن رسول الله ﷺ سُحِرَ (ب) سقط من ظ .

(1) وفي رواية: ومُشَاطَةٌ .

(2) إلى هذا الموضع، الحديث معروف في البخاري 4: 123 و 7: 148 و 7: 176 و 177 و 178 و 8: 22 و 103 ومسلم (2189). أما قول عائشة فليس في الصحيح؛ إنما أورده ابن كثير في تفسيره (8: 538) وعزاه للثعلبي، وذكر أنه أورده بغير إسناد .

وأما وجود السّخر في أهل بابل، وهم الكلدانيون من النّبط والشرّياتين، فكثير، نطق به القرآن، وجاءت به الأخبار. وكان للسّخر في بابل ومصر أزمان بعثة موسى عليه السّلام سوق نافقة. ولهذا كانت مُعْجَزَتُهُ من جنس ما يَدْعُونَ وَيَتَنَاجُونَ فيه. وبقي من آثار ذلك في البرابي بصعيد مصر شواهد دالة على ذلك. 5

ورأينا بالعيان من يَصُوِّر صورة الشّخص المسحور بخواصّ أشياء مقابلة لما نَوَاهُ وحاولَهُ، موجودة بالمسحور، أمثال تلك المعاني من أسماء وصفات في التّأليف والتّفريق، ثمّ يتكلّم على تلك الصّورة الّتي أقامها مقام الشّخص المسحور عينا أو معنى، ثمّ ينفث من ريقه بعد اجتماعه في فيه بتكرار مخارج حروف ذلك الكلام السّوء، ويغقّد على ذلك المعنى في سبب أعدّه لذلك تفاؤلاً بالعقد والّلزام وأخذ العهد على من أشرك به من الجنّ في نفثه في فعله ذلك، استشعاراً للعزيمة بالعزم. ولتلك البنية والأسماء السيئة روح خبيثة [تخرج منه مع التّفخ متعلّقة بريقه الخارج من فيه بالتّفث، فتنزّل عنها أرواح خبيثة<sup>(1)</sup>]، ويقع عن ذلك بالمسحور ما يُحاوله السّاجر. 10

وشاهدنا أيضاً من المنتحلين للسّخر وعملِهِ من يُشير إلى كساء أو جلد ويتكلّم عليه في سرّه، فإذا هو مَقْطوعٌ متخرق<sup>(ب)</sup>. ويشير إلى بطون الغنم كذلك في مراعيها بالبغج، فإذا معاهها ساقطة من بطونها على الأرض. 15

(1) من ع ج ي، وسقط من ظ (ب) ي: مُخرق .

وسمِعْنَا أَنَّ بَارِضَ الْهِنْدِ لِهَذَا الْعَهْدِ / من يُشِيرُ إِلَى إِنْسَانٍ، فَيُنْخَبُ قَلْبُهُ وَيَقَعُ  
مَيِّتًا، وَيُنْقَبُ عَنْ قَلْبِهِ فَلَا يُوْجَدُ فِي حَشَاةٍ. وَيُشِيرُ إِلَى الرُّمَانَةِ، وَتُفْتَحُ، فَلَا يُوْجَدُ  
من حُبُوبِهَا شَيْءٌ.

وَكَذَلِكَ سَمِعْنَا أَنَّ بَارِضَ السُّودَانِ وَأَرْضَ التُّرْكِ من يَسْحَرُ السَّحَابَ فَيَمِطُرُ<sup>(1)</sup>

5

الْأَرْضَ الْمَخْصُوصَةَ.

وَكَذَلِكَ رَأَيْنَا مِنْ عَمَلِ الطَّلَّسَمَاتِ عَجَائِبَ فِي الْأَعْدَادِ الْمُتَحَابَّةِ، وَهِيَ رَ كَ، رَ  
قَ دَ، أَحَدُ الْعِدَدَيْنِ مَائَتَانِ وَعِشْرُونَ وَالْآخَرُ مَائَتَانِ وَأَرْبَعَةٌ وَثَمَانُونَ. وَمَعْنَى الْمُتَحَابَّةِ:  
أَنَّ أَجْزَاءَ كُلِّ وَاحِدٍ الَّتِي فِيهِ مِنْ نَصِيفٍ، وَرُبْعٍ، وَسُدُسٍ، وَخُمْسٍ، وَأَمْثَالِهَا إِذَا  
جُمِعَ كَانَ مُسَاوِيًا لِلْعِدَدِ الْآخَرِ صَاحِبِهِ. فَتُسَمَّى لِأَجْلِ ذَلِكَ الْمُتَحَابَّةِ. وَنَقَلَ أَصْحَابُ  
الطَّلَّسَمَاتِ أَنَّ لَتِلْكَ الْأَعْدَادِ أَثَرًا فِي الْأُلْفَةِ بَيْنَ الْمُتَحَابِّينِ وَاجْتِمَاعِهَا إِذَا وُضِعَ لَهَا  
10 تَمَثُّلَانِ<sup>(ب)</sup>، أَحَدُهُمَا بِطَالِعِ الزُّهْرَةِ، وَهِيَ فِي بَيْتِهَا أَوْ شَرَفِهَا نَاطِرَةٌ إِلَى الْقَمَرِ نَظَرُ مَوَدَّةٍ  
وَقَبُولٍ، وَيَجْعَلُ طَالِعَ الثَّانِي سَابِعَ الْأَوَّلِ، وَيُوضَعُ عَلَى أَحَدِ التَّمَثُّلَيْنِ أَحَدُ الْعِدَدَيْنِ  
وَالْآخَرُ عَلَى الْآخَرِ، وَيَقْصَدُ بِالْأَكْثَرِ: الَّذِي يُرَادُ ائْتِلَافُهُ، أَعْنِي الْمَحْبُوبَ، مَا أَدْرِي،  
الْأَكْثَرُ كَمِّيَّةً أَوْ الْأَكْثَرُ أَجْزَاءً، فَيَكُونُ لَذَلِكَ مِنَ التَّأْلِيفِ الْعَظِيمِ بَيْنَ الْمُتَحَابِّينِ مَا لَا  
يَكَادُ يَنْفَكُ أَحَدُهُمَا عَنِ الْآخَرِ. قَالَهُ صَاحِبُ الْغَايَةِ<sup>(1)</sup> وَغَيْرُهُ مِنْ أَيْمَةِ الشَّانِ،  
15 وَشَهِدَتْ لَهُ التَّجَرُّبَةُ.

(أ) ظ: فتمطر (ب) في ي: مثالان .

(1) المجرطي : غاية الحكيم 32، 33، 278 .

وكذا طابع الأسد، ويُسمى أيضاً طابع الحصى. وهو أن يُرسم في قالب<sup>(أ)</sup> هند  
إصبع<sup>(ب)</sup> صورة أسد شائلاً ذنبه، عاضاً على حصاة قد قسمها بنصفين، وبين يديه  
صورة حيّة مُنسابة من رجله إلى قبالة وجهه، فاعرة فاهاً إلى فيه، وعلى ظهره  
صورة عقرب تدب. ويتحصن لرسمة حلول الشمس بالوجه الأول أو الثالث من  
5 الأسد، بشرط صلاح التيرين وسلامتها من النحوس. فإذا وُجد ذلك وعثر عليه،  
طُبع في ذلك الوقت في مقدار المِثقال فيما دونه من الذهب، وغُمس من بعد في  
الزغفران / مخلولاً بماء الورد، ورفَع في خِزقة حرير صفراء. فإنهم يزعمون أن  
لِمنسكه من العز على السلاطين في مُباشرتهم وخدمتهم وتسخيرهم له ما لا يُعبر  
عنه. وكذلك للسلاطين فيه من القوّة والعز على من تحت أيديهم. ذكر ذلك أيضاً  
10 أهل هذا الشأن في الغاية<sup>(1)</sup> وغيرها، وشهدت له التجربة.

وكذلك وفق المسدس المختص بالشمس، ذكروا أنه يوضع عند حلول  
الشمس في شرفها وسلامتها من النحوس، وسلامة القمر بطالع ملوكي يغتبر فيه  
نظر صاحب العاشر لصاحب الطالع نظر مودة وقبول، ويصلح فيه ما يكون  
[في]<sup>(ج)</sup> مواليد الملوك من الأدلة الشريفة، ويُرفَع في خِزقة حرير صفراء بعد أن  
15 [يغمس]<sup>(د)</sup> في الطيب. فزعموا أن له أثراً في صحابة الملوك وخدمتهم ومُعاشرتهم.  
وأمثال ذلك كثير.

(أ) في ج: طالع (ب) كذا ولم تبيته (ج) من ع، وفي ط: من (د) من ع، وفي ط: انغمس.

(1) المجريطي: غاية الحكيم 35 - 36.

وكتابُ الغاية لِمَسْلَمَةَ بن أحمد الجريطي، هو مدوّنة هذه الصّناعة، وفيه استيفاءؤها وكمالُ مسائلها.

وذكرَ لنا أنّ الإمامَ الفخرَ ابنَ الخطيب وضعَ كتاباً في ذلك سَمّاه السِّرَّ المكتومَ، وأنّه بالمشرق يتداوله أهلُه ؛ ونحنُ لم نَقِفْ عليه ، والإمامُ لم يكن من أئمّة هذا الشأن فيما يُظنُّ. ولعلّ الأمر بخلاف ذلك.

وبالمغرب صنّف من هؤلاء المنتحلين لهذه الأعمال السحرية، يُعرفون بالبُعّاجين، وهم الذين ذكرتُ أولاً أنّهم يُشِيرُونَ إلى الكِساء أو الجُلْد فيتخرقُ، ويُشِيرُونَ إلى بطنِ الغنم بالبُعج فتنبعج. [ويستقى<sup>(أ)</sup>] أحدهم لهذا العهد باسم البعّاج، لأنّ أكثر ما ينتحل من السحر بعج الأنعام، يهربُ بذلك أهلها ليُغطوه من فضليها. وهم مُتَسَرِّون بذلك في الغاية خوفاً على أنفسهم من الحكّام. لقيتُ منهم جماعةً، وشاهدتُ من أفعالهم هذه، وأخبروني أنّ لهم وَجْهَةً ورياضةً بدعوات كُفْرِيَّة وإشراكٍ / لروحانيّات الجنّ والكواكب، سَطَّرَتْ فيها صحيفةٌ عندهم تُسمّى الحَنزِيرِيَّة يتدارسونها، وأنّ بهذه الرياضة والوَجْهَةَ يَصِلُونَ إلى حُصول هذه الأفعال، وأنّ التأثيرَ الذي لهم إنّما هو فيما سِوَى الإنسان<sup>(ب)</sup> الحرّ من الأُمْتِعة والحيوانات والرّقيق. ويعبّرون عن ذلك بما يُمشي فيه الدّزهم، أي ما يُمْلِكُ وَيُبَاعُ وَيُشْتَرَى من سائر المَمْلُكات. هذا ما زَعَمُوهُ، وساءلْتُ بعضهم فأخبرني<sup>(ج)</sup> به. وأمّا أفعالهم فظاهرةٌ موجودةٌ، وقفنا على الكثير منها وعائناها من غير ريبٍ في ذلك. هذا شأنُ السحر والطَّلسماتِ \* وآثارهما في العالم.

(أ) سقط من ظ (ب) سقط من ي ، وفي ع: الإنسان كذا (ج) في ج: وأخبرني .

فأما الفلاسفة، ففرّقوا بين السّخر والطلّسمات<sup>(أ)</sup>، بعد أن أثبتوا أنّها جميعاً  
 أثر للنفس الإنسانيّة. واستدلّوا على وجود الأثر للنفس الإنسانيّة بأنّ لها<sup>(ب)</sup> آثاراً  
 في بدنها على غير المجزى الطبيعيّ وأسبابه الجسديّة، بل آثار عارضة من كيفيات  
 الأزواج تارة، كالسخونة الحادثة من الفرح والسرور، ومن جهة التّصوّرات النفسانيّة  
 5 أخرى، كالذي يقع من قبل التّوهم. فإنّ الماشي على حرفٍ حائطٍ أو على حبلٍ  
 منتصبٍ إذا قويّ عنده توهم السّقوط، سقط بلا شكّ. ولهذا نجد كثيراً من الناس  
 يعودون أنفسهم ذلك [بالدّربة عليه]<sup>(ج)</sup> حتّى يذهب عنهم هذا التّوهم، فتجدّهم يمشون  
 على حرف الحائط والحبل المنتصب ولا يخافون السّقوط. فنبت أنّ ذلك من آثار  
 النفس الإنسانيّة، وتصورها للسّقوط من أجل التّوهم. وإذا كان ذلك أثراً للنفس في  
 10 بدنها من غير الأسباب الجسديّة الطبيعيّة، فجائز أن يكون لها مثل هذا الأثر في  
 غير بدنها، إذ نسبتّها إلى الأبدان في ذلك النوع من التأثير واحدة، لأنّها غير حالة في  
 البدن ولا مُنطبعة فيه. فثبت أنّها مؤثّرة في / سائر الأجسام.

[342]

وأما التّفرقة عندهم بين السّخر والطلّسمات، فهو أنّ السّخر لا يحتاج  
 السّاحر فيه إلى مُعين، وصاحب الطّلسمات يستعين بروحانيّات الكواكب وأسرار  
 15 الأعداد وخواصّ الموجودات وأوضاع الفلك المؤثّرة في عالم العناصر، كما يقوله  
 المتجمّون. ويقولون: السّخر اتّحاد روح بروح، والطلّسم اتّحاد روح بجسم. ومعناه  
 عندهم ربط الطّبائع العلويّة السّماويّة بالطّبائع السفليّة. والطّبائع العلويّة هي روحانيّات  
 الكواكب. ولذلك يستعين صاحبه في غالب الأمر بالنّجامة. والسّاحر عندهم غير

(أ) سقط ما بين النجمين من ج (ب) ي: لها (ج) حاشية بخطه في ع وحدها.

مَكْتَسِبٍ لِسِحْرِهِ، بل هو مَفْطُورٌ عندهم<sup>(١)</sup> على تلك الْجِبَلَةِ الْمُخْتَصَّةِ بِذَلِكَ النَّوعِ مِنَ التَّأثيرِ. والفرقُ عندهم بين الْمُعْجِزَةِ والسَّحْرِ أَنَّ الْمُعْجِزَةَ قُوَّةُ إلهِيَّةٌ تَبْعُثُ فِي النَّفْسِ ذَلِكَ التَّأثيرَ . فهو مؤيَّدٌ بروح الله على فِعْله ذلك . والسَّاحِرُ إِنَّمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْ عِنْدِ نَفْسِهِ وَبِقُوَّتِهِ النَّفْسِيَّةِ، وبإمدادِ الشَّيَاطِينِ فِي بَعْضِ الْأَحْوالِ. فبينهُمَا الفَرْقُ فِي المعقُولِيَّةِ والحَقِيقَةِ والذَّاتِ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ.

5

وإنَّما نَسْتَدِلُّ نَحْنُ عَلَى التَّفْرِيقِ بِالْعَلَامَاتِ الظَّاهِرَةِ، وهي وجودُ الْمُعْجِزَةِ لِصَاحِبِ الْخَيْرِ وَفِي مَقاصِدِ الْخَيْرِ، وَلِلنَّفُوسِ الْمُتَخَصِّصَةِ لِلْخَيْرِ. والتَّحَدِّيُّ بِهَا عَلَى دَعْوَى التَّبَوُّةِ، والسَّحْرِ إِنَّمَا يَوْجَدُ فِي صَاحِبِ الشَّرِّ وَفِي أفعالِ الشَّرِّ فِي الْغالبِ، مِنْ التَّفْرِيقِ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ، وَضَرَرِ الْأَعْدَاءِ، وَأَمْثالِ ذَلِكَ، وَلِلنَّفُوسِ الْمُتَخَصِّصَةِ لِلشَّرِّ. هذا هو الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا عِنْدَ الْحُكَمَاءِ الْإلهِيِّينَ.

10

وقد يَوْجَدُ لِبَعْضِ الْمُتَصَوِّفَةِ أَصْحَابِ الْكِرَامَاتِ تَأثيرٌ أَيْضاً فِي أَحْوالِ الْعَالَمِ، وَلَيْسَ مَعْدُوداً مِنْ جِنْسِ السَّحْرِ . وإنَّما هو بِالْإِمْدَادِ الْإلهِيِّ ، لِأَنَّ نِجَلَتَهُمْ وَطَرِيقَتَهُمْ مِنْ آثَارِ التَّبَوُّةِ وَتَوَابِعِهَا . وَلَهُمْ فِي الْمَدَدِ / الْإلهِيِّ حَظٌّ عَلَى قَدْرِ حَالِهِمْ وَإِيمَانِهِمْ وَتَمَسُّكِهِمْ بِكَلِمَةِ اللَّهِ. وَإِذَا افْتَدَرَ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَلَى أفعالِ الشَّرِّ لَا يَأْتِيهَا لِأَنَّهُ مُتَقَيِّدٌ فِيمَا يَأْتِيهِ وَيَذَرُهُ لِلْأَمْرِ الْإلهِيِّ. فَمَا لَا يَقَعُ لَهُمْ [فِيهِ الْإِذْنُ لَا يَأْتُونَهُ بِوَجْهِهِ، وَمِنْ أَتَاهُ مِنْهُمْ فَقَدْ عَدَلَ عَنْ طَرِيقِ] <sup>(ب)</sup> الْحَقِّ، وَرُبَّمَا سَلَبَ حَالَهُ.

15

(١) كَذَا جَاءَتْ فِي ظ ج ي، وَكَانَتْ فِي الْأَصْلِ ع ثُمَّ شَطِبَتْ (ب) وَرَدَّ هَذَا النَّصُّ مُرْتَبِكاً فِي ظ بِسَبَبِ نَقْلِهِ الْخَاطِئِ مِنْ حَاشِيَةِ عٍ لِمُخْرِجَيْنِ مُتَبَاعِدِينَ فِي الْمَكَانِ، فُجِعَ بَيْنَهُمَا. عَلَى حِينِ ثَقُلَتْ ج ي النَّصَّ سَلْباً .

ولما كانت الْمُعْجِزَةُ بِإِمْدَادِ رُوحِ اللَّهِ وَالْقُوَى الإِلَهِيَّةِ، فَلِذَلِكَ لَا يُعَارِضُهَا شَيْءٌ  
 مِنَ السَّحَرِ. وَانْظُرْ شَأْنَ سَحَرَةِ فِرْعَوْنَ مَعَ مُوسَى فِي مُعْجِزَةِ الْعَصَا، كَيْفَ ﴿تَلْقَفُ﴾<sup>(أ)</sup>  
 مَا يَأْفِكُونَ ﴿[سورة الأعراف، من الآية 117] وَذَهَبَ سِحْرُهُمْ وَاضْمَحَلَّ كَأَن لَّمْ يَكُنْ.

وَكَذَلِكَ لَمَّا نَزَلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فِي الْمَعُونَتَيْنِ ﴿وَمِنْ شَرِّ التَّفَنُّتِ فِي  
 5 الْعُقَدِ﴾ [سورة الفلق، من الآية 4]. قَالَتْ عَائِشَةُ<sup>(ب)</sup> [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا]<sup>(ب)</sup>: فَكَانَ لَا  
 يَقْرَأُهَا عَلَى عُقْدَةٍ مِنَ الْعُقَدِ الَّتِي سَجَرُ فِيهَا إِلَّا انْحَلَّتْ. فَالسَّحَرُ لَا يَثْبُتُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ  
 وَذَكَرِهِ [بِالْهَمَّةِ الْإِيمَانِيَّةِ]<sup>(ج)</sup>.

وَقَدْ نَقَلَ الْمُؤَرِّخُونَ أَنَّ دَرْقِشَ كَابِيَّانَ<sup>(د)</sup>، وَهِيَ رَايَةُ كِسْرَى كَانَ فِيهَا الْوَفْقُ  
 الْمِثْنِيُّ الْعَدَدِيُّ مَنْسُوجاً بِالذَّهَبِ فِي طَوَالِغِ<sup>(د)</sup> فَلَكِيَّةٍ رُصِدَتْ لَوْضَعِ<sup>(هـ)</sup> ذَلِكَ الْوَفْقِ.  
 10 فَوُجِدَتْ الرَّايَةُ يَوْمَ قُتِلَ رُشَمُ بِالْقَادِسِيَّةِ وَاقَعَةً عَلَى الْأَرْضِ، بَعْدَ انْهِزَامِ أَهْلِ فَارَسَ  
 وَشَتَاتِهِمْ. وَهُوَ فِيمَا يُزْعَمُ أَهْلُ الطَّلَسَمَاتِ وَالْأَوْفَاقِ مَخْصُوصٌ بِالْغَلَبِ فِي الْحُرُوبِ،  
 وَأَنَّ الرَّايَةَ الَّتِي يَكُونُ فِيهَا أَوْ مَعَهَا فَلَا تَنْهَزِمُ أَضْلاً. إِلَّا أَنَّ هَذِهِ عَارِضُهَا الْمَدْدُ الإِلَهِيُّ  
 مِنْ إِيْمَانِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ وَتَمَسُّكِهِمْ بِكَلِمَةِ اللَّهِ. فَانْحَلَّ مَعَهَا كُلُّ عَقْدٍ سِحْرِيٍّ، وَلَمْ  
 يَثْبُتْ. ﴿وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة الأعراف، من الآية 118].

(أ) في ع: تَلَقَّتْ مَا كَانُوا يَأْفِكُونَ (ب) من ي (ج) حاشية بخطه من ع (د) كَذَا في ع، وفي ط ج ي: أَوْضَاع (هـ) من  
 حاشية ع، وسقط من ط ج ي .

(1) تقدّم القول فيه في صفحة 327 .

(2) كَذَا ضَبَطَتْ بِالْحَرَكَاتِ فِي ع، وَعِنْدَ الْمَسْعُودِيِّ: دَرْقِشُ كَابِيَّانَ أَوْ دَرْقِشُ. مَرْجُ الذَّهَبِ 3: 51 (1531)،  
 63 (1556) وَانْظُرْ تَعْرِيفَ CH . pellat فِي الْفَهْرَسِ 6: 319 .



- وأما الشريعة، فلم تُفرّق بين السّحر والطلّسمات والشّعْبَة<sup>(1)</sup>، وجعلته كلّ باباً واحداً<sup>(2)</sup> محظوراً. لأنّ الأفعال إنّما أباح لنا الشارع منها ما يهّمنا في ديننا الذي فيه صلاح آخرتنا، أو في معاشنا الذي فيه صلاح / دُنيانا. وما لا يهّمنا في شيء منها، فإن كان فيه ضرر أو نوع ضرر، كالسّحر الحاصل ضرره بالوقوع، وتلحق به الطّلسمات، لأنّ أثرهما واحد، كالنّجامة التي فيها نوع ضرر باعتقاد التأثير، فتفسد العقيدة الإيمانية برّد الأمور إلى غير الله، فيكون حينئذ ذلك الفعل محظوراً على نسبته<sup>(ب)</sup> في الضرر. وإن لم يكن مُهمّاً علينا ولا فيه ضرر، فلا أقلّ من تركه، قرينة إلى الله. فإن من حُسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه. فجعلت الشريعة باب السّحر والطلّسمات والشّعْبَة<sup>(1)</sup> باباً واحداً، لما فيها من الضرر، وخصّته بالحظر والتّحريم.
- وأما الفرق عندهم بين المعجزة والسّحر، فالذي ذكره المتكلّمون أنّه راجع إلى التّحدّي، وهو دَعْوَى وقوعها على وفق مُدّعاؤه. قالوا: ووقوع المعجزة على وفق دَعْوَى الكاذب غير مقدور. لأنّ دلالة المعجزة على الصّديق عقلية، لأنّ صفة نفسها التّصديق. فلو وقعت مع الكذب لاستحال الصّديق كاذباً، وهو مُحال. فإذا، لا تقع<sup>(ج)</sup> المعجزة مع الكذب بإطلاق.
- وأما الحكماء فالفرق بينهما عندهم، كما ذكرناه، فرّق ما بين الخير والشرّ في نهاية الطّرفين. فالسّاحر لا يصدّر منه الخير ولا يُستعمل في أسباب الخير. وصاحب

(1) من ع ج ي، وسقط من ظ (ب) ع: نسبة (ج) في ع: ولا تقع.

(2) استعمل الكلمتين لمعنى واحد، انظر الصفحة 326 المتقدمة.

المُعْجِزَةُ لَا يَصْدُرُ مِنْهُ الشَّرُّ وَلَا يُسْتَعْمَلُ فِي أَسْبَابِ الشَّرِّ. وَكَأَنَّهَا عَلَى طَرَفِي  
التَّقْيِيزِ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فِي أَصْلِ فِطْرَتِهَا. ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [سورة البقرة،  
من الآية 213] .

## 1. فَضْلٌ<sup>(أ)</sup>

5 ومن قَبِيلِ هذه التَّأثيرَاتِ النَّفْسَانِيَّةِ، الإِصَابَةُ بِالْعَيْنِ. وهو تَأثيرٌ من نَفْسِ  
المِغْيَانِ عِنْدَمَا يَحْسُنُ بَعَيْنُهُ مُدْرِكٌ مِنَ الذَّوَاتِ أَوْ الْأَحْوَالِ، وَيُقْرِطُ فِي اسْتِحْسَانِهِ.  
و[يُنْشَأُ]<sup>(ب)</sup> عَنْ ذَلِكَ الْاسْتِحْسَانِ حَسَدٌ يَرُومُ مَعَهُ سَلْبَ ذَلِكَ الشَّيْءِ عَمَّنِ انْتَصَفَ  
بِهِ، فَيُؤْثِرُ فِسَادَهُ.

وهو جِبِلَّةٌ فِطْرِيَّةٌ، أَغْنَى هَذِهِ الإِصَابَةُ بِالْعَيْنِ. / وَالْفَرْقُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ التَّأثيرَاتِ  
10 النَّفْسَانِيَّةِ، أَنَّ صُدُورَهُ فِطْرِيٌّ جِبِلِّيٌّ، لَا يَتَخَلَّفُ وَلَا يَرْجِعُ إِلَى اخْتِيَارِ صَاحِبِهِ، وَلَا  
يَكْتَسِبُهُ. وَسَائِرُ التَّأثيرَاتِ، وَإِنْ كَانَ مِنْهَا مَا لَا يُكْتَسَبُ، فَصُدُورُهَا رَاجِعٌ إِلَى  
اخْتِيَارِ فَاعِلِهَا. وَالْفِطْرِيُّ مِنْهَا قُوَّةُ صُدُورِهَا، لَا نَفْسُ صُدُورِهَا. وَلِهَذَا فَإِنَّ [الْقَاتِلَ]<sup>(ج)</sup>  
بِالسَّحْرِ أَوْ بِالْكَرَامَةِ يُقْتَلُ، وَالْقَاتِلُ<sup>(ج)</sup> بِالْعَيْنِ لَا يُقْتَلُ. وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِأَنَّهُ لَيْسَ مِمَّا  
يُرِيدُهُ وَيَقْصِدُهُ أَوْ يَتْرُكُهُ، وَإِنَّمَا هُوَ مُجْبُورٌ فِي صُدُورِهِ عَنْهُ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(أ) ألحق هذا الفصل بخطه في حاشية ع، ونقلته ط ج ي (ب) من ع، وفي ط: ونشأ (ج) في ط: القاتل، ووردت محملة  
في ي .

## 29 ❁ عِلْمُ أَسْرَارِ الْحُرُوفِ

وهو المسمّى لهذا العهد بالسّيمياء، نُقِلَ وَضَعُهُ مِنَ الطَّلُوسَاتِ إِلَيْهِ فِي اصطلاح أهل التّصَرّفِ مِنَ المتصوّفة، فاستُعْمِلَ العامُّ فِي الخاصِّ.

وحدَثَ هَذَا الْعِلْمُ فِي الْمِلَّةِ بَعْدَ صَدْرِ مِنْهَا ، وَعِنْدَ ظُهُورِ الْغُلَاةِ مِنَ المتصوّفة وَجُنُوحِهِمْ إِلَى كَشْفِ حِجَابِ الْحِسِّ ، وَظُهُورِ<sup>(١)</sup> الْخَوَارِقِ عَلَى أَيْدِيهِمْ وَالتّصَرّفاتِ فِي 5  
عَالَمِ الْعُنَاصِرِ، وَتَدْوِينِ الْكُتُبِ وَالاصْطِلَاحَاتِ، وَمَزَاجِهِمْ فِي تَنْزِلِ الْوُجُودِ عَنِ الْوَاحِدِ وَتَرْتِيبِهِ. وَزَعَمُوا أَنَّ الْكَمَالَ الْأَسْمَاءِيَّ مَظَاهِرُهُ أَرْوَاحُ الْأَفْلَاقِ وَالْكَوَائِبِ، وَأَنَّ طِبَاعَ الْحُرُوفِ وَأَسْرَارَهَا سَارِيَّةٌ فِي الْأَسْمَاءِ. فَهِيَ سَارِيَّةٌ فِي الْأَكْوَانِ عَلَى هَذَا النِّظَامِ، وَالْأَكْوَانُ مِنْ لَدُنِ الْإِبْدَاعِ الْأَوَّلِ تَنْتَقِلُ فِي أَطْوَارِهِ وَتُغْرِبُ عَنْ أَسْرَارِهِ؛ فَحَدَثَ 10  
لِذَلِكَ عِلْمُ أَسْرَارِ الْحُرُوفِ . وَهُوَ مِنْ تَفَارِيعِ عُلُومِ السِّيمِيَاءِ ، لَا يَوْقِفُ عَلَى مَوْضُوعِهِ 15  
وَلَا تُحَاطُ بِالْعَدَدِ مَسَائِلُهُ. تَعَدَّدَتْ فِيهِ تَوَالِيفُ الْبُؤْيُوتِ وَابْنِ الْعَرَبِيِّ وَغَيْرُهُمَا مِمَّنْ اتَّبَعَ آثَارَهُمَا.

وَحَاصِلُهُ عِنْدَهُمْ وَثَرَتُهُ : تَصَرُّفُ النُّفُوسِ الرِّبَائِيَّةِ فِي عَالَمِ الطَّبِيعَةِ بِالْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى وَالْكَلماتِ الْإِلَهِيَّةِ النَّاشِئَةِ عَنِ الْحُرُوفِ الْمُحِيطَةِ بِالْأَسْرَارِ السَّارِيَّةِ فِي الْأَكْوَانِ.

ثم اختلفوا في سرّ التّصريف [الذي في الحروف بما هو. فمنهم من جعله للمزاج الذي فيه، وقسّم الحروف]<sup>(أ)</sup> بقسمة الطّبايع إلى أربعة أصناف كما للعناصر، واختصّت كلّ طبيعة<sup>(ب)</sup> بصنف من الحروف يقع [التّصريف]<sup>(ج)</sup> في طبيعتها فعلاً واثقلاً بذلك الصّنف. / فتنوّعت الحروف بقانونٍ صناعيٍّ يُسمّونه التّكسير، إلى ناريةٍ وهوائيةٍ ومائيةٍ وثرابيةٍ على حسب تنوّع العناصر. فالألف للنّار، والباء للهواء، والجيم للماء، والدال للتراب. ثمّ ترجع كذلك على التّوالي من الحروف والعناصر إلى أن تنفد، فتعيّن لعنصر النّار حروفٌ سبعة: الألف والهاء والطّاء والميم والفاء والشّين<sup>(د)</sup> والدال. وتعيّن لعنصر الهواء سبعة أيضاً: الباء والواو والياء والنون والضّاد والثّاء والطّاء. وتعيّن لعنصر الماء سبعة أيضاً: الجيم والزّاي والكاف والضّاد<sup>(هـ)</sup> والقاف والثّاء والغين<sup>(و)</sup>. وتعيّن لعنصر التّراب سبعة أيضاً: الدال والحاء واللام والعين والرّاء والحاء والشّين<sup>(ز)</sup>.

فالْحُرُوفُ النَّارِيَّةُ لَدَفْعِ الْأَمْرَاضِ الْبَارِدَةِ، وَلِمُضَاعَفَةِ قُوَّةِ الْحَرَارَةِ حَيْثُ تُطْلَبُ مُضَاعَفَتُهَا إِمَّا حِسّاً أَوْ حُكْماً، كَمَا فِي تَضْعِيفِ قُوَى الْمَرِيخِ فِي الْحُرُوبِ وَالْقَتْلِ وَالْفَتْكِ. وَالْمَائِيَّةُ أَيْضاً لَدَفْعِ الْأَمْرَاضِ [الْحَارَةِ]<sup>(ح)</sup> مِنْ حُمَيَاتٍ وَغَيْرِهَا، وَلِتَضْعِيفِ الْقُوَى الْبَارِدَةِ حَيْثُ تُطْلَبُ مُضَاعَفَتُهَا حِسّاً أَوْ حُكْماً كِتَضْعِيفِ قُوَّةِ الْقَمَرِ، وَأَمْشَالِ ذَلِكَ.

(أ) من: ع ج ي، وسقط من ظ (ب) في ظ: طبيعة لها (ج) سقط من ظ (د) في ي: الشّين (هـ) كذا في ي، وفي ع: الضّاد وفوقها الشّين تعويضاً (و) كذا في ظ، وفي ع شطبت العين وفوقها الطّاء (ز) في ع: الغين (ح) سقط من ظ.

ومنه من جعل سرَّ التَّصَرُّفِ الَّذِي فِي الْحُرُوفِ لِلنَّسْبَةِ الْعَدَدِيَّةِ. فَإِنَّ حُرُوفَ أَجَد دَالَّةٌ عَلَى أَعْدَادِهَا الْمُتَعَارِفَةِ وَضِعاً وَطَبْعاً. فَبَيْنَهَا مِنْ أَجْلِ تَنَاسُبِ الأَعْدَادِ تَنَاسُبٌ فِي نَفْسِهَا أَيْضاً، كَمَا يَبْنِي الْبَاءُ وَالْكَافُ وَالرَّاءُ، لِدَلَالَتِهَا كُلُّهَا عَلَى الْاِثْنَيْنِ، كُلٌّ فِي مَرْتَبَتِهِ. فَالْبَاءُ عَلَى اِثْنَيْنِ فِي مَرْتَبَةِ الْآحَادِ، وَالْكَافُ عَلَى اِثْنَيْنِ فِي مَرْتَبَةِ الْعَشَرَاتِ، وَالرَّاءُ عَلَى اِثْنَيْنِ فِي مَرْتَبَةِ الْمِائِنِ. وَكَالَّذِي بَيْنَهَا وَبَيْنَ الدَّالِّ وَالْمِيمِ 5 وَالتَّاءِ لِدَلَالَتِهَا عَلَى الْأَرْبَعَةِ، وَبَيْنَ الْأَرْبَعَةِ وَالْاِثْنَيْنِ نِسْبَةُ الضَّعْفِ. وَخَرَجَ لِلْأَسْمَاءِ أَوْفَاقٌ كَمَا لِلْأَعْدَادِ، يَخْتَصُّ كُلُّ صَنِيفٍ مِنَ الْحُرُوفِ بِصَنِيفٍ مِنَ الْأَوْفَاقِ الَّذِي تُنَاسِبُهُ مِنْ حَيْثُ عَدَدُ الشَّكْلِ أَوْ عَدَدُ الْحُرُوفِ. وَامْتَرَحَ التَّصَرُّفُ مِنَ السَّرِّ الْحَرْفِيِّ وَالسَّرِّ الْعَدَدِيِّ لِأَجْلِ التَّنَاسُبِ الَّذِي بَيْنَهَا.

[344ب] فَأَمَّا سِرُّ هَذَا التَّنَاسُبِ الَّذِي بَيْنَ الْحُرُوفِ وَأُمُزْجَةِ الطَّبَائِعِ، أَوْ بَيْنَ / الْحُرُوفِ 10 وَالْأَعْدَادِ، فَأَمَرَ عَسِيرٌ<sup>(أ)</sup> عَلَى الْفَهْمِ، إِذْ لَيْسَ مِنْ قَبِيلِ الْعُلُومِ وَالْقِيَاسَاتِ، وَإِنَّمَا مُسْتَنَدُهُ عِنْدَهُمُ الذَّوْقُ<sup>(ب)</sup> وَالْكَشْفُ. قَالَ الْبُونِيُّ<sup>(1)</sup>: وَلَا تَظُنَّنَّ أَنَّ سِرَّ الْحُرُوفِ مِمَّا يُتَوَصَّلُ إِلَيْهِ بِالْقِيَاسِ الْعَقْلِيِّ، وَإِنَّمَا هُوَ بِطَرِيقِ الْمَشَاهِدَةِ وَالتَّوْفِيقِ الْإِلَهِيِّ.

وَأَمَّا التَّصَرُّفُ فِي عَالَمِ الطَّبِيعَةِ بِهَذِهِ الْحُرُوفِ وَالْأَسْمَاءِ الْمُرَكَّبَةِ فِيهَا، وَتَأَثُّرُ 15 الْأَكْوَانِ عَنْ ذَلِكَ، فَأَمَرَ لَا يُنْكَرُ، لِثَبُوتِهِ عَنْ كَثِيرٍ مِنْهُمْ تَوَاتُراً. وَقَدْ يُظَنُّ أَنَّ تَصَرُّفَ

(أ) ج: عسير (ب) في ع: الذوا .

(1) شمس المعارف الكبرى 216 - 217 (في الفصل 17 في خواص كهيعص) .

هؤلاء وتصرف أصحاب الطلسمات واحد، وليس كذلك. فإن حقيقة الطلسم وتأثيره، على ما حققه أهله، أنه قوى روحانية من جوهر القهر، تفعل فيما له ركب فعل غلبة وقهر بأسرار فلكية ونسب عددية وبخورات جالبة لروحانية ذلك الطلسم، مشدودة فيه بالهمة، فائدتها ربط الطبائع العلوية بالطبائع السفلية. وهو 5 عندهم كالحميرة المركبة من أرضية وهوائية ومائية ونارية، حاصلة في جملتها، تحيل وتصرف ما حصلت فيه إلى ذاتها، وتقليبه إلى صورتها. وكذلك الأكسير للأجسام المعدنية خيرة تقلب المعين الذي تسري فيه إلى نفسها بالإحالة. ولذلك يقولون: موضوع الكيمياء جسد في جسد، لأن الأكسير أجزاءه كلها جسدانية. ويقولون: موضوع الطلسم روح في جسد، لأنه ربط الطبائع العلوية بالطبائع السفلية؛ والطبائع 10 السفلية جسد، والطبائع العلوية روحانية.

وتحقيق الفرق بين تصرف أهل الطلسمات وأهل الأسماء، بعد أن تعلم أن التصرف في عالم الطبيعة كله إنما هو للنفس الإنسانية والهيم البشرية. لأن النفس الإنسانية مُحيطَةٌ بالطبيعة وحاکمةٌ عليها بالذات، إلا أن تصرف أهل الطلسمات إنما هو في استئزال<sup>(١)</sup> روحانية الأفلاك وربطها بالصُّور أو بالنسب العددية<sup>(ب)</sup> حتى يحصل من ذلك نوع مزاج يفعل الإحالة والقلب بطبيعته، فعل الحميرة فيما حصلت 15 فيه.

وتصرف أصحاب الأسماء إنما / هو بما حصل لهم بالمجاهدة والكشف من [345]

(١) في ي: اشتراك (ب) في ي ج: العادية.

التور الإلهي والإمداد الرباني. فَتُسَخَّرُ<sup>(أ)</sup> الطَّبيعَةُ لذلك طائعة غير مُستَغْصِيَةٍ، ولا يحتاج إلى مددٍ من القوى الفلكية ولا غيرها، لأنَّ مددَهُ أعلى منها.

ويحتاج أهلُ الطَّلسماتِ إلى قليلٍ من الرياضة تُقيدُ النَّفسَ قوةً على استئزال<sup>(ب)</sup> روحانيَّةِ الأفلاكِ ، وأهْوَنُ بها وَجْهَةٌ ورياضةٌ . بخلاف أهلِ الأسماءِ ، فإنَّ رياضَتَهُم هي الرياضةُ الكُبرى ، وليست لِقصدِ التَّصَرُّفِ في الأكوانِ ، إذ هو 5 حجابٌ ، وإنَّما التَّصَرُّفُ حاصلٌ لهم بالعرضِ كرامةً من كراماتِ الله بهم. فإنَّ خلا صاحبِ الأسماءِ عن مَعْرِفَةِ أسرارِ الله وحقائقِ الملكوتِ ، الذي هو نتيجةُ المشاهدةِ والكشفِ ، واقتصر على مناسباتِ الأسماءِ وطبائعِ الحروفِ والكلماتِ ، وتصرَّف بها من هذه الحيثيةِ ، وهؤلاء هم أهلُ التَّسميَاءِ في المشهور ، كان إذن لا فَرْقَ بينه وبين أصحابِ الطَّلسماتِ ، بل صاحبُ الطَّلسماتِ أوثقُ منه ، لأنَّه يَرْجِعُ إلى أصولٍ طَبِيعِيَّةٍ 10 عِلْمِيَّةٍ وقوانينَ مترَبِّيةٍ. وأمَّا صاحبُ أسرارِ الأسماءِ إذا فاتته الكشفُ الذي يَطَّلِعُ به على حَقائِقِ الكلماتِ وآثارِ المناسباتِ بِقَوَاتِ الخُلوصِ في الوِجْهَةِ ، وليس له في العلومِ الاصْطِلَاحِيَّةِ قانونٌ برهانيٌّ يُعَوَّلُ عليه ، فيكونُ حالُهُ أضعفَ رتبةً.

وقد يَمزُجُ صاحبُ الأسماءِ قُوَى الكلماتِ والأسماءِ بِقُوَى الكواكبِ ، فيُعَيِّنُ لذكرِ الأسماءِ الحُسْنَى أو ما يرْسُمُ من أَوْفاقِها ، بل ولسائرِ الأسماءِ ، أوقاتاً<sup>(ج)</sup> تكون 15 من حُطُوطِ الكوكبِ الذي يُناسِبُ ذلك الاسمَ ، كما فعله البُونِيُّ في كتابه الذي سَمَّاهُ<sup>(د)</sup> الأنماطَ . وهذه المناسبةُ عندهم هي من لَدُنِ الحضرةِ العَمَائيَّةِ ، وهي بَرَزْخِيَّةٌ

(أ) ع: فيسخر (ب) في ي: اشتراك (ج) في ي: أوفافاً (د) سقط ما بين النجمين من ج .

[الكمال] <sup>(1)</sup> الأسمائي، وإنما تنزل تفصيلها في الحقائق على ما هي عليه من المناسبة. وإثبات هذه الكلمات عندهم إنما هو بحكم المشاهدة. فإذا خلا صاحب الأسماء عن تلك المشاهدة، وتلقت تلك المناسبة تقليداً، كان عمله بمثابة [عمل] <sup>(ب)</sup> صاحب الطلسم، بل هو أوثق منه، كما قلناه.

- 5 وكذلك قد يمزج أيضاً صاحب / الطلسمات عمله وقوى كواكبه بقوى الدعوات [345ب] المؤلف من الكلمات المخصوصة المناسبة بين الكلمات والكواكب، إلا أن مناسبة الكلمات عندهم ليس كما هي عند أصحاب الأسماء من الاطلاع في حال المشاهدة، وإنما يرجع إلى ما اقتضته أصول طريقته السحرية من اقتسام الكواكب لجميع ما في عالم المكنونات من جواهر وأعراض وذوات ومعاني؛ والحروف والأسماء من جملة ما فيه، فلكل واحد من الكواكب قسم منها يخصه. 10

- ويبنون على ذلك مباني غريبة منكّرة من تقسيم سور القرآن وآيه على هذا النحو، كما فعله مسلمة المجريطي في كتاب <sup>(ج)</sup> الغاية <sup>(1)</sup>. والظاهر من حال البوني في أنماطه أنه اعتبر طريقهم. فإن تلك الأنماط إذا تصفحتها وتصفحت الدعوات التي تضمنتها، وتقسيمها على ساعات الكواكب السبعة، ثم وقفت على الغاية، وتصفحت 15 قيامات الكواكب التي فيها، وهي الدعوات التي تختص بكل كوكب يسمونها قيامات

(1) سقط من ظ (ب) من ع ج ، وسقط من ظ (ج) من حاشية ع وسقط من ي ج .

(1) غاية الحكيم 169 – 175، وينقل المجريطي عن "الكتاب المخزون" لجعفر البصري الذي أخفاه مخافة التطلع على سرّه، وفيه قسم البصريّ آي القرآن على الكواكب السبعة .



الكواكب، أي الدعوة التي يُقامُ له بها، شهد لك ذلك إما بأنه من مادّتها، أو بأنّ التَّناسُب الذي كان في أصل الإبداع وبزخ العلم قضى بذلك كلّهُ. ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [سورة الإسراء، من الآية 85].

وليس كلّ ما حرّمه الشرع من العلوم بمنكر الثبوت . فقد ثبت أنّ السحر حقٌّ مع خطره، لكنّ حسبنا من العلم ما علّمناه الله.

## تحقيق<sup>(١)</sup>

وَنُكْتَةُ [هذه] <sup>(ب)</sup> السَّيِّئَاءِ كَمَا تَحَقَّقُ لَكَ، أَنَّهَا ضَرْبٌ مِنَ السَّخْرِ، يَحْصُلُ  
بِرِيَاضَاتٍ شَرِيعَةٍ خَاصَّةٍ. وَذَلِكَ أَنَّ قَدَّمْنَا لَكَ <sup>(ج)</sup> أَنَّ التَّصَرُّفَ فِي عَالَمِ الطَّبِيعَةِ <sup>(د)</sup>  
لِصَنَفَيْنِ مِنَ الْبَشَرِ، هُمَا الْأَنْبِيَاءُ، بِالْقُوَّةِ الْإِلَهِيَّةِ الَّتِي فَطَرَهُمُ اللَّهُ عَلَيْهَا، وَالسَّحَرَةُ،  
5 بِالْقُوَّةِ النَّفْسَانِيَّةِ الَّتِي جُبِلُوا عَلَيْهَا.

وَقَدْ يَحْصُلُ لِلأُولِيَاءِ تَصَرُّفٌ [يَكْتَسِبُونَهُ] <sup>(هـ)</sup> بِالْكَلِمَةِ الْإِيمَانِيَّةِ. وَهُوَ مِنْ نَتَائِجِ  
التَّجَرُّيدِ وَاكْتِسَابِهِ <sup>(و)</sup>، وَلَا يَقْصِدُونَ [إِلَى] <sup>(ز)</sup> تَخْصِيلِهِ، وَإِنَّمَا يَأْتِيهِمْ عَفْوًا. وَالْمُتَمَكِّنُونَ

(١) ألحق ابن خلدون هذا التحقيق في بطاقة منفصلة بخطه، في نسخة ع. وكتب بخطه مثلها مُخرِجاً في نسخة ط. وأدرجته نسخة  
ج في سياق النص متساوياً إلى الآخر مع نسخة ط. إلا أن الأصلين ع ط [المحرر هذا الملحق فيها بخط المؤلف] اختلف نصهما  
في الأثناء. فواصلنا عرض نص ط في المتن ومعها ج، ونقلنا بقية نص ع في هذه الحاشية:

إِلَّا أَنَّ هَذِهِ الرِّيَاضَةُ السَّحَرِيَّةُ الَّتِي لِلأَوَّلِينَ مَشْحُونَةٌ بِالْكَفَرِيَّاتِ، كَالْتَوَجِّهَاتِ لِلْكَوَاكِبِ وَالدَّعَوَاتِ  
لَهَا، الَّتِي يُسَمِّنُونَهَا قِيَامَاتٍ لاسْتِجْلَاءِ رُوحَانِيَّتِهَا، وَكَاعْتِقَادِ التَّأْثِيرِ مِنْ غَيْرِ اللَّهِ فِي زَبْطِ الْفِعْلِ بِالطَّوَائِعِ  
التَّجْوِيمِيَّةِ، وَمِنَاطَرَةِ الْكَوَاكِبِ فِي الْبُرُوجِ لِتَخْصِيلِ الْأَثَرِ الْمَطْلُوبِ.

فَاعْتَمَدَ لِذَلِكَ كَثِيرٌ مِمَّنْ يَرُومُ التَّصَرُّفَ فِي عَالَمِ الْكَائِنَاتِ، وَقَصَدُوا طَرِيقَ تَخْصِيلِهِ عَلَى وَجْهِ تَبَعُدٍ  
مِنْ مَلَابَسَةِ الْكُفْرِ وَانْتِحَالِهِ، وَقَلَّبُوا تِلْكَ الرِّيَاضَاتِ شَرِيعَةً بِأَذْكَارٍ وَتَسْبِيحَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ وَالْأَحَادِيثِ  
النَّبَوِيَّةِ، هَدَاهُمْ إِلَى مَعْرِفَةِ الْمُنَاسِبِ مِنْهَا لِلْحَاجَةِ - مَا قَدَّمْنَا - انْقِسَامُ الْعَالَمِ بِمَا فِيهِ مِنْ ذَوَاتٍ وَصِفَاتٍ  
وَأَفْعَالٍ بِأَثَارِ الْكَوَاكِبِ السَّنْبَعَةِ. وَيَتَحَرَّضُونَ فِي ذَلِكَ الْأَيَّامِ وَالسَّاعَاتِ الْمُنَاسِبَةِ لَانْقِسَامِهَا كَذَلِكَ.  
وَيَلْسَنُونَ بِتِلْكَ الرِّيَاضَةِ الشَّرِيعَةِ مَخْرَجاً مِنَ السَّحَرِ الْمَعْهُودِ الَّذِي هُوَ كُفْرٌ أَوْ يَدْعُو إِلَيْهِ. وَيَتَمَسَّكُونَ  
بِالْوَجْهِ الشَّرِيعَةِ لِعُمُومِهَا وَخُلُوصِهَا، كَمَا فَعَلَهُ النَّبَوِيُّ فِي كِتَابِ الْأَنْبِطِ وَغَيْرِهِ مِنْ كُتُبِهِ، وَفَعَلَهُ غَيْرُهُ.  
وَسَمَّنَا هَذِهِ الطَّرِيقَةَ بِالسَّيِّئَاءِ، تَوَعَّلَّا فِي الْفِرَارِ مِنْ اسْمِ السَّخْرِ، وَهُمْ فِي الْحَقِيقَةِ وَاقِعُونَ فِي مَعْنَاهُ. =

(ب) ظ: علم (ج) سقط من ع (د) من ط ج، وفي ع: الأكوان (هـ) من ع ج، وسقط من ط (و) من ط، وسقط  
من ع ج (ز) من ع ج.

منهم إذا عَرَضَ لهم أَعْرَضُوا عنه، واستَعَاذُوا بالله منه، \*وَعَدُّهُ مِخْنَةً<sup>(أ)</sup>، كما يُحَكِّي عن أبي يزيد [البسطامي]<sup>(ب)</sup> أَنَّهُ وافى شاطئ دجلةَ عشَاءَ مُنْحَفِرًا، فالتقى [له]<sup>(ج)</sup> طَرَفًا الوادي؛ فاستعاذ بالله وقال: لا أبيعُ حَظِّي من الله بدانيق. وركب السفينةَ [عابراً]<sup>(د)</sup> مع الملاحين.

5 وأما السَّخَرُ ، فلا بُدَّ في الجِبَلِيِّ منه من الرِّياضَةِ ليُخْرِجَ من القُوَّةِ<sup>(هـ)</sup> إلى الفِعلِ. وقد يحصلُ ضَرْبٌ<sup>(و)</sup> منه بالاكْتِسَابِ، وهو دون الأول<sup>(ز)</sup>، فَتُعَانِي فيه الرِّياضَةُ كما تُعَانِي في الأول.

وهذه الرِّياضَةُ السَّخَرِيَّةُ معروفةٌ؛ وقد ذكر أنواعها و[كَيْفِيَّاتِهَا]<sup>(ح)</sup> مَسْلَمَةُ الجُرَيْطِيِّ في كتاب الغاية<sup>(1)</sup>، وجابر بن حيان في بعض رسائله، وغيرهما. وقد يستعملها كثيرٌ مَن يقصد اكتساب السَّخَرِ وتعلُّمه على قوانينها وشروطها. 10 وكثيرٌ من الناس يقصدُ الحصولَ على التَّصَرُّفِ، ويتحرَّجُ من مُلاَبَسَةِ السَّخَرِ

وإن كانت الوجْهَةُ الشرعيَّةُ حاصلةً لهم، فلم يبعدوا كلَّ البُعدِ عن اغْتِنَادِ التأثيرِ لِغَيْرِ اللَّهِ. ثم إنَّهم يقصدونَ التَّصَرُّفَ في عالمِ الكائناتِ، وهو مُحْظُورٌ عند الشَّارعِ، وما وَقَعَ منه للأنبياء في المُعْجَزاتِ، فبأمرِ اللَّهِ وأقداره. وما وَقَعَ للأولياءِ، فبإذنِ يحصلُ لهم بَخْلَقِ العِلْمِ الصُّرُورِيَّ إلْهاماً أو غَيْرَهُ، ولا تَعَمُّدُهُ [في الأصلِ ع بَحْطُهُ: ولا تَعَمُّدُهُ] من دونِ إذنِ. فلا تَتَّقَنَ بما يَمُوءُ به هؤلاء في هذه السَّمِيَاءِ، فَإِنَّمَا هي، كما فَرَزَتْهُ لك، من فُنُونِ السَّخَرِ وَضُرُوبِهِ. واللَّهِ الهادي إلى الحَقِّ بَمَنِّهِ.

(أ) سقط ما بين النجمين من ج (ب) من ع، وسقط من ط ج (ج) من: ع ج (د) من ع، وفي ج: للخبور، وسقط من ط (هـ) من: ط ج، وفي ع: القول (و) كذا في ط ج، وفي ع: وقد يحصل غير الجبلي منه... (ز) ع: الجبلي (ح) من ع (ط) سقط من ع.

(1) الغاية 6 - 11 المقالة الأولى، الفصل الثاني.

[وَأَسْمِهِ وَوَضْعِهِ]<sup>(أ)</sup>، فَيَتَّخِذُ لَذَلِكَ رِيَاضَةً خَاصَّةً شَرْعِيَّةً، مِنْ سُبُحَاتٍ وَأَذْكَارٍ  
 مَنَاسِبَةٍ لِلرِّيَاضَةِ السَّحَرِيَّةِ بِنَوْعِ التَّوَجُّهِ وَجِنْسِ الْكَلِمَاتِ، وَيَتَجَافَى  
 عَنْ قَصْدِ الضَّرَرِ فِي وَجْهِهِ لِيَبْعَدَ بِذَلِكَ عَنِ السَّحْرِ. وَهَيْئَاتُ لَهُ ذَلِكَ. وَنَفْسُ الْوَجْهِ  
 بِقَصْدِ التَّصَرُّفِ هِيَ عَيْنُ السَّحْرِ. مَعَ أَنَّ رِيَاضَةً هَؤُلَاءِ إِذَا تَأَمَّلْتُهَا نَبَعَتْ رِيَاضَةُ السَّحْرِ  
 5 مِنْ بَيْنِ كَلِمَاتِهَا كَمَا فِي أَثْمَاطِ الْبُوتِيِّ، بَلْ وَفِي سَائِرِ كُتُبِهِ. [وَأَمَّا إِنْ كَانَ غَالِطًا فِي  
 مَشْرُوعِيَّةِ ذَلِكَ]<sup>(ب)</sup> لِحَصُولِ التَّصَرُّفِ، فَلْيَحْذَرِ ذَلِكَ، وَلْيَعْلَمْ أَنَّ التَّصَرُّفَ مِنْ أَصْلِهِ<sup>(ج)</sup>  
 غَيْرُ مَشْرُوعٍ، وَأَنَّ أَكْبَرَ الْأَوْلِيَاءِ مُجَانِبُونَ لَهُ. وَمَنْ أَزْتَكَبَهُ مِنْهُمْ فَإِنَّمَا يَرْتَكِبُهُ بِإِذْنٍ مِنْ  
 إِلَهَامٍ [أَوْ غَيْرِهِ]<sup>(د)</sup> أَوْ حَدِيثٍ نَفْسٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، عَلَى مَا عَلَيْهِ عَادَتُهُمْ فِي الْاسْتِثْلَاءِ  
 مِنْ قُلُوبِهِمُ الْمُنُورَةِ<sup>(هـ)</sup>. مَعَ أَنَّ تَصَرُّفَ الْأَوْلِيَاءِ بِالْكَلِمَةِ الْإِيمَانِيَّةِ، لَا بِالْقُوَّةِ النَّفْسَانِيَّةِ.  
 10 هَذَا هُوَ تَحْقِيقُ عِلْمِ السَّمِيَاءِ، وَهُوَ كَمَا تَرَاهُ، مِنْ فُنُونِ السَّحْرِ وَضُرُوبِهِ.  
 وَاللَّهُ الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ بِمَنْتِهِ.

### 1. فَضْلٌ<sup>(و)</sup>

وَمِنْ فُرُوعِ عِلْمِ السَّمِيَاءِ عِنْدَهُمْ اسْتِخْرَاجُ الْأَجْوِبَةِ مِنَ الْأَسْئَلَةِ بِازْتِبَاطَاتٍ  
 بَيْنَ الْكَلِمَاتِ حَزْفِيَّةٍ، يُوهَمُونَ أَنَّهَا أَصْلٌ فِي مَعْرِفَةٍ مَا يُحَاوِلُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْكَائِنَاتِ  
 15 الْاسْتِثْبَالِيَّةِ. وَإِنَّمَا هِيَ شَبْهُ الْمُعَايَاةِ وَالْمَسَائِلِ السَّيِّئَةِ. وَلَهُمْ فِي ذَلِكَ كَلَامٌ كَثِيرٌ، مِنْ  
 أَوْعِيهِ وَأَعْجَبِهِ زَايِرُجَةُ الْعَالَمِ لِلْسَّبْتِيِّ، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهَا<sup>(1)</sup>.

(أ) مِنْ ج (ب) فِي ج : وَإِنْ كَانَ غَالِطًا فِي ظَنِّ أَنْ ذَلِكَ مَشْرُوعٌ (ج) ج : أَوَّلُهُ (د) مِنْ : ج (هـ) سَقَطَ مَا بَيْنَ النَجْمَيْنِ  
 مِنْ ج (و) الْعِنَانُ مِنْ ع، وَسَقَطَ فِي ظ ي .

(1) كِتَابُ الْعَبْرِ 1: 208 .

وَبُيِّنَ هُنَا مَا ذَكَرُوهُ فِي كَيْفِيَّةِ الْعَمَلِ بِتِلْكَ الزَّائِرِجَةِ، وَنَسَرُدُ الْقَصِيدَةَ الْمُنْسُوبَةَ  
لِلسَّبْتِيِّ بِرُغْمِهِمْ فِي ذَلِكَ، وَبَعْدَهَا صِفَةُ الزَّائِرِجَةِ بِدَائِرَتِهَا وَجَدُولِهَا الْمَكْتُوبِ بِمُحَوَّلِهَا. ثُمَّ  
نَكْشِفُ عَنِ الْحَقِّ / فِيهَا، وَأَنَّهَا لَيْسَتْ مِنَ الْغَيْبِ، وَإِنَّمَا هِيَ مُطَابَقَةٌ بَيْنَ مَسْأَلَةٍ<sup>(أ)</sup> وَجَوَابِهَا  
فِي الْإِفَادَةِ [الْخَطَابِيَّةِ]<sup>(ب)</sup> فَقَطْ. [وَهِيَ مُلَحَّةٌ مِنَ الْمُلْحِ، غَرِيبَةٌ فِي اسْتِخْرَاجِ الْجَوَابِ مِنَ  
السُّؤَالِ بِالصَّنَاعَةِ الَّتِي يُسَمُّونَهَا صَنَاعَةَ التَّكْسِيرِ]<sup>(ج)</sup>. وَقَدْ أَشَرْنَا إِلَى ذَلِكَ كُلِّهِ مِنْ قَبْلُ. 5  
وَلَيْسَ عِنْدَنَا رَوَايَةٌ نَعُولُ عَلَيْهَا فِي صِحَّةِ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ، إِلَّا أَنَّا تَحَرَّيْنَا أَصَحَّ  
النُّسخِ مِنْهَا فِي ظَاهِرِ الْأَمْرِ<sup>(1)</sup>. وَهِيَ هَذِهِ:

(أ) كَذَا فِي ط ج ي، وَفِي ع: الْمَسْأَلَةُ (ب) مِنْ ع ج ي، وَسَقَطَ مِنْ ظ (ج) مِنْ ع ج، وَسَقَطَ مِنْ ظ ي.

(1) اعْتَبَرَ ابْنُ خَلْدُونِ هَذِهِ الْمَنْظُومَةَ الْمَعْرُوفَةَ "بَزَائِرِجَةِ الْعَالَمِ"، مِنْ أَوْعَبِ وَأَعْجَبِ مَا اشْتَمَلَ عَلَى عِلْمِ  
السَّمَاءِ، وَيَرَى نَسَبَهَا إِلَى أَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنِ جَعْفَرِ السَّبْتِيِّ مِنَ الْمَزَاعِمِ. وَالسَّبْتِيُّ هَذَا صُوفِيٌّ مِنْ  
رِجَالِ الْمِائَةِ السَّادِسَةِ، كَانَتْ وَفَاتَهُ بِمَرَكَشَ.

وَالْغَرِيبُ أَنَّ مِجْتَهِدَ ابْنِ خَلْدُونِ فِي تَحَرِّيِّ أَصَحِّ نَسْخِ هَذَا النَّصِّ، وَهُوَ الَّذِي اسْتَقَامَتْ لَهُ مَعَايِيرُ  
الشَّعْرِ، وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ جَاءَ النَّصُّ الَّذِي أَثْبَتَهُ سَقِيماً لَا يُمْكِنُ حَصْرُ مَعَانِيهِ الظَّاهِرَةِ مِنْ خِلَالِ صِيَاعَتِهِ  
الْمُفَكِّكَةِ الْمُتَنَافِرَةِ، وَإِشَارَاتِهِ الْمُتَبَاعِدَةِ، مَعَ مَا يَشِيعُ فِيهِ مِنْ أَخْطَاءِ الْعَرَبِيَّةِ، وَالْعُيُوبِ الْعَرُوضِيَّةِ.

وَالنَّسخُ الْمَعْتَمَدَةُ مُطَابَقَةٌ فِي عُيُوبِهَا، وَتَكَرَّرَ الْخَلَلُ نَفْسَهُ، لِذَلِكَ اضْطَرَّتْ لِلْإِسْتِعَانَةِ بِنَسْخَةٍ  
لِلْمَنْظُومَةِ مُحْفُوظَةٍ بِالْخَزَانَةِ الْحُسْنِيَّةِ الْمَلِكِيَّةِ بِالْمَغْرِبِ، فَأُثْبِتَ مِنْهَا بَعْضُ فُرُوقِ الْقِرَاءَةِ الَّتِي رَأَيْتُ إِفَادَتَهَا  
فِي تَعْدِيلِ النَّصِّ وَتَوْضِيحِهِ، وَرَمَزْتُ لَهَا بِالْحَرْفِ (ح).

وَأَشِيرُ إِلَى أَنَّ بَآخِرَ الْمَنْظُومَةِ إِشَارَةٌ لِعَدَدِ أَيْامِهَا التَّسْعِينَ، وَأَنَّ نَسْخَةَ الْمَكْتَبَةِ الْحُسْنِيَّةِ تَشْتَمِلُ  
عَلَى اثْنَيْنِ وَمِائَةٍ مِنَ الْأَيَّامِ، الَّتِي جَاءَتْ مُتَوَاصِلَةً وَتَخْلُو مِنَ الْعُنَاوِينَ الدَّاخِلِيَّةِ، وَتَخْتَلِفُ فِي تَرْتِيبِهَا عَنِ  
رَوَايَةِ ابْنِ خَلْدُونِ الَّتِي وَرَدَتْ هُنَا، وَهِيَ فِي مِائَةٍ وَأَرْبَعَةٍ عَشَرَ بَيْتاً.

وَيَتَّصِلُ بِفَكَ رَمُوزُهَا وَالْأَجُوبَةُ عَنْ أَسْئَلَتِهَا رِسَالَةٌ فِي الْخَزَانَةِ الْحُسْنِيَّةِ ضَمِنَ مَجْمُوعِ رَقْمِهِ 10154 لِلْمَجْهُولِ،  
اسْمُهَا: [نَكْت] السَّرَائِرُ فِي إِخْرَاجِ الضَّمَائِرِ.

يَقُولُ سُبِّحْتَ وَيَحْمَدُ رَبُّهُ	مُصَلِّ عَلَى هَادٍ إِلَى النَّاسِ أُرْسِلَا
مُحَمَّدٍ الْمَبْعُوثِ خَاتَمِ الْأَنْبِيَا	وَيَرْضَى عَنِ الصَّخْبِ وَمَنْ لَهُمْ تَلَا
أَلَا هَذِهِ زَايِرَجَةُ الْعَالَمِ الَّذِي	تَرَاهُ بِحِسِّكُمْ <sup>(أ)</sup> وَبِالْعَقْلِ قَدْ جَلَا
فَمَنْ أَحْكَمَ الْوَضْعِ <sup>(ب)</sup> فَيُحْكَمُ جِسْمُهُ	وَيَدْرِكُ أَحْكَاماً تَوَثَّرُهَا <sup>(ج)</sup> الْعُلَا
وَمَنْ أَحْكَمَ الرِّبْطِ <sup>(د)</sup> فَيُدْرِكُ قُوَّةَ	وَيُدْرِكُ لِلتَّقْوَى وَلِلْكَلِّ حَصْلَا <sup>(هـ)</sup>
وَفِي عَالَمِ الْأَمْرِ تَرَاهُ <sup>(و)</sup> مُحَقَّقاً	وَهَذَا مَقَامٌ مِنْ بِالْأَذْكَارِ <sup>(ز)</sup> كَمَلَا
فَهْذِي <sup>(ح)</sup> سَرَائِرُ عَلَيْكُمْ بِكَنْهِيهَا	أَقِمُّهَا دَوَائِرَا <sup>(ط)</sup> وَبِالْحَاءِ عَدَلَا
وِطَاءٌ لَهَا عَرْشٌ وَفِيهِ نَقُوشُهَا	بِنَظْمِ <sup>(ي)</sup> وَتَثِيرٍ وَتَرَاهُ مُجَدُّولَا
وَنَسَبِ دَوَائِرِ كِنْسَبَةِ فُلْكِهَا	وَارْشُمِ كَوَاكِبَ الْأَذْرَاجِهَا الْعُلَا
وَاخْرُجْ لَاؤُتَارِهِ وَارْشُمِ حُرُوفِهَا	وَكُرِّرْ بِمِثْلِهَا <sup>(ك)</sup> عَلَى حَدٍّ مِنْ خَلَا <sup>(ل)</sup>
أَقِمِ شَكْلَ زِيَرِهِمْ <sup>(م)</sup> وَسُوِّ يُبُوتَهُ	وَحَقِّقْ بِبِمٍّ حَيْثُ نَوْرُهُمْ جَلَا
وَحَصِّلْ عُلُوماً لِلطَّبَاعِ <sup>(ن)</sup> مُهَنْدِسَا	وَعِلْمَا بَهِيَّاتٍ وَالْأَزْبَاعَ مَثَلَا
وَسُوِّ لِمُوسِيقَى وَعِلْمِ حُرُوفِهِمْ <sup>(س)</sup>	وَعِلْمِ بِآلَةٍ <sup>(س)</sup> فَحَقِّقْ وَحَصِّلَا
وَسُوِّ دَوَائِرِ وَنَسَبِ حُرُوفِهَا	وَعَالَمَهَا أَطْلِقْ <sup>(ع)</sup> وَالْأَقَالِيمَ جَدُّولَا
أَمِيرٌ لَنَا يَحْوِي <sup>(ف)</sup> بَجَايَةَ دَوْلَةٍ	زَنَاتِيَّةً أَتَتْ <sup>(س)</sup> وَحَكْمٌ لَهَا جَلَا

(أ) خ: مجنم (ب) في الحسنية، وفي ج: الوضعي (ج) في ن: تدبرها (د) ح: الرطبي فيحكم قوة.. وقد يدرك التقوى (هـ) ظ: حملا (و) ح: يكون (ز) ح: بالإدراك (ح) ح: فهذه أسرار (ط) كذا، وصوابه دوائر (ي) بنظم وترتيل تراه مجدولا (ك) في ي: بمثلها (ل) ح: ما جلا (م) خ: دائرة (ن) ح: بالطباع (س) ح: حروفها.. وعلم لتاليه (ع) ح: اطلب (ف) كذا في ج، وتحتها بالخط نفسه: يحوى، وهو ما في ي ع. وسقط هذا البيت في ح (س) وفي ن: فهو نهاية دولة.. زناية آبت وحكم لها خلا.

وَقَطَّرَ لِأَنْدَلُسٍ<sup>(أ)</sup> فَايْنُ لَهْودِهِمْ      وَفُزْسانَ وَأَهْلَ لِحْكَمَةٍ  
 مُلُوكَ وَمَهْدِي مُوحَّدٍ<sup>(ج)</sup> بَتُونَسَ حَكْمُهُمْ      / فَفُنْشُ وَيَزْشُلُونُ<sup>(ز)</sup> وَالرَّاءَ حَرْفُهُ<sup>(ز)</sup>  
 وَأَقْسِمَ عَلَى الْقَطْرِ<sup>(د)</sup> وَكُنْ مُعْتَقِدًا<sup>(د)</sup>      مَلُوكَ كَسَاوَةٍ<sup>(ح)</sup> \* وَذَلُّوا لِقَائِهِمْ<sup>(ح)</sup>  
 فَهَنْدٌ حَبَاشِيَّ \* وَسُنْدٌ فَهْرُمُسُ      [فَقِيصَرُهُمْ]<sup>(ك)</sup> حَاءٌ وَيَزْدَجَزْدُهُمْ  
 وَعَبَّاشُ كُلُّهُمْ شَرِيفٌ مَعْظَمٌ      فَإِنْ شِئْتَ تَدْقِيقَ الْمُلُوكِ وَحَلِّهِمْ  
 عَلَى حُكْمِ قَانُونِ الْحُرُوفِ وَعِلْمِهَا<sup>(م)</sup>      فَمَنْ عَلِمَ الْعُلُومَ يَعْلَمَ عِلْمَنَا  
 فِيرَسُخْ عِلْمُهُ وَيَعْرِفُ رَبَّهُ      وَحَيْثُ أَتَى اسْمٌ وَالْعَرُوضُ يَشْفَهُ<sup>(ع)</sup>  
 وَتَأْتِيكَ أَحْرَفٌ فَسَوْ لَضَرُّهَا      وَأَحْرَفٌ سَيَبُوءِيهِ تَأْتِيكَ فَيَصْلَا<sup>(ف)</sup>

(أ) في ظ: الأندلس، ولا يستقيم (ب) ن: نصيب (ج) ن: توحيد (د) في ظ: لشرق. ن: وبالشرق (ه) ج: بالآفاق  
 (و) ح: قطر وكن متفقا .. فإن شئت للرومي فيا البحر. ن: متفقاً... فإن شئت للروم فيالحر (ز) ح: برشولون بالراء حرفهم  
 (ح) ح: ملوك قناوة وذلوا لقافهم (ط) سقط ما بين النجمين من ي (ي) ح: ططاري (ك) في ظ قيصر حاء، وهو يطابق  
 ما في ح (الحسنية) (ل) من ظ، وفي ع: فخم، وفي الحسنية: فخم بيوتهم وختم. ن: وكلهم .. فخم (م) ح: وختمها (ن) من  
 ج ع ي، وفي ظ: ميلا (س) ح: ملاحم (ع) ن: يشقه (ف) من خ، وفي ح: ليعملا، وفي ع: ليقنلا.

فَكُنْ بِنِّكَيرٍ<sup>(أ)</sup> وَقَابِلْ وَعَوَّضْ  
وَفِي الْعَقْدِ وَالْمَجْدُورِ<sup>(ب)</sup> يُعْرِفُ غَالِباً  
وَاخْتَرِ لِمَطْلَعٍ وَسَوْ يُبَوِّتُهُ  
وَيَدْرِكُهَا الْمَرْءُ فَيَبْلُغُ قَصْدَهُ  
إِذَا كَانَ سَعْدٌ وَالْكَوَاكِبُ أَسْعَدَتْ  
وَإِيقَاعُ دَالِهِمْ بِمَزْمُومٍ بَمَّه  
وَأَوْتَارُ زِيرِهِمْ فَلِلْحَاءِ بَمُّهُمْ  
وَأَدْخِلْ بِأَفْلَاكِ وَعَدْلٍ بِجَدُولٍ  
وَجَوِّزْ<sup>(ج)</sup> شَدُودَ<sup>(ط)</sup> الْبَحْرِ يَجْرِي وَمِثْلُهُ  
فَأُضِلْ لِدِينِنَا وَأُضِلْ لِفِقْهِنَا  
فَادْخُلْ لِفُسْطَاطٍ<sup>(ك)</sup> عَلَى الْوَفْقِ جَذْرَهُ  
/ فَتُخْرِجْ أَيْبَاتاً<sup>(ل)</sup> فِي كُلِّ مَطْلَبٍ  
[وَبُقْيَا فَحَصَّرَ هَكَذَا]<sup>(ن)</sup> حَكْمُ عَدِّهِمْ  
فَتُخْرِجُ أَيْبَاتاً وَعِشْرُونَ ضَعُفَتْ<sup>(ع)</sup>  
بِتَرْتِيمِكَ الْغَالِي لِلْأَجْزَاءِ خُلْجِلَا  
وَزِدْ لَمْحٍ وَضَفِينِهِ فِي الْعَقْلِ فَلَا<sup>(ح)</sup>  
وَاعْكَسْ بِجَذْرِهِ وَبِالْدَّوْرِ عَدْلَا  
وَيُعْطِي حُرُوفَهَا وَفِي نَظْمِهَا الْجَلَا  
فَحُسْبُكَ فِي الْمَلِكِ وَتَيْلُ سُهْمَى الْعُلَا  
فَنَسَبٌ دَنَادِينَا تَجْدُ فِيهِ مِنْهَلَا  
وَمِثْلُهُمْ [الْمِثْلُثُ]<sup>(د)</sup> بِجَمِهِ<sup>(هـ)</sup> قَدْ جَلَا<sup>(و)</sup>  
وَارْسُمِ أَبَا جَادٍ وَبَاقِيَهُ<sup>(ز)</sup> جُمْلَاً  
أَتَى فِي عَرُوضِ الشَّعْرِ عَنْ جَمَلَةٍ مَلَا<sup>(ط)</sup>  
وَعَلِمَ<sup>(ي)</sup> لِنَحْوِنَا فَاحْفَظْ<sup>(ي)</sup> وَخَصِّلَا  
وَسَبِّحْ لِاسْمِهِ<sup>(ل)</sup> وَكَبِّرْ وَهَلِّلَا  
بِنَظْمٍ طَبِيعِيٍّ وَسِرٍّ مِنَ الْعُلَا  
فَعَلِمُ الْقَوَاتِحِ تَرَى فِيهِ سَهْبِلَا<sup>(س)</sup>  
مِنَ الْأَلْفِ طَبْعاً فَيَا صَاحِبَ جَدُولَا

5

10

[1347]

(أ) ح: بتمكين (ب) في ن: المجزور (ج) ح: فانسب دنادنا تجد فيه منهلا (د) ط: المثلث (هـ) خ: بخشمه (و) ح: حلا (ز) ح: وثلته (ح) ع: جَوِّز (ط) ع: شدد، وفي الحسنية: شددود البحر تجوز كله .. ومثله في العروض عن خله الملا (ي) ح: وأضل لنحونا فحق (ك) خ: لقسطاس (ل) ح: إلى الأسما (م) من ع ج (ن) كذا في ي، وفي ع ط ج: فحصرها كذا. وفي الحسنية: فتفى بحضر. وفي ن: وتفى بحصرها كذا حكم عدم .. منهلا (س) في حاشية ط من القاموس: السهبل، المجريء الجسور. وفي الحسنية: منهلا (ع) ح: ضعفه .



[تريك] <sup>(أ)</sup> صنائعاً من الضرب أكملت فصح لك المنى وصح لك الغلا  
وسجّع بزيرهم وأثن <sup>(ب)</sup> بنقرة أقمها دوائر <sup>(ج)</sup> لزير وحصلا  
أقمها بأوفاق وأصل لعدّها من اسرار خرفهم فعذ <sup>(د)</sup> به سلسلاً

بم س. ا. ك. و. ح. و. ه. ع. م. ن. س. ع. ب. ط. د. من ح. و. ق. ل. م. ن.

5 الكلام على استخراج نسبة الأوزان، وكيفيتها، ومقادير المقابل منها، وقوة  
الدرجة [المميزة] <sup>(هـ)</sup> بالنسبة إلى موضع المعلق، من امتزاج طبائع، وعلم طب،  
أوصناعة الكيمياء

أيا طالباً للطب مع علم جابر وعالم مقدار المقادير <sup>(و)</sup> بالولا  
إذا شئت علم الطب لا بد نسبة لأحكام <sup>(ز)</sup> ميزان تضادف منهلاً  
10 فيشفي عليكم والأكسير مُحكم وأمزاج <sup>(ح)</sup> وضعكم بتضحيح الخجلي

### الطب الروحاني

وشيت <sup>(ط)</sup> إيلوش ٨٤٨٨ وذهنه نجلا <sup>(ط)</sup> لهرام برجس وسبعة اكلا  
لتخليل أوجاع البوارد صحخوا كذلك والتركيب حيث تنقلا

(أ) من ع ج ي، وفي ظ: تريد، وفي الحسنة: تريك عجائب (ب) ح: وثن وهو الصواب (ج) من: ع ج (د) ح: فن سر  
خرفهم فقره سلسلا - (هـ) من ع ج ي، وفي ظ: المميّزة (و) ح المقادر (ز) ح: لصبة (ح) ح: وإخراج (ط) ح: وشيت  
أيا أو شر ودهنهم جلا .. لهرام برجس .



المقام الثالث ع ٤٥

المقام الرابع ۛ

المقام الخامس

المقام السادس ٢٤

المقام السَّابِعُ عَرَبِي

خط الاتصال والاشغال

خط الاتصال      الحد الرابع

خط الانفصال ~~ممدوح دود~~

الزَّيْرُ لِلْجَمِيعِ وَتَابِعِ الْجَذْرَ التَّامَ

الانفصال والاتصال

الواجب التأم في الاتصالات

إقامة الأنوار

الجذر المجيب في العمل صح ١٥٤٤

إقامة السؤال عن الملوك ٥٥١٤ ٤١٤٢٨

مقام الأولاد مقام نور عمه مقام بها 8 ح 8

## الانفعالُ الروحاني والالتقيادُ [الرباني] <sup>(١)</sup>

أيا طالبَ السرِّ تهليلَ رَبِّهِ	لدى اسمائه الحسنَى تُصادِفُ مِنْهَلَاً
يطيعك <sup>(ب)</sup> أخيارُ <sup>(ج)</sup> الأنامِ بقلِّهم	[كذلك] <sup>(د)</sup> رئيسُهم وفي الشمسِ أعمالاً
ترى عامَّةَ النَّاسِ إليك تَقَيَّدُوا <sup>(هـ)</sup>	وما قبله <sup>(و)</sup> حقاً متى الغَيْرُ أهملأ
طريقك هذا [السَّبل] <sup>(ز)</sup> و[السَّبل] <sup>(ح)</sup> الذي	أقرَّ له غيركم ونصركم احفلا
إذا شئتَ تحيَا في الوجودِ مع التَّقَى	<sup>(ح)</sup> ودينأ متينأ أو يكون مؤصلاً <sup>(ز)</sup>
/ كذي النُّونِ والجُنَيْدِ مغ سرِّ صيغة	وفي سرِّ بسنظام أراك مُسرَّبلاً
وفي العالمِ العلويِّ تكونُ مُحَدَّثاً	كذا قالت الهندُ وصوفيَّةُ المَلَأ
طريقُ رسولِ الله بالحقِّ ساطِعٌ	وما حُكِّم صنع مثل جبريل أنزلا
فبسطُك <sup>(ط)</sup> تهليلٌ وقوسُك مَطْلَعٌ <sup>(ي)</sup>	ويوم الخميس البدءُ <sup>(ك)</sup> والأحدُ انجلى
وفي جمعه أيضاً بالاسماء مثله	وفي اثنين للحسنَى يكونُ مُكَمَّلاً
وفي طائفه سرٌّ وفي هائيه إذا	<sup>(ل)</sup> أراك بها مع نسبة الكلِّ أعظلاً <sup>(ج)</sup>
وساعةً سَعِدِ شرطهم في نقوشها <sup>(م)</sup>	وعودٌ ومصطكى بخورٍ تحصلاً <sup>(م)</sup>
ويُثَلَّى عليها آخرَ الحشرِ دعوةً	والإخلاص والسَّبع المثاني مرتلاً

[348]

(١) ظ: السرياني (ب) ظ: تطيعك (ج) ع: أحبار (د) ظ: لذلك، أو كذلك، والبيت في الحسنية: تطيعك كسل الناس طرأ بأسرهم ..... كذا رؤسؤهم وفي الشمس أعمالاً (هـ) ح: تغيروا (و) خ: قلته (ز) ظ: السبيل، ورواية الحسنية: طريقك هذا وهي السبل التي أقرت بغيركم ونصركم جلا (ح) العجز في ح: بأوتارك العليا يحيط بها القلا (ط) ح: فنشك، وفي خ: فبسطك (ي) سقط ما بين النجمين من ج (ك) ع البدء، والعجز في ح: ويومك برجيس وبالأحد انجلا (ل) العجز في ح: أدت فدائك تكون معطلا (م) في ح: .... نقوشهم وفي عود مصطكى بخور تجملاً .

اتصال أنوار الكواكب للعلماء (كذا) لا تخرج إلا ٢ سم نصح به فلم يقدّر

وفي يدك اليمنى حديد وخاتم      وكل براسك وفي دعوة فلا  
 وآية حشر فاجعل القلب لونها<sup>(أ)</sup>      واثقل إذا نام الأنام وزئلا  
 هي السر في الأكوان لاشيء غيرها      هي الآية العظمى فحق وحصلا  
 تكون بها قطباً إذا جذت خدمة      وتدرك أسراراً من العالم العلا  
 سري بها ناجي ومعروف بغده<sup>(ب)</sup>      وباح بها الحلاج جهمراً فقئلاً<sup>(ب)</sup>  
 وكان بها الشبلي يذاب<sup>(ج)</sup> دائماً      إلى أن رقى فوق المريدن واغتنى  
 فصّف<sup>(د)</sup> من الأذناس قلبك جاهداً      ولازم لأذكار وضّم وتثقل  
 فما نال سر القوم إلا مُحقق      عليم بأسرار العلوم مخلصاً  
 ١٠      ثم يرفع الأيدي الح دقل مرجح اذ لم  
 ١١      ثم يرفع الأيدي الح دقل مرجح اذ لم

مقام المحبة، وميل النفوس، والمجاهدة، والطاعة، والعبادة، وحب، وتعشق،  
 وفناء الفناء، وتوجه، ومراقبة، وخلة<sup>(هـ)</sup> دائمة الانفعال الطبيعي

ليرجيس في المحبة الوقف صرّفوا      بقصدير<sup>(و)</sup> أو نحاس<sup>(و)</sup> الخلط أغملاً<sup>(ز)</sup>  
 وقيل بفضة صحيحاً رأيته      فجعلك طالعا خطوطه<sup>(ح)</sup> ما علا  
 / توح<sup>(ط)</sup> به زيادة النور للقمز      وجعلك للقبول شمساً أصلاً

[348ب]

(أ) في ن: ونجها (ب) ح: قبله. فأغفلا (ج) ح: يراقب (د) ح: فنظف (هـ) من ي، وجاءت مصلة في النسخ الأخرى  
 (و) ح: بقصدير أو حديد (ز) ن: أكلا (ح) من ط ع، وفي ج ي: حظوظه (ط) ح: شخ.

ويؤمّه والبخورُ عودٌ لهنديهم      ووقّت لساعةٍ ودعوته إلى  
ودعوته لغاية فهي أعملت      وعن طيسمان دعوة ولها حلى  
وقيل بدعوة حروف لوضعها      بحرّ هواءٍ أو مطالب أهلاً  
فتنقشُ أخرفاً بدالٍ ولايها      وذلك وفقّ للمرّبع حصلاً  
إذا لم يكن يهوى هواك دلّالها      فذاك ليندو واو زرنب<sup>(أ)</sup> معطلا<sup>(١)</sup>  
فحسن لبائيه وبائهم إلى      هواك وباقيهم قلبه جملاً  
ونقش<sup>(ب)</sup> مشاكل بشرطٍ لبعضهم<sup>(ج)</sup>      وما زدت نسبة لفعلك عدلاً<sup>(د)</sup>  
ومفتاح مزيم وفعلها سوا      فنودي<sup>(هـ)</sup> وبسطاميّ سورتها تلا  
وجعلك بالعُضد<sup>(و)</sup> وكن مُتفقداً      أدلةً وخشي لنصّه مثلاً  
فاعكس بيوتها بألفٍ وتيف      بباطنها سرّ وفي سرّها انجلاً<sup>(ز)</sup>

### فصل في المقامات للنهاية

لك الغيبُ صورةً من العالم العلأ      ويوجد لها داراً وملبسها الحلى<sup>(ح)</sup>  
ويوسف في الحُسن وهذا شبيهه      بسرّ<sup>(ط)</sup> وترتيل حقيقة أنزلا  
وفي يده طولٌ وفي الغيب ناطقٌ      فيخكي إلى عود<sup>(ي)</sup> يجاذب بلبلا  
وقد جنّ بهلول بعشق جمالها      وعند تجلّيا لبسطام أخذلاً

(أ) ح: واو زرنب مبطلا (ب) ح: ونقش (ج) ن: لوضعهم (د) ح: كلاً (هـ) ن: فبوري (و) ح: للعضو (ز) خ: انجلى .  
(ح) البيت في الحسنية: إلى الغيب صورة من العالم الملا وتتركها الدار [أو منزلها] العلأ (ط) من ظ، ونقرأ في ي: بنثر،  
وفي ج: بنثر. وجاء في العجز في الحسنية: بنظم وترتيب تراه مجذلاً (ي) في ح: فيخكي بعوده يجاذب بلبلاً .

ومات احله<sup>(ا)</sup> وأُشرب حُبَّها  
 فيطلبُ في التَّهْلِيلِ غايَتَه ومن  
 ومن صاحب<sup>(ج)</sup> الحسنى له الفوزُ [بالمُنَى]<sup>(د)</sup>  
 وتُخبر<sup>(ز)</sup> بالغَيْبِ إذا جدت<sup>(ز)</sup> خدمة  
 فهذا هو الفوزُ وحسن يناله  
 جُنَيْدٌ وبَضْرِيّ والجسم أهمل<sup>(ا)</sup>  
 بأسمائه الحسنى<sup>(ب)</sup> بلا نسبةٍ خلا<sup>(ب)</sup>  
 ويُسمُّهم<sup>(هـ)</sup> بالزُّلْفَى لدى<sup>(و)</sup> جيرة العُلا  
 تُريك<sup>(ز)</sup> عجائباً لمن كان مؤثلاً  
 ومنها زياداتٌ لتفسيرها تلاً  
 5

### الوصية، والتَّخْتُمُ، والإيمان، والإسلام، والتَّحْرِيمُ، والأهلية

[349] / فهذا قصيدتنا، وتسعونَ عَدُّهُ  
 عَجِبْتُ لأَيَّاتٍ وتسعونَ عَدُّها  
 فمن فهم السِّرِّ فيفهم نفسه  
 حرام وشرعي لإظهار<sup>(ط)</sup> سرِّنا  
 فإن شئت أهله<sup>(ك)</sup> فغلظ<sup>(ك)</sup> يمينهم  
 لعلك أن تنجو وسامع سرِّهم<sup>(ل)</sup>  
 [فتَجَلَّ]<sup>(م)</sup> لعباس لسره كاتم  
 وما زادَ خطبةً وختماً وجذولا  
 تولَّدَ آياتاً وما حضرها انجلى  
 ويفهم تفسيرا متشابه<sup>(ح)</sup> اشكلا  
 لناس وإن خُصَّوا وكان التأهلا<sup>(ي)</sup>  
 وتفههم برُجْلة<sup>(ك)</sup> ودين تطولا  
 من القطع بالإفشا فتَرَأْسُ بالُعلا<sup>(ل)</sup>  
 فنال سعاداتٍ وتابعه علا<sup>(ن)</sup>  
 10

(أ) كلمة مَحْمَلَةٌ في كل الأصول، وفي ح: خُوِّلِدَ، وبقية العجز فيها: حقيقته مَهْدٌ [فهو] لذي الجسم أشملا (ب) ح: مناسبة جلا (ج) ح: صحب (د) من ع، وفي الأصول الأخرى: بالتهى، وفي خ: بالتبي (هـ) ح: أرحح قراءة الكلمة: يسعد (و) ي والحسنية: لذي (ز) ح: يخبر - جاد - ثريه (ح) كذا في الأصول ولا يصح، وفي ح: يُشابه (ط) كذا وفي ح: حرام على من رام إظهار سرِّنا (ي) ح: وإن خُصَّوا بعلم تأصلا (ك) ح: ... فقااض عليهم وتفههم برحمة ودين تطولا (ل) ح: لعلكم تنجوا ويبلغ سرهم من القطع بالأساس ترى سررا العلا (م) من ج ي، ومثلها في ظ محملة، وفي ع: حمل، وفي الحسنية: حمل (ن) في العجز في ح: ينال سعادة وتألفه علا (ورثا: وتابعه علا).











## ١/ كَيْفِيَّةُ الْعَمَلِ فِي اسْتِخْرَاجِ أَجْوِبَةِ الْمَسَائِلِ مِنْ مَرَايِرِجَةِ الْعَالَمِ، بِجَوْلِ اللَّهِ

السؤال له ثلاثمائة وستون جواباً، عدّة الدّرج. وتختلف الأجوبة عن سؤال واحد في طالع مخصوص باختلاف الأسئلة المضافة إلى حروف الأوتار وتناسب العمل من استخراج الحروف من بيت القصيدة.

### تنبيه:

تركيب حروف الأوتار والجداول على ثلاثة أصول: حروف عربية تُنقل على هيئاتها، وحروف برشم الغبار. وهذه<sup>(١)</sup> تتبدّل، فمنها ما يُنقل على هيئته متى لم تزد الأوتار عن أربعة، [فإن زادت عن أربعة]<sup>(ب)</sup> نُقلت إلى المرتبة الثانية من مرتبة العشرات؛ وكذلك لمرتبة المئين، على حسب [العمل]<sup>(ج)</sup>، كما سنبيّنه.

ومنها حروف برشم الزّمام كذلك، غير أنّ رشم الزّمام يُعطي نسبة ثانية<sup>(د)</sup>. فهي بمنزلة واحد ألف وبمنزلة عشرة، ولها نسبة من خمسة بالعربي. فاستحقّ البين من الجدول أن توضع فيه ثلاثة حروف في هذا الرّشم، وحر[فان]<sup>(هـ)</sup> في الرّشم. فاختصروا من الجدول بيوتاً خالية، فمتى كانت أصول الأوتار زائدة على أربعة، حُسبت في العدّ في طول الجدول. وإن لم تزد عن أربعة، لم يُحسب إلاّ العامر منها.

(١) ج: وهي (ب) من: ع ج ي (ج) من ع ي ج، وفي ظ: المئين (د) بعدها في ج فراغ لكلمة (هـ) في الأصول كلها: حرفين.

والعمل في السؤال يُفْتَقَرُ إلى [سبعة]<sup>(أ)</sup> أصول، عدَّة حُرُوفِ الأوتارِ وحفظُ

أدوارها بعد طَرَحِها، اثنا عشر؛ وهي ثمانية أدوارٍ في الكامل، وستَّة في الناقص  
أبدأ. ومعرفة دَرَجِ الطَّالع، وسُلطان البُرْج، والدَّور الأكبر الأصلي، وهو واحدٌ أبدأ.

وما يخرجُ من إضافة الطَّالع للدَّور الأصلي، وما يخرجُ من ضَرْبِ الطَّالع والدَّور في  
سُلطان البُرْج، وإضافة سُلطان البُرْج للطَّالع. والعمل جميعه يَنْتُجُ على ثلاثة أدوارٍ 5

مضروبة في أربعة، تكن [اثني]<sup>(ب)</sup> عَشْرَ دَوْرًا. ونسبة هذه الثلاثة أدوارٍ التي هي  
كلُّ دَوْرٍ من أربعة....<sup>(ج)</sup> ثلاثة، كلُّ نَشْأَةٍ لها ابتداء. ثمَّ إنها تُضْرَبُ أدواراً رباعية

[...] <sup>(د)</sup> أيضاً ثلاثية. ثمَّ إنها / من ضَرْبِ ستَّةٍ في اثنين، فكان لها نَشْأَةٌ، [...] <sup>(هـ)</sup> [353] يظهر ذلك في العمل.

وتَنْتُجُ هذه الأدوار نتائج، وهي [...] <sup>(و)</sup> الأدوار، إمَّا أن تكونَ نتيجةً أو أكثر 10  
إلى ستَّة.

فأول ذلك نفرض سؤال سائلٍ عن الزِّيْرَجَةِ<sup>(ز)</sup>: هل هي عِلْمٌ مُحَدَّثٌ أم

قديم؟ بطالع أول دَرَجٍ من القَوْس. فوضعنا حروفَ وَتَرٍ رَأْسِ القَوْس، ونظيره من  
رأس الجُوزاء، وثالِثَةِ وَتَرٍ رأس الدَّلْوِ إلى حدِّ المَزَكِز. وأضفنا إليه حروفَ السؤال.

ونظرنا عدَّتَها، وأقلُّ ما تكونُ ثمانية وثمانين، وأكثرُ ما تكونُ ستَّة وتسعين، وهو 15  
جُمْلَةُ دَوْرٍ صحيح. فكانت في سؤالنا ثلاثة وتسعين. ويختصرُ السؤالُ إن زادَ على

(أ) في الأصول: سبع (ب) في الأصول: اثنا (ج) بين الكلمتين في ط ع ج ي فراغ لكلمة (د) في حاشية ع مخرج به كلمة:  
بياض، وترك هذا البياض في ط ج ي (هـ) بياض بقدر كلمتين في الأصول الأربعة (و) وضع بياض بقدر كلمة في الأصول  
(ز) هكذا جاءت هنا بحذف حرف المد بعد الزاي.



ستة وتسعين، كما تسقط جميع أدواره [الاثني]<sup>(أ)</sup> عشريّة، ويحفظ ما خرج منها وما بقي؛ فكانت في سؤالنا سبعة أدوار، الباقي تسعة، أثبتّها في الحروف ما لم يبلغ الطّالع [اثني]<sup>(ب)</sup> عشر درجاً. فإن بلغها<sup>(ج)</sup> لم تثبت لها عدّة ولا دور. ثمّ تثبت أعدادها أيضاً، إن زاد الطّالع عن أربعة وعشرين في الوجه الثالث.

5 ثمّ تثبت الطّالع، وهو واحد، وسلطان الطّالع، وهو أربعة، والدّور الأكبر، وهو واحد. واجمع ما بين الطّالع والدّور، وهو اثنان في هذا السؤال، واضرب ما خرج منها في سلطان البرج، يبلغ ثمانية. وأضف السلطان للطّالع، [يكن]<sup>(د)</sup> خمسة. فهذه سبعة أصول.

10 فما خرج من ضرب الطّالع والدّور الأكبر في سلطان القوس، ما لم يبلغ [اثني]<sup>(هـ)</sup> عشر فيه<sup>(و)</sup>، تدخل في ضلع ثمانية من أسفل الجدول صاعداً. وإن زاد على [اثني]<sup>(هـ)</sup> عشر، طرح أدواراً. وتدخل بالباقي في ضلع ثمانية، وتعلم على منتهى العدد. والخمسة المستخرجة من السلطان والطّالع، يكون [المدخل]<sup>(ز)</sup> في ضلع السطح المبسوط الأعلى من الجدول. وتعدّ متوالياً خمساً أدواراً وتحفظها إلى أن يقف العدد في مقابلة البيوت العامرة بالعدد من الجدول. وإن وقف في مقابلة

15 الخالي من بيوت / الجدول على أحدهما فلا تتعبّر، وتستمّر على أدوارك على [353ب] حزف من أربعة، وهو ألف أو باء أو جيم أو زاي. فوق العدد في عملنا على حزف ألف وخلف ثلاثة أدوار. فضرربنا ثلاثة في ثلاثة، كانت تسعة، فهو عدد الدور

(أ) في الأصول: اثنا (ب) في الأصول: اثنا (ج) في ي: بلغ (د) في الأصول: يكون (هـ) في الأصول: اثنا (و) ع ج: فيه (ز) من ع، وفي ط ج ي: الطّالع.

الأول، فأثبتته، واجمع ما بين الصلغين القائم والمبسوط [يكن] <sup>(أ)</sup> في بيت ثمانية.

وادخل بعدد ما في الدور الأول، وذلك تسعة في صدر الجدول مما يلي البيت الذي اجتمع فيه، ماراً إلى جهة اليسار، وهو ثمانية. فوق على حرف لام ألف، ولا يخرج أبداً منها حرف مركب، وإنما هو إذن حرف تاء، أربعمائة برشم الزمام. فعلم عليها بعد نقلها من بيت القصيدة.

5

واجمع عدد الدور للسلطان، يبلغ ثلاثة عشر، ادخل بها في حرف الأوتار، وأثبت ما وقع عليه العدد، وعلم عليه من بيت القصيدة.

ومن هذا القانون، تدري كم تدور الحروف في النظم الطبيعي. وذلك أن تجمع حرف الدور الأول، وهو تسعة لسلطان البحر، وهو أربعة، يبلغ ثلاثة عشر. أضفها لمثلها، تكن ستة وعشرين. أسقط منه درج الطالع، وذلك واحد في هذا السؤال، الباقي خمسة وعشرون.

10

فعلى ذلك يكون نظم الحرف الأول، ثم ثلاثة وعشرون مرتين، ثم اثنان وعشرون مرتين، على حسب هذا الطرح، إلى أن تنتهي إلى الواحد من آخر البيت المنظوم. ولا تقف على أربعة وعشرين لطرح ذلك الواحد أولاً [.....] <sup>(ب)</sup>.

ثم ضع الدور الثاني، و[أضف] <sup>(ج)</sup> حروف الدور الأول إلى ثمانية، الخارجة من ضرب الطالع والدور في السلطان، [يكن] <sup>(د)</sup> سبعة عشر، الباقي خمسة.

15

(أ) في ظ: يكون (ب) كلمة مشطوبة في ع، وفي ظ ج ي يياض (ج) في ع ج ي: وطف، وفي ظ: وضف والمؤلف يستعمل "ضف" في أكثر مواقع ورودها القادمة، فعدّلناها بفعل الأمر من الرباعي "أضف" (د) ظ: يكون.

فاصعد في ضلع ثمانية بخمسة من حيث انتهت في الدور الأول، وعلم عليه. وادخل  
 في صدر الجدول بسبعة عشر، ثم بخمسة، ولا تعد الخالي<sup>(١)</sup>. والدور عشري،  
 فوجدنا / حرف ثاء، خمسمائة. وإنما هو ن، لأن دورنا في مرتبة العشرات. وكانت [١٣٥٤]  
 الخمسمائة بخمسين، لأن دورها سبعة عشر. فلو لم تكن سبعة وعشرين لكان مئتيناً.  
 5 فأثبت نون. ثم ادخل بخمسة أيضاً من أوله، وانظر ما حاذى ذلك من السطح تجذ  
 واحداً. قهقير العدد واحداً، يقع على خمسة. أضف لها واحد السطح [يكن] (ب)  
 ستة. أثبت واو، وعلم عليها من بيت القصيد أربعة، وأضفها (ج) للثمانية الخارجة من  
 ضرب الطالع مع الدور في السلطان، يبلغ [اثني] (د) عشر، أضف لهما الباقي  
 من الدور الثاني، وهو خمسة، يبلغ سبعة عشر، وهو ما للدور الثاني، فدخلنا  
 10 بسبعة عشر في حروف الأوتار، فوق العدد على واحد، أثبت ألف وعلم عليها  
 من بيت القصيد، وأسقط من حروف الأوتار ثلاثة حروف، عدة الخارجة من  
 الدور الثاني.

وضع الدور الثالث، وأضف (هـ) خمسة إلى ثمانية يكن ثلاثة عشر، الباقي  
 واحداً. انقل الدور في ضلع ثمانية بواحد، وادخل في بيت القصيد بثلاثة عشر.  
 15 \* وخذ ما وقع عليه العدد، وهو ق. وعلم عليه، وادخل بثلاثة عشر \* (و) في حروف  
 الأوتار، وأثبت ما خرج، وهو س. وعلم عليه من بيت القصيد. ثم ادخل مما يلي

(١) ي: الخال (ب) في الأصول: يكون (ج) ي ج: وضفها (د) في الأصول: اثنا (هـ) ظ ج ي: ضف (و) سقط ما بين  
 النجمين من ي .



السَّيْنِ الخارجةً بالباقي من دَوْر ثلاثة عشر، وذلك واحدًا. فخذ ما يلي حرف سين من الأوتار، فكان ب، أثبتتها وعلم عليها من يئت القصيد. وهذا يقال له: الدَّور المَظْطُوف، وميزانه صحيح؛ وهو أن تضعف ثلاثة عشر بمثلها إليها و[تضيف]<sup>(أ)</sup> إليها الواحد الباقي من الدَّور، تبلغ<sup>(ب)</sup> سبعة وعشرين. وهو حرف بَاء المستخرج من الأوتار من يئت القصيد. واذخل في صدر الجدول بثلاثة عشر، وانظر ما قابله 5 من السَّطْح، وأضعفه<sup>(ج)</sup> بمثله، وزد عليه الواحد الباقي من ثلاثة عشر. فكان حرف جيم. فكانت الجملة سبعة \* . فذلك حرف زاي. فأثبتناه، وعلمنا عليه من يئت القصيد. وميزانه أن تضعف / سبعة \*<sup>(د)</sup> بمثلها، وزد عليها الواحد الباقي من ثلاثة عشر، [يكن]<sup>(هـ)</sup> خمسة عشر. وهو الخامس عشر من بيت القصيد. وهذا آخر أدوار الثلاثيات.

10

وضع الدَّور الرابع، وله من العددي تسعة، بإضافة الباقي من الدَّور السابق، فاضرب الطالع مع الدَّور في السلطان؛ وهذا الدَّور آخر العمل في البيت الأول من الرباعيات.

فاضرب على حرفين من الأوتار، واصعد بتسعة في ضلع ثمانية، واذخل بتسعة من دَوْر الحرف الذي أخذته آخرًا من يئت القصيد؛ فالتاسع حرف راء، 15 فأثبتناه وعلمنا عليه. واذخل في صدر الجدول بتسعة، وانظر ما قابله من السَّطْح [يكن]<sup>(هـ)</sup> جيم. فتهقر العدد واحدًا، [يكن]<sup>(هـ)</sup> ألف. [وهو الثاني من حرف الراء من

(أ) ظ: تضعف (ب) ع ج ي: يبلغ (ج) في ج: وأضفه (د) سقط ما بين النجمين من ي (هـ) في الأصول: يكون.

بَيَّتَ الْقَصِيدَ؛ فَأَثْبَتَهُ وَعَلَّمَ عَلَيْهِ ، وَعَدَّ مِمَّا يَلِي الثَّانِي تِسْعَةً يَكُنْ <sup>(أ)</sup> [أَلْف] <sup>(ب)</sup> أَيْضاً  
 أَثْبَتَهُ وَعَلَّمَ عَلَيْهِ، وَاضْرَبَ عَلَى حَرْفٍ مِنَ الْأَوْتَارِ ، وَأَضِيفَ تِسْعَةٌ لِمِثْلِهَا <sup>(ج)</sup>، تَبْلُغُ  
 ثَمَانِيَةَ عَشَرَ. وَادْخُلْ بِهَا فِي حُرُوفِ الْأَوْتَارِ ، تَقِفْ عَلَى حَرْفِ رَاءٍ، أَثْبَتَهَا وَعَلَّمَ عَلَيْهَا  
 مِنْ بَيَّتَ الْقَصِيدَ ثَمَانِيَةَ وَأَرْبَعَةَ . وَادْخُلْ بِثَمَانِيَةَ عَشَرَ فِي حُرُوفِ الْأَوْتَارِ، تَقِفْ عَلَى  
 5 س <sup>(د)</sup>. أَثْبَتَهَا وَعَلَّمَ عَلَيْهَا اثْنَيْنِ . وَأَضِيفَ اثْنَيْنِ إِلَى تِسْعَةٍ تَكُنْ أَحَدَ عَشَرَ . ادْخُلْ فِي  
 صَدْرِ الْجَدُولِ بِأَحَدَ عَشَرَ ، فَقَابِلْهَا مِنَ السَّطْحِ أَلْفٌ . أَثْبَتَهَا وَعَلَّمَ عَلَيْهَا سِتَّةً.

وَضَعَ الدَّوْرَ الْخَامِسَ ، وَعَدَّتُهُ سَبْعَةَ عَشَرَ، الْبَاقِي خَمْسَةٌ، اصْعَدْ بِخَمْسَةِ فِي  
 ضِلْعِ ثَمَانِيَةٍ، وَاضْرَبْ عَلَى حَرْفَيْنِ مِنَ الْأَوْتَارِ، وَأَضِيفْ خَمْسَةٌ بِمِثْلِهَا، وَأَضِفْهَا إِلَى  
 سَبْعَةِ عَشَرَ، عَدَدَ دَوْرِهَا . الْجُمْلَةُ سَبْعَةٌ وَعِشْرُونَ . ادْخُلْ بِهَا فِي حُرُوفِ الْأَوْتَارِ  
 10 فَتَقِفْ عَلَى تَ. أَثْبَتَهَا وَعَلَّمَ عَلَيْهَا اثْنَيْنِ وَثَلَاثَيْنِ، وَاطْرَحْ مِنْ سَبْعَةِ عَشَرَ اثْنَيْنِ الَّتِي هِيَ  
 فِي أُسِّ اثْنَيْنِ وَثَلَاثَيْنِ، الْبَاقِي خَمْسَةُ عَشَرَ . ادْخُلْ بِهَا فِي حُرُوفِ الْأَوْتَارِ تَقِفْ عَلَى  
 قَافٍ ، أَثْبَتَهَا وَعَلَّمَ عَلَيْهَا سِتَّةَ وَعِشْرِينَ . وَادْخُلْ فِي صَدْرِ الْجَدُولِ بِسِتَّةَ وَعِشْرِينَ ،  
 تَقِفْ عَلَى اثْنَيْنِ بِالْغُبَارِ. وَذَلِكَ / حَرْفُ بَاءٍ . أَثْبَتَهُ، وَعَلَّمَ عَلَيْهِ أَرْبَعَةَ وَخَمْسِينَ.

[355]

وَاضْرَبْ عَلَى حَرْفَيْنِ مِنَ الْأَوْتَارِ، وَضَعَ الدَّوْرَ السَّادِسَ وَعَدَّتُهُ ثَلَاثَةَ عَشَرَ.  
 15 الْبَاقِي مِنْهُ وَاحِدٌ . فَتَبَيَّنَ إِذَا ذَاكَ أَنَّ دَوْرَ النَّظْمِ مِنْ خَمْسَةِ وَعِشْرِينَ ، فَإِنَّ الْأَدْوَارَ  
 خَمْسَةٌ وَتِسْعُونَ، وَسَبْعَةُ عَشَرَ، وَخَمْسَةٌ، وَثَلَاثَةُ عَشَرَ، وَوَاحِدٌ. فَاضْرَبْ خَمْسَةَ  
 فِي خَمْسَةِ تَكُنْ خَمْسَةُ وَعِشْرِينَ، وَهُوَ الدَّوْرُ فِي نَظْمِ الْبَيْتِ. فَانْقَلِبِ الدَّوْرَ فِي ضِلْعِ

(أ) فِي الْأَصُولِ: يَكُونُ (ب) مِنْ ع ج ي، وَسَقَطَ مِنْ ظ (ج) مِنْ ع ج ي، وَفِي ظ: بِمِثْلِهَا (د) كَذَا فِي ظ ي، وَفِي حَاشِيَةِ  
 ع وَحَاشِيَةِ ج: صَوَابُهُ عَلَى رَأْيٍ .

ثمانية بواحد. ولكن لم يُدخلوا في بيت القصيد ثلاثة عشر كما قدّمناه، لأنّه دَوَّرَ ثاني من نشأة تركيبية ثانية؛ بل أضفنا الأربعة التي من أربعة وخمسين الخارجة على حرف بَاء من بيت القصيد إلى الواحد، يكون خمسة. فأضف خمسة إلى ثلاثة عشر التي للدور، تبلغ ثمانية عشر. ادخل في صدر الجدول بها، وخُذ ما قبلها من السطح، وهو ألف. أثبتّه وعلم عليه من بيت القصيد اثني عشر<sup>(أ)</sup>. واضرب عليه 5 حرفين من الأوتار.

ومن هذا الحدّ تنظر أحرف السؤال، فما خرج منها زُدّه مع بيت القصيد من آخره، وعلم عليه من<sup>(ب)</sup> حروف السؤال ليكون داخلاً في العدد في بيت القصيد، وكذلك تفعل بكل حرف خرج بعد ذلك مناسباً لحروف السؤال، فما خرج منها زُدّه إلى بيت القصيد من آخره وعلم عليه. وكذلك تفعل بكل حرف 10 خرج بعد ذلك مناسباً لحروف السؤال.

ثم أضف إلى ثمانية عشر ما علمته على حرف الألف من الآحاد، فكان اثنين، تبلغ الجملة عشرين. ادخل بها في حروف الأوتار، تقف على حرف راء. أثبتّه وعلم عليه من بيت القصيد ستة وتسعين، وهو نهاية الدور في الحرف الوترى.

فاضرب على حرفين من الأوتار، وضع الدور السابع، وهو ابتداء المخترع 15 ثاني ينتشي من الاختراعين<sup>(ج)</sup>. وبهذا الدور من العدد تسعة، تضاف لها واحداً يكن [عشرة]<sup>(د)</sup> [للنشأة]<sup>(هـ)</sup> الثانية.

(أ) كذا بخطه في حاشية ع، لم يعربها، كما كررها سابقاً (ب) سقط من ع (ج) كذا في ع ظ ج ي، وهو غير واضح المعنى (د) كذا في ع، وفي ظ ج ي: عشرين (هـ) في ظ: للنشأة.

/ وهذا الواحدُ تزيدهُ بَعْدُ إلى [اثني]<sup>(١)</sup> عشرَ دَوْرًا إذا كان من هذه النسبة، [355ب]

أو تُنْقِصُه من الأَصْل. تبلغُ الجملةُ عشرةَ. فاصعد في ضِلَع ثمانية وتسعين، وادْخُلْ في  
صُدْر الجدولِ بعشرة، تقف على خمسمائة. وإنما هي خمسون، نون، مُضَاعَفَةٌ بِمَثَلِهَا،  
وتلك ق. فأثبتها وعَلِّمْ عليها من يَبْتَ القصيدِ اثْنين وخمسين. وأسْقِطْ من اثْنين  
5 وخمسين اثْنين، وأسْقِطْ تسعةَ التي للدَّورِ الباقي أحد وأربعون. فادْخُلْ بها حُرُوف  
الأوتار، تقف على واحدٍ، أثْبَتْهُ. وكذلك ادْخُلْ بها في يَبْتَ القصيدِ \*تجد واحدًا.  
فهذا ميزانُ هذه النِّشَاةِ الثانية، تُعَلِّمْ عليه من يَبْتَ القصيدِ \*<sup>(ب)</sup> علامتين، علامة  
في الألف الأخير الميزاني، وأخرى على الألف الأولى فقط؛ والثانية أربعة  
وعشرون. واضربْ على حرفين من الأوتار، وَضَعِ الدَّورَ الثاني وعددهُ سبعة  
10 عشر. الباقي خمسة. ادْخُلْ في ضِلَع ثمانية وخمسين، وادْخُلْ في يَبْتَ القصيدِ  
بِخَمْسَةِ تَقَع على ع، سبعين، أثْبَتْها وعَلِّمْ عليها. وادْخُلْ في الجدولِ بِخَمْسَةِ، وَخُذْ ما  
قَابَلَهَا من السَّطْح، وذلك واحدًا، أثْبَتْهُ وعَلِّمْ عليه من البَيْتِ ثمانية وأربعين. وأسْقِطْ  
واحدًا من ثمانية وأربعين للأُسِّ الثاني، وأضِفْ لها خمسةَ الدَّور. الجملةُ اثْنانِ  
وخمسون. ادْخُلْ بها في صُدْر الجدول، تقف على حَرْفِ اثْنين غُبَارِيَّة. وهي مرتبة  
15 مِثْنِيَّة لِتَزَايِدِ العَدَدِ، فتكون مائتين، وهي حَرْفِ راء. أثْبَتْها وعَلِّمْ عليها من يَبْتَ  
القصيدِ أربعة وعشرين. فانتَقِلْ الأَمْرُ من سِتَّةٍ وتسعين إلى الابتداء، وهو أربعة  
وعشرون، فأضِفْ إلى أربعة وعشرين خمسةَ الدَّور، وأسْقِطْ واحدًا، تَكُنِ الجُمْلَةُ

(١) في الأصول: اثنا (ب) سقط ما بين النجمين من ج.

ثمانية وعشرين. ادخل بالنصف منها في يئت القصيد، تقف على ثمانية. أثبت ح وعلم عليها.

[356] وضع الدور التاسع ، وعدده ثلاثة عشر ، الباقي واحد . / اصعد في ضلع ثمانية بواحد . وليست نسبة العمل هنا كنسبتها في الدور السادس ، لتضاعف العدد ، ولأنه من النشأة الثانية ، ولأنه أول الثلث الثالث من مربعات البروج ، 5 وآخر النسبة الرابعة من المثلثات.

فاضرب ثلاثة عشر التي للدور في أربعة التي هي مثلثات البروج السابقة. الجملة اثنان وخمسون. ادخل بها في صدر الجدول، تقف على حرف اثنين غبارية. وإنما هي مئينية لتجاوزها في العدد عن مرتبتي الاحاد والعشرات . فأثبتته مائتين، 10 راء ، وعلم عليها من يئت القصيد ثمانية وأربعين . وأضف إلى ثلاثة عشر الدور واحد الأس، وادخل بأربعة عشر في يئت القصيد، تبلغ ح، فعلم عليها ثمانية وعشرين. واطرخ من أربعة عشر سبعة، تبق سبعة.

اضرب على حرفين من الأوتار، وادخل بسبعة تقف على حرف لام، أثبتته وعلم عليه من البئت.

15 وضع الدور العاشر ، وعدده تسعة . وهذا ابتداء المثلثة الرابعة . واصعد في ضلع ثمانية بتسعة يكن خلاء. فاصعد بتسعة ثانية تصير في السابع من الابتداء؛ اضرب تسعة في أربعة لعودنا بتسعتين، وإنما كانت تضرب في اثنين. ادخل في الجدول بستة وثلاثين، تقف على أربعة زمامية . وهي عشرية، فأخذناها أحادية

لقلة الأدوار. فأثبت حرف دال. وإن أضفت إلى ستة وثلاثين واحد الأس، كان  
 حذها من بيت القصيد، فعلم عليها. ولو دخلت بتسعة، لا غير، من غير ضرب في  
 صدر الجدول، لوقف على ثمانية، فاطرح من ثمانية وأربعين، الباقي أربعة، وهو  
 المقصود. ولو دخلت في صدر الجدول بثمانية عشر التي هي تسعة في اثنين، لوقف  
 على واحد زمامي، وهو عشري. فاطرح منه اثنين تكرر التسعة، الباقي ثمانية،  
 5 نصفها المطلوب. ولو تدخل في صدر الجدول بسبعة وعشرين، ضربها / في ثلاثة، [356ب]  
 لوقف على عشرة زمامية، والعمل واحد.

ثم ادخل بتسعة في بيت القصيد، وأثبت ما خرج، وهو ألف، ثم اضرب  
 تسعة في ثلاثة التي هي مركب تسعة الماضية، وأسقط واحداً، وادخل في صدر  
 الجدول بستة وعشرين، وأثبت ما خرج، وهو مائتان بحرف راء، وعلم عليه من  
 10 بيت القصيد بستة وتسعين.

واضرب على حرفين من الأوتار، وضع الدور الحادي عشر، وله سبعة  
 عشر، الباقي خمسة. اصعد في ضلع ثمانية بخمسة، وتحسب ما تكرر عليه المشي في  
 الدور الأول. وادخل في صدر الجدول بأربعة، تقف على [خاء]<sup>(1)</sup>، فخذ ما قابله من  
 السطح، وهو واحد. فادخل بواحد في بيت القصيد [تكن]<sup>(ب)</sup> س<sup>(ج)</sup>. أثبتته وعلم  
 15 عليه أربعة. ولو يكون الوقوف في الجدول على بيت عامر لأثبتنا الواحد ثلاثة.  
 وأضعف سبعة عشر بمثلها، وأسقط واحدًا، وزدّها أربعة، تبلغ سبعة وثلاثين.

(1) من ع، وفي ظ ج ي: خال (ب) في الأصول: تكون (ج) ظ ج ي: راء س .

ادخلُ بها في الأوتار تقف على ة، أثبتْها وعلمَ عليها خمسة، وأضعفْها بمثلها، وادخلْ في البيت تقف على ل، أثبتْها وعلمَ عليها عشرين، واضرب على حزين من الأوتار، وضع الدور الثاني عشر، أوله ثلاثة عشر، الباقي واحد. اصعد في ضلع ثمانية بواحد، وهذا الدور آخر الأدوار، وآخر الاختراعتين. وآخر المربعات الثلاثية، وآخر المثلثات الرباعية.

5

فالواحد في صدر الجدول يقع على ثمانين زمامية. وإنما هي آحاد ثمانية، وليس معنا في الأدوار إلا واحد. فلو زاد على أربعة من مربعات اثني عشر أو ثلاثة من مثلثات اثني عشر كانت <sup>(1)</sup> ح. وإنما هي دال، فأثبتْها وعلمَ عليها من بيت القصيد أربعة وسبعين. ثم انظر ما ناسبها من السطح يكن خمسة. أضعفها بمثلها للأش تبلغ عشرة، أثبتْ ي وعلمَ عليها. وانظر في أي المراتب وقعت، وجدناها في السابعة، فدخلنا بسبعة/ في حروف الأوتار. وهذا المدخل يُسمى التوليد الحرفي. فكانت ف. أثبتْها وأضف إلى سبعة واحد الدور، الجملة ثمانية. ادخلْ بها في الأوتار تبلغ س، أثبتْها وعلمَ عليها ثمانية، واضرب ثمانية في ثلاثة الزائدة على عشرة الدور، فإنها آخر مربعات الأدوار بالمثلثات، تبلغ أربعة وعشرين. ادخلْ بها في بيت القصيد، وعلمَ على ما يخرج منها، وهو مائتان، وعلامتها ستة وتسعون، وهو نهاية الدور الثاني في الأدوار الحرفية.

10

[1357]

15

واضرب على حزين من الأوتار، وضع النتيجة الأولى لها تسعة، وهذا العدد يناسبُ أبداً الباقي من حروف الأوتار بعد طرحها أدواراً، وذلك تسعة.

(1) ع ج ي: لكانت .

فاضرب تسعة في ثلاثة التي هي زائدة على تسعين من حروف الأوتار،  
وأضف لها واحداً الباقي من الدور الثاني عشر، يبلغ ثمانية وعشرين. فادخل بها في  
حروف الأوتار تبلغ ألف، أثبتته وعلم عليه ستة وتسعين. وإن ضربت تسعة التي  
هي أدوار الحروف التسعين في أربعة، وهي الثلاثة الزائدة على تسعين، والواحد  
5 الباقي من الدور الثاني عشر كذلك.

واصعد في ضلع ثمانية بتسعة، وادخل في الجدول بتسعة تبلغ اثنين زمامية.  
واضرب تسعة في ما ناسب من السطح، وذلك ثلاثة. وأضف لذلك سبعة<sup>(أ)</sup>،  
عدد الأدوار الحرفية، واطرح واحداً، الباقي من دور اثنين عشر يبلغ ثلاثة وثلاثين.  
ادخل بها في البيت تبلغ خمسة، فأضعفها وأضعف تسعة بمثلها، وادخل في صدر  
الجدول بثمانية عشر، وخذ ما في السطوح، وهو واحد. ادخل [به]<sup>(ب)</sup> في حروف  
10 الأوتار تبلغ م. أثبتته وعلم عليه.

واضرب على حرفين من الأوتار، وضع النتيجة الثانية ولها سبعة عشر،  
الباقي خمسة. فاصعد في ضلع ثمانية وخمسين، واضرب خمسة في ثلاثة الزائدة على  
تسعين، تبلغ خمسة عشر. أضف لها واحداً<sup>(ج)</sup>، الباقي من الدور الثاني عشر، تكن  
15 تسعة. / وادخل بستة عشر في البيت تبلغ ثاء، أثبتته وعلم عليه أربعة وستين؛ [357ب]  
وأضف إلى خمسة الثلاثة الزائدة على تسعين، وزد واحداً<sup>(ج)</sup> الباقي من الدور الثاني  
عشر، يكن تسعة وثلاثين. ادخل بها في صدر الجدول تبلغ ثلاثين زمامية. وانظر

(أ) في الأصول: واحد (ب) في ظ: بها (ج) في الأصول: واحد، حيث ذكرت أكثر الأرقام بنير إعراب، فأعربنا بعضها لتوضيح  
سياق النص.



ما في السطح تجد واحداً، أثبتته وعلم عليه من بيت القصيد، وهو التاسع أيضاً من البيت. وادخل بتسعة في صدر الجدول تقف على ثلاثة، وهو عشرات، فأثبت لام. وعلم عليه.

وضع النتيجة الثالثة، وعددها ثلاثة عشر، الباقي واحد. فأنقل في ضلع ثمانية بواحد، وضف إلى ثلاثة عشر الثلاثة الزائدة على تسعين وواحداً<sup>(1)</sup>، الباقي من 5 الدور الثاني عشر، تبلغ سبعة عشر وواحداً. النتيجة تكون ثمانية عشر. ادخل بها في حروف الأوتار تكن لام. أثبتها. فهذا آخر العمل.

المثال في هذا السؤال السابق:

أرذنا أن نعلم [هل]<sup>(ب)</sup> هذه الزايرة علم محدث أم قديم، بطالع أول درج من القوس، حروف الأوتار، ثم حروف السؤال، ثم الأصول، وهي عدة الحروف 10 ثلاثة وتسعون، أدوارها سبعة، الباقي منها تسعة، الطالع واحد، سلطان القوس أربعة، الدور الأكبر واحد، درج الطالع مع الدور اثنان، ضرب الطالع مع الدور في السلطان ثمانية، إضافة السلطان للطالع خمسة.

بيت القصيد:

سؤال عظيم الخلق حزت فضن إذن غرائب شك ضبطه الجد مثلاً<sup>(1)</sup> 15

(أ) في الأصول: واحد، حيث ذكرت أكثر الأرقام بغير إعراب، فأعربنا بعضها لتوضيح سياق النص (ب) من ع ج، وفي ظ: على، وفي ي: أن.

(1) البوني: شمس المعارف الكبرى 367 وفيه كيفية العمل.

## حروف<sup>(١)</sup> الأوتار:

ص ط د ظ ه نر<sup>(ب)</sup> ث كه م ر ض ص و ن ث ه ش<sup>(ج)</sup> ا ب ل م ن  
ص ع ف ض ق ر س ي ك ل م ن ص ع ف ق ر س ن<sup>(د)</sup> ث خ<sup>(ه)</sup> ذ  
ظ غ ش ط ك ن ع ح ص ن ر و ح ل ص ك ل م ن ص ا ب ج د ه و ن ر ح ط ي

## السؤال

ال نري مرج ت ع ل م م ح د ث ا م ق د ي م<sup>(و)</sup>

5

[358 أ]

تسعة		/ الدور الأول
سبعة وعشرون	الباقى خمسة	الدور الثاني
ثلاثة عشر	الباقى واحد	الدور الثالث
تسعة		الدور الرابع
تسعة عشر	الباقى خمسة	الدور الخامس
ثلاثة عشر	الباقى واحد	الدور السادس
تسعة		الدور السابع
سبعة عشر	الباقى خمسة	الدور الثامن

10

(١) جاءت جميع الحروف المعجمة في ي محملة (ب) في ج: ن، في ع: د (ج) من ع، وفي ط ج ي محملة (د) في ع نون مبتدئة، وفي ط ج: ت، وفي ي محملة (ه) فراغ في ط (و) تقرأ: الزبجة علم مخطت أم قديم.



23	غ	1	س
24	ر	2	و
25	ا	3	ا
26	ي	4	ل
27	ب	5	ع
28	ش	6	ظ
29	ك	7	ي
30	ض	8	م
31	ب	9	ا
32	ط	10	ل
33	ه	11	خ
34	ا	12	ل
35	ل	13	ق
36	ج	14	ح
37	د	15	نر
38	م	16	ت
39	ث	17	ف
40	ل	18	ص
41	ا	19	ن
		20	ا
		21	ذ
		22	ن

[358ب]

/ ت و ن ا ق س ب ن ر ا ا ر س ا ت ق ب ا ر ق ا ع ا ر م ح ر ج  
ل د ا ر س ه ل ل د ي ف س ر ا ه م ت ا ل ل

دَوْرُهَا عَلَى خَمْسَةِ وَعَشْرِينَ، ثُمَّ عَلَى ثَلَاثَةِ وَعَشْرِينَ، مَرَّتَيْنِ، ثُمَّ عَلَى أَحَدِ  
وَعَشْرِينَ، مَرَّتَيْنِ، إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ الْوَاحِدُ مِنْ آخِرِ الْبَيْتِ، وَتَنْقُلُ الْحُرُوفُ جَمِيعُهَا. وَاللَّهِ  
أَعْلَمُ.

(1) ت م ر و ح ن م ر و ح ا ل ق د س ا ب م ر ن س م ر ه ا  
ل ا د م ر ي س ف ا س ت م ر ق ا ب ه ا م م ر ت ق ا ا ل ع ل ا 5

هذا آخر الكلام في استخراج الأجوبة من "زَايِرُجَةِ الْعَالَمِ"، منظومة.  
وللِقَوْمِ طَرَائِقُ أُخَرُ مِنْ غَيْرِ الزَّايِرِجَةِ، يَسْتَخْرِجُونَ بِهَا أَجُوبَةَ الْمَسَائِلِ غَيْرِ  
منظومة.

وعندي، أَنَّ السَّرَّ فِي خُرُوجِ الْجَوَابِ مَنْظُومًا مِنَ الزَّايِرِجَةِ، إِنَّمَا هُوَ مَزْجُهُمْ  
يَبْتَ مَالِكُ بْنُ وَهَّابٍ، وَهُوَ: سُؤَالُ عَظِيمِ الْخَلْقِ... الْبَيْتِ. وَلِذَلِكَ يُخْرِجُ الْجَوَابُ عَلَى  
رُؤْيَاهُ. 10

وَأَمَّا الطَّرِيقُ الْأُخْرَى، فَيَخْرُجُ مِنْهَا الْجَوَابُ غَيْرَ مَنْظُومٍ.  
فَمِنْ طَرَائِقِهِمْ فِي اسْتِخْرَاجِ الْأَجُوبَةِ مَا نَنْقُلُهُ. قَالَ بَعْضُ الْمُحَقِّقِينَ مِنْهُمْ:

(1) يقرأ هذا البيت :

تروّحن روح القدس أبرز سرّها لإدريس فاسترقى بها مُزَنَّى الْعَلَا

## 1\* فَصْلٌ ، فِي إِبْلَاحِ عَلَى الْأَسْرَارِ الْخَفِيَّةِ مِنْ جِهَةِ الْأَمْرِ بِطَائِلِ الْحَرْفِيَّةِ

اعْلَمْ أَرْشَدَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ ، أَنَّ هَذِهِ الْحُرُوفَ أَصْلُ الْأَسْئَلَةِ فِي كُلِّ قَضِيَّةٍ ، وَإِنَّمَا تُسْتَنْجَجُ الْأَجُوبَةُ عَلَى تَجَزُّئِهِ بِالْكَلِّيَّةِ . وَهِيَ ثَلَاثَةٌ وَأَرْبَعُونَ حَرْفًا كَمَا تَرَى :

أَوَّلُ إِبْلَاحِ ظُلالِ مَخْيِ دَلِيلِ نَرْقِ تِافِ ذِصِ رِغِ شِ  
مِرَاكِ يَبِ مِضِ بَجِ طِلِحِ دِثِ لِثِ أِ

5

وَقَدْ نَظَّمَهَا بَعْضُ الْفُضَلَاءِ فِي بَيْتٍ جَعَلَ فِيهِ كُلَّ حَرْفٍ مُشَدَّدٍ مِنْ حَرْفَيْنِ ، وَسَمَّاهُ الْقُطْبَ ، فَقَالَ :

سُؤَالُ عَظِيمِ الْخَلْقِ حَزَتْ فَضْنُ إِذْنِ غَرَائِبِ شَكِّ ضَبْطِهِ الْجِدِّ مُثَلًّا

فَإِذَا أُرِدَتْ اسْتِئْجَاجُ الْمَسْأَلَةِ ، فَاحْذَفْ مَا تَكَرَّرَ مِنْ حُرُوفِهَا ، وَأَثْبِتْ مَا

10 فَضَّلَ مِنْهَا ، ثُمَّ احْذَفْ مِنَ الْأَصْلِ وَهُوَ الْقُطْبُ ، لِكُلِّ حَرْفٍ فَضْلٌ مِنَ الْمَسْأَلَةِ

/ حَرْفًا يَمِثِّلُهُ ، وَأَثْبِتْ مَا فَضَّلَ مِنْهُ . ثُمَّ امْزِجِ الْفَضْلَيْنِ فِي سَطْرٍ وَاحِدٍ ، تَبْدَأُ بِالْأَوَّلِ [359]

مِنْ فَضْلَةِ الْأَصْلِ ، وَالثَّانِي مِنْ فَضْلَةِ الْمَسْأَلَةِ ، وَكَذَلِكَ إِلَى أَنْ تَتِمَّ الْفَضْلَيْنِ أَوْ يَنْقَدَ

أَحَدُهُمَا قَبْلَ الْآخَرِ ، فَتَضَعُ الْبَقِيَّةَ عَلَى تَرْتِيبِهَا . فَإِنْ كَانَ عَدَدُ الْحُرُوفِ الْخَارِجَةِ بَعْدَ

الْمَزْجِ مُوَافِقًا لِعَدَدِ حُرُوفِ الْأَصْلِ قَبْلَ الْحَذْفِ ، فَالْعَمَلُ صَحِيحٌ . فَحِينَئِذٍ تَضْفُ إِلَيْهَا

15 خَمْسَ نَوَاتٍ لِتُعْتَدَلَ بِهَا الْمَوَازِينُ الْمَوْسِقِيَّةُ<sup>(1)</sup> وَتَكْمَلُ الْحُرُوفُ ثَمَانِيَّةً وَأَرْبَعِينَ حَرْفًا .

فَتَعْمُرُ بِهَا جَدُولًا مُرْتَبَأً يَكُونُ آخِرُ مَا فِي السَّطْرِ الْأَوَّلِ [مِنْهُ] أَوَّلَ مَا فِي السَّطْرِ

(1) جَاءَتْ هَكَذَا فِي الْأَصُولِ ، وَتَرَدَّدَتْ فِي مَوَاقِعَ أُخْرَى بَيَّاءَ بَعْدَ السَّبِينِ : الْمَوْسِقِيَّةُ .

الثاني، وتثقل البقية على حالها، وكذلك إلى أن تتم عمارة الجدول، ويعود السطر الأول بعينه، وتتوالى الحروف في القطر على نسبة الحركة. ثم تُخرج وتر كل حرف بقسمة مربعه على أعظم جزء يوجد له، وتضع الوتر مقابلاً لحزفه، ثم تستخرج النسب العنصرية للحروف<sup>(١)</sup> الجدولية، وتعرف قوتها الطبيعية [وموازنها]<sup>(ب)</sup> الروحانية وغرائزها النفسانية وأُسوسها الأصلية من الجدول الموضوع لذلك. وهذه صورته: 5

ا	القوى	الموازن	الغرائز	الأسوس
ب	١٨	١٨	١٨	١٨
ج	١٨	١٨	١٨	١٨
د	١٨	١٨	١٨	١٨
هـ	١٨	١٨	١٨	١٨
و	١٨	١٨	١٨	١٨
ز	١٨	١٨	١٨	١٨

١٨  
١٨ ١٨ ١٨ ١٨ ١٨ ١٨ ١٨ ١٨  
١٨ ١٨ ١٨ ١٨ ١٨ ١٨ ١٨ ١٨  
١٨ ١٨ ١٨ ١٨ ١٨ ١٨ ١٨ ١٨

(١) في الأصول : الحروف (ب) ظ: وموازنتها .

1 / ثُمَّ تَأْخُذُ وَتَرُكُلْ حَرْفٍ بَعْدَ ضَرْبِهِ فِي أُسُوسِ أَوْتَادِ الْفَلَكَ الْأَرْبَعَةِ. [359ب]

واحدَ ما يلي الأوتاد؛ وكذلك السواقط، فإنَّ نسبتها مضطربة. وهذا الخارج هو أول رُتَب السريان. ثم تأخذ مجموع العناصر وتخط منها أسوس المولدات، تبقى أسوس عالم الخلق بعد عروضه للمدد الكونية. فتحمل عليه بعض المجردات عن المواد، وهي عناصر الإمداد، يخرج أفق النفس الأوسط. وتطرح أول رُتَب السريان من مجموع العناصر، يبقى<sup>(1)</sup> عالم التوسط. وهذا مخصوص بعالم الأكوان من البسيطة، لا المركبة.

وتضرب عالم التوسط في أفق النفس الأوسط، يخرج الأفق الأعلى. فتحمل عليه أول رُتَب السريان. ثم تطرح من الرابع<sup>(ب)</sup> أول عناصر الإمداد الأصلي، يبقى ثالث رُتَب السريان. فتضرب مجموع أجزاء العناصر أبدأ في رابع مرتبة السريان، يخرج أول عالم التفصيل. والثاني في الثاني يخرج ثاني عالم التفصيل، والثالث في الثالث يخرج ثالث عالم التفصيل<sup>(ج)</sup>، والرابع في الرابع يخرج رابع عالم التفصيل<sup>(ج)</sup>. فتجمع عوالم التفصيل<sup>(ج)</sup> وتخط من عالم الكل، تبقى العوالم المجردة. فتقسم على الأفق الأعلى يخرج الجزء الأول، وتقسم<sup>(د)</sup> المنكسر على الأفق الأوسط يخرج الجزء الثاني، وما انكسر فهو الثالث. ويتعين الرابع؛ هذا في الرباعي؛ وإن شئت أكثر من الرباعي فتستكثر من عوالم التفصيل<sup>(ج)</sup> ومن رُتَب السريان ومن الأوقات بعدد الحروف. والله يرشدنا وإياك.

(1) ع ط ج: يفي (ب) ج: الربع (ج) ج: التفصيل (د) ج: وينقسم.



وكذلك إذا قُسمَ عالم التجريد على أول رُتب السريان، خرَجَ الجزء / الأولُ من عالم التركيب، وكذلك إلى نهاية الرتبة الأخيرة من عالم الكون. فافهم وتدبّر، واللّه المرشدُ المعين.

### ومن طرائقهم أيضاً في استخراج الجواب

5

قال بعض المحققين منهم:

اعلم، أيدينا الله وإياك بروح منه، أن علم الحروف علم جليل يتوصّل العالم به لما لا يتوصّل بغيره من العلوم المتداولة بين العالم. وللعمل به شرائطٌ ثلاث. وقد يستخرج العالم به أسرار الخليقة وسرائر الطبيعة، فيطلع بذلك على نتيجتي الفلسفة، أعني السيمياء، وأختها، ويرفع له حجاب الجهولات، ويطلع بذلك على مكنون خفايا<sup>(1)</sup> القلوب. وقد شهد جماعة بأرض المغرب ممن اتصل بذلك، فأظهر 10 العجائب، وخرق العوائد، وتصرف في الوجود بتأييد الله. واعلم أن ملاك كل فضيلة الاجتهاد، وحسن الملكة مع الصبر مفتاح كل خير. كما أن الخرق والعجلة رأس الحزمان.

فأقول: إذا أردت أن تعلم قوة كل حرف من حروف القافيطوس، أعني أبجد إلى آخر العدد، وهذا أول مدخل من علم الحروف، فانظر ما لذلك الحرف 15 من الأعداد. فتلك الدرجة التي هي مناسبة للحرف هي قوته في الجسمانيات. ثم

(1) كذا في ظ، وفي ع ج: خبايا.

اضرب العدد في مثله، تخرج لك قوّته في الروحانيات، وهي وَثْرُهُ. وهذا في الحروف المنقوطة لا يَتَمُّ، بل يَتَمُّ في الغير منقوطة. لأن المنقوط منها مراتب لمعان يأتي عليها البيان فيما بعد.

واعلم أن لكل شكل من أشكال الحروف شكلاً في العالم العلوي، أغني الكرسى. ومنها المتحرك والسّاكن، والعلوي والسفلي، كما هو مرقوم في أماكنه من الجداول الموضوعة في الزيارج.

واعلم أن قوى الحروف ثلاثة أقسام:

الأول، وهو أقلها: قوّة، تظهر بعد كتابتها؛ فتكون كتابته لعالم روحاني مخصوص بذلك الحرف المرسوم. فمتى خرج ذلك الحرف بقوّة نفسانيّة وجمع همّة، كانت قوى الحروف مؤثرة في عالم الأجسام.

الثاني، قوّتها في الهيئة<sup>(1)</sup> الفكرية؛ وذلك / ما يصدر عن تصريف [360ب] الروحانيات لها، فهي قوّة في الروحانيات العلويّات، وقوّة شكليّة في عالم الجسمانيّات.

الثالث، هو ما يجمع الباطن، أعني القوّة النفسانيّة على تكوينه. فيكون<sup>(ب)</sup> قبل التطق به صورة في النفس، وبعد التطق به صورة في الحروف، وقوّة في التطق.

وأما طبائعها، فهي الطبيعيات المنسوبات للمتولّدات. وهي الحرارة واليبوسة، والحرارة والبرودة، والرطوبة، والبرودة واليبوسة. فهذا سرّ العدد الثماني. والحرارة جامعة للهواء والنار، وهما: آهـ ط م ق ش ذ ح ز ك س ق ت ظ<sup>(ج)</sup>.

(1) ج: الهيئة (ب) ج: فتكون (ج) في ع ج: ط مملكة.

والبرودة جامعة للأرض والماء: دَخَّ لَ عَ رَ خَ غَ بَ وَيَ نَ صَ تَ صَ . والرطوبة  
جامعة للهواء والماء حَ زَ كَ سَ قَ <sup>(أ)</sup> تَ <sup>(ب)</sup> طَ دَخَ لَ عَ رَ خَ عَ جامعة للنار  
والأرض: آ هَ طَ مَ فَ شَ دَ <sup>(ج)</sup> بَ وَيَ نَ صَ تَ صَ . فهذه نسبة حروف  
الطبائع وتداخل أجزاء بعضها في بعض، وتداخل أجزاء العالم فيها، علوياً وسفلياً،  
بأسباب الأمهات الأول، أغني الطبائع الأربع المفردة.

5

## 1. فصل

فمَتَى أردت استخراج مَجْهُولٍ من مَسْأَلَةٍ مَا، فحَقِّق طَالِعَ السَّائِلِ أو طَالِعَ  
مَسْأَلَتِهِ، واستَنْطِقْ حُرُوفَ أَوْتَادِهَا الْأَرْبَعَةَ آوَعَ وَ حَ وَهَ آَ مستوية مرتبة،  
واستخرج أعدادَ القُوى والأوتادِ، كما سَنُيِّنُ . وأنجِلْ ونَسِّبْ واستَفْتِجِ الجوابَ،  
يَخْرُجُ لَكَ المَطْلُوبُ ، إِمَّا بصريحِ اللَّفْظِ أو بالمَعْنَى . وكذلك في كُلِّ مَسْأَلَةٍ تَقَعُ لَكَ .  
بيانه: إذا أردت أن تستخرج قُوى حُرُوفِ الطَّالِعِ مع اسمِ السَّائِلِ والحَاجَةِ،  
فاجمع أعدادَها بالجُمْلِ الكبيرِ، فكان الطَّالِعُ الحَمَلُ، رابعه السَّرَطَانُ، سابعه المِيزَانُ،  
عاشره الجَدِّي، وهو أقوى هذه الأوتادِ. فأسْقِطْ من كُلِّ بَرَجٍ حرفي التعرِيفِ، وانظر  
مَا يَخْصُ كُلَّ بَرَجٍ من الأَعْدَادِ المنطقية الموضوعة في دائرتها <sup>(د)</sup>، واحذف [أجزاء الكثير] <sup>(هـ)</sup>  
في النِّسْبِ الاستِطَاقِيَّةِ كُلِّهَا، وأثبِتْ تحتَ كُلِّ حَرْفٍ مَا يَخْصُهُ من ذلك، ثمَّ أَعْدَادَ  
حُرُوفِ العنَاصِرِ الْأَرْبَعَةِ / وما يَخْصُهَا كالأولِ. وارسم ذلك كله أَحْرَفًا، ورتِّبْ الأوتادَ  
والقُوى والغَرَائِزَ سَطْرًا مُفْتَرِجًا. وكثر واضربَ مَا يُضْرَبُ لاستِخراجِ الموازِينِ، واجمع  
واستَفْتِجِ الجوابَ، يخرجُ لَكَ الضَّمِيرُ <sup>(و)</sup> وجوابه.

15

[361]

(أ) في ج: ف (ب) من ج ع، وفي ط: ت (ج) في ج: د مهيمة (د) ج: دارتها (هـ) ج: آخر الكبير (و) ج: الضهر.

مثال ذلك: افرض أن الطالع الحمل، كما تقدّم، ترسم ح م ل؛ فلحاء من العدد ثمانية، لها النصف والرّبع والثّمن. د ب آ، الميم لها من العدد أربعون، لها النصف والرّبع والثّمن والعشر، ونصف العشر إن أردت التدقيق. م ك ي ه د ب، اللّام لها من العدد ثلاثون، لها النصف والثّلاثان والثّلت والخمّس والسّدس والعشيرة.

5 ك ي و ه ج. وهكذا تفعل بسائر حروف المسألة والاسم من كلّ لفظ يقع لك.

وأما استخراج الأوتار، فهو أن تقسم مربع كلّ حرف على أعظم جزء يوجد له. مثاله حرف دال، له من الأعداد أربعة، مُربّعها ستّة عشر، اقسّمها على أعظم جزء يوجد لها، وهو اثنان، يخرج وتر الدال ثمانية. ثم تضع كلّ وترٍ مُقابلًا لحرفه، ثم تستخرج النسب العنصريّة كما تقدّم في شرح الاستنطاق. ولها قاعدة تطرّد في استخراجها من طبع الحرف وطبع البيت الذي تحلّ فيه من الجدول، كما ذكر الشيخ

10 لمن عرّف الاضطلاح.

## 2 • فصل، في الاستدلال على ما في الضمائر الخفية بالقوانين الحرفيّة

وذلك لو سأل سائل عن عليل ما، لم يعرف مُمرّضه ما علّته وما الموافق لبرئها من الأدوية، فمر السائل أن يُسمّي شيئاً من الأشياء على اسم العلة المجهولة ليُجعل ذلك الاسم قاعدة لك. ثم استنطق الاسم مع اسم الطالع والعناصر والسائل

15 واليوم والساعة إن أردت التدقيق في المسألة، وإلا اقتصرّت على الاسم الذي سمّاه السائل، وفعلت به كما بُيّن.

فأقول مثلاً: سَمِيَ السَّائِلُ فرساً؛ فَأُثِبَتِ الحُرُوفُ الثَّلَاثَةُ مع أَعْدَادِهَا المنطقة.

[361ب] بيانه: إن للفاء من العدد ثمانين، ولها مَ كَ يَ حَ دَ. ثم الراء / لها من العدد مائتان، ولها قَ قَ ظَ كَ كَ يَ. ثم السين لها من العدد ستون، ولها مَ لَ كَ يَ وَ جَ\*. فالواو عدد تام، له دَ جَ بَ، والسين مثله، لها مَ لَ كَ يَ\*<sup>(1)</sup>. فإذا بسطت حروف الأسماء فوجدت عنصرين متساويين، فاحكم لأكثرهما حروفاً [بالغلبة على 5 الآخر، ثم اجمل عدد حروف عناصر اسم المطلوب وحروفه]<sup>(ب)</sup> دون بسط، وكذلك اسم الطالب، واحكم للأكثر والأقوى بالغلبة.

### وصفة استخراج قوى العناصر

ماء	هواء	تراب	نار
	ج	و	
ح	ك ك ك ك	ي ي ي ي	ه ه ه
ل	ق	ن	م م

فتكون الغلبة هنا للتراب. وطبعه، البرد واليبوسة، طبع السوداء. فتحكم على المرض بالسوداء. فإذا ألقت من حروف الاستنطاق كلاماً على نسبة تقريبية، 10 خرج موضع الوجع في الخلق، ويوافقه من الأدوية حقة، ومن الأشربة شراب الليمون. هذا ما خرج من قوى أعداد حروف اسم فارس، وهو مثال تقريبي مختصر.

(1) سقط ما بين النجمين من ج (ب) ما بين الحاصرتين من: ع ظ ج.

وأما استخراج قوى العناصر من الأسماء العلمية، فهو أن تُسمَّى مثلاً مُحَمَّدًا، فترسم أحرفه مقطّعةً، ثمّ تَضَعُ أسماء العناصر الأربعة على تركيبِ الفلَكِ، يخرج لك ما في كلّ عنصرٍ من الحُرُوف والعَدَدِ. ومثاله:

نارٌ	ترابٌ	هواءٌ	ماءٌ
أجناسه ثلاثة	أجناسه ثلاثة	أجناسه ستة	أجناسه ستة
أ أ أ	ب ب ب	ج ج ج	د د د
ه ه ه	و و و	ز ز ز	ح ح ح
م م م	ن ن ن	ك ك ك	ل ل ل
		س س س	ع ع ع
		ق ق ق	ر ر ر
		ن ن ن	ح ح ح

فتجد أقوى هذه العناصر من هذا الاسم المذكور عنصر الماء، لأنَّ عددَ / حروفه عشرون حرفاً. فجعلتُ له القلْبَةَ على بقية عناصر الاسم المذكور. وهكذا [1362] تفعل بجميع الأسماء. حينئذٍ، تُضاف إلى أوتارها، أو للوتر المنسوب للطالع في الزّيرجة<sup>(1)</sup>، أو لوتر البَيْت المنسوب لمالك بن وهيب، الذي جعله قاعدةً لمزج الأسئِلة، وهو:

(1) ج: الزّيرجة .

سؤال عظيم الخلق حزت فضن إذن غرائب شك ضبطه الجد مثلاً

وهو وتر مشهور لاستخراج المجهولات، وعليه كان يعتمد ابن الرقام وأصحابه.  
وهو عمل تام قائم بنفسه في المثالات الوضعية.

- وصفة العمل بهذا الوتر المذكور، أن ترسمه مقطوعاً، ممتزجاً بألفاظ السؤال على  
قانون صيغة<sup>(١)</sup> التكمير. وعدة حروف هذا الوتر، أعني البت، ثلاثة وأربعون 5  
حرفاً. لأن كل حرف مشدد من حرفين، ثم تحذف ما يتكرر عند المزج من  
الحروف ومن الأضل، لكل حرف فضل من المسألة حرف<sup>(ب)</sup> يائله، وتثبت  
الفضلين سطرًا ممتزجاً بعضه ببعض. الحرف الأول من فضلة القطب، والثاني من  
فضلة السؤال، حتى تتم الفضلتان جميعاً، فتكون ثلاثة وأربعين. فتضيف إليها خمس  
نونات لتكون ثمانية وأربعين، وتعديل بها الموازين [الموسيقية]<sup>(ج)</sup>. ثم تضع الفضلة 10  
على ترتيبها، فإن كان عدد الحروف الخارجة بعد المزج يوافق العدد الأصلي قبل  
الحذف، فالعمل صحيح. ثم عمّر بما مزجت جدولاً مربعاً يكون آخر ما في السطر  
الأول أول ما في السطر الثاني، وعلى هذا النسق، حتى يعود السطر الأول بعينه؛  
وتتوالى الحروف في القطر على نسبة الحركة. ثم تخرج وتر كل حرف كما تقدم،  
وتضعه مقابلاً لحرفه، ثم تستخرج النسب العنصرية للحروف الجدولية، لتعرف 15  
قوتها الطبيعية، وموازينها الروحانية، وغرائزها النفسانية، / وأسوسها الأصلية [362ب]  
من الجدول الموضوع لذلك.

(١) في ظي مملعة (ب) في الأصول: حرفاً (ج) كذا في ج ع ي، وفي ظ: الموسيقية .

## وصفةُ استخراجِ النسبِ العُنْصَرِيَّةِ

هو أن تنظرَ الحرفَ الأوَّلَ من الجدولِ، ما طبيعته وطبيعَةُ البَيتِ الَّذي حلَّ فيه، فإن اتَّفقا، فحَسَنٌ، وإلاَّ، فاستخرج بين الحرفين نسبةً. ويتَّسعُ هذا القانونُ في جميع الحُرُوفِ الجدوليَّةِ. وتحقيقُ ذلك سهلٌ على من عَرَفَ قوانينه كما هي مقرَّرةٌ في 5 دَائِرَتِها الموسيقيَّةِ.

ثمَّ تأخذ وترَ كلِّ حَرْفٍ بعد ضربه في أُسُوسِ أوتادِ الفَلَكِ الأربعةِ، كما تقدَّم. واحذرْ ما يلي الأوتادَ، وكذلك السَّواقِطَ، لأنَّ نِسْبَها مضطربةٌ. وهذا الَّذي يخرجُ لك هو أوَّلُ رُتَبِ السَّرِيانِ. ثمَّ تأخذُ مجموعَ العناصرِ وتخطُّ منها أُسُسَ المولِّداتِ، يَبْقَى أُسُّ عَالَمِ الخَلْقِ بعد عروضه للمُدَدِ الكونيَّةِ. فتحمِلُ عليه بعضَ المجرِّداتِ 10 عن الموادِّ، وهي عناصرُ الإمدادِ، يخرجُ أفقُ النَّفسِ الأوسطِ. وتطرَحُ أوَّلُ رُتَبِ السَّرِيانِ من مَجْمُوعِ العناصرِ، يَبْقَى عَالَمُ التَّوَسُّطِ. وهذا مخصوصٌ بعَالَمِ الأكوَانِ البَسيطةِ، لا المركَّبةِ. ثمَّ تضربُ عَالَمَ التَّوَسُّطِ في أفقِ النَّفسِ الأوسطِ، يخرجُ الأفقُ الأعلى، فتحمِلُ عليه أوَّلَ رُتَبِ السَّرِيانِ. ثمَّ تطرَحُ من الرَّابِعِ أوَّلَ عناصرِ الإمدادِ الأصليِّ، يَبْقَى ثَلَاثُ رُتَبِ السَّرِيانِ. فتضربُ مجموعَ أَجْزَاءِ العناصرِ أَبْداً في 15 رابعَ رُتَبِ السَّرِيانِ، يخرجُ عَالَمُ التَّفْصِيلِ، والثَّاني في الثَّاني يخرجُ ثانيَ عَالَمِ التَّفْصِيلِ، وكذلك الثَّالثَ والرَّابِعَ؛ فتجمعُ عوالمَ التَّفْصِيلِ، وتخطُّ من عَالَمِ الكلِّ، تَبْقَى العوالمُ المجرَّدةُ. فتُقَسَّمُ على الأفقِ الأعلى، يخرجُ الجزءُ الأوَّلُ.



ومن هنا يطرد<sup>(أ)</sup> العمل لتأمله. وله مقدمات في كُتُب ابن وَحْشِيَّة والبُوتِي وغيرهما. وهذا التدبير يجري على القانون الطبيعي الحكيم [في]<sup>(ب)</sup> هذا الفن وغيره من فنون الحكمة الإلهية، وعليه مدار وضع الزياح الحرفية، والصنعة الإلهية، والتبرجات الفلسفية.

- 5 [واعلم أن هذه الأعمال كلها إنما يوصل<sup>(ج)</sup> بها إلى حصول جواب مطابق للسؤال في المعنى فقط، لا أنه يُعثر بها على غيب. وإنما هي من قبيل الملح، كما تقدّم لنا أول الكتاب. وكذلك ليست من علم السّماء، كما يتّناه<sup>(د)</sup>. / والله [المّهم]<sup>(هـ)</sup>، وبه المستعان، وعليه التّكلان. وحسبنا الله ونعم الوكيل.] [363]

### 30 • علم الكيمياء

- 10 وهو علم ينظر في المادّة التي يتم بها كَوْن الذهب والفضّة بالصناعة، ويشرح العمل الذي يوصل إلى ذلك. فيتصفّحون المكوّنات كلّها بعد معرفة أمزجتها وقواها، لعلمهم يفتّرون على المادّة المستعِدّة لذلك، حتّى من الفضلات الحيوانية، كالعظام والرّيش والشّعر والبيض والعذرات، فضلاً عن المعادن.

- ثمّ يشرح الأعمال التي تخرج بها تلك المادّة من القوّة إلى الفعل، مثل حلّ الأجسام إلى أجزائها الطبيعية بالتّصعيد والتّقطير، وجمد الذائب منها بالتّكليس، وإمهاء الصّلب بالفهر والصّلاية، وأمثال ذلك.

(أ) ج: تطرد (ب) ظ: و (ج) ج: توصل (د) من حاشية ع، ومذكورة في ج، وسقطت من ظ ي (هـ) ظ: المتهم.

وفي زعمهم أنه يخرج هذه الصناعات كلها جسم طبيعي يُسمونه الأكسير،  
وأنه يلتقى على الجسم المعدني المستعد لقبول صورة الذهب أو الفضة بالاستعداد  
القريب من الفعل، مثل الرصاص والقصدير والنحاس، بعد أن يُحمى بالنار، فيعود  
ذهبا إبريزاً. ويكتون عن ذلك الأكسير إذا لغزوا اصطلاحاتهم بالروح، وعن الجسم  
الذي يلتقى عليه بالجسد. فشرح هذه الاصطلاحات وصورة هذا العمل الصناعي  
الذي يثلب هذه الأجساد المستعدة إلى صورة الذهب والفضة، هو علم الكيمياء.

وما زال الناس يؤلفون فيها قديماً وحديثاً. وربما يغزى فيها الكلام إلى من  
ليس من أهلها. وإمام المدونين فيها عندهم جابر بن حيان، حتى إنهم يخصونها به،  
فيستقونها علم جابر. وله فيها سبعون رسالة، كلها شبيهة بالألفاظ. وزعم أنه لا يفتح  
مقفلاً إلا من أحاط علماً بجميع ما فيها.

والطغرائي، من حكماء المشرق المتأخرين، له فيها دواوين ومناظرات مع أهلها  
وغيرهم من الحكماء. وكتب فيها مسلمة الجريطي، من حكماء الأندلس، كتابه الذي  
سماه رتبة الحكيم، وجعله قريناً / لكتابة الآخر في السحر والطلسمات، الذي سماه  
غاية الحكيم. وزعم أن هاتين الصناعتين هما نتيجتان للحكمة، وثمرتان للعلوم، ومن  
لم يقف عليهما فهو فاقد ثمرة العلم والحكمة أجمع<sup>(1)</sup>.

وكلامه في ذلك الكتاب، وكلامهم أجمع في تواليهم، هي الغار يتعذر فهمها  
على من لم يعان اصطلاحاتهم في ذلك. ونحن نذكر سبب عدولهم إلى هذه الرموز

(1) غاية الحكيم 6.

والألغاز. ولابن المُعَرِّبِي، من أَيْمَةِ هذا الشَّان، كلماتٌ شِغْرِيَّةٌ، رَوِيَّها على حُرُوفِ  
المُعْجَم، من أبدع ما يَحْيِيءُ في الشَّعر، مُلْغُوزَةٌ كُلُّها لَغَزُ الأَحَاجِي والمُعَايَاة، فلا تَكَاذُ  
تُفْهَمُ.

وقد يَنْسَبُونَ لِلْغَزَالِي [رحمه الله] <sup>(أ)</sup> بعض التَّوَالِيفِ فيها. وليس ذلك بِصَحِيحٍ،  
لأنَّ الرَّجُلَ لم تَكُنْ مَدَارِكُهُ العَالِيَةُ لَتَقَفَ عَنْ <sup>(ب)</sup> خَطِّ ما يَذْهَبُونَ إِلَيْهِ حَتَّى يَنْشَجِلَهُ. 5  
وَرَبِّمَا نَسَبُوا بَعْضَ المَذَاهِبِ والأَقْوَالِ فيها لَخَالِدِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ، رَيْدِ مَرْوَانَ  
ابْنَ الحَكَمِ. وَمِنَ المَعْلُومِ البَيِّنِ أَنَّ خَالِدًا مِنَ الجَيْلِ العَرَبِيِّ، والبَدَاوَةُ إِلَيْهِ أَقْرَبُ،  
فَهُوَ بَعِيدٌ عَنِ العُلُومِ والصَّنَائِعِ بِالْجُمْلَةِ، فَكَيْفَ لَهُ بِصِنَاعَةِ غَرِيبَةِ المَنْحَى مَبْنِيَّةٌ عَلَى  
مَعْرِفَةِ طَبَائِعِ المَرْكَبَاتِ وَأُمُوزَجَتِهَا؛ وَكُتِبَ التَّائِظِينَ فِي ذَلِكَ مِنَ الطَّبِيعِيَّاتِ والطَّبِّ لم  
تُظْهَرْ بَعْدُ وَلَمْ تُتَرْجَم. اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يَكُونَ خَالِدُ بْنُ يَزِيدَ آخِرَ مَنْ أَهْلُ المَدَارِكِ 10  
الصَّنَاعِيَّةِ تَشَبَّهَ <sup>(ج)</sup> بِاسْمِهِ، فُمُكِّنَ.

وَأَنَا أَقُولُ لَكَ هَاهُنَا رِسَالَةٌ <sup>(1)</sup> أَبِي بَكْرٍ بْنِ بِشْرُونَ لِابْنِ السَّمْحِ فِي هَذِهِ

(أ) مِنْ ي (ب) ج: عَلَى (ج) هُنَا بَيَاضٌ بِقَدْرِ كَلِمَةٍ فِي ع .

(1) كَتَبَ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ بِشْرُونَ المَجْرِيَّاتِي كِتَابَ أَوْ رِسَالَةَ "سِرِّ الصَّنِيعَةِ" - كَمَا سَمَّاهُ - فِي الكِيمْيَاءِ لِتَلْمِيذِهِ  
مُوسَى (?). وَسَمَّاهُ حَاجِي خَلِيفَةَ: "سِرِّ الكِيمْيَاءِ" وَذَكَرَ مُسْتَهْلَهُ المِطَابِقُ (2: 989). وَلَيْسَ فِي الرِّسَالَةِ  
المَحْفُوظَةِ بِتُرْكِيَا فِي مَكْتَبَةِ بَشِيرِ آغا 505 ذَكَرَ لِأَبِي القَاسِمِ أَصْبَغِ بْنِ السَّمْحِ المِهْنَدِسِ القَزْنَاطِي الَّذِي ذَكَرَ  
ابْنَ خَلْدُونَ أَنَّهُ وَضَعَهَا لَهُ. وَلَمْ يُؤَثِّرْ عَنْ ابْنِ السَّمْحِ أَنَّهُ اشْتَغَلَ بِغَيْرِ المِهْنَدِسَةِ وَعِلْمِ العَدَدِ وَالْفَلَكَ وَوَضَعَ  
الأَزْيَاجَ.

وَيَبْدَأُ التَّطَابِقُ الجِزْئِي بَيْنَ هَذَا النِّصِّ وَالرِّسَالَةِ المِشَارِ إِلَيْهَا، مِنْ فَصْلِ التَّنْدِيرِ (ص: 396) مَعَ  
تَصَرُّفٍ فِي النِّقْلِ بِالِاخْتِيَارِ وَإِعَادَةِ الصِّيَاغَةِ. فَأَشْرَنَا لِلْفُرُوقِ وَرَمَزْنَا لَهَا بِحَرْفِ "ش".

الصَّنَاعَةُ، وَكَلَاهُمَا مِنْ تَلْمِيزِ مَسْلَمَةٍ، فَتُسْتَدِلُّ مِنْ كَلَامِهِ فِيهَا عَلَى مَا أَذْهَبَ إِلَيْهِ فِي شَأْنِهَا إِذَا أُعْطِيَتْهُ حَقُّهُ مِنَ التَّأَمُّلِ.

قال ابنُ بَشْرُونَ، بعدَ صَدْرِ مِنَ الرِّسَالَةِ خَارِجٍ عَنِ الْغَرَضِ:

والمَقْدَمَاتُ الَّتِي لِهَذِهِ الصَّنَاعَةِ الْكَرِيمَةِ قَدْ ذَكَرَهَا الْأَوَّلُونَ، وَاقْتَضَى جَمِيعُهَا أَهْلُ  
5 الفَلَسَفَةِ مِنْ مَعْرِفَةِ تَكْوِينِ الْمَعَادِينِ وَتَخْلُقِ الْأَشْجَارِ وَالْجَوَاهِرِ، وَطَبَاعِ الْبَقَاعِ  
وَالْأَمَاكِينِ، فَتَمَنَعْنَا اشْتِهَارَهَا مِنْ / ذِكْرِهَا. وَلَكِنْ أُبَيِّنُ لَكَ مِنْ هَذِهِ الصَّنِيعَةِ <sup>(1)</sup> مَا يَحْتَاجُ  
إِلَيْهِ، فَتَبْدَأُ بِمَعْرِفَتِهِ.

فَقَدْ قَالُوا: يَنْبَغِي لَطُلَّابِ هَذَا الْعِلْمِ أَنْ يَعْلَمُوا [أَوَّلًا] <sup>(ب)</sup> ثَلَاثَ خِصَالٍ. أَوَّلُهَا:  
هَلْ تَكُونُ؟ وَالثَّانِيَةُ: مِنْ أَيِّ شَيْءٍ تَكُونُ؟ وَالثَّالِثَةُ: كَيْفَ تَكُونُ؟ فَإِذَا عَرَفَ هَذِهِ  
10 الثَّلَاثَ وَأَحْكَمَهَا، فَقَدْ ظَفِرَ بِمَطْلُوبِهِ، وَبَلَغَ نَهَائَتَهُ مِنْ هَذَا الْعِلْمِ.  
فَأَمَّا الْبَحْثُ عَنْ وُجُودِهَا وَالِاسْتِدْلَالُ عَلَى مَكُونِهَا، فَقَدْ كَفَيْتَاكَ بِمَا بَعْثْنَا بِهِ  
إِلَيْكَ مِنَ الْإِكْسِيرِ.

وَأَمَّا مِنْ أَيِّ شَيْءٍ تَكُونُ؟، فَإِنَّمَا يُرِيدُونَ بِذَلِكَ الْبَحْثَ عَنْ سَجَرِ الَّذِي  
يُمْكِنُهُ الْعَمَلُ، وَإِنْ كَانَ الْعَمَلُ مَوْجُودًا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ بِالْقُوَّةِ، لِأَنَّهَا مِنَ الصَّبْغِ الْأَزْجَعِ،  
15 مِنْهَا تَرَكَّبَتْ ابْتِدَاءً وَإِلَيْهَا تَرْجَعُ انْتِهَاءً. وَلَكِنْ مِنَ الْأَشْيَاءِ مَنْ تَكُونُ فِيهِ بِالْقُوَّةِ وَلَا  
تَكُونُ بِالْفِعْلِ. وَذَلِكَ أَنَّ مِنْهَا مَا يُفَكِّنُ تَفْصِيلُهَا، وَمِنْهَا مَا لَا يُفَكِّنُ تَفْصِيلُهَا. فَالَّتِي  
يُمْكِنُ تَفْصِيلُهَا تُعَالَجُ وَتُدَبَّرُ، وَهِيَ الَّتِي تَخْرُجُ مِنَ الْقُوَّةِ إِلَى الْفِعْلِ. وَالَّتِي لَا يُفَكِّنُ

(1) ج: الصَّنَاعَةُ (ب) سقط من ظ.

تفصيلها لا تُعالج ولا تُبَيَّن، لأنها فيها بالقُوَّة فقط. وإنَّما لم يمكن تفصيلها لاستِغراق بعض طبائعها في بعض. وَفَضْلُ قُوَّةِ الكَبرِ منها على الصَّغير. فيُنبغي لك، وَقَقْكَ اللهُ، أن تعرف أَوْفَقَ الأحجار المنفصلة الَّتِي يمكنُ منها العملُ، وجُلُسَه، وقُوَّتَه، وعَمَلَه، وما يُدَبِّرُ من الحنَّ والعقدِ والتَّنيقِ والتَّكليس والتَّشيف والتَّغليب. فإنَّ من لم يعرف هذه الأصوُ الَّتِي هي عمادُ هذه الصَّنعة، لم ينجح ولم يظفر بخير أبدًا. 5

وينبغي لك أن تعلم: هل يمكنُ أن يُستعانَ عليه بغيره، أم يُكتفى به وَخَذَهُ؟ وهل هو واحدٌ في الابتداء، أم شارَكَه غيره، فصَارَ في التَّذِيرِ واحدًا، فيُسمَّى حَجَرًا.

وينبغي لك أن تعلمَ كَيْفِيَّةَ عَمَلِهِ، وَكَمِّيَّةَ أَوْزَانِهِ، وَأَزْمَانِهِ، وكيف تَركِبُ الرُّوحَ فيه، وإدخالُ النَّفْسِ عليه، وهل تُقدرُ التَّأثرَ على تَفْصيلها مِنْهُ بعد تَركِيبها؟ فإنَّ لم تُقدرُ فَلأَيِّ / عِلَّةٍ، وما السَّبَبُ المَوْجِبُ لذلك؟ فإنَّ هذا هو المطلوبُ، فافهم. [364ب]

واعلم، أنَّ الفلاسفةَ كُنَّها مدَحَتِ النَّفْسَ، وزعمتُ أنَّها المُدَبِّرَةُ للجَسَدِ والحاملةُ له والدَّافِعَةُ عنه وافِاعِلَةٌ فيه. وذلك أنَّ الجَسَدَ إذا خرَجتِ النَّفْسُ منه ماتَ وَبَرَدَ، فلم يُقدِرْ على الحَرَكةِ والامْتِناعِ مِنْ غَيْرِهِ، لأنَّه لا حياةَ فيه ولا نورَ. وإنَّما ذَكرْتُ الجَسَدَ والنَّفْسَ، لأنَّ هذه الصَّنعةَ شَبِيهَةٌ بِجَسَدِ الإنسانِ الَّذِي تَركِبُهُ 15

على الغَذاءِ والعِشاءِ. وفِوَامُه وتَمَامُه بالنَّفْسِ الحَيَّةِ الثَّورانيَّةِ الَّتِي بِها يَفْعَلُ العِظائِمُ والأشياءُ المُتقابِلَةُ نَتِي لا يَقْدِرُ عليها غَيرُها بالقُوَّةِ الحَيَّةِ الَّتِي فيها. وإنَّما انْفَعَلَ الإنسانُ لاختِلَافِ تَركِيبِ حَبِيعَتِهِ. ولو اتَّفقتْ طبائعُه وَسَلِمَتْ مِنَ الأغراضِ والتَّضادِ، لم

تُشَدُّ النَّفْسُ عَلَى الْخُرُوجِ مِنْ جَسَدِهِ، وَلَكِنْ خَالِداً بَاقِياً. فَسُبْحَانَ مُدَبِّرِ الْأَشْيَاءِ  
تَعَالَى!

وَعَلِمَ، أَنَّ الطَّبَائِعَ الَّتِي يَحْدُثُ عَنْهَا هَذَا الْعَمَلُ، كَيْفِيَّةٌ دَافِعَةٌ فِي الْإِبْتِدَاءِ،  
فِيضِيَّةٌ، مُحْتَاجَةٌ إِلَى الْإِنْتِهَاءِ. وَلَيْسَ لَهَا إِذَا صَارَتْ فِي هَذَا الْجَسَدِ <sup>(١)</sup> أَنْ تَسْتَحِيلَ  
5 إِلَى مَا مِنْهُ تَرَكَّبَتْ، كَمَا قُلْنَا آخِفاً فِي الْإِنْسَانِ. لِأَنَّ طَبَائِعَ هَذَا الْجَوْهَرِ قَدْ لَزِمَ بَعْضُهَا  
بَعْضاً وَصَارَتْ شَيْئاً وَاحِداً شَبِيهاً بِالنَّفْسِ فِي قُوَّتِهَا وَفِعْلِهَا، وَبِالْجَسَدِ فِي تَرْكِيبِهِ  
وَمَجَسَّتِهِ، بَعْدَ أَنْ كَانَتْ طَبَائِعَ مَفْرَدَةً بِأَعْيَانِهَا. فَيَا عَجَباً مِنْ أَفَاعِيلِ الطَّبَائِعِ أَنَّ الْقُوَّةَ  
لِلضَّعِيفِ الَّذِي يَقْوَى عَلَى تَفْصِيلِ الْأَشْيَاءِ وَتَرْكِيبِهَا وَتِمَامِهَا. فَلِذَلِكَ قُلْتُ: قَوِيٌّ  
وَضَعِيفٌ. وَإِنَّمَا وَقَعَ التَّغْيِيرُ وَالْفَنَاءُ فِي التَّرْكِيبِ الْأَوَّلِ لِلَاخْتِلَافِ، وَعُذِمَ ذَلِكَ فِي  
10 الثَّانِي لِلاتِّفَاقِ.

وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْأَوَّلِينَ: التَّفْصِيلُ وَالتَّقْطِيعُ فِي هَذَا الْعَمَلِ حَيَاةٌ وَبَقَاءٌ،  
وَالتَّرْكِيبُ مَوْتٌ وَفَنَاءٌ. وَهَذَا الْكَلَامُ دَقِيقُ الْمَعْنَى، لِأَنَّ الْحَكِيمَ أَرَادَ بِقَوْلِهِ: حَيَاةٌ  
وَبَقَاءٌ، بِخُرُوجِهِ مِنَ الْعَدَمِ إِلَى الْوُجُودِ، لِأَنَّهُ مَا دَامَ / عَلَى تَرْكِيبِهِ الْأَوَّلِ فَهُوَ فَانٍ لَا  
[١٣٦٥] مَحَالَّةً. فَإِذَا رَكَّبَ التَّرْكِيبَ الثَّانِي عُدِمَ الْفَنَاءُ. وَالتَّرْكِيبُ الثَّانِي لَا يَكُونُ إِلَّا بَعْدَ  
15 التَّفْصِيلِ وَالتَّقْطِيعِ. فَإِذَنْ، التَّفْصِيلُ وَالتَّقْطِيعُ فِي هَذَا الْعَمَلِ خَاصَّةٌ. فَإِذَا لَقِيَ الْجَسَدُ  
الْمَحْلُولَ انْبَسَطَ فِيهِ بَعْدَ الصُّورَةِ، لِأَنَّهُ قَدْ صَارَ فِي الْجَسَدِ بِمَنْزِلَةِ النَّفْسِ الَّتِي لَا  
صُورَةَ لَهَا. وَذَلِكَ أَنَّهُ لَا وَزْنَ لَهُ فِيهِ، وَسَتَرَى ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

(١) ج ي: الحد.

وقد ينبغي لك أن تعلم، أن اختلاط اللطيف باللطيف، أهون من اختلاط الغليظ بالغليظ. وإنما أريد بذلك التشاكل في الأرواح والأجساد، لأن الأشياء تتصل بأشكالها. وذكرت لك ذلك لتعلم أن العمل أوفق وأيسر من الطباع اللطائف الروحانية منها من الغليظة الجنسية. وقد يتصور في العقل أن الأحجار أقوى وأصبر على النار من الأرواح، كما ترى الذهب والحديد والنحاس أصبر على النار من 5 الكبريت والزئبق وغيرها من الأرواح. فأقول: إن الأجساد قد كانت أزواجا في بدنها، فلما أصابها حر الكيان قلبها أجسادا لرجة غليظة، فلم تقدر النار على أكلها، لإفراط غلظها وتلزجها. فإذا أفرطت النار عليها صيرتها أزواجا كما كانت أول خلقها. وأن تلك الأرواح اللطيفة إن أصابها النار أبقت ولم تقدر على البقاء عليها. فينبغي لك أن تعلم ما صير الأجساد في هذه الحالة، وصير الأرواح في هذه الحال<sup>(١)</sup>. فهو 10 أجل ما تعرفه.

أقول: إنما أبقت تلك الأرواح واحترقت لاشتعالها ولطافتها. وإنما اشتعلت لكثرة رطوبتها، ولأن النار إذا أحست بالرطوبة تعلقت بها، لأنها هوائية تشاكل النار. ولا تزال [تغذيها]<sup>(ب)</sup> إلى أن تنفئ. وكذلك الأجساد إذا أبقت بوصول النار إليها / بقلة تلزجها وغلظها. وإنما صارت تلك الأجساد لا تشتعل لأنها مركبة من 15 أرض وماء صابر على النار بلطيفه، متحد بكثيفه بطول الطبخ اللين المازج الأشياء. وذلك أن كل متلاش إنما يتلاشى بالنار لمفارقة لطيفه من كثيفه، ودخول بغيظه في

(١) ج: الحالة (ب) كذا في ظ، وفي ع ج: تغذيها، وفي ي: تغذي بها.

بَغْضٍ عَلَى غَيْرِ التَّحْلِيلِ وَالْمُوَافَقَةِ. فَصَارَ ذَلِكَ الْإِنْضِمَامُ وَالتَّدْخُلُ مُجَاوِرَةً لَا مُمَارَاجَةً، فَسَهَّلَ بِذَلِكَ افْتِرَاقَهُمَا، كَلِمَاءَ وَالذَّهْنَ وَمَا أَشَبَّهُهُمَا. وَإِنَّمَا وَصَفْتُ ذَلِكَ لِتَسْتَدِيلٍ بِهِ عَلَى تَرْكِيبِ الطَّبَائِعِ وَتَقَابُلِهَا. فَإِذَا عَلِمْتَ ذَلِكَ عِلْمًا شَافِيًّا فَقَدْ أَخَذْتَ حَظَّكَ مِنْهَا.

وَيُنَبِّغِي لَكَ أَنْ تَعْلَمَ، أَنَّ الْأَخْلَاطَ الَّتِي هِيَ طَبَائِعُ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ مُوَافِقَةٌ بَعْضُهَا لِبَعْضٍ، مَفْصُلةٌ مِنْ جَوْهَرٍ وَاحِدٍ، يَجْمَعُهَا نِظَامٌ وَاحِدٌ بِتَدْيِيرٍ وَاحِدٍ، لَا يَدْخُلُ عَلَيْهِ غَرِيبٌ فِي الْجُزْءِ مِنْهُ، وَلَا فِي الْكُلِّ، كَمَا قَالَ الْفِيلَسُوفُ: إِنَّكَ إِنْ أَحْكَمْتَ تَدْيِيرَ الطَّبَائِعِ وَتَأْلِيفَهَا، وَلَمْ تُدْخِلْ عَلَيْهَا غَرِيبًا<sup>(١)</sup>، فَقَدْ زَاغَ عَنْهَا وَوَقَعَ الْخَطَأُ.

وَاعْلَمْ، أَنَّ هَذِهِ الطَّبِيعَةَ إِذَا حُلَّ لَهَا جَسَدٌ مِنْ قَرَابَتِهَا عَلَى مَا يُنَبِّغِي فِي الْحَلِّ حَتَّى يُشَاكِكَلَهَا فِي الرِّقَّةِ وَاللَّطَافَةِ، انْتَبَسَطَتْ فِيهِ وَجَرَتْ مَعَهُ حَيْثُ مَا جَرَى. لِأَنَّ الْأَجْسَادَ مَا دَامَتْ غَلِيظَةً جَافِيَةً لَا تَنْبَسُطُ وَلَا تَتَزَاوَجُ. وَحَلُّ الْأَجْسَادِ لَا يَكُونُ بَغَيْرِ الْأَزْوَاجِ. فَافْهَمْ، هَذَاكَ اللَّهُ، هَذَا الْقَوْلَ. وَاعْلَمْ، هَذَاكَ اللَّهُ، أَنَّ هَذَا الْحَلَّ فِي جَسَدِ الْحَيَوَانِ هُوَ الْحَقُّ الَّذِي لَا يَضْمَحِلُّ وَلَا يَنْتَقِضُ، وَهُوَ الَّذِي يَقْلِبُ الطَّبَائِعَ وَيُمَسِّكُهَا وَيُظْهِرُ لَهَا أَلْوَانًا وَأَزْهَارًا عَجِيبَةً. وَلَيْسَ كُلُّ جَسَدٍ يُحَلُّ خِلَافَ هَذَا هُوَ الْحَلُّ النَّامُ لِأَنَّهُ مُخَالِفٌ لِلْحَيَاةِ. وَإِنَّمَا حَلُّهُ بِمَا يُوَافِقُهُ وَيُدْفَعُ عَنْهُ خَزَقُ النَّارِ، حَتَّى يَزُولَ عَنِ الْغَلَظِ، وَتَنْقَلِبُ الطَّبَائِعُ عَنْ حَالَاتِهَا إِلَى مَا لَهَا أَنْ تَنْقَلِبَ مِنَ اللَّطَافَةِ وَالْغَلَظِ. فَإِذَا بَلَغَتْ الْأَجْسَادُ نَهَايَتَهَا مِنَ التَّحْلِيلِ وَالتَّلْطِيفِ، ظَهَرَتْ لَهَا هُنَاكَ قُوَّةٌ

(١) وَرَدَتْ هَذِهِ الْفَقْرَةُ كَذَا فِي ظ ع ج ي، وَالتَّمُورِيَّةُ (الْوَرَقَةُ 263)، وَنُشْرَةُ كَاتَرْمَر (3: 198). وَفِي نُشْرَةِ د. عَبْدِ الْوَاحِدِ وَافِي (3: 1202) إِضَافَةٌ لَمْ تَرِدْ فِي أَصُولِنَا فَأَقْبَلْنَاهَا فِي هَذِهِ الْحَاشِيَةِ، وَهِيَ: وَلَمْ تُدْخَلْ عَلَيْهَا غَرِيبًا [فَقَدْ أَحْكَمْتَ مَا أُرِدْتُ إِحْكَامَهُ وَقَوَامَهُ، إِذَا الطَّبِيعَةُ وَاحِدَةٌ لَا غَرِيبَ فِيهَا، فَمَنْ أَدْخَلَ عَلَيْهَا غَرِيبًا فَقَدْ زَاغَ عَنْهَا وَوَقَعَ فِي] الْخَطَأِ.



[366] ثَمْسِكَ وَتَغْوُصُ / وَتَقْلِبُ وَتَنْفُذُ . وَكُلُّ عَمَلٍ لَا يُرَى لَهُ مُصَدِّقٌ فِي أَوَّلِهِ فَلَا خَيْرَ

فِيهِ .

وَاعْلَمْ ، أَنَّ الْبَارِدَ مِنَ الطَّبَائِعِ هُوَ لِيُتَبَسَّ الْأَشْيَاءُ وَيَعْقَدَ رَطَوِيَّتَهَا ، وَالْحَارُّ مِنْهَا يُظْهِرُ رَطَوِيَّتَهَا وَيَعْقَدُ يُبْسَهَا . وَإِنَّمَا أَفْرَدْتُ الْحَرَّ وَالْبَرْدَ ، لِأَنَّهَا فَاعِلَانِ ، وَالرَّطَوِيَّةُ وَالْيُبْسُ مُنْفَعِلَانِ ، وَعَنْ أَعْيَالِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لِصَاحِبِهِ تَحْدُثُ الْأَجْسَامُ وَتَكُونُ .  
5 وَإِنْ كَانَ الْحَرُّ أَكْثَرَ فِعْلاً فِي ذَلِكَ مِنَ الْبَرْدِ ، لِأَنَّ الْبَرْدَ لَيْسَ لَهُ ثَقُلُ الْأَشْيَاءِ وَلَا تَحَرُّكُهَا ، وَالْحَرُّ هُوَ عِلَّةُ الْحَرَكَةِ ، وَمَتَى ضَعُفَتْ عِلَّةُ الْكَوْنِ ، وَهِيَ الْحَرَارَةُ ، لَمْ يَتِمَّ مِنْهَا شَيْءٌ أَبَدًا . كَمَا أَنَّهُ إِذَا أَفْرَطَتِ الْحَرَارَةُ عَلَى شَيْءٍ وَلَمْ يَكُنْ ثَمَّ بَزْدٌ أَحْرَقَتْهُ وَأَهْلَكَتْهُ .  
فَمِنْ أَجْلِ هَذِهِ الْعِلَّةِ ، اخْتِيجَ إِلَى الْبَارِدِ فِي هَذِهِ الْأَعْمَالِ ، لِيَقْوَى بِهِ<sup>(1)</sup> كُلُّ ضِدٍّ عَلَى ضِدِّهِ ، وَيُدْفَعَ عَنْهُ حَرُّ النَّارِ .

10

وَلَمْ تَحْذَرْ الْفَلَاسِيفَةُ أَكْثَرَ شَيْءٍ إِلَّا مِنَ النَّارِ الْمُحْرِقَةِ . وَأَمَرْتُ بِتَظْهِيرِ الطَّبَائِعِ وَالْأَنْفَاسِ وَإِخْرَاجِ دَنَسِهَا وَرُطَوِيَّتِهَا وَنَفْيِ آفَاتِهَا وَأَوْسَاحِهَا عَنْهَا . عَلَى ذَلِكَ اسْتِقَامَ رَأْيُهُمْ وَتَذْيِيرُهُمْ . فَإِنَّ عَمَلَهُمْ إِنَّمَا هُوَ مَعَ النَّارِ أَوَّلًا ، وَإِلَيْهَا يَصِيرُ آخِرًا ، فَلِذَلِكَ قَالُوا : إِنَّا كَمِ النَّارِ الْمُحْرِقَاتِ . وَإِنَّمَا أَرَادُوا بِذَلِكَ نَفْيَ الْآفَاتِ الَّتِي مَعَهَا ، فَتَجْمَعُ عَلَى الْجَسَدِ آفَتَيْنِ ، فَيَكُونُ أَسْرَعُ لِهَلَاكِهِ . وَكَذَلِكَ كُلُّ شَيْءٍ إِنَّمَا يَتَلَاشَى وَيَفْسُدُ لِتَضَادِّ  
15 طَبَائِعِهِ وَاخْتِلَافِهِ . فَيَتَوَسَّطُ بَيْنَ شَيْئَيْنِ ، فَلَمْ يَجِدْ مَا يَقْوِيهِ وَيُعِينُهُ إِلَّا قَهْرَتَهُ الْآفَةُ وَأَهْلَكَتْهُ .

(1) ظ: بها .

واعلم أن الحكماء ذكرت ترداد الأزواح على الأجساد مراراً، ليكون ألزم إليها وأقوى على قتال النار إذا هي باشرت بها [عند<sup>(أ)</sup> الألفه، أعني بذلك النار العنصرية، فاعلمه.

ولنقل الآن على الحجر الذي يمكن منه العمل على ما ذكرته الفلاسفة، وقد  
5 اختلّفوا فيه، فمنهم من زعم أنه في الحيوان، ومنهم من زعم أنه في النبات، ومنهم من  
زعم أنه في المعادن، ومنهم من / زعم أنه في الجميع. وهذه الدغوى<sup>(ب)</sup> ليست بنا  
حاجة إلى استقصائها ومناظرة أهلها عليها، لأن الكلام يطول جداً. وقد قلت فيما  
تقدم: إن العمل من كل شيء بالقوة، لأن الطبائع موجودة في كل شيء، فهو  
كذلك.

10 فريد أن تعلم من أي شيء يكون العمل بالقوة والفعل، فنقصد إلى ما قاله  
الحراني، أن الصبغ كله أحد صبغين، إما صبغ جسد، كالزعفران في الثوب الأبيض  
حتى يحول فيه، وهو مضمحل منتقض التركيب، والصبغ الثاني تثقيب الجوهر من  
جوهر نفسه [إلى جوهر غيره ولونه، كتثقيب الشجر التراب إلى نفسه]<sup>(ج)</sup>، وقلب  
الحيوان النبات إلى نفسه، حتى يصير التراب نباتاً ويصير النبات حيواناً، ولا  
15 يكون إلا بالروح الحي والكيان الفاعل الذي له توليد الأجرام وقلب الأعيان.

فإذا كان هذا هكذا، فأقول: إن العمل لابد أن يكون إما في الحيوان، وإما  
في النبات. وبزهان ذلك، أنها مطبوعان على الغذاء، وبه قوامهما وتامهما.

(أ) ظ: عنه (ب) في ع ج ي: الدغوى (ج) من ع ج ي، وسقط من ظ.

فأما النبات، فليس فيه ما في الحيوان من اللطافة والقوة. ولذلك قلّ خوض الحكماء فيه. وأما الحيوان، فهو آخر الاستحالات الثلاثة ونهايتها. وذلك أنّ المعدن يستحيل نباتاً، والنبات يستحيل حيواناً، والحيوان لا يستحيل إلى شيء هو ألطف منه، إلا أن ينعكس راجعاً إلى الغلط، وأنه أيضاً لا يوجد في العالم شيء تتعلق به الروح الحية غيره. والروح الطيف ما في العالم، ولم تتعلق الروح بالحيوان 5 إلا بمشاكلته إياها. فأما الروح التي في النبات فإنها يسيرة، فيها غلظ وكثافة، وهي مع ذلك مستغرقة كامنة فيه، لغلظها وغلظ جسد النبات. فلم يقدّر على الحركة لغلظها وغلظ روجه. والروح المتحركة ألطف من الروح الكامنة كثيراً. وذلك أنّ المتحركة لها قبول الغذاء والتنقل والتنفس، وليس للكامنة غير قبول الغذاء وخذه، ولا تجري إذا قيسَت بالروح الحية إلا كالأرض عند الماء. كذلك / النبات عند 10 الحيوان. فالعمل في الحيوان أعلى وأرفع وأهون وأيسر. فيتبغى للعاقل إذا عرف ذلك أن يجرب ما كان سهلاً ويترك ما يخشى فيه عسراً.

واعلم أنّ الحيوان عند الحكماء ينقسم أقساماً: من الأمهات التي هي الطبايع، والحديثة التي هي المواليد. وهذا معروف بيسير الفهم. فلذلك قسّمت الحكماء العناصر والمواليد أقساماً حية، وأقساماً ميتة. فجعلوا كلّ متحرك فاعلاً حياً، وكلّ ساكن مفعولاً ميتاً. وقسموا ذلك في جميع الأشياء، وفي الأجساد الدائبة<sup>(1)</sup>، وفي العقاقير المعدية. فسمّوا كلّ شيء يذوب في النار ويطيّر ويشتعّل، حياً، وما كان

(1) في ي: الدائبة، وأصلحها في ع بخطه: الدائبة.

على خلاف ذلك سَمَّوْهُ مَيْتًا. فَأَمَّا الْحَيَوَانُ وَالنَّبَاتُ، فَسَمَّوْهُ كُلُّ مَا انْفَصَلَ مِنْهَا<sup>(١)</sup>  
طَبَائِعَ أَرْبَعًا، حَيًّا، وَمَا لَمْ يَنْفَصِلْ سَمَّوْهُ مَيْتًا.

ثُمَّ إِنَّهُمْ طَلَبُوا جَمِيعَ الْأَقْسَامِ الْحَيَّةِ، فَلَمْ يَجِدُوا لَوْفِقِ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ مِمَّا يَنْفَصِلُ  
فَصُولًا أَرْبَعَةً ظَاهِرَةً لِلْعِيَانِ ، وَلَمْ يَجِدُوا غَيْرَ الْحَجَرِ الَّذِي فِي الْحَيَوَانِ . فَبَحْثُوا عَنْ  
5 جِنْسِهِ حَتَّى عَرَفُوهُ وَأَخَذُوهُ وَدَبَّرُوهُ، فَتَكَيَّفَ لَهُمْ مِنْهُ الَّذِي أَرَادُوا.

وَقَدْ يَتَكَيَّفُ مِثْلُ هَذَا فِي الْمَعَادِنِ وَالنَّبَاتِ بَعْدَ جَمْعِ الْعَقَاقِيرِ وَخَلْطِهَا، ثُمَّ  
تُفَصَّلُ بَعْدَ ذَلِكَ. فَأَمَّا النَّبَاتُ، فَمِنْهُ مَا يَنْفَصِلُ بِيَغْضِ هَذِهِ الْفُصُولِ، مِثْلُ الْأَشْنَانِ.  
وَأَمَّا الْمَعَادِنُ، فَفِيهَا أَجْسَادٌ وَأَرْوَاحٌ وَأَنْفَاسٌ إِذَا مُزِجَتْ وَدُبِّرَتْ كَانَ مِنْهَا مَا لَهُ تَأْثِيرٌ.  
وَقَدْ دَبَّرْنَا كُلَّ ذَلِكَ، فَكَانَ الْحَيَوَانُ مِنْهَا أَعْلَى وَأَرْفَعَ، وَتَدْبِيرُهُ أَسْهَلُ وَأَيْسَرُ. فَيَنْبَغِي  
10 أَنْ تَعْلَمَ مَا هُوَ الْحَجَرُ الْمَوْجُودُ فِي الْحَيَوَانِ، وَطَرِيقُ وَجُودِهِ أَنَّا بَيَّنَّا أَنَّ الْحَيَوَانَ أَرْفَعُ  
الْمَوَالِيدِ، وَكَذَلِكَ مَا تَرَكَّبَ مِنْهُ، فَهُوَ أَلْطَفُ مِنْهُ، كَالنَّبَاتِ مِنَ الْأَرْضِ، إِنَّمَا كَانَ  
النَّبَاتُ أَلْطَفَ مِنَ الْأَرْضِ لِأَنَّهُ إِنَّمَا يَكُونُ مِنْ جَوْهَرِهِ الصَّافِي وَجَسَدِهِ اللَّطِيفِ،  
فَوَجَبَ لَهُ بِذَلِكَ اللَّطَافَةُ وَالرَّقَّةُ. وَكَذَلِكَ هَذَا الْحَجَرُ الْحَيَوَانِي بِمَنْزِلَةِ النَّبَاتِ فِي التَّرَابِ.  
/ وَبِالْجُمْلَةِ ، إِنَّهُ لَيْسَ فِي الْحَيَوَانِ شَيْءٌ يَنْفَصِلُ طَبَائِعَ أَرْبَعًا غَيْرُهُ. فَافْهَمْ هَذَا الْقَوْلَ،  
15 فَإِنَّهُ لَا يَكَادُ يَخْفَى إِلَّا عَلَى جَاهِلٍ يَبْنِي الْجَهَالََةَ، وَمَنْ لَا عَقْلَ لَهُ.

فَقَدْ أَخْبَرْتُكَ مَا هِيَ هَذِهِ الْحَجَرِ، وَأَعْلَمْتُكَ جِنْسَهُ، وَأَنَا أُبَيِّنُ لَكَ وَجْهَ تَدَابِيرِهِ  
حَتَّى يَكْمَلَ لَكَ الَّذِي شَرَطْنَاهُ عَلَى أَنْفُسِنَا مِنَ الْإِنْصَافِ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ .

(١) ي: منه .

## التدبيرُ على بركة الله تعالى:

خُذِ الْحَجَرَ الْكَرِيمَ، فَأَوْدِعْهُ الْقِرْعَةَ وَالْإِنْبِيقَ، وَفَصِّلْ طَبَائِعَهُ الْأَرْبَعَ الَّتِي هِيَ:  
الماءُ والهواءُ والأرضُ والنَّارُ، وهي: الجسدُ والروحُ والنفْسُ والصَّنْعُ. فإذا عَزَلْتَ  
[الماء] <sup>(أ)</sup> عن <sup>(ب)</sup> التُّرابِ، والهواءَ عن <sup>(ب)</sup> النَّارِ، فَارْفَعْ كُلَّ وَاحِدٍ فِي إِنَائِهِ عَلَى حِدَةٍ.  
وخذِ الْهَابِطَ أَسْفَلَ الْإِنَاءِ، وَهُوَ الثُّقُلُ، فَاغْسِلْهُ بِالنَّارِ الْحَارَّةِ <sup>(ج)</sup> حَتَّى يَذْهَبَ عَنْهُ 5  
سَوَادُهُ وَيَزُولَ غِلْظُهُ وَجَفَاؤُهُ، وَتَبَيُّضُهُ تَبَيُّضاً مُحْكَمًا، وَطَيَّرَ عَنْهُ فُضُولَ الرِّطوباتِ  
الْمُسْتَجِنَّةِ فِيهِ، فَإِنَّهُ يَصِيرُ عِنْدَ ذَلِكَ مَاءً <sup>(د)</sup> أَيْضٌ لَا ظُلْمَةٌ فِيهِ وَلَا وَسَخٌ وَلَا تَضَادٌّ.  
ثُمَّ اعْمِدْ إِلَى تِلْكَ الطَّبَائِعِ الْأُولِ <sup>(هـ)</sup> الصَّاعِدَةِ مِنْهُ، فَطَهِّرْهَا أَيْضاً مِنَ السَّوَادِ وَالتَّضَادِّ،  
وَكَرِّرْ عَلَيْهَا الْغَسْلَ <sup>(و)</sup> وَالتَّضَعِيدَ حَتَّى تَلْطَفَ وَتَرِقَّ وَتَصْفَوْ. فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ، فَقَدْ  
فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكَ <sup>(ز)</sup>.

10

فابدأ بالتركيب الذي هو مدار العمل؛ وذلك أَنَّ التَّركِيبَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالتَّزْوِيجِ  
والتَّعْفِينِ: فَأَمَّا التَّزْوِيجُ، فَهُوَ اخْتِلَاطُ اللَّطِيفِ بِالْغَلِيظِ. وَأَمَّا التَّعْفِينُ: فَهُوَ التَّمْشِيقُ  
وَالسَّخْقُ حَتَّى يَخْتَلَطَ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ وَيَصِيرَ شَيْئاً وَاحِداً لَا اخْتِلَاطَ فِيهِ <sup>(ح)</sup> وَلَا  
نَقْصَانٌ <sup>(ط)</sup>، بِمَنْزِلَةِ الْاِمْتِزَاجِ بِالْمَاءِ <sup>(ي)</sup>. فَعِنْدَ ذَلِكَ يَقْوَى الْغَلِيظُ عَلَى إِمْسَاكِ اللَّطِيفِ،  
وَيَقْوَى الرُّوحُ عَلَى مُقَابَلَةِ النَّارِ وَيَصْبِرُ عَلَيْهَا، وَتَقْوَى النَّفْسُ عَلَى الْغَوْصِ فِي الْأَجْسَادِ 15  
وَالدَّبِيبِ فِيهَا.

(أ) من ع، وسقط من ط (ب) في ش (89 أ) : من (ج) ش: فاغسله بالنار والمياه (د) ش: كلساً (هـ) ش: الأولى  
(و) ش: الغسل مراراً (ز) ش: فتح الله لك وعليك (ح) ش: لا خلاف فيها (ط) ش: ولا انفصال (ي) ش: بمنزلة  
الماء مُزِج بالماء .

وإنما وُجد<sup>(أ)</sup> ذلك بعد التركيب ، لأنَّ الجسدَ المخلولَ لما ازدوج بالروح  
 [مازجَه] <sup>(ب)</sup> بجميع أجزائه ، ودخلَ بعضها في بعضٍ لتشاكلها، فصار شيئاً / واحداً. [368]  
 ووجبَ من ذلك أن يعرضَ للروح من الصِّلاح والفسادِ والبقاء والثبوتِ، ما  
 يعرضُ للجسدِ لموضعِ الامتزاج . وكذلك النفسُ إذا امتزجتَ بهما ودخلتَ فيهما  
 5 بخدمة التدبير ، اختلطت<sup>(ج)</sup> أجزاؤها بجميع أجزاء<sup>(د)</sup> الآخرين ، أعني الروح  
 والجسد<sup>(د)</sup> ، وصارت هي وهما شيئاً واحداً لا اختلافَ فيه، بمنزلةِ الجزءِ الكلِّي<sup>(هـ)</sup>  
 الذي سلِمَتْ طبائعُه واتَّفقتْ أجزاؤه.

فإذا لقيَ هذا المركَّبُ الجسدَ المحلولَ، وألحَّ عليه النَّارُ<sup>(ز)</sup>، وأظهرَ ما فيه  
 من الرطوبةِ على وجهه ، فذاب<sup>(ز)</sup> في الجسدِ المحلولِ . <sup>(ح)</sup> ومن شأنِ الرطوبةِ<sup>(ح)</sup>  
 10 الاشتعالُ<sup>(ط)</sup> وتعلُّقُ النَّارِ بها ، فإذا أرادتِ النَّارُ التعلُّقَ بها ، منعها<sup>(ي)</sup> من الاتحادِ  
 بالنفسِ مِمَّا زجَّه الماءُ لها، فإنَّ النَّارَ لا تتحدُّ بالدهنِ حتَّى يكونَ خالصاً. وكذلك الماءُ  
 من شأنِهِ التَّفورُ من النَّارِ. فإذا ألحَّت عليه النَّارُ وأرادتِ تطهيره، حبسهُ الجسدُ<sup>(ك)</sup>  
 اليابسُ الممازجُ له في جوفه، فمنعه من الطَّيرانِ. فكان الجسدُ علَّةً لإمساكِ الماءِ،  
 والماءُ علَّةً لبقاء<sup>(ل)</sup> الدهنِ، والدهنُ علَّةً لثباتِ الصَّبغِ. وكان الصَّبغُ علَّةً لظهورِ اللونِ،  
 15 وإظهارِ الذَّهَبِيَّةِ في الأشياءِ<sup>(م)</sup> المظلمةِ التي لا نورَ لها ولا حياةَ فيها.

(أ) ش: وجب (ب) من ع ر، وفي ظ: مازجة (ج) ش: واختلطت (د) فراغ في متن ع، وكُتب ما بين خزي في النال في  
 الحاشية بخط مغربي قديم، ونقلتها في مكانها بقية النسخ (هـ) ش: الجوهر الكلِّي (و) ش: الحر (ز) ش: فذب  
 (ح) التعليق المتقدم نفسه على نسخة ع (ط) ش: الاشتعال بالنار (ي) ش: منعها (ك) ش: حبسه في جوف الجسد  
 (ل) ش: لإمساك (م) ش: الأجساد .

فهذا هو الجسد المستقيم، وهكذا يكون العمل.

وهذه البيضة التي سألت عنها، وهي التي سمّتها الحكماء بيضة، وإياها  
يَعْنُونَ، لا بيضة الدجاجة.

واعلم<sup>(أ)</sup> أن الحكماء لم<sup>(ب)</sup> تُسمّها بهذا الاسم لغير معنى، بل أشبهتها. \* ولقد

سألت مسألته عن ذلك يوماً وليس عنده غري، فقلت له: أيها الحكيم الفاضل،

أخبرني: لأي شيء سمّت الحكماء مركّب الحيوان بيضة، اختياراً منهم لذلك أم لمعنى

دعاهم إليه؟ فقال: بل لمعنى غامض. فقلت: أيها الحكيم، وما ظهر لهم من ذلك

من المنفعة والاستدلال على الصّناعة حتّى شبهوها وسمّوها بيضة؟ فقال: لشبهها

وقرابتها من المركّب، ففكّر فيه، فإنّه سيظهر لك معناه. / فبقيت بين يديه متفكّراً [368ب]

لا أقدر على الوصول إلى معناه. فلما رأى ما بي من الفكر، وأنّ نفسي قد مضت

فيها، أخذ بعصدي وهزني هزة خفيفة، وقال لي: يا أبا بكر، ذلك للنسبة التي بينها

في كمّيّة الألوان عند امتزاج الطّباع وتأليفها. فلما قال ذلك، انجلى عني الظلمة،

وأضاء لي نور قلبي، وقويّ عقلي على فهمه. فنهضت شاكرًا لله عليه إلى منزلي،

وأقيمت عليه شكلاً هندسيّاً يتبرهن به صحّة ما قاله مسألته. وأنا واضع لك في هذا

الكتاب \* (ج). 15

مثال ذلك<sup>(د)</sup>، أنّ المركّب إذا تمّ وكلّ كان [نسبة<sup>(هـ)</sup>] ما فيه من طبيعة الهواء

إلى ما في البيضة من طبيعة الهواء، كنسبة<sup>(و)</sup> ما في المركّب من طبيعة النار إلى

(أ) سقط من ج (ب) سقط من ظ (ج) ما بين النجمين لا يوجد في الرسالة ش (د) سقط من ج (هـ) من ج ي ر  
وحاشية ع، وفي ظ ومتن ع قبل التعديل: طبيعة (و) ش: ونسبة .

ما في <sup>(أ)</sup> البيضة من طبيعة <sup>(ب)</sup> النار. وكذلك الطبيعتان الأخريان <sup>(ج)</sup>، الأرض والماء، فأقول: إنَّ كلَّ شَيْئَيْنِ مُتَنَاسِبَيْنِ على هذه الصِّفة، فهما مُتَشَابِهَانِ <sup>(د)</sup>.

ومثال ذلك، أن تجعل سطح البيضة هَـ زَ وَحَ <sup>(هـ)</sup>. فإذا أردنا ذلك، فإنَّنا نأخذ أقلَّ الطَّبائعِ، المركَّب <sup>(و)</sup>، وهي طبيعة اليبوسة، ونُضِيفُ إليها مثلها من طبيعة الرُّطوبةِ، ونُدَبِّرُهما حتى تُنَشَّفَ طبيعة اليبوسة طبيعة الرُّطوبةِ وتقبل <sup>(ز)</sup> قُوَّتَها. وكأنَّ 5 في هذا الكلام رَمَزاً، ولكنَّه لا يَخْفَى عليك. ثمَّ تحملُ <sup>(ح)</sup> [عليها جميعاً مثلَّيها <sup>(ط)</sup> من الرُّوح وهو الماء، فيكونُ الجميعُ <sup>(ي)</sup> سِتَّةَ أمثالٍ <sup>(ك)</sup>؛ ثمَّ تحملُ <sup>(ل)</sup> على الجميع بعد التدبير مثلاً من طبيعة الهواء التي هي النَّفْسُ، وذلك ثلاثة أجزاء. فيكونُ [الجميعُ] <sup>(م)</sup> تسعةَ أمثالٍ اليبوسة بالقوَّة. وتُجعلُ تحت كلِّ ضلعين من هذا المركَّب 10 الذي طبيعته مُحِيطَةٌ بسطح المركَّب طبيعتين، فتجعلُ أولاً الضلعين المحيطين بسطحه طبيعة الماء وطبيعة الهواء، وهما ضلعاً آخَ دَ <sup>(ن)</sup>، وسطحُ أبجد <sup>(س)</sup>. وكذلك الضلعان المحيطان بسطح البيضة اللذان هما الماء والهواء ضلعاً هَـ زَ وَحَ <sup>(ع)</sup>. فأقول: إنَّ أبجد يُشَبِّهُ سطحَ هَـ زَ وَحَ <sup>(ف)</sup> طبيعة الهواء التي تُسمَّى نفساً، وكذلك بَ جَ <sup>(س)</sup> من سطح المركَّب. والحكماء لم تسم شيئاً باسم شيءٍ إلا 15 لشيءٍ به.

(أ) ش: كنسبة ما في (ب) من ع ر، وسقط من ظ (ج) ش: الطبيعتين الأخريين (د) ش: وكل شيتين متشابهين فهما متناسبان (هـ) ش: زَ وَحَ (و) ش: أقل طبائع المركَّب (ز) ش: وتأخذ (ح) ش (91ب): تجعل (ط) ش: مثلي وزنها (ي) ج: الجميع منه (ك) ش: أمثال اليبوسة (ل) من ع (م) ظ: الجميع (ن) في ظ: آخَ دَ جَ، وفي ي ج: آخَ جَ، وفي ش: آخَ جَ (س) ش: آخَ جَ دَ (ع) ي: زَ وَحَ (ف) ي: هَـ زَ وَحَ (س) ع ج ي متصلة: بج.



\*والكلمات التي سألت عن شرحها: الأرض المقدسة هي المنعقدة من الطباع

[369 أ] العلوية والسفلية . / والتحاس، هو الذي أخرج سواده وقُطِعَ حتى صار هباءً ، ثم حُمِرَ بالزجاج فصار نحاساً . والمغنيسيا حجرهم الذي تجمُد فيه الأزواح وتُخرجُه الطبيعة العلوية التي تُسجِنُ فيها الأرواح لتقاتلَ عليها النار . والفزفرة لونٌ أحمر قانٍ يُحدثه للكيان<sup>(1)</sup> . والرصاص حجر له ثلاث قوى مختلفة الشُّخص ، ولكنها مُتشاكِلةٌ 5 متجانسةٌ . فالواحدة روحانية نيرة صافية ، وهي الفاعلة . والثانية نفسانية ، وهي مُتحركة حساسة ، غير أنها أغلظُ من الأولى ومركزها دون مركز الأولى . والثالثة قوة أرضية جاسية قابضة منعكسة إلى مركز الأرض لِثقلها . وهي الماسكة الروحانية والنفسانية جميعاً والمحيطَةُ بهما . وأما سائر الباقيّة ، فمُبتدعة ومُختَرعة ، إلباساً على الجاهل . ومن عَرَفَ المقدمات استغنى عن غيرها . فهذا جميع ما سألتني عنه قد 10 بعثت به إليك مفسراً؛ وترجو بتوفيق الله أن تَبْلُغَ أملك. والسلام\* (ب).

انتهى كلام ابن بشرون. وهو من كبار تلميذ مَسْلَمَةَ المَجرِيطي، شيخ الأندلس في علوم الكيمياء والسيما<sup>(ج)</sup> والسحر في القرن الثالث وما بعده.

وأنت ترى، كيف صرف ألفاظهم كلها في الصناعة إلى الرمز والألغاز التي لا تكاد تبين ولا تُعرف؛ وذلك دليل على أنها ليست بصناعة طبيعية. 15

والذي يجب أن يُعتَقَدَ في أمر الكيمياء ، وهو الحق الذي يُعَضِّده الواقع ، أنها من جنس آثار النفوس الروحانية وتَصَرُّفها في عالم الطبيعة ، إما من

(1) ظ: الكيان (ب) ما بين النجمين لم يرد في الرسالة ش (ج) سقط من ج .

نوع الكرامة إن كانت النفوس خَيْرَة، أو من نوع السّخر، إن كانت شريرة فاجرة.

فأما الكرامة، فظاهرة؛ وأما السّخر، فلأنّ السّاحر كما ثبت في مكان تحقيقه، يقلب الأعيان الماديّة بقوّته السّحرية، ولا بدّ له مع ذلك عندهم من مادة يقع فعله السّحري فيها؛ كتخليق بعض الحيوانات من مادة التراب أو الشّعر 5 والنبات، وبالجملة من غير / مادّتها المخصوصة بها، كما وقع لسّخرة فرعون في الجبال والعصي، وكما يُنقل عن سّخرة السودان والهنود في قاصية الجنوب، والتّرك في قاصية الشّمال، أنهم ينسحرون الجوّ للأمطار، وغير ذلك.

ولما كانت هذه تخليقاً للذهب في غير مادّته الخاصّة به، كان من قبيل السّخر. والمتكلّمون فيه من أعلام الحكماء، مثل جابر ومسلمة ومن كان قبلهم من حكماء 10 الأمم، إنّما نحوا هذا المنحى. ولهذا كان كلامهم فيه إلغازاً، حذراً عليها من إنكار الشرائع على السّخر وأنواعه، لا أنّ ذلك يرجع إلى الضّانة بها، كما هو رأي من لم يذهب إلى التّحقيق في ذلك.

وانظر كيف سمّى مسلمة كتابه فيها رتبة الحكيم، وسمّى كتابه في السّخر 15 والطلّسمات غاية الحكيم، إشارة إلى عموم موضوع الغاية وخصوص موضوع هذه. لأنّ الغاية أعلى من الرّتبة. وكأنّ مسائل الرّتبة بعض من مسائل الغاية، أو تشاركها في الموضوعات. ومن كلامه في الفئتين يتبيّن ما قلناه.

ونحنُ نُبَيِّنُ [فيما]<sup>(أ)</sup> بعدَ هذا غلطَ مَنْ يُزْعِمُ أَنَّ مداركَ هذا الأمرِ بالصَّناعةِ الطَّبِيعِيَّةِ. واللهُ العليمُ الخبيرُ.

### 31 \* فَصْلٌ ، فِي إِبْطَالِ الْفَلَسَفَةِ وَفْسَادِ مُنْتَحِلِهَا

هذا الفصلُ وما بعدهُ مُهمٌّ ، لأنَّ هذه العلومَ عارضةٌ في العُمرانِ ، كثيرةٌ في المَدُنِ ، وضررها في الدينِ كبيرٌ. فوجبَ أنْ نصدَعَ بِشأنِها ونُكشِفَ عن المَعْتَقَدِ 5 الحقِّ فيها.

وذلك أنَّ قَوْماً من عُقلاءِ النَّوعِ الإنسانيِّ زَعَمُوا أَنَّ الوجودَ كُلَّهُ، الحِسِّيَّ منه وما وراءَ الحِسِّ، تُدركُ ذواته وأحواله بأسبابِها وعِلَلُها بالأنظارِ الفكريَّةِ والأقْبَسَةِ العقلِيَّةِ، وأنَّ تصحيحَ العقائدِ الإيمانيَّةِ من قِبَلِ النَّظَرِ لا من جَهَةِ السَّمْعِ، فإنَّها بعضُ 10 من مداركِ العقلِ. وهؤلاءِ يُسَمَّوْنَ بالفلاسِفَةِ<sup>(ب)</sup>، جمعُ فيلسوفٍ، وهو باللسانِ اليونانيِّ: محبُّ الحكمةِ.

[370] فَبَحَثُوا عن ذلكَ وشَمَرُوا له، وَحَوَّمُوا على / إصَابَةِ الغَرَضِ منه، وَوَضَعُوا قانوناً يَهْتَدِي به العقلُ في نَظَرِهِ إلى التَّمْيِيزِ بَيْنَ الحقِّ والباطِلِ، وَسَمَّوْهُ بالمنطِقِ. وَمُحَصَّلُ ذلكَ ، أَنَّ النَّظَرَ الَّذِي يُفِيدُ تَمْيِيزَ الحقِّ من الباطِلِ ، إِنَّمَا هُوَ لِلذَّهْنِ فِي المعانيِ المنتزَعَةِ من المَوْجُودَاتِ الشَّخْصِيَّةِ، فَيَتَجَرَّدُ أَوَّلًا مِنْهَا صُورٌ مَنْطِيقَةٌ على جميعِ 15 الأشخاصِ، كما يَنْطَبِقُ الطَّابِعُ<sup>(ج)</sup> على جَمِيعِ النَّقُوشِ الَّتِي يَرْسُمُهَا في طِينٍ أو شَمْعٍ.

(أ) من: ع ج ي (ب) ج: الفلاسفة (ج) ج: الطبايع .

وهذه المجردة من المحسوسات تُسمى المعقولات الأوائل. ثم تُجرد من تلك المعاني الكلية إذا كانت مشتركة مع معانٍ<sup>(١)</sup> أخرى وقد تميّزت عنها في الذهن، فتُجرد منها معانٍ<sup>(١)</sup> أخرى، هي التي اشتركت بها. ثم تُجرد ثانياً إن شاركها غيرها، وثالثاً، إلى أن ينتهي التجريد إلى المعاني البسيطة الكلية المنطقية على جميع المعاني والأشخاص، ولا يكون منها تجريد بعد هذا، وهي الأجناس العالية. وهذه المجردات كلها من غير 5 المحسوسات، هي من حيث تأليفها بعضها مع بعض لتخصيل العلوم منها، تُسمى المعقولات الثواني. فإذا نظر الفكر في هذه المعقولات المجردة، وطلب منها تصوّر الوجود كما هو، فلا بُدَّ للذهن من إضافة بعضها إلى بعض، ونقي بعضها عن بعض بالبرهان العقليّ اليقينيّ، لتخصيل تصوّر الوجود صحيحاً مطابقاً إذا كان ذلك بقانون صحيح، كما مرّ. 10

وصنف التصديق، الذي هو تلك الإضافة والحكم، متقدّم عندهم على صنف التّصوّر في النهاية، والتّصوّر متقدّم عليه في البداية والتّعليم؛ لأنّ التّصوّر التّام عندهم هو غاية الطلب الإدراكيّ، وإنّما التصديق وسيلة له. وما تسمّعه في كتب المنطقيّين من تقدّم التّصور وتوقّف التصديق عليه، فيمغنى الشعور، لا بمغنى العلم 15 التّام. وهذا هو مذهب كبيرهم أرسطو.

ثم يزعمون أنّ السعادة في إدراك / الموجودات كلها، ما في الحس وما وراء [370ب] الحس، بهذا النظر وتلك البراهين. وحاصل مداركهم في الوجود على الجفلة ما آلت

(١) في الأصول كلها: معاني .

إليه، وهو الذي فرَّعوا عليه قضايا أنظارهم، أنهم عثروا أولاً على الجسم السفلي  
بحكم الشهود والجس، ثم ترقى إدراكهم قليلاً فشعروا [بوجود]<sup>(أ)</sup> النفس من قبل  
الحركة والجس في الحيوانات، ثم أحسوا من قوى النفس بسُلطان العقل، ووقف  
إدراكهم. فتصَّووا على الجسم العالي السماوي بنحو من القضاء على أمر الذات الإنسانية،  
ووجب عندهم أن يكون للفلك نفس وعقل كما للإنسان. ثم أنهوا ذلك نهاية عدد  
5 الآحاد، وهي العشر، تسع مفصلة ذواتها جمل، وواحد أول مفرد، وهو العاشر.

ويزعمون أن السعادة في إدراك الوجود على هذا النحو من القضاء، مع  
تهذيب النفس وتخليها بالفضائل، وأن ذلك ممكن للإنسان ولو لم يرد شرع، لتمييزه  
بين الفضيلة والرذيلة من الأفعال بمقتضى عقله ونظره، و[مثله]<sup>(ب)</sup> إلى الحمود منها،  
واجتنابه للمذموم بفطرته. وأن ذلك إذا حصل للنفس، حصلت لها البهجة واللذة،  
10 وأن الجهل بذلك هو الشقاء السرمذ؛ وهذا عندهم هو معنى النعيم والعذاب في  
الآخرة، إلى خباط لهم في [تفاصيل]<sup>(ج)</sup> ذلك معروف من كلماتهم.

وإمام هذه المذاهب الذي حصل مسائلها، ودون علمها، وسطر حجاجها فيما  
بلغنا في هذه الأخقاب، هو أرسطو المقدوني، من أهل مقدونية من بلاد الروم،  
من تلميذ أفلاطون. وهو معلم الإسكندر، ويسمونه المعلم الأول على الإطلاق.  
15 يغنون معلم صناعة المنطق، إذ لم تكن قبله مهذبة. وهو أول من رتب قانونها،

(أ) ط ج ي : بوجود (ب) ظ: مثله (ج) سقط من ظ، وفي ع: تفصيل ثم شطبها وكتب ما أئبتناه في الحاشية بخطه، ومثله

في ج ي .

واستوفى مسائلها، وأحسن بسطها. ولقد أحسن في <sup>(1)</sup> ذلك القانون ما شاء، لو تكفل له بقضدهم في الإلهيات.

5 / ثم كان من بعده في الإسلام من أخذ بتلك المذاهب واتبع فيها رأيه خذو [371] التعل بالتعل إلا في القليل. وذلك أن كُتِبَ أولئك المتقدمين، لما ترجمها الخلفاء من بني العباس من اللسان اليوناني إلى اللسان العربي، تصفحها كثير من أهل الملة، وأخذ بمذاهبهم من أضله الله من مُنتجلي العلوم، وجادلوا عنها، واختلفوا في مسائل من تفاريعها. وكان من أشهرهم أبو نصر الفارابي في المائة الرابعة لعهد سيف الدولة، وأبو علي ابن سينا في المائة الخامسة لعهد بني بويه بأصبهان، وغيرهما.

واعلم أن هذا الرأي الذي ذهبوا إليه باطلٌ بجميع وجوهه ؛ فأما إسنادهم 10 الموجودات كلها إلى العقل الأول، واكتفائهم به في الترقى إلى الواجب، فهو قصورٌ عما وراء ذلك من رتب خلق الله. فالوجود أوسع نطاقاً من ذلك، ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [سورة التحل، من الآية 8]. وكأنهم في اقتصارهم على إثبات العقل فقط والعقلة عما وراءه، بمثابة الطبيعيين المقتصرين على إثبات الأجسام خاصة، المغرضين عن النفس والعقل، المعتقدين أنه ليس وراء الجسم في حكمة الوجود 15 شيء.

وأما البراهين التي يزعمونها على مدعياتهم في الموجودات، ويغرضونها على مِغيار المنطق وقانونه، فهي قاصرةٌ وغير وافية بالعرض.

(1) سقط من ع .

أما ما كان منها في الموجودات الجسائية، ويُسمونه العلم الطبيعي، فوجه قصوره أن المطابقة بين تلك النتائج الذهنية التي تُستخرج بالحدود والأقيسة، كما في زعمهم، وبين ما في الخارج، غير يقيني. لأن تلك أحكام ذهنية كلها عامة، والموجودات الخارجية متشخصة بموادها. ولعل في المواد ما [يمنع]<sup>(أ)</sup> من مطابقة الذهني الكلي للخارجي الشخصي. اللهم إلا ما يشهد [له الحس]<sup>(ب)</sup> من ذلك، 5 فدليله شهوده، لا تلك البراهين. فإين اليقين الذي يجدونه / فيها؟ [371ب]

وربما يكون تصرف ذهن أيضاً في المعقولات الأول، المطابقة للشخصيات بالصور الخيالية التي تجريدتها في الرتبة الثانية، فيكون الحكم حينئذ يقينياً بمثابة المحسوسات، إذ المعقولات الأول أقرب إلى مطابقة الخارج لكمال الانطباق فيها، 10 فسلم لهم حينئذ دعاويهم في ذلك. إلا أنه ينبغي لنا الإغراض عن النظر فيها، إذ هو من ترك المسلم لما لا يعنيه. فإن مسائل الطبيعيات لا تهتمنا في ديننا ولا معاشنا. فوجب علينا تركها.

وأما ما كان منها في الموجودات التي وراء الحس، وهي الروحانية، ويُسمونه العلم<sup>(ج)</sup> الإلهي، وعلم ما بعد الطبيعة، فإن ذواتها مجهولة رأساً، ولا يمكن التوصل إليها ولا البرهان عليها. لأن تجريد المعقولات من الموجودات الخارجية الشخصية إنما 15 هو ممكن فيما هو مدرك لنا بالحس، فننتزع منه الكليات. ونحن لا ندرك الذوات الروحانية حتى نجرد منها ماهيات أخرى، لحجاب الحس بيننا وبينها. فلا يتأتى لنا

(أ) كذا في ع ج ي، وفي ظ: يصنع (ب) سقط الأول من ظ، وأبدل فيه الحس بالحسنى (ج) سقط من ج .

برهان عليها، ولا مُدرك لنا في إثبات وجودها على الجملة إلا ما نجدُه بين جنيننا من أمر النفس الإنسانية وأحوال مدارِكها، وخصوصاً في الرؤيا التي هي وجدانية لكلِّ أحدٍ. وما وراء ذلك من حقيقتها وصفاتها، فأمرٌ غامضٌ لا سبيلَ إلى الوقوف عليه. ولقد صرَّح بذلك مُحققوهم، حيث ذهبوا إلى أنَّ ما لا مادَّةَ له، فلا يمكن البرهان عليه، لأنَّ مقدمات البرهان من شرطها أن تكونَ ذاتيةً. وقال كبيرُهم أفلاطون:

إنَّ الإلهيات لا يوصلُ فيها إلى يقينٍ، وإنَّما يقال فيها بالأخلق والأولى، يَغني الظنُّ. وإذا كنَّا إنَّما<sup>(١)</sup> نحصل بعد التعب والتَّصب على الظنِّ فقط، فيكفينا الظنُّ الذي كان أولاً، فأني فائدة لهذه العلوم والاشتغال بها؟ ونحنُ إنَّما عنايتنا / بتَّخصيل اليقين فيما وراء الحس من الموجودات، وهذه هي غاية الأفكار الإنسانية عندهم.

وأما قولهم: إنَّ السَّعادة في إدراك الوجود على ما هو عليه بتلك البراهين، فقَوْلٌ مزيَّفٌ مردودٌ. وتفسيره أنَّ الإنسانَ مركَّبٌ من جزئين، أحدهما جسْميٌّ، والآخرُ روحانيٌّ مُمتزجٌ به. ولكلِّ واحدٍ من الجزئين مداركٌ مختصَّةٌ به. والمُدركُ فيهما واحدٌ، وهو الجزءُ الروحانيُّ، يُدرك تارةً مداركَ روحانيَّةً، وتارةً مداركَ جسمانيَّةً. إلا أنَّ المداركَ الروحانيَّةَ يُدركها بذاته بغير واسطة، والمداركَ الجسمانيَّةَ بواسطة آلاتِ الجسم، من الدِّماغ والحواسِّ.

وكلُّ مُدركٍ فله ابتهاجٌ بما يُدركه. واعتبره بحال الصَّبِيِّ في أوَّل مدارِكِه الجسمانيَّة التي هي بواسطة، كيف يَبتهجُ بما يُبصره من الصَّوِّ، وما يَسْمعه من

(١) فوقها في ع كلمة ضرب .



الأضواء. فلا شك أن الابتهاج بالإدراك الذي للنفس من ذاتها بغير واسطة يكون أشدَّ وألذَّ<sup>(١)</sup>. فالتنفس الروحانيَّة إذا شعرت بإدراكها الذي لها من ذاتها بغير واسطة حصل لها ابتهاج ولذَّة لا يعبر عنها. وهذا الإدراك لا يحصل بنظر ولا علم، وإنما يحصل بكشف حجاب الحس ونسيان المدارك الجسديَّة بالجملة.

5 والمتصوفة كثيراً ما يغنون بحصول هذا الإدراك للنفس بحصول هذه البهجة، فيحاولون بالرياضة إماتة القوى الجسديَّة ومداركها، حتى الفكر من الدماغ، ليحصل للنفس إدراكها الذي لها من ذاتها عند زوال الشواغِب والموانع الجسديَّة، فتحصل لهم بهجة ولذَّة لا يعبر عنها. وهذا الذي زعموه، بتقدير صحته، مُسلمٌ لهم. وهو مع ذلك غير وافٍ بمقصودهم.

10 فأمَّا قولهم: إن البراهين والأدلة العقليَّة محصَّلة لهذا النوع من الإدراك [372ب] والابتهاج عنه، فباطل، كما رأيته. إذ البراهين والأدلة/ من جملة المدارك الجسديَّة، لأنها بالقوى الدماغيَّة من الخيال والفكر والذكر. ونحن أولُ شيءٍ نعنى به في تحصيل هذا الإدراك إماتة هذه القوى الدماغيَّة كلها، لأنها منازعة له، قاذحة فيه. وتجذ الماهر منهم عاكفاً على كتاب الشفاء، والإشارات، والتجاة، وتلاخيص ابن رُشدٍ للقص، من تأليف أرسطو، وغيره، يُغيث أوراقها ويتوثق من براهينها ويُلتمس 15 هذا القسط من السعادة بينها، ولا يعلم أنه يستكثر بذلك من الموانع عنها. ومُسْتَنَدُهم في ذلك ما ينقلونه عن أرسطو والفارابي وابن سينا: أن من حصل له

(١) ج: وآكد.

إدراك العقل الفعّال [واتّصل به في حياته الدّنيا، فقد حصل على حظّه من السّعادة. والعقل الفعّال]<sup>(أ)</sup> عندهم عبارة عن أوّل رُتبة ينكشف عنها الحسّ من رُتب الروحيّات. ويحملون الاتّصال بالعقل الفعّال على الإدراك العِلْمِيّ، وقد رأيت فسادَه. وإنّما يعني أرسطو وأصحابه - بذلك الاتّصال والإدراك - إدراك النّفس الّذي لها من ذاتها وبغير واسطة. وهو لا يَحْصُل إلّا بكشف حجاب الحسّ.

5

وأما قولهم: إنّ البهجة النّاشئة عن هذا الإدراك هي عَيْنُ السّعادة الموعودِ بها، فباطلٌ أيضاً ، لأنّنا إنّما تبيّن لنا بما قرّروه ، أنّ وراء الحسّ مدركاً آخرَ للنّفس من غير واسطة، و[أنّها]<sup>(ب)</sup> تتبجج بإدراكها ذلك ابتهاجاً شديداً. وذلك لا يُعَيّن لنا أنّه عَيْنُ السّعادة الأخرويّة ولا بُدّ ، بل هي من جملة الملائد الّتي لتلك السّعادة .

وأما قولهم: إنّ السّعادة في إدراك هذه الموجودات على ما هي عليه، فقولٌ باطل،

[مبني]<sup>(ج)</sup> على ما كنا قدّمناه في أصل التّوحيد من الأوهام<sup>(د)</sup> والأغلاط في أنّ الوجودَ عند كلّ مدرك مُنحصِرٌ في مداركه، ويتّنا فسادَ ذلك، وأنّ الوجودَ أوسعُ من أن يُحاطَ به أو يُستوفى إدراكه بمُحمَلّته روحيّاً أو جسمانيّاً.

10

والّذي يحصل من جميع ما قرّرناه من مذاهبهم، أنّ الجزء الروحانيّ إذا فارق القوى الجسمانيّة ، أدرك إدراكاً ذاتياً له مُختصّاً بصنف من / المدارك ، وهي الموجودات الّتي أحاط بها علمنا، وليس بعامّ الإدراك في الموجودات كلّها، إذ لم تنحصِرْ، وأنّه يبتجج بذلك النّحو من الإدراك ابتهاجاً شديداً كما يبتجج الصّبيّ بمداركه

15

[373]

(أ) سقط من ظ (ب) من ع ي، وفي ظ ج: وإنّما (ج) سقط من ظ (د) ظ: الإلهام .

الحِسِّيَّة في أَوَّل نُشُوئِهِ<sup>(١)</sup>. وَمَنْ لَنَا بَعْدَ ذَلِكَ بِإِذْرَاكِ جَمِيعِ الْمَوْجُودَاتِ أَوْ مُحْصُولِ السَّعَادَةِ الَّتِي وَعَدَنَا بِهَا الشَّارِعُ إِنْ لَمْ نَعْمَلْ لَهَا؟ ﴿هَيَّاتَ هَيَّاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾ [سورة المؤمنون، من الآية 36].

وَأَمَّا قَوْلُهُمْ: إِنَّ الْإِنْسَانَ مُسْتَقِلٌّ يَهْذِيبُ نَفْسَهُ وَإِضْلَاحُهَا بِمَلَابَسَةِ الْمُحْمُودِ مِنَ الْخُلُقِ وَمُجَانِبَةِ الْمَذْمُومِ، فَأَمْرٌ مَبْنِيٌّ عَلَى أَنَّ ابْتِهَاجَ النَّفْسِ بِإِذْرَاكِهَا الَّذِي لَهَا مِنْ 5 ذَاتِهَا هُوَ عَيْنُ السَّعَادَةِ الْمُوَعَدَةِ بِهَا. لِأَنَّ الرِّذَائِلَ عَائِقَةٌ لِلنَّفْسِ عَنْ تِمَامِ إِذْرَاكِهَا ذَلِكَ بِمَا يَحْصُلُ لَهَا مِنَ الْمَلَكَاتِ الْجِسْمَانِيَّةِ وَالْأَوَانِيَا.

وَقَدْ يَبَيَّنَّا أَنَّ أَثَرَ السَّعَادَةِ وَالشَّقَاءِ مِنْ وَرَاءِ الْإِذْرَاكِاتِ الْجِسْمَانِيَّةِ وَالرُّوحَانِيَّةِ. فَهَذَا التَّهْذِيبُ الَّذِي تَوَصَّلُوا إِلَى مَعْرِفَتِهِ، إِنَّمَا نَفَعُهُ فِي الْبَهْجَةِ النَّاشِئَةِ عَنْ الْإِذْرَاكِ 10 الرُّوحَانِيِّ فَقَطْ، الَّذِي هُوَ عَلَى مَقَاسِ وَقَوَانِينٍ. وَأَمَّا مَا وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ السَّعَادَةِ الَّتِي وَعَدَ بِهَا الشَّارِعُ عَلَى امْتِثَالِ مَا أَمَرَ بِهِ مِنَ الْأَعْمَالِ وَالْأَخْلَاقِ، فَأَمْرٌ لَا تُحِيطُ بِهِ مَدَارِكُ الْمَذْكُورِينَ.

وَقَدْ ثَبَّهَ لَذَلِكَ زَعِيمُهُمْ أَبُو عَلِيٍّ ابْنُ سِينَا، فَقَالَ فِي كِتَابِ الْمَبْدِ وَالْمَعَادِ<sup>(١)</sup>، 15 لَهُ<sup>(ب)</sup>، مَا مَعْنَاهُ: إِنَّ الْمَعَادَ الرُّوحَانِيَّ وَأَحْوَالَهُ هُوَ مِمَّا يَتَوَصَّلُ إِلَيْهِ بِالْبَرَاهِينِ الْعَقْلِيَّةِ وَالْمَقَاسِي، لِأَنَّهُ عَلَى نِسْبَةِ طَبِيعَتِهِ مُحْفُوظَةٌ وَوَتِيرَةٌ وَاحِدَةٌ، فَلَنَا فِي الْبَرَاهِينِ عَلَيْهِ سَعَةٌ. وَأَمَّا الْمَعَادُ الْجِسْمَانِيُّ وَأَحْوَالُهُ، فَلَا يُمْكِنُ إِذْرَاكُهُ بِالْبُرْهَانِ، لِأَنَّهُ لَيْسَ عَلَى نِسْبَةِ

(١) ع: نشوئه (ب) من ع، وسقط من ظ ج ي .

(١) رسالة أضحوية في أمر المعاد 36 -

واحدة. وقد بَسَطَته لنا الشريعة الحقّة المحمّديّة ، فليُنظر فيها وليُزَجَّع في أحواله إليها.

فهذا العلم، كما رأيته، غير وافٍ بمقاصدهم التي حوّموا عليها، مع ما فيه من مخالفة الشرائع وظواهرها. وليس له فيما علمنا إلا \* ثمرة واحدة، وهي شخذُ الذهن 5 في ترتيب الأدلة / والحجاج، لتُحصل\*<sup>(١)</sup> [ملكة الجودة والصواب في البراهين]<sup>(ب)</sup>. [373ب]

وذلك أن نظم المقاييس وتركيبها على وجه الإحكام والإتقان، هو كما شرطوه في صناعتهم المنطقية. وهم كثيراً ما يستعملونها في علومهم الحكيمة من الطبيعيات والتعاليم وما بعدها<sup>(ج)</sup>، فيستولي الناظر فيها بكثرة استعمال<sup>(د)</sup> البراهين بشروطها على ملكة الإتقان والصواب في الحجاج والاستدلالات ، لأنها ، وإن كانت غير وافية بمقصودهم، فهي أصح ما علمناه من قوانين الأنظار [هذه]<sup>(هـ)</sup>. 10

هذه هي ثمرة هذه الصناعة، مع الاطلاع على مذاهب أهل العالم وآرائهم؛ ومضارها ما علمت. فليكن الناظر فيها متحرّراً مُحمّداً من معاطيها، وليكن ناظر من ينظر فيها بعد الامتلاء من الشرعيات والاطلاع على التفسير والفقه. ولا يكبن أحدٌ عليها وهو خلوّ من علوم الملة، فقلّ أن يسلم كذلك<sup>(و)</sup> من معاطيها.

والله الموفق للحق والهادي إليه ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ 15 [سورة الأعراف، من الآية 43].

(أ) سقط ما بين النجمين من ي (ب) وردت هذه الفقرة في ي مضطربة ومتداخلة حسب ما يلي، وبها تقديم وتأخير وتكرار: "إلا ملكة الجودة، والصواب في البراهين في ترتيب الأدلة والحجاج لتحصل ملكة الجودة والصواب في البراهين وذلك" (ج ج ي: بعدها (د) سقط من ي (هـ) من، ع ج ي (و) ي: لذلك .

32 ﴿ فَصَلْ ، فِي إِبْطَالِ صِنَاعَةِ النُّجُومِ وَضَعْفِ مَدَامِكِهَا وَفَسَادِ غَايَتِهَا

هذه الصّناعة يزعم أصحابها أنّهم يعرفون بها الكائنات في عالم العناصر قبل حدوثها، من قبل معرفة قوَى الكواكب وتأثيرها في المولّدات العنصريّة، مفردة ومُجمّعة. فنكون لذلك أوضاع الأفلاك والكواكب دالّة على ما سيحدث من نوع نوع من أنواع الكائنات الكلّيّة والشخصيّة.

5

فالمقدّمون منهم يرون أنّ معرفة قوَى الكواكب وتأثيرها بالتّجربة، وهو أمر تقصّر الأعمار كلّها عن تحصيله لو اجتمعت. إذ التّجربة إنّما تحصل في المرات المتعدّدة بالتكرار ليحصل عنها العلم أو الظنّ. وأدوار الكواكب منها ما هو طويل الزّمن، فيحتاج تكرّره إلى آماذ وأحقاب متطاولة تتقاصر عنها أعمار العالم.

10 وربّما ذهب ضعفاء منهم إلى أنّ معرفة قوَى الكواكب وتأثيراتها كانت بالوحي،

[374] وهو / رأيّ فائلّ ، وقد كفونا مؤوّنّة إبطاله . ومن أوضح الأدلّة فيه ، أن تعلم أنّ

الأنبياء، عليهم السّلام، أبعد النّاس عن الصّنائع، وأنّهم لا يتعرّضون للإخبار بالغيّب إلّا أن يكون عن الله، فكيف يدعون استنباطه بالصّناعة، ويشرّعون ذلك لمُتتبّعيهم من الخلق ؟

15 وأما بطلانيوس ومن تبعه من المتأخّرين، فيرون أنّ دلالّة الكواكب على ذلك

دلالّة طبيعيّة من قبل مزاج يحصل للكواكب في الكائنات العنصريّة. قال: لأنّ فعل النيران وأثرهما في العنصريّات ظاهر لا يسع أحدا جحذه، مثل فعل الشّمس في

تَبْدُلُ الْفُصُولِ وَأَمْزَجَتْهَا، وَنَضَجَ الثَّارَ وَالزَّرْعَ، وَغَيْرَ ذَلِكَ، وَفَعَلَ الْقَمَرَ فِي الرُّطُوبَاتِ وَالْمَاءِ، وَإِنْضَاجَ الْمَوَادِّ الْمُتَعَفِّتَةِ وَفَوَاكِهَ الْقِثَاءِ، وَسَائِرَ أَفْعَالِهِ.

ثُمَّ قَالَ: وَلَنَا فِيمَا بَعْدَهُمَا مِنَ الْكَوَائِبِ طَرِيقَانِ، الْأَوَّلَى: التَّثْلِيدُ لِمَنْ ثَقُلَ ذَلِكَ عَنْهُ مِنْ أَيْمَةِ الصَّنَاعَةِ، إِلَّا أَنَّهُ غَيْرُ مَقْنَعٍ لِلنَّفْسِ. الثَّانِيَةُ: الْحَدْسُ وَالتَّجَرِبَةُ بِقِيَاسِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا إِلَى النَّيِّرِ الْأَعْظَمِ الَّذِي عَرَفْنَا طَبِيعَتَهُ وَأَثَرَهُ مَعْرِفَةً ظَاهِرَةً. فَنَنْظُرُ: هَلْ يَزِيدُ 5 ذَلِكَ الْكَوَكِبُ عِنْدَ الْقِرَانِ فِي قُوَّتِهِ وَمِزَاجِهِ، فَنَعْرِفُ مُوَافَقَتَهُ فِي الطَّبِيعَةِ، أَوْ يَنْقُصُ مِنْهَا، فَنَعْرِفُ مُضَادَّتَهُ؟ ثُمَّ إِذَا عَرَفْنَا قُوَّاهَا مَفْرَدَةً، عَرَفْنَاها مُرَكَّبَةً. وَذَلِكَ عِنْدَ تَنَاطُرِهَا بِأَشْكَالِ التَّثْلِيثِ وَالتَّرْيِيعِ وَغَيْرِهِمَا، وَمَعْرِفَةِ ذَلِكَ مِنْ قِبَلِ طَبَائِعِ الْبُرُوجِ بِالْقِيَاسِ أَيْضاً إِلَى النَّيِّرِ الْأَعْظَمِ.

وَإِذَا عَرَفْنَا قُوَى الْكَوَائِبِ كُلِّهَا، فَهِيَ مُؤَثَّرَةٌ فِي الْهَوَاءِ، وَذَلِكَ ظَاهِرٌ. وَالْمِزَاجُ 10 الَّذِي يَحْصُلُ مِنْهَا لِلْهَوَاءِ يَحْصُلُ لِمَا تَحْتَهُ مِنَ الْمَوْلِدَاتِ، وَتَخْلُقُ بِهِ النُّطْفُ وَالْبِرْزُ، فَيَصِيرُ حَالاً لِلْبَدَنِ الْمُتَكَوِّنِ عَنْهَا، وَلِلنَّفْسِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِهِ، الْفَائِضَةُ عَلَيْهِ، الْمُتَكَسِّبَةُ كَمَالَهَا مِنْهُ، وَلِمَا يَتَّبِعُ النَّفْسَ وَالْبَدَنَ مِنَ الْأَحْوَالِ. لِأَنَّ كَيْفِيَّاتِ الْبِرْزَةِ وَالنُّطْفَةِ كَيْفِيَّاتٌ لِمَا يَتَوَلَّدُ عَنْهَا وَيُنْشَأُ مِنْهَا.

قَالَ: وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ / ظَنِّي، وَلَيْسَ مِنَ الْيَقِينِ فِي شَيْءٍ، وَلَيْسَ هُوَ أَيْضاً مِنْ 15 الْقَضَاءِ الْإِلَهِيِّ، يَعْنِي الْقَدَرَ، إِنَّمَا هُوَ مِنْ جُمْلَةِ الْأَسْبَابِ الطَّبِيعِيَّةِ لِلْكَائِنِ، وَالْقَضَاءُ الْإِلَهِيُّ سَابِقٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ.

هَذَا مُحْصَلُ كَلَامِ بَطْلَمَيْوسَ وَأَصْحَابِهِ. وَهُوَ مَنْصُوصٌ فِي كِتَابِهِ الْأَرْبَعِ وَغَيْرِهِ.

ومنه تَبَيَّنَ ضَعْفُ مُدْرِكِ هذه الصَّنَاعَةِ؛ وذلك أَنَّ العِلْمَ بالكائن<sup>(١)</sup> أو الظَّنَّ به  
 إِنَّمَا يَحْصُلُ عَنِ العِلْمِ بِجُمْلَةِ أَسْبَابِهِ مِنَ الفَاعِلِ والقَائِلِ والصُّورَةِ والغَايَةِ، عَلَى مَا تَبَيَّنَ  
 فِي مَوْضِعِهِ. والقُوَى النِّجُومِيَّةُ، عَلَى مَا قَرَّرُوهُ، إِنَّمَا هِيَ فَاعِلَةٌ فَقَطْ. وَالْجُزْءُ العُنْصَرِيُّ  
 هُوَ الْقَائِلُ. ثُمَّ إِنَّ القُوَى النِّجُومِيَّةَ لَيْسَتْ هِيَ الفَاعِلُ بِجُمْلَتِهِ، بَلْ هُنَاكَ قُوَى أُخْرَى  
 فَاعِلَةٌ مَعَهَا فِي الْجُزْءِ المَادِّيِّ، مِثْلُ قُوَّةِ التَّوْلِيدِ لِلْأَبِ، وَالتَّوَعُّدِ الَّتِي فِي التُّطْفَةِ، وَقُوَى  
 5 الْخَاصَّةِ الَّتِي تُمَيِّزُ بِهَا صِنْفٌ [صِنْفٌ]<sup>(ب)</sup> مِنَ التَّوَعُّدِ، وَغَيْرَ ذَلِكَ. فَالْقُوَى النِّجُومِيَّةُ إِذَا  
 حَصَلَتْ عَلَى كَمَالِهَا وَحَصَلَ العِلْمُ بِهَا إِنَّمَا هِيَ فَاعِلٌ وَاحِدٌ مِنْ جُمْلَةِ الْأَسْبَابِ الْفَاعِلَةِ  
 لِلْكَائِنِ.

ثُمَّ إِنَّهُ يُشْتَرَطُ، مَعَ العِلْمِ بِقُوَى التَّجْوُمِ وتأثيراتها، مَزِيدُ حَدْسٍ وَتَخْمِينٍ، حِينَئِذٍ  
 10 يَحْصُلُ عِنْدَهُ الظَّنُّ بِوُقُوعِ الْكَائِنِ. وَالْحَدْسُ وَالتَّخْمِينُ قُوَى لِلنَّظَرِ فِي فِكْرِهِ، وَلَيْسَ  
 مِنْ عِلَلِ الْكَائِنِ وَلَا مِنْ أَسْبَابِهِ. فَإِذَا فَقِدَ هَذَا الْحَدْسُ وَالتَّخْمِينُ، رَجَعَتْ أَدْرَاجُهَا  
 عَنِ الظَّنِّ إِلَى الشَّكِّ.

هَذَا إِذَا حَصَلَ العِلْمُ بِالْقُوَى النِّجُومِيَّةِ عَلَى سَدَادِهِ، وَلَمْ تَغْتَرِضْهُ آفَةٌ. وَهَذَا  
 مُعَوِّزٌ لِمَا فِيهِ مِنْ مَعْرِفَةِ حُسْبَانَاتِ الْكَوَاكِبِ فِي سَيْرِهَا لِنَتَّعَرَفَ بِهِ أَوْضَاعُهَا، وَلَمَّا  
 15 أَنَّ اخْتِصَاصَ كُلِّ كَوْكَبٍ بِقُوَّةٍ لَا دَلِيلَ عَلَيْهِ. وَمُدْرِكُ بَطْلَمَيْوسَ فِي إِثْبَاتِ الْقُوَى  
 لِلْكَوَاكِبِ الْخَمْسَةِ بِقِيَاسِهَا إِلَى الشَّمْسِ مُدْرِكٌ ضَعِيفٌ، لِأَنَّ قُوَّةَ الشَّمْسِ غَالِبَةٌ لِجَمِيعِ  
 الْقُوَى مِنَ الْكَوَاكِبِ وَمُسْتَوَلِيَّةٌ عَلَيْهَا. فَقُلَّ أَنْ يُشْعَرَ بِالزِّيَادَةِ فِيهَا أَوْ النِّقْصَانِ مِنْهَا

(١) ي: الكائن (ب) من ع ج ي، وسقط من ظ .

عند المقارنة كما قال. وهذه كلها قاذحة في تعرف الكائنات الواقعة في عالم العناصر بهذه الصناعة.

ثم إن تأثير الكواكب فيما تحته باطل ، إذ قد تبين في باب التوحيد أن لا فاعل إلا الله ، بطريق استدلال ، كما رأيته ، واحتج / له<sup>(1)</sup> أهل علم الكلام بما هو غني عن البيان ، من أن إسناد الأسباب إلى المسببات مجهول الكيفية ، والعقل متهم 5 على ما يقضي به فيما يظهر بادئ الرأي من التأثير . فلعل استنادها على غير صورة بالتأثير<sup>(ب)</sup> المتعارف . والقدرة الإلهية رابطة بينهما كما ربطت جميع الكائنات علواً وسفلاً ، سيما والشرع يزد الحوادث كلها إلى قدرة الله تعالى ، ويبرأ مما سوى ذلك .

والتبوات أيضاً منكرة لشأن النجوم وتأثيراتها ، واستقراء الشرعيات شاهد بذلك ، في مثل قوله<sup>(1)</sup> : "إن الشمس والقمر لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته" . وفي قوله<sup>(2)</sup> : "أصبح من عبادي مؤمنٌ بي وكافرٌ بي . فأما من قال : مُطرنا بفضل الله وبرحمته ، فذلك مؤمنٌ بي<sup>(ج)</sup> كافرٌ بالكوكب ؛ وأما من قال : مُطرنا بنوء كذا ، فذلك كافرٌ بي مؤمنٌ بالكوكب" . الحديث الصحيح .

(1) سقط من ج (ب) ط ي : التأثير ، ج : صور التأثير (ج) سقط ما بين النجمين من ي .

(1) من حديث ابن عمر ، رواه البخاري في صلاة الكسوف 2 : 42 حديث (1042) وفي بدء الخلق 4 : 131 حديث (3201) ومسلم في الصلاة (914) وله طرق أخرى من حديث عتبة بن عامر والمغيرة بن شعبة وعائشة وغيرهم .

(2) أخرجه البخاري في عدة مواضع من صحيحه 1 : 214 حديث (846) و 2 : 41 حديث (1038) و 5 : 155 (4147) و 9 : 177 حديث (7503) ومسلم في الإيمان من صحيحه (71) .



فقد بان لك بطلان هذه الصناعة من طريق الشرع، وضَعُف مدارِكها مع ذلك من طريق العقل، مع<sup>(١)</sup> ما لها من المضار في العمران الإنساني بما تبعث في عقائد العوام من الفساد، إذا اتفق الصدق من أحكامها في بعض الأحيان اتفاقاً لا يرجع إلى تعليل ولا تحقيق، فيلجج بذلك من لا معرفة له، ويظن اطراد الصدق في سائر أحكامها. وليس كذلك. فيقع في رد الأشياء إلى غير خالقها.

5

ثم ما ينشأ عنها كثيراً في الدول من توقع القواطع، وما يبعث عليه ذلك التوقع من تطاول الأعداء والمترصين بالدولة إلى الفتك والثورة، وقد شاهدنا من ذلك كثيراً، فيتنبغي أن تحظر هذه الصناعة على جميع أهل العمران، لما ينشأ عنها من المضار في الدين والدول.

ولا يقدح في ذلك كون وجودها طبيعياً للبشر بمقتضى مداركهم وعلومهم. 10  
فالخير والشر طبيعتان في العالم، موجودتان، لا يمكن نزعهما. وإنما يتعلق التكليف [375ب] / بأسباب حصولهما، فيتعين السعي في اكتساب الخير بأسبابه، ودفع أسباب الشر والمضار. وهذا هو الواجب على من عرف مفسد هذا العلم ومضاره.

ولتعلم من ذلك، أنها وإن كانت صحيحة في نفسها، فلا يمكن أحداً من أهل الأمة تحصيل علمها ولا ملكتها، بل إن نظر فيها ناظر وظن بها الإحاطة فهو في غاية 15  
القصور في نفس الأمر. فإن الشريعة لما حظرت النظر فيها فقد الاجتماع من أهل العمران لقراءتها والتخليق لتعليمها، وصار المولع بها من الناس، وهم الأقل وأقل من

(١) سقط من ج .

الأقل، إنما يطالع كتبها ومقالاتها في كسر بيته، مُتَسَتِّراً عن الناس، وتحت رِقْبَةٍ من الجمهور، مع تشعُّب الصناعة وكثرة فروعها واعتياصها على الفهم؛ فكيف يحصل منها على طائل؟! ونحن نجد الفقه الذي عم نفعه ديناً ودنياً، وسهلت مآخذه من الكتاب والسنة المتداولة، وعكف الجمهور على قراءته وتعليمه، ثم بعد التخليق والتجميع 5 وطول المدارس وكثرة المجالس وتعدُّدها، فإنما يَحْدِقُ فيه الواحد بعد الواحد في الأغصار والأخبال. فكيف بعلم مهجور للشرعية، مضروب دونه سدُّ الخطر والتَّحريم، مكتوم عن الجمهور، صعب المآخذ، محتاج بعد الممارسة والتَّحصيل لأصوله وفروعه إلى مزيد حذس وتخمين يكتنِفان به من الناظر، فأين التَّحصيل والحِذْق فيه مع هذه كلها؟ ومدَّعي ذلك من الناس مردودٌ على عقبيه، ولا شاهد له 10 يقوم بذلك، لغرابة الفن بين أهل الملة وقلة حَمَلَتِهِ. فاعتبر ذلك تبين صحة ما ذهبنا إليه. والله ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ [سورة الجن، الآية 26].

ومَّا وقع في هذا المعنى لبعض أصحابنا من أهل العصر، عندما غلب العربُ عساكر السلطان أبي الحسن، وحاصروه بالقيروان، وكثُر إرجاف الفريقين، الأولياء والأعداء، فقال / في ذلك أبو القاسم الرَّحَوِيُّ، من شعراء أهل تونس: [من مُخَلِّع البسيط] [1376]

أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ كُلَّ حِينَ      قَدْ ذَهَبَ الْعَيْشُ وَالْهَنَاءُ  
أَصْبَحَ فِي تُونِسَ وَأَمْسَى      وَالصُّبْحُ لِلَّهِ وَالْمَسَاءُ  
الْخَوْفُ وَالْجُوعُ وَالْمَنَايَا      يَحْتَمُّهَا الْهَزَجُ وَالْوَبَاءُ

15

والنَّاسُ فِي مِزْيَةٍ وَحَرْبٍ  
فَأَحْمَدِي يَرَى عَلِيًّا  
وَأَخَرٌ قَالَ سَوْفَ تَأْتِي  
وَاللَّهُ مِنْ فَوْقِ ذَا وَهَذَا  
يَا رَاصِدِي الْخُنُوسِ الْجَوَارِي  
مَظْلَمُونَا وَقَدْ زَعَمْتُمْ  
مَرَّ خَمِيسٍ عَلَى خَمِيسٍ  
وَنَصْفُ شَهْرٍ وَعِشْرُ ثَانٍ  
وَلَا تَرَى غَيْرَ زُورٍ قَوْلٍ  
إِنَّا إِلَى اللَّهِ قَدْ عَلِمْنَا  
رَضِيَتْ بِاللَّهِ لِي إِلَهًا  
مَا هَذِهِ الْأَنْجُمُ السَّوَارِي  
يَقْضَى عَلَيْهَا وَلَيْسَ تَقْضِي  
ضَلَلْتُ عُقُولَ تَرَى قَدِيمًا  
وَحَكَمْتُ فِي الْوُجُودِ طَبْعًا  
لَمْ تَرَ حُلُومًا إِزَاءَ مُرٍّ  
اللَّهُ رَبِّي وَلَيْسَتْ أَذْرِي  
وَلَا الْهَيُولَى الَّتِي تُنَادِي

وَمَا عَسَى يَنْفَعُ الْمِرَاءُ؟  
حَلَّ بِهِ الْهَلَكُ وَالْتِوَاءُ  
بِهِ إِلَيْكُمْ صَبًا رُخَاءُ  
يَقْضِي لِعَبْدِيهِ مَا يَشَاءُ  
مَا فَعَلْتُ هَذِهِ السَّاءُ؟  
أَتُكْمُ الْيَوْمَ أَمْلِيَاءُ!  
وَجَاءَ سَبْتُ وَأَزْبَعَاءُ  
وَتَالَتْ ضَمُّهُ الْقَضَاءُ<sup>(1)</sup>  
أَذَاكَ جَهْلٌ أَمْ اِزْدِرَاءُ؟  
أَنْ لَيْسَ يُسْتَدْفَعُ الْقَضَاءُ  
حَسْبُكُمْ الْبَدْرُ أَوْ ذُكَاةُ  
إِلَّا عِبَادِيدُ أَوْ إِمَاءُ  
وَمَا لَهَا فِي الْوَرَى اقْتِضَاءُ  
مَا شَاءَهُ الْحَزْمُ وَالْفَنَاءُ  
يُحْدِثُهُ الْمَاءُ وَالْهَوَاءُ  
يَغْذُوهُمَا تَرْبَةً وَمَاءُ  
مَا الْجَوْهَرُ الْقَرْدُ وَالْخَلَاءُ  
مَا لِي عَنْ صُورَةِ عَرَاءُ

(1) ي: القضاء .

/ ولا وُجودٌ ولا انعدامٌ  
 ولست أدري ما الكسبُ إلا  
 وإنما مذهبِي وديني  
 إذ لا [فصولٌ]<sup>(١)</sup> ولا أصولٌ  
 ما تبغ الصِّدْرَ والبقايا  
 كانوا كما تعلَّمونَ منهم  
 يا أشعري الزَّمانِ إني  
 أنِّي أجزي بالشرِّ شرًّا  
 وأنني إن أكنُّ مُطيعاً  
 وأنني تحتَ حُكمِ بارٍ  
 ليس بأسطارِكُم ولكن  
 لو حَدَّثَ الأشعريُّ عَمَّنْ  
 لقال: أَخْبِرْهُمْ بِأَنِّي  
 ولا ثبوتٌ ولا انقفاءٌ  
 ما جلبَ البيعُ والشِّراءُ  
 ما كانَ والنَّاسُ أولياءُ  
 ولا جِدالٌ ولا اِزتياءُ  
 يا حَبْذا ذاكَ الاقْتفاءُ  
 ولم يَكُنْ ذلكَ الهُراءُ  
 أشعري الصَّيفُ والشتاءُ  
 والخيرُ عن مثله جِزاءُ  
 فُزْتُ، وأُعْصِي وليَ رجاءُ  
 أطاعَه العَرْشُ والبراءُ  
 أتأخُّهُ الحُكْمُ والقضاءُ  
 له إلى رأيِهِ انستاءُ  
 ممَّا يَقُولُونَهُ بَرَاءُ

5

10

(١) ظ: فضول .

### 33 • فصلٌ، في إنكارِ ثَمَرَةِ الكيمياءِ واستِحالةِ وجودِها، وما يَنشأُ من المَفسدِ عن انتِحالِها

إنَّ كثيراً من العاجِزِينَ عن مَعاشِهِم، تَحْمِلُهُم المَطامِيعُ على انتِحالِ هذه الصَّناعةِ، وَيَرَوْنَ أَنَّها أَحَدُ مَذاهِبِ المَعاشِ ووجوهِهِ، وأنَّ اقْتِناءَ المَالِ مِنْها أَيْسَرُ وأَسْهَلُ على مُبْتَغِيهِ. فَيَزْتَكِبُونَ فِيها من المَتاعِبِ والمَشاقِّ ومُعاناةِ الصَّعابِ وعُسْفِ 5 الحُكَّامِ وخسارةِ الأَمْوالِ في التَّفَقَّاتِ، زيادةً إلى النِيلِ من عِرْضِهِ والقَطْبِ آخِراً إن ظَهَرَ على خَبِيئِهِ.

﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [سورة الكهف، من الآية 104]. وإنَّما أَطْمَعَهُم في ذلك أَنَّهُمْ<sup>(1)</sup> رَأَوْا المَعادِنَ تَسْتَحِيلُ وتَنْقَلِبُ - بالصَّنْعَةِ - بَعْضُها إلى بَعْضٍ لِلْمادَّةِ المَشْتَرَكَةِ، فَيُحَاوِلُونَ بِالعِلاجِ صَيورَةَ الفِضَّةِ ذَهَباً / والتَّحاسِيسِ والقَصْدِيرِ فِضَّةً، 10 وَيَحْسَبُونَ أَنَّها من مُفَكِّناتِ عَالَمِ الطَّبِيعَةِ.

ولَهُم في عِلاجِ ذلك طُرُقٌ مُخْتَلِفَةٌ لاختِلافِ مَذاهِبِهِم في التَّذْيِيرِ وَصُورَتِهِ، وفي المادَّةِ المَوْضُوعَةِ عِنْدَهُم للعِلاجِ، المَسْمُوكَةِ عِنْدَهُمْ<sup>(ب)</sup> بِالْحَجَرِ المَكْرَمِ، هَلْ هِيَ العَذِرَةُ أَوِ الدَّمُ أَوِ الشَّعْرُ أَوِ البَيْضُ أَوِ كَذَا أَوِ كَذَا مِمَّا سِوَى ذلك؟

وَجُمْلَةُ التَّذْيِيرِ عِنْدَهُم، بَعْدَ تَعْيِينِ المادَّةِ، أنْ تُنْهَى بِالفِهْرِ على حَجَرٍ صَلَدِ 15 أَمْلَسَ، وتُسْقَى أَثناءَ [إِنْمائها]<sup>(ج)</sup> بِالماءِ بَعْدَ أنْ يُضَافَ إِلَيْها مِنَ العَقاقِيرِ والأَدْوِيَةِ ما يُناسِبُ القَصْدَ مِنْها وَيؤَثِّرُ في انْقِلابِها إلى المَعْدِنِ المَطْلُوبِ، ثُمَّ تُجَفَّفَ بِالشَّمْسِ من

(1) من ع ج ي، وفي ط: أن (ب) من ج ي، وشطب في ع (ج) ع: إيهاتها، ط: عنها.

بعد السقي، أو تُطبخ بالنار، أو تُصعد، أو تُكلس لاستخراج ماؤها أو ثرايها . فإذا رضي ذلك كله من علاجها، وتم تدبيره على ما اقتضته أصول صنعته، حصل من ذلك تراب أو مائع يُسمونه الأكسير. ويزعمون أنه إذا أُلقي على الفضة المحمأة بالنار عادت ذهباً، أو التحاس المحمى بالنار عاد فضة، على حسب ما قصد به في عمله.

5 ويزعم المحققون منهم أن ذلك الأكسير مادة مركبة من العناصر الأربعة، حصل فيها بذلك العلاج الخاص والتدبير مزاج وقوى طبيعية تصرف ما حصلت فيه إليها وتقلبه إلى صورتها ومزاجها، وتثبت فيه ما حصل فيها<sup>(1)</sup> من الكيفيات والقوى، كالخيرة للخبز، تقلب العجين إلى ذاتها، وتعمل فيه ما حصل لها من الانقشاش والهشاشة ليحسن هضمه في المعدة ويستحيل سريعاً إلى الغذاء. وكذا 10 أكسير الذهب والفضة فيما يحصل فيه من المعادن، يصرفه إليها ويقلبه إلى صورتها. هذا حصل زعمهم على الجملة.

فتجدهم عاكفين على هذا العلاج، يبتغون الرزق والمعاش فيه، ويتناقلون أحكامه وقواعده من كتب أئمة الصناعة من قبلهم، / يتداولونها بينهم ويتناظرون في [377ب] فهم لغوزها وكشف أسرارها، إذ هي في الأكثر تشبه المعنى، كتوالي جابر بن حيان في رسائله السبعين، ومسلمة المخرطي في كتاب رتبة الحكيم، والطغرائي، 15 والمغبري في قصائده العريفة في إجادة النظم، وأمثالها، ولا يخلون من بعد هذا كله بطائل منها.

(1) سقط من ي .

فاَوْضَتْ يوماً شَيْخَنَا أبا البركات البَلْفَيقِيَّ، كَبِيرَ مَشِيخَةِ الأَنْدَلُسِ، في مثل ذلك، ووقَّعَتْهُ على بعض التَّوَالِيفِ فيها، فَتَصَفَّحَهُ طويلاً، ثُمَّ رَدَّهُ إِلَيَّ وَقَالَ لي: وَأَنَا الضَّامِنُ [له] <sup>(١)</sup> أَنْ لَا يَعُودَ إِلَى بَيْتِهِ إِلَّا بِالْحَنِينَةِ.

ثُمَّ مِنْهُمْ مَنْ يَقْتَصِرُ فِي ذَلِكَ عَلَى الدُّلْسَةِ فَقَطْ ، إِمَّا الظَّاهِرَةَ ، كَتَمُوهِ الْفِضَّةَ بِالذَّهَبِ، أَوْ التُّحَاسِ بِالْفِضَّةِ، أَوْ خَلَطَهُمَا عَلَى نِسْبَةِ جِزْءٍ وَجِزْءَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ، أَوْ 5 الْحَقِيقَةَ، كَالِقَاءِ الشَّبهِ بَيْنَ الْمَعَادِنِ، بِالصَّنَاعَةِ مِثْلَ تَبْيِضِ التُّحَاسِ وَتَلْيِينِهِ بِالزَّبْجِ <sup>(ب)</sup> الْمَصْعَدِ، فَيَجِيءُ جِسْماً مَعْدِناً شَبِيهاً بِالْفِضَّةِ، وَيَخْفَى، إِلَّا عَلَى التُّقَادِ الْمَهْرَةِ.

فَيَقْدَرُ أَصْحَابُ هَذِهِ الدُّلْسِ مِنْ دُلْسَتِهِمْ هَذِهِ سَكَّةٌ يُسَرَّبُونَهَا فِي النَّاسِ وَيَطْبَعُونَهَا بِطَاعِ السُّلْطَانِ تَمْوِهاً عَلَى الْجُمْهُورِ بِالْخِلَاصِ مِنَ الْغِشِّ. وَهَؤُلَاءِ أَحْسَنُ 10 النَّاسِ حِرْفَةً ، وَأَسْوَأُهُمْ عَاقِبَةً ، لَتَلْبَسَهُمْ بِسَرِقَةِ أَمْوَالِ النَّاسِ . فَإِنَّ صَاحِبَ هَذِهِ الدُّلْسَةِ إِنَّمَا هُوَ يَذْفَعُ نُحَاساً فِي الْفِضَّةِ وَفِضَّةً فِي الذَّهَبِ، لِيَسْتَخْلِصَهَا لِنَفْسِهِ. فَهُوَ سَارِقٌ أَوْ أَشْرٌ <sup>(ج)</sup> مِنَ السَّارِقِ.

وَمُعْظَمُ هَذَا الصَّنِفِ لَدَيْنَا بِالْمَغْرِبِ مِنْ طَلَبَةِ الْبَزْرِ الْمُنْتَبِذِينَ بِأَطْرَافِ الْبِقَاعِ وَمَسَاكِينِ الْأَعْمَارِ ، يَأْوُونَ إِلَى مَسَاجِدِ الْبَادِيَةِ ، وَيُمَوِّهُونَ عَلَى الْأَغْنِيَاءِ <sup>(د)</sup> مِنْهُمْ بِأَنْ 15 بِأَيْدِيهِمْ صِنَاعَةَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ. وَالتَّقْوُسُ مَوْلَعَةٌ [بِحَبِّهَا] <sup>(هـ)</sup> [أَوْ] <sup>(و)</sup> الْإِسْتِهْلَاكِ فِي [طَلِبِهَا] <sup>(ز)</sup>، فَيَحْصُلُونَ مِنْ ذَلِكَ عَلَى مَعَاشٍ . ثُمَّ يُبْتَغَى ذَلِكَ عِنْدَهُمْ تَحْتَ الْخَوْفِ

(١) سقط من ظ (ب) من ط ي ج، وفي ع: بالنون (ج) في ج: أشد (د) ج: الأغنياء (هـ) من ع ج ي، وفي ظ: بحبها (و) زيادة يقتضها الزبط (ز) في ظ: طلبها .

والرَّقْبَةُ إلى أن يظهرَ العجزُ وتقعَ الفضيحةُ ، فيفِرُّ إلى مكانٍ / آخر ، ويستجِدُّ حالاً  
أخرى في اشتواء بعض أهل الدنيا بإطاعهم فيما لديه . ولا يزالون كذلك في ابتغاء  
معاشهم .

وهذا الصنف لا كلامَ معهم ، لأنهم بلغوا الغاية من الجهل والرداءة والاختراف  
بالسرقة ، ولا حاسمَ لعلتهم إلا اشتدادُ الحكم عليهم ، وتناولهم من حيث كانوا ، وقطعُ  
أيديهم متى ظهرَ على شأنهم . لأنَّ فيه إفساداً للسَّكَّةِ التي تعمُّ بها البلوى ، وهي  
مُتموِّلُ الناس كافةً ؛ والسُّلطانُ مكلفٌ بإصلاحها والاختياطُ عليها والاشتدادُ على  
مُفسدِها .

وأما من انتحلَ هذه الصناعات ولم يرضَ بحالِ الدُّلْسَةِ ، بل استنكفَ عنها ونزَّه  
نفسه عن إفساد سِكَّةِ المسلمين ونُفُودِهِمْ ، وإنما يطلبُ إحالةَ الفِضَّةِ إلى الذهبِ ،  
والرِّصاصِ والنَّحاسِ والقصديرِ إلى الفِضَّةِ ، بذلك النَّحو من العلاج وبالإكسير  
الحاصلِ عنه <sup>(١)</sup> ، فلنا مع هؤلاء مُتَكَلِّمٌ وبحثٌ في مدارِكهم لذلك . مع أنَّنا لا نعلمُ أنَّ <sup>(ب)</sup>  
أحداً من أهل العالم تَمَّ له هذا الغرضُ أو حصلَ منه على بُغْيَةٍ . إنَّما تذهبُ أعمارهم  
في التدبير والفهر والصَّلايا والتَّضْعِيدِ والتَّكْلِيسِ واعتِتامِ الأخطار لجمع العقاقير  
والبَحْثِ عنها ، ويتناقلون في ذلك حكاياتٍ وقعت لغيرهم ممَّن تَمَّ له الغرضُ منها ، أو  
وَقَفَ على الوصولِ ، يَتَنَعَوْنَ باسْتِمَاعِها والمُفَاوَضَةِ فيها ، ولا يَسْتَرِيبُونَ في تَصْدِيقِها ،  
شأن الكَلِيفِينَ الْمُعْزَمِينَ بَوَسَاوِسِ الْأَخْبَارِ فيما يَكْلَفُونَ به . فإذا سُئِلُوا عن تَحْقِيقِ

(١) ي : عنده (ب) سقط من ج .



ذلك بالمعاينة ، أنكروه ، وقالوا : إنما سمعنا ولم نر. هكذا شأنهم في كل عصر وجيل.

واعلم أن اتِّحَالَ هذه الصُّنعة قديمٌ في العالم ، وقد تكلم الناس فيها من المتقدمين والمتأخرين. فلننقل مذهبهم في ذلك ، ثم نلوه بما يظهر لنا فيها من التحقيق الذي عليه الأمر في نفسه. \* والله الموفق للصواب\*<sup>(١)</sup>.

[378 ب] / فنقول : إن مبنى الكلام في هذه الصناعة عند الحكماء على حال المعادين السبعة المتطرقة ، وهي : الذهب ، والفضة ، والرصاص ، والقصدير ، والنحاس ، والحديد ، والخارصيني ، هل هي مُختلفات بالفصول ، وكلها أنواع قائمة بأنفسها ، أو إنما هي مختلفة بخواص من الكيفيات ، وهي كلها أصناف لنوع واحد ؟ فالذي ذهب إليه أبو نصر الفارابي ، وتابعه عليه حكماء الأندلس ، أنها نوع واحد ، وأن اختلافها بالكيفيات من الرطوبة واليبوسة ، واللين ، والصلابة ، والألوان ، من الصفرة والبياض والسواد. وهي كلها أصناف لذلك النوع الواحد.

والذي ذهب إليه ابن سينا ، وتابعه عليه حكماء المشرق ، أنها مختلفة بالفصول ، وأنها أنواع متباينة ، كل واحد منها قائم بنفسه ، مُتحقق بحقيقته ، له فصل وجنس ، شأن سائر الأنواع.

وبنى أبو نصر الفارابي على مذهبه في اتفاقها بالتنوع ، إمكان انقلاب بعضها إلى بعض ، لإمكان تبدل الأغراض حينئذٍ وعلاجها بالصنعة. فمن هذا الوجه ، كانت

(١) سقط ما بين النجمين من ي .

صناعة الكيمياء عنده ممكنة سهلة<sup>(أ)</sup> المأخذ. وبنى أبو علي ابن سينا على مذهبه في اختلافها بالتنوع إنكار هذه الصنعة واستحالة وجودها، بناءً على أن الفصل لا سبيل بالصناعة إليه، وإنما يخلقه خالق الأشياء ومقدّرها، وهو الله عز وجل. والفصول مجهولة الحقائق رأساً بالتصوّر، فكيف يُحاول انقلابها بالصنعة؟ وغلّطه الطّغرائي، من أكبر أهل هذه الصنعة، في هذا القول، وردّ عليه بأنّ التدبير والعلاج ليس في 5 تخليق الفصل وإبداعه، وإنما هو في إعداد المادّة لقبوله خاصّة. والفصل يأتي من بعد الإعداد من لدن خالقه وباريه، كما يفيض النور على الأجسام بالصقل والإمهاء، ولا حاجة بنا في ذلك إلى تصوّره ومعرفته.

قال: وإذا كنّا قد عثرنا على تخليق بعض الحيوانات مع الجهل بفصولها، مثل العُقرب من التراب والتبن، ومثل الحيات المتكوّنة من الشّعر، ومثل ما ذكره 10 أصحاب الفلاحة في تكوين التّحل إذا فُقدت من عجائيل البقر، وتكوين / القصب [379] من قرون ذوات الطّلف وتصويره سُكّرياً بحشو القرون بالعسل بين يدي ذلك الفلح للقرون، فما المانع إذن من العُثور على مثل ذلك في \* المعادين؟ وهذا كلّهُ بالصنعة، وهي إنّما موضوعها المادّة. فَيُعَدُّها التدبير والعلاج إلى قبول تلك الفصول، لا أكثر.

قال: فنحن نحاول مثل ذلك في \* (ب) الذهب والفضّة، فننخذ مادّة نضعها 15 للتدبير، بعد أن يكون فيها استعداداً أول لقبول صورة الذهب والفضّة، ثم نحاولها بالعلاج على أن يتم فيها الاستعداد لقبول فضلها. انتهى كلام الطّغرائي بمعناه.

(أ) سقط من ج (ب) سقط ما بين النجمين من ي .

وهذا الذي ذكره في الردّ على ابن سينا صحيح، لكن لنا في الردّ على أهل الصناعة مأخذ آخر يتبيّن منه استحالة وجودها وبطلان مرعومهم أجمعين، لا الطغرائي ولا ابن سينا.

وذلك أنّ حاصل علاجهم، أنهم بعد الوقوف على المادّة المستعِدّة بالاستعداد الأول، يجعلونها موضوعاً، ويحاذون في تدبيرها وعلاجها تدبير الطبيعة للجسم في المعدن 5 حتى إحالته ذهباً أو فضّة، ويضاعفون القوى الفاعلة والمنفّعة ليتمّ في زمانٍ أقصر. لأنّه تبيّن في موضعه أنّ مضاعفة قوّة الفاعل تنقّص من زمن فعله، وتبيّن أنّ الذهب إنّما يتمّ كونه في معدّنه بعد ألف وثمانين من السنين، دورة الشمس الكبرى. فإذا تضاعفت القوى والكيفيات<sup>(1)</sup> في العلاج، كان زمان كونه أقصر من ذلك ضرورة، على ما قلناه. [أو]<sup>(ب)</sup> يتحرّون بعلاجهم ذلك حصول صورة مزاجيّة لتلك المادّة 10 يصيرها كالخميرة، فتفعل في الجسم المعالج الأفاعيل المطلوبة في إحالته. وذلك هو الإكسير، على ما تقدّم.

واعلم أنّ كلّ متكوّن من المولّدات العنصريّة، فلا بدّ فيه من اجتماع العناصر الأربعة وعلى نسبة متفاوتة، إذ لو كانت متكافئة في النسبة لما تمّ امتزاجها. فلا بدّ من الجزء الغالب على الكلّ. ولا بدّ في كلّ ممتزج من المولّدات من حرارة غريزيّة هي 15 الفاعلة لكونه، الحافظة / لصورته. ثمّ كلّ متكوّن في زمان، فلا بدّ من [اختلاف]<sup>(ج)</sup> أطواره واثنيّاله في زمن التكوين من<sup>(ج)</sup> طور<sup>(د)</sup> إلى طور، حتى ينتهي إلى غايته.

(1) ج: الطبيعيات (ب) ط: و (ج) سقط من ط (د) سقط من ي .

وانظر شأن الإنسان في طور النطفة، ثم العلقه، ثم المضغة، ثم التصوير، ثم الجنين، ثم المولود، ثم الرضيع، ثم، ثم، إلى نهايته. ونسب الأجزاء في كل طور تختلف مقاديرها وكيفياتها. وإلا لكان الطور بعينه الأول هو الآخر. وكذا الحرارة الغريزية في كل طور، مخالفة لها في الطور الآخر.

- 5 فانظر إلى الذهب ما يكون له في مَعْدِنِهِ من الأطوار منذ ألف سنة وثمانين، وما ينتقل فيه من الأحوال، فيحتاج صاحب الكيمياء أن يساوق فعل الطبيعة في المعدين ويحاذيه بتدبيره وعلاجه إلى أن تيم. ومن شرط الصناعة أبداً تصوّر ما يقصد إليه بالصنعة. فمن الأمثال السائرة في ذلك للحكماء: أول العمل آخر الفكرة، وآخر الفكرة أول العمل. فلا بُدَّ من تصوّر هذه الحالات للذهب في أحواله المتعددة ونسبها
- 10 المتفاوتة في كل طور، واختلاف الحار الغريزي عند اختلافها، ومقدار الزمان في كل طور، وما ينوب عنه من مقدار القوى المضاعفة ويقوم مقامه، حتى يحاذي بذلك كله فعل الطبيعة في المعدين، أو تعدد لبعض المواد صورة مزاجية تكون كصورة الخميرة للخبز، وتعمل في هذه المادة بالمناسبة لقواها ومقاديرها. وهذه كلها إنما ينحصرها العلم المحيط، والعلوم البشرية قاصرة عن ذلك. وإنما حال من يدعي
- 15 حصوله على الذهب بهذه الصنعة، بمثابة من يدعي - بالصنعة - تخليق إنسان من المني. ونحن إذا سلّمنا له الإحاطة بأجزائه ونسبه وأطواره، وكيفية تخليقه في رحم، وعلم ذلك علماً محصلاً بتفاصيله حتى لا يشدّ منه شيء عن علمه، سلّمنا له تخليق هذا الإنسان. وأنى له ذلك؟!

ولنقرب هذا البرهان بالاختصار ليسهل فهمه، فنقول: حاصل صناعة الكيمياء

- [380] وما يدعونه بهذا التدبير، أنه مساوقة الطبيعة المعدية بالفعل / الصناعي ومحاذاتها به، إلى أن يتم كون الجسم المعدني، أو تخليق مادة بقوى وأفعال وصورة مزاجية تفعل في الجسم فعلاً طبيعياً فتصيره وتقلبه إلى صورتها. والفعل الصناعي مسبوق بتصورات أحوال الطبيعة المعدية التي يقصد مساوقتها ومحاذاتها ، أو فعل المادة ذات القوى فيها، تصوراً مفصلاً واحدة بعد أخرى. وتلك الأحوال لا نهاية لها، والعلم البشري عاجز عن الإحاطة بما دونها، وهو بمثابة من يقصد تخليق إنسان أو حيوان أو نبات. هذا محصل هذا البرهان، وهو أوثق ما علمته. وليست الاستحالة فيه من جهة الفصول، كما رأيته، ولا من الطبيعة، إنما هو من تعدد الإحاطة وقصور البشر عنها. وما ذكره ابن سينا بمغزل عن ذلك.

10

وله وجه آخر في الاستحالة من جهة غايته؛ وذلك أن حكمة الله في الحجرين وتدورهما، أنهما قيم لمكاسب الناس ومتمولاتهم. فلو حصل عليها بالصناعة لبطلت حكمة الله في ذلك، وكثر وجودهما حتى لا يحصل أحد من افتنائهما على شيء.

- 15 وله وجه آخر من الاستحالة أيضاً، وهو أن الطبيعة لا تترك أقرب الطرق في أفعالها وترتكب الأغوص والأبعد. فلو كان هذا الطريق الصناعي الذي يزعمون أنه صحيح، وأنه أقرب من طريق الطبيعة في معيها وأقل زمناً لما تركته الطبيعة إلى طريقها الذي سلكته في كون الفضة والذهب وتخليقهما.

وأما تشبيه الطغرائي هذا التدبير بما عثر عليه من مُفرداتٍ لأمثاله في الطبيعة، كالغُرب والنحل والحِية وتخليقها ، فأمرٌ صحيحٌ في هذه ، أدّى إليه العُشورُ كما زعم . وأما الكيمياء ، فلم يُثقل عن أحدٍ من أهل العالم أنه عثر عليها ولا على طريقها . وما زال مُنتحلوها يُخبطون فيها عشواء إلى هَلُم ، ولا يظفرون إلا بالحكايات الكاذبة . ولو صحَّ ذلك لأحدٍ منهم لحِفْظُهُ عنه ولِذِهِ أو تلميذه أو أصحابه 5 / وتوقّل في الأصدقاء، وضمنَ تصديقَهُ صحّةَ العملِ بعده إلى أن يَنْتَشِرَ ويبلغَ إلينا أو إلى غيرنا.

[380ب]

وأما قولهم: إنّ الأكسيرَ بمثابة الحميرة، وإنّه مُركَّبٌ يحيلُ ما حصلَ فيه ويقلِّبُهُ إلى ذاته، فاعلم أنّ الحميرةَ إنّما تقلِّبُ العجينَ وتعدُّهُ للهَضْمِ، وهو فسادٌ. والفسادُ في الموادِّ سهْلٌ ، يقعُ بأيسر شيءٍ من الأفعال والطبائع<sup>(1)</sup> . والمطلوبُ بالأكسيرِ قلبُ المعدنِ إلى ما هو أشرفُ منه وأعلى، فهو تكوينٌ وصلاَحٌ. والتكوينُ أصعبُ من الفسادِ. فلا يُقاسُ الأكسيرُ على الحميرة<sup>(ب)</sup>.

وتحقيقُ الأمرِ في ذلك، أنّ الكيمياءَ، إن صحَّ وجودُها كما يزعمُ الحكماءُ المتكلمون فيها، مثل جابر بن حيّان، ومسلمة بن أحمد المجريطي، وأمثالهم، فليس من باب الصنائع الطبيعية ، ولا تتمُّ بأمرٍ صناعيٍّ . وليس كلامُهم فيها من منحنى الطبيعيّات، إنّما هو من منحنى كلامهم في الأمور السحرية وسائر الخوارق، وما كان من ذلك للحلّاج وغيره. وقد ذكر مسلمة في كتاب الغاية ما يُشبهُ ذلك. وكلامُه

(1) سقط من ج (ب) ي: بالخميرة .

فيها في كتاب رُتبة الحكيم من هذا المنحى، وكذا كلام جابر في رسائله. ونحو كلامهم فيه معروف، ولا حاجة بنا إلى شرحه.

وبالجُملة، فأمرها عندهم من كليات الموالد الخارجة عن حُكم الصنائع. فكما لا يتدبّر ما منه الخشب والحيوان في يوم أو شهرٍ خشب أو حيوان فيما عدا مجزى تخلّيقه، كذلك لا يتدبّر ذهب من مادة الذهب في يوم ولا شهر، ولا يتغيّر طريق عاداته 5 إلا بإزفادٍ مما وراء عالم الطبائع وعمل الصنائع. فلذلك من طلب الكيمياء طلباً صناعياً ضيع ماله وعمله، ويقال لهذا التدبير الصناعي: التدبير العقيم، لأنّ ثيلها إن كان صحيحاً فهو واقعٌ مما وراء الطبائع والصنائع. فهو كالمشي على الماء، وامتناء الهواء، والتفوذ في كثائف الأجساد، ونحو ذلك من كرامات الأولياء الخارقة للعادة، أو مثل تخلّيق الطير، ونحوها من معجزات الأنبياء. قال تعالى: ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ 10 الطَّيْرِ فَانْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ / طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [سورة آل عمران، من الآية 49].

[381]

وعلى ذلك، فسييلُ تيسيرها مُختلفٌ بحسب حال من يؤتاها. فربما أوتيتها الصالح، ولم يؤتها غيره فتكون عنده مُعارة. وربما أوتيتها الطالح، ولا يملك إبتاءها فلا يتم في يد غيره. ومن هذا الباب يكون عملها سحرياً.

(1) فقد تبين أنّها إنما تقع بتأثيرات النفّس وخوارق العادة، إمّا معجزة أو كرامة 15 أو سحراً. ولهذا كان كلام الحكماء فيها إلغازاً، لا يظفر بتحقيقه إلا من خاض لُجّة من علوم السحرة، واطّلع على تصرفات النفّس في عالم الطبيعة (1).

(1) حاشية علّقها بخطه في نسخة ع.

وأمرُ خَزَقِ العَادَةِ غَيْرُ مَنْحَصَرَةٍ، وَلَا يَقْصِدُ أَحَدٌ إِلَى تَحْصِيلِهَا. ﴿وَاللَّهُ بِمَا  
يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [سورة الأنفال، من الآية 17].

وَأَكْثَرُ مَا يَحْمِلُ عَلَى التَّعَاسِ هَذِهِ الصَّنَاعَةُ وَاتِّحَالُهَا، هُوَ، كَمَا قُلْنَا، الْعَجْزُ عَنِ  
الطَّرِيقِ الطَّبِيعِيِّ لِلْمَعَاشِ، وَابْتِغَاؤُهُ مِنْ غَيْرِ وُجُوهِ الطَّبِيعِيَّةِ، كَالْفِلَاحَةِ وَالتَّجَارَةِ  
وَالصَّنَاعَةِ، فَيَسْتَضَعِبُ الْعَاجِزُ ابْتِغَاءَهُ مِنْ هَذِهِ، وَيَرُومُ الْحَصُولَ عَلَى الْكَثِيرِ مِنْ  
الْمَالِ دَفْعَةً لِبُجُوهِ غَيْرِ طَبِيعِيَّةٍ مِنَ الْكِيمْيَاءِ وَغَيْرِهَا. وَأَكْثَرُ مَنْ يُغْنَى بِذَلِكَ، الْفُقَرَاءُ مِنْ  
أَهْلِ الْعُمُرَانِ، حَتَّى فِي الْحُكَمَاءِ الْمُتَكَلِّمِينَ فِي إِمْكَانِهَا وَاسْتِحَالَتِهَا. فَإِنَّ ابْنَ سِينَا،  
الْقَائِلَ بِاسْتِحَالَتِهَا، كَانَ مِنْ عِلْيَةِ الْوُزَرَاءِ، فَكَانَ مِنْ أَهْلِ الْغِنَى وَالثَّرْوَةِ، وَالْفَارَابِيِّ،  
الْقَائِلَ بِإِمْكَانِهَا، كَانَ مِنْ أَهْلِ الْفَقْرِ الَّذِينَ يُغَوِّزُهُمْ أَدْنَى بُلْغَةٍ مِنَ الْمَعَاشِ وَأَسْبَابِهِ.  
وَهَذِهِ تَهْمَةٌ ظَاهِرَةٌ فِي أَنْظَارِ النَّفُوسِ الْمَوْلَعَةِ بِطَرَقِهَا<sup>(١)</sup> وَاتِّحَالِهَا. وَاللَّهُ ﴿الرَّزَاقُ ذُو  
الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [سورة الدَّارِيَاتِ، مِنْ الْآيَةِ 58].

34 ﴿فَصُلِّ﴾<sup>(ب)</sup>، فِي الْمَقَاصِدِ الَّتِي يَنْبَغِي اعْتِمَادُهَا بِالتَّأْلِيفِ وَالْغَاءِ مَا سِوَاهَا

اعْلَمْ أَنَّ الْعُلُومَ الْبَشَرِيَّةَ خِزَانَتُهَا النَّفْسُ الْإِنْسَانِيَّةُ، بِمَا جَعَلَ اللَّهُ فِيهَا مِنْ  
الْإِدْرَاكِ الَّذِي يُفِيدُهَا ذَلِكَ بِالْفِكْرِ الْمَحْصَلِ لَهَا ذَلِكَ بِالتَّصَوُّرِ لِلْحَقَائِقِ أَوَّلًا، ثُمَّ بِإِبْثَابِ  
الْعَوَارِضِ الدَّائِيَّةِ لَهَا أَوْ نَقْضِهَا عَنْهَا ثَانِيًا، إِمَّا بِغَيْرِ وَسْطٍ أَوْ بَوْسَطٍ، حَتَّى يَسْتَنْتِجَ

(١) ع: طَرَقُهَا (ب) وَرَدَّ هَذَا الْفَصْلُ فِي ع وَحْدَهَا تَالِيًا لِلْفَصْلِ بَعْدَهُ، عَنْ "أَنَّ كَثْرَةَ التَّأْلِيفِ فِي الْعُلُومِ عَاقِقَةٌ عَنِ التَّحْصِيلِ"، وَقَدْ  
كُتِبَ عَلَيْهَا بِحَظٍ دَقِيقٍ: "مَنْ هُنَا يُعْبَزُ إِلَى الصَّفْحَةِ الْبَسْرَى، فَصْلٌ فِي الْمَقَاصِدِ الَّتِي، إلخ" وَسَقَطَ هَذَا الْفَصْلُ أَصْلًا مِنْ ظ ج ي .



الفكر بذلك مطالبته التي يُغنى بإثباتها أو نقيها. فإذا استقرت من ذلك صورة علمية في الضمير، فلا بُدَّ من بيانها لآخر، إما على وجه التعليم، أو على وجه المفاوضة لصقل الأفكار في تصحيحها.

وذلك البيان إنما يكون بالعبارة، وهي الكلام المركب من الألفاظ النطقية التي خلقها الله في عضو اللسان مركبة من الحروف؛ وهي كيفيات الأصوات المقطعة 5 بعضلة اللهاة واللسان، ليتبين بها ضمائر المتكلمين بعضهم لبعض في مخاطباتهم. وهذه رتبة أولى في البيان عما في الضمائر، وإن كان معظمها وأشرفها العلوم، فهي شاملة لكل ما يندرج في الضمير من خبر أو إنشاء على العموم.

وبعد هذه الرتبة الأولى من البيان رتبة ثانية يُؤدّي بها ما في الضمير لمن توارى أو غاب شخصه وتعدّ، أو لمن يأتي بعد ولم يعاصره ولا لقيته. وهذا البيان منحصّر في 10 الكتابة؛ وهي رقوم باليد، تدلّ أشكالها وصورها بالتواضع على الألفاظ النطقية حروفاً بحروف، وكلمات بكلمات. فصار البيان فيها على ما في الضمائر بواسطة الكلام النطقي؛ فهذا كانت في الرتبة الثانية.

وأحد قسمي هذا البيان يدلّ على ما في الضمائر من العلوم والمعارف، فهو 15 أشرافها. وأهل الفنون معتنون بإبداع ما يخلص في ضمائرهم من ذلك في بطون الأوراق بهذه الكتابة، لتعم الفائدة في حصوله للغائب والمتأخّر. وهؤلاء هم المؤلفون.

والتواليف بين العوالم البشرية والأمم الإنسانية كثير، ومنقلة في الأجيال والأغصان، وتختلف باختلاف الشرائع والمثل والأخبار عن الأمم والدول. وأما

العلوم الفلسفية فلا اختلاف فيها، لأنها إنما تأتي على نهج واحد فيما تقتضيه الطبيعة الفكرية في تصور الموجودات على ما هي عليه، جسمانيها وروحانيها، وفلكيها وعنصريها، ومجردها ومادتها. فإن هذه العلوم لا تختلف، وإنما يقع الاختلاف في العلوم الشرعية لاختلاف الملل، أو التاريخية لاختلاف خارج الخبر.

5 ثم الكتابة مختلفة باضطلاحات البشر في رسومها وأشكالها، ويسمى ذلك قلماً وخطاً. فمنها: الخط الحميري، ويسمى المسند، وهو كتابة جدير وأهل اليمن الأقدمين. وهو يخالف كتابة العرب المتأخرين من مضر، كما يخالف لغتهم وإن كان الكل عربياً، إلا أن ملكة هؤلاء في اللسان والعبارة غير ملكة أولئك، ولكل منها قوانين كلية مستقاة من عباراتهم غير قوانين الآخرين. وربما يغلط في ذلك من لا يعرف ملكات العبارة. 10

ومنها: الخط السرياني، وهو كتابة التبت والكلدانيين. وربما يزعم بعض أهل الجهل أنه الخط الطبيعي، لإقدمه، فإنهم كانوا أقدر الأمم. وهذا وهم ومذهب عامي، لأن الأفعال الاختيارية كلها ليس شيء منها بالطبع، وإنما هو يستمر بالقدم والميران حتى يصير ملكة راسخة، فيظنّها المشاهد طبيعة<sup>(1)</sup>، كما هو رأس<sup>(1)</sup> كبير من البلداء في اللغات العربية، فيقولون: العرب كانت تغرب بالطبع وتنتطق بالطبع، وهذا وهم. 15

ومنها: الخط العبراني الذي هو كتابة بني عابر بن شالغ، من بني إسرائيل وغيرهم.

(1) كنا، وربما أرادها التاسع: رأي كبير.

ومنها: الخطُّ اللَّطِينِيّ، خط اللَّطِينِيِّينَ من الرُّوم. ولهم أيضاً لسانٌ مختَصٌّ بهم.

ولكلِّ أُمَّةٍ من الأممِ اصطلاحٌ في الكتابِ يُعزى إليها ويختصُّ بها، مثل التُّركِ والفرنجِ والهنودِ وغيرهم. وإنّا وقَّعتُ العنايةَ بالأقلامِ الثلاثةِ الأولى. أمّا السُّريانيّ، فَلِقَدَمِهِ، كما ذكرنا. وأمّا العربيّ [والعبريّ] <sup>(١)</sup>، فَلِتَنَزُّلِ الْقُرْآنِ وَالتَّوْرَةِ بِهِمَا، بِلِسَانِهِمَا.

وكان هذان الخططان بياناً لِمَثَلَوْهُمَا؛ فَوَقَّعتُ العنايةَ بِمَنْظُومِهِمَا أَوَّلاً، وَابْتَسَطْتُ قَوَانِيْنَ 5 لَا طَرَادَ الْعِبَارَةِ فِي تِلْكَ اللَّغَةِ عَلَى أَسْلُوبِهَا، لِتُفْهَمَ الشَّرَائِعُ التَّكْلِيفِيَّةُ مِنْ ذَلِكَ الْكَلَامِ الرَّبَّانِيِّ. وأمّا اللَّطِينِيّ، فَكَانَ الرُّومُ، وَهُمْ أَهْلُ ذَلِكَ اللَّسَانِ، لَمَّا أَخَذُوا بِدِينِ النَّصْرَانِيَّةِ، وَهُوَ كُلُّهُ مِنَ التَّوْرَةِ، كَمَا سَبَقَ فِي أَوَّلِ الْكِتَابَةِ، تَرْجَمُوا التَّوْرَةَ وَكُتِبَ الْأَنْبِيَاءُ الْإِسْرَائِيلِيِّينَ إِلَى لُغَتِهِمْ، لِيَقْتَنِصُوا مِنْهَا الْأَحْكَامَ عَلَى أَسهَلِ الطَّرِيقِ. وَصَارَتْ 10 عَنَانِيَّتُهُمْ بِلُغَتِهِمْ وَكِتَابَتُهُمْ أَكَدَ مِنْ سِوَاهَا. وَأَمَّا الْخَطُوطُ الْأُخْرَى، فَلَمْ تَقَعْ بِهَا عِنَايَةٌ، وَإِنَّمَا هِيَ لِكُلِّ أُمَّةٍ بِحَسَبِ اصْطِلَاحِهَا.

ثُمَّ إِنَّ النَّاسَ حَصَرُوا مَقَاصِدَ التَّأْلِيفِ الَّتِي يَتَّبِعِي اعْتِمَادُهَا وَإِلْغَاءُ مَا سِوَاهَا، فَعَدَّوْهَا سَبْعَةً.

أَوَّلُهَا : اسْتِنْبَاطُ الْعِلْمِ بِمَوْضُوعِهِ ، وَتَقْسِيمُ أَبْوَابِهِ وَفُصُولِهِ ، وَتَتَبُّعُ مَسَائِلِهِ ، أَوْ 15 اسْتِنْبَاطُ مَسَائِلَ وَمُبَاحَثَ تَعْرِضُ لِلْعَالِمِ الْحَقِّقِ ، وَيُخْرِصُ عَلَى إِيْصَالِهِ لغيره لِتَعْمُ الْمُنْفَعَةُ بِهِ. فَيُودَعُ ذَلِكَ بِالْكِتَابِ فِي الْمَصْحَفِ، لَعَلَّ الْمَتَأَخَّرَ يَظْهَرُ عَلَى تِلْكَ الْفَائِدَةِ، كَمَا وَقَعَ فِي أَصُولِ الْفِقْهِ. تَكَلَّمَ الشَّافِعِيُّ أَوَّلاً فِي الْأَدِلَّةِ الشَّرْعِيَّةِ اللَّفْظِيَّةِ وَلِخَصِّهَا، ثُمَّ

(١) لم ترد في الأصل، ويقضيها السياق .

جاء الحنفيّة، فاستنبطوا مسائل القياس واستوعبوها، وانتفع بذلك من بعدهم إلى الآن.

وثانيها: أن يقف على كلام الأولين وتواليهم فيجدها مستغلقة على الأفهام، ويفتح الله له في فهمها، فيحرص على إيالة ذلك لغيرة ممن عساه يستغلّق عليه، لتصل الفائدة لمستحقيها. وهذه طريقة البيان لكُتب المعقول والمنقول، وهو فصل شريف.

وثالثها: أن يعثر المتأخر على غلطٍ أو خطأ في كلام المتقدمين ممن اشتهر فضله وبعد في الإفادة صيته، ويستوثق في ذلك بالبرهان الواضح الذي لا مدخل للشك فيه، فيحرص على إيصال ذلك لمن بعده، إذ قد تعذر محوه ونزعه بانتشار التأليف في الآفاق والأغصار، وشهرة المؤلف ووثوق الناس بمعارفه. فيودع ذلك الكتاب ليقف الناظر على بيان ذلك.

ورابعها: أن يكون الفن الواحد قد نُقصت منه مسائل أو فصول بحسب انقسام موضوعه، فيقصد المطلع على ذلك أن يتمم ما نقص من تلك المسائل ليكمل الفن بكمال مسائله وفصوله، ولا يبقى للنقص فيه مجال.

وخامسها: أن تكون مسائل العلم قد وقعت غير مرتبة في أبوابها ولا منتظمة، فيقصد المطلع على ذلك أن يربتها ويهذبها ويجعل كل مسألة في بابها، كما وقع في المدونة من رواية سحنون عن ابن القاسم؛ وفي العنينة من رواية العنبي عن أصحاب مالك. فإن مسائل كثيرة من أبواب الفقه منها قد وقعت في غير بابها، فهذب ابن

أبي زَيْدِ المدَوَّنَة ، وبقيت العُثَيْيَّة غير مُهذَّبة ، فنجدُ في كلِّ بابٍ مسائلَ من غيرِه ، واستغْتَوْا بالمدَوَّنَة وما فعَلَه ابنُ أبي زَيْدٍ فيها والبراذعيُّ من بعده .

وسادسها : أن تكونَ مسائلُ العِلْمِ مفرَّقةً في أبوابها من علومٍ أُخرى ، فيتنبَّه بعضُ الفضلاءِ إلى موضوعِ ذلك الفنِّ وجمعِ مسائلِه ، فيفعلُ ذلك ، ويظهرُ به فنٌّ ينظمُه في جُمْلَةِ العلومِ الَّتِي يَنْتَحِلُهَا البَشَرُ بأفكارهم ، كما وَقَعَ في علمِ البيانِ ؛ فإنَّ 5 عبدَ القاهرِ الجُرْجَانِيَّ ، وأبا يوسفَ السَّكَّاكِيَّ ، وجدوا مَسَائِلَهُ مستقريةً في كُتُبِ النَّحْوِ ، وقد جَمَعَ منها الجاحِظُ في كتابِ البيانِ والتبيينِ مسائلَ كثيرةً تَنَبَّه النَّاسُ منها لموضوعِ ذلك العِلْمِ وانفراده عن سائرِ العلومِ . فكَتَبَا في ذلك تواليْفَهُم المشهورة ، وصارت أصولاً لفنِّ البيانِ ، وَلَقِنِهَا المتأخرونَ فازتوا فيها على كلِّ مُتَقَدِّمٍ .

وسابعها : أن يكونَ شيءٌ من التَّوَالِيفِ الَّتِي هِيَ أَمْهَاتٌ لِلْفُنُونِ مطوَّلاً مسهباً ، 10 فيُقَصَّدُ بالتَّأْلِيفِ تلخيصُ ذلك بالاختصارِ والإيجازِ وحذفِ المتكرِّرِ إن وقعَ ، مع الحَذَرِ من حَذْفِ الضَّروريِّ ، لئلاَّ يَخِلَّ بمَقْصِدِ المؤلِّفِ الأوَّلِ .

فهذه جَماعُ المقاصِدِ الَّتِي ينبغي اعتمادُها في التَّأْلِيفِ ومراعاتُها . وما سِوَى ذلك ففَعْلٌ غيرُ مُحتاجٍ إليه ، وَخَطَأٌ عن الجادةِ الَّتِي يَتَعَيَّنُ سلوكُها في نَظَرِ العُقلاءِ ، مثل 15 انتحالِ ما تَقَدَّمَ لغيرِه من التَّوَالِيفِ ، أن يَنْسِبَهُ إلى نَفْسِهِ ببعضِ تَلْبِيسٍ من تَبْدِيلِ الألفاظِ وتَهْدِيمِ المتأخِرِ وَعَكْسِهِ ، أو يَحْذَفُ ما يَحْتَاجُ إليه في الفنِّ ، أو يَأْتِي بما لا يُحْتَاجُ إليه ، أو يُبَدِّلُ الصَّوابَ بالخطأِ ، أو يَأْتِي بما لا فائِدَةَ فيه . فهذا شأنُ الجَهِلِّ والقيحَةِ . ولهذا قال أرسطو لما عَدَّدَ هذه المقاصِدَ وانتهى إلى آخرها ، فقال : وما سِوَى

ذلك ففَضْلٌ أو شَرٌّ. يَغْنِي بذلك الجَهْلَ وَالْقَحَّةَ. نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْعَمَلِ فِيْمَا لَا يَتَّبِعِي  
لِلْعَاقِلِ سُلُوكُهُ. وَاللَّهُ ﴿يَهْدِي لِلَّذِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ <sup>(١)</sup> [سورة الإسراء، من الآية 9].

### 35 • فَضْلٌ، فِي أَنْ كَثْرَةَ التَّوَالِيْفِ فِي الْعُلُومِ عَائِقَةٌ عَنِ التَّحْصِيلِ

اعْلَمْ أَنَّهُ مِمَّا أَضَرَّ بِالنَّاسِ فِي تَحْصِيلِ الْعِلْمِ وَالْوُقُوفِ عَلَى غَايَاتِهِ، كَثْرَةُ التَّوَالِيْفِ  
5 واختلافُ الاضْطِلَاحَاتِ فِي التَّعْلِيمِ وَتَعَدُّدُ طُرُقِهَا، ثُمَّ مَطَالِبَةُ الْمُتَعَلِّمِ وَالتَّلْمِيْذِ  
بِاسْتِحْضَارِ ذَلِكَ، وَحِينَئِذٍ يُسَلِّمُ لَهُ مَنْصِبُ التَّحْصِيلِ. فَيَحْتَاجُ الْمُتَعَلِّمُ إِلَى حِفْظِهَا  
كُلِّهَا أَوْ أَكْثَرِهَا وَمِرَاعَاةِ طُرُقِهَا، وَلَا يَفِي عُمُرُهُ بِمَا كُتِبَ فِي صِنَاعَةٍ وَاحِدَةٍ إِذَا تَجَرَّدَ لَهَا،  
فَيَقَعُ الْقُصُورُ - وَلَا بُدَّ - دُونَ زُبْدَةِ التَّحْصِيلِ.

/ وَتَمَثَّلَ ذَلِكَ مِنْ شَأْنِ الْفِقْهِ فِي الْمَذْهَبِ الْمَالِكِيِّ بِكِتَابِ الْمَدْوَنَةِ مِثْلًا وَمَا [381ب]  
10 كُتِبَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّرُوحَاتِ الْفِقْهِيَّةِ، مِثْلَ كِتَابِ ابْنِ يُونُسَ، وَاللَّخْمِيِّ، وَابْنِ بَشِيرَ،  
والتَّنْبِيْهَاتِ، وَالْمَقْدَمَاتِ، وَكَذَلِكَ كِتَابُ الْعُنْتِيَّةِ، أُخْتُهَا، وَالْبَيَانِ وَالتَّحْصِيلِ الَّذِي  
كُتِبَ عَلَيْهَا، وَكَذَلِكَ كِتَابُ ابْنِ الْحَاجِبِ وَمَا كُتِبَ عَلَيْهِ. ثُمَّ إِنَّهُ يَحْتَاجُ إِلَى  
تَمْيِيزِ الطَّرِيقَةِ الْقَيْرَوَانِيَّةِ مِنَ الْقُرْطُوبِيَّةِ وَالبَغْدَادِيَّةِ وَالْمِصْرِيَّةِ، وَطُرُقِ الْمُتَأَخِّرِينَ عَنْهُمْ،  
وَالْإِحَاطَةِ بِذَلِكَ كُلِّهِ، وَحِينَئِذٍ يُسَلِّمُ لَهُ مَنْصِبُ الْفُتْيَا. وَهِيَ كُلُّهَا مُتَكَرِّرَةٌ وَالْمَعْنَى  
15 وَاحِدٌ. وَالْمُتَعَلِّمُ مُطَالِبٌ بِاسْتِحْضَارِ جَمِيعِهَا وَتَمْيِيزِ مَا بَيْنَهَا، وَالْعُمُرُ يَنْقَضِي فِي وَاحِدٍ

(١) كُتِبَ فِي ع بَعْدَ هَذِهِ الْحَافَةِ بِخَطِّ مِمَّاثِلَ لَمَّا وَرَدَ فِي الْحَاشِيَةِ (؟ كُنَّا) مَا يَلِي: وَيَرْجِعُ إِلَى مَا قَبْلَهُ بَوْرَقَتَيْنِ وَهُوَ قَوْلُهُ: فَضْلٌ فِي أَنْ  
كَثْرَةَ التَّوَالِيْفِ فِي الْعُلُومِ عَائِقَةٌ عَنِ التَّحْصِيلِ.

منها. ولو اقتصر المعلمون بالمتعلمين على المسائل المذهبية فقط، لكان الأمر دون ذلك بكثير، وكان التعليم سهلاً ومأخذه قريباً، ولكنه داء لا يرتفع، لاستقرار العوائد [عليه]<sup>(1)</sup>، فصارت كالطبيعة التي لا يمكن نقلها ولا تحويلها.

- وتمثل أيضاً علم العربية من كتاب سيبويه، وجميع ما كتبت عليه، وطرق البصريين والكوفيين والبغداديين والأندلسيين من بعدهم، وطرق المتقدمين والمتأخرين، مثل 5 ابن الحاجب، وابن مالك، وجميع ما كتبت في ذلك، وكيف يطالب به المتعلم، وينقضي عمره دونه. ولا يطمع أحد في الغاية منه إلا في القليل النادر، مثل ما وصل إلينا بالمغرب لهذا العهد من تواليف رجل من أهل صناعة العربية من أهل مصر، يعرف بابن هشام، ظهر من كلامه فيه أنه استولى على غاية من ملكة تلك الصناعة لم تحصل إلا لسيبويه وابن جني وأهل طبقتها، لعظيم ملكته وما أحاط به من أصول 10 ذلك الفن وتفاريقه وحسن تصرفه فيه. ودل ذلك على أن الفضل ليس منحصراً في المتقدمين، سيما مع ما قررناه من كثرة الشواغب بتعدد المذاهب والطرق والتواليف. ولكن ﴿فَضَّلَ اللَّهُ يُونُسَ مَن يَشَاءُ﴾ [سورة المائدة، من الآية 54]، وهذا نادر من / نوادر الوجود. وإلا فالظاهر أن المتعلم ولو قطع عمره في هذا كله [فلا]<sup>(ب)</sup> [382]
- يقي له بتخصيل علم العربية مثلاً، الذي هو آلة من الآلات ووسيلة. فكيف يكون 15 في المقصود الذي هو من<sup>(ج)</sup> الثمرة؟ ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [سورة البقرة، من الآية 272 و سورة القصص، من الآية 56].

(1) سقط من ظ (ب) من ع ج ي، وفي ظ: ولا (ج) من ظ وحدها، وفي ع ج ي: الذي هو الثمرة .

## 36 • فصلٌ ، في أن كثرة الاختصارات الموضوعية في العلوم مُخلةٌ بالتعليم

ذهب كثيرٌ من المتأخرين إلى اختصار الطُّرُق والأنحاء في العلوم ، يُولعون بها ويدَّونون منها بزناجماً مُختصراً في كلِّ علم ، يشتمِلُ على حَصْر مسائله وأدلتها باختصارٍ 5 في الألفاظ ، وحشو القليل منها بالمعاني الكثيرة من ذلك الفن ، فصار ذلك مُخللاً بالبلاغة وعسيراً على الفهم [...] <sup>(أ)</sup> . وربما عمَدوا إلى الكتب الأُمّهات المطوَّلة في الفنون [...] <sup>(ب)</sup> والبيان ، فاختصروها تقريباً للحفظ ، كما فعَلَهُ ابنُ الحاجب في الفقه وأصول الفقه ، وابنُ مالك في العريّة ، والخونجيّ في المنطق ، وأمثالهم . وهو فسادٌ من التعليم ، وفيه إخلالٌ بالتَّحصيل .

وذلك لأنَّ فيه تَخْلِيطاً على المبتدئ بإلقاء الغايات من العلم عليه ، وهو لم 10 يستعِدَّ لقبولها بعد . وهو من سوء التعليم كما سيأتي . ثمَّ فيه مع ذلك شُغلٌ كبيرٌ على المتعلِّم بتتبع ألفاظ الاختصار العويصة للفهم ، لتزاحم المعاني عليها واستخراج المسائل من بينها . لأنَّ ألفاظ المختصرات نجدها لذلك صعبةً عويصةً ، فينقطعُ في فهمها حَظٌّ صالحٌ من الوقت . ثمَّ بعد ذلك كلُّه ، فالمملكةُ الحاصلةُ من التعليم في تلك المختصرات 15 إذا تمَّ على سدادِهِ ولم تعقبهُ آفةٌ ، فهي مملكةٌ قاصِرةٌ عن الملكات التي تحضُلُ من الموضوعات البسيطة المطوَّلة ، لكثرة ما يقعُ في تلك من التكرار والإطالة المفيدتين لحصولِ الملكة الثَّابَّة . وإذا اقتصرَ عن التكرار قصُرتِ الملكةُ بقلَّتِهِ ، كشأنِ هذه

(أ) يياض في ظ ح ي ، وسقط من ع (ب) في ي فراغ لكلمة أثبت منها حرفين .



الموضوعات المختصرة؛ فقصّوا إلى تسهيل الحفظ على المتعلّمين، فأزكّوهم صعباً  
 بقطعهم عن تحصيل الملكات النافعة وتمكّنها. / ومن يهد الله فلا مضلّ له، ﴿ من  
 يُضِلِّ [الله] فَلَآ هَادِيَ لَهُ ﴾ [سورة الأعراف، من الآية 186]. [382ب]

### 37 • فصل، في وجه الصواب في تعليم العلوم وطريق إفادته

اعلم أنّ تلقين [العلوم للمتعلّمين]<sup>(1)</sup> إنّما يكون مفيداً إذا كان على التدرّج شيئاً  
 شيئاً وقليلًا قليلًا، يُلْقَى عليه أولاً مسائل في كلّ باب من الفنّ، هي أصول ذلك  
 الباب، ويقرّب له في شرحها على سبيل الإجمال، ويراعى في ذلك قوّة عقله  
 واستيعاده لقبول ما يورّد عليه، حتّى ينتهي إلى آخر الفنّ، وعند ذلك تحضّل  
 له ملكة في ذلك العلم. إلّا أنّها قريبة وضعيفة، وغايها أنّها هيئته لفهم الفنّ وتحصيل  
 مسائله. 10

ثمّ يرجع به إلى الفنّ ثانية، فيرفعه في التلقين عن تلك الرتبة إلى أعلى منها،  
 ويستوفي الشرح والبيان، ويخرج عن الإجمال، ويذكر له ما هنالك من الخلاف  
 ووجهه، إلى أن ينتهي إلى آخر الفنّ، فتجود ملكته.

ثمّ يرجع به وقد شدّا، فلا يترك عويصاً ولا مُبْهِماً ولا مُنْغَلِقاً إلّا أَوْضَحَهُ وفتح  
 له مُقْفَلَهُ، فيخلّص من الفنّ وقد استولى على ملكته. 15

(1) ع: المتعلّمين للعلوم.

هذا وجهُ التعلّم المفيد. وهو كما رأيت، إنّما يحصلُ في ثلاثِ تَكَرّراتٍ. وقد يحصلُ للبعض في أقلّ من ذلك بحسب ما يُخلَق [له] <sup>(١)</sup> ويتيسّر عليه.

وقد شاهدنا كثيراً من [المُعَلِّمين] <sup>(ب)</sup> لهذا العهد الذي أدركنا، يجهلون طريقَ هذا التعلّم وإفادته، ويحضرون المتعلّم في أوّل تعلّمه المسائلَ المُثَقَّلَة من العلم، يُطالبونه بإحضارِ ذهنه في حلّها، ويحسبون ذلك مراناً على التعلّم وصواباً فيه، ويكلفونه وعيَ ذلك وتخصّيله. فيخلطون عليه بما يلقون له من غاياتِ الفنون في مبادئها وقبل أن يستعدّ لفهمها، فإنّ قبولَ العلم والاستعدادات لفهمه تنشأ تدريجاً.

ويكون المتعلّم أوّل الأمر عاجزاً عن الفهم بالجملة، إلّا في الأقلّ وعلى سبيل التقريب والإجمال وبالمثل الحسيّة. ثم لا يزال الاستعداد فيه يتدرّج قليلاً / قليلاً [383] بمخالطة مسائل ذلك الفن وتكرارها عليه، والانتقال فيها من التقريب إلى الاستيعاب الذي فوقه، حتّى تتم الملكة في الاستعداد، ثم في التحصيل، ويحيطُ بمسائل الفن.

وإذا أُلقيت عليه الغايات في البداية وهو حينئذٍ عاجزٌ عن الفهم والوعي، وبعيدٌ عن الاستعداد له، كلّ ذهنه عنها، وحسب ذلك من صعوبة العلم في نفسه، فتكاسل عنه، وانحرف عن قبوله، وتمادى في هجرانه. وإنّا أتينا في ذلك من سوء التعلّم. 15

ولا ينبغي [المُعَلِّم] <sup>(ج)</sup> أن يزيد متعلّمه على فهم كتابه الذي أكبّ على التعلّم منه، بحسب طبّقته وعلى نسبة قبوله للتعلّم، مُبتدئاً كان أو مُنتهياً. ولا يخلط

(١) من ع ج ي، وسقط من ط (ب) في الأصول: المتعلّمين، والأصوب ما أثبتنا والسياق يؤيّده (ج) في ط: لمتعلّم.

مسائل الكتاب بغيرها حتى يعيه من أوله إلى آخره، ويحصل أغراضه، ويستولي منه على ملكة بها يتفقد في غيره. لأن المتعلم إذا حصل ملكة ما في علم من العلوم استعد بها لقبول ما بقي، وحصل له نشاط في طلب المزيد، والنهوض إلى ما فوق، حتى يستولي على غايات العلم. وإذا خلط عليه الأمر، عجز عن الفهم وأدركه الكلال، وانطمس فكره، ويئس من التحصيل، وهجر العلم والتعليم. ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي 5 مَن يَشَاءُ﴾ [سورة البقرة، من الآية 213، وسورة النور، من الآية 46].

(1) وكذلك ينبغي أن لا يطول على المتعلم في الفن الواحد أو الكتاب الواحد بتقطيع المجالس وتفرق ما بينها، لأنه ذريعة إلى النسيان وانقطاع مسائل الفن بعضها عن بعض، فيعسر حصول الملكة بتفريقها. وإذا كانت أوائل العلم وأواخره حاضرة عند الفكر، مجانية للنسيان، كانت الملكة أيسر حصولاً وأحكم ارتباطاً وأقرب صبغة [.....] (ب)، لأن الملكات إنما تحصل بتتابع الفعل وتكرره. وإذا توسيى الفعل، توسيت الملكة الناشئة عنه؛ والله ﴿عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا 10 تَعْلَمُونَ﴾ (ج) [سورة البقرة، من الآية 239].

ومن المذاهب الجميلة والطرق الواجبة في التعليم، أن لا يخلط على المتعلم علماً معاً، فإنه حينئذ قل أن يظفر بواحد منها، لما فيه من تقسم / البال وانصرافه عن [383ب] كل واحد منها إلى تفهم الآخر، فيستغلطان معاً ويستضعبان، ويعود منها بالخيبة.

(أ) هذه الفقرة ألحقها ابن خلدون في حاشية ع بخطه. وأدرجتها ظ ج ي في منها (ب) كلمتان مشطوبتان في حاشية ع (ج) آخر الفقرة التي وردت في حاشية ع .

وَإِذَا تَقَرَّعَ الْفَكْرُ لَتَعْلَمَ مَا هُوَ بِسَبِيلِهِ مُقْتَصِرًا عَلَيْهِ، فَرُبَّمَا كَانَ ذَلِكَ أَجْدَرَ بِتَخْصِيلِهِ.  
وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ لِلصَّوَابِ<sup>(١)</sup>.

## 1. \* فَضْلٌ

وَاعْلَمْ أَيُّهَا الْمُتَعَلِّمُ، أَنِّي أَنَحِفُكَ بِفَائِدَةٍ فِي تَعْلَمِكَ، إِنْ تَلَقَّيْتَهَا بِالْقَبُولِ وَأَمْسَكْتَهَا  
5 بِيدِ الصَّنَاعَةِ ظَفَرْتَ بِكَزِيرٍ عَظِيمٍ وَذَخِيرَةٍ شَرِيفَةٍ. وَأَقْدَمُ لَكَ مَقْدَمَةٌ تَعِينُكَ عَلَى فَهْمِهَا.  
وَذَلِكَ أَنَّ الْفِكْرَ الْإِنْسَانِيَّ طَبِيعَةٌ مَخْصُوصَةٌ فَطَرَهَا اللَّهُ كَمَا فَطَرَ سَائِرَ  
مَبْدَعَاتِهِ. وَهُوَ فِعْلٌ وَحَرَكَةٌ فِي النَّفْسِ بِقُوَّةٍ فِي الْبَطْنِ الْأَوْسَطِ مِنَ الدِّمَاغِ. وَتَارَةٌ  
يَكُونُ مَبْدَأٌ لِلْأَفْعَالِ الْإِنْسَانِيَّةِ عَلَى نِظَامٍ وَتَرْتِيبٍ، وَتَارَةٌ يَكُونُ مَبْدَأٌ لِعِلْمٍ مَا لَا يَكُونُ  
حَاصِلًا، بَأَن يَتَوَجَّهَ إِلَى الْمَطْلُوبِ، وَقَدْ تَصَوَّرَ طَرَفَيْهِ، وَيَرُومُ نَفْيَهُ أَوْ إِثْبَاتَهُ، فَيُلَوِّحُ  
10 لَهُ الْوَسْطُ الَّذِي يَجْمَعُ بَيْنَهُمَا أَسْرَعَ مِنْ لَفْحِ الْبَصَرِ إِنْ كَانَ وَاحِدًا، وَيَنْتَقِلُ إِلَى  
تَحْصِيلِ وَسْطٍ آخَرَ إِنْ كَانَ مُتَعَدِّدًا، وَيَصِيرُ إِلَى الظَّفَرِ بِمَطْلُوبِهِ. هَذَا شَأْنُ هَذِهِ  
الطَّبِيعَةِ الْفِكْرِيَّةِ الَّتِي تَمَيَّزُ بِهَا الْبَشَرُ مِنْ سَائِرِ الْحَيَوَانِ.

ثُمَّ الصَّنَاعَةُ الْمُنْطِقِيَّةُ هِيَ كَيْفِيَّةُ فِعْلٍ هَذِهِ الطَّبِيعَةِ الْفِكْرِيَّةِ النَّظَرِيَّةِ، تَصِفُهُ لِيُعْلَمَ  
سَدَادُهُ مِنْ خَطِئِهِ. لِأَنَّهَا وَإِنْ كَانَ الصَّوَابُ لَهَا ذَاتِيًّا، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ يَعْزِضُ لَهَا الْخَطَأُ فِي  
15 الْأَقْل، وَغَالِبُهُ<sup>(ب)</sup> مِنْ تَصَوُّرِ الطَّرْفَيْنِ عَلَى غَيْرِ صَوْرَتَيْهِمَا، وَمِنْ اشْتِبَاهِ الْهَيْئَاتِ فِي  
[نَظْمٍ]<sup>(ج)</sup> الْقَضَايَا وَتَرْتِيبِهَا لِلنَّاتِجِ، فَيَعِينُ الْمُنْطِقُ عَلَى التَّخَلُّصِ مِنْ وَرْطَةِ هَذَا الْفَسَادِ

(١) فِي الْأَصْلِ عِشْرَةُ أَشْرَافٍ مُخْرَجٍ إِلَى الْيَمِينِ، قَدْ يَكُونُ كَبْهٌ فِي بَطَاقَةٍ تَمَّ سَقَطَتْ. وَعِنَهَا نَقَلْتُ ظ ج هَذَا الْفَصْلَ قَبْلَ ضِيَاعِهِ، وَهُوَ  
التَّالِي بَيْنَ النُّجُومِ (ص 450-453)، وَلَمْ يَرُدَّ فِي ي (ب) مِنْ ظ، وَسَقَطَ مِنْ ج (ج) مِنْ ج، وَسَقَطَ مِنْ ظ.

إن عَرَضَ. فالمنطقُ إذا أمرُ صناعيٌّ مساوٍ للطبيعة الفكرية، ومُنطِقٌ على صورة فعلها.

ولكونه أمراً صناعياً استُغني عنه في الأكثر؛ ولذلك نجد كثيراً من فحول النُّظار في الخليفة يَحْضِلُون على المطالب في العلوم دون علم صناعة المنطق، ولا سيما مع صدق النية والتعرض لرحمة الله، فإن ذلك أعظم / معين. ويسلكون بالطبيعة 384] 5 الفكرية على سداها، فتقضي بهم بالطبع إلى حصول الوسط والعلم بالمطلوب، كما فطرها الله عليه.

ثم من دون هذا الأمر الصناعي الذي هو المنطق، مقدمة أخرى من التعلم، وهي معرفة الألفاظ ودلالاتها<sup>(أ)</sup> على المعاني الذهنية، تؤدّيها من مُشافهة الرسوم بالكتاب، أو مُشافهة باللسان النطق<sup>(ب)</sup> بالخطاب. فلا بُدَّ أيها المتعلم من تجاوزك هذه الحُجب كلها إلى الفكر في مَطْلُوبك. فأولاً دلالة الكتابة المرسومة على الألفاظ المقولة، وهي أخفها، ثم دلالة الألفاظ المقولة على المعاني المطلوبة، ثم القوانين في ترتيب المعاني للاستدلال في قوايلها المعروفة في صناعة المنطق، ثم تلك المعاني مُجَرَّدة في الفكر اشتراكاً يُفْتَنَصُّ بها المطلوب بالطبيعة الفكرية بالتعرض لرحمة الله ومواهبه. وليس كل أحد يتجاوز هذه المراتب بسرعة، ولا يقطع هذه الحُجب في 15 التعلم بسهولة؛ بل ربّما وَقَفَ الذهنُ في حُجب الألفاظ بالمناقشات، أو عَثَرَ في اشتراك<sup>(ج)</sup> الأدلة بشغب الجدال والشبهات فقعد عن تحصيل المطلوب. ولم يكذ

(أ) ج: دلالتها (ب) كذا جاءت في ظ غير مشكولة بمعنى الناطق (ج) ج: إشراك .

يخلص من تلك الغمرة إلا قليل ممن هداه الله. فإذا ابتليت بمثل ذلك، وعرض لك ارتباك في فهمك أو تشغيب بالشبهات في ذهنك، فاطرح ذلك، وانبد حجب الألفاظ وعوائق الشبهات، واترك الأمر الصناعي جملة، واخلص إلى فضاء الفكر الطبيعي الذي فطرت عليه، وسرّح نظرك فيه، وفرغ ذهنك للغوص على مرامك منه، واضعاً قدمك حيث وضعها أكبر النظار قبلك، متعرضاً للفتح من الله كما فتح [عليهم] <sup>(1)</sup> من رحمته وعلمهم ما لم يكونوا يعلمون. فإذا فعلت ذلك، أشرق عليك أنوار الفتح من الله بالظفر بمطلوبك، وحصل الإلهام الوسط الذي جعله الله من مقتضيات هذا الفكر وفطره عليه، كما قلناه. / وحينئذ، فارجع به إلى قوالب الأدلة وصورها، فأفرغه فيها ووفقه حقه من القانون الصناعي، ثم اكسبه صور الألفاظ، وأبرزه إلى عالم الخطاب والمشافهة وثيق العرى صحيح البنيان.

[384ب]

وأما إن وقفت عند المناقشة في الألفاظ والشبه في الأدلة الصناعية، وتمحيص صوابها من خطئها - وهذه أمور صناعية وضعيّة تستوي جهاتها المتعددة، وتشابه لأجل الوضع والاضطلاح - فلا تميز جهة الحق منها، إذ جهة الحق إنما تميز إذا كانت بالطبع. فيستمر ما حصل من الشك والازتياب، وتسدل الحجب على المطلوب، ونقعد بالتأخر عن تحصيله. وهذا شأن الأكثرين من النظار المتأخرين، سيما من سبق له عجمة في لسانه فربطت على ذهنه، أو من حصل له شغف بالقانون المنطقي <sup>(ب)</sup> وتعصب له، فاعتقد أنه الذريعة بالطبع إلى درك الحق، فيقع في

(1) من ج. وفي ظ: عليه (ب) كذا في ظ ج.

الحيرة بين شبه الأدلة وشكوكها ولا يكاد يخلص منها. والذريعة إلى ذلك الحق بالطبع، إنما هو الفكر الطبيعي، كما قلناه، إذا جرد عن جميع الأوهام، وتعرض التأخر فيه لرحمة الله. وأما المنطق، فإنما هو واصف لفعل هذا الفكر، فيساوئه لذلك في الأكثر .

- 5 فاعتبر ذلك ، واستمطر رحمة الله متى أعوزك فهم المسائل ، تشرق عليك أنواره بالإلهام إلى الصواب، والله الهادي برحمته، وما العلم إلا من عند الله .\*

\* انتهى المستدرك الناقط من ع ي .

## 38 ﴿١﴾ فصلٌ، في أن العلوم الآلية لا توسع فيها الأنظار ولا تفرع فيها﴾ (ب)

### المسائل

اعلم أن العلوم المتعارفة بين أهل العمران على صنفين: علوم مقصودة بالذات، كالشرعيات من التفسير والحديث والفقه وعلم الكلام، والطبيعيات والإلهيات من الفلسفة. وعلوم هي آلة ووسيلة لهذه العلوم، كالعربية والحساب وغيرها للشرعيات، 5 وكلها لمنطق للفلسفة، وربما كان آلة / لعلم الكلام ولأصول الفقه على طريقة المتأخرين. [385]

فأما العلوم التي هي مقاصد، فلا حرج في توسعة الكلام فيها وتفرع المسائل، واستكشاف الأدلة والأنظار. فإن ذلك يزيد طالبها تمكناً في ملكته وإيضاحاً لمعانيها المقصودة (ج).

(١) سقط هذا الفصل من ع، ولا شك أنه كان متصلاً بنص البطاقة المخرجة التي كان بها الفصل السابق الذي أتحف به المتعلم. وقد نقله ط ج ي قبل اختفائه (ب) من ج (ج) اختلفت نسخة "ي" عن النسخين ط ج في صياغة هذه الفقرة من الفصل، وقد رأيت أن أفردتها في قسم الفروق حتى لا أقوم بتكوين نص تأليني من كل النسخ على غير ما أراده المؤلف. وكثيراً ما يعتمد ابن خلدون إلى هذه المراجعات التي لا يختلف محتواها عن بعضه في شيء. وفي بقية الفصل فروق خفيفة بينها عليها مقطعة، تجب إعادة كامل فصل ي في الحاشية:

## • فصلٌ، في أن العلوم الآلية لا توسع فيها المسائل والأنظار

اعلم أن العلوم المتعارفة بين أهل العمران على صنفين؛ منها ما هو مقصود لذاته كعلوم الشرعيات من التفسير والحديث والفقه وعلم الكلام، ومن العلوم الحكمة الطبيعية والإلهيات والتعاليم، ومنها ما هو آلة ووسيلة لهذه العلوم، كالعربية والحساب وأصول الفقه وغيرها للشرعيات، والمنطق للحكمة. وربما كان آلة لعلم الكلام على طريقة المتأخرين ولأصول الفقه. وأما العلوم التي هي مقاصد فلا حرج في توسعة الكلام فيها، وتفرع المسائل وتدقيق النظر واستكشاف الأصناف، فإنه يزيدها تمكناً في الملكة وإيضاحاً [وإنضاجاً] في المعاني المقصودة منها.



وأما العلوم التي هي آلة لغيرها، مثل العربية والمنطق وأمثالها، فلا ينبغي أن يُنظر فيها إلا من حيث هي آلة لذلك الغير فقط، ولا يوسع فيها الكلام، ولا تُفرع المسائل، لأن ذلك يخرج بها عن المقصود، إذ المقصود منها ما هي آلة له، لا غير. فكلما خرجت عن ذلك، خرجت عن المقصود، وصار الاشتغال بها لغواً<sup>(أ)</sup>، مع ما فيه من صعوبة الحصول على ملكتها بطولها وكثرة فروعها. وربما يكون ذلك عائقاً عن 5 تحصيل العلوم المقصودة<sup>(ب)</sup> بالذات \* لطول وسائلها<sup>(ج)</sup>، مع أن شأنها أهم، والعمر يقتصر عن تحصيل الجميع على هذه الصورة<sup>(د)</sup>، فيكون الاشتغال بهذه العلوم الآلية [على هذا النحو]<sup>(هـ)</sup> تضيقاً للعمر وشغلاً بما لا ينبغي.

وهذا كما فعله المتأخرون في صناعة النحو وصناعة المنطق، لا بل وأصول الفقه، لأنهم أوسعوا دائرة الكلام فيها \* نقلاً واستidlالاً<sup>(و)</sup>، وأكثروا من التفاريع 10 والمسائل<sup>(ز)</sup> بما أخرجها عن كونها آلة وصيرها مقصودة بذاتها<sup>(ح)</sup>. وربما يقع فيها لذلك أنظارٌ ومسائل لا حاجة بها في العلوم المقصودة بالذات<sup>(ط)</sup>، فتكون لأجل ذلك لغواً<sup>(ي)</sup> وتُضِرُّ [بالمُتعلِّم]<sup>(ك)</sup> على الإطلاق، لاهتمامهم بالعلوم المقصودة أكثر من هذه الآلات والوسائل. فإذا قطعوا العمر في هذه<sup>(ل)</sup> الوسائل، فمتى يظفرون بالمتأصل؟

15

(أ) في ي: غشاً ولغواً (ب) ي: التي هي مقصودة (ج) سقط من ي (د) ي: على ما يجب (هـ) من ي (و) سقط من ي (ز) ي: والاستدلالات (ح) ي: وصيروها من المقاصد (ط) سقط من ي (ي) ي: وهي من نوع اللغو (ك) ظ: بالمتعلمين (ل) في ي: تحصيل.

فلهذا يجبُ على المعلمين لهذه العلوم الآلية أن لا يَسْتَبَحِرُوا\* فيها ولا يَسْتَكْثِرُوا من مسائلها، ويأخذُوا بالمتعلّم في الغرض منها\*<sup>(أ)</sup> ويَقِفُوا به عنده. ومن نَزَعَتْ [به]<sup>(ب)</sup> هِمَّتُه بعد ذلك إلى شيءٍ من التَّوَعُّلِ، ورأى من نفسه قياماً بذلك وكفايةً [به]<sup>(ج)</sup>، فليَخْتَرْ لنفسه. وكلّ مُيسِّر لما خُلِقَ له<sup>(د)</sup>.

## 5 39 • / فصلٌ، في تعليم الولدان، واختلاف مذاهب الأمصار الإسلامية في طرقه

اعلم أن تعليم الولدان للقرآن شعارٌ من شعائر الدين، أخذ به أهل الملة ودرجوا عليه في جميع أمصارهم، لما يسبق فيه إلى القلوب من رُسوخ الإيمان وعقائده من آيات القرآن وبعض مُتون الأحاديث. وصار القرآن أصل التعليم الذي يَنْبَنِي عليه ما يَحْصُلُ بعده من الملكات. وسبب ذلك أن تعليم الصَّغَرِ أَشَدَّ رُسوخاً، وهو أصل لما بعده. لأنَّ السَّابِقَ الأوَّلَ إلى القلوب كالأساس للملكات، وعلى حَسَبِ الأساس وأساليبه يكونُ حالُ ما يَنْبَنِي عليه.

واختلفت طرقهم في تعليم القرآن للولدان باختلافهم في اعتبار ما يَنْشَأُ عن ذلك التعليم من الملكات.

(أ) في ي : شأنها وبنَّهوا المتعلّم على الغرض منها (ب) من ي (ج) ظ: له (د) في ي حول هذا المعنى: فليرق له ما شاء من المرامي صعباً أو سهلاً، وكلّ مُيسِّر لما خُلِقَ له.

فأما أهل المغرب، فمذهبهم في الولدان الاقتصار على تعليم القرآن فقط، وأخذهم أثناء المدايسة بالرسم ومسائله واختلاف حملة القرآن فيه، لا يخلطون ذلك بسواه في شيء من مجالس تعليمهم، لا من حديث ولا من فقه ولا من شعر ولا من كلام العرب، إلى أن يحدّق في ذلك أو ينقطع دونه، فيكون انقطاعه في الغالب انقطاعاً عن العلم بالجملة. وهذا مذهب أهل الأمصار بالمغرب ومن تبعهم من قراء 5 البربر أمم المغرب في ولدانهم، إلى أن يجاوزوا حدّ البلوغ إلى الشبيبة. وكذا في الكبير إذا راجع مدارس القرآن بعد طائفة من عمره. فهم لذلك أقوم على رسم القرآن وحفظه من سواهم.

وأما أهل الأندلس، فمذهبهم تعليم القراءة والكتاب من حيث هو. وهذا هو الذي يُراعونه في التعليم؛ إلا أنه لما كان القرآن أصل ذلك وأسه، ومنبع الدين والعلوم، 10 جعلوه أضلاً في التعليم. فلا يقتصرون لذلك عليه فقط، بل يخلطون في تعليمهم للولدان رواية الشعر في الغالب، والترسيل، وأخذهم بقوانين العريّة وحفظها، وتجويد [1386] / الخط والكتاب.

ولا تختص عنايتهم في التعليم بالقرآن دون هذه، بل عنايتهم فيه بالخط أكثر من جميعها، إلى أن يخرج الولد من عمر البلوغ إلى الشبيبة وقد شدا بعض الشيء 15 في العريّة والشعر والبصر بهما، وبرز في الخط والكتاب، وتعلّق بأذيال العلم على الجملة لو كان فيها سند لتعليم العلوم. لكنهم ينقطعون عند ذلك لا تقطاع سند التعليم في آفاقهم، ولا يحصل بأيديهم إلا ما حصل من ذلك التعليم الأول. وفيه كفاية لمن أرشده الله تعالى، واستعداد إذا وجد المعلم.

وأما أهل إفريقية، فيخلطون<sup>(1)</sup> في تعليمهم للولدان القرآن بالحديث في الغالب، ومُدارسة قوانين العلوم وتلقين بعض مسائلها. إلا أن عنايتهم بالقرآن، واستظهار الولدان إياه، ووقوفهم على اختلاف رواياته وقراءاته أكثر مما سواه، وعنايتهم بالخط تبع لذلك. وبالجملة، فطريقتهم في تعليم الولدان أقرب إلى طريقة 5 أهل الأندلس، لأنَّ سندَ طريقتهم في ذلك مُتَّصِلٌ بمشيخة الأندلس الذين أجازوا عند تغلب النصارى على شرق الأندلس واستقروا بتونس، وعندهم أخذ ولدانهم من بعد ذلك.

وأما أهل المشرق، فيخلطون في التعليم كذلك على ما يئلفنا، ولا أذري بم عنائتهم منها. والذي يُنقل لنا، أنَّ عنايتهم بدراسة القرآن وصُحف العلم وقوانينه في 10 زمن السَّيبية، ولا يخلطونه بتعليم الخط، بل لتعليم الخط عندهم قانون ومُعَلِّمون له على انفرادهم كما تُتعلَّم سائر الصناعات، ولا يتداولونها في مكاتب الصبيان، وإذا كتبوا لهم الألواح فبخط قاصرٍ عن الإجادة. ومن أراد تعلم الخط فعلى قدر ما يستخ له بعد ذلك من الهمة في طلبه ويبتغيه من أهل صنَّعته.

[فأما]<sup>(1)</sup> أهل إفريقية والمغرب، فأفادهم الاقتصار على القرآن القصور عن 15 ملكة اللسان جُملةً. وذلك أنَّ القرآن لا ينشأ عنه في الغالب ملكة، لما أنَّ البشر مَضْرُوفُونَ عن الإثيان / بمثله. فهم مَضْرُوفُونَ كذلك عن الاستعمال على أساليبه،

[386ب]

(1) ظ: وأما .

(1) انظر محمد بن سحنون : آداب المعلمين : 102 .

والاختِذاءِ بها، وليس لهم ملكةٌ في غير أساليبه، فلا يحصلُ لصاحبه ملكةٌ في اللسان العربي، وحظُّه الجمودُ في العبارات، وقلةُ التصرفِ في الكلام.

وربما كان أهلُ إفريقيّة في ذلك أخفَّ من أهل المغرب، لما يخالطون في تعليمهم القرآنَ بعبارات العلوم في قوانينها، كما قلناه. فيقتديرون على شيء من التصرف ومحاذاة المثل بالمثل . إلا أن ملكتهم في ذلك قاصرة عن البلاغة ، لما أن أكثر 5 مخفوظهم عبارات العلوم النازلة عن البلاغة، كما سيأتي في فضله.

وأما أهلُ الأندلس، فأفادهم التّفنُّ في التعليم وكثرة رواية الشّعْر والترسيل ومُدارسة العربيّة من أوّل العُمُر، حصولَ ملكة صاروا بها أعرق في اللسان العربي، وقصّروا في سائر العلوم لبغدهم عن مُدارسة القرآن والحديث ، الذي هو أصل العلوم وأساسها . فكانوا لذلك أهلَ خطٍّ وأدبٍ بارعٍ أو مُقصرٍ ، على حسب ما 10 يكونُ التعليمُ الثاني من بعد تعليم الصّبا.

ولقد ذهبَ القاضي أبو بكر ابنُ العربي في كتاب رِخلته<sup>(1)</sup>، إلى غربيّة في وجه التعليم، وأعادَ في ذلك وأبْدَى، وقَدّم تعليمَ العربيّة والشّعْر على سائر العلوم، كما هو مذهبُ أهل الأندلس . قال : لأنَّ الشّعْر ديوانُ العرب . ويدعو إلى تقدّمه وتقدّم العربيّة في التعليم، ضرورةُ فساد اللّغة؛ ثمّ تنتقلُ منه إلى الحساب، فتمرُّ فيه 15 حتّى ترى القوانين . ثمّ تنتقلُ إلى دَرْس القرآن ، فإنّه يتيسّر عليه بهذه المتقدمة . ثمّ قال : ويا غفلة أهل بلادنا في أن يؤخّذَ الطّفلُ بكتاب الله في أوّل أمره ، يقرأ

(1) قانون التأويل 346 .

ما لا يفهم ، وينصب في أمر غيره أهم عليه منه . قال : ثم ينظر في أصول الدين ، ثم أصول الفقه ، ثم الجدل ، ثم الحديث وعلومه . ونهى مع ذلك أن يخلط في التعليم علماً ، إلا أن يكون المتعلم / قابلاً لذلك بجودة الذهن والنشاط .

[387 أ]

هذا ما أشار إليه القاضي أبو بكر رحمه الله . وهو لعمرى مذهب حسن ،  
5 إلا أن العوائد لا تساعد عليه ، وهي أملك بالأحوال . ووجه ما اختصت به العوائد من تقديم دراسة القرآن إيثار التبرك والثواب ، وخشية ما يعترض الولد في جنون الضبا من الآفات والقواطع عن العلم فيفوته القرآن ؛ لأنه - ما دام في الحجر - منقاداً للحكم ، فإذا تجاوز البلوغ وانحل من رتبة القهر ، فربما عصفت به رياح الشبهة فألقته بساحل البطالة . فيغتنمون في زمان الحجر ورتبة الحكم تحصيل القرآن له ،  
10 لئلا يذهب خلواً منه . ولو حصل اليقين باستمراره في طلب العلم وقبول التعليم ، لكان هذا المذهب الذي ذكره القاضي أولى ما أخذ به أهل المغرب والمشرق . لكن الله يحكم ما يشاء ، ﴿ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ ﴾ [سورة الرعد ، من الآية 41] .

#### 40 • فصل ، في أن الشدة على المتعلمين مضرّة بهم

وذلك أن إرهاف الحد في التأديب مضرّ بالمتعلم ، سيما في أصغر الولد ،  
15 لأنه من سوء الملكة . ومن كان مزياه بالعسف والقهر من المتعلمين أو المماليك أو الخدم ، سطا به القهر ، وضيق على النفس في انبساطها ، وذهب بنشاطها ، ودعا إلى الكسل ، وحمل على الكذب والخبث ؛ وهو التظاهر بغير ما في ضميره خوفاً

من انبساط الأيدي بالقهر عليه ، وعلمه المكر والخديعة لذلك، وصارت له هذه عادة وخلقاً، وفَسَدَتْ معاني الإنسانيّة التي له من حيث الاجتماع والتّمدُّن، وهي الحميّة والمدافعة عن نفسه أو منزله، وصار عيالاً على غيره في ذلك، بل وكسَلَتْ النَّفْسُ عن اكتساب الفضائل والخُلُق الجَميل، فانقبضت عن غايتها ومدى إنسانيتها، فازتكس وعاد في أسفل سافلين.

5

وهكذا وقع لكل أمة حصلة في قبضة القهر ونال منها العسف. واعتبره في كل / من يملك أمره عليه ، ولا تكون الملكة الكافلة له رفيقة به ، تجذ ذلك فيهم [387ب] استقراء. وانظره في اليهود وما حصل فيهم بذلك من خلق السوء، حتى إنهم يوصفون في كل أفي وعصر بالخرج، ومعناه في الاصطلاح المشهور: التخابث والكيد. وسببه ما قلناه.

10

فلذلك ينبغي للمعلم في متعلمه والوالد في ولده أن لا يشتدوا عليهم في التأديب. وقد قال أبو محمد ابن أبي زيد في كتابه الذي ألفه في حكم المعلمين والمتعلمين<sup>(1)</sup>، فقال: لا ينبغي للمؤدّب للصبيان أن يزيد في ضربهم - إذا احتاجوا إليه - على ثلاثة أسواط شيئاً. ومن كلام عمر رضي الله عنه: من لم يؤدّبهُ الشرع لا أدّبهُ الله ، حرصاً على صون النفوس عن مذلة التأديب ، وعِلماً بأنّ المقدار الذي عيّنهُ الشرع لذلك أملك له، فإنّه أعلم بمصلحته.

15

(1) تقدّم في 1: 226 ، ولعله لمحمد بن سحنون، انظر آداب المعلمين 89، 92، وفيه: "أدب الصبي ثلاث درر، فما زاد عليه قوصص به يوم القيامة". واعتبر ح.ج عبد الوهاب نسبة الكتاب لابن أبي زيد مخض اشتباه. (آداب المعلمين، التصدير 1: 30).

ومن أحسن مَذهِبِ التَّعليمِ، ما تَقَدَّمَ به الرِّشيدُ لمعلِّمٍ وَلَدِه؛ قال خَلَفَ  
الأخْمَرُ: بعثَ إلى الرِّشيدِ لتأديب وَلَدِه مُحَمَّدِ الأَمِينِ، فقال<sup>(1)</sup>: يا أَخْمَرُ، إِنَّ أَمِيرَ  
المُؤْمِنِينَ قد دَفَعَ إِلَيْكَ مَهْجَةً نَفْسِه، وَثَمَرَةً قَلْبِه، فَصَيِّرْ يَدَكَ عَلَيْهِ مَبْسُوطَةً، وَطَاعَتَه  
لَكَ وَاجِبَةً. فَكُنْ لَهُ بِحَيْثُ وَضَعَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ: أَقْرَبُهُ الْقُرْآنَ، وَعَرَفُهُ الْأَخْبَارَ،  
وَرَوَاهُ الْأَشْعَارَ، وَعَلَّمَهُ السُّنَنَ، وَبَصَّرَهُ بِمَوَاقِعِ الْكَلَامِ وَبَذَائِهِ، وَامْنَعُهُ مِنَ الضَّحْكِ إِلَّا  
5 فِي أَوْقَاتِهِ، وَخُذْهُ بِتَعْظِيمِ مَشَايِخِ بَنِي هَاشِمٍ إِذَا دَخَلُوا عَلَيْهِ، وَرَفَعْ مَجَالِسِ الْقَوَادِ إِذَا  
حَضَرُوا مَجْلِسَهُ. وَلَا تَمَرَّنْ بِكَ سَاعَةً إِلَّا وَأَنْتَ مَغْتَنِمٌ فَائِدَةً تُفِيدُهُ إِيَّاهَا، مِنْ غَيْرِ أَنْ  
تُخْزِنَهُ فَتُمِيتَ ذِهْنَهُ. وَلَا تُثَمِّنْ فِي مُسَامَحَتِهِ، فَيَسْتَخْلِي الْفِرَاقَ وَيَأْلَفَهُ. وَقَوْمُهُ مَا  
اسْتَطَعْتَ بِالْقُرْبِ وَالْمَلَايَنَةِ، فَإِنْ أَبَاهُمَا فَعَلَيْكَ بِالشَّدَّةِ وَالْغُلْظَةِ.

10 41 • فَضْلٌ، فِي أَنَّ الرِّحْلَةَ فِي طَلَبِ الْعُلُومِ وَلِقَاءِ الْمَشِيخَةِ مِنْ يَدِ كَمَالٍ  
فِي التَّعْلِيمِ

/ والسَّبَبُ فِي ذَلِكَ، أَنَّ الْبَشَرَ يَأْخُذُونَ مَعَارِفَهُمْ وَأَخْلَاقَهُمْ وَمَا يَنْتَحِلُونَهُ مِنْ  
[388] الْمَذَاهِبِ وَالْفَضَائِلِ، تَارَةً عِلْمًا وَتَعْلِيمًا وَإِقَاءً، وَتَارَةً مُحَاكَاةً وَتَلْقِينًا بِالْمُبَاشَرَةِ. إِلَّا أَنَّ  
حُصُولَ الْمَلَكَاتِ عَنِ الْمُبَاشَرَةِ وَالتَّلْقِينِ أَشَدُّ اسْتِحْكَامًا وَأَقْوَى رُسُوخًا، فَعَلَى قَدْرِ  
15 كَثَرَةِ الشُّيُوخِ يَكُونُ حُصُولُ الْمَلَكَاتِ وَرُسُوخُهَا.

(1) البيهقي : المحاسن والمساوي 2: 402 .



والاصطلاحات أيضاً في تعليم العلوم مُخَلَّطة على المتعلِّم، حتَّى لقد يَظُنُّ كثيرٌ منهم أنَّها جزءٌ من العِلْم، ولا يَدْفَع عنه ذلك إلَّا مباشرته لاختلاف الطُّرق فيها من المُعلِّمين. فلقاء أهل العلوم وتعدُّد المشايخ يُفِيدُه تميُّز الاصطلاحات بما يراه من اختلاف طُرُقهم فيها، فيجَرِّد العِلْم عنها، وبعِلْم أنَّها أنحاءٌ تُعلِّم وطرقٌ تُوصِّل. وتهضُّ قُوَّاهُ إلى الرُّسوخ والاستِخكام في الملكات، ويصحِّحُ معارفه ويميِّزها عن سواها، مع 5  
تقوية ملكاته بالمباشرة والتلقين وكثرته<sup>(1)</sup> من المشيخة عند تعدُّدهم وتنوُّعهم. وهذا لمن يسر الله عليه طرق العلم والهداية.

فالرحلة لا بدَّ منها في طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بِلِقَاء المشايخ ومباشرة الرجال . والله ﴿يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [سورة البقرة، من

10

[الآية 142].

42 \* فَضْلٌ، فِي أَنَّ الْعُلَمَاءَ مِنْ بَيْنِ الْبَشَرِ أَبْعَدُ عَنِ السِّيَاسَةِ وَمَذَاهِبِهَا

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ، أَنَّهُمْ مُعْتَادُونَ لِلنَّظَرِ<sup>(ب)</sup> الْفِكْرِيِّ، وَالْعَوَاصِفُ عَلَى الْمَعَانِي وَاتِّزَاعِهَا مِنَ الْمَخْسُوسَاتِ، وَتَجَرِيدِهَا فِي الذَّهْنِ أُمُورًا كَلِّيَّةً عَامَّةً لِيَحْكَمَ عَلَيْهَا بِأَمْرِ عَلَى الْعُمُومِ، لَا بِخُصُوصِ مَادَّةٍ وَلَا شَخْصٍ وَلَا جِيلٍ وَلَا أُمَّةٍ وَلَا صِنْفٍ مِنَ النَّاسِ، وَيُطَبِّقُونَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ الْكَلِّيَّ عَلَى الْخَارِجِيَّاتِ. وَأَيْضًا يَقْيِسُونَ الْأُمُورَ عَلَى أَشْبَاهِهَا 15  
وَأَمْثَالِهَا بِمَا اغْتَادُوهُ مِنَ الْقِيَاسِ الْفِقْهِيِّ، فَلَا تَزَالُ أَحْكَامُهُمْ وَأَنْظَارُهُمْ كُلُّهَا فِي الذَّهْنِ،

(1) ج: كثرتها (ب) ج: النظر .

ولا تصيرُ إلى المطابقة / إلا بعد الفراغ من البحث والنظر، أو لا تصيرُ بالجملة إلى [388ب] مطابقة، وإنما يتفرع<sup>(أ)</sup> ما في الخارج عما في الذهن من ذلك، كالأحكام الشرعية، فإنها فروعٌ عما في المحفوظ من أدلة الكتاب والسنة، فيطلبُ مطابقة ما في الخارج لها، عكسَ الأنظار في العلوم العقلية التي يُطلبُ في صحتها مطابقتها لما في الخارج. 5 فهم مُتَعَوِّدون في سائر أنظارهم الأمور الذهنية والأنظار الفكرية، لا يعرفون سواها.

والسياسة، يحتاجُ صاحبها إلى مُراعاة ما في الخارج، وما يلحقها من الأحوال ويتبعها، فإنها خفية، ولعلَّ أن يكونَ فيها ما يمنعُ من إلحاقها بشبه أو مثالٍ وينافي الكلي الذي يُحاول تطبيقه عليها. ولا يُقاس شيءٌ من أحوال العُمران على الآخر، إذ كما اشتبه في أمرٍ واحدٍ، فلعلَّهما اختلفا في أمور. فيكونُ العلماء لأجل ما تعودوه من 10 تعميم الأحكام، وقياس الأمور بغضها على بعض، إذا نظروا في السياسة أفرغوا ذلك في قالب أنظارهم ونوع استدلالهم، فيقعون في [الغلط]<sup>(ب)</sup> الكثير، أو لا يؤمنُ عليهم.

ويلحقُ بهم أهلُ الذكاء والكَيْس من أهل العُمران، لأنهم يَزْعَوْنَ بثقوب أذهانهم إلى مثل شأن الفقهاء من الغوص على المعاني والقياس والمحاكاة، فيقعون في الغلط.

والعامي السليم الطبع، المتوسط الكَيْس، بقصور فكره عن ذلك، وعدم 15 اغتياده إياه، يقتصر<sup>(ج)</sup> لكل مادة على حكمها في كل صنف من الأحوال أو الأشخاص على ما اختصَّ به، ولا يُعَدِّي الحكم بقياس ولا تعميم، ولا يقارن في أكثر

(أ) ي: يتفرغ (ب) سقط من ظ (ج) في حاشية ع وأمام السطر الذي اشغلت عليه هذه الكلمة، كلمة: فنصير، بخطه. ولا مكان لها في كامل الصفحة، ولا توجد علامة مُخرج تحدد موقعها.

نَظَرَهُ الْمَوَادَّ الْمَحْسُوسَةَ، وَلَا يُجَاوِزُهَا فِي ذِهْنِهِ، كَالسَّابِحِ لَا يَفَارِقُ الْمَوْجَ عِنْدَ الْبَرِّ،  
قال<sup>(1)</sup>: [من المتقارب]

وَلَا تَوَغَّلَنَّ إِذَا مَا سَبَحْتَ فَإِنَّ السَّلَامَةَ فِي السَّاحِلِ

فَيَكُونُ مَأْمُونًا مِنَ النَّظَرِ فِي سِيَاسَتِهِ، مُسْتَقِيمَ النَّظَرِ فِي مُعَامَلَةِ أَبْنَاءِ جَنْسِهِ.  
[389] فَيَحْسُنَ مَعَاشُهُ، وَتَتَدَفَّقُ آفَاتُهُ وَمَضَارُّهُ بِاسْتِقَامَةِ نَظَرِهِ. ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ 5  
عَلِيمٌ﴾ [سورة يوسف، من الآية 76].

وَمِنْ هُنَا تَعْلَمُ<sup>(1)</sup> أَنَّ صِنَاعَةَ الْمُنْطِقِ غَيْرُ مَأْمُونَةٍ الْغَلْطِ لِكَثْرَةِ مَا فِيهَا مِنَ  
الِاتِّزَاعِ، وَبُعْدِهَا عَنِ الْمَحْسُوسِ. فَإِنَّهَا نَظَرٌ فِي الْمَغْفُولَاتِ الثَّوَانِي، وَلَعَلَّ الْمَوَادَّ فِيهَا  
مَا يُبَايِعُ تِلْكَ الْأَحْكَامَ وَيُنَافِيهَا عِنْدَ مُرَاعَاةِ التَّطْبِيقِ الْيَقِينِيِّ. وَأَمَّا النَّظَرُ فِي الْمَغْفُولَاتِ  
الْأُولَى، وَهِيَ الَّتِي تَجَرِّدُهَا قَرِيبٌ، فَلَيْسَتْ كَذَلِكَ، لِأَنَّهَا خَيَالِيَّةٌ، وَصُورُ الْمَحْسُوسِ 10  
حَافِظَةٌ مُؤَدِّنَةٌ بِتَضَدِّيقِ انْطِبَاقِهِ.

#### 43 • فَضْلٌ، فِي أَنَّ حَمَلَةَ الْعِلْمِ فِي الْإِسْلَامِ أَكْثَرُهُمُ الْعَجَمُ

مِنَ الْغَرِيبِ الْوَاقِعِ أَنَّ حَمَلَةَ الْعِلْمِ فِي الْمِلَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ أَكْثَرُهُمُ الْعَجَمُ، لَا مِنْ  
الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ، وَلَا مِنَ الْعُلُومِ الْعَقْلِيَّةِ، إِلَّا فِي الْقَلِيلِ التَّادِرِ. وَإِنْ كَانَ مِنْهُمْ الْعَرَبِيُّ

(1) سقط من ي .

(1) البيت للحري، أوردته في المقامة المغربية . (المقامات 135 - صادر 1978) .

في نَسَبِهِ، فهو أَعْجَمِيٌّ في لُغَتِهِ وَمَرْبَاهُ وَمَشِيخَتِهِ. مع أَنَّ المِلَّةَ عَرَبِيَّةٌ، وصاحب شريعتهَا عَرَبِيٌّ.

والسَّبَبُ في ذلك، أَنَّ المِلَّةَ في أَوَّلِهَا لم يكن فيها عِلْمٌ ولا صِنَاعَةٌ لِمُقْتَضَى أحوال السَّدَاجَةِ والبَدَاوَةِ. وإنَّمَا أَحْكَامُ الشَّرِيعَةِ، الَّتِي هي أوَامِرُ اللَّهِ ونَوَاهِيهِ، كَانَ الرِّجَالُ يَنْقُلُونَهَا في صُدُورِهِمْ، وقد عَرَفُوا مَأْخِذَهَا من الكِتَابِ والسُّنَّةِ بما تَلَقَّوْهُ من صاحب الشَّرْعِ وَأَصْحَابِهِ. والقَوْمُ يَوْمئِذٍ عَرَبٌ لم يَعْرِفُوا أَمْرَ التَّعْلِيمِ والتَّأْلِيفِ والتَّنْذِيرِ، ولا دَفَعُوا إِلَيْهِ، ولا دَعَتْهُمْ إِلَيْهِ حَاجَةٌ.

وَجَرَى الأَمْرُ على ذلك زمن الصَّحَابَةِ والتَّابِعِينَ؛ وَكَانُوا يُسَمُّونَ الْمُخْتَصِمِينَ بِحَمْلِ ذلك وَنَقْلِهِ القُرَّاءَ، أي الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الكِتَابَ وَلْيَسُوا أَمِّيِّينَ، لما أَنَّ الأُمِّيَّةَ يَوْمئِذٍ صِفَةٌ عَامَّةٌ في الصَّحَابَةِ بما كَانُوا عَرَبًا، فَقِيلَ لِحَمَلَةِ الْقُرْآنِ يَوْمئِذٍ: قُرَّاءٌ، إشارة إلى هذا. فهُمْ قُرَّاءٌ لِكِتَابِ اللَّهِ والسُّنَّةِ المَأْثُورَةِ عَنْ [رَسُول] <sup>(1)</sup> اللَّهِ، لأنَّهُمْ لم يَعْرِفُوا الأحْكَامَ الشَّرْعِيَّةَ إِلَّا مِنْهُ، وَمِنَ الْحَدِيثِ الَّذِي هُوَ فِي غَالِبِ مَوَارِدِهِ تَفْسِيرٌ لَهُ وَشَرْحٌ. قَالَ ﷺ <sup>(1)</sup>: "تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوْا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا، كِتَابَ اللَّهِ، وَسُنَّتِي".

فلما بَعُدَ النَّقْلُ/ من لَدُنْ دَوْلَةِ الرَّشِيدِ فما بَعْدَ، اِخْتِيجَ إلى وَضْعِ التَّفَاسِيرِ الْقُرْآنِيَةِ [389ب] وَتَقْيِيدِ الْحَدِيثِ مَخَافَةَ ضَيَاعِهِ. ثُمَّ اِخْتِيجَ إلى مَعْرِفَةِ الْأَسَانِيدِ وَتَعْدِيلِ الرِّوَاةِ لِلتَّمْيِيزِ بَيْنَ

(أ) زيادة يقتضيا السياق .

(1) أخرجه مالك في الموطأ (2618 برواية الليثي)، وقال ابن عبد البر: وهذا محفوظ معروف مشهور عن النبي ﷺ عند أهل العلم شهرة يكاد يستغنى بها عن الإسناد (التمهيد 24: 331) .

الصحيح من الإسناد وما دونه. ثم كثر استخراج أحكام الواقعات من الكتاب والسنة، وفسد مع ذلك اللسان، فاحتجج إلى وضع القوانين التحويلية، وصارت العلوم الشرعية كلها ملكات في الاستنباط والاستخراج والتنظير والقياس. واحتاجت إلى علوم أخرى هي وسائل لها، من معرفة قوانين العربية، وقوانين ذلك الاستنباط والقياس، والذّب عن العقائد الإيمانية بالأدلة لكثرة البدع والإلحاد. فصارت هذه الأمور كلها علوماً ذات 5 ملكات محتاجة إلى التعليم، فاندرجت في جملة الصنائع. وقد كنا قدّمنا أنّ الصنائع من مُنتحل الحضرة، وأنّ العرب أبعد الناس عنها، فصارت العلوم لذلك حضريّة، وبعد العرب عنها وعن سوقها. والحضر لذلك العهد هم العجم أو من في مغانمهم من الموالي وأهل الحواضر، الذين هم يومئذ يتبع للعجم في الحضارة وأحوالها من الصنائع والحرف، لأنهم أقوم على ذلك للحضارة الراسخة فيهم منذ دولة الفرس. فكان صاحب صناعة 10 التحويلية، والفارسي من بعده، والزجاج من بعدهما. وكلهم عجم في أنسابهم. وإنّما ربوا في اللسان العربي فاكْتَسَبُوهُ بِالْمَرْبَى وَمُخَالَطَةِ الْقَرَب، وصيروه قوانيناً وفناً لمن بعدهم. وكذلك حملة الحديث الذين حفظوه على أهل الإسلام، أكثرهم عجم أو مستعجمون باللغة والمربى، لا تساع الفرّ بالعراق وما بعده<sup>(1)</sup>. وكان علماء أصول الفقه كلهم عجماً، كما تعرّف، وكذا حملة [علم]<sup>(ب)</sup> الكلام، وكذا أكثر المفسرين. ولم يثم بحفظ العلم وتدوينه إلاّ 15 الأعاجم. وظهر مصداق قوله ﷺ<sup>(1)</sup>: "لو تعلّق العلم بأعناق السماء لناله قوم من فارس".

(1) ما بين النجمين حاشية من ع، وسقطت من ط ج ي (ب) في ط ج ي: أهل .

(1) في الصحيحين بالفاظ مقاربة: البخاري 6: 188 حديث رقم (4897) وليس فيه ذكر فارس ، ومسلم (2546) .

/ وأما العربُ الذين أذكروا هذه الحضارة وسوقها، وخرجوا إليها عن البداوة، [390] فشغلَّتْهم الرِّياسَةُ في الدولة العبَّاسِيَّة وما دُفِعوا إليه من القيام بالملك عن القيام بالعلم والنَّظر فيه، فإنَّهم كانوا أهلَ الدولة وحاميَّها وأوليَّ سياستها، مع ما يُلحِقهم من الأثقة [من] <sup>(أ)</sup> انتحال العلم حينئذٍ بما صار من جُملة الصَّنائع والرُّؤساء أبدأً يَسْتَنكفون 5 عن الصَّنائع والمهن وما يَجُرُّ إليها . ودَفَعوا ذلك إلى من قام به من العجم والمولدين، وما زالوا يَرَوْنَ لهم حقَّ القيام به، فإنَّه دينُهم وعلومُهم، ولا يَحْتَقِرُونَ حَمَلَهَا كُلَّ الاختِيار.

حتَّى إذا خرج الأمرُ من العرب جملةً وصار للعجم، صارت العلومُ الشرعيَّةُ غريبةً النَّسب عند أهل الملك بما هُم عليه من البُعد عن نَسبها . وامتُهِنَ حَمَلُهَا بما يَرَوْنَ أَنَّهُم بُعِداً عنهم، مشغولون بما لا يُجدي عليهم في الملك والسياسة، كما ذكرناه 10 في فصل المراتب الدِّينيَّة. فهذا الذي قرَّرنَاهُ هو السَّببُ في أن [كان] <sup>(ب)</sup> حَمَلَةُ الشَّريعة أو عامَّتُهم عَجَمًا.

وأما العلومُ العقليَّةُ أيضاً، فلم تَظْهَر في المِلَّة إلا بعد أن تَمَيَّزَ حَمَلَةُ الْعِلْمِ ومُؤَلَّفُوهُ، واستقرَّ العلمُ كُلُّهُ صناعةً، فاخْتُصَّتْ بالعجم، وتركها العربُ وانصرفوا عن انتحالها، فلم يَحْمِلْهَا إِلَّا المعرَّبون من العجم ، شأن الصَّنائع ، كما قلناهُ أَوَّلًا . ولم يزلْ 15 ذلك في الأمصار الإسلاميَّة <sup>(ج)</sup> ما دامت الحضارة في العجم وبلادهم من العراق وخراسان وما وراء النَّهر. فلَمَّا خربت تلك الأمصار وذهبت منها الحضارة التي هي

(أ) في ط ج ي: عن (ب) من ع، وسقط من ط ج ي (ج) زيادة بخطه من حاشية ع، ولم تذكر في ط ج ي .

سرُّ الله في حُصول العلوم والصَّنائع، ذهب العلم من العَجَم جملةً لما شملهم من  
البداوة، واختصَّ العلم بالأمصار الموفورة الحضارة.

ولا أوفر اليوم حضارة من مصر، فهي أمُّ العالم، وإيوان الإسلام، وينبوع  
العلوم والصَّنائع. وبقي / بعض الحضارة في ما وراء النهر، لما هنالك من الحضارة [390ب]  
بالدولة التي فيها، فلهم بذلك حصّة من العلوم والصَّنائع لا تُنكر. وقد دلّنا [على 5  
ذلك] <sup>(1)</sup> كلام بعض علمائهم في تواليّف وصلت إلينا، إلى هذه البلاد، وهو سغد  
الدين التفتازاني. وأمّا غيره من العَجَم، فلم تر لهم - من بعد الإمام ابن الخطيب،  
ونصير الدين الطوسي - كلاماً يُعَوّل على نهيائته في الإجابة.

فاعتبر ذلك وتأمّله تر عجباً في أحوال الخليقة. والله يخلق ما يشاء، ﴿لَا

10

إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [سورة البقرة، من الآية 163].

44 ﴿<sup>(ب)</sup> فَضْلٌ، فِي أَنْ الْعُجْمَةَ إِذَا سَبَقَتْ إِلَى اللِّسَانِ، قَصَرَتْ بِصَاحِبِهَا فِي  
تَحْصِيلِ الْعُلُومِ عَنْ أَهْلِ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ

والسرُّ في ذلك، أنَّ مباحث العلوم كلّها إنّما هي في المعاني الذهنيّة والخياليّة  
من بين العلوم الشرعيّة التي أكثر مباحثها في الألفاظ، وموادّها من الأحكام المتلقاة

(1) من ع ج ي، وسقط من ظ (ب) أصل عنوان هذا الفصل في فهرس نسخة ع وحدها: "في أن الأنعام من علماء الملة  
قاصرون عن ملكات العلوم من علماء العرب" تم شطب واستبدل في الحاشية بخطه بما أثبتناه. وهو ما نقلته ط ج. وسقط الفصل  
كله من ي، والفصل كله مدرج في بطاقة مفحمة بخطه في أصله ع.

من الكتاب والسُّنة، ولُغاتها المؤدّية لها<sup>(١)</sup>، وهي كلّها في الخيال؛ وبين العلوم العقليّة، وهي في الدّهن.

واللّغات إنّما هي تُرجمانّ عَمّا في الضّمائر من تلك المعاني، يؤدّيها بعض إلى بعض بالمشافهة في المناظرة والتّعليم، ومُمارسة البَحْث في العلوم لتَحْصيل مَلَكاتها بطول المِران على ذلك. والألفاظ واللّغات وسائطٌ وحُجُبٌ بين الضّمائر، ورَوايَ 5 وختامٌ على المعاني. ولا بُدّ في اقتناص تلك المعاني من ألفاظها بمعرفة دَلالاتها اللّغويّة عليها، وجوّدَةِ المَلَكَةِ للنّاظر فيها، وإلا فيغتاض عليه اقتناصها، زيادةً على ما يكون في مباحثها الدّهنيّة من الاغْتِياص.

وإذا كانت مَلَكَتُهُ في تلك الدّلالاتِ راسخةً، بحيث تتبادر المعاني إلى ذهنه 10 من تلك الألفاظ عند استِعمالها، شأن البديهيّ والجِليّ، زال ذاك الحجابُ بالجُملة بين المعاني والفهم، أو خَفّ، ولم يَبْقَ إلّا مُعانةُ ما في المعاني من المباحث فقط. هذا كلّهُ إذا كان التّعليم تَلْقِيناً وبالخطاب والعبارة. وأمّا إن احتاج المتعلّم إلى المَدارسَةِ والتّقييد بالكتاب ومُشافهة / الرُّسوم الخطيّة من التّواوين بمسائل العلوم، كان [391] هنالك حجابٌ آخرٌ بيّن الخطّ ورُسومَه في الكتاب، ويَبْنِي الألفاظ المَقُولَةَ في الخيال؛ لأنّ رُسومَ الكِتابَةِ لها دَلالةٌ خاصّةٌ على الألفاظ المَقُولَةِ، وما لم تُعرف تلك الدّلالة 15 تعذّرت معرفة العبارة. وإن عُرِفَتْ بِمَلَكَةٍ قاصِرةٍ كانت معرفتها [منها]<sup>(ب)</sup> أيضاً قاصِرةً. ويزدادُ على النّاظر والمتعلّم بذلك حجابٌ آخرٌ بيّنه وبين مَطْلوبه من تَحْصيل مَلَكاتِ

(١) ج: إليها (ب) من: ج ع .



العلوم أعوز من الحجاب الأول. وإذا كانت ملكته في الدلالة اللفظية والخطية مستحكمة، ارتفعت الحجب بينه وبين المعاني، وصار إنما يعاني فهم مباحثها فقط. هذا شأن المعاني مع الألفاظ والخط بالنسبة إلى كل لغة. والمتعلمون لذلك في الصغر أشد استحكاماً للمكاتب.

- ثم إن الأمة الإسلامية لما اتسع ملكها، واندرجت الأمم في طيها، ودرست علوم الأولين بنبوتها وكتابها، وكانت أمة النزعة والشعار، فأخذها الملك والعزة، وسخرت<sup>(أ)</sup> الأمم لهم بالحضارة والتهديب، وصيروا علومهم الشرعية صناعة بعد أن كانت نقلاً، فحدثت فيهم<sup>(ب)</sup> الملكات، وكثرت الدواوين والتواليف، وتشوفوا إلى علوم الأمم، فنقلوها بالترجمة إلى علومهم، وأفرغوها في قالب أنظارهم، وجردوها من تلك اللغات الأعجمية إلى لسانهم، وأزبوا فيها على مداركهم، وبقيت تلك الدفاتر<sup>10</sup> التي بلغتهم [الأعجمية]<sup>(ج)</sup> نسياً منسياً وظللاً مهجوراً وهباءً منثوراً. وأصبحت العلوم كلها بلغة العرب، ودواوينها المسطرة بخطهم. واحتاج القارئ بالعلوم إلى معرفة الدلالات اللفظية والخطية في لسانهم دون ما سواه من الألسن، لدروسها وذهاب العناية بها.

- وقد تقدم لنا أن اللغة ملكة في اللسان، وكذا الخط: صناعة ملكها في اليد.<sup>15</sup> فإذا / تقدمت في اللسان ملكة العجمة، صار مقصراً في اللغة العربية، لما قدمناه من أن الملكة إذا تقدمت في صناعة بمحل، فقل أن يجيد صاحبها ملكة في صناعة

(أ) في ج ع ط: وسخرية (ب) ع ج: فيها (ج) سقط من ط.

أخرى، وهو ظاهر. وإذا كان مقصراً في اللغة العربية ودلالاتها اللفظية والخطية اعتاص عليه فهم المعاني منها، كما مر. إلا أن تكون<sup>(1)</sup> ملكة العجمة السابقة لم تستحكم حين انتقل منها إلى العربية كأصاغر أبناء العجم الذين يزبون مع العرب قبل أن تستحكم عجمتهم، فتكون<sup>(1)</sup> اللغة العربية كأنها السابقة لهم، ولا يكون عندهم تقصير في فهم المعاني من اللغة العربية. وكذا أيضاً شأن من سبق له تعلم الخط الأعجمي قبل العربي.

ولهذا نجد الكثير من علماء الأعاجم<sup>(ب)</sup> في دروسهم ومجالس تعليمهم يعدلون عن نقل التفاسير من الكتب إلى قراءتها ظاهراً، يخفون بذلك عن أنفسهم مؤونة بغض الحجب، ليقرّب عليهم تناول المعاني. وصاحب الملكة في العبارة والخط مستغن عن ذلك لتمام ملكته، وأنه صار له فهم الأقوال من الخط والمعاني من الأقوال، كالجيلة الراسيحة، وارتفعت الحجب بينه وبين المعاني.

وربما يكون الثؤوب على التعلم، والمران على اللغة وممارسة الخط، يفضيان بصاحبها إلى تمكن الملكة، كما نجده في الكثير من علماء الأعاجم<sup>(ب)</sup>. إلا أنه في التادر. وإذا قورن بنظيره من علماء العرب وأهل طبقتهم منهم، كان باع العربي أطول، وملكته أقوى، لما عند المستعجم من الفتور بالعجمة السابقة التي تؤثر القصور بالضرورة.

ولا يعترض ذلك بما تقدم [بأن]<sup>(ج)</sup> علماء الإسلام أكثرهم العجم، لأن المراد بالعجم هنالك عجم النسب، لتداول الحضارة فيهم التي قررنا أنها سبب لانتحال الصنائع والملكات، ومن جملتها العلوم. وأما عجمة اللغة فليست من ذلك،

(أ) بخطه في ع: يكون، فيكون (ب) من ظ، وفي ع ج: الأعجام (ج) في ج ع: من أن، وفي ظ: مع.

[i 392] وهي المرادة هنا . ولا يُعترض ذلك أيضاً [بما] <sup>(١)</sup> كان لليونانيين في علومهم / من رسوخ القدم ، فإنهم إنما تعلّموها من لغتهم السابقة لهم وخطّهم المتعارف بينهم . والأعجمي المتعلّم للعلم في الملة الإسلامية يأخذ العلم بغير لسانه الذي سبق إليه ، ومن غير خطّه الذي يعرف ملكته ؛ فلهذا يكون له ذلك حجاباً ، كما قلناه . وهذا عامّ في جميع أصناف أهل اللسان الأعجمي ، من الفرس ، والروم ، والترك ، 5 والبربر ، والفرنج ، وسائر من ليس من أهل اللسان العربي . وفي ذلك آيات للمتوسمين <sup>(ب)</sup> .

#### 45 • فصل ، في علوم اللسان العربي

وأركانها أربعة ، وهي : اللغة ، والنحو ، والبيان ، والأدب . ومعرفتها ضرورية على أهل الشريعة ، إذ مأخذ الأحكام الشرعية كلّها من الكتاب والسنة ، وهما <sup>(ج)</sup> بلغة 10 العرب ، ونقلتها من الصحابة والتابعين عرب ، وشرّح مُشكِكها من لغتهم . فلا بُدّ من معرفة العلوم المتعلقة بهذا اللسان لمن أراد علم الشريعة . وتتفاوت في التأكّد بتفاوت مراتبها في التوفية بمقصود الكلام ، حسبما يتبيّن في الكلام عليها فتاً فتاً . والذي يتحصّل ، أن الأهمّ المقدّم منها هو النحو ، إذ به تتبيّن أصول المقاصد بالدلالة ، فيعرف 15 الفاعل من المفعول ، والمبتدأ من الخبر ؛ ولولاه لجهل أصل الإفادة .

(١) من ج ع ، وفي ظ : فما (ب) كذا أوردها تضيئاً ، الآية ﴿ إِنِّي فِي ذَلِكَ لِآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾ [سورة الحجر ، الآية 75]

(ج) ظ ج ي : وهي .

وكان من حَقِّ عِلْمٍ<sup>(أ)</sup> اللّغة التّقديم، لولا أنّ أكثر الأَوْضَاع باقية في مَوَظُوعَاتِهَا لم تَتَغَيَّر، بخلاف الإغراب الدّالّ على الإسناد والمُسْنَدِ والمُسْنَدِ إِلَيْهِ، فإنّه تَغَيَّرَ بِالْجُمْلَةِ، ولم يَبْقَ لَهُ أَثَرٌ. فلذلك<sup>(ب)</sup> كان عِلْمُ النَّحْوِ أَهَمُّ مِنَ اللّغة، إذ في جَهْلِهِ الإِخْلَالُ بِالتّفاهمِ جَمَلَةً. وليس كذلك اللّغة، واللّهُ أَعْلَمُ.

## • النّحو

5

اعلم أنّ اللّغة في المتعارف، هي عبارة المتكلّم عن [مَقْصُودِهِ]<sup>(ج)</sup>. وتلك العبارة فعلٌ لسانيّ [ناشئٌ عن القصد بإفادَةِ الكلام]<sup>(د)</sup>. فلا بُدَّ أن تَصِيرَ مَلَكَةً مُتَقَرَّرَةً فِي الْعَضْوِ الْفَاعِلِ لَهَا، وهو اللّسان. وهو في كلّ أُمَّةٍ بِحَسَبِ اضْطِلَاحِهِمْ.

وكانت المَلَكَةُ الحاصِلَةُ من ذلك للعرب أحسنَ الملكاتِ وأَوْضَحَهَا إِبَانَةً

10

/ عن المقاصد، لدلالة غير الكلمات فيها على كثيرٍ من المعاني، مثل الحركات التي تُعَيِّنُ الْفَاعِلَ مِنَ الْمَفْعُولِ مِنَ الْمَجْرُورِ، أعني المضاف، ومثل الحروف التي تُقْضِي بِالْأَفْعَالِ، أي الحركات، إلى الدّوَابِ من غَيْرِ تَكْلُفٍ أَلْفَاظٍ أُخْرَى. وليس يوجد ذلك إلا في لغة العرب. وأمّا غيرها من اللّغات، فكلّ معنى أو حالٍ لا بُدَّ له من أَلْفَاظٍ تَخُصُّهُ بِالدّلالة. ولذلك نجدُ كلامَ العَجَمِ في مُخَاطَبَاتِهِمْ أَطْوَلَ مِمَّا تُقَدِّرُهُ بِكَلَامِ الْعَرَبِ.

15

(أ) سقط من: ج ي (ب) ي: فكذلك (ج) ج ط ي: قصوده، وفي أصل ع: قصوده، ثم أضاف لها الميم (د) إضافة بخطه في حاشية ع، وسقطت من ط ج ي.

وهذا هو معنى قوله ﷺ<sup>(1)</sup>: "أوتيت جوامع الكلم، واختصر لي الكلام اختصاراً". فصار للحروف في لغتهم، والحركات والأوضاع، أي الهيئات، اعتبار في الدلالة على المقصود، غير متكلفين فيه لصناعة يستفيدون ذلك منها، إنما هي ملكة في ألسنتهم يأخذها الآخر من الأول، كما يأخذ صبياننا لهذا العهد لغاتنا.

- 5 فلما جاء الإسلام، وفارقوا الحجاز لطلب الملك الذي كان في أيدي الأمم والدول، وخالطوا العجم، تغيرت تلك الملكة بما ألقى إليها السمع من المخالفات التي للمتغربين من العجم. والسمع أبو الملكة اللسانية؛ ففسدت بما ألقى إليها مما يغيرها، لجنوحها إليه باغتيال السمع، وخشي أهل الحلوم منهم أن تفسد تلك الملكة<sup>(1)</sup> رأساً، ويطول العهد فينغلق القرآن والحديث على [الفهوم]<sup>(ب)</sup>. فاستنبطوا من مجاري كلامهم قوانين لتلك الملكة مطردة، شبه الكليات والقواعد، يقيسون عليها سائر أنواع الكلام، ويلحقون الأشباه منها بالأشباه، مثل: أن الفاعل مرفوع، والمفعول منصوب، والمبتدأ مرفوع. ثم رأوا تغير الدلالة بتغير هذه الحركات، فاضطلحوا على تسميته إغراباً، وتسمية الموجب لذلك التغير عاملاً، وأمثال ذلك. وصارت كلها اصطلاحات خاصة بهم، فقيدها بالكتاب<sup>(ج)</sup>، وجعلوها صناعة لهم<sup>(د)</sup> مخصوصة، واضطلحوا على تسميتها بعلم النخو.
- 10
- 15

(١) ظي: الملة (ب) من ع، وفي ظ ج ي: المفهوم (ج) ج: بالكليات (د) في ع مشطوبة.

(1) عبارة: "أوتيت جوامع الكلم" جاءت من حديث أبي هريرة عند البخاري (2977) و (7013) ومسلم (523). أما عبارة: "واختصر لي الكلام اختصاراً" فقد أوردها ابن خنجر في فتح الباري 13: 525 وعزاها إلى أبي يعلى، وفي سندها عبد الرحمن بن إسحاق الواسطي، وهو ضعيف.

/ وأوّل من كتب فيها أبو الأسود الدؤليّ، من بني كِنانة ، ويُقال: بإشارة [393]

عليّ ، رضي الله عنه . لأنّه رأى تغيّر الملكة فأشار عليه بحفظها ، ففرع إلى ضبطها بالقوانين الحاصرة المستقرّة. ثمّ كتب فيها الناس من بعده، إلى أن انتهت إلى الخليل ابن أحمد الفراهيديّ، أيّام الرّشيد ، أحوّج ما كان الناس إليها ، لذهاب تلك الملكة من العرب، فهذب الصّناعة وكمل أبوابها. وأخذها عنه سيّونيّه، فكمّل تفاريغها، واستكثر من أدلّتها وشواهدِها ، ووضع فيها كتابه المشهور الذي كان إماماً لكلّ ما كتب فيها من بعده . ثمّ وضع أبو عليّ الفارسيّ [و<sup>(1)</sup>] أبو القاسم الرّجّاجيّ كُتباً مختصرةً للمتعلّمين، يَخْدُونَ فيها حَدّوَ الإمام في كتابه.

ثمّ طال الكلام في هذه الصّناعة، وحَدَث الخلاف بين أهلها في الكوفة والبصرة، المضريّين القديمين للعرب. وكثرت<sup>(ب)</sup> الأدلّة والحجّاج بينهم، وتباينت الطُّرُق في التّعليم، وكثُر الاختلاف في إغراب كثير من آي القرآن باختلافهم في تلك القواعد، وطال ذلك على المتعلّمين. وجاء المتأخّرون بمذاهبهم في الاختصار، فاخْتَصَرُوا كثيراً من ذلك الطّول، مع استيعابهم لجميع ما نُقِلَ، كما فعله ابن مالك في كتاب التّسهيل، وأمثاله، أو اقتصارهم على المبادئ للمتعلّمين، وكما فعله الرّمخسريّ في المفضل، وابن الحاجب في المقدّمة له . وربّما نظّموا ذلك نظماً، مثل ابن مالك في الأزجوزتين: الكُبْرَى والصُّغْرَى، وابن مُعْطِي في الأزجوزة الألفيّة.

(1) سقط من ط ج ي (ب) في ط ج ي: كثر .

وبالجملة، فالتواليْف في هذا الفن أكثر من أن تُحصى أو يُحاط بها، وطُرق  
التَّعليم فيها مختلفَةٌ. فطريقةُ المتقدِّمين مغايرةٌ لطريقة المتأخِّرين، والكوفيُّون والبصريُّون  
والبغدادِيُّون والأندلسيُّون مختلفَةٌ طرقهم كذلك<sup>(١)</sup>.

[393ب] وقد كادت هذه الصَّناعةُ أن تؤذِنَ بالذهاب، / لما رأينا من النقص في سائر

العلوم والصَّنائع بتناقُص العُمران. 5

ووصل إلينا بالمغرب لهذه العُصور، ديوانٌ من مِصرَ، منسوبٌ إلى جمال  
الدين بن هشام، من علماءِها، استوفى فيه أحكام الإعرابِ مجملَةً ومفصَّلَةً، وتكلَّم  
على الحُرُوف والمُفرداتِ والجُمَل، وحَدَف ما في الصَّناعةِ من المتكرِّر في أكثر أنواعِها،  
وسَمَّاه بالملغني في الإعراب. وأشار إلى نُكتِ إعرابِ القرآن كُلِّها، وضَبَطَها بأبوابِ  
وفصولٍ وقواعدٍ انتظمت سائرُها؛ فوقَّنا منه على عِلْمِ جَمِّ يشهدُ بعلوِّ قدرِه في هذه  
10 الصَّناعةِ ووفورِ بضاعتِه منها، وكأنَّه يَنحو في طريقَتِه مَنحَى نُحاةِ أهلِ المُوَصِّل،  
اقتَفَوْا أثرَ ابنِ جَنِّي واتبَعوا مُصْطَلَحَ تَعلِيمِه؛ فأتى من ذلك بشيءٍ عَجِيبٍ دالٌّ على قُوَّةِ  
مَلِكِيَّتِه واضْطِلَاعِه<sup>(ب)</sup>. واللَّهِ ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾ [سورة فاطر، من الآية 1].

## • عِلْمُ اللُّغَةِ

15 وهذا العِلْمُ هو بيانُ الموضوعاتِ اللُّغَوِيَّةِ. وذلك أنَّه لما فَسَدَت ملكةُ اللِّسانِ  
العربيِّ في الحركاتِ المسمَّاةِ عند أهل النُّحو بالإعرابِ، واستُنْبِطَتِ القَوَانِينُ لحِفْظِها

(١) ج ي : لذلك (ب) ي : اطلّعه .

كما قلناه، ثم استمر ذلك الفساد بملابسة العجم ومخالطتهم، حتى تأدى الفساد إلى موضوعات الألفاظ، فاستُعمل كثير من كلام العرب في غير موضوعه عندهم، مَيْلاً مع هُجْنَةِ الْمُتَعَرِّينَ في اصطلاحاتهم المخالفة لصريح العربية، فاخْتِيجَ إلى حِفْظِ الموضوعات اللغوية بالكتاب والتدوين خشية [التروس]<sup>(١)</sup> وما يَنْشَأُ [عنه]<sup>(ب)</sup> من الجهل بالقرآن والحديث.

5 فشمّر كثير من أئمة اللسان لذلك، وأملوا فيه الدواوين. وكان سابق الحلبة في ذلك الخليل بن أحمد الفراهيدي، ألف فيها كتاب العين، فحصر فيه مركبات حروف المعجم كلها، من الثنائي، والثلاثي، والرباعي، والخماسي، وهو غاية ما ينتهي إليه التركيب في اللسان العربي.

10 وتأتى له حصر ذلك بوجوه عددية حاصرة. وذلك أن / جملة الكلمات [١٣٩٤]

الثنائية تخرج من [جمع]<sup>(ج)</sup> الأعداد على التوالي، من واحد إلى سبعة وعشرين. وهو دون نهاية حروف المعجم بواحد. لأن الحرف الواحد منها يؤخذ مع<sup>(د)</sup> كل واحد من السبعة والعشرين، فيكون سبعة وعشرين كلمة ثنائية. ثم يؤخذ الثاني مع الستة والعشرين كذلك، ثم الثالث، والرابع. ثم يؤخذ السابع والعشرون مع الثامن والعشرين، فيكون كلها أعداداً على توالي العدد، من واحد إلى سبعة وعشرين. فتجتمع كما هي [بالعمل المعروف]<sup>(هـ)</sup> عند أهل الحساب، [وهو أن تجمع الأول مع الأخير، ثم تضرب المجموع في نصف العدد]<sup>(و)</sup>، ثم تضاعف لأجل قلب

(١) من ع، وفي ظ ج ي: التروس (ب) من ع، وفي ظ ج ي: عنها (ج) من ع، وفي ظ ج ي: جميع (د) من ع، وفي ظ ج ي: من (هـ) من ع ج، وسقط من ظ (و) من ع وحدها في حاشية أضيف بخطه.



الثَّنَائِيّ، لأنّ التّقديم والتّأخير بين الحروف معتبر في التّركيب، فيكون الخارج جملة الثَّنَائِيَّات.

وتخرج الثلاثيّات من ضرب عدّد الثَّنَائِيَّات فيما يَجْتَمِعُ من واحدٍ إلى ستّة وعشرين على توالي العدّد ، لأنّ كلّ ثنائِيّة تزيد عليها حرفاً فتكون ثَلَاثِيّة. فتكون الثَّنَائِيّة بمنزلة الحرف الواحد مع كلّ واحدٍ من الحروف الباقية، وهي ستّة وعشرون 5 حرفاً بعد الثَّنَائِيّة. فتَجْمَعُ من واحدٍ إلى ستّة وعشرين على توالي العدّد، وتضرب فيه جملة الثَّنَائِيَّات؛ ثمّ تضرب الخارج في ستّة، جملة مقلوبات<sup>(1)</sup> الكلمة الثلاثيّة، فيخرج مجموع تراكيبها من حروف المعجم. وكذلك في الرّباعي والخماسي؛ فانحصرت له التراكيب بهذا الوجه.

ورتب أبوابه على حروف المعجم بالترتيب المتعارف، واعتّمده فيه ترتيب 10 الخارج؛ فبدأ بحروف الخلق، ثمّ ما بعده من حروف الخنك، ثمّ الأضراس، ثمّ الشّفة. وجعل حروف العلة آخرًا، وهي الحروف الهوائيّة. وبدأ من حروف الخلق بالعين، لأنّه الأقصى منها، فلذلك سُمّي الكتاب بالعين، لأنّ المتقدّمين كانوا يذهبون في تسمية دواوينهم إلى مثل هذا ، وهو تسميته بأول ما يقع فيه من الكلمات والألفاظ. 15

ثم بين المهمّل منها والمستعقل. / وكان المهمّل في الخماسي والرّباعي أكثر، لقلة استعمال العرب له لثقله. ولحقّ به الثَّنَائِيّ لقلة دَوْرَانِهِ. وكان الاستعمال في

[394ب]

(1) في حاشية ع بخطّه: نقاليب .

الثلاثي أغلب، فكانت أوضاعه أكثر لدورانه. وضمن الخليل ذلك كله كتاب العين، واستوعبه أحسن استيعاب وأوفاه.

وجاء أبو بكر الزبدي، مكّتب هشام المؤيد بالأندلس في المائة الرابعة، فاختصره مع المحافظة على الاستيعاب، وحذف منه المهمل كله وكثيراً من شواهد المستعمل، ولخصه للحفظ أحسن تلخيص. 5

وآلف الجوهرى، من المشاركة، كتاب الصحاح على الترتيب المتعارف لحروف المفجّم؛ فجعل البداية منها بالهمزة، وجعل الترجمة بالحروف على الحرف الأخير من الكلمة، لا اضطرار الناس في الأكثر إلى أواخر الكلم. [فيجعل ذلك باباً، ثم يأتي بالحروف أول الكلمة على ترتيب حروف المفجّم أيضاً ويترجم عليها بالفصول، إلى آخرها] <sup>(1)</sup>. وحصر اللغة اقتداءً بحصر الخليل. 10

ثم آلف فيها من الأندلسيين <sup>(ب)</sup> ابن سيده، من أهل دانية في دولة علي بن مجاهد، كتاب المخكم على ذلك المنحى من الاستيعاب، وعلى نحو ترتيب كتاب العين، وزاد فيه التعرّض لاشتقاقات الكلم وتصريفيها، فجاء من أحسن الدواوين. ولخصه محمد بن أبي الحسين، [حاجب] <sup>(ج)</sup> المستنصر من ملوك الدولة الحفصية بتونس، وقلب ترتيبه إلى ترتيب كتاب الصحاح في اعتبار أواخر الكلم ونهى التراجع عليها، فكانا توأمين رجم وسلياني أبوة. [ولكرّاع، من أئمة اللغة، كتاب المنجد، ولاين دُرند كتاب الجمهرة، ولاين الأتباري كتاب الزاهر] <sup>(د)</sup>. 15

(1) من خطه بخطه ع وحدها (ب) ج: الأندلس (ج) من ع ي، وفي ط ج: صاحب (د) سقط من ط ج ي.

هذه أصولُ كتب اللّغة فيما علّمناه. وهناك مختصرات أخرى مختصة بصنف من الكلمات، ومستوعبة لبعض الأبواب أو لكلماتها<sup>(أ)</sup>. إلا أن وجه الحصر فيها خفي، ووجه الحصر في تلك جلي من قبل التراكيب، كما رأيت.

ومن الكتب الموضوعية أيضاً في اللّغة، كتاب الزمخشري في المجاز، [وسمّاه أساس البلاغة]<sup>(ب)</sup>، بين فيه كل ما تجوّزت به العرب من الألفاظ، وفيما تجوّزت به 5 من المدلولات. وهو كتاب شريف الإفادة.

[395] ثم لما كانت العرب تضع / الشيء لمعنى على<sup>(ج)</sup> الغوم، ثم تستعمل في الأمور الخاصة ألفاظاً أخرى خاصة بها، فرّق ذلك عندنا بين الوضع والاستعمال، واحتاج إلى فقه في اللّغة عزيز المأخذ. كما وضع الأبيض لكل ما فيه بياض، ثم اختص [ما فيه البياض]<sup>(د)</sup>؛ من الخيل بالأشهب، ومن الإنسان بالأزهر، ومن 10 الغنم بالأمّاح، حتى صار استعمال الأبيض في هذه كلها لحناً وخروجاً عن لسان العرب.

واختص بالتأليف في هذا المنحى الشعالي، وأفرده في كتاب له سمّاه فقه اللّغة. وهو من أكد ما يأخذ به اللّغوي نفسه، أن يحرف استعمال العرب عن مواضعه. فليس معرفة الوضع الأول [بكافية]<sup>(ه)</sup> في التركيب حتى يشهد له استعمال 15 العرب. وأكثر ما يحتاج إلى ذلك الأديب في فني نظمه ونثره حذر<sup>(و)</sup> أن يكثر لحنه

(أ) ع: لكلماتها (ب) من ع وحدها (ج) سقط من ج (د) ع: الأبيض (ه) في الأصول: بكاف (و) في ع ج ي: حذراً.

في الموضوعات اللغوية في مفرداتها وتراكيبها، وهو أَشْرُ<sup>(أ)</sup> من اللحن في الإغراب وأَفْحَشُ.

[وكذلك]<sup>(ب)</sup> أَلَفَ بعض المتأخرين في الألفاظ المشتركة، وتكفل بحضرها؛ وإن لم يبلغ إلى النهاية في ذلك فهو مُسْتَوْعِبٌ للأكثر.

5 وأما المختصرات الموجودة في هذا الفن المخصوصة بالمتداول<sup>(ج)</sup> من اللغة الكثير الاستعمال، تسهلاً لحفظها على الطالب، فكثيرة، مثل الألفاظ لابن السكيت، والفصيح لشغل، وغيرها. وبعضها أقل لغة من بعض لاختلاف<sup>(د)</sup> نظرهم في الأهم على الطالب للحفظ. والله الخلاق العليم.

#### 1. [فصل]<sup>(هـ)</sup>

10 واعلم أن الثقل الذي تثبت به اللغة، إنما هو الثقل عن العرب أنهم استعملوا هذه الألفاظ لهذه المعاني، لا ثقل: إنهم وضعوها، لأنه متعذر وبعيد، ولم نعرف لأحد منهم.

وكذلك لا تثبت اللغات بقياس ما لم يُعرف استعماله على ما عُرف استعماله بجامع يشهد باختياره في الأول، شأن القياسات الفقهية، فيثبت الخمر للتبذ باستعماله في ماء العنب، باعتبار الإشكار الجامع. لأن شهادة الاعتبار في باب 15

(أ) ج: أشد (ب) ط: ع: ولذلك (ج) من ع، وسقط من بقية النسخ ألف المد (د) ع: باختلاف (هـ) هذا الفصل من ع، وسقط من بقية النسخ المعتمدة ط ج ي.

القياس، إِنَّمَا مَذَرَكُهَا الشَّرْعُ الدَّالُّ عَلَى صِحَّةِ الْقِيَاسِ مِنْ أَصْلِهِ، وَلَيْسَ لَنَا مِثْلُهُ فِي  
اللُّغَةِ إِلَّا بِالْعَقْلِ، وَهُوَ تَحَكُّمٌ، وَعَلَى هَذَا جُمْهُورُ الْأَيْمَةِ؛ وَإِنْ مَالَ إِلَى الْقِيَاسِ فِيهَا  
الْقَاضِي، وَابْنُ سُرَيْجٍ، وَغَيْرُهُمْ، لَكِنَّ الْقَوْلَ بِنَفْيِهِ أَزْجَحُ. وَلَا تَتَوَهَّنَنَّ أَنَّ إِثْبَاتَ اللُّغَةِ  
مِنْ بَابِ الْحُدُودِ اللَّفْظِيَّةِ، لِأَنَّ الْحَدَّ رَاجِعٌ إِلَى الْمَعَانِي بَيَانُ أَنَّ مَدْلُولَ اللَّفْظِ الْمَجْهُولِ  
الْحَقِيقِيِّ هُوَ مَدْلُولُهُ الْوَاضِحُ الْمَشْهُورُ، وَاللُّغَةُ إِثْبَاتُ أَنَّ لَفْظًا كَذَا لِمَعْنَى كَذَا، وَالْفَرْقُ فِي 5  
غَايَةِ الظَّهْرِ<sup>(١)</sup>.

## • عِلْمُ الْبَيَانِ

هَذَا الْعِلْمُ حَادِثٌ فِي الْمِلَّةِ بَعْدَ عِلْمِ الْعَرَبِيَّةِ وَاللُّغَةِ. وَهُوَ مِنَ الْعُلُومِ اللَّسَانِيَّةِ،  
لِأَنَّهُ مَتَعَلِّقٌ بِالْأَلْفَاظِ وَمَا تُقِيْدُهُ، وَيَقْصِدُ بِهَا الدَّلَالَةَ عَلَيْهِ مِنَ الْمَعَانِي. وَذَلِكَ أَنَّ الْأُمُورَ  
الَّتِي يَقْصِدُ بِهَا الْمُتَكَلِّمُ إِفَادَةَ السَّمَاعِ مِنْ كَلَامِهِ، هِيَ إِمَّا تَصَوُّرٌ [فِي] <sup>(ب)</sup> مُفْرَدَاتٍ تُسْنَدُ 10  
وَيُسْنَدُ إِلَيْهَا، وَيُقْضَى بِنَفْسِهَا إِلَى بَعْضٍ، وَالذَّلَالَةُ عَلَى هَذِهِ هِيَ الْمَفْرَدَاتُ مِنَ الْأَسْمَاءِ  
وَالْأَفْعَالِ وَالْحُرُوفِ، وَإِمَّا تَمَيِّزُ الْمُسْنَدَاتِ / مِنَ الْمُسْنَدِ إِلَيْهَا وَالْأَزْمَنَةِ، وَيُدَلُّ عَلَيْهَا [395ب]  
بِتَغْيِيرِ الْحَرَكَاتِ، وَهُوَ الْإِغْرَابُ وَأَبْنِيَةُ الْكَلِمَاتِ. وَهَذِهِ كُلُّهَا هِيَ صِنَاعَةُ النَّحْوِ.

وَيَبْقَى مِنَ الْأُمُورِ الْمَكْتَنَفَةِ بِالْوَاقِعَاتِ الْمُحْتَاجَةِ لِلدَّلَالَةِ، أَحْوَالُ الْمُتَخَاطِبِينَ  
و<sup>(ج)</sup> الْفَاعِلِينَ، وَمَا يَقْتَضِيهِ حَالُ الْفِعْلِ، وَهُوَ مُحْتَاجٌ إِلَى الدَّلَالَةِ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ مِنْ تِمَامِ 15  
الْإِفَادَةِ. وَإِذَا حَصَلَتْ لِلْمُتَكَلِّمِ، فَقَدْ بَلَغَ غَايَةَ الْإِفَادَةِ فِي كَلَامِهِ. وَإِذَا لَمْ يَشْتَمَلْ مِنْهَا

(١) نهاية الفصل الذي جاء في ع وحدها (ب) من ع وحدها (ج) في ع : أو .

على شيء، فليس من جنس كلام العرب؛ فإنّ كلامهم واسع، ولكلّ مقام عندهم مقال يختص به، بعد كمال الإغراب والإبانة.

ألا ترى أنّ قولهم: زيدٌ جاءني، مُغايّر لقولهم: جاءني<sup>(أ)</sup> زيدٌ، من قبل أنّ المقدّم منهما هو الأهمّ عند المتكلم. فمن قال: جاءني زيدٌ [أفاد أنّ اهتمامه بالجيء قبل الشّخص المسند إليه، ومن قال: زيدٌ جاءني]<sup>(ب)</sup> أفاد أنّ اهتمامه بالشّخص قبل المجيء المستند. وكذا التعبير عن أجزاء الجملة بما يُناسب المقام من موصولٍ أو مُبهمٍ أو معرفة.

وكذا تأكيد الإسناد في الجملة، كقولهم: زيدٌ قائمٌ، وإنّ زيداً قائمٌ، وإنّ زيداً لقائمٌ، متغايرة كلّها في الدلالة. وإن استوث من طريق الإغراب، فإنّ الأوّل العاري عن التأكيد إنّما يُفيد الخالي الذهن، والثاني المؤكّد بأنّ، يُفيد [المرتدّد]<sup>(ج)</sup>، والثالث يُفيد المنكر؛ فهي مختلفة.

وكذلك تقول: جاءني الرَّجلُ. ثمّ تقول مكانه بعينه: جاءني رجلٌ، إذا قصدت بذلك التّكثير تعظيماً، وأنّه رجلٌ لا يُعادله أحدٌ من الرجال.

ثمّ الجملة الإسناديّة تكون خبريّة، وهي التي لها خارجٌ تُطابقه أو لا، وإنشائيّة، وهي التي لا خارج لها، كالطلبِ وأنواعه.

ثمّ قد يتعيّن تركّ العاطف بين الجُمْلَتَيْن إذا كان للثانية محلٌّ من الإغراب،

(أ) ي ج: جاء (ب) سقط من ظ ج ي (ج) من ع، وفي ظ ج ي: التردّد.

فيتنزل بذلك منزلة التابع المفرد نعتاً [أو] <sup>(١)</sup> تؤكداً أو بدلاً، فلا عطف. أو يتعين العطف إذا لم يكن للثانية محل من الإعراب.

ثم قد يقتضي المحل الإطناب أو الإيجاز، فيورد الكلام عليهما (ب).

ثم قد تدل باللفظ ولا تريد منطوقه، / وتريد لازمه إن كان مفرداً، كما

[1396]

تقول: زيد أسد، فلا تريد حقيقة الأسد المنطوقة، وإنما تريد شجاعته اللازمة، وتُسندُها 5 إلى زيد. وتسمى هذه استعارة.

وقد تريد باللفظ المركب الدلالة على ملزومه، كما تقول: زيد كثير رما

القدور (ج)، وتريد به ما لزم ذلك عنه من الجود وقرى الضيوف، لأن كثرة الرما

ناشئة عنهما، فهي دالة عليهما. وهذه كلها دلالات زائدة على دلالات الألفاظ المفرد

والمركب. وإنما هي هيئات وأحوال للواقعات، جعلت للدلالة عليها أحوال وهيئات في 10 الألفاظ، كل بحسب ما يقتضيه مقامه.

فاشتمل هذا العلم المسمى بالبيان على البحث عن هذه الدلالة التي للهيئات

والأحوال في <sup>(د)</sup> المقامات، وجعل على ثلاثة أصناف:

الصنف الأول: يبحث فيه عن هذه الهيئات والأحوال حتى يطابق باللفظ

جميع مقتضيات الحال؛ ويسمى: علم البلاغة. 15

والصنف الثاني: يبحث فيه عن الدلالة على لازم اللفظ أو ملزومه، وهي

الاستعارة والكناية، كما قلناه، ويسمى: علم البيان.

(١) ج ظي: و (ب) ج: عليها (ج) ع: القدر (د) ي: و .

وَأَلْحَقُوا بِهِمَا صَنَافاً آخَرَ، وَهُوَ النَّظَرُ فِي تَرْزِينِ الْكَلَامِ وَتَحْسِينِهِ بِنَوْعٍ مِنَ التَّنْمِيقِ، إِمَّا بِسَجْعٍ يُفَصِّلُهُ، أَوْ تَجْنِيسٍ يُشَابِهُهُ بَيْنَ أَلْفَاظِهِ، أَوْ تَرْصِيعٍ يُقَطِّعُ أَوْزَانَهُ، أَوْ تَوْرِيَةٍ عَنِ الْمَعْنَى الْمَقْصُودِ بِإِيْهَامٍ مَعْنَى أَخْفَى مِنْهُ، لِاشْتِرَاكِ اللَّفْظِ بَيْنَهُمَا، (أَوْ طَبَاقٍ بِالتَّقَابُلِ بَيْنَ الْأَضْدَادِ)<sup>(١)</sup>، وَأَمْثَالٍ ذَلِكَ. وَتَسَمَّى عِنْدَهُمْ: [عَلَمٌ]<sup>(ب)</sup> الْبَدِيعُ.

5 وَأُطْلِقَ عَلَى الْأَصْنَافِ الثَّلَاثَةِ عِنْدَ الْمُحَدِّثِينَ اسْمُ الْبَيَانِ؛ وَهُوَ اسْمُ الصَّنْفِ الثَّانِي، لِأَنَّ الْأَقْدَمِينَ أَوَّلُ مَا تَكَلَّمُوا فِيهِ.

ثُمَّ تَلَا حَقَّتْ مَسَائِلُ الْفَرْقِ وَاحِدَةً بَعْدَ أُخْرَى، وَكُتِبَ فِيهَا جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى، وَالْجَاهِظُ، وَقُدَامَةُ، وَأَمْثَالُهُمْ، إِمْلَاءَاتٍ غَيْرَ وَافِيَةٍ بِهَا. ثُمَّ لَمْ تَزَلْ مَسَائِلُ الْفَرْقِ تَكْمُلُ شَيْئاً فَشَيْئاً، إِلَى أَنْ مَخَضَ السَّكَّاكِيُّ زُبْدَتَهُ، وَهَذَبَ مَسَائِلَهُ، وَرَتَّبَ أَبْوَابَهُ عَلَى نَحْوِ 10 مَا ذَكَرْنَاهُ آتِفاً مِنَ التَّرْتِيبِ، وَأَلَّفَ كِتَابَهُ الْمُسَمَّى بِالْمِفْتَاحِ فِي النَّحْوِ وَالتَّصْرِيفِ وَالبَيَانِ، / فَجَعَلَ هَذَا الْفَرْقَ مِنْ بَعْضِ أَجْزَائِهِ. وَأَخَذَهُ الْمُتَأَخَّرُونَ مِنْ كِتَابِهِ، وَلَخَّصُوا [396ب] مِنْهُ أَمْهَاتٍ هِيَ الْمَتَدَاوِلَةُ لِهَذَا الْعَهْدِ، كَمَا فَعَلَهُ السَّكَّاكِيُّ<sup>(ج)</sup> فِي كِتَابِ التَّبْيَانِ، وَابْنُ مَالِكٍ فِي كِتَابِ الْمِضْبَاحِ، وَجَلَالُ الدِّينِ الْقَزْوِينِيُّ فِي كِتَابِ الْإِيضَاحِ وَ<sup>(د)</sup> كِتَابِ التَّلْخِصِ، وَهُوَ أَصْغَرُ حَجْماً مِنَ الْإِيضَاحِ. وَالْعَنَائَةُ لِهَذَا الْعَهْدِ بِهِ عِنْدَ أَهْلِ الْمَشْرِقِ 15 فِي الشَّرْحِ وَالتَّعْلِيمِ مِنْهُ أَكْثَرُ مِنْ غَيْرِهِ.

وَبِالْجُمْلَةِ، فَالْمُشَارِقَةُ عَلَى هَذَا الْفَرْقِ أَقْوَمُ مِنَ الْمَغَارِبَةِ. وَسَبَبُهُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ، أَنَّهُ كَمَا لَيْ فِي الْعُلُومِ اللَّسَانِيَّةِ، وَالصَّنَائِعِ الْكَلَامِيَّةِ تَوْجَدُ فِي وَفُورِ الْعُمَرَانِ، وَالْمَشْرِقِ أَوْفَرُ

(١) من حاشية ع، وسقط من ظ ي (ب) من حاشية ع وحدها بخطه (ج) ع: السماكي، خطأ (د) ع: وفي .



عُمَرَانَا مِنَ الْمَغْرِبِ، كَمَا ذَكَرْنَاهُ. أَوْ نَقُولُ: لِعِنَايَةِ الْعَجَمِ، وَهُمْ مُعْظَمُ أَهْلِ الْمَشْرِقِ،  
 بِتَفْسِيرِ الزَّمْخَشَرِيِّ، وَهُوَ كُلُّهُ مَبْنِيٌّ عَلَى هَذَا الْفَنِّ، [بل] <sup>(أ)</sup> هُوَ أَصْلُهُ. وَإِنَّمَا اخْتَصَّ  
 بِأَهْلِ الْمَغْرِبِ مِنْ أَصْنَافِهِ عِلْمُ الْبَدِيعِ خَاصَّةً، وَجَعَلُوهُ مِنْ جُمْلَةِ عُلُومِ الْأَدَبِ الشَّعْرِيَّةِ،  
 وَفَرَّعُوا لَهُ أَلْقَابًا، وَعَدَّدُوا أَبْوَابًا، وَنَوَّعُوا أَنْوَاعًا، زَعَمُوا أَنَّهُمْ أَحْصَوْهَا مِنْ لِسَانِ الْعَرَبِ.  
 وَإِنَّمَا حَمَلَهُمْ عَلَى ذَلِكَ الْوَلُوعُ بِتَزْيِينِ الْأَلْفَاظِ، وَأَنَّ عِلْمَ الْبَدِيعِ سَهْلُ الْمَأْخُذِ. وَصَعُبَتْ 5  
 عَلَيْهِمْ مَأْخُذُ الْبَلَاغَةِ وَالْبَيَانِ \* لِذَقَّةِ أَنْظَارِهِمَا \* <sup>(ب)</sup> وَغُمُوضِ مَعَانِيهَا، فَتَجَافَوْا عَنْهَا.  
 وَمَنْ أَلَّفَ فِي الْبَدِيعِ مِنْ أَهْلِ إِفْرِيقِيَّةِ ابْنُ رَشِيقٍ، وَكِتَابُ الْعُمْدَةِ لَهُ مَشْهُورٌ. وَجَرَى  
 كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ إِفْرِيقِيَّةِ وَالْأَنْدَلُسِ عَلَى مَنَحَاهُ.

وَاعْلَمْ أَنَّ ثَمَرَةَ هَذَا الْفَنِّ إِنَّمَا هِيَ فِي فَهْمِ الْإِعْجَازِ مِنَ الْقُرْآنِ، لِأَنَّ إِعْجَازَهُ فِي  
 وَفَاءِ الدَّلَالَةِ مِنْهُ <sup>(ج)</sup> بِجَمِيعِ مُقْتَضِيَاتِ الْأَحْوَالِ مَنْطُوقَةٍ وَمَفْهُومَةٍ. وَهِيَ أَعْلَى مَرَاتِبِ 10  
 الْكَمَالِ مَعَ الْكَلَامِ فِيمَا يَخْتَصُّ بِالْأَلْفَاظِ فِي انْتِقَائِهَا وَجُودَةِ [رُصْفِهَا] <sup>(د)</sup> وَتَرْكِيبِهَا. وَهَذَا  
 هُوَ الْإِعْجَازُ الَّذِي تَقْصُرُ الْأَفْهَامُ عَنْ دَرْكِهِ. وَإِنَّمَا يَدْرِكُ بَعْضُ الشَّيْءِ مِنْهُ مَنْ كَانَ لَهُ  
 ذَوْقٌ بِمَخَالَطَةِ اللِّسَانِ وَحُصُولِ مَلَكَتِهِ، فَيَدْرِكُ مِنْ إِعْجَازِهِ عَلَى / قَدَرِ ذَوْقِهِ. فَلِهَذَا [1397]  
 كَانَتْ مَدَارِكُ الْعَرَبِ الَّذِينَ سَمِعُوهُ مِنْ مُبَلِّغِهِ أَعْلَى مَقَامًا فِي ذَلِكَ، لِأَنَّهُمْ فُرْسَانُ الْكَلَامِ  
 وَجَاهِدَتُهُ، وَالذَّوْقُ عِنْدَهُمْ مَوْجُودٌ بِأَوْفَرِ مَا يَكُونُ وَأَصَحَّهُ. 15

وَأُحَوِّجُ مَا يَكُونُ إِلَى هَذَا الْفَنِّ الْمَفْسُورِينَ. وَأَكْثَرُ تَفَاسِيرِ الْمُتَقَدِّمِينَ غُفْلٌ  
 مِنْهُ، حَتَّى ظَهَرَ جَارُ اللَّهِ الزَّمْخَشَرِيُّ وَوَضَعَ كِتَابَهُ فِي التَّفْسِيرِ، وَتَتَبَعَ آيَ الْقُرْآنِ

(أ) مِنْ ع وَحْدَهَا (ب) سَقَطَ مَا بَيْنَ التَّجْمِينَ مِنْ ج (ج) ج : مِنْهَا (د) ط ج ي: وَضَفَهَا .

بأحكام هذا الفن بما يُندي البعض من إعجازه، فانفرد بهذا الفضل على جميع التفسير، لولا أنه يؤيد عقائد أهل البدع عند اقتباسها من القرآن بوجوه البلاغة. ولأجل هذا يتحاماه كثير من أهل السنة، مع وفور بضائعه من البلاغة. فمن أحكم عقائد السنة وشارك في هذا الفن بعض المشاركة حتى يقتدر على الرد عليه من جنس كلامه، أو يعلم أنها بدعة فيعرض عنها ولا تضره في معتقده، فإنه يتعين عليه 5 النظر في هذا الكتاب للظفر بشيء من غرائب<sup>(1)</sup> الإعجاز، مع السلامة من البدع والأهواء. والله الهادي من يشاء إلى سواء السبيل.

## • علم الأدب

هذا العلم لا موضوع له ينظر في إثبات عوارضه أو نفيها، وإنما المقصود منه 10 عند أهل اللسان \* ثمرته، وهي الإجادة في فني المنظوم والمثنو على أساليب العرب ومناحيهم. فيجمعون لذلك \*<sup>(ب)</sup> من حفظ كلام العرب ما عساه تحصل به الملكة، من شعر عالي الطبقة، وسجع متساو في الإجادة، ومسائل من اللغة والنحو مبثوثة أثناء ذلك، متفرقة يستقري منها الناظر في الغالب معظم قوانين العريضة، مع ذكر بعض من أيام العرب، يفهم به ما يقع في أشعارهم منها، وكذلك ذكر المهم من الأنساب الشهيرة والأخبار العامة. والمقصود بذلك كله أن لا يخفى على الناظر فيه شيء من 15 كلام العرب وأسانيبهم ومناحي بلاغتهم إذا تصفحه، لأنه لا تحصل الملكة من حفظه إلا بعد فهمه، / فيحتاج إلى تقديم جميع ما يتوقف عليه فهمه.

[397ب]

(1) من حاشية ع، وسقط من ط ج ي (ب) ما بين النجمين حاشية بخطه في ع، وسقط من ط ي .

ثم إنهم إذا أرادوا حَدَّ هذا الفنِّ ، قالوا : الأدب هو حفظُ أشعارِ  
العربِ وأخبارِها ، والأخذُ من كلِّ علمٍ بطَرْفٍ ، يُريدونَ من علومِ اللسانِ ، أو  
العلومِ الشرعيَّةِ من حيثُ مُتُونُها فقط ، وهي القرآنُ والحديثُ ، إذ لا مدخلَ لغيرِ  
ذلك من العلومِ في كلامِ العربِ إلّا ما ذهبَ إليه المتأخرونَ عند [كَلْفِهِمْ]<sup>(أ)</sup> بصناعةِ  
البدیع ، من التّورية في أشعارهم وتزسيْلهم بالاضطِّلاحاتِ العِلْمِيَّةِ . فاحتاجُ  
صاحبُ<sup>(ب)</sup> هذا الفنِّ حينئذٍ إلى مَعْرِفَةِ اصطلاحاتِ العلومِ ليكونَ قائماً<sup>(ج)</sup> على  
فَهْمِها .

وسمعنا من شيوخنا في مجالسِ التَّعليمِ ، أنّ أصولَ هذا الفنِّ وأركانهُ أربعةٌ  
دواوينَ ، وهي : أدبُ الكاتبِ لابنِ قُتَيْبَةَ ، وكتابُ الكاملِ للمُبَرِّدِ ، وكتابُ البيانِ  
والتَّنْبِيهِ لِلجَاحِظِ<sup>(د)</sup> ، وكتابُ التّوادرِ لأبي عَلِيٍّ القَالِي البَغْدَادِي . وما سِوَى هذه  
الأربعةِ ، فتَبَعٌ لها وفروعٌ عنها . وكتبُ المُحدِّثينَ في ذلك كثيرةٌ .

وقد كان الغناءُ في الصّدرِ الأوّلِ من أجزاءِ هذا الفنِّ لما هو تابعٌ للشّعرِ ، إذ  
الغناءُ إنّما هو تَلْحِينُهُ . وقد كان الكُتّابُ والفضلاءُ من الخواصِّ في الدّولةِ العبّاسيَّةِ ،  
يأخذونَ أنفُسَهُم به حِرْصاً على تحصيلِ أساليبِ [الشّعرِ وفنونه]<sup>(هـ)</sup> ، فلم يكنِ انتحالُهُ  
قادِحاً في العَدالةِ والمروءةِ . [وكان سلفُ أهلِ الحِجازِ بالمدينةِ وغيرها ينتحلونَ ذلك ،  
وهمُ الحُجَّةُ على مَنْ سِوَاهُمْ]<sup>(و)</sup> .

(أ) ي : ظ : كلامهم (ب) سقط من ج (ج) ظ : قائمة (د) سقط من ج (هـ) ع ج : العرب وفنونهم (و) حاشية من ع  
وحدها .

وقد ألف القاضي أبو الفرج الأصفهاني، وهو ما هو، كتابه في الأغاني، جمع فيه أخبار العرب وأشعارهم وأنسابهم وأيامهم ودولهم، وجعل مبناه على الغناء في المائة صوت التي اختارها المغنون للرشيد، فاستوعب فيه ذلك أتم استيعاب وأوفاه. ولعمري، إنه ديوان العرب، وجامع أشات المحاسن التي سلفت لهم \* في كل فن<sup>(1)</sup>

s من فنون الشعر والتاريخ والغناء وسائر الأحوال، / ولا يعدل به كتاب في ذلك فيما نعلمه؛ وهو الغاية التي يسمو إليها الأديب ويقف عندها، وأنى له بها.

ونحن الآن نرجع بالتحقيق على الإجمال فيما تكلمنا عليه من علوم المنان. والله الهادي للصواب.

#### 46 • فصل، في أن اللغة ملكة صناعية

10 اعلم أن اللغات كلها ملكات شبيهة بالصناعة، إذ هي ملكات في اللسان للعبارة عن المعاني، وجودتها وقصورها بحسب تمام الملكة أو نقصانها. وليس ذلك بالنظر إلى المفردات، وإنما هو بالنظر إلى التراكيب. فإذا حصلت الملكة التامة في تركيب الألفاظ المفردة، للتعبير بها عن المعاني المقصودة، ومراعاة التأليف الذي يطبق الكلام على مقتضى الحال، بلغ المتكلم حينئذ الغاية من إفادة مقصوده 15 للسامع. وهذا هو معنى البلاغة.

(1) سقط من ج .

والمملكات لا تحضل إلا بتكرار الأفعال، لأنَّ الفعل يقع أولاً وتعود منه للذات صفةً، ثم يتكرّر. فيكون حالاً. ومعنى الحال أنّه صفةٌ غير راسخة. ثم [يزيد]<sup>(أ)</sup> التكرار، فيكون ملكة، أي صفة راسخة.

فالمتكلم من العرب حين كانت ملكة اللغة العربيّة موجودة فيهم، يسمع كلام أهل جيله وأساليهم في مخاطباتهم وكيفيّة تغييرهم عن مقاصدهم، كما يسمع الصبي 5 استعمال المفردات [في معانيها]<sup>(ب)</sup> فيلقنها [أولاً]<sup>(ب)</sup>. ثم يسمع التراكيب بعدها، فيلقنها كذلك. ثم لا يزال سماعهم [لذلك]<sup>(ج)</sup> يتجدّد في كلّ لحظة ومن كلّ متكلّم، واستعماله يتكرّر، إلى أن يصير ذلك ملكة وصفة راسخة، ويكون كأحدِهِم.

هكذا تَصَيَّرَت الألسُن واللُّغَات من جيلٍ إلى جيلٍ، وتعلّمها العجم والأطفال. وهذا معنى ما يقوله العامّة من أنّ اللغة للعرب بالطّبع، أي بالملكة الأولى التي أخذت 10 عنهم ولم يأخذوها عن<sup>(د)</sup> غيرهم.

ثمّ إنّ لما فسدت هذه الملكة لمُضَرَّ بمخالطتهم الأعاجم، وسبّب فسادها أنّ الناشئ من الجيل صار يَسْتَمِعُ في العبارة عن المقاصد كيفيات أخرى غير الكيفيات [التي كانت]<sup>(هـ)</sup> للعرب، / فيعبّر بها عن مقصوده لكثرة [المخالطين]<sup>(و)</sup> للعرب من غيرهم، ويسمع كيفيات العرب أيضاً، فاختلط عليه الأمر، وأخذ من هذه وهذه. 15 فاستحدثت ملكة وكانت ناقصة عن الأولى. وهذا معنى فساد اللسان العربيّ.

(أ) ظ: يكون (ب) من حاشية ع، وسقط من ظ ج ي (ج) ج ظ: كذلك (د) ع: من (هـ) من حاشية ع (و) من ع، وفي ظ ج ي: المخاطبين، وكانت كذلك في ع ثم أصلحت.

ولهذا كانت لغة قُرَيْشٍ أفصح اللغاتِ العربيَّةِ وأضَرَحَها، لبُعدهم عن بلادِ  
العَجَمِ من جميع جهاتهم، ثمَّ من اكتنَفَهُمْ من ثَقِيفٍ، وهَذِيلٍ، وخُزَاعَةٍ، وبَنِي كِنَانَةَ،  
وعُظْفَانَ، وبَنِي أَسَدٍ، وبَنِي تَمِيمٍ. وأما من بَعَدَ عنهم من رِيعَةٍ، وَلَحْمٍ، وَجُدَامٍ،  
وعُشَّانٍ، وإِيَادٍ، وقُضَاعَةٍ، وعرب اليَمَنِ المجاورينَ لِأُمَمِ الفُرسِ والرومِ <sup>(١)</sup> والحَبَشَةِ،  
5 فلم تكن لغتهم تامَّةً الملكة بمخالطة الأعاجم . وعلى نسبة بُعدهم عن قُرَيْشٍ ، كان  
الاحتجاجُ بلغاتهم في الصُّحَّةِ والفسادِ عِنْدَ أَهْلِ صناعةِ العربيَّةِ. والله أعلم.

#### 47 • فَضْلٌ ، فِي أَنَّ لُغَةَ الْعَرَبِ لِهَذَا الْعَهْدِ ، لُغَةٌ مُسْتَقِلَّةٌ مُغَايِرَةٌ لِلُّغَةِ مُضَرٍّ وَلُغَةٍ حَمِيرٍ

وذلك أَنَا نَجِدُهَا فِي بَيَانِ الْمَقاصِدِ وَالْوَفَاءِ بِالذَّلَالَةِ عَلَى سَنَنِ اللِّسَانِ الْمُضَرِّيِّ،  
10 ولم يُفْقَدْ مِنْهَا إِلَّا ذَلَالَةُ الْحَرَكَاتِ عَلَى تَعْيِينِ الْفَاعِلِ مِنَ [المفعول] <sup>(ب)</sup>؛ فَاعْتَاضُوا مِنْهَا  
بِالتَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ ، وَبِقَرَائِنَ تَدُلُّ عَلَى خُصُوصِيَّاتِ الْمَقاصِدِ. إِلَّا أَنَّ الْبَيَانَ وَالْبَلَاغَةَ  
فِي اللِّسَانِ [المُضَرِّيِّ] <sup>(ج)</sup> أَكْثَرُ وَأَعْرَقُ ، لِأَنَّ الْأَلْفَاظَ بِأَغْيَانِهَا ذَالَّةٌ عَلَى الْمَعَانِي  
بَأَغْيَانِهَا؛ وَيَبْقَى مَا تَقْتَضِيهِ الْأَحْوَالُ، وَيُسَمَّى بِسَاطِ الْحَالِ، مُحْتَاجاً إِلَى مَا يُدَلُّ عَلَيْهِ.  
وَكُلُّ مَعْنَى لَا بُدَّ وَأَنْ تَكْتَنِفَهُ أَحْوَالٌ تَخْصُهُ ، فَيَجِبُ أَنْ تُعْتَبَرَ تِلْكَ الْأَحْوَالُ فِي تَأْدِيَةِ  
15 الْمَقْصُودِ ، لِأَنَّهَا صِفَاتُهُ . وَتِلْكَ الْأَحْوَالُ فِي جَمِيعِ الْأَلْسُنِ أَكْثَرُ مَا يُدَلُّ عَلَيْهَا بِالْفَظِ  
تَخْصُّهَا بِالْوَضْعِ.

(١) شطبت في ع (ب) من ع، وفي ظ ج ي: المفعول (ج) ظ ج ي: العربي .

وأما في اللسان العربي، فإنما يدل عليها بأحوال وكيفيات في تراكيب الألفاظ وتأليفها، من تقديم، وتأخير، أو حذف، أو حركة إغراب. وقد يدل عليها بالحروف غير المستقلة.

[ولذلك] <sup>(1)</sup> تفاوتت طبقات الكلام في اللسان العربي بحسب تفاوت الدلالة على تلك / الكيفيات، كما قدمناه. فكان الكلام العربي لذلك أوجز وأقل ألفاظاً 5 وعبارة من جميع الألسن. وهذا معنى قوله ﷺ <sup>(1)</sup>: "أوتيت جوامع الكلم، واختصر لي الكلام اختصاراً".

واعتبر ذلك بما يحكى عن عيسى بن عمر وقد قال له بغض الثعاة: إني أجد في كلام العرب تكراراً في قولهم: زيد قائم، وإن زيدا قائم، وإن زيدا قائم، والمعنى واحد. فقال له: إن معانيها مختلفة. والأول: إفادته لخالي الذهن عن قيام زيد، 10 والثاني: لمن سمعه فأنكره، والثالث: لمن عرف بالإضرار على إنكاره. فاختلفت الدلالة باختلاف الأحوال.

وما زالت هذه البلاغة والبيان دينن العرب ومذهبهم لهذا العهد.  
ولا تلتفتن في ذلك إلى خرفشة <sup>(2)</sup> الثعاة، أهل صناعة الإغراب، القاصرة

(أ) ط: وكذلك .

(1) تقدم تخريجه في صفحة 476 .

(2) في التاج عن الصاغاني: هو التخليط. ويفسره قول ابن عمر - وذكرت بالخاء بدل الخاء - : "هذه حرفشة في العلم وطريقة يسلكها القاصرون فيه" تهذيب ابن قيم الجوزية على مختصر سنن أبي داود 2: 427 .

مداركهم عن التحقيق، حيث يزعمون أن البلاغة لهذا العهد ذهبت، وأن  
 اللسان العربي فسد، اعتباراً بما وقع أواخر الكلم من فساد الإغراب الذي  
 يتدارسون قوانينه. وهي مقالة دسها التشيع في طباعهم، وألقاها القصور في أفئدتهم.  
 وإلا فنحن نجد اليوم الكثير من أفاظ العرب لم تزل في موضوعاتها الأولى، والتعبير  
 5 عن المقاصد والتفاوت فيه بتفاوت الإبانة موجود في كلامهم لهذا العهد. وأساليب  
 اللسان [وفنونه]<sup>(1)</sup> من النظم والتثر موجود في مخاطباتهم؛ وفيهم الخطيب المضجع في  
 محافلهم ومجامعهم، والشاعر المفلق على أساليب لغتهم، والذوق الصحيح والطبع  
 السليم شاهدان بذلك. ولم يفقد من أحوال اللسان المدون إلا حركات الإغراب  
 في أواخر الكلم فقط، الذي لزم في لسان مضر طريقة واحدة ومهتجاً معروفاً، وهو  
 10 الإغراب؛ وهو بعض من أحكام اللسان.

وإنما وقعت العناية بلسان مضر، لما فسد / بمخالطتهم الأعاجم حين استولوا [399ب]  
 على ممالك العراق والشام ومضر والمغرب، وصارت ملكته على غير الصورة التي  
 كانت أولاً، فانقلب لغة أخرى. وكان القرآن متزلاً به، والحديث النبوي منقولاً  
 بلغته، وهما أصل الدين والملة، فخشي تناسيها وانغلاق الأفهام عنها بفقدان اللسان  
 15 الذي تنزلاً به. فاخترج إلى تدوين أحكامه ووضع مقاييسه واستنباط قوانينه، وصار  
 علماً ذا فصول وأبواب ومقدمات ومسائل، سماه أهله بعلم التحو وصناعة العربية.  
 فأصبح<sup>(ب)</sup> فتاً محفوظاً وعلماً مكتوباً وسلماً إلى فهم كتاب الله وسنة رسوله راقياً.

(1) من ع، وفي ط ج ي: وقته (ب) ع: واصح .



ولعلنا لو اعتنينا بهذا اللسان العربي لهذا العهد، واستقرينا أحكامه، نعتاض  
عن الحركات الإغريقية التي فسدت [في دلالتها بأمور أخرى، وكيفيات<sup>(أ)</sup>] موجودة  
فيه، وتكون لها قوانين تخصها، و<sup>(ب)</sup> لعلها تكون في أواخره، على غير المنهاج الأول  
في لغة مضر، فليست اللغات وملكانها مجاناً.

- ولقد كان اللسان المضرّ مع اللسان الحميريّ بهذه المثابة، وتغيّرت عند  
مُضَر كثير من موضوعات اللسان الحميريّ وتصريف<sup>(ج)</sup> كلماته، يشهد بذلك الأثقال  
الموجودة لدينا، خلافاً لمن يحمّله القصور على أنها لغة واحدة، ويلتمس إجراء اللغة  
الحميريّة على مقاييس اللغة المضرّية وقوانينها، كما يزعم بعضهم في اشتقاق القليل في  
اللسان الحميريّ من القول، وكثير من أشباه هذا. وليس ذلك بصحيح. ولغة حمير  
لغة أخرى مغايرة للغة مضرّ في الكثير من أوضاعها وتصاريفها وحركاتها، كما هي لغة  
العرب لعهدنا مع لغة مضرّ. إلا أن العناية بلسان مضرّ من أجل الشريعة، كما قلناه،  
حمل على ذلك الاستقراء والاستنباط، وليس عندنا [نحن]<sup>(د)</sup> لهذا العهد ما يحمّلنا  
على مثل ذلك ويدعونا إليه.

- ومما وقع في لغة هذا الجيل العربي لهذا العهد / حيث كانوا من الأقطار،  
شأنهم في النطق بالقاف، فإنهم لا ينطقون بها من مخرج القاف عند أهل الأمصار،  
كما هو مذكور في كتب العربية أنه من أقصى اللسان [وما فوقه]<sup>(هـ)</sup> من الحنك  
الأعلى، [ولا ينطقون بها أيضاً من مخرج الكاف، وإن كان أسفل من موضع القاف

(أ) حاشية من ع وحدها بخطه (ب) ع : أو (ج) ع : تصريف (د) حاشية من ع وحدها (هـ) ي : ومألوفه، خطأ.

وما يليه من الحنك الأعلى<sup>(أ)</sup> كما هي، بل يَحْيَوْنَ بها مُتَوَسِّطَةً بَيْنَ الكاف والقاف. [وهذا]<sup>(ب)</sup> موجودٌ للجيل أَجْمَعٍ حيثُ كانوا من غربٍ أو شرقٍ، حتَّى صار ذلك علامةً عليهم من بَيْنِ الأُمَمِ والأَجْيَالِ، ومُخْتَصَّصاً بهم لا يشارِكُهم فيه غيرُهم. حتَّى أنَّ من يُريدُ التَّعَرُّبَ والانتسابَ إلى الجيلِ والدَّخولَ فيه، يحاكيهم في التَّطْقِ بها. وعندهم 5 أنه إِنَّمَا يَتَمَيَّزُ العربيُّ الصَّريحُ من الدَّخِيلِ في العروبيَّةِ [أو]<sup>(ج)</sup> الحضريُّ، بالتَّطْقِ بهذه القاف. ويظهرُ من ذلك أَنَّها لغةٌ مُضَرَّ بعَيْنِها. فَإِنَّ هذا الجيلَ الباقيْنَ معظمُهم ورياستُهم شرقاً وغرباً في وَلَدِ مَنْصُورِ بنِ عِكْرِمَةَ بنِ خَصْفَةَ<sup>(د)</sup> بنِ قَيْسِ بنِ عَيْلانِ ابنِ سُلَيْمِ بنِ مَنْصُورِ، ومن بني عامِرِ بنِ صَفْصَعَةَ بنِ مُعَاوِيَةَ بنِ بَكْرِ بنِ هَوَازِنِ بنِ مَنْصُورِ. وهم لهذا العَهْدِ أَكْثَرُ الأُمَمِ في المَعْمُورِ وأَغْلَبُهم؛ وهم من أَعْقَابِ مُضَرٍّ وسائِرِ 10 الجيلِ معهم [من بني كَهْلانِ]<sup>(هـ)</sup> في التَّطْقِ بهذه القاف، أُسُوءَ.

وهذه اللُّغة لم يَنْتَدِغْها هذا الجيلُ، بل هي متوارِثَةٌ فيهم مُتَعاقِبَةٌ. ويظهرُ من ذلك أَنَّها لغةٌ مُضَرَّ الأوَّلِينَ، و<sup>(و)</sup> لعلَّها لغةُ النَّبِيِّ ﷺ بعَيْنِها، وقد ادَّعى ذلك فُقهاءُ أَهلِ البَيْتِ، وَزَعَمُوا أَنَّ من قَرَأَ في أُمِّ الْقُرْآنِ: ﴿الْصِّرْطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [سورة الفاتحة، من الآية 6] بغيرِ القاف الَّذي لهذا الجيلِ، فَقَدْ لَحَنَ وأَفْسَدَ صَلَاتَهُ. وما أدري من 15 أَيْنَ جاءَ هذا؟ فَإِنَّ لغةَ أَهلِ الأَمْصَارِ أيضاً لم يَسْتَخْدِثُوها، وَإِنَّمَا تَنَاقَلُوها من لَدُنْ سَلَفِهِمْ، وكانَ أَكْثَرُهم من مُضَرَّ بما نَزَلُوا الأَمْصَارَ من لَدُنْ الفُتُوحِ. وأهلُ الجيلِ أيضاً لم يَسْتَخْدِثُوها، إِلَّا أَنَّهُمْ أَبْعَدُ عن مُخَالَطَةِ الأعاجِمِ من أَهلِ الأَمْصَارِ. فهذا<sup>(ز)</sup> يَرْجَحُ فيما

(أ) حاشية من ع وحدها بخطه (ب) ظ ج ي: وهو (ج) من ع ج، وسقط من ظ ي (د) سقط من ي (هـ) من حاشية ع، ومن ج، وسقط من ظ ي (و) ع: أو (ز) ع: فهذا

[400ب] يوجد من اللغة لديهم أنه من / لغة سلفهم . وهذا مع اتفاق أهل الجيل كلهم شرقاً

وغرباً في النطق بها، وأنها الخاصية التي يميّز بها العربي من الهجين والحضري.

\*<sup>(أ)</sup> والظاهر أن هذه القاف التي ينطق بها أهل<sup>(ب)</sup> الجيل العربي البدوي،

هي<sup>(ج)</sup> من مخرج القاف عند أولهم من أهل اللغة. وإن مخرج القاف متسع، فأولُه

من أعلى الحنك، وآخره مما يلي الكاف. فالتنطق بها من أعلى الحنك هو لغة 5

الأمصار، والتنطق بها مما يلي الكاف هي لغة هذا الجيل البدوي. وبهذا يتدفع ما قاله

أهل البيت [عن]<sup>(د)</sup> فساد الصلاة بتركها في أم القرآن؛ فإن فقهاء الأمصار كلهم على

خلاف ذلك، وبعيد أن يكونوا أهملوا ذلك؛ فوجهه ما قلناه.

نعم، نقول: إن الأزجج والأولى ما ينطق به أهل الجيل البدوي، لأن تواترها

فيهم - كما قد قدمناه - شاهد بأنّها لغة الجيل الأول من سلفهم، وأنها لغة النبي ﷺ. 10

ويرجح ذلك أيضاً إدغامهم لها في الكاف، لتقارب المخرجين. ولو كانت كما

ينطق بها أهل الأمصار من أضل الحنك، لما كانت قريبة المخرج من الكاف ولم تدغم.

ثم إن أهل العربية قد ذكروا هذه القاف القريبة من الكاف، وهي التي

ينطق بها أهل الجيل البدوي من العرب لهذا العهد، وجعلوها<sup>(هـ)</sup> متوسطة بين

مخرجي القاف والكاف على أنها حرف مستقل، وهو بعيد. والظاهر أنها من آخر 15

مخرج القاف، لاتساعه كما قلناه.

(أ) ما بين النجمين (من هنا إلى آخر الفصل) ملحوظ في بطاقة ملصقة في ع، ونقلتها عنها ط ج، ولم يرد في ي (ب) سقط من

ج (ج) في ع بخطه: هو، وعدلناه بما هو الأصوب (د) ظ: من (هـ) كذلك كانت في ع، ثم كُتب فوقها: وزعموا، ثم عاد إلى

الأولى بكلمة صح فوقها .

ثم إنهم يُصرّحون باستهجانِه واستفباجِه، كأنهم لم يصحّ عندهم أنّها لغة الجيل الأول. وفيما ذكرناه من اتّصال نُطقهم بها، لأنهم إنّما ورثوها من سلفهم جيلاً بعد جيل، وأنّها شعارهم الخاصّ بهم، دليلٌ على أنّها لغة ذلك الجيل الأوّل، ولُغة النبي ﷺ، كما تقدّم ذلك كلّهُ.

- 5 وقد يزعم زاعم / أنّ هذه القاف التي يتطوّل بها أهل الأمصار ليست من هذا الحرف، وأنّها إنّما جاءت من مخالطتهم للعجم، وأنهم يتطوّلون بها كذلك، فليست من لغة العرب. لكنّ الأقيس ما قدّمناه من أنّها حرف واحد، مُتّسع المخرج. فتفهّم ذلك. والله الهادي المبين<sup>(١)</sup>.

## 48 • فصل، في أنّ لغة<sup>(ب)</sup> الحضّر والأمصار لغة قائمة بنفسها مخالفة للغة مضر

اعلم أنّ عُرْف التّخاطب في الأمصار وبين الحضّر، ليس بلغة مضر القديمة ولا بلغة أهل الجيل، بل هي لغة أخرى قائمة بنفسها، بعيدة عن لغة مضر وعن لغة هذا الجيل العربيّ الذي لعهدنا. وهي عن لغة مضر أبعد.

فأمّا أنّها لغة قائمة بنفسها، فهو ظاهر، يشهد له ما فيها من التّغاير الذي يُعدّ عند أهل صناعة النّحو لحناً. وهي مع ذلك تختلف باختلاف الأمصار في

(١) آخر الملحق في البطاقة الملتصقة في ع، ونقلها عنها ط ج، ولم يرد في ي (ب) في ع: لغة أهل الحضّر.

اضطلاحاتهم. فلغة أهل المشرق مُباينةٌ بعض الشيء للغة أهل المغرب، وكذا أهل الأندلس معها. وكلُّ منهم متوصِّلٌ بلغته إلى تأدية مقصوده والإبانة عمّا في نفسه. وهذا معنى اللسان واللغة. وفقدان الإغراب ليس بضائرٍ لهم، كما قلناه في لغة العرب لهذا العهد.

5 وأما أنها أبعدُ عن اللسان [الأول من لغة هذا الجيل، فلأنَّ البُعدَ عن اللسان] <sup>(أ)</sup> إنّما هو بمخالطة العجم <sup>(ب)</sup>. فمن [خالط] <sup>(ج)</sup> العجم أكثرَ كانت لغته عن ذلك <sup>(د)</sup> اللسان الأصلي أبعد. لأنَّ الملكة إنّما تحصلُ بالتَّعليم، كما قلناه. وهذه ملكة مُنتزجةٌ من الملكة الأولى التي كانت للعرب، والملكة الثانية التي للعجم. فعلى مقدار ما يسمعونَه من العجمة ويُرَبُّونَ عليه، يَنعُدونَ عن الملكة الأولى.

10 واعتبر ذلك في أمصار إفريقية والمغرب والأندلس والمشرق. أمّا إفريقية والمغرب، فخالط <sup>(هـ)</sup> العرب فيها البرابرة من العجم لوفور عُمرانها بهم، ولم يكذَّ يخلو عنها مضرٌّ ولا جيلٌ. فعَلَبَتِ العجمة على اللسان العربي الذي كان لهم، وصارت لغة أخرى ممتزجة. والعجمة فيها أغلب لما ذكرناه، فهي عن اللسان / الأول أبعد. وكذا المشرق لما غلب [العرب] <sup>(و)</sup> على أممه من فارس والترك، فخالطوهم وتداولت <sup>(ز)</sup> بينهم لغاتهم في الأكرّة والفلاحين والسَّبي الذين اتخذوهم خولاً وداياتٍ وأطاراً ومراضع، 15 ففسدت لغتهم بفساد الملكة، حتّى انقلبت لغة أخرى. وكذا أهل الأندلس مع عجم الجلائقة والإفرنجية. وصار أهل الأمصار كلُّهم من هذه الأقاليم أهلَ لغةٍ أخرى مخصوصة

(أ) من حاشية ع وحدها (ب) ع: العجمة (ج) من ع، وفي ط ج ي: خالطه العجم (د) من ع، وفي ط ج ي: هذا

(هـ) ط ج ي: مخالطه (و) من حاشية ع وحدها (ز) من ع ج، وفي ط ي: وتداولت، خطأ.

بهم، تُخَالِفُ لُغَةً مُضَرَّ، وَيُخَالِفُ أَيْضاً بَعْضُهَا بَعْضاً كَمَا نَذَكُرُهُ. وَكَأَنَّهَا لُغَةٌ أُخْرَى لَا سِتِّحْكَامَ مَلَكْتِهَا فِي أَجْيَالِهِمْ. وَ﴿اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ [سورة آل عمران، من الآية 47].

## 49 • فِصْلٌ، فِي تَعْلَمِ اللِّسَانِ الْمُضَرِّيِّ

اعْلَمْ أَنَّ مَلَكَةَ اللِّسَانِ الْمُضَرِّيِّ لِهَذَا الْعَهْدِ قَدْ ذَهَبَتْ وَفَسَدَتْ. وَلُغَةُ أَهْلِ  
5 الْجِيلِ كُلِّهِمْ مُغَايِرَةٌ لِلُّغَةِ مُضَرَّ الَّتِي نَزَلَ بِهَا الْقُرْآنُ. وَإِنَّمَا هِيَ لُغَةٌ أُخْرَى مِنْ امْتِزَاجِ  
الْعُجْمَةِ بِهَا، كَمَا قَدَّمْنَاهُ. إِلَّا أَنَّ اللِّغَاتِ لَمَّا كَانَتْ مَلَكَاتٍ، كَمَا مَرَّ، كَانَ تَعَلُّمُهَا مُمَكِّناً،  
شَأْنٌ سَائِرُ الْمَلَكَاتِ.

وَوَجْهُ التَّعْلِيمِ لِمَنْ يَبْتَغِي هَذِهِ الْمَلَكَةَ وَيَرُومُ تَحْصِيلَهَا، أَنْ يَأْخُذَ نَفْسَهُ  
بِحِفْظِ كَلَامِهِمُ الْقَدِيمِ الْجَارِي عَلَى أَسَالِيهِمْ مِنَ الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ، وَكَلَامِ السَّلَفِ،  
10 وَمُخَاطَبَاتِ فُحُولِ الْعَرَبِ فِي أَشْجَاعِهِمْ وَأَشْعَارِهِمْ، وَكَلَامِ<sup>(1)</sup> الْمَوْلَدِينَ أَيْضاً فِي سَائِرِ  
فُنُونِهِمْ، حَتَّى يَتَنَزَّلَ لِكَثْرَةِ حِفْظِهِ لِكَلَامِهِمْ مِنَ الْمَنْظُومِ وَالْمَنْثُورِ مَنَزَلَةً مِنْ نَشْأَ بَيْنَهُمْ  
وَلَقِنَ الْعِبَارَةَ عَنِ الْمَقَاصِدِ مِنْهُمْ. ثُمَّ يَتَصَرَّفُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي التَّعْبِيرِ عَمَّا فِي ضَمِيرِهِ، عَلَى  
حَسَبِ عِبَارَاتِهِمْ وَتَأْلِيفِ كَلِمَاتِهِمْ وَمَا وَعَاهُ وَحَفِظَهُ مِنْ أَسَالِيهِمْ وَتَرْتِيبِ أَلْفَاظِهِمْ.  
فَتَحْصُلُ لَهُ هَذِهِ الْمَلَكَةُ بِهَذَا الْحِفْظِ وَالِاسْتِغْمَالِ، وَتَزْدَادُ بِكَثَرَتِهَا رُسُوخاً وَقُوَّةً.

15 وَيَحْتَاجُ مَعَ ذَلِكَ إِلَى سَلَامَةِ الطَّنْعِ، وَالتَّقَهُمِ الْحَسَنِ لِمَنَازِعِ الْعَرَبِ وَأَسَالِيهِمْ  
فِي التَّرَاكِبِ، وَمُرَاعَاةِ التَّطْبِيقِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ مُقْتَضِيَاتِ الْأَحْوَالِ. / وَالذَّوْقُ يَشْهَدُ لَذَلِكَ.

[402 أ]

(1) ع: كلمات.

وهو ينشأ من هذه الملكة والطبع السليم فيها، كما نذكر بعد. وعلى قدر المحفوظ وكثرة الاستعمال تكون جودة القول المؤلف<sup>(1)</sup> نظماً ونثراً. ومن حصل على هذه الملكات فقد حصل على لغة مضر، وهو الناقد البصير بالبلاغة فيها؛ وهكذا ينبغي أن يكون تعلمها. ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [سورة البقرة، من الآية 213].

50 • فصل، في أن ملكة هذا اللسان غير صناعة العريّة، ومُسْتَغْنِيَةٌ عنها في التعليم

والسبب في ذلك، أن صناعة العريّة إنما هي معرفة قوانين هذه الملكة ومقاييسها خاصة. فهو علمٌ بكيفية، لا نفسٌ بكيفية. فليست نفس الملكة، وإنما هي بمثابة من يعرف صناعة من الصنائع علماً ولا يحكمها عملاً، مثل أن يقول بصير بالحيطة غير مُحَكِّمٍ لملكيتها في التعبير عن بعض أنواعها: الحيطة هي أن تدخل الخيط 10 في خزّ الإبرة، ثم تغرزها في لفقي الثوب مجتمعين، وتخرجها من الجانب الآخر بمقدار كذا، ثم تردّها إلى حيث ابتدأت، وتخرجها قدام منفذها الأول بمطرح ما بين الثقبين الأولين. ثم يتمادى على وصفه إلى آخر العمل، ويُعطى صورة الحَبْك والتَّثْبِيت<sup>(ب)</sup> والتفتيح وسائر أنواع الحيطة وأعمالها؛ وهو إذا طوّل أن يعمل ذلك بيده لا يحكم منه شيئاً.

وكذا لو سُئِلَ عالمٌ بالتجارة عن تفصيل الخشب، فيقول: هو أن تُصَعَّ المنشار

(1) ج ي: المصنوع، وكذلك كانت في ع، ثم شطبت واستبدلت بما أثبتناه (ب) كذا في الأصول، ولعلها: التثبيت.

على رأس الخشبة، وتُمسك بطرفه، وآخر قبالتك نمسك بطرفه الآخر، وتعاقبانه  
بينكما، وأطرافه المضرسة المحددة تقطع ما مرت عليه ذاهبةً وجائئةً، إلى أن تنتهي  
إلى أسفل الخشبة. وهو لو طوِّب بهذا العمل أو شيء منه، لم يُحْكَم.

وهكذا<sup>(1)</sup> هو العلم بقوانين الإعراب مع هذه الملكة في نفسها، فإن العلم  
5 بقوانين الإعراب إنما هو علمٌ بكيفية العمل [و] <sup>(ب)</sup> ليس هو نفس العمل. / ولذلك [402ب]  
نجد كثيراً من جهالة النحاة والمهرة في صناعة العربية المحيطين علماً بتلك القوانين، إذا  
سئل في كتاب سطرين إلى أخيه أو ذي مودته، أو شكوى ظلامة أو قضي من  
قصوده، أخطأ فيها الصواب، وأكثر من اللحن، ولم يجد تأليف الكلام لذلك والعبارة  
عن المقصود فيه على أساليب اللسان العربي.

وكذا نجد كثيراً ممن يُحسِن هذه الملكة، ويُجيد الفتيان من المنظوم والمنثور،  
10 وهو لا يُحسِن إعراب الفاعل من المفعول، ولا المرفوع من المجرور، ولا شيئاً من  
قوانين صناعة العربية. فمن هنا تعلم أن تلك الملكة هي غير صناعة العربية، وأنها  
مُسْتَعْنِيَةٌ عنها بالجملة.

وقد نجد بعض المهرة في صناعة الإعراب، بصيراً بحال هذه الملكة، وهو  
15 قليل واتفاقي. وأكثر ما يقع للمخالطين لكتاب سيبويه، فإنه لم يقتصر على قوانين  
الإعراب فقط، بل ملأ كتابه من أمثال العرب وشواهد أشعارهم وعباراتهم؛ فكان  
فيه جزء صالح من تعليم هذه الملكة، فتجد العاكف عليه والمحصل له قد حصل على

(1) ي: وهنا (ب) من ع وحدها .



حظاً من كلام العرب، واندَرَجَ في مَحْفُوظِهِ في أَمَاكِنِهِ وَمَفَاصِلِ حَاجَاتِهِ، وَتَنَبَّهَ [به] <sup>(١)</sup> لَشَأْنِ الْمَلِكَةِ فَاسْتَوَى تَعْلِيمَهَا، فَكَانَ أَبْلَغَ فِي الْإِفَادَةِ.

وَمِنْ هَؤُلَاءِ الْمُخَالِطِينَ لِكِتَابِ سَيِّئَوَيْهِ، مَنْ يَغْفُلُ عَنِ التَّقْطُنِ لِهَذَا، فَيَحْصُلُ عَلَى عِلْمِ اللِّسَانِ [صِنَاعَةً] <sup>(ب)</sup>، وَلَا يَحْصُلُ عَلَيْهِ مَلَكَةٌ.

وَأَمَّا الْمُخَالِطُونَ لِكِتَابِ الْمُتَأَخِّرِينَ، الْعَارِيَةِ مِنْ ذَلِكَ، إِلَّا مِنَ الْقَوَانِينِ النُّحَوِيَّةِ 5  
مَجْرَدَةً عَنْ أَشْعَارِ الْعَرَبِ وَكَلَامِهِمْ، فَقَلَّ مَا يَشْعُرُونَ لَذَلِكَ بِأَمْرِ هَذِهِ الْمَلِكَةِ أَوْ  
يَتَنَبَّهُونَ لَشَأْنِهَا. فَتَجِدُهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ قَدْ حَصَلُوا عَلَى رَتْبَةٍ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ، وَهُمْ  
أَبْعَدُ النَّاسِ عَنْهُ.

وَأَهْلُ صِنَاعَةِ الْعَرَبِيَّةِ بِالْأَنْدَلُسِ وَمُعَلِّمُوهَا، أَقْرَبُ إِلَى تَحْصِيلِ هَذِهِ الْمَلِكَةِ  
وَتَعَلُّمِهَا مِنْ <sup>(ج)</sup> سِوَاهُمْ، لِقِيَامِهِمْ فِيهَا / عَلَى شَوَاهِدِ الْعَرَبِ وَأَمْثَالِهِمْ، وَالتَّفَقُّهِ فِي الْكَثِيرِ 10  
مِنَ التَّرَاكِبِ فِي مَجَالِسِ تَعْلِيمِهِمْ. فَيَسْبِقُ إِلَى الْمُبْتَدِئِ كَثِيرٌ مِنَ الْمَلِكَةِ أَثْنَاءَ التَّعْلِيمِ،  
فَتَنْطَبِعُ النَّفْسُ بِهَا وَتَسْتَعِدُّ إِلَى تَحْصِيلِهَا وَقَبُولِهَا.

وَأَمَّا مِنْ <sup>(د)</sup> سِوَاهُمْ مِنْ أَهْلِ الْمَغْرِبِ وَإِفْرِيقِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ، فَأَجْرُوا صِنَاعَةَ الْعَرَبِيَّةِ  
مَجْرَى الْعُلُومِ بَحْثًا، وَقَطَعُوا النَّظَرَ عَنِ التَّفَقُّهِ فِي تَرَكَيبِ كَلَامِ الْعَرَبِ، إِلَّا إِنْ أَغْرَبُوا  
شَاهِدًا، أَوْ رَجَّحُوا [مَعْنَى] <sup>(هـ)</sup> مِنْ جِهَةِ الْاِقْتِضَاءِ الذَّهْنِيِّ، لَا مِنْ جِهَةِ مَحَامِلِ اللِّسَانِ 15  
وَتَرَكَيبِهِ. فَأَصْبَحَتْ صِنَاعَةُ الْعَرَبِيَّةِ [عِنْدَهُمْ] <sup>(و)</sup> كَأَنَّهَا مِنْ جُمْلَةِ قَوَانِينِ الْمُنْطِقِ الْعَقْلِيَّةِ

(١) سقط من ط (ب) في ط ج ي: ملكة، وكانت كذلك في أصل ع، ثم استبدلها في الحاشية بخطه: صناعة (ج) كذا في ع، وفي ط ج ي: تم (د) مقحمة في نسخة ع، وسقطت من البقية (هـ) من ع، وفي بقية الأصول: ذهناً (و) مقحمة في ع، وسقطت من بقية الأصول.

والجدل، وتعدت عن مناحي اللسان وملكته. وأفاد ذلك حملتها في هذه الآفاق وأمصارها البغد عن الملكة بالكليّة؛ وكأنّهم لا ينظرون في كلام العرب، وما ذلك إلا لغدوهم عن البحث في شواهد اللسان وتراكيبه وتقييز أساليبه، وغفلتهم عن الميزان في ذلك للمتعلم. فهو أحسن ما يفيدُه الملكة في اللسان؛ وتلك القوانين، إنّما هي وسائل للتعليم؛ لكنهم أجروها على غير ما قصد بها، وأصاروها علماً بحتاً، وتعدوا 5 عن ثمرتها.

وتعلم مما قررناه في هذا الباب، أنّ حصول ملكة اللسان العربيّ، إنّما هو بكثرة الحفظ من كلام العرب حتى يزتسم في خياله المنوال الذي نسجوا عليه تراكيبهم، فينسج هو عليه، ويتنزل بذلك منزلة من نشأ معهم وخالط عباراتهم في كلامهم، حتى حصلت له الملكة المستقرّة في العبارة عن المقاصد على نحو كلامهم. 10 والله مقدّر [الأمور] <sup>(1)</sup>.

51 • فصل، في تفسير لفظة <sup>(ب)</sup> الذوق في مصطلح أهل البيان، وتحقيق معناها، وبيان أنها لا تحصل غالباً للمستعربين من العجم

اعلم أنّ لفظة الذوق، يتداولها المعنيون بفنون البيان، ومعناها حصول 15 ملكة البلاغة للسان. وقد مرّ تفسير البلاغة، / وأنها مطابقة الكلام للمعنى من جميع وجوهه بخواصّ تقع للتراكيب في إفادة ذلك. فالتكلم بلسان العرب والبلغ فيه،

(1) ظ: الليل والنهار (ب) سقط من ي .

يتحرى الهيئة<sup>(١)</sup> المفيدة لذلك على أساليب العرب وأنحاء مخاطباتهم، وينظم الكلام على ذلك الوجه مجده. فإذا اتصلت معاناته لذلك بمخالطة كلام العرب، حصلت له الملكة في نظم الكلام على ذلك الوجه، وسهل عليه أمر التركيب حتى لا يكاد يخطئ فيه عن منحنى البلاغة التي للعرب. وإن سمع تركيباً غير جارٍ على ذلك المنحنى مجده ونبا عنه سمعه بأذن فكر، بل وبغير فكر، إلا بما استفادته من حصول هذه الملكة. 5 فإن الملكات إذا استقرت ورسخت في محالها، ظهرت كأنها طبيعة وجبلة لذلك المحل. ولذلك يظن كثير من المغفلين ممن لم يعرف شأن الملكات، أن الصواب للعرب في لغتهم إغراباً وبلاغة أمر طبيعي، ويقول: كانت العرب تنطق بالطبع، وليس كذلك. وإنما هي ملكة لسانية في نظم الكلام تمكنت ورسخت، فظهر في بادئ الرأي أنها جبلة وطبع.

10

وهذه الملكة، كما تقدم، إنما تحصل بممارسة كلام العرب وتكرره على السمع، والتفطن لخواص تراكيبه. وليست تحصل بمعرفة القوانين العلمية في ذلك التي استنبطها أهل صناعة البيان، فإن هذه القوانين إنما تُفيد علماً بذلك اللسان، ولا تُفيد حصول الملكة بالفعل في محلها. وقد مر ذلك.

وإذا تقرر ذلك، فملكة البلاغة في اللسان، تُهدي البليغ إلى وجوه النظم 15 وحسن التركيب، الموافق لتراكيب العرب في لغتهم ونظم كلامهم. ولو رام صاحب هذه الملكة خيلاً عن هذه السبيل المعينة والتراكيب المخصوصة لما قدر عليه، ولا وافقه

(١) ي : الفة .

عليه لسانه؛ لأنه لا يعتاده ولا تهديه إليه ملكته الراسخة عنده. وإذا عُرِضَ عليه الكلام حائداً عن أسلوب العرب وتلاغيتهم في نظم كلامهم؛ أعرَضَ عنه / ومَجَّهْ، [404] وعَلِمَ أنه ليس من كلام العرب الذين مارس كلامهم. وربما يعجز عن الاختجاج لذلك، كما يصنع أهل القوانين التحويتية والبياتية، فإن ذلك استدلالٌ بما حصل من القوانين المفادة بالاستقراء، وهذا أمرٌ وجدائيٌ حاصلٌ بممارسة كلام العرب، حتى 5 يصير كواحدٍ منهم.

ومثاله: لو فرضنا صبيّاً من صبيانهم، نشأ وربّي في جيلهم، فإنه يتعلّم لغتهم ويحكم شأن الإغراب والبلاغة فيها حتى يستولي على غايتها، وليس من العلم القانوني في شيء، وإنّا هو بحصول هذه الملكة في لسانه ونطقه. وكذلك تحصل هذه الملكة لمن بعد ذلك الجيل بحفظ كلامهم وأشعارهم وخطبهم والمداومة على ذلك، 10 بحيث تحصل الملكة ويصير كواحدٍ ممن نشأ في جيلهم وربّي بين [أخيائهم]<sup>(1)</sup>. والقوانين بمعزل عن هذا.

واستعير لهذه الملكة عندما ترسخ وتستقر اسم الذوق، الذي اصطلح عليه أهل صناعة البيان. والذوق إنّما هو موضوع لإدراك الطعوم، لكن لما كان محلّ هذه الملكة في اللسان من حيث النطق بالكلام، كما هو محلّ لإدراك الطعوم، 15 استعير لها اسمه. وأيضاً فهو وجدائيٌ للسان، كما أنّ الطعوم محسوسة له. ف قيل له: ذوق.

(1) من ع، وفي ط ج ي: أحيالهم.

وإذا تبين لك ذلك، عَلِمْتَ منه أَنَّ الأعاجمَ الدّاخلين في اللّسان العربيّ،  
الطارئين عليه، المضطّرين إلى التّطرق به لمخالطة أهله، كالفرس والرّوم والتّرك  
بالمشرق، وكالبَرْبر بالمغرب، فإنّه لا يَحْضِلُ لهم هذا الذّوق، لقصور حَظهم في هذه  
الملّكة الّتي قَرَرنا أمرها. لأنّ قُصاراهُم بعد طائفة من العُمر، وسبقِ ملكةٍ أخرى إلى  
[لسانهم]<sup>(١)</sup>، وهي لغاتهم، أن يَعتنوا بما يَتداوَلُه أهلُ المِصرَ بينهم في المُحاوَرَة من  
مُفردٍ ومركّبٍ، لما يُضطرّون إليه من ذلك.

[404ب] وهذه الملّكة قد ذهبَتْ لأهلِ الأُمصارِ ويَعُدّوا عنها، / كما تقدّم. وإنّا لهم  
في ذلك مَلَكَة أُخْرَى، وليست هي مَلَكَة اللّسان المطلوبَة. ومن عَرَفَ أَحكامَ تلك  
الملّكة من القَوانين [المُسْتَطَرَة]<sup>(ب)</sup> في الكُتب، فليس من تَحْصِيلِ الملّكة في شيء،  
إنّا حَصَلْ أَحكامُها، كما عَرَفْت. وإنّا تَحْصُلُ هذه الملّكة بالمُمارَسة والاعتِبادِ والتّكرّرِ  
لكلامِ العَرَب. فإن عَرَضَ لك ما تَسْمَعُه من أَنَّ سَيِّئِيهِ والفارسيّ والزّمخشرّي  
وأمثالهم من فُزسانِ الكلام كانوا أعْجَماً مع حُصولِ هذه الملّكة لهم، فاعْلَمْ أَنَّ أولئك  
القوم الذين تَسْمَعُ عنهم، إنّا كانوا عَجَماً في نَسَبِهِمْ فقط، وأمّا المَرْبِي والنَّشْأَة، فكانت  
يَبْنِي أهلُ هذه الملّكة من العَرَبِ ومن تَعَلَّمها منهم. فاستَوَلَوْا بذلك من الكلام على  
غاية لا ورائها، وكانهم في أوّلِ نَشَأَتِهِمْ بمنزلةِ الأصاغرِ من العَرَبِ الذين نَشَأُوا في  
[أحيائهم]<sup>(ج)</sup>، حتّى أدركوا كُنْهَ اللّغة وصاروا من أهلها. فهم وإن كانوا عَجَماً في  
النَّسَبِ، فليُسموا بأعْجَامٍ في اللّغة والكلام؛ لأنّهم أدركوا المِلَّةَ في عُقُوبَتِها، واللّغَةَ في

(١) من ع، وفي ظ ج ي: اللسان (ب) ظ: المسطرة (ج) ج: أجيالهم.

شبابها، ولم تذهب آثارُ الملكة [منها]<sup>(١)</sup> ولا من أهل الأمصار. ثم عكفوا على المدارس والممارسة لكلام العرب، حتى استولوا على غايته.

5 والواحد اليوم من العجم إذا خالط أهل اللسان العربي بالأمصار، فأول ما تجد تلك الملكة المقصودة من اللسان العربي مُتَحَيَّة الآثار، وتجد ملكتهم الخاصة بهم ملكة أخرى مخالفة لملكة اللسان العربي. ثم إذا فرضنا أنه أقبل على الممارسة 10 لكلام العرب وأشعارهم بالمدارس والحفظ ليستفيد تحصيلها، فقل أن تحصل له، لما قدّمناه من أن الملكة إذا سبقها ملكة أخرى في المحل، فلا تحصل إلا ناقصة مخدوشة<sup>(ب)</sup>. وإن فرضنا عجمياً<sup>(ج)</sup> في النسب سلم من مخالطة اللسان الأعجمي بالكلية، وذهب إلى تعلم هذه الملكة بالحفظ والمدارس، فربما يحصل له ذلك، لكنه 10 من الدور بحيث لا يخفى عليك بما تقرّر.

وربما يدعي كثير ممن ينظر في هذه القوانين البيانية / حصول هذا الذوق له [405] بها، وهو غلط أو مغالطة؛ وإنما حصلت له الملكة، إن حصلت، في تلك<sup>(د)</sup> القوانين البيانية. وليس من ملكة العبارة في شيء. ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [سورة البقرة، من الآية 213].

(١) ألحقت في ع، ولم تثبت بقية النسخ (ب) ع: مخدوشة (ج) ع: أعجمياً (د) ع: تلك .

52 • فَضْلٌ ، فِي أَنَّ أَهْلَ الْأَمْصَارِ عَلَى الْإِطْلَاقِ قَاصِرُونَ فِي تَحْصِيلِ هَذِهِ  
الْمَلَكَةِ اللَّسَانِيَّةِ الَّتِي تُسْتَفَادُ بِالتَّعْلِيمِ ، وَمَنْ كَانَ مِنْهُمْ أَبْعَدَ عَنِ  
اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ ، كَانَ حُصُولُهَا عَلَيْهِ أَصْعَبَ

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ : مَا سَبَقَ <sup>(أ)</sup> إِلَى الْمُتَعَلِّمِ مِنْ حُصُولِ مَلَكَةِ مُنَافِيَةٍ لِلْمَلَكَةِ  
الْمَطْلُوبَةِ ، بِمَا سَبَقَ <sup>(ب)</sup> إِلَيْهِ مِنَ اللِّسَانِ الْحَضَرِيِّ الَّذِي أَفَادَتْهُ الْعُجْمَةُ ، حَتَّى نَزَلَ بِهَا 5  
اللِّسَانُ عَنْ مَلَكِيَّتِهِ الْأُولَى إِلَى مَلَكَةِ أُخْرَى ، هِيَ لُغَةُ الْحَضَرِ لِهَذَا الْعَهْدِ . وَلِهَذَا نَجِدُ  
الْمُعَلِّمِينَ يَذْهَبُونَ إِلَى الْمُسَابَقَةِ بِتَعْلِيمِ اللِّسَانِ لِلْوِلْدَانِ ، وَيَعْتَقِدُ النَّحَاةُ أَنَّ هَذِهِ الْمُسَابَقَةَ  
بِصَنَاعَتِهِمْ ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ . وَإِنَّمَا هِيَ بِتَعْلِيمِ هَذِهِ الْمَلَكَةِ بِمُخَالَطَةِ اللِّسَانِ وَكَلَامِ الْعَرَبِ .  
نَعَمْ ، صِنَاعَةُ التَّحْوِ أَقْرَبُ إِلَى مُخَالَطَةِ ذَلِكَ .

10 وما كَانَ مِنْ لُغَاتِ أَهْلِ <sup>(ج)</sup> الْأَمْصَارِ أَعْرَقَ فِي الْعُجْمَةِ وَأَبْعَدَ عَنِ لِسَانِ  
مُضَرَ ، قَصَرَ بِصَاحِبِهِ عَنْ تَعَلُّمِ اللُّغَةِ الْمُضَرِّيَّةِ وَحُصُولِ مَلَكَتِهَا ، لِتَمَكُّنِ الْمُنَافَاةِ حِينَئِذٍ .  
وَاعْتَبِرْ ذَلِكَ فِي أَهْلِ الْأَقْطَارِ ؛ فَأَهْلُ إِفْرِيقِيَّةَ وَالْمَغْرِبِ لَمَّا كَانُوا أَعْرَقَ فِي  
الْعُجْمَةِ وَأَبْعَدَ عَنِ اللِّسَانِ الْأَوَّلِ ، كَانَ لَهُمْ قُصُورٌ تَامٌّ فِي تَحْصِيلِ مَلَكَتِهِ بِالتَّعْلِيمِ .  
وَلَقَدْ نَقَلَ ابْنُ الرَّقِيقِ أَنَّ <sup>(د)</sup> بَعْضَ كُتَّابِ الْقَيْرَوَانِ كَتَبَ إِلَى صَاحِبِهِ لَهُ :

15 " يَا أَخِي وَمَنْ لَا عَدِمْتُ فَقَدَهُ ، أَعَلَمَنِي أَبُو سَعِيدٍ كَلَاماً أَنَّكَ كُنْتَ  
ذَكَرْتَ أَنَّكَ تَكُنْ مَعَ الزَّيْتِ تَأْتِي ، وَعَاقَبْنَا الْيَوْمَ فَلَمْ يَهَيِّئْ لَنَا الْخُرُوجَ . وَأَمَّا أَهْلُ الْمَنْزِلِ

(أ) ع : يسبق (ب) ي : سبق (ج) في ع ظ (د) سقط من ج ي .

الكلاب من أمر التبن، فقد كذبوا، هذا باطلاً ليس من هذا حرفاً واحداً . وكتابي إليك وأنا مشتاق إليك". وهكذا كانت ملكتهم في اللسان المضري ، وسببه ما ذكرناه.

وكذلك أشعارهم ، كانت بعيدة من الملكة، نازلة عن الطبقة . ولم تنزل  
5 كذلك ولهذا العهد . وما كان / بإفريقية من مشاهير الشعراء إلا ابن رشيقي وابن  
[405ب] شرف. وأكثر ما يكون فيها الشعراء طارئین عليها. ولم تنزل طبقتهم في البلاغة حتى  
الآن مائلة إلى القصور. وأهل الأندلس أقرب منهم إلى تحصيل هذه الملكة بكثرة  
معاناتها وامتلائهم من المحفوظات اللغوية نظماً ونثراً. وكان فيهم ابن حيان المؤرخ،  
إمام أهل الصناعة في هذه الملكة ورافع الراية لهم فيها، وابن عبد ربّه، والقسطلّي،  
10 وأمثالهم من شعراء ملوك الطوائف، لما زخرت فيها بحار اللسان والأدب، وتداول  
ذلك فيهم مئين من السنين، حتى كان الانقراض والجلاء أيام تغلب التصريّة،  
وشغلوا عن تعلّم ذلك، وتناقص العمران، فتناقص ذلك، شأن الصنائع كلّها. فقصرت  
الملكة فيهم عن شأنها حتى بلغت الحضيض.

وكان من آخرهم صالح بن شريف، ومالك بن المرحّل، من تلميذ الطبقة  
15 الإشبيلية بسبته. وكانت دولة بني الأحمر في أولها، وألقت الأندلس أفلاذ كبدها  
من أهل تلك الملكة بالجلاء إلى العدو من إشبيلية إلى سبته، ومن شرق الأندلس  
إلى إفريقية. [ثم<sup>(1)</sup>] لم يلبثوا أن انقضوا، و[انقطع<sup>(ب)</sup>] سند تعليمهم في هذه الصناعة،

(1) من حاشية ع، وفي النسخ الأخرى: ولم (ب) ط : وانقض .



لَعَسَ قَبول أَهل العُدوة لها، وصُعوبتها عليهم بِعُوج ألسنتهم ورُسوخهم في العُجمة  
البربرية، وهي مُنافية، لما قلناه.

ثم عادت الملكة بعد ذلك إلى الأندلس كما كانت، ونجم بها ابنُ شبرين،  
وابنُ جابر، وابنُ الجيّاب، وطبقهم، ثم إبراهيم الساجلي الطويجن وطبقته. وقفاهم  
ابن الخطيب من بعدهم، الهالك لهذا العهد شهيداً بسعاية أعدائه، وكان له في اللسان 5  
ملكة لا تُذكر. واتبع أثره تلميذه من بعده. وبالجملة، فشأن هذه الملكة بالأندلس  
أكثر، وتعليمها أسهل وأيسر، بما هم عليه لهذا العهد، كما قدّمناه، من مُعانة علوم  
اللسان ومُحافظتهم عليها، وعلى علوم الأدب وسند / تعليمها، ولأن أهل اللسان [1406]  
العجمي الذي يُفسد ملكتهم إنما هم طارئون عليهم، وليست عُجمتهم أصلاً للغة أهل  
الأندلس. والبربر في هذه العُدوة هم أهلها، ولسانهم لسانها، إلا في الأمصار فقط، 10  
وهو فيها منغمس في بحر عُجمتهم ورطاباتهم البربرية. فيصعبُ عليهم تحصيل الملكة  
اللسانية بالتعليم، بخلاف أهل الأندلس.

وأما المشرق لعهد الأموية والعباسية، فكان شأنه شأن الأندلس في تمام  
هذه الملكة وإجادتها، لبغدهم لذلك العهد\* عن الأعاجم ومُخالطتهم، إلا في القليل.  
فكان أمر هذه الملكة لذلك العهد\*<sup>(1)</sup> أقوم، وكان خول الشعراء والكتاب لعهدهم 15  
أوفر، لتوفر العرب وأبنائهم بالمشرق.

وانظر ما اشتمل عليه كتاب الأغاني من نظمهم ونثرهم، فإن ذلك الكتاب

(1) سقط ما بين النجمين من ج .

هو كتاب العرب وديوانهم، فيه لغتهم وأخبارهم وأيامهم وملتهم العريّة وسير نبّهم وآثار خلفائهم وملوكهم وأشعارهم وغناؤهم وسائر أحوالهم<sup>(١)</sup>. فلا كتاب أوعب منه لأحوال العرب. وبقي أمر هذه الملكة مستحكماً بالمشرق في الدولتين. وربما كانت فيهم أبلغ من سواهم ممن كان في الجاهليّة، كما نذكره بعد. حتّى تلاشى أمر العرب، ودرست لغتهم، وفسد كلامهم، وانقضى أمرهم ودولهم، وصار الأمر للأعاجم والملوك في أيديهم والتغلّب لهم، وذلك في دولة الدّيلم والسلجوقيّة. وخالطوا أهل الأمصار [وكثروهم، فامتلات الأرض بلغاتهم، واستولت العجمة على أهل الأمصار]<sup>(ب)</sup> والحوضر حتّى [بغدوا]<sup>(ج)</sup> عن اللسان العربي وملكيته، وصار متعلّمها منهم مقصراً عن تحصيلها. وعلى ذلك نجد لسانهم لهذا العهد في فني المنظوم والمنثور، وإن كانوا كثيرين منه. والله ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [سورة القصص، من الآية 68]. 10

### 53 • فصل، في انقسام الكلام إلى فني النظم والنثر

اعلم أنّ لسان العرب وكلامهم على فنيّين، في الشّعر والمنظوم، / وهو [406ب] الكلام الموزون المقفى، ومعناه، الذي تكون أوزانه كلّها على رويّ واحد، وهو القافية، وفي النثر، وهو الكلام غير الموزون. وكلّ واحد من الفتيّين يشتمل على فنون [مذاهب]<sup>(د)</sup> في الكلام. 15

فأمّا الشّعر، فمنه المدح، والشّجاعة، والرّثاء.

(١) في ظ ج ي: معانيهم لهم (ب) من حاشية ع بخطه، ولم تنقل في بقية النسخ (ج) من ع، وفي ظ ج ي: بغد (د) كذا في ع ج ي، وفي ظ: وسائل

وأما التثنية، فمنه المسجّع، وهو الذي يؤتى به قطعاً قطعاً ويلتزم [فيه، أو]<sup>(١)</sup> في كل كلمتين منه، قافية واحدة تسمى سجعاً. ومنه المرسل، وهو الذي يُطلق فيه الكلام إطلاقاً ولا يُقطع أجزاء، بل يُرسل إرسالاً من غير تقييد بقافية ولا غيرها. ويُستعمل في الخطب والدعاء، وترغيب الجمهور وترهيبهم.

- 5 وأما القرآن، وإن كان من المنثور، إلا أنه خارج عن الوصفين. وليس يُسمى مُرسلاً مطلقاً ولا مسجّعاً، بل هو مفضل<sup>(ب)</sup> آيات تنهي إلى مقاطع يشهد الذوق بانتهاء الكلام عندها، ثم يعاد الكلام في الآية الأخرى بعدها، ويثنى من غير التزام حرف يكون سجعاً ولا قافية. وهو معنى قوله تعالى: ﴿نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي نَقَّشَ مِنْهُ جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ [سورة الزمر، من الآية 23]. وقال: ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ﴾ [سورة الأنعام، من الآية 97]. \* وسمي آخر<sup>(ج)</sup> الآيات \* فيه فواصل، إذ لیسَتْ أسجاعاً ولا التزم فيها ما يلتزم في السجع، ولا هي أيضاً قوافٍ. وأطلق اسم المثنائي على آيات القرآن كلها على العموم لما ذكرناه. واختص بأسم القرآن، للغلبة فيها، كالتجمل للثريا. ولهذا سُميت السبع المثنائي. وانظر هذا مع ما قاله المفسرون في تعليل تسميتها بالمثنائي يشهد لك الحق برُجحان ما قلناه.

- 15 واعلم أن لكل واحد من هذه الفنون [الشعرية]<sup>(د)</sup> أساليب تختص به عند أهله ولا تصلح للفن الآخر، ولا تُستعمل فيه، مثل النسيب المختص بالشعر، والحمد والدعاء المختص [بالخطب، والدعاء المختص]<sup>(هـ)</sup> بالمخاطبات، وأمثال ذلك.

(١) حاشية من ع لم تكتبها عنها بقية النسخ (ب) ي: تفضل (ج) سقط ما بين النجمين من ج (د) من حاشية ع، وسقط من ط ج ي (هـ) من ع، وسقط من ط.

وقد استعمل المتأخرون أساليب الشعر ومنازعة في المنثور من كثرة

[1407] الأسجاع، والتزام التقيية، وتقديم النسيب / بين يدي الأغراض. وصار هذا المنثور إذا تأملته، من باب الشعر وفنه، ولم يفتقراً إلا في الوزن. واستمر المتأخرون من الكتاب على هذه الطريقة، واستعملوها في المخاطبات السلطانية، وقصروا الاستعمال في المنثور 5 كله على هذا الفن الذي ارتضوه، وخطوا الأساليب فيه، وهجروا المرسل وتناسوه، وخصوصاً أهل المشرق. وصارت المخاطبات السلطانية لهذا العهد عند الكتاب العقل، جارية على هذا الأسلوب الذي أشرنا إليه، وهو غير صواب من جهة البلاغة، لما يلاحظ في تطبيق الكلام على مقتضى الحال من أحوال المخاطب والمخاطب. وهذا الفن المنثور المقتضى أدخل المتأخرون فيه أساليب الشعر، فوجب أن تنزه المخاطبات السلطانية عنه، 10 إذ أساليب الشعر تُباح فيها اللوذة، وخط الجذ بالهزل، والإطناب في الأوصاف، وضرب الأمثال، وكثرة التشبيهات والاستعارات حيث لا تدعو لذلك [كله] <sup>(1)</sup> ضرورة في الخطاب. والتزام التقيية أيضاً من اللوذة والتزيين؛ وجلال الملك والسلطان، وخطاب الجمهور عن الملوك بالترغيب والترهيب، يُنافي ذلك ويأينيه.

والمحمود في المخاطبات السلطانية الترسيل. وهو: إطلاق الكلام وإرساله من

15 غير تسجيع إلا في الأقل النادر، وحيث ترسله الملكة إرسالاً من غير تكلف له، ثم إعطاء الكلام حقه في مطابقتها لمقتضى الحال. فإن المقامات مختلفة، ولكل مقام أسلوب يخصه، من إطناب، [أو] <sup>(ب)</sup> إيجاز، أو حذف، أو إثبات، أو تصريح، أو

(1) من ع وحدها (ب) ط ج ي : و .

[407ب] إشارة ، أو كناية، أو استعارة . وأما إجراء المخاطبات السلطانية على هذا النحو الذي هو على أساليب الشَّعر، فمذمومٌ. وما حَمَلَ عليه أهلُ العُصر إلا استيلاء / العُجْمة على ألسنتهم وقصورهم لذلك عن إعطاء الكلام حقَّه في مطابقته لمقتضى الحال. فعجزوا عن الكلام المرسل لبُعدِ أمدِه في البلاغة وانقِصاح خُطوتِه . وولَّعوا بهذا المُسجَّع، يلقَّون به ما نقصهم من تطبيق الكلام على المقصود ومقتضى الحال فيه، 5 ويَجْبرونه بذلك القدر من التزيين بالأسجاع والألقاب البديعية<sup>(1)</sup>، ويغفلون عمَّا سِوى<sup>(ب)</sup> ذلك. وأكثر من أخذ بهذا المذهب وبالغ فيه في سائر أنحاء كلامهم، كُتَّاب المشرق وشعراؤه لهذا العهد، حتَّى إنهم ليُخلُّون بالإغراب في الكلمات والتَّصريف إذا دخلت لهم في تجنيس أو مطابقة لا يسعان معها، فيرجحون ذلك الصَّنْف من التجنيس ويدعون الإغراب. ويُفسِدون بنية الكلمة، عساها تصادف التَّجنيس. 10 فتأمل ذلك وانتقد بما قدَّمنا لك، نقف على صحَّة ما ذكرناه. والله الموفق.

54 • فصلٌ، في أنَّه لا تتفقُ الإِجادةُ في فنِّي المنظومِ والمنثورِ معاً إلاَّ للأقلِّ

والسَّببُ في ذلك، كما بيَّناه، ملكةٌ في اللسان، فإذا سبقت إلى محلِّه ملكةٌ أخرى قصَّرت بالمحلِّ عن تمام الملكة اللاَّحقة، لأنَّ قبولَ الملكات وحصولها للطَّباع 15 التي على الفِطْرة الأولى أسهلُّ وأيسرُ. وإذا تقدَّمتها ملكاتٌ أخرى كانت منازعةً لها

(1) من ع، وفي ظ ج ي : البديعة (ب) ع : وراء .

في المادّة القابِلة، وعائقة عن سُرعَةِ القَبولِ، فوقعتُ المنافاة، وتعدّرُ التّمامُ في المَلَكَةِ.  
وهذا مَوْجودٌ في الملكاتِ الصّناعيّةِ كلّها على الإطلاق، وقد بَرّهنا عليه في مَوْضِعه  
بَنَحْوِ من هذا البُرْهانِ.

- فاعتبرْ مثله في اللُّغات ، فإنّها ملكاتُ اللّسانِ، وهي بمنزلة الصّناعة ؛ وانظر  
5 من تقدّم له شيءٌ من العُجْمَةِ كيف يكونُ قاصِراً في اللّسانِ العربيّ أبداً. فالأعجميّ  
الَّذي سبقتُ له اللّغة الفارسيّة، لا يَسْتَوِي / على ملكة اللّسانِ العربيّ، ولا يزالُ قاصِراً [408]  
فيه، ولو تعلّمه وتعلّمه. وكذا البربريّ والروميّ والإفرنجيّ، قلّ أن تجد أحداً منهم  
[مُحكِماً]<sup>(1)</sup> لملكَةِ اللّسانِ العربيّ. وما ذلك إلا لما سبق إلى ألسنتهم من ملكة اللّسانِ  
الآخر، حتّى إنّ طالبَ العِلْمِ من أهل هذه الألسن، إذا طلبه بين أهل اللّسانِ العربيّ  
10 ومن كُثُهم، جاء مُقَصِّراً في معارفه عن الغاية والتّخصيل. وما أوتي إلا من قِبَل اللّسانِ.  
وقد تقدّم لك [من قِبَل أن الألسن واللّغات شبيهة بالصّنائع]<sup>(ب)</sup>، و[قد]<sup>(ج)</sup> تقدّم لك أن  
الصّنائع وملكاتها لا تزدحم، وأن من سبقتُ له إجادَةُ ملكة فقلّ أن يُجيدَ أخرى أو  
يَسْتَوِي فيها على الغاية. ﴿وَاللّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [سورة الصّافات، من الآية 96].

## 55 • فَضْلٌ ، فِي صِنَاعَةِ الشَّعْرِ وَوَجْهِ تَعْلَمُهُ

- 15 هذا الفنُّ من فنونِ كلامِ العرب ، وهو المُسمّى بالشَّعرِ عندهم ، ويوجدُ  
في سائر اللّغاتِ، إلّا أنا إنّما نتكلّم الآن في الشعر الذي للعرب. فإن أمكن أن يُجيدَ

(1) سقط من ظ (ب) جاءت مضطربة في ظ والجل في غير مواقعها (ج) سقط من ع .

[فيه] <sup>(أ)</sup> أهل الألسن الأخرى مقصودهم من [كلامنا] <sup>(ب)</sup>، وإلا فلكل لسان أحكام في البلاغة تخصه.

وهو في لسان العرب غريب النزعة، عزيز المنحى، إذ هو كلام يفصل قطعاً قطعاً متساوية في الوزن، متحدة في الحرف الأخير من كل قطعة. وتسمى كل قطعة من هذه القطعات عندهم بيتاً، وتسمى الحرف الأخير الذي تنفق فيه رويّاً 5 وقافية، وتسمى جملة الكلام إلى آخره قصيدة وكلمة.

وينفرد كل بيت منه بإفادته في تراكيبه، حتى كأنه كلام وحده، مستقل عما قبله وبعده، وإذا أفرد كان تاماً في بابه، في مدح أو نسيب أو رثاء. فيخرص الشاعر على إعطاء ذلك البيت ما يستقل به <sup>(ج)</sup> في إفادته. ثم يستأنف في البيت الآخر كلاماً آخر كذلك، ويستطرد للخروج من فن إلى فن، / ومن مقصود إلى مقصود، بأن [يوطئ] <sup>(د)</sup> المقصود الأول ومعانيته إلى أن تناسب المقصود الثاني ويتبعد الكلام عن التنافر، كما يستطرد من النسيب إلى المدح، ومن وصف البتداء والطلول إلى وصف الركاب أو الخيل أو الطيف، ومن وصف الممدوح إلى وصف قومه وعساكره، ومن التفعج والعزاء في الرثاء إلى التآبين، وأمثال ذلك.

ويراعى فيه، اتفاق القصيدة كلها في الوزن الواحد حذراً من أن يتساهل الطبع في الخروج من وزن إلى وزن يقاربه، فقد يخفى ذلك من أجل المقاربة على كثير من الناس. ولهذه الموازين شروط وأحكام تضمنها علم العروض. وليس كل

(أ) شطب في ع (ب) من ع، وفي النسخ الأخرى: كلامهم (ج) سقط من ظ (د) ظ: يقصد.

وَزِنْ يَتَّفَقُ فِي الطَّبْعِ اسْتَعْمَلْتَهُ الْعَرَبُ فِي هَذَا الْفَنِّ، وَإِنَّمَا هِيَ أَوْزَانٌ مَخْصُوصَةٌ يُسَمِّيَهَا أَهْلُ تِلْكَ الصَّنَاعَةِ الْبُحُورَ. وَقَدْ حَصَرُوهَا فِي خَمْسَةِ عَشَرَ بَحْرًا، بِمَعْنَى أَنَّهُمْ لَمْ يَجِدُوا لِلْعَرَبِ فِي غَيْرِهَا مِنَ الْمَوَازِينِ الطَّبِيعِيَّةِ نَظْمًا.

وَأَعْلَمُ أَنَّ فَنَ الشَّعْرِ مِنْ بَيْنِ الْكَلَامِ كَانَ شَرِيفًا عِنْدَ الْعَرَبِ. وَلِذَلِكَ جَعَلُوهُ 5 دِيْوَانَ عُلُومِهِمْ وَأَخْبَارِهِمْ، وَشَاهِدَ صَوَابِهِمْ وَخَطِّئِهِمْ، وَأَصْلًا يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ فِي الْكَثِيرِ مِنْ عُلُومِهِمْ وَحِكْمِهِمْ. وَكَانَتْ مَلِكَّتُهُ مُسْتَحْكِمَةً فِيهِمْ، شَأْنُ مَلِكَاتِهِمْ كُلِّهَا. وَالْمَلَكَاتُ اللَّسَانِيَّةُ كُلُّهَا إِنَّمَا تُكْتَسَبُ بِالصَّنَاعَةِ وَالْإِزْيَاضِ فِي [الْكَلَامِ] <sup>(١)</sup> حَتَّى يَحْضُلَ شَبَهٌ فِي تِلْكَ الْمَلَكَةِ.

وَالشَّعْرُ مِنْ بَيْنِ فُنُونِ الْكَلَامِ صَعْبُ الْمَأْخِذِ عَلَى مَنْ يُرِيدُ اكْتِسَابَ مَلِكَّتِهِ 10 بِالصَّنْعَةِ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ، لِاسْتِثْلَالِ كُلِّ بَيْتٍ مِنْهُ بَأْتُهُ كَلَامًا تَامًا فِي مَقْصُودِهِ، وَيُصْلِحُ أَنْ يَنْفَرِدَ دُونَ مَا سِوَاهُ؛ فَيُحْتَاجُ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ إِلَى تَوْعٍ تَلَطُّفٍ فِي تِلْكَ الْمَلَكَةِ حَتَّى يُفَرِّغَ الْكَلَامُ الشَّعْرِيَّ فِي قَوَالِيهِ الَّتِي عُرِفَتْ لَهُ فِي ذَلِكَ الْمُنْحَى مِنْ شِعْرِ الْعَرَبِ، وَيُبْرِزُهُ مُسْتَقِلًّا / بِنَفْسِهِ، ثُمَّ يَأْتِي بَيْتًا آخَرَ كَذَلِكَ، ثُمَّ بَيْتًا آخَرَ، وَيَسْتَكْمِلُ [409] الْفُنُونَ الْوَافِيَةَ بِمَقْصُودِهِ، ثُمَّ يُنَاسِبُ بَيْنَ الْبُيُوتِ فِي مَوَالَاةٍ بَعْضُهَا مَعَ بَعْضٍ بِحَسَبِ 15 اخْتِلَافِ الْفُنُونِ الَّتِي فِي الْقَصِيدَةِ.

وَلِصُعُوبَةِ مَنْحَاهُ وَغَرَابَةِ فَنِّهِ، كَانَ مُحَكَّمًا لِلْقَرَائِحِ فِي اسْتِجَادَةِ أَسَالِيهِهِ، وَشَحَذِ الْأَفْكَارِ فِي تَزْيِيلِ الْكَلَامِ فِي قَوَالِيهِ. وَلَا تَكْفِي فِيهِ مَلَكَةُ الْكَلَامِ الْعَرَبِيِّ عَلَى

(١) مِنْ ع، وَفِي ظ ج ي: كَلَامِهِمْ.



الإطلاق، بل يحتاج بخصوصه إلى تَلَطُّف ومحاولة في رعاية الأساليب التي اختصَّته العربُ بها وباستعمالها [فيه] <sup>(١)</sup>.

ولنذكر هنا مدلولَ [لفظة] <sup>(ب)</sup> الأسلوب عند أهل هذه الصناعة، وما يُريدون بها في إطلاقهم. فاعلم أنها عبارة عندهم عن المِنوال الذي تُسَجَّ فيه التراكيب، أو القالب الذي تُرَضُّ فيه. ولا يُرجع إلى الكلام باعتبار إفادته [أصل المعنى الذي هو وظيفة الإغراب، ولا باعتبار إفادته] <sup>(ج)</sup> كمال المعنى من خواص التركيب <sup>(د)</sup> الذي هو وظيفة البلاغة والبيان، ولا باعتبار الوزن كما استعملته العربُ فيه، الذي هو وظيفة العروض. فهذه العلوم الثلاثة خارجة عن هذه الصناعة الشعرية. وإنما يرجع إلى صورة ذهنية للتراكيب المنتظمة كهيئة باعتبار انطباقها على كل <sup>(هـ)</sup> تركيب خاص، وتلك الصورة ينتزعها الذهن من أعيان التراكيب وأشخاصها، ويصيرها في الخيال كقالب <sup>10</sup> أو المِنوال. ثم ينتقي التراكيب الصحيحة عند العرب باعتبار الإغراب والبيان، فيرصها فيه رصاً كما يفعلُه البناء في القالب، أو النساخ في المِنوال، حتى يتسع القالب لحصول التراكيب الوافية بمقصود الكلام، ويقع على الصورة الصحيحة باعتبار ملكة اللسان العربي فيه. فإن لكل فن من الكلام أساليب تختص به وتوجد فيه على أنحاء مختلفة.

فسؤال الطُّلُولِ في الشعر، يكونُ بخطابِ الطُّلُولِ، / كقوله <sup>(١)</sup>: [من البسيط] <sup>15</sup> [409ب]

(أ) من ع، وسقط من ط ج ي (ب) من حاشية ع، وسقطت من بقية النسخ (ج) قلبت ط سياق هذه الجملة فقدّمت كمال المعنى عن أصلها (د) في ع: التراكيب (هـ) في حاشية ع، وحدها.

(١) للناطقة الديبائي يمدح فيها النعمان بن المنذر، ويعتذر في أمر المتجرّدة، وعجز البيت: أقوُث وطال عليها سالف الأمد. الأغاني 11: 22، الديوان 34، (دار المعارف - القاهرة)، ابن قتيبة: الشعر والشعراء 1: 167.

يا دار مَيَّةَ بالعلياءِ فالسَّندِ

ويكونُ باستِداءِ الصَّخبِ للوقوفِ والسَّؤالِ، كقوله<sup>(1)</sup>: [من الطويل]

قفا نَسْأَلُ الدَّارَ الَّتِي خَفَّ أَهْلُهَا

أو باستِكاءِ الصَّخبِ على الطَّلَلِ، كقوله<sup>(2)</sup>: [من الطويل]

قفا نَبِّكُ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ

أو بالاستِفهامِ عن الجوابِ لمخاطبٍ غيرِ معيَّن، كقوله<sup>(3)</sup>: [من الوافر]

أَلَمْ تَسْأَلْ فَتُخْبِرْكَ الرَّسُومُ

ومثل تحيَّةِ الطَّلُولِ بالأمرِ لمخاطبٍ غيرِ مُعيَّن بتحيَّتها، كقوله<sup>(4)</sup>: [من الكامل الأحد]

حَيِّ الدِّيَارِ بِجَانِبِ الْعَزْلِ

(1) لدغبل الخزاعي في أهل البيت، من قصيدة قصد بها علي بن موسى الرضا بخراسان. وعجز البيت: متى عهدتها بالصوم والصلوات. الديوان 210 (مجمع اللغة العربية - دمشق 1983)، ياقوت: معجم الأدباء 3: 128، وقال: نسخ هذه القصيدة مختلفة، في بعضها زيادات يُظن أنها مصنوعة ألحقها بها أناس من الشيعة. وأورد ما صحَّ عنده منها.

(2) لامرئ القيس، وعجز البيت: بسقط اللوى بين الدخول فحومل. الديوان: 8، (أبو الفضل إبراهيم- القاهرة) الأغاني: 9: 54، الشعر والشعراء 1: 107، 113.

(3) لعمر بن شأين الأسدي، وعجزه: على فرتاج والطلل القديم، ابن المبارك: منتهى الطلب 8: 76 (بيروت 1999).

(4) لامرئ القيس، ورواية الديوان للبيت: حي الحمول بجانب العزل إذ لا يلائم شكلها شكلي الديوان 214.

أو بالدعاء لها بالسقيا، كقوله<sup>(1)</sup>: [من الكامل]

أَسْقَى طَلُولَهُمْ أَجَشَّ هَزِيمٌ      وَغَدَتْ عَلَيْهِمَ رَوْضَةٌ وَنَعِيمٌ

أو بسؤال السقيا لها من البرق، كقوله<sup>(2)</sup>: [من الكامل]

يَا بَرْقُ طَالِعْ مَنْزِلًا بِالْأَبْرِقِ      وَاحْذُ السَّحَابَ لَهُ حُدَاءُ الْأَيْقِ

5 ومثل التَّجَجُّعِ فِي الرِّثَاءِ بِاسْتِدْعَاءِ الْبُكَاءِ، كقوله<sup>(3)</sup>: [من الطويل]

كَذَا فَلْيَجِلَّ<sup>(4)</sup> الْخُطْبُ وَلِيَفْدَحِ الْأَمْرُ      وَلَيْسَ لِعَيْنٍ لَمْ يَقْضِ مَاؤُهَا عُذْرُ

أو باستيعظام الحادث، كقوله<sup>(4)</sup>: [من الكامل]

أَرَأَيْتَ مَنْ حَمَلُوا عَلَى الْأَغْوَادِ      أَرَأَيْتَ كَيْفَ خَبَا ضِيَاءُ النَّادِي<sup>(ب)</sup>

أو بالتسجيل على الأكوان بالمصيبة لفقده، كقوله<sup>(5)</sup>: [من البسيط]

10 مَنَابِتُ الْعُشْبِ لَا حَامٍ وَلَا رَاعٍ      مَضَى الرَّدَى بِطَوِيلِ الزَّمَحِ وَالْبَاعِ

(أ) ع: فليخل (ب) ي: الوادي .

(1) لأبي تمام، الأغاني 16: 274، الديوان 264، وفيه: نَضْرَةٌ وَنَعِيمٌ

(2) لأبي تمام في مدح الحسن بن وهب، الديوان 391 .

(3) لأبي تمام في رثاء محمد بن حميد الطوسي، الديوان 670، الأغاني 10: 152، نهاية الأرب 5: 208.

(4) للشريف الرضي في رثاء إبراهيم بن هلال الصابي، الديوان 1: 381 - (طهران 1986)، معجم الأدباء 4: 1599، ابن خلكان: وفيات الأعيان 1: 53 .

(5) للشريف الرضي يرثي أحد أمراء بني عقيل، الديوان 1: 627 .

أو بالإنكار على من لم يتفجّع له من الجمادات، كقول الخارجي<sup>(1)</sup>: [من الطويل]  
أيا شجرَ الخاسورِ ما لك مُورِقاً      كأنك لم تجزّع على ابنِ طريف

أو بتهنئة قريعه بالراحة من ثقلِ وطأته، كقوله<sup>(2)</sup>: [من الكامل]  
ألقي الرّماحَ ربيعةُ بنُ نزارٍ      أودى الرّدى بقريةكَ المغوارِ

5 وأمثال ذلك كثيرٌ في سائر فنون الكلام ومذاهبه . وتتنظم التراكيب فيه  
بالجمل وغير الجمل، إنشائية وخبرية، اسمية أو فعلية، مُتَّبَعَةٌ وغير مُتَّبَعَةٌ، مفصولة  
ومُوصولة، على ما هو شأن التراكيب في الكلام العربي. [و]<sup>(1)</sup> مكان كل كلمة من  
الأخرى يُعرفك به ما تستفيذه بالارتياض في / أشعار العرب من القالب الكلي  
المجرد في ذهن من التراكيب المعينة التي ينطبق ذلك القالب على جميعها. فإن مؤلف  
10 الكلام هو كالتاء أو كالنساج، والصورة الذهنية المنطبقة كالتالب الذي يُنتى فيه،  
أو المنوال الذي يُنسج عليه، فإن خرج عن القالب في بنائه أو عن المنوال في  
نسجه؛ كان فاسداً.

ولا نقول: إن معرفة قوانين البلاغة كافية في ذلك، لأننا نقول: قوانين  
البلاغة إنما هي قواعد علمية قياسية، تُقيد جواز استعمال التراكيب على هيئتها

(1) من ع. وفي ظ ج ي : في .

(1) هي الفارعة تربي أخاها الوليد بن طريف الذي قتله يزيد بن مزيد الشيباني بأمر الرشيد. الطبري: تاريخ  
الرسل والملوك 8: 261 (حوادث سنة 179) الأغاني 12: 63، 65، ابن عبد ربه: العقد الفريد 3: 269 .

(2) للشريف الرضي في رثاء أبي طاهر بن ناصر الدولة . الديوان 1: 490 .

الخاصة بالقياس، وهو قياس علمي صحيح مُطَرَّد كما هو قياس القوانين الإغرائية، وهذه الأساليب التي نحن نُقرُّها، ليست من القياس في شيء. إنّما هي هيئة ترسخ في النفس من تتبّع التراكيب في شعر العرب بجزائها على اللسان حتى تستحكم صورتها، فيستفيد بها العمل على مثالها والاحتذاء بها في كلّ تركيب تركيب<sup>(1)</sup> من الشعر، كما قدّمنا ذلك في الكلام بإطلاقي، وإنّ القوانين العلميّة، من الإغراب<sup>5</sup> [أو<sup>(ب)</sup> البيان، لا تُفيد تعلّيه بوجه.

وليس كلّ ما يصحّ في قياس كلام العرب وقوانينه العلميّة استعملوه، وإنّما المستعمل عندهم من ذلك أنحاء معروفة يطلّع عليها الحافظون لكلامهم وتدرّج صورها تحت تلك القوانين القياسية. فإذا نُظِر في شعر العرب على هذا النحو، وهذه الأساليب الذهنيّة التي تصير كالقوالب، كان نظراً في المستعمل من تراكيهم<sup>10</sup> لا فيما يقتضيه القياس. ولهذا قلنا: إنّ المحصل لهذه القوالب في الذهن إنّما هو حفظ أشعار العرب وكلامهم.

وهذه القوالب كما تكون في المنظوم تكون في المنثور. فإنّ العرب استعملوا كلامهم في كلا الفئتين، وجاءوا به مفضلاً في التوعين. ففي الشعر بالقطع الموزونة والقوافي المقيّدة واستثلال الكلام في كلّ قطعة. وفي / المنثور يعتبرون الموازنة<sup>15</sup> [410ب] والنشابة بين القطع غالباً. وقد يُقَيّدونه بالأشجاع، وقد يُزسّلونه. وقوالب كلّ واحد من هذه معروفة في لسان العرب. والمستعمل منها عندهم هو الذي يبنّي مؤلف

(1) سقط المكرر من ي (ب) ط ج ي : و .

الكلام عليه تأليفه ، ولا يعرفه إلا من حفظ كلامهم حتى يتجرّد [له] <sup>(١)</sup> في ذهنه من القوالب المعيّنة الشخصية قالب كلّ مطلق ، يخذو حذوه في التأليف ، كما يخذو البناء على القالب ، والتساج على المنوال. فلهذا كان فنّ تأليف الكلام منفرداً عن نظر التخويّ والبيانيّ والعروضيّ . نعم ، إنّ مراعاة قوانين هذه العلوم شرط فيه لا يتمّ بدونها . فإذا تحصّلت هذه الصفات كلّها في الكلام ، اختصّ بنوع من النظر لطيف في هذه القوالب التي يُسمونها أساليب . ولا يفيدُه إلا حفظ كلام العرب نظماً ونثراً.

وإذا تقرّر معنى الأسلوب ما هو ، فلنذكر بعده حداً أو رسماً للشعر يفهمنا حقيقته على صعوبة هذا الغرض ، فإنّا لم نقف عليه لأحد من المتقدمين فيما رأيناه. 10

وقول العروضيّين في حده: إنّهُ الكلامُ الموزونُ المقفّ . ليس بحدّ لهذا الشعر الذي نحن بصّديه ولا رسم له . وصناعتهم إنّما تنظر في الشعر من حيث اتّفاق أبياته في عدد المتحرّكات والسواكن على التوالي ، ومماثلة عروض أبيات الشعر لضربها ، وذلك نظر في وزن مجرّد عن الألفاظ ودلالاتها ، فناسب أن يكون حداً عندهم . ونحن هنا ننظر في الشعر باعتبار ما فيه من الإغراب والبلاغة والوزن والقوالب الخاصة ، فلا جرم أنّ حدّهم ذلك لا يصلح له عندنا . فلا بُدّ من تعريف يُعطينا حقيقته من هذه الحيثية.

(١) من حاشية ع ، وسقط في النسخ المعتمدة .

فَنَقُولُ: الشَّعْرُ هُوَ الْكَلَامُ الْبَلِيغُ، الْمَبْنِيُّ عَلَى الْإِسْتِعَارَةِ وَالْأَوْصَافِ، الْمَفْصَّلُ  
بِأَجْزَاءٍ مُتَّفِقَةٍ فِي الْوِزْنِ وَالرَّوْيِ، مُسْتَقِلٌّ كُلُّ جُزْءٍ مِنْهَا فِي غَرَضِهِ وَمَقْصِدِهِ عَمَّا قَبْلَهُ  
وَبَعْدَهُ، الْجَارِي عَلَى أَسَالِيبِ الْعَرَبِ الْمُخْصُوصَةِ بِهِ.

[1411] فَقَوْلُنَا: الْكَلَامُ / الْبَلِيغُ؛ كَالْجُنْسِ.

وَقَوْلُنَا: الْمَبْنِيُّ عَلَى الْإِسْتِعَارَةِ وَالْأَوْصَافِ؛ فَضْلٌ [لَهُ] <sup>(أ)</sup> عَمَّا يَخْلُو مِنْ هَذِهِ، 5  
فَإِنَّهُ - فِي الْغَالِبِ - لَيْسَ بِشَعْرٍ.

وَقَوْلُنَا: الْمَفْصَّلُ بِأَجْزَاءٍ مُتَّفِقَةٍ فِي الْوِزْنِ وَالرَّوْيِ؛ فَضْلٌ لَهُ عَنِ الْكَلَامِ  
الْمُنْثَوْرِ الَّذِي لَيْسَ بِشَعْرٍ عِنْدَ الْكُلِّ.

وَقَوْلُنَا: مُسْتَقِلٌّ كُلُّ جُزْءٍ مِنْهَا فِي غَرَضِهِ وَمَقْصِدِهِ عَمَّا قَبْلَهُ وَبَعْدَهُ؛ بَيَانٌ  
لِلْحَقِيقَةِ، لِأَنَّ الشَّعْرَ لَا تَكُونُ آيَاتُهُ إِلَّا كَذَلِكَ، وَلَمْ يُفْصَلْ بِهِ شَيْءٌ. 10

وَقَوْلُنَا: الْجَارِي عَلَى الْأَسَالِيبِ الْمُخْصُوصَةِ بِهِ؛ فَضْلٌ لَهُ عَمَّا لَمْ يَجْرِ مِنْهُ عَلَى  
أَسَالِيبِ الشَّعْرِ الْمَعْرُوفَةِ. فَإِنَّهُ حِينَئِذٍ لَا يَكُونُ شَعْرًا، إِنَّمَا هُوَ كَلَامٌ مَنْظُومٌ. لِأَنَّ الشَّعْرَ  
لَهُ أَسَالِيبُ تَخْصُهُ، لَا تَكُونُ لِلْمُنْثَوْرِ، وَكَذَا لِلْمُنْثَوْرِ أَسَالِيبُ <sup>(ب)</sup> لَا تَكُونُ لِلشَّعْرِ.  
فَمَا كَانَ مِنَ الْكَلَامِ مَنْظُومًا وَلَيْسَ عَلَى تِلْكَ الْأَسَالِيبِ، فَلَا يُسَمَّى <sup>(ج)</sup> شَعْرًا. وَبِهَذَا  
الِإِغْتِبَارِ، كَانَ الْكَثِيرُ مِمَّنْ لَقِينَاهُ مِنْ شُيُوخِنَا فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ الْأَدَبِيَّةِ، يَرَوْنَ أَنَّ نَظْمَ 15  
الْمُنْتَبِيِّ وَالْمَعَرِّيِّ لَيْسَ مِنَ الشَّعْرِ فِي شَيْءٍ، لِأَنَّهُمَا لَمْ يَجْرِيَا عَلَى أَسَالِيبِ الْعَرَبِ فِيهِ.

(أ) مِنْ ع وَحْدَهَا (ب) حَاشِيَةٌ مِنْ ع، وَسَقَطَ مِنْ ظ ج ي (ج) ظ ج ي: يَكُونُ .

وقولنا<sup>(١)</sup> في الحدّ: الجاري على أساليب العرب؛ فصلّ له عن شعر غير العرب من الأمم ، عند من يرى أنّ الشعر يوجد للعرب ولغيرهم . ومن يرى أنّه لا يوجد لغيرهم فلا يحتاج إلى ذلك ، ويقول مكانه : الجاري على الأساليب المخصوصة به.

5 وإذ فرغنا من الكلام على حقيقة الشعر، فلنرجع إلى الكلام في كيفية عمله، فنقول: اعلم<sup>(ب)</sup> أنّ لعمل الشعر وإحكام صناعته شروطاً، أولها الحفظ من جنسه، أي من جنس شعر العرب ، حتّى تنشأ في النفس ملكة يُنسج على منوالها، ويتخيّر المحفوظ من الحرّ التقيّ الكثير الأساليب . وهذا المحفوظ المختار أقلّ ما يكفي منه شعر شاعر من الفحول الإسلاميين ، مثل ابن أبي ربيعة ، وكثير ، وذو الرّمة<sup>(ج)</sup> ، وجربير ، وأبي نؤاس ، وحبيب ، والبخترى ، والرّضيّ ، وأبي فراس . وأكثره 10 شعر كتاب الأغاني، لأنّه جمع شعر أهل الطبقة الإسلامية / كلّها، والمختار من شعر الجاهليّة. ومن كان خالياً من المحفوظ فنظمه قاصر رديء، ولا يعطيه الرّونق والحلاوة إلّا كثرة المحفوظ. فمن قلّ حفظه أو عديم، لم يكن له شعر، وإنّما هو نظم ساقط، واجتناب الشعر أولى بمن لم يكن له محفوظ.

ثمّ بعد الامتلاء من المحفوظ ، وشخذ القرينة للنسج على المنوال ، يُقبل على التّظّم، وبالإكثار منه تستحكّم ملكته وترسخ.

وربّما يقال: إنّ من شرطه نسيان ذلك المحفوظ لتّمحيّ رسومه الحرفيّة الظاهرة،

(أ) ط ج ي: وقلنا (ب) سقط من ج (ج) كذا في ع، وصوابه ذي الرّمة .



إذ هي صَادَّةٌ عن استعمالها بعينها، فإذا نَسِيَهَا وقد تَكَيَّفَتِ النَّفْسُ<sup>(١)</sup> بها، انْتَقَشَ  
الأسلوبُ فيها كأنه مِنوَالٌ يأخذُ في النَّسجِ عليه بأمثالها من كلماتٍ أخرى ضرورةً.

ثم لا بُدَّ له من الخُلُوةِ واستِجادةِ المكانِ المنظورِ فيه من المياهِ والأزاهرِ،  
وكذلك [من]<sup>(ب)</sup> المسموعِ لاستِثارةِ القريحةِ باستِجاءِها وتَشْيِطِها بملادٍ الشُّرورِ.

5 ثم مع هذا كله، فشرطه أن يكونَ على جَمَامٍ ونشاطٍ، فذلك أجمعُ له وأجدرُ  
للقريحةِ أن تأتيَ بمثلِ ذلكِ المنوالِ الذي في حفظه . قالوا: وخيرُ الأوقاتِ لذلكِ  
أوقاتُ البُكرِ، عندَ الهبوبِ من التَّوَمِ، وفراغِ المَعْدَةِ، ونشاطِ الفِكرِ، وفي هواءِ  
الحمامِ.

وربما قالوا: إنَّ من بواعِثِ العشقِ والانتِشاءِ. ذكر ذلك ابنُ رَشِيْقٍ في كتابِ  
10 العُمْدَةِ<sup>(١)</sup>، وهو الكتابُ الَّذِي انفردَ بهذه الصَّنَاعَةِ وأعطى حقَّها، ولم يكتب أحدٌ فيها  
قبله ولا بعده. قالوا: فإن استَضَعَبَ عليه بعدَ هذا كله، فليتركه إلى وقتٍ آخر، ولا  
يُكرِهَ نفسه عليه.

وليكن بناءُ البيتِ على القافيةِ من أوَّلِ صَوِّغِهِ ونَسْجِهِ، يضعُها ويُنِي الكلامَ  
عليها إلى آخره، لأنَّه إن غَفَلَ عن بناءِ البيتِ على القافيةِ صَعَبَ عليه وضعُها في  
15 محلِّها، فربَّما تحيَّ نَافِرَةً قَلِقَةً. وإذا سمحَ الخاطرُ بالبيتِ ولم يُناسِبِ الَّذِي عنده، فليتركه

(١) جاءت مكررة في ع ط (ب) سقط من ط ي .

(١) العمدَة: 1: 331، 340 يقول: "من أراد أن يقول الشعر فليعشق، فإنه يرق، وليزو، فإنه يدل، وليطمع،  
فإنه يصنع".

إلى موضعه الأليق به. فإنَّ كلَّ بيتٍ مستقِلٌّ بنفسه، ولم يَبْقَ إلَّا المناسبةُ، فليُتخيَّرَ فيها كما يشاء.

[412] وليراجع شعره بعد الخلاص منه بالتَّنقيح والتَّقدُّ، ولا / يَضُنُّ به على التَّركِ إذا لم يَبْلُغِ الإِجَادَةَ. فإنَّ الإنسانَ مفتونٌ بشعره، إذ هو بناتٌ فكره واختراعٌ قريحته.

5 ولا يستعملُ فيه من الكلام إلَّا الأَفْصَحَ من التَّراكيبِ والخالِصَ من الضَّروراتِ اللَّسائِيَّةِ، [إذ هو قصورٌ في المَلَكَةِ اللَّسائِيَّةِ]<sup>(١)</sup>. فَلْيَهْجُزْهَا، فَإِنَّهَا تَنْزِلُ بِالْكَلامِ من طَبَقَةِ الْبَلَاغَةِ. وقد حَظَرَ أَيْمَةُ الشَّانِ على المَوْلَدِ ارتكابَ الضَّرورةِ، إذ هو في سَعَةِ منها بِالْعُدُولِ عنها إلى الطَّرِيقَةِ الْمُثَلَّى مِنَ الْمَلَكَةِ.

وليتجنَّبَ أيضاً المعقَّدَ من التَّراكيبِ جَمَدَهُ، وإِنَّمَا يَقْصِدُ منها ما كانت معانيه تُسَابِقُ أَلْفَاظَهُ إلى الفَهِمِ. وكذلك كثرةُ المعاني في البيتِ الواحدِ، فإنَّ فيه نوعَ تعقيدٍ على الفَهِمِ. وإِنَّمَا الْمُخْتَارُ منه ما كانت أَلْفَاظُهُ طَبَقاً على معانيه أو أَوْفَى [منها]<sup>(ب)</sup>. فإنَّ كانت المعاني كثيرةً كان حَشْواً، واشتغلَ الذَّهْنُ بِالغَوْصِ عَلَيْهَا، فمَنَعَ الذَّوْقَ عن استيفاءِ مُدْرِكِهِ مِنَ الْبَلَاغَةِ.

ولا يَكُونُ الشَّعْرُ سَهْلاً إلَّا إِذَا كَانَتْ مَعَانِيهِ تُسَابِقُ<sup>(ج)</sup> أَلْفَاظَهُ إِلَى الذَّهْنِ. ولهذا<sup>(د)</sup> كان شيوخُنَا، رَجَمَهُمُ اللَّهُ، يَعْيُونَ شَعْرَ أَبِي بَكْرٍ<sup>(هـ)</sup> ابنِ خَفَاجَةَ، شاعِرِ شَرْقِ الْأَنْدَلُسِ، لكَثْرَةِ مَعَانِيهِ وَازْدِحَامِهَا فِي الْبَيْتِ الْوَاحِدِ، كَمَا كَانُوا يَعْيُونَ شَعْرَ الْمُتَنَبِّيِّ وَالْمَعْرِيِّ بَعْدَ النَّسْجِ عَلَى الْأَسَالِيْبِ الْعَرَبِيَّةِ كَمَا مَرَّ. فَكَأَنَّ شَعْرَهُمَا كَلَامٌ

(١) من حاشية ع (ب) من ع، وسقط في بقية النسخ (ج) ع : تسابق (د) ع : وبهذا (هـ) من ط ج ي، وفي ع ياض .

منظوم نازل عن طبقة الشعير. والحاكم في ذلك هو الذوق.

وليُجْتَنَبِ الشاعر أيضاً الحوشي من الألفاظ والمقعر، وكذلك الشوقي  
المبتذل بالتداول في الاستعمال، فإنه ينزل بالكلام عن طبقة البلاغة. وكذلك المعاني  
المبتذلة بالشهرة، فإن الكلام ينزل بها عن البلاغة أيضاً، فيصير مُبْتَذَلاً ويقرب من  
عدم الإفادة. كقولهم: النار حارّة، والسماء فوقنا. ومقدار ما يقرب من طبقة عدم  
الإفادة يتعد عن رتبة البلاغة، إذ هما طرفان. ولهذا كان الشعير / في الرّبّاتيات [412مب]  
والتبويّات قليل الإفادة في الغالب، ولا يجيد [فيها]<sup>(1)</sup> إلاّ الفحول، وفي القليل على  
العسر؛ لأنّ معانيها متداولة بين الجمهور، فتصير مبتذلة لذلك.

وإذا تعذر الشعير بعد هذه كلّها، فليُراوَضْهُ ويُعاوِذْهُ، فإنّ القرينة مثل  
الضرع، يدّر بالامتراء، ويحفّ [ويغرر]<sup>(ب)</sup> بالترك والإهمال.

10

وبالجملة، فهذه الصناعة وتعلّمها مُستَوْفَى في كتاب العمدة لابن رشيقي. وقد  
ذكرنا منها ما حَضَرْنَا بحسب الجهد. ومن أراد استيفاء ذلك، فعليه بذلك الكتاب،  
ففيه البُغيّة من ذلك؛ وهذه بُذّة كافية، والله المعين.

15

وقد نظّم الناس في أمر هذه الصناعة الشعرية وما يجب فيها؛ ومن أحسن  
ما قيل في ذلك، وأظنّه<sup>(1)</sup> لابن رشيقي: [من الخفيف]

(1) من ع، وفي ظ ج ي: فيه (ب) من حاشية ع وحدها.

(1) يبدو أنّ ابن خلدون أثبت ما حفظه من هذه القصيدة على عهد بعيد بها، وحسب أنّها لابن رشيقي،  
لأنّه يتذكر مصدرها منه. وهي لأبي العباس التاشي، كتب بها لأبي الصقر إسماعيل الشيباني. (العمدة  
2: 769).

لَعَنَ اللَّهُ صُنْعَةَ الشَّعْرِ مَاذَا	5
يُؤْثِرُونَ الْغَرِيبَ مِنْهُ عَلَى مَا	
وَيَرُونَ الْمَحَالَ مَعْنَى صَحِيحاً	
يَجْهَلُونَ الصَّوَابَ مِنْهُ وَلَا يَذْ	
فَهُمْ عِنْدَ مَنْ سِوَانَا يَلَامُونَ	
إِنَّمَا الشَّعْرُ مَا تَنَاسَبَ فِي النَّظْرِ	
فَأَتَى بَعْضُهُ يُشَاكِلُ بَعْضاً	
كُلُّ مَعْنَى أَتَاكَ مِنْهُ عَلَى مَا	
فَتَنَاهَى مِنَ الْبَيَانِ إِلَى أَنْ	
فَكَأَنَّ الْأَلْفَاظَ مِنْهُ وَجُوهٌ	10
قَائِماً <sup>(ب)</sup> فِي الْمَرَامِ حَسَبَ الْأَمَانِيِّ	
فَإِذَا مَا مَدَحْتَ بِالشَّعْرِ خُرّاً	
فَجَعَلْتَ النَّسِيبَ سَهْلاً قَرِيباً	
/ وَتَنَكَّبْتَ مَا تَهَجَّنَ <sup>(د)</sup> فِي السَّمِّ	
وَإِذَا مَا قَرَضْتَهُ بِهِجَاءٍ	15
فَجَعَلْتَ التَّصْرِيحَ مِنْهُ دَوَاءً	
وَإِذَا مَا بَكَيْتَ فِيهِ عَلَى الْغَا	
مِنْ صُنُوفِ الْجَهَالِ فِيهَا لَقِينَا	
كَأَنَّ سَهْلاً لِلْسَّامِعِينَ مُبِينَا	
وَحَسِيسَ الْكَلَامِ <sup>(ا)</sup> شَيْئاً ثَمِينَا	
رُونَ لِلْجَهْلِ أَنَّهُمْ يَجْهَلُونَ	
نَ وَفِي الْحَقِّ عِنْدَنَا يُعْذَرُونَ	
مَ وَإِنْ كَانَ فِي الصِّفَاتِ فُنُونَا	
وَأَقَامَتْ لَهُ الصَّدُورُ الْمَتُونَا	
تَتَمَنَّى لَوْ لَمْ يَكُنْ أَنْ يَكُونَا	
كَأَدَّ حُسْنًا يَبِينُ لِلنَّاطِرِينَ	
وَالْمَعَانِي رُكْبَنٌ فِيهِ عُيُونَا	
يَتَحَلَّى بِجُحْشِنِ الْمُنْشِدُونَ	
رُؤْمَتْ فِيهِ مَذَاهِبُ <sup>(ج)</sup> الْمُسْهِينَا	
وَجَعَلْتَ الْمَدِيحَ صِدْقاً مُبِينَا	
عَ وَإِنْ كَانَ لَفْظُهُ مَوْزُونَا	[413 أ]
عِبَتْ <sup>(هـ)</sup> فِيهِ مَذَاهِبُ الْمُزْفِينَا	
وَجَعَلْتَ التَّعْرِيزَ دَاءً دَفِينَا	
دِينَ يَوْمَاً لِلْبَيْنِ وَالظَّاعِنِينَ	

(أ) العمدۃ: المقال (ب) العمدۃ: فائلاً (ج) من ع، وفي النسخ محرفة: مذاهيب (د) العمدۃ: يُهَجَّن (هـ) العمدۃ: عفت.

حُلَّتْ دُونَ الْأَسَى وَذَلَّلَتْ مَا كَا      نَ مِنْ الدَّمْعِ فِي الْعُيُونِ مَصُونًا  
ثُمَّ إِنْ كُنْتَ عَاتِيًا شَبْتِ بِالْوَعْدِ      سِدِّ وَعِيدًا وَبِالصَّعُوبَةِ لِينًا  
فَتَرَكْتَ الَّذِي عَثَبْتَ عَلَيْهِ      حَذِيرًا آمِنًا عَزِيزًا مَهِينًا  
وَأَصْحُ الْقَرِيبِ مَا فَاتَ فِي التَّنْظُرِ      سَمٍ وَإِنْ كَانَ وَاضِحًا مُسْتَبِينًا  
فَإِذَا قِيلَ، أَطْمَعَ النَّاسَ طُرًّا      وَإِذَا رِيمَ<sup>(١)</sup>، أَعْجَزَ الْمُعْجَزِينَ 5

ومن ذلك أيضاً قولُ<sup>(١)</sup> النَّاشِئِ<sup>(ب)</sup>: [من الكامل]

وَشَدَّدْتَ بِالْتَّهْذِيبِ أَسْرَ مُتُونِهِ      (ج) الشَّعْرُ مَا قَوْمَتْ زَيْغَ صُدُورِهِ<sup>(د)</sup>  
وَفَتَحْتَ بِالْإِيْجَازِ عُورَ<sup>(هـ)</sup> عُيُونِهِ      وَرَأَيْتَ بِالْإِطْنَابِ شَعْبَ صُدُوعِهِ  
وَوَصَلْتَ بَيْنَ مَجْمَعِهِ وَمَعِينِهِ      وَجَمَعْتَ بَيْنَ قَرِيبِهِ وَبَعِيدِهِ  
وَقَضَيْتَهُ<sup>(ز)</sup> فِي الشُّكْرِ حَقَّ دُيُونِهِ      وَإِذَا<sup>(و)</sup> مَدَحْتَ بِهِ جَوَادًا مَاجِدًا  
وَحَصَصْتَهُ بِخَطِيرِهِ وَثَمِينِهِ      أَضْفَيْتَهُ بِنَفِيسِهِ وَرَصِينِهِ  
وَيَكُونُ سَهْلًا فِي اتِّسَاقِ فُنُونِهِ      فَيَكُونُ جَزَلًا فِي مَسَاقِ<sup>(ح)</sup> صُنُوفِهِ  
أَجْرَيْتَ لِلْمَحْزُونِ مَاءَ شُؤُونِهِ      وَإِذَا بَكَيْتَ بِهِ الدِّيَارَ وَأَهْلَهَا

(١) ج: رام (ب) في الأصول: بعضهم، وزاد على نسخة ع: الناشئ (ج) ترتب الأبيات مغايرًا لما في زهر الآداب والعمدة، وقد كُتِبَت الأبيات التي لم تنقلها النسخ في حاشية ع متداخلة (د) في ط ج ي: حدوده (هـ) في زهر الآداب: غور عيونه (و) في العمدة: فإذا (ز) العمدة: وقبته (ح) العمدة: اتساق، وفي زهر الآداب: ويكون سهلاً في اتساق.

(1) العمدة 2: 772، وذكر إبراهيم الحصري في زهر الآداب 3: 685 فصلاً من كتاب الشعر لأبي العباس عبد الله بن محمد الأنباري، الناشئ الأكبر (293-906م)، وفي سياقه نسب القصيدة لنفسه يقول: وقد قلْتُ في الشعر قولاً جعلته مثلاً لقائله وأسلوباً لسالكه. وعدد أبيات القصيدة فيه 18 بيتاً.

وإذا أردت كنايةً عن ريبة<sup>(أ)</sup> بايئت بين ظهوره وبُطونه  
فعلت سامعه يشوبُ شكوكه بثباته<sup>(ب)</sup> وظنونه بيقينه  
(ج) وإذا عتبت على أخ في زلة أذمجت شدته له في لينه  
فتركته مستأنساً بدمائه مُستأمناً لسهوله وحزونه<sup>(د)</sup>  
وإذا نبذت إلى التي علقتها وإذا نبذت إلى التي علقتها  
تسيّمها بلطيفه ورقيقه<sup>(هـ)</sup> وشغفتها بخيئه وكينه  
وإذا اعتذرت لسفطة أسقطتها واشكت بين مخيله<sup>(ز)</sup> ومبينه  
فيحول ذئبك عند من يغتده عثاً عليه مُطالباً بيمينه

5

## 56 • فصل، في أن صناعة النظم والنثر إنما هي في الألفاظ لا في المعاني

اعلم أن صناعة الكلام ، نظماً ونثراً ، إنما هي في الألفاظ لا في المعاني، وإنما  
المعاني تبع لها وهي أضل . فالصانع الذي يحاول ملكة الكلام في النظم / والنثر ، إنما  
يحاولها في الألفاظ بحفظ أمثالها من كلام العرب ، ليكثر استعماله وجزئه على لسانه  
حتى تستقر له الملكة في لسان مُضَر ، ويتخلص من العجمة التي ربي عليها  
في جيله، ويفرض نفسه، مثل وليد ينشأ في جيل العرب ويلقن لغتهم<sup>(ح)</sup> كما يلقنها  
الصبي حتى يصير كأنه واحد منهم في لسانهم ذلك.

10

15

(أ) العمدة: ريبة (ب) العمدة: بيبانه (ج) من هنا إلى آخر الأبيات الستة، لم ترد إلا في حاشية ع بخطه (د) في حاشية ع  
قدم الحزون على السهول. وفي العمدة وزهر الآداب: لوعونه وحزونه (هـ) العمدة: دقيقه، وفي زهر الآداب: شغفتها بخيئه  
(و) العمدة: إلى أخ في زلة ، وهو نص زهر الآداب (ز) العمدة : مُحيله (ح) ج : بلغتهم .

وذلك أَنَّا قَدَّمْنَا أَنَّ اللِّسَانَ مَلَكَةٌ مِنَ المَمْلَكَاتِ فِي النُّطْقِ ، يُحَاوِلُ تَحْصِيلَهَا  
بِتَكَرُّرِهَا عَلَى اللِّسَانِ حَتَّى تَحْصَلَ ، [شَأْنُ المَمْلَكَاتِ] <sup>(١)</sup> . وَالَّذِي فِي اللِّسَانِ وَالنُّطْقِ إِنَّمَا  
هُوَ الْأَلْفَاظُ ، وَإِنَّمَا الْمَعَانِي فِي الضَّمَائِرِ .

- وأيضاً ، فالمعاني موجودة عند كلِّ [أحدٍ] <sup>(ب)</sup> ، وفي طَوُّعِ كُلِّ فِكْرٍ مِنْهَا مَا  
يَشَاءُ وَيَرْضَى ، فَلَا يَحْتَاجُ إِلَى [تَكْلِيفٍ] <sup>(ج)</sup> صِنَاعَةٍ [فِي تَأْلِيفِهَا] <sup>(ح)</sup> . وَتَأْلِيفُ الْكَلَامِ 5  
لِلْعِبَارَةِ عَنْهَا هُوَ الْمَحْتَاجُ لِلصَّنَاعَةِ ، كَمَا قُلْنَا ، وَهُوَ بِمِثَابَةِ الْقَوَالِبِ لِلْمَعَانِي . فَكَمَا أَنَّ  
الْأَوَانِي الَّتِي يُغْتَرَفُ بِهَا الْمَاءُ مِنَ الْبَحْرِ مِنْهَا آتِيَةُ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالصَّدْفِ وَالزُّجَاجِ  
وَالْحَزَفِ ، وَالْمَاءُ وَاحِدٌ فِي نَفْسِهِ ، وَتُخْتَلِفُ الْجُودَةُ فِي الْأَوَانِي الْمَمْلُوءَةِ بِالْمَاءِ بِاخْتِلَافِ  
جِنْسِهَا لَا بِاخْتِلَافِ الْمَاءِ ، كَذَلِكَ جُودَةُ اللَّغَةِ وَبِلَاغَتُهَا فِي الِاسْتِعْمَالِ يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ  
طَبَقَاتِ الْكَلَامِ فِي تَأْلِيفِهِ بِاِغْتِبَارِ تَطْبِيقِهِ عَلَى الْمَقَاصِدِ ، وَالْمَعَانِي وَاحِدَةٌ فِي نَفْسِهَا . 10  
وَإِنَّمَا الْجَاهِلُ بِتَأْلِيفِ الْكَلَامِ وَأَسَالِيهِ عَلَى مُقْتَضَى مَلَكَةِ اللِّسَانِ ، إِذَا حَاوَلَ  
الْعِبَارَةَ عَنْ مَقْصُودِهِ وَلَمْ يُحْسِنْ ؛ بِمِثَابَةِ الْمُقْعَدِ الَّذِي يَرُومُ النَّهْوضَ وَلَا يَسْتَطِيعُهُ  
لِفَقْدَانِ الْقُدْرَةِ عَلَيْهِ . وَاللَّهُ ﴿ وَبَعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ [سورة البقرة ، من  
الآية 151] .

(١) مخرج في حاشية ع ، لم تقطه ط ج ي (ب) ط ج ي : واحد (ج) مضمرة في ع ، وأغفلتها بقية النسخ .

## 57 \* فصلٌ ، في أنَّ حصولَ هذه الملكة بكثرة الحفظ ، وجودتها بجودة الحفظ

قد قدّمنا [أنّه] <sup>(أ)</sup> لا بُدَّ من كثرة الحفظ لمن يرومُ تعلُّمَ اللّسانِ العربيّ، وعلى قدرِ جودة الحفظ وطبقته في جنسه، وكثرتِه من قلّته، تكونُ جودة الملكة الحاصلة [عنه للحافظ] <sup>(ب)</sup>. فمن كان محفوظه [من أشعار العرب الإسلاميين، أو] <sup>(ج)</sup> شِعْر حبيب، أو العتّابيّ، أو ابن المُعْتَزّ، أو ابن هاني، أو الشريف الرّضيّ، / أو رسائل [1414] ابن المقّفع، أو سهل بن هارون، أو ابن الرّيات، أو البديع، أو الصّابي، تكون ملكته أجود وأعلى مقاماً وزُتبةً في البلاغة ممّن يحفظُ [أشعار المتأخّرين، مثل] <sup>(ج)</sup> شِعْر ابن سهّل من المتأخّرين أو ابن التّبيّه، أو ترسيل البينسائي، أو العماد الأصبهانيّ، 10 لنزول طبقة هؤلاء عن أولئك، يظهرُ ذلك للبصير الناقد صاحب الذّوق. وعلى مقدار جودة المسموع [أو] <sup>(د)</sup> المحفوظ تكونُ جودة الاستعمال من بعده، ثمّ إجادة الملكة من بعدهما. فبازتقاء المحفوظ في طبقته من الكلام ترتقي الطبقة الحاصلة، لأنّ الطّبع إنّما ينسج على منوالها، وتثمو قوَى الملكة بتغذيتها.

وذلك أنّ النّفس وإن كانت في جبلتها واحدة بالتّوع، فهي تختلف في البشّر 15 بالقوّة والصّغف في الإدراكات. واختلافها إنّما هو باختلاف ما يردُّ عليها من الإدراكات والملكات والألوان التي تُكَيّفها من خارج. فهذه يتمُّ وجودها وتخرج من

(أ) ظ: أن (ب) كذا في ع، وفي ط ج ي: عند الحفاظ (ج) من حاشية ع (د) من ع، وفي ط ج ي: و.



القُوَّة إلى الفعل صورَتُها. والملكاتُ التي تحصلُ لها إنّما تحصلُ على التدرّج، كما قدّمناه. فالملكةُ الشعريةُ تنشأ بحفظِ الشعر، وملكةُ الكتابةِ بحفظِ الأسجاع والتّرسيل، والعلميةُ بمخالطةِ العلوم والإدراكات والأبحاثِ والأنظار، والفقهيةُ بمخالطةِ الفقه وتنظيرِ المسائل [تفريعها]<sup>(1)</sup> وتخرجِ الفروع على الأصول، والتّصوفيةُ الربّانيةُ بالعبادات والأذكارِ وتعطيلِ الحواسِّ الظّاهرةِ بالخلوة والافتقارِ عن الخلق ما استطاع، 5 حتى تحصلَ له ملكةُ الرجوعِ إلى جسِّه الباطنِ وروحه، وينقلبَ ربّانيّاً؛ وكذا سائرُها. وللتّنفّس [من]<sup>(ب)</sup> كلّ واحدٍ منها لونٌ تتكيّف به، وعلى حسب ما نشأت الملكةُ عليه من جَوْدَةٍ أو رداءةٍ تكونُ تلك الملكةُ في نفسِها. فملكةُ البلاغةِ العاليةِ الطبقةِ في جنسِها إنّما تحصلُ بحفظِ العالي في طبقتهِ من الكلام. ولهذا كان الفقهاء 10 وأهلُ العلمِ كلّهم قاصرينَ في البلاغةِ، وما ذلك إلّا لما يَنسَبُ / إلى<sup>(ج)</sup> مَحْضِهِمْ، [414ب] وتمتليّ به من القوانينِ العلميّةِ والعباراتِ الفقهيةِ الخارجةِ عن أسلوبِ البلاغةِ والتّنازلةِ عن الطّبقَةِ، لأنّ العباراتِ عن القوانينِ والعلومِ لا حَظَّ فيها للبلاغةِ. فإذا سبقَ ذلك المحفوظُ إلى الفكرِ وكثُرَ وتلوّنت<sup>(د)</sup> به النّفسُ، جاءت الملكةُ النّاشئةُ عنه في غايةِ القُصور، وانحرفتْ عباراتُه عن أساليبِ العربِ في كلامِهِم. وهكذا نجدُ شعَرَ الفقهاءِ والنّحاةِ والمتكلّمينِ والنّظارِ وغيرهم ممّن لا يَمْتَلِئُ من حِفْظِ النّقيّ الحُرِّ من كلامِ 15 العربِ.

أخبرني صاحبنا الفاضل ، أبو القاسم بن رِضْوَان ، كاتبُ العلامةِ بالدّولةِ

(1) ط ج: تفرّيقها (ب) ط ج ي: في (ج) ي: من (د) ع: تلوّنت .

المريئية، قال: ذكرت يوماً صاحبنا أبا العباس بن شُعَيْب، كاتب السلطان أبي الحسن، وكان المقدم في البصر باللسان لعُهدِه، فأنشدته مطلع قصيدة ابن النحوي، ولم أنسبها له، وهو: [من الكامل]

لم أذِرْ حينَ وَقَفْتُ بالأطلالِ      ما الفرقُ بينَ جديدها والبالِ

5 فقال لي على البديه: هذا شعرُ فقيه. فقلتُ له: ومن أين لك ذلك؟ قال: من قوله: ما الفرقُ، إذ هي من عباراتِ الفقهاء، وليست من أساليب كلام العرب، فقلتُ له: لله أبوك، إنه ابنُ النحوي.

وأما الكتابُ والشعراء، فليسوا كذلك، لتخيرهم في محفوظهم، ومخالطتهم كلام العرب وأساليبهم في الترسل، وانتقائهم له الجيد من الكلام.

10 ذكرت يوماً أبا عبد الله ابن الخطيب، وزير الملوك بالأندلس، وكان الصدرَ المقدم في الشعر والكتابة، فقلتُ له: أجدُ استيعاباً عليّ في نظم الشعرِ متى زُمْتُه، مع بصري به وحفظي للجيد من الكلام، من القرآن والحديث وفنون من كلام العرب، وإن كان محفوظي قليلاً. وإنما أتيتُ، والله أعلم، من قبل ما حصل في حفظي من الأشعار العلمية والقوانين التأليفية، فإني حفظتُ قصيدتي الشاطبي:

15 الكبرى والصغرى في [القراءات والرسم]<sup>(1)</sup> واستظهرتهما، / وتدارستُ كتابي ابن

(1) من حاشية ع.

الحاجب في الفقه والأصول، وجمل الخونجي في المنطق، وكثيراً من قوانين التعليم في المجالس، فامتلاً محفوظي من ذلك، وخدش وجه الملكة التي استعديت لها بالتحفوظ الجيد من القرآن والحديث وكلام العرب، فعاق القريجة عن بلوغها. فنظر إلى ساعة مُعجِباً، ثم قال: لله أنت، [و] <sup>(1)</sup> هل يقول هذا إلا مثلك!

- ويظهر لك من هذا الفضل وما تقرر فيه، سر آخر، وهو إعطاء السبب 5 في أن كلام الإسلاميين من العرب أعلى طبقة - في البلاغة وأدواقيها - من كلام الجاهلية في منشورهم ومنظومهم. فإنا نجد شعر حسان بن ثابت، وعمر بن أبي ربيعة، والحطيئة، وجري، والفرزدق، ونصيب، وغيلان ذي الرمة، والأخوص، وبشار، ثم كلام السلف من العرب في الدولة الأموية، وصدر من الدولة العباسية 10 في خطبهم وتزسيهم ومحاوراتهم للملوك، أرفع طبقة في البلاغة بكثير من شعر التابغة، وعنترة، وابن كلثوم، وزهير، وعلقمة بن عبدة، وطرفة بن العبد، ومن كلام الجاهلية في منشورهم ومحاوراتهم. والذوق الصحيح والطبع السليم شاهدان بذلك للتأقيد البصير بالبلاغة.

- والسبب في ذلك، أن هؤلاء الذين أدركوا الإسلام، سمعوا الطبقة العالية 15 من الكلام في القرآن والحديث اللذين عجز البشر عن الإتيان بمثلهما، لكنهما ولجث قلوبهم، ونشأت على أساليبها نفوسهم، فنهضت طباعهم وارتقت ملكاتهم في البلاغة عن ملكات من قبلهم من أهل الجاهلية ممن لم يسمع هذه الطبقة ولا نشأ عليها،

(1) من ع .

فكان كلامهم - في نظيمهم ونثرهم - أحسن ديباجة وأضفى رونقاً من أولئك،  
وأرصف مباني وأعدل تثقيفاً، بما استفادوه من الكلام العالي الطبقة. وتأمل ذلك  
يشهد لك به ذوقك إن كنت من أهل / الذوق والبصر بالبلاغة.

[415ب]

ولقد سألت يوماً شيخنا الشريف أبا القاسم، قاضي غرناطة لعهدنا، وكان  
5 شيخ هذه الصناعة، أخذ بسبته عن مشيختها من تلميذ الشلّوين، واستبحر في علم  
اللسان، وجاء من وراء الغاية فيه. فسألته يوماً: ما بال العرب الإسلاميين أعلى  
طبقة من الجاهليين؟ ولم يكن يستنكر ذلك بذوقه. فسكت طويلاً، ثم قال<sup>(أ)</sup>:  
والله ما<sup>(ب)</sup> أدري. فقلت: أعرض عليك شيئاً ظهر لي في ذلك، ولعله السبب فيه.  
وذكرت له هذا الذي كتبت، فسكت مُعجباً، ثم قال: يا فقيه، هذا كلام من حقه  
10 أن يكتب بالذهب. وكان من بعدها يؤثر محلي، ويصيخ في مجالس التعليم إلى قولي،  
ويشهد لي بالنباهة في العلوم<sup>(ج)</sup>. والله ﴿خَلَقَ<sup>(د)</sup> الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾  
[سورة الرحمن، الآيتان 3، 4].

(أ) ع: قال لي (ب) ي: لا (ج) سقط من ي (د) ظ ج ي: خالق.

58 ﴿<sup>(١)</sup> فَضْلٌ، فِي بَيَانِ الْمَطْبُوعِ مِنَ الْكَلَامِ وَالْمَصْنُوعِ، وَكَيْفَ جَوْدَةُ  
الْمَصْنُوعِ أَوْ قِصُورُهُ

اعْلَمْ أَنَّ الْكَلَامَ الَّذِي هُوَ الْعِبَارَةُ وَالْخَطَابُ، إِنَّمَا سِرُّهُ وَرُوحُهُ فِي إِفَادَةِ  
الْمَعْنَى. وَأَمَّا إِذَا كَانَ مُهْمَلًا فَهُوَ كَالْمَوَاتِ الَّذِي لَا عِزَّةَ بِهِ. وَكَمَالُ الْإِفَادَةِ، هُوَ الْبَلَاغَةُ  
عَلَى مَا عُرِفَتْ مِنْ حَدِّهَا بَعْدَ أَهْلِ الْبَيَانِ <sup>(ب)</sup>. لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ: هِيَ مُطَابَقَةُ الْكَلَامِ  
لِمُقْتَضَى الْحَالِ، وَمَعْرِفَةُ الشُّرُوطِ وَالْأَحْكَامِ الَّتِي بِهَا تُطَابِقُ التَّرَاكِبُ اللَّفْظِيَّةُ مُقْتَضَى  
الْحَالِ، هُوَ فَنُّ الْبَلَاغَةِ. وَتِلْكَ الشُّرُوطُ وَالْأَحْكَامُ لِلتَّرَاكِبِ فِي الْمُطَابَقَةِ اسْتُثْقِرَتْ مِنْ  
لُغَةِ الْعَرَبِ، وَصَارَتْ كَالْقَوَانِينِ. فَالتَّرَاكِبُ بَوَضْعِهَا تُفِيدُ الْإِسْنَادَ بَيْنَ الْمُسْتَنْدَيْنِ  
بَشُرُوطٍ وَأَحْكَامٍ هِيَ جُلُّ قَوَانِينِ الْعَرَبِيَّةِ، وَأَحْوَالُ هَذِهِ التَّرَاكِبِ مِنْ تَقْدِيمٍ وَتَأْخِيرٍ،  
وَتَعْرِيفٍ وَتَنْكِيرٍ، وَإِضْمَارٍ وَإِظْهَارٍ، وَتَقْيِيدٍ وَإِطْلَاقٍ، وَغَيْرِهَا، يَفِيدُ الْأَحْوَالَ الْمَكْتَنِفَةَ  
10 مِنْ خَارِجِ الْإِسْنَادِ، وَبِالْمُتَخَاطَبِينَ حَالَ التَّخَاطُبِ بِشُرُوطٍ وَأَحْكَامٍ هِيَ قَوَانِينُ لَفْنٍ  
سَمَّوْهُ عِلْمَ الْمَعَانِي مِنْ فُنُونِ الْبَلَاغَةِ. فَتَنْدَرِجُ قَوَانِينُ الْعَرَبِيَّةِ لَذَلِكَ فِي قَوَانِينِ <sup>(ج)</sup> عِلْمِ  
الْمَعَانِي، لِأَنَّ إِفَادَتَهَا لِلْإِسْنَادِ جُزْءٌ مِنْ إِفَادَتِهَا لِلْأَحْوَالِ الْمَكْتَنِفَةِ بِالْإِسْنَادِ. وَمَا قَصَّرَ  
مِنْ <sup>(د)</sup> هَذِهِ التَّرَاكِبِ عَنْ إِفَادَةِ مُقْتَضَى الْحَالِ لِحُلُلٍ فِي قَوَانِينِ الْإِغْرَابِ أَوْ قَوَانِينِ  
15 الْمَعَانِي، كَانَ قَاصِرًا عَنِ الْمُطَابَقَةِ لِمُقْتَضَى الْحَالِ، وَلَحِقَ بِالْمُهْمَلِ الَّذِي هُوَ فِي عِدَادِ  
الْمَوَاتِ.

(أ) سقط هذا الفصل من ظ ي، وأوردته ع ج. وجاء عنوانه في ج مغايراً، كما يلي: فصل، في أن الكلام المطبوع، أوثق  
مبنى وأعلى مرتبة في البلاغة من الكلام المصنوع (ب) ج: اللسان (ج) سقط من ج (د) ج: عن .

ثم يتبع هذه الإفادة لمقتضى الحال، التفتن في اثقال الذهن بين المعاني بأصناف الدلالات، لأن التركيب يدل بالوضع على معنى، ثم ينتقل الذهن إلى لازمه أو ملزومه أو شبهه، فيكون فيها مجازاً، إما باستعارة أو كناية، كما هو مقرر في مواضعه. ويحصل للفكر بذلك الانتقال لذة كما تحصل من الإفادة وأشد، لأن في جميعها ظفراً بالمدلول من دليله، والظفر من أسباب اللذة، كما علمت. 5

ثم لهذه الانتقالات أيضاً شروط وأحكام كالقوانين<sup>(1)</sup>، صيروها صناعةً وسموها بالبيان. وهي شقيقة علم المعاني، المفيد لمقتضى الحال، لأنها راجعة إلى معاني التراكيب ومدلولاتها، وقوانين علم المعاني راجعة إلى أحوال التراكيب أنفسها من حيث الدلالة. واللفظ والمعنى متلازمان متضايقان<sup>(ب)</sup> كما علمت. فإذن علم المعاني وعلم البيان هما جزءا البلاغة، وبهما كمال الإفادة والمطابقة لمقتضى الحال. فما قصر من هذه التراكيب عن المطابقة وكمال الإفادة فهو مقصر عن البلاغة، ويلتحق عند البلغاء بأصوات الحيوانات العجم. وأجدر به أن لا يكون عربياً، لأن العربي هو الذي يطابق بإفادته مقتضى الحال. فالبلاغة - على هذا - هي أصل الكلام العربي، وسجيته، وروحه، وصيغته<sup>(ج)</sup>. 10

ثم اعلم أنهم إذا قالوا الكلام المطبوع، فإنهم يعنون به الكلام الذي كُلت طبيعته وسجيته من إفادة مدلوله المقصود منه، لأنه عبارة وخطاب ليس المقصود منه النطق فقط، بل المتكلم يقصد به أن يفيد سامعه ما في ضميره إفادة تامة، 15

(1) ج : بالقوانين (ب) ج : متطابقان (ج) ج : طبيعته .

ويدلُّ به عليه دلالة وثيقة، ثم يتبع تراكيب الكلام في هذه السجّية التي له بالأصالة  
 ضروب من التحسين والتزيين بعد كمال الإفادة، وكأنّها تغطيها رونق الفصاحة من  
 تميم الأسجاع، والموازنة بين<sup>(١)</sup> [جمل الكلام، وتقسيمه بالأقسام المختلفة الأحكام]<sup>(ب)</sup>،  
 والتورية باللفظ المشترك عن الحقي من معانيه، والمطابقة بين المتضادات<sup>(ج)</sup>، ليقع  
 التجانس بين الألفاظ أو المعاني، فيحصل للكلام رونق ولذة في الأسجاع، وحلاوة<sup>5</sup>  
 وجمال، كلّها زائد على الإفادة.

(١) في ج : بين الفصول، وهي مذكورة في ع أيضاً، ثم ألغاهَا وعوّضها بالجملة المحصورة (ب) الفقرة التالية كانت مدرجة في متن  
 ع، في هذا الموقع، ثم ألغاهَا، وربط الكلام كما أوردته، وقد نقلتها عنها نسخة ج قبل الإلغاء. وهي: "وغير ذلك من الألقاب التي  
 صنّفوها وأخضوها، وجعلوا لها شروطاً وأحكاماً، وسمّوها فنّ البديع. واختلفوا في تحديد صنوفها وأقسامها، المتقدّمون [من أهل  
 هذا الفنّ (ج)] منهم والمتأخرون، والمشاركة [منهم (ج)] والمغاربة. كما اختلفوا في غدها من البلاغة أو خروجها عنها، وهو رأي  
 المغاربة، وأمّا المشاركة وإن عدوها من فنّ البلاغة، فليس على أنّها أصلية في الكلام". (ج) من هنا إلى آخر الفصل يفتقر  
 النصّان (ع) و (ج) في صياغة الموضوع، وقد حافظنا أن يكون المتن فوقه من الأصل ع. وبليه صيغة ما كتبه في نسخة ج، المختلفة  
 صياغة والمتفقة في أغلب الدلالات التي أرادها. وهذا نصّه:

"وإنّا اغتبروها بعد رعاية تطبيق الكلام على مقتضى الحال تُعيده رونقاً وزينة، وتكسيبه  
 حلاوة وجمالاً. لأنّ الكلام من دون هذه المطابقة غير عربيّ كما قدّمناه. وليس التحسين بمغنٍ عنها  
 فيه، وهي مع ذلك مُستفادة من لغة العرب بمداولتها واستقراء تراكيبها، فبعضها مسموع وشاهده  
 موجود، وبعضها مقيس مكتسب على ما عُرف في كتب القوم. وإذا قالوا الكلام المصنوع،  
 فيريدون بهذه التراكيب التي فيها فنون البديع وألقابه وصنوفه، ويدلُّ ذلك من قولهم فيها أيضاً في  
 الكلام المطبوع، إنّه الذي له كمال الإفادة - وهما متقابلان - [أو] إنّ هذه الصناعة مقابلة للبلاغة.  
 وقد كان الأدباء قديماً يعدّونها في الفنون الأدبية، ويُدرجونها في كتبها، إذ لا موضوع لها، فليست  
 من العلوم. وقد فعل ذلك ابنُ رشيق في كتاب العُمدة الذي تكلم فيه في صناعة الشعر وكيفية  
 عمله بما لم يُسبق إليه، ثم عَقِب ذلك بالكلام في ألقاب البديع. وكذلك غيره من أدباء  
 الأندلسيين. ويُقال: إن أول من تعاطى هذه الصنعة، أبو تمام حبيب بن أوس الطائي، فشحّن =

وهذه الصَّنعة موجودة في الكلام المعجز في مواضع متعدّدة، مثل: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾ [سورة الليل ، الآيتان 1، 2]، ومثل: ﴿فَأَمَّا مَنْ

شعره باللقاب وحذا الناس بعده خذوه في ذلك، بعد أن كان الشعر خلواً منها. وكان الشعراء من الجاهلية وفحول الإسلاميين لا يتعاطونها في أشعارهم ولا يستكثرون منها، وإن وقعت لهم فإنما تقع عفواً تسمع بها القرية من غير مُمارسة ولا مُعانة، فيحسن مذاقها عند أهل الطباع السليمة، وإنما حصل فيها ذلك من كمال المطابقة والوفاء بحقوق البلاغة، والبراءة من عبث التكليف لهذه الألقاب، وخشونة المعانة والممارسة، فيقرب التحسين فيها من الفطرة الأولى. وأمّا الكلام المنشور أيضاً، فكان عند الجاهلية وفحول الإسلاميين، مُرسلاً مفضل المقاطع من غير سجع ولا وزن، حتّى بنع إبراهيم بن هلال الصابي كاتب بني بُويه، فتعاطى السجع في الكلام، والتزمها في المخاطبات السلطانية تشبيهاً بالقوافي الشعرية، وأجرّ رسته في ذلك ما كان عليه ملوكه من العجمة، وما كان هو عليه من السوقة البعيدة عن منازع الملك، وضوالة الخلافة النازعة إلى ضوالة البلاغة، فكان له في خضيض الكلام المتمق بالصناعة سوقٌ يعتقد نفاقها شأن الإخواتيات، فشالت يومئذ نعامته بها، وارتفع صيته، وانتشرت الصناعة بعده في كلام المتأخرين، ونُسب عهد التزسيل وضوالة البلاغة فيه، وتشابهت السلطانيات بالإخواتيات، والعرييات بالسوقيات، واختلط المزعمي بالهملي، وقصرت الطباع عن البلاغة الأصلية في الكلام لقلة مُعاناتها، ولم يتبق إلا الكلف بفنون هذه الصناعة وضروبها في التظم والنثر، وتعاطيها في كل صنف من أصنافها. وأساطين البلاغة في كل عصر يسخرون من ذلك ويُكرّون تعاطيه وضيق الغطن عن سواه.

ولقد أدركتُ شيوخنا - رحمهم الله - يعبّون على من يتعاطى ذلك من أهل فنون الكلام ويغضون منه.

سمعت شيخنا الأستاذ أبا البركات البلقيني، وكان من أهل البصر باللسان والقرينة في ذوقه، يقول: إنّ من أعز ما تشرحه عليّ نفسي، أن أشاهد يوماً بعض من يتنحل شيئاً من ضروب هذه الصناعة في نظمها أو نثرها، وقد امثّلين بأشد العقوبة ونودي عليه. يذفع بذلك تلميذه عن تعاطي هذه الصناعة، حذراً أن يخلق بها جدّة البلاغة، فيذهل عنها. =



أَعْطَى وَأَنْقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴿ [سورة الليل، الآيتان 5، 6]، إلى آخر التّقسيم في الآية. وكذا: ﴿ فَأَمَّا مَنْ طَغَى وَءَاثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ [سورة النازعات، الآيتان 37، 38] إلى آخر الآية. وكذا: ﴿ وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ [سورة الكهف، من الآية 104]، وأمثاله كثيرٌ. وذلك بعد كمال الإفادة في أضل<sup>(1)</sup> هذه التراكيب قبل وقوع هذا البديع فيها . وكذا وقع في كلام الجاهليّة منه ، لكن عفواً من غير قصدٍ ولا تعمّدٍ؛ 5 ويقال: إنّه وقع في شِعْرِ زهير.

وأما الإسلاميون ، فوقع لهم عفواً وقصداً ، وأتوا منه بالعجائب . وأوّل من أحكم طريقته حبيب بن أوس ، والبخترى ، ومسلم بن الوليد ، فقد كانوا مولعين بالصّنع ، ويأتون منها بالعجب . وقيل : إنّ أول من ذهب إلى معانيتها بشار بن بزّ، وابن هزّمة ، وكنا آخر من يُستشهد بشعره في اللسان العربي . ثم 10 اتبعهما كلثوم بن عمرو العتّابي ، ومنصور الثّميري ، ومسلم بن الوليد ، وأبو

<sup>=</sup> وكان شيخنا القاضي أبو القاسم الشّريف السّبّتي، مُنفق أسواق اللّسان العربي ورافع رأيته، يقول: هذه فنون البديعة وإن وقعت عفواً للشاعر أو للكاتب، فإنّه يشبح له أن يعاود شيئاً منها، لأنها من مُحسنات الكلام وجماله، فهي بمثابة الخيلان في الوجه، تحسن بالواحد منها والاثنين، وتشبح بتعدادها. وهذا كلّ من هؤلاء الفضلاء استهجاناً لتعاطي هذه الصّناعة وألقاها البديعة، أن تزلّ بالكلام عن مرقاته في البلاغة. ويدلّ ذلك من كلامهم على أنّ الكلام المصنوع نازل عن الكلام المطبوع كما أريناك سيره وحقيقته، والحاكم في ذلك الدّوق، وقد مرّ تفسيره، والله أعلم، و ﴿ عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ " [سورة البقرة، من الآية 239] .

(1) كانت في أصل ع: في مطبوع، تم الغيت واستبدلت .

نُؤاس. وجاء على أثرهم حبيب والبُخترى . ثم ظهر ابنُ المعتز ، فحتم علم البديع والصناعة أجمع.

ولنذكر مثلاً من المطبوع الخالي من الصنعة لتنفهه، مثل قول قيس بن ذريح<sup>(1)</sup> : [من الطويل]

5 وأخرج من بين البيوت لعلني أحثُّ عنك النفس في السرّ خاليا

وقول كثير<sup>(2)</sup> : [من الطويل]

وإني وتنيامي بعزة بعد ما تخلّيت عما بيننا وتخلّيت  
لكلّزنجي ظلّ الغمامة ، كلّما تبوأ منها للمقبل، اضمحلّت

فتأمل هذا المطبوع الفقيد الصنعة في إحكام تأليفه ، وثقافته تراكيبه . فلو  
10 جاءت فيه الصنعة من بعد هذا الأصل ، زادتّه حسناً.

وأما المصنوع فكثير من<sup>(1)</sup> بشّار، ثم حبيب، وطبقتها، ثم ابن المعتز، خاتم  
الصنعة، الذين جرى المتأخرون بعدهم في ميدانهم، ونسجوا على منوالهم.

(1) فراغ بمقدار كلمة في ع، قد يكون لفظ: مثل .

(1) ديوان قيس بن ذريح 122، الحماسة البصرية 2: 100، وعنه، الشعر والشعراء 2: 628، والأغاني 9: 133-162، وفيات الأعيان 4: 106-113 .

(2) ديوان كثير عزة : 71، الشعر والشعراء 1: 515، وفيه: تخلّيت ممّا بيننا. وفيه ترجمته (503-517) ، الأغاني 9: 5-30.

وقد تعدّدت أصناف هذه الصنعة عند أهلها، واختلفت اصطلاحاتهم في ألقابها، وكثير منهم يجعلها مندرجة في البلاغة، على أنها غير داخلية في الإفادّة، وإنّما هي تُغطي التحسينَ والترقيقَ. وأمّا المتقدمون من أهل البديع، فهي عندهم خارجة عن البلاغة، ولذلك يذكرونها في الفنون الأدبيّة التي لا موضوع لها. وهو رأي ابن رشيقي في كتاب العمدة<sup>(1)</sup> له، وأدباء الأندلس. وذكروا في استعمال هذه الصنعة 5 شروطاً، منها أن تقع من غير تكليف ولا اكتراب فيما يقصد منها.

وأما العفو؛ فلا كلام فيه، لأنها إذا برئت من التكليف، سلّم الكلام من عيب الاستهجان. لأنّ تكلفها ومعاناتها يُصيّرُ إلى الغفلة عن التراكيب الأصليّة للكلام، فتخلُ بالإفادّة من أضلّها، وتذهبُ بالبلاغة رأساً، ولا يبقَى في الكلام إلّا تلك التحسينات. وهذا هو الغالبُ اليومَ على أهل العصر. وأصحاب الأذواق في 10 البلاغة يشخرون من كليهم بهذه الفنون، ويعدون ذلك من القصور عن سواها.

وسمعتُ شيخنا الأستاذ أبا البركات البلقينيّ، كان من أهل البصر باللسان والقريحة في ذوقه، يقول: إنّ من أشهى ما تقترحه عليّ نفسي، أن أشاهد في بعض الأيام من يتحلّ فنون هذا البديع في نظمه أو نثره وقد عوقب بأشدّ العقوبة ونودي عليه. يحذر بذلك تلميذه أن يتعاطوا هذه الصنعة، فيكلّفوا بها ويتناسوا 15 البلاغة.

ثمّ من شروط استعمالها عندهم الإقلالُ منها، وأن تكونَ في يَتَيْنِ أو ثلاثة

(1) العمدة 1: 208.

من القصيدة، فتكفي في زينة الشعر ورؤيته. والإكثار منها عيب. قاله ابن رشيقي<sup>(1)</sup>  
وغيره.

5 وكان شيخنا أبو القاسم الشريف السبتي، متفق اللسان العربي بالأندلس  
لوفته، يقول هذا القول: البديعة إذا وقعت للشاعر أو الكاتب، فينبح أن يستكثر  
منها، لأنها من محسنات الكلام ومزيّناته، فهي بمثابة الخيلان في الوجه، يحسن  
بالواحد والاثنين منها، وينبج بتفادها.

10 وعلى نسبة الكلام المنظوم هو الكلام المنشور في الجاهلية والإسلام. كان  
أولاً مرسلاً، معتبر الموازنة بين جملة وتراكيبه، شاهدة موازنته بقواصله من غير  
التزام سجع ولا أكراتٍ بصنعة، حتى نبغ إبراهيم بن هلال الصابي، كتب بني بويه،  
10 فتعاطى الصنعة والتفنية، وأتى من ذلك بالعجب، وعاب الناس عليه كلفه بذلك في  
المخاطبات السلطانية. وإنما حمّله عليه ما كان في ملوكه من العجمة والبعد عن ضوأة  
الخلافة المتفقة لسوق البلاغة. ثم انتشرت الصناعة بعده في منشور المتأخرين، ونسي  
عهد الترسيل، وتشابهت السلطانيات بالإخوانيات، والعريّات بالسوقيات، واختلط  
المرعي بالهملي.

15 وهذا كله يدلّك على أنّ الكلام المصنوع بالمعانة والتكلف قاصر عن الكلام  
المطبوع، لقلّة الأكرات فيه بأصل البلاغة، والحاكم في ذلك النوق. والله خلقكم  
﴿عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة، من الآية 239].

(1) العمدة 1: 210 .

## 59 • فصلٌ، في تَرْفَعُ أَهْلُ المَرَاتِبِ عن اتِّحَالِ الشَّعْرِ

اعْلَمْ أَنَّ الشَّعْرَ كانَ دِيواناً للعَرَبِ، فيه علومُهم وأخبارُهم وحِكْمَتُهم. وكان رؤساءُ العربِ مُتَنافِسينَ فيه، وكانوا يَتَقَفُونَ بسوقَ عُكاظٍ لِإِنْشَادِهِ وَعَرْضِ كُلِّ واحدٍ منهم دِيباجَتَهُ على فُحولِ الشَّانِ وأهلِ البَصَرِ لِتَمْيِيزِ حَوَكِهِ، حتَّى انْتَهَوْا إلى المُنَاغاةِ في تَغْلِيْقِ أشعارِهِم بأزْكانِ البَيْتِ الحَرَامِ، موضعِ حَجَّهِم وَبَيْتِ إِبْرَاهِيمَ، كما فَعَلَ 5  
أَمْرُو القَيْسِ بنِ حُجْرٍ، والنَّابِغَةُ الذُّبْيَانِيَّةُ، وَزُهَيْرُ ابنِ أَبِي سُلَيمٍ، وَعَنْتَرَةُ بنِ شَدَّادٍ، وَطَرْفَةُ بنِ العَبْدِ، وَعَلَقَمَةُ بنِ عَبْدَةَ، والأَعَشَى، وَغَيْرُهُم من أَصْحَابِ المَعْلَقَاتِ التَّنْعِ.  
فإنَّهُ إِنَّمَا كانَ يَتَوَصَّلُ إلى تَغْلِيْقِ الشَّعْرِ بها من كانَ لَهُ قَدْرَةٌ على ذَلِكَ بِقَوْمِهِ وَعَصِيَّتِهِ ومكانِهِ في مُضَرَ، على ما قِيلَ في سَبَبِ تَسْمِيَّتِها بالمَعْلَقَاتِ.

10 ثُمَّ انصَرَفَ العَرَبُ عن ذَلِكَ أَوَّلَ الإِسْلامِ بما شَغَلَهُم من أَمْرِ الدِّينِ والثُّبُوءِ والوَحْيِ، وما أَذْهَبَهُم من أُسْلُوبِ القُرْآنِ وَنَظْمِهِ، فَأُخْرِسُوا عن ذَلِكَ، وَسَكَتُوا عن [1416] الخَوْضِ في التَّنْظِيمِ والتَّنْثِيرِ / زَمَاناً. ثُمَّ اسْتَقَرَّ ذَلِكَ، رَأَوْسُ الرُّشْدِ مِنَ المِلَّةِ، وَلَمْ يَنْزِلِ الوَحْيُ في تَحْرِيمِ الشَّعْرِ وَحَظَرِهِ، [بَلْ] <sup>(1)</sup> سَمِعَهُ النَّبِيُّ ﷺ وَأَثَابَ عَلَيْهِ، فَرجَعُوا حينئذٍ إلى دِينِهِم مِنْهُ. وَكانَ لَعَمْرَ بنِ أَبِي رَبِيعَةَ، كَبِيرُ قُرَيْشٍ لذلِكَ العَهْدِ، مَقاماتٌ فيه عَالِيَةٌ وَطَبَقَةٌ مَرْتَفَعَةٌ، وَكانَ كَثِيراً ما يَعْرضُ شَعْرَهُ على ابنِ عَبَّاسٍ، فيَقِفُ 15

(1) من ع، وفي بقية الأصول: و .

(1) يُنْظَرُ البَخاريُّ (3212) ومُسلِم (2485) في قولِهِ لِحسان: "اللَّهُمَّ أَيِّدْهُ بِروحِ القُدُسِ". وقد أُلْقِيَ بِرُذْنِهِ على كَعْبِ بنِ زُهَيْرٍ وَهُوَ يَلْقَى قَصِيدَتَهُ الشَّهيرةَ: بانت سَعادُ .

لاستماعه مُعْجَباً به. ثمّ جاء من بعد ذلك الملكُ الفُخْل والدَّولةُ العزِيزَةُ، فتَقَرَّبَ إليهم العربُ بأشعارهم يمتدِّحونهم بها، ويُجِيزُهم الخلفاءُ بأعْظَمِ الجوائزِ، على نسبةِ الجودةِ في أشعارهم ومكانهم من قَوْمهم، ويَحْرِصُونَ على استهْداءِ أشعارهم، يَطَّلِعُونَ منها على الآثارِ والأخبارِ واللُّغةِ وشَرَفِ اللِّسانِ والعربِ، ويُطالِبُونَ وَلِيدهم بِحِفْظِها. ولم يزلِ الشَّأْنُ هذا أَيَّامَ بني أُمَيَّةٍ وصُدراً من دولة بني العباس.

وانظر ما نقله صاحبُ العقدِ<sup>(1)</sup> في مُسامرةِ الرّشيدِ للأُصمعيّ في باب الشَّعرِ والشُّعراءِ، تجذُّ ما كان عليه الرّشيدُ من المعرفةِ بذلك والرُّسوخِ فيه، والعنايةِ بانشغالِهِ، والبصرِ بحَيِّدِ الكلامِ ورديئه، وكثرةِ مُحفوظِهِ منه.

ثمّ جاء خَلْفٌ من بَعْدِهِمْ لم يكن اللِّسانُ لسانهم من أَجلِ العُجْمَةِ وتقصيرِها باللسانِ، وإنّا تعلموه صناعةً. ثمّ مدَحُوا بأشعارهم أمراءَ العَجَمِ الذين لَيْسَ اللِّسانُ [شأنهم]<sup>(1)</sup>، طالبين معروفهم فقط، لا سِوَى ذلك من الأغراضِ، كما فعله حَبِيبُ والبُخْترِيُّ والمتنَّبِيُّ وابنُ هاني ومن بَعْدَهُمْ إلى هَلَمَّ جَرّاً. فصار قَرْضُ الشَّعرِ في الغالبِ إنّا هو للكُذْبَةِ والاستِجداءِ، لذهابِ المنافعِ التي كانت فيه للأوّلين، كما ذكرناه. وأَنفَ منه لذلك أهلُ الهِمَمِ والمراتبِ من المتأخّرين، و[تقلّب] <sup>(ب)</sup> الحالُ فيه، وأصبحَ تعاطيهِ هُجْنَةً في الرِّياسَةِ ومَذْمَةً لأهلِ المناصبِ الكبيرة. والله مقلبُ اللَّيْلِ والنَّهارِ.

(أ) ط ج ي : لهم، وكانت كذلك في ع، ثم غُذِلَتْ (ب) كانت في الأصل ع: وتغيّر، وعنها نقلت بقية النسخ، ثم غُيِّرَتْ في ع إلى ما أثبتناه .

(1) العقد الفريد 5 : 309 - 317 .

[416ب] 60 • / <sup>(1)</sup> فصل، في أشعار العرب وأهل الأمصار لهذا العهد

اعلم أنّ الشّعْر لا يَخْتَصُّ باللسان العربيّ فقط، بل هو موجودٌ في كلّ لغةٍ، سواءً كانت عربيّةً أو عجميّة. وقد كان في الفُرس شعراء، وفي يونان كذلك، ذكر منهم أرسطو في كتاب المنطق، له، أوميرش <sup>(1)</sup> الشّاعر، وأثنى عليه. وكان في جُمَيْر أيضاً شعراء مقدّمون.

5

ولمّا فسّد لسانُ مُضَر ولغتهم التي دُونَتْ مقاييسُها وقوانينُ إغرابِها، واختلفت اللّغاتُ من بعدهم بحسب ما خالطها ومازجها من العُجمة؛ فكانت لجيل العرب بأنفسهم لغةٌ خالفت لغة سلفهم من مُضَر في الإغرابِ جُملةً، [و] <sup>(ب)</sup> في كثيرٍ من الموضوعات اللّغويّة وبناء الكلمات. وكذلك الحَضَر، أهلُ الأمصار، نشأت فيهم لغةٌ أخرى خالفت لسانَ مُضَر في الإغرابِ وأكثر الأوضاع والتّصاريف، وخالفت أيضاً لغة الجيل من العرب لهذا العهد. واختلفت هي في نفسها بحسب اصطلاحات أهل الآفاق؛ فلاهل المشرق وأمصاره لغةٌ غير لغة أهل المغرب وأمصاره، وتخالفت أيضاً لغة أهل الأندلس وأمصاره.

10

ثمّ لما كان الشّعْر موجوداً بالطّبع في أهل كلّ لسانٍ، لأنّ الموازين على نسبة واحدة في أعداد المتحرّكات والسّواكن وتقابليها، موجودةٌ في طباع البشر، فلم يُهَجَرَ

15

(1) سقطت من ج (ب) سقط من ظ ج ي .

(1) ابنُ رُشد : تلخيص كتاب أرسطوطاليس في الجدل: 408، منطق أرسطو 3: 698، فنّ الشعر، لأرسطو، ترجمة إبراهيم حمادة 65 .

الشَّعْرُ بِفَقْدَانِ لُغَةٍ وَاحِدَةٍ، وَهِيَ لُغَةُ مُضَرَ الَّذِينَ كَانُوا فُحُولَهُ، وَفَرَسَانِ مَيْدَانِهِ، حَسْبَمَا اشْتَهَرَ بَيْنَ أَهْلِ الْخَلِيقَةِ، بَلْ كُلُّ جِيلٍ وَأَهْلُ كُلِّ لُغَةٍ مِنَ الْعَرَبِ الْمُسْتَعْجِمِينَ وَالْحَضَرِ أَهْلِ الْأَمْصَارِ، يَتَعَاطُونَ مِنْهُ مَا يُطَاوِعُهُمْ فِي انْتِحَالِهِ وَرَضْفِ بِنَائِهِ عَلَى مَهْيَعِ كَلَامِهِمْ.

فَأَمَّا الْعَرَبُ، أَهْلُ هَذَا الْجِيلِ الْمُسْتَعْجِمِينَ عَنْ لُغَةِ سَلَفِهِمْ مِنْ مُضَرَ،

5 فيَقْرِضُونَ الشَّعْرَ لِهَذَا الْعَهْدِ فِي سَائِرِ الْأَعَارِضِ / عَلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ لِسَلَفِهِمْ الْمُسْتَعْرِبِينَ، [417]

وَيَأْتُونَ مِنْهَا بِالْمَطَوَّلَاتِ، مُشْتَمِلَةً عَلَى مَذَاهِبِ الشَّعْرِ وَأَغْرَاضِهِ،<sup>(أ)</sup> مِنَ النَّسِيبِ

وَالْمَدْحِ وَالرِّثَاءِ وَالْهَجَاءِ، وَيَسْتَطْرِدُونَ فِي الْخُرُوجِ مِنْ فَنٍّ إِلَى فَنٍّ فِي الْكَلَامِ. وَرُبَّمَا هَجَمُوا

عَلَى الْمَقْصُودِ لِأَوَّلِ كَلَامِهِمْ. وَأَكْثَرُ ابْتِدَائِهِمْ فِي قَصَائِدِهِمْ بِاسْمِ الشَّاعِرِ، ثُمَّ مِنْ بَعْدِ

ذَلِكَ يَنْسَبُونَ. وَأَهْلُ الْمَغْرِبِ مِنَ الْعَرَبِ يُسَمُّونَ هَذِهِ الْقَصَائِدَ بِالْأَضْمَعِيَّاتِ، نِسْبَةً

10 إِلَى الْأَضْمَعِيِّ، رَاوِيَةَ الْعَرَبِ فِي أَشْعَارِهِمْ. وَأَهْلُ الْمَشْرِقِ مِنَ الْعَرَبِ يَسَمُّونَ أَيْضاً

هَذَا النَّوعَ مِنَ الشَّعْرِ بِالْبَدَاوِيِّ<sup>(ب)</sup>. وَرُبَّمَا يُلَحِّنُونَ فِيهِ الْحَنَاناً بَسِيطَةً لَا عَلَى طَرِيقِ

الصَّنْعَةِ الْمَوْسِيقَارِيَّةِ، ثُمَّ يُغَنُّونَ بِهِ. وَيُسَمُّونَ الْغَنَاءَ بِاسْمِ الْحَوْرَانِيِّ، نِسْبَةً إِلَى حَوْرَانَ:

مِنْ أَطْرَافِ الْعِرَاقِ وَالشَّامِ، وَهِيَ مِنْ مَنَازِلِ الْعَرَبِ الْبَادِيَةِ وَمَسَاكِينِهِمْ إِلَى هَذَا الْعَهْدِ.

وَلَهُمْ فَنٌّ آخَرٌ، كَثِيرُ التَّدَاوُلِ فِي نَظْمِهِمْ، وَيُجَيِّثُونَ بِهِ مُغَضَّناً عَلَى أَرْبَعَةِ أَجْزَاءٍ،

15 يُخَالَفُ آخِرُهَا الثَّلَاثَةَ الْأُولَى فِي رَوِيَّةٍ، وَيُلْتَزِمُونَ الْقَافِيَةَ الرَّابِعَةَ فِي كُلِّ بَيْتٍ إِلَى آخِرِ

الْقَصِيدَةِ، شَبِيهاً بِالْمَرْبَعِ وَالْمُخَمَّسِ الَّذِي أَحَدَتُهُ الْمَوْلَدُونَ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ. وَلِهَؤُلَاءِ الْعَرَبِ

فِي هَذَا الشَّعْرِ بِلَاغَةٌ فَائِقَةٌ، وَفِيهِمْ الْفُحُولُ وَالْمُتَأَخَّرُونَ عَنْ ذَلِكَ.

(أ) إِلَى هُنَا تَتَوَقَّفُ نَسْخَةُ الْكِتَابِ الْأَوَّلِ "ع" (عَاطِفٌ أَفَنْدِي) لِضِيَاعِ الْكَرَاسِ الْآخِرِ مِنْهَا. انْظُرْ مَقْدَمَتَنَا لِلْعَبْرِ 1: 48، وَنَسْتَعْرِ

الْمُقَابِلَةَ عَلَى ثَلَاثِ نَسَخٍ فَقَطْ، هِيَ ط ج ي (ب) ج: الْبَدَاوِيُّ.



والكثير من المنتحلين للعلوم لهذا العهد، وخصوصاً علوم<sup>(1)</sup> اللسان العربي،  
 [يَسْتَنْكِرُ]<sup>(ب)</sup> هذه الفنون التي لهم إذا سمعها، ويمجّ نظمهم إذا أنشد، ويعتقد أن  
 ذوقه إنما نبت عنها لاستهجانها وفقدان الإعراب منها. وهذا إنما أتى من فقدان الملكة  
 في لغتهم. فلو حصلت له ملكة من ملكاتهم، لشهد له ذوقه وطبعه ببلاغتها إن كان  
 سليماً من الآفات في فطرته ونظره. وإلا فالإعراب لا مدخل له في البلاغة، إنما  
 5 البلاغة: مطابقة الكلام للمقصود ومقتضى الحال / من الوجود فيه، سواء كان الرفع  
 دالاً على الفاعل، والتصبُّ دالاً على المفعول، أو بالعكس. وإنما يدلُّ على ذلك  
 قرائن الكلام، كما هو في لغتهم هذه؛ فالدلالة بحسب ما يَصلحُ عليه أهلُ الملكة.  
 وإذا عُرف اصطلاح في ملكة واشتهر، صحت الدلالة، وإذا طابقت تلك الدلالة  
 للمقصود ومقتضى الحال، صحت البلاغة، ولا عبرة بقوانين النحاة في ذلك.  
 10

وأساليب الشُّعر وفنونه موجودة في أشعارهم هذه، ما عدا حركات  
 الإعراب في أواخر الكلمات، فإنَّ غالب كلماتهم موقوفة الآخر؛ ويتميز عندهم الفاعل  
 من المفعول، والمبتدأ عن الخبر بقرائن الكلام، لا بحركات الإعراب.

فمن أشعارهم<sup>(1)</sup> على لسان الشريف ابن هاشم، ينيكي الجازية بنت سرحان،  
 15 يذكر ظنّها مع قومها إلى المغرب:

(أ) ج : علم (ب) ظ ي : يستكرون

(1) التزمنا في كتابة هذه الأشعار غير المعربة التي أوردها المؤلف في هذا الفصل، الرِّسم الذي كتبت به،  
 والتقيّد بالحركات التي ثبتت عليها في الأصول.

..... الشريف ابن هاشم على

تَقَرَّ للاعلام اينَ ما رات خَاطِرَ

وماذا شكات الروح مما طَرا لها

تَحُسُّ ان قطاعاً مازي ضهرها

5 وعادت كما خواره في يد غاسل

يَجَابِدُهَا<sup>(أ)</sup> اثنين والفرع بينهم

وجات دموعي ذارفات لكنها

تدارك منها الجم حَذراً وزاذاها

نَضَب من القيعان من جانب الصفا

10 هذا الغنى مني تسايت عُزوة

ونادى المنادي بالرحيل وشوَّروا

وسداً لها [الأزباذ يا بنُ غانم]<sup>(ب)</sup>

/ وقال لهم حسن بن سرحان عَرَّبُوا

وَيَرْكُضُ وَبَسَدَهَ بينها بالشايج

15 عذرنِي<sup>(د)</sup> زِيَّان السَّمِيخ ابن عابش

غَذَرَنِي وهو زَعْمَا صديقي وصاحبي

وَرَجَعَ يقول لهم بلاد ابن هاشم

إلى طَرا كَبَد شكَّت من زفيرها

يُرد غَلام البدو يَلَوِي عَصِيرها

غَدَاتُ وزايغ تَلَف الله جَيرها

بَمَشَرَطَتُو هَندًا وصافي ذَكرها

عَلَى مثل شوك الطلح عَنفُو نشيرها

على شوكو لَعَدُوا بقايا حَيرها

يَبِيدِين دَوَّار السَّوَّاني يَديرها

مُزُون تَجِي مَثْرَاكِبًا من صَيرها

عَنُوفًا وَتَحْجَاز البرق في غَيرها

نَاضَتْ من بغداد حتى فقيرها

وعرج عارِها على مُستَعرِها

على اَيْدِين ماضي بن مَقَرَّب يَنيرها

[418] (ج) وَسَوْقُوا التَّجْوَعُ إِنْ كانَ أنا هو غَيرها

وَبِاللَّيْمِ لا تَحْجَزُوا في مُغَيرها

وما كانَ يَرضى زَيْن جَمِير ومَيرها

وَأنا لَينَه مَأمَن دَرَقَتِي ما نَديرها

بِخَبر البَلاَد المَغطِشا ما نَخيرها

(أ) ي : يجَابِدُهَا (ب) من ظ ي، وفي ج: الآن يا ديار ابن غانم (ج) سقط حرف العطف من ج (د) الإجماع من ج، وأهملت في ظ ي .

حراماً عليّاً باب بغداد وارضها      داخل ولا عاوذ ركيزي نقيرها  
نصدق روجي عن بلاد ابن هاشم      على الشمس أو نزل القضا من هجيرها  
وباتت نيران العدارى قوادح      يلوذو بحرجان يَشُدُّوا أسيرها

ومن قَوْلهم في رثاء أميرِ رَناتَه ، أبي سَعْدَى اليَفرني ، مُقارِعهم بإفريقَتِه

5 وأرض الزاب. وراثوهم له على طريق التَّهْكُم:

تقول نَقاةُ الخد سَعْدَى وهاضها      لما<sup>(1)</sup> في الظعون الباركين عويل  
يا سائل عن قَبْرِ الزَناتي خليفه      خُذْ النغت مني لا تكون هبيل  
أراه بَعالي واذران وفوقه      من الرِيط عيساوي بناء طويل  
أراه بميل الغور من شارع النقا      به الواد شرقا واليراع دليل  
يا لهف كبداه الزَناتي خليفه      10 وقد كان لاغقاب الجياد شليل  
قتيل فتى الهيجا ذياب بن غانم      جراحاً كأفواه المزاذ تسيل  
أيا جازياً مات الزَناتي خليفه      لا ترحل إلا أن تَريد رحيل  
الا واش رحلناك ثلاثين مرة      وعشراً وستاً في النهار قليل

ومن قَوْلهم على لسان الشَّريف، يذكُر عتاباً وقعَ بَيْنه وبين ماضي بن مُقَرَّب:

تبدا ماضي الخيَّار وقال لي      15 أشكر ما نحنا عليك رضاش  
أشكرا غدا لا تزيد ملامه      لحد<sup>(ب)</sup> ومن عمَّر بلادَه عاش

(1) ج: لها (ب) ج: لنجد .

باعدتنا يا<sup>(١)</sup> شُكر ودانيت غيرنا      وقربت عُزبا لبشين<sup>(ب)</sup> قماش  
/ نحن غدينا نصدّفوا ما قضا لنا      كما صادف طعم الزباد طشاش [٤١٨ب]  
إن كان بنت الشّول تلقح بارضكم      <sup>(ج)</sup> هنا العرب ما ردنا لهن ضناش<sup>(ج)</sup>

ومن قولهم في ذكر رختهم إلى المغرب، وعَلَيْهِم زَنَاتَةٌ عَلَيْهِ:

5      وأيُّ جميل ضاع لي في ابن هاشم      وأي رجال ضاع قبلي جميلها  
لقد كنت أنا<sup>(د)</sup> وإياه في زهو بيننا      عناني بحجه ما [غباني]<sup>(هـ)</sup> دليلها  
وعدت لکني شارباً من مدامه      من الحمر قهّوا ما قدر من ميلها  
أو مثل شمطا مات مضمون كبدها      غريباً وهي مدوخاً عن قبيلها  
أناها زمان السّوء حتّى تدوخت      وهي بين غرباً غافلاً عن نزيلها  
10      لذلك<sup>(و)</sup> أنا ممّا لجالي<sup>(ز)</sup> من الوجا      شاكي بكبداً باذيهـا زعيلها  
وامرئ قومي بالرحيل وبكروا      وقواؤ شداد<sup>(ح)</sup> الحوايا جميلها  
قعـدنا<sup>(ط)</sup> سبعة يّام مخيوش نجعنا      والبذو<sup>(ي)</sup> ما ترفع عموداً بقي لها  
تظل على احداًب الثنايا نوازي      تظل الجرا فوق النضا واتزيلها

ومن شعر سلطان بن مظفر بن يحيى، من التّواودة، إحدى بطون رباح  
15      وأهل الرّياسة فيهم، يقولها وهو معتقل بالمهدية، في سجن الأمير أبي زكرياء ابن أبي  
حفص، أول ملوك إفريقية من الموحدين:

(١) ج: ياعك ثايل (ب) ي: لبسين (ج) ج: هنا العرب ما ردنا لهن ضناش (د) ج: ناوياه (هـ) ج: غباني (و) ج: كذلك  
(ز) ج: لجالي (ح) ي: سداد (ط) ي: فعدنا سبعة يّام (ي) ي: اليه وما ترفع عموداً بقي لها .

تقول وفي بَؤُوح الدجا بعدَ وَهْنه  
يا من [القلبا] <sup>(أ)</sup> حالف الوجد والأسى  
حجازيه بدوييه عرييه  
مولعة بالبدو لا تألف القرى  
غِيَاثٌ وَمَشْتَاهَا بِهَا كُل شَتْوَةٍ  
ومرباعها عُشْبُ الْأَرْضِ مِنَ الْحَيَا  
نشوقٌ تشوق <sup>(ب)</sup> العَيْنِ مِمَّا تَدَارَكَتْ  
[419] / وماذا بكث بالما وما ذا تناخطت  
كأن العروس البكر لاحت ثيابها  
فلاة وَدَهْنُهَا وَاتِّسَاعُ وَنِيهِ  
ومشروبها من محض ألبان شولها  
تغاثت عن الأبوابِ والموقف الذي  
سقا الله أُلُوَاذَ الْمَسْجِدِ بِالْحَيَا  
مكافأتها بالود مَنِّي وَلِيَتَّنِي  
ليالي اقواس الصبا في سواعدي  
وقرسي عديدا تحت سرجي مشاقّة  
وكم من رداحاً اسهرثي ولم أرى

حراماً على أجفان عيني منامها  
ورُوحاً هيامي طال ما بي سقامها  
غداويةً ولها بعيداً مرامها  
سِوَا عَانِكَ الْوَعْسَا يَوَاتِي خِيَامَهَا  
محمونةً بيها وبها غرامها 5  
يَوَاتِي مِنَ الْخُورِ الْخَلَايَا جَسَامَهَا  
عليها من السَّحْبِ السَّوَارِي غَمَامَهَا  
عيون غزار المزن عذبا حمامها  
عليها ومن نور الاقاضي خزامها  
ومَرَعَا سَوَاماً فِي مِرَاعِي نَعَامَهَا 10  
عتيمٌ ومن لحم الجوازي طَعَامَهَا  
يشيب الفتى مما يقاسي زحامها  
وتالاً <sup>(ج)</sup> ويحيي ما بلا <sup>(د)</sup> من زمامها  
ظفرت بأياما مضت في زكامها  
إذا قمتُ لم تخطي من ايدي سهامها 15  
زمان الصبي شرخا وبيدي لجامها  
من الخلق ابهى من نظام ابتسامها

(أ) من ج، وفي ظ: لقا (ب) التاء مملدة في ج (ج) كذا ويعني: وتألّى (د) كذا ويعني: ما بلن .

وم غيرها من كاعباً مرجئة  
 وصفقت من وجدي عليها طريجة  
 وناراً بخطب<sup>(ب)</sup> الوجد توهج في الحشا  
 أبا من .....<sup>(ج)</sup> هذا إلى متى  
 5 ولكن ريت الشمس تكسف ساعة  
 بنوذ ورايات من السعد اقبلت  
 الا واعلي بالعين اظعان عزوتي  
 بجرعا عيآث الفرق من فوق شامس  
 إلى منزل بالجعفرية للسوى  
 10 ونلقى سراً من هلال بن عامر  
 بهم تضرب الامثال غرب ومشرق  
 عليهم ومن هو في حباهم<sup>(هـ)</sup> تحية  
 / أدع ذا ولا تأسف على سالفاً مضى  
 مطرزة الاجفان باهي وشامها  
 بكفى ولم ننسى جدايا ذمامها<sup>(ا)</sup>  
 وتوهج لا يطفى من الما ضرامها  
 فنى العمر في دار عَماني ظلامها  
 ويغمى عليها ثم يبرا غيامها  
 الينا بعون الله يَهفو علامها  
 ورمحي على كثفي وسيري امامها  
 احب بلاد الله عندي حُثامها<sup>(د)</sup>  
 مقيم بها ما لذ عندي مقامها  
 يزيل الصدى والغُلّ عني سلامها  
 إلا قابلوا قوماً سريع انهما  
 مدا الدهر ما غنى بغنيا<sup>(و)</sup> حمامها  
 في ذي الدنيا ما دام لاحد دوامها [419ب]

15 ومن أشعار المتأخرين منهم، قول خالد بن حمزة بن عمر، شيخ الكُعب،  
 من أولاد أبي الليل، يعاتب أقتالهم<sup>(ز)</sup> أولاد مُهلل، ويُجيبُ شاعرهم شبل بن  
 مسكيانة بن مهلهل، عن أبياتٍ فخرَ عليهم فيها بقومه:

يقول وذا قول المصاب الذي نشأ قسواع قيفان يُعاني صعاها

(ا) ج: دماها (ب) ظ: بخطب (ج) يياض في ج ي، وكبت منقلة في ظ (د) تقرأ في ج: حشامها (هـ) ج: جياهم  
 (و) ي: لغنيا (ز) جاءت مائلة في ظ ي، ويمكن أن تقرأ: أقيالهم .

يرج بها جأؤ المصاب إلا انتقا  
 محبرة مختارة من نشادنا  
 مغرلة عن ناقدأ في غصونها  
 هيض<sup>(أ)</sup> تذكاري بها يا ذوي الندى  
 أشبل جثنا من حباك طرايف  
 فحزت ولم تقصر ولا انت بعام  
 لقولك في أم [الميتين]<sup>(ب)</sup> بن حمزة  
 أما تعلم أنه قامها بعدما لقا  
 شهاباً من اهل الأمر يا شبل خارق  
 سواهر طفاها وضرمث بعد طفيته  
 وضرمث بعد الطفتين إلن صحت  
 كما كان هو يطلب على ذا تجنبث  
 وبان لوالي الراي في ذا انشباخها

ومنها في العتاب:

وليذا تغانينوا أنا أغنى لانني  
 علي ونا ندفع بها كل مبضع  
 فإن كانت الأملاك نعت عرايش

فنونا من انشاد القوافي عداها  
 تجدني ليا نام الوشا ملتها بها  
 محكمة القيفان دابي ودائها  
 قوارع من شبل وهذي جوابها  
 5 قراخ يرج الموجهين الغنا بها  
 سوا قلت في جمهورها ما اعابها  
 حامي حماها عاد باني خرابها  
 رصاص بين يحيي وعلاق دابها  
 وهل ريت من جا للفلق واصطلابها  
 10 وأثا طفاها جاسراً لا يهابها  
 لفاس الي بيت المنا يقتدا بها  
 رجال بني كعب الذي يتقا بها  
 قصارا وهي عن كبر الاشيا يهابها

15 غنيت بعلاق الثنا واعتصاها  
 بلسياف تنشاش العدا من رقاها  
 علينا بأطراف الشني اختطابها<sup>(ج)</sup>

(أ) ي : هيض (ب) من ج، وفي ي: الميتين (ج) ج ي: القتي اختطابها .

/ ولا يَفْهَمُهَا إِلَّا رَهَافٌ وَذُبُلٌ  
بَنِي عَمَّنَا مَا نَرْتَضِي الذِّلَّ غِلْمُهُ  
وَهِيَ عَالِمَا بَانَ الْمَنَايَا تَغِيلُهَا  
وَزُرْقٌ كَالسِّنَّةِ الْحِنَاشِ انْسِلَافُهَا [420]

ومنها في وَصِفِ الطَّعَائِنِ:

5 بَظْفَرٍ قَطُوعَ الْبِيدِ لَا نَخْتَشِي الْعِدَا  
تَرَى الْعَيْنَ بِيهَا قُلَّ لَشَبْلٍ عَرَايِفُ  
تَرَى أَهْلَهَا غَطَا الصَّبَاحِ أَنْ يَفْلَهَا  
لَهَا كُلَّ يَوْمٍ فِي الْأَرَامَةِ قَتَايِلُ  
فَتُوقُ لِحُوبَاتٍ مَخُوفٍ جَنَابُهَا  
وَكُلِّ مَهْمَاةٍ مَحْتَضِنُهَا رِبَابُهَا  
بِكُلِّ خَلُوبِ الْجَوَفِ يَا شَحْدَنَا بِهَا  
وَرَا الْفَاجِرِ الْمَمْزُوجِ عَنُورِ رِضَابُهَا

ومن قَوْلِهِمْ فِي الْأَمْثَالِ الْحِكْمِيَّةِ:

10 وَطَلَبُكَ فِي الْمَمْنُوعِ مِنْكَ سَفَاهَةٌ  
إِلَّا رَأَيْتَ نَاسًا يَغْلِقُوا عَنْكَ بَابَهُمْ  
وَصَدَّكَ عَمَّنْ صَدَّ عَنْكَ صَوَابُ  
ظَهُورِ الْمَطَايَا يَفْتَحُ اللَّهُ بَابَ

ومن قول شبل يذكر انتساب الكعوب إلى تَرْجَمَ:

لَشَيْبٍ وَشُبَّانٍ مِنْ أَوْلَادِ تَرْجَمَ  
جَمِيعِ الْبَرَايَا تَشْتَكِي مِنْ ضُهَاذِهَا

15 ومن قوله<sup>(1)</sup> يعاتب إخوانه في مُوَالَاةِ شَيْخِ الْمُوَحِّدِينَ، أَبِي مُحَمَّدٍ بْنِ تَافَرَاكِينَ  
الْمُسْتَبَدِّ بَتُونَسَ عَلَى سُلْطَانِهَا، مَكْفُولُهُ أَبِي إِسْحَاقَ ابْنَ السُّلْطَانِ أَبِي يَحْيَى، وَذَلِكَ فِيمَا  
قَرَّبَ مِنْ عَصْرِنَا:

(1) العائد لخالد بن حمزة بن عمر .



يقول بلا جمل فتى الجود خالد  
مقالة خبر ذات ذهن ولم يكن  
تَهَجَّسْت معني قافها لا حاجة  
و كنت بها كندي<sup>(١)</sup> وهي نعم صاحبة<sup>(ب)</sup>  
تقوّهت بادي شرحها عن مآرب  
بني كعب ادنى الأقربين لدننا  
/ جرى عند فتح الوطن منا لبعضهم  
وبعضهم ملنا له عن خصمه  
وبعضهم موهوب من بعض ملكننا  
وبعضهم جانا حويج تسمحت  
وبعضهم بطّار فينا بسوء  
رجع ينتهي مما تفهنا قبيحة  
وبعضهم شاكى من اوغاد قاذر  
فصنناه عنه واقتضا منه مؤرد  
ونحن على ذا في مدى نطلب العلى  
وحزنا حميا وطن ترشيش بعد ما  
ومهد من الأملاك ما كان خارج  
برذع قروم من قروم قبيلنا

[420ب]

مقالة قوَالٍ وقال صواب  
هريجا ولا فيما يقول ذهاب  
ولا هرجا ينقاد منه معاب  
حزينة فكر والحزين يصاب  
جرت من رجال في القيل قراب<sup>(ج)</sup> 5  
بني عم منهم شايب وشباب  
مُصَافاة ودّ وانسياغ جناب  
كما تعلموا قولي بعينه صاب  
جرا بمرنا<sup>(د)</sup> وخذ الظهير كتاب  
خواطر منا للجزيل وهاب 10  
نفهناه<sup>(هـ)</sup> حتى ما عنا به ساب  
مرارا وفي بعض المزارر يهاب  
غلق عنه في احكام السقايف باب  
على كزه مولى [اليالقي ورباب]<sup>(و)</sup>  
لهم ما حططنا للفجور<sup>(ز)</sup> نقاب<sup>(ح)</sup> 15  
نفقنا عليها سبّقا ورقاب  
عن احكام والى امرها له ناب  
بني كعب لاواها الغريم وطاب

(أ) في حاشية ج ويخط الناصح ابن الفخار: أي يستخرج الكثير (ب) ي: ضائبة (ج) في الحاشية: أقارب (د) من ظي ، وفي ج:  
نمرنا (هـ) ج : لنهناه (و) حاشية ج ي : رجلان من أكبر دولة تراكين (ز) ي ج: الفخور (ح) ج: النقاب: اللثام .

جزينا بهم عن كل تاليف في العدى  
 إلن عاد من لا كان منهم بهمة  
 وركبوا السبايا المثنات من اهلها  
 وساقوا المطايا بالشرا لا نسؤله<sup>(أ)</sup>  
 5 وكبسوا من اصناف السعايا دخايز  
 وعادوا نظير البرمكين قبل ذا  
 وكانوا لنا دزعا لكل مهمة  
 خلوا الدار في جنح الظلام ولا اتقوا  
 كسوا الحي جلباب البهيم لستره  
 10 كذلك منهم حابس ما درا النبا  
 / يظن ظنونا ليس نحن من اهلها  
 خطا هو ومن واتاه في سوء ظنة  
 نوؤا عزوتي ان الفتا بو محمد  
 وبرجت الاوغاد منه ويحسبوا  
 15 جزوا يطلبوا تحت السحاب شرايع  
 وهو لو عطا ما كان للراي عارف  
 وان نحن ما نستاملوا عنه راحة  
 وأن وطا ترشيش يضيق وسعها

(أ) ي : نسؤله (ب) ظ : يعلونها .

وقننا بهم عن كل قيد مناب  
 رفيها وخيراثو عليه خصاب  
 ولبسوا من انواع الحرير ثياب  
 جماهير ما [يغلو بها]<sup>(ب)</sup> بحلاب  
 ضخم لحزات الزمان تصاب  
 والاهللا في زمان دياب  
 إلن بان من نار العدو شهاب  
 ملامه ولا دار الكرام عتاب  
 وهم لو دروا لبسوا قبيح جباب  
 وذهل حكمي له ان عقلة غاب  
 421] تمنى يكن له في السماح شعاب  
 بالاثبات من ظن القبائح عاب  
 وهوب لالاف بغير حساب  
 بروجع يا يحيى بروج سحاب  
 لقوا كل ما يستاملوه سراب  
 ولكن في قلة عطاه صواب  
 وائنه بسهام التلاف مصاب  
 عليه وتسنى بالفزوع كراب

وائهُ منها عن قريب مُفاصل  
 وعن فائنات الطرف غيد غوانج  
 يتيه إذا تاهوا ويصبوا إذا صبّوا  
 يضلوه من عدم اليقين وربّما  
 بهم جاز له زمناً وطوع أوامر  
 حرام على بن تافراكين ما مضى  
 وإن كان له عقلاً رجيح وفطنة  
 وما البُدا لا بدّها من مباعِل  
 ويحمى بها سوق علينا سلاعه  
 يمسى غلام طالبٍ ربح ملكنا  
 يا واكلين الخبز تبغّوا إدامه  
 خلوج عنا زهّو لها وقباب  
 ربوا خلف استار وخلف حجاب  
 بحسن قوائين وصوت رباب  
 يطارح حتى مالكتّه شاب  
 ولذة مأكول وطيب شراب 5  
 من الودّ إلا ما بُدِل بخراب<sup>(أ)</sup>  
 يلجح في اليم الغريق غراب  
 كبار الّن تبقا الرجال كباب  
 ويحمار<sup>(ب)</sup> مغصوب القنا وجعاب  
 ندوما ولا يمسى صحيح بناب 10  
 غلظتوا<sup>(ج)</sup> ادّمتوا في السموم لباب

ومن شغل علي بن عُمر بن إبراهيم، من رؤساء بني عامر لهذا العهد،  
 إحدى بطون زُعْبَة، يُعَاتِب بني عَمّه المتطاولين إلى رياسة يَنْتَه:  
 ابابات (كذا) عذبة من قريض كلام<sup>(1)</sup>

(أ) ج ي: بحراب (ب) كذا في ظ ج، وفي ي: ويحي ... (ج) في ظ: وغلظتو.

(1) كذا وضع هذا العجز (?) - ولا صدر له - في أصول المؤلف الثلاثة: ظ ج ي، وذلك على أنه من القصيدة التالية له. ويظهر أنه في الأصل استمرار ثري للفقرة السابقة، حصل فيه بعض التحريف من النسخ الأول، وربما كان يُقرأ: يُعَاتِب بني عَمّه... إلى رياسة يَنْتَه، بآيات عذبة من قريض الكلام. ثم تبدأ القصيدة التي استأثرت - دون غيرها - بعناية ابن خلدون، فشرح بعض كلماتها الغامضة في حواشيه، كما ذكره. وقد أوردت هذه الإفادات اللغوية سُختا ج ي وسقطت من ظ، فأثبتناها في فروق النسخ.

/ محبّة كالدر في يدين<sup>(ا)</sup> صانع  
 انا جها مني تسايت<sup>(ج)</sup> ما طرا  
 غدا منه لام الحي حيين وانشطت  
 لكن ضميري يوم بان بهم النيا  
 5 وإلا كما ابراض البهامي<sup>(د)</sup> قوادح  
 وإلا لكنّ القلب في يدين قابض  
 ليا<sup>(و)</sup> قلت نعفا من شقا البين زارني  
 الا يا ربوعا كان بالامس عامر  
 وغيدا تدانى للخطى في ملاعب  
 10 ونعم تشوق الناظرين التمامة  
 وعذف<sup>(ط)</sup> ديا سئها يروعو مريها  
 واليوم ما بها سوى البوم حولها  
 وقفت بها طورا طويل نسالها  
 ولا صح لي منها سوى وحش خاطري  
 15 ومن بعد ذا تدني<sup>(ل)</sup> لمنصور بو علي  
 وقولوا لوي يا بو الوفا كلح راكم

ليا<sup>(ب)</sup> كان في سلك الحرير نظام [421ب]  
 وبيننا بذا تركّ الظعون قسام  
 عصاها ولا صبنا عليه حكام  
 تبرم على شوك القناد بزام  
 لهم بين عوج الكافيات ضرام  
 اتاهم بمنشار القطيع غشام<sup>(ه)</sup>  
 إذاه ينادي بالفراق وخام  
 بحبي وجله والقطين لمام  
 دجا الليل فيهم ساهرا وينام  
 ليا ما بدا من مهرق<sup>(ز)</sup> وكظام<sup>(ح)</sup>  
 وأطلاو<sup>(ي)</sup> من سرب المها ونعام  
 يتوخوا على اطلال لها وختام<sup>(ك)</sup>  
 بعين سخيفا والدموع جمام  
 وسقمي من اسباب عرفت وهام  
 سلام ومن بعد السلام سلام  
 دخلتوا بحور غامقات دهام

(ا) كذا في ظ ج، وفي ي: يدي، وشرحت في حاشية ج: يذني (ب) في حاشية ج: إذا (ج) في حاشية ج: أسباب  
 (د) في حاشية ج: شرر الحداد (ه) في حاشية ج: جاهل (و) في حاشية ج: إذا (ز) في حاشية ج: السهل (ح) في  
 حاشية ج: الثنايا (ط) في حاشية ج: غراب (ي) في حاشية ج: جماعات (ك) في حاشية ج: الكندي المستديرة (ل) في  
 حاشية ج: أي تحمل .

زواخر ما توقاس بالعود وانما  
ولا تستوا فيها قياساً يذلكم<sup>(ا)</sup>  
وعانوا على هلكاتكم في ورودها  
يا عَزُوتاً<sup>(ب)</sup> ركبوا الصللا ولا لهم  
الا عناهم لو ترى كيف رايم  
خلوا<sup>(د)</sup> الغبا ونغاؤ في مَرَقَب العُلا  
/ وحق النبي والبيت واركانه الذي  
لبد الليالي ييه إن طالت الحيا  
وان بدّها تبلى البوادي عكايف  
وكل مُشاقاً<sup>(ز)</sup> كالشداياة<sup>(ح)</sup> عابز<sup>(ط)</sup>  
وكل كميّ<sup>(ي)</sup> مُكَنَفَض<sup>(ك)</sup> غَض نَابَهُ  
وتجبل بنا الارض العقيمة مُدَّة  
بالابطال والقود الهجان وبالقنى  
نحجزها وانا عقيد<sup>(م)</sup> نقودها  
وحنا كما اضراش<sup>(ن)</sup> البزا في اثر نجعمكم  
متى كان بوم<sup>(س)</sup> الفحص يا مير بو علي

[1422]

لها سيلات على الفضا والاكام  
وليس البحور الطاميات تُعام  
من الناس عُدمان العقول ليام  
قرار ولا دنيا لهن دوام  
مثل سَدَوْ رَفلاً<sup>(ج)</sup> ما لهن تمام 5  
مواضع ما هيا لهم بمقام  
وما زارها في كل دهر وعام  
تذوقون من خُط<sup>(ه)</sup> الشكاع<sup>(و)</sup> مدام  
بكل رديني مطرباً وحسام  
عليها من اولاد الكرام غلام 10  
يَظَلْ يصارع في العنان لجام  
وتولدنا من كل ضيق كظام<sup>(ل)</sup>  
لها وقت وجبات العدو زحام  
وفي سنّ رمحي للحروب علام  
حتى تقاضوا من ديون غرام 15  
يلقي سغابا صايدين قُرام<sup>(ع)</sup>

(ا) ج: بدلكم (ب) حاشية ج ي: انبي آينا (ج) ج ي: خرقاً (د) ج: خلق (ه) ج ي معناه: المتر (و) ج ي بمعنى: الشراب (ز) ج ي: الفرس (ح) حاشية ج ي: الرياح (ط) ج ي: سابق (ي) ج ي: أحمر (ك) حاشية ج ي: مختوم (ل) حاشية ج ي: الشايبا (م) ج ي: عقيد القوم: أميرهم (ن) ج ي: شرار البزاة (س) ج ي: طائر (ع) ج ي: شديد الشهوة إلى اللحم.

كذلك بوحمو<sup>(أ)</sup> اشترى بغت داخض  
 وخلا رجالا لا يرى الضيم جارهم  
 الا يقيموها وتثديو<sup>(ج)</sup> شؤزهم<sup>(د)</sup>  
 كم ثار ظعنهما على البدو سايق  
 5 في اثار قطاع الصوا<sup>(ز)</sup> بو مياعل  
 وم ذا يجيبوا في اثره من غنيمه  
 وان جاؤ يخفوه الملوكة ويبتغوا  
 عليكم سلام الله من لسن فاهم<sup>(م)</sup>  
 وخلى الجياد<sup>(ب)</sup> الغاليات تسام  
 ولا يخنعوا يرجى العدو دمام  
 وهم عز زغبة<sup>(ه)</sup> دايماً ودوام  
 بين صحاصيح وبين حُتام<sup>(و)</sup>  
 ليا<sup>(ح)</sup> ناض<sup>(ط)</sup> ترك الظاعنين رمام  
 حليف الشنا سجاج<sup>(ي)</sup> كل غيام<sup>(ك)</sup>  
 غدا ظعنه يحذى<sup>(ل)</sup> عليه قسام  
 ما غنت ورقا وناح حمام

ومن شغر عرب البرية بالشام، ثم نواحي<sup>(ن)</sup> خوران، لامرأة قتل زوجها،  
 10 وبعثت إلى أحلافه من قيس [تغريمهم]<sup>(س)</sup> بطلب ثأره:

تقول فتاة الحي أم سلامة  
 تبات طوال الليل ما تالف الكرى  
 / على ما جرى في دارها وعيالها  
 فقدتوا شهاب الدين يا قيس كلكم  
 بعين اراع الله من لا رثا لها  
 موجعه كن السفا في مجالها<sup>(ع)</sup>  
 بلحظة عين غير البين حالها [422ب]  
 وغتوا عن اخذ الثار ماذا وفا لها

(أ) حاشية ج ي: سلطانهم ملك تلسان والمغرب الأوسط (ب) ج: العباد (ج) ج ي، القدا: الاستقامة (د) ج ي: الشؤز:  
 الجهة المقصودة (ه) ج ي: قبيلة من بني هلال (و) ج ي: الكدى (ز) ج ي: جمع صوة وهي القصر (ح) ج ي: إذا  
 (ط) ج ي: ركب للغزو (ي) ج: خارق السراب، وفي ي: خارقه (ك) ج ي: السراب (ل) ج ي: يسير (م) كذا في ظ  
 ي، وفي ج: فافهم (ن) ي: بنواحي (س) من ج ي، وفي ظ: تغريمهم (ع) ج ي: محالها.

أنا قلت إذا رد الكتاب يسرني      وتبرد من نيران قلبي ذبالها  
أيا حين تسريح الذوايب واللحا      وبيض العذارى ما حميتوا جمالها

وأمثالُ هذا الشعرِ عندهم كثيرٌ، وبينهم متداولٌ. ومن أحيائهم من ينتجله،  
ومنهم من يستنكفُ عنه، كما بيناهُ في فضل الشعر، مثل الكثير من رؤساءِ رِياحِ  
وزُغَبَة وسُلَيمٍ لهذا العهدِ، وأمثالهم.

## الموشحاتُ والأَنْزِجَالُ لِلأَنْدَلُسِ<sup>(1)</sup>

وأما أهلُ الأَنْدَلُسِ، فلَمَّا كَثُرَ الشَّعْرُ في قُطْرِهِمْ وتَهَدَّبتِ مَنَاحِيهِ وفنُونُهُ،  
وَبَلَغَ التَّمَيُّقُ فِيهِ الغَايَةَ، استحدثَ المتأخرونَ منهم فَنًّا مِنْهُ سَمَوْهُ بِالْمُوشَّحِ، يَنْظُمُونَهُ أَشْهُاطاً  
أَشْهُاطاً، وَأَعْصَاناً أَغْصَاناً، يَكْتَبُونَ مِنْهَا وَمِنْ أَعَارِضِهَا المِخْتَلَفَةِ، وَيُسَمُّونَ المِتَعَدَّدَ مِنْهَا  
بَيْنًا وَاحِداً، وَيَلْتَزِمُونَ عِدَدَ قَوَافِي تِلْكَ الأَغْصَانِ وَأَوْرَاقِهَا مُتتَالِيًا فِيمَا بَعْدَ إِلَى آخِرِ  
الْقِطْعَةِ. وَأَكْثَرُ مَا يَنْتَهِي عِنْدَهُمْ إِلَى سَبْعَةِ آيَاتٍ. وَيَشْتَمِلُ كُلُّ بَيْتٍ عَلَى أَغْصَانٍ عِدْدُهَا  
بِحَسَبِ الأَغْرَاضِ والمِذَاهِبِ. وَيُنْسَبُونَ<sup>(2)</sup> فِيهَا وَيَمْدَحُونَ، كَمَا يُفْعَلُ فِي القَصَائِدِ.

وتَجَارَوْا فِي ذَلِكَ إِلَى الغَايَةِ، وَاسْتَظَرَفَهُ النَّاسُ، وَحَمَلَهُ الخَاصَّةُ وَالكَافَّةُ  
لِسُهولةِ تَنَاوُلِهِ وَقُرْبِ طَرِيقِهِ.

وكان المَخْتَرَعُ لَهَا بِجَزِيرَةِ الأَنْدَلُسِ، مُقَدِّمُ بنِ [مُعَاوِيَةَ القُبَيْرِي]<sup>(1)</sup> مِنْ شُعْرَاءِ  
الْأَمِيرِ عَبْدِ اللَّهِ بنِ مُحَمَّدٍ المَرْوَانِيِّ. وَأَخَذَ عَنْهُ ذَلِكَ [أَحْمَدُ]<sup>(ب)</sup> بنِ عَبْدِ رَبِّهِ، صَاحِبُ

(أ) فِي ظِي : بنِ مُعَاوِيَةَ القُبَيْرِي، وَفِي ج : بنِ مُعَاوِيَةَ البُرَيْرِي، وَالتَّصْوِيبُ مِنَ المَقْتَطَفِ 255 وَجُذُورُ الحَمِيدِي 333 (ب) فِي  
الأَصُولِ الثَّلَاثَةِ: عَبْدِ اللَّهِ، وَأَصْلَحَ فِي حَاشِيَةِ ج وَعَلَيْهِ صَح.

(1) يَنْقُلُ ابْنُ خَلْدُونِ أَكْثَرَ مَادَّةِ هَذَا الفَصْلِ مِنَ المَقْتَطَفِ ابْنِ سَعِيدٍ، انْظُرْ عَنْ ذَلِكَ د. عَبْدِ العَزِيزِ الأَهْوَانِي:  
المَقْتَطَفُ مِنْ أَزْهَارِ الطَّرَفِ، (مَجْلَةُ الأَنْدَلُسِ Al-Andalus المَجْلَدُ 13 ص 19 - 33، مَدْرِيدُ 1948)؛ ابْنُ  
خَلْدُونِ وَتَارِيخُ فَنِّي التَّوَشِيحِ وَالرَّجُلِ. (أَعْمَالُ مُهْرَجَانَ ابْنِ خَلْدُونِ، 473 - 487، القَاهِرَةُ 1962م)، مَقْدَمَةُ  
المَقْتَطَفِ 22-25، وَفِي خَاتَمَتِهِ رِسَالَةُ الطَّنْجِي لِلْأَهْوَانِي ص 274 .

(2) يَشْتَبُونَ بِالمَرْأَةِ فِي شَعْرِهِمْ .



كتاب العقد. ولم يظهر لهما مع المتأخرين ذكر، وكسدت موشحاتهما. فكان أول من برع في هذا الشأن بعدهما عبادة الفزاز، شاعر المعتصم ابن ضمادح، صاحب المريّة. وقد ذكر الأعلام البطليوسي أنه سمع أبا بكر بن زهر يقول: كل الوشاحين عيال على عبادة الفزاز فيما اتفق له من قوله<sup>(1)</sup>:

5      بَذُرْتُمْ      شمسُ ضُحَى      غصنُ نَقَا      مِسْكُ شَمِّ  
/ ما أتم      ما أَوْضَحَا      ما أَوْرقَا      ما أتم  
لا جرم      من لَمَحَا      قد عَشِقَا      قد حُرِمَ

[423]

وزعموا أنه لم يسبق عبادة وشاح من معاصريه الذين كانوا في زمن الطوائف. وجاء مصلياً خلفه منهم ابن أرفع رأسه، شاعر المأمون بن ذي النون، صاحب طليطلة. قالوا: وقد أحسن في ابتدائه في الموشحة التي طارث له، حيث يقول<sup>(2)</sup>:

العودُ قد ترنم      بأبدع تلحين  
وشقت المذائب      رياض البساتين

(1) نفع الطيب 7: 6 (وهو ناقل عن مقدمة ابن خلدون)، ابن سناء الملك: دار الطراز 89 وبه النص التام للموشح.

(2) التفتح 7: 6، أزهار الرياض 2: 208 (ونقله عن ابن خلدون)، المقتطف 256، عدة الجليس 362 (241) وأورد نص الموشح كاملاً.

وفي انتهائه، حيث يقول:

تَحْطُرُ وَلِشَ تَسْلَمُ      عَسَاكَ الْمَأْمُونُ  
مَرْوَعُ الْكَتَائِبِ      يَحْيَى بْنُ ذِي التَّوْنِ

5 ثم جاءت الحلبنة التي كانت في مُدَّة المثلّمين، فظهرت لهم البدائع. وفرسانُ  
جلبتهم الأعمى التّطيليّ، ويحيى بن بقي. وللتّطيليّ من الموشّحات المذهّبة قوله<sup>(1)</sup>:

كَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى      صَبْرِي وَفِي الْمَعَالِمِ<sup>(أ)</sup>      أَشْجَانُ  
وَالرَّكْبُ وَسَطَ الْفَلَاحِ      بِالْحُرْدِ النَّوَاعِمِ      قَدْ بَانُوا

وذكر غير واحد من المشايخ، أنّ أهلَ هذا الشأنِ بالأندلسِ يذكرون أنّ  
جماعةً من الوشّاحين اجتمعوا في مجلسٍ بإشبيلية، وكان كلّ واحدٍ منهم قد صنّع  
10 موشحةً وثأّق فيها، فتقدّم الأعمى التّطيليّ للإشادة، فلما افتتَح موشحته<sup>(ب)</sup> المشهورة  
بقوله<sup>(2)</sup>:

ضاحكٌ عن جُمانٍ      سافرٌ عن بَذَرٍ  
ضاقٌ عنه الزّمانُ      وحواهُ صَدْرِي

(أ) في الأزهار: العالم (ب) ي: موشحه.

(1) ديوان الأعمى التّطيليّ 272، التّفح 7: 7، أزهار الرّياض 2: 208.

(2) دار الطراز 32، أزهار الرّياض 2: 208، التّفح 3: 404، 4: 551، 7: 7.

خَرَّقَ ابْنُ بَقِيٍّ مَوْشَحَتَهُ، وَتَبِعَهُ الْبَاقُونَ.

وَذَكَرَ الْأَعْلَمُ الْبَطْلِيوسِيُّ، أَنَّهُ سَمِعَ ابْنَ زَهْرٍ يَقُولُ: مَا حَسَدْتُ قَطُّ وَشَّاحاً  
عَلَى قَوْلِ إِلَّا ابْنَ بَقِيٍّ حِينَ وَقَعَ لَهُ<sup>(1)</sup>:

أَمَّا نَرَى أَحْمَدُ      فِي مَجْدِهِ الْعَالِي      لَا يُلْحَقُ  
أَطْلَعَهُ الْغَرْبُ      فَأَرِنَا مِثْلَهُ      يَا مَشْرِقُ 5

وَكَانَ فِي عَصْرِهِمَا مِنَ الْوَشَّاحِينَ الْمَطْبُوعِينَ أَبُو بَكْرٍ الْأَيْيُضُ. وَكَانَ فِي عَصْرِهِمْ  
[423ب] / أَيْضاً الْحَكِيمُ أَبُو بَكْرٍ ابْنُ بَاجَّةَ، صَاحِبُ التَّلَاحِينَ الْمَعْرُوفَةِ.

وَمِنَ الْحِكَايَاتِ الْمَشْهُورَةِ، أَنَّهُ حَضَرَ مَجْلِسَ مَخْدُومِهِ ابْنِ تَيْفَلُوتٍ، صَاحِبِ  
سَرَقُوسْطَةَ، فَأَلْقَى عَلَى بَغْضِ قَيْنَاتِهِ مَوْشَحَتَهُ الَّتِي أَوْلَاهَا<sup>(2)</sup>:

جَرَّرِ الذَّنِيلَ أَيَّاماً جَرًّا      وَصَلِ الشُّكْرَ مِنْكَ بِالشُّكْرِ 10  
فَطَرِبَ الْمَمْدُوحُ لَذَلِكَ، فَلَمَّا خَتَمَهَا بِقَوْلِهِ:

عَقَدَ اللَّهُ رَايَةً<sup>(1)</sup> التَّضَرُّرِ      لِأَمِيرِ الْعُلَى أَبِي بَكْرٍ

(1) ج: آية .

(1) أزهار الرياض 2: 209، التفتح 7: 7، والموشع كله في دار الطراز 86-87، ونُسب للأعمى التطيلي،  
ديوانه 270-272، ويرجح ناشر دار الطراز نسبه لابن بقي، لتضمنه مدح بني القاسم قضاة سلا، الذين  
اختص بمذحهم .

(2) عدة الجليس 161 (106)، التفتح 7: 8، أزهار الرياض 2: 209، وأورد نصه ابن الخطيب في جيش  
التوشيح 123 (90) ونسبه ليحيى الصيرفي، وعليه مستدرک 285 .

فلَمَّا<sup>(1)</sup> طَرَقَ ذَلِكَ التَّلْحِينُ سَمِعَ ابْنُ تَيْفَلَوَيْتٍ، صَاحَ: وَاطْرَبَاهُ! وَشَقَّ ثِيَابَهُ  
وَقَالَ: مَا أَحْسَنَ مَا بَدَأَتْ وَمَا خَتَمَتْ! وَحَلَفَ بِالْأَيْمَانِ الْمُغْلَظَةِ لَا يَمْشِي ابْنُ بَاجَةٍ  
إِلَى دَارِهِ إِلَّا عَلَى الذَّهَبِ. فَخَافَ الْحَكِيمُ سُوءَ الْعَاقِبَةِ، فَاخْتَالَ بِأَنْ جَعَلَ ذَهَبًا فِي  
نَعْلِهِ وَمَشَى عَلَيْهِ.

5 وذكر أبو الخطاب بن زُهر<sup>(1)</sup> أَنَّهُ جَرَى فِي مَجْلِسِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ زُهْرٍ ذِكْرُ  
أَبِي بَكْرٍ الْأَبْيَضِ، الْوَشَّاحِ الْمُتَقَدِّمِ الذِّكْرِ، فَغَضَّ مِنْهُ أَحَدُ الْحَاضِرِينَ. فَقَالَ: كَيْفَ  
تَغْضُ مِمَّنْ يَقُولُ<sup>(2)</sup>:

مَا لَذَّ لِي شُرْبُ رَاحٍ      عَلَى رِيَاضِ الْأَقَاحِ  
لَوْلَا هَضِيمُ الْوَشَّاحِ      إِذَا انْتَنَى فِي الصُّبَّاحِ

أَوْ فِي الْأَصِيلِ      أَضْحَى يَقُولُ  
مَا لِلشُّمُولِ      لَطَمْتُ خَدِّي  
وَلِلشَّهَالِ      هَبَّتْ فَمَالَ  
غَصْنُ اعْتِدَالِ      ضَمَّهُ بُرْدِي

10

(1) ج : وطرق ذلك .

(1) كَذَا فِي الْأَصُولِ، وَفِي الْمَقْتَطَفِ (مصدر ابن خلدون): أَبُو الْخَصِيبِ بْنُ زُهْرٍ الَّذِي رَوَى عَنْهُ الْخَبَرُ ابْنُ  
سَعِيدٍ (ص 257). وَيَحْيَى رُوزَنْتَالُ Rozenthal (مترجم المقدمة) 1: 444 (الحاشية 1802) عَلَى بَحْثِ أ.  
هَرْتْمَانِ A. Hartmann (ص 7 الحاشية 1) الَّذِي يَرَى فِيهِ أَنَّ الْأَسْمَ هُوَ أَبُو الْخَطَّابِ بْنِ دِحْيَةَ. وَلَعَلَّهُ  
الْأَصُوبُ، فَقَدْ كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ زُهْرٍ مِنْ شُيُوخِ ابْنِ دِحْيَةَ. وَفِيَاتُ الْأَعْيَانِ 4: 434 (672)،  
الْوَافِي بِالْوَفَايَاتِ 4: 39 .

(2) عُدَّةُ الْجَلِيسِ 109 (71) ، الْمَقْتَطَفُ 257 .

مَّا<sup>(١)</sup> أَبَادَ الْقُلُوبَا      يَمْشِي لَنَا مُسْتَرِيبَا  
يَا لَحُظَّهُ زِدْ دُنُوبَا      وَيَا لَمَاءَ الشُّنَيْبَا

بَرْذُ غَلِيلٍ      صَبَّ غَلِيلٍ  
لَا يَسْتَحِيلُ      فِيهِ<sup>(ب)</sup> عَنْ عَهْدِي  
. وَلَا يَزَالُ      فِي كُلِّ حَالٍ  
يَرْجُو الْوَصَالَ      وَهُوَ فِي الصَّدِّ

واشتهر بعد هؤلاء في صدر دولة الموحدين، محمد بن أبي الفضل بن شرف.  
قال المس بن دوزيد<sup>(ج)</sup>: رأيت حاتم بن سعيد [يقبل رأسه]<sup>(١)</sup> على هذا الافتتاح:

شَّمْسٌ قَارَنْتُ بَذْرًا      رَاخٌ وَنَيْدِيمٌ

وابن هزدوس<sup>(٢)</sup> الذي له:

(١) غدة الجليس: لما بدا (ب) غدة الجليس: فيك (ج) كذا في ظ ج ي. وفي المقتطف 258: المسن بن دوزيد. ولعله الحسن.

(1) تكملة من المقتطف 258، وحاتم بن سعيد من أصحاب ابن مزينش، وله شعر ذكره صاحب المغرب 2: 168، وطالع الموشح في دار الطراز 34 غير منسوب، وفي الوافي بالوفيات 4: 41، منسوب لابن زهر.

(2) هو أبو الحكم أحمد بن هزدوس (المتوفى بمراكش سنة 572هـ/1176م) بتقديم الدال على الواو، كما في الأصول، وفي المغرب 2: 210، والمقتطف 258: ابن هزدوس بتقديم الواو، وفي التفح 7: 8، الحاشية 2 يرجح إ. عباس: أن "هردوس" لفظة بربرية ترمز إلى الفحولة، وأن اسمه أحمد، لقوله يخاطب أحمد بن عبد الملك بن سعيد: يا سمي (التفح 4: 201). وموشحته هذه في ملك غرناطة عثمان بن عبد المؤمن، أوردها ابن سعيد في المغرب 2: 215، وجاءت في غدة الجليس 113 (74) غير منسوبة.

يا ليلة الوصل والسعود بالله غودي

وابن مؤهل<sup>(1)</sup> الذي له:

ما العيد في حلة وطاق وشم طيب  
وإنما العيد في التلاقي مع الحبيب

وأبو إسحاق الدؤي<sup>(2)</sup>، قال ابن سعيد: سمعت أبا الحسن، سهل بن مالك

5

يقول: إنه / دخل على ابن زهر وقد أسنّ، وعليه زي البادية، إذ كان يسكن بحصن  
إسنبّة، فلم يعرفه. فجلس حيث انتهى به المجلس، وجرت المحاضرة أن أنشد لنفسه  
موشحة وقع فيها<sup>(3)</sup>:

كحل الدجى يجري من مقلّة الفجر على الصّباح  
ومغصم النهر في حلل خضر من البطاح

10

فتحرّك ابن زهر وقال: أنت تقول هذا؟ قال: اختبر، قال: ومن تكون؟  
فعرّفه. فقال: ازقّع، فوالله ما عرفتك.

قال ابن سعيد<sup>(4)</sup>: وسابق الحلبة التي أدركت هؤلاء، أبو بكر بن  
زهر، وقد شرقت موشعائه وغربت. قال: سمعت أبا الحسن سهل بن مالك

(1) المقتطف 258، أزهار الرياض 2: 210، التّح 7: 8.

(2) كذا في الأصول، وفي المقتطف 258: الزويلي.

(3) المقتطف 259، التّح 7: 9، أزهار الرياض 2: 210.

(4) المقتطف 259.

يقول: قيل لابن زُهْرٍ: لو قيل لك: ما أبدع ما وَقَعَ لك في التَّوْشِيحِ؟ قال: كُنْتُ أَقُولُ<sup>(1)</sup>:

ما لِلْمَوْلَةِ<sup>(1)</sup> من سُكْرِهِ لا يُفِيقُ يا لَهُ سَكْرَانِ  
[مَنْ غَيْرِ خَمِرٍ ما لِلْكَيْبِ المشوقِ يَنْدُبُ الْأَوْطَانَ]<sup>(2)</sup>  
هل تُسْتَعَادُ أَيْامَنَا بِالْخَلِيجِ وليالِينَا 5  
إِذْ يُسْتَفَادُ مِنَ النَّسِيمِ الْأَرْبِجِ مِسْكُ دَارِينَا  
وَإِذْ يَكَادُ حُسْنُ الْمَكَانِ الْبَهِيحِ أَنْ يُحْيَيْنَا  
نَهْرٌ أَظْلَهُ دَوْخٌ عَلَيْهِ أُنِيقُ مَوْرَقُ فَيْنَانِ  
وَالْمَاءُ يَجْرِي وَعَائِمٌ وَغَرِيقُ مِنْ جَنَا الرِّيحَانِ

10 واشْتَهَرَ بِغَدَه ابْنُ حَيْوَن، الَّذِي لَهُ مِنَ الرَّجُلِ الْمَشْهُورِ، وَهُوَ قَوْلُهُ<sup>(3)</sup>:

[يَقْوَقُ سَهْمَ كُلِّ حَيْنٍ بِمَا شَتَّتْ مِنْ يَدِ وَعَيْنِ

وَتُنْشَدُ فِي الْقَضِيَّتَيْنِ]<sup>(ب)</sup>

خُلِقْتُ مَلِيحٌ عَلِمْتُ زَامِي فِلَشْ<sup>(ج)</sup> نَحْلُ سَاعٍ مِنْ قِتَالِ

(1) عَدَّةُ الْجَلِيسِ: مِنَ الْمَوْلَةِ (ب) سَقَطَ مِنْ ظ (ج) ج: فَلِيسَ.

(1) تَكَمَّلَتْهُ مِنَ الْمَقْطُوفِ: تَمَّا اسْتَحْسَنَهُ مِنْ قَوْلِي وَأَرْضِيهِ مِنْ نَظْمِي.

(2) تُرِكَ لِهَذَا الْبَيْتِ فَرَاغٌ فِي الْأَصُولِ الثَّلَاثَةِ، فَأَكَلْنَاهُ مِنْ عَدَّةِ الْجَلِيسِ 400 (267) وَفِيهِ الْمَوْشَعُ بِتَامِهِ. وَقَدْ ذَكَرَ الطَّالِعُ فَقَطْ فِي الْمَغْرِبِ 1: 271، وَقَالَ ابْنُ سَعِيدٍ: إِنَّهَا تَقَدَّمَتْ فِي الْمُنْتَزَهَاتِ، وَقَدْ سَقَطَ قِسْمُ مَنْصَةِ إِشْبِيلِيَّةٍ مِنْ نَسْخَةِ الْكِتَابِ.

(3) الْمَقْطُوفُ 259. وَنَصُّ الْمَوْشَعِ فِي الْمَغْرِبِ 1: 281.

ونعمل بذِي العَيْنين مُتَاعِي      ما تَعْمَل يَدِي بِالتَّبَالِ  
 واشتَهَر معها يَوْمئِذٍ بَغْرَنَاطَةُ الْمُهْرَبِ بْنِ الْفَرَسِ<sup>(1)</sup>. قال ابنُ سَعِيدٍ<sup>(2)</sup>: ولما سَمِعَ  
 ابنُ زُهْرٍ قَوْلَهُ:

لِللّهِ مَا كَانَ مِنْ يَوْمٍ يَهْجِي      بَنَهْرٍ حَمَصَ عَلَى تِلْكَ الْمَرْوَجِ  
 ثُمَّ انْعَطَفْنَا عَلَى فَمِ الْخَلِيجِ

5

[424ب] / نَفَضَ مَسَكَ الْخَتَامِ      عَنْ عَشْجِدِيِّ الْمُدَامِ  
 وَرَدَاءِ الْأَصِيلِ      يَطْوِيهِ كُفُّ الظَّلَامِ

قال: أين كُتِبَ عن هذا الرِّدَاءِ؟

وكان معه في بَلَدِهِ مُطَرِّفٌ. أَخْبَرَ ابْنَ سَعِيدٍ عَنْ وَالِدِهِ، أَنَّ مُطَرِّفًا هَذَا  
 10 دَخَلَ عَلَى ابْنِ الْفَرَسِ، فَقَامَ لَهُ وَأَكْرَمَهُ. فَقَالَ: لَا تَفْعَلْ. فَقَالَ ابْنُ الْفَرَسِ: كَيْفَ لَا  
 أَقُومُ لِمَنْ يَقُولُ<sup>(3)</sup>:

قُلُوبٌ تَصَابَتْ      بِالْحَاطِظِ تُصِيبُ      فَقُلْ كَيْفَ تَبْقَى      بِلَا وَجْدٍ  
 وَبَعْدَ هَؤُلَاءِ ابْنُ خَزْمُونٍ بِمُرْسِيَةٍ. ذَكَرَ ابْنُ الرَّائِسِ<sup>(4)</sup> أَنَّ يَحْيَى  
 الْخَزَرَجِيَّ دَخَلَ عَلَيْهِ فِي مَجْلَسٍ، فَأَنْشَدَهُ مَوْشِحَةً لِنَفْسِهِ. فَقَالَ لَهُ ابْنُ خَزْمُونٍ: مَا

(1) المغرب 2: 111 واسمه عبد الرحيم، نعتة بالذكاء والتقدم في الفلسفة، وكانت له دعوة وانتحال للإمامة،  
 انتهت بقتله. انظر العبر 6: 250.

(2) المقتطف 260.

(3) المصدر نفسه.

(4) في المصدر نفسه: ابن الدارس، وانظر حاشيته رقم 5.



الموشَّحُ بموشَّحٍ حتَّى يكون عارياً عن التَّكَلُّفِ ، قال : مِثْلُ ماذا ؟ قال : على مِثْلِ  
قولي<sup>(1)</sup> :

يا هاجري هل إلى الوصالِ      منك سبيلُ  
أو هل يرى عن هواك سالي      قلبُ العليلِ

وأبو الحسن سهلُ بن مالكٍ بغرناطة. قال ابنُ سَعِيدٍ<sup>(2)</sup> : كان والدي يعجبُ  
بقوله<sup>(3)</sup> :

إنَّ سَيْلَ الصَّبَاحِ في الشَّرْقِ      عادَ بجرا في أجمع الأفقِ  
فتداعَتْ نوادِبُ الوُزْقِ      أثراها خافتُ من الغَرَقِ  
فبَكَتْ سُحْرَةً على الوَرَقِ

10 واشتهر بإشبيلية لذلك العهد ، أبو الحسن ابنُ الفضل . قال ابنُ سَعِيدٍ<sup>(4)</sup>  
عن والده: سمعت سهلَ بن مالكٍ يقول له: يا ابنَ الفضلِ، لك على الوشَّاحينَ  
الفضلُ بقولك<sup>(5)</sup> :

أَوْ حَسْرَتًا لزمانٍ مضى      عَشِيَّةً بَانَ الهَوَى وانْقَضَى  
وأُفْرِدْتُ بالرَّغْمِ لا بالرِّضَا      وبِئْتُ على جَمَرَاتِ الغُضَا

(1) المقتطف 260 .

(2) لم نجد هذه القولة في المقتطف .

(3) التفتح 7: 10 .

(4) المقتطف 261 .

(5) المغرب 2: 389 ، عتة المجلس 324 (216) .

أعاقب بالفكر تلك الطلول وألثم بالسوهم تلك الرؤوم

قال: وسمعتُ أبا بكر بن الصَّائوني<sup>(1)</sup> يُنشد الأستاذ أبا الحسن الدَّبَّاجَ  
موشحاته غيرَ ما مرَّة، فما سمعته يقول: لله دُرُك، إلَّا في قوله<sup>(2)</sup>:

قَسَمًا بِالْهَوَى لَدِي جَرٍ      مَا لِلَّيْلِ الْمَشُوقِ مِنْ فَجَرٍ  
جَمَدَ الصَّبْحِ لَيْسَ يَطْرُدُ      مَا لِلَّيْلِ فِيمَا أَظُنُّ غَدُ  
صَحَّ يَا لَيْلُ أَنَّكَ الْأَبَدُ

5

/ أو فَقُصِّتْ<sup>(1)</sup> قَوَادِمُ النَّسْرِ      فَنَجُومُ السَّمَاءِ لَا تَسْرِي [425أ]

ومن موشحات ابن الصَّائوني، قوله<sup>(3)</sup>:

مَا حَالُ صَبِّ ذِي ضَنْيٍ وَاكْتِنَابٍ      أَمْرَضَهُ يَا وَيْلَتَاهُ الطَّيِّبِ  
عَامَلَهُ مَحْبُوبُهُ بِاجْتِنَابٍ      ثُمَّ اقْتَدَى فِيهِ الْكَرَى بِالْحَبِيبِ  
جَفَا جُفُونِي النَّوْمُ لِكَتْنِي      لَمْ أَبْكِهِ إِلَّا لَفَقْدِ الْخِيَالِ  
وَذَا الْوِصَالِ الْيَوْمَ قَدْ عَزَّنِي<sup>(ب)</sup>      مِنْهُ كَمَا شَاءَ وَشَاءَ الْوِصَالِ  
فَلَسْتُ بِاللَّائِمِ مِنْ صَدْنِي      بِصُورَةِ الْحَقِّ وَلَا بِالْمَحَالِ

10

(1) في التَّفَحُّ: أو تَهَضَّتْ (ب) سقطت ورقة بصفحتها من نسخة ج، وهذه بداية محتواها إلى ورود النجم .

(1) المقتطف 261 .

(2) عدَّة الجليس 160 (105)، التَّفَحُّ 7: 10 .

(3) عدَّة الجليس 29 (19)، التَّفَحُّ 7: 11، أزهار الرياض 2: 212 .

واشتهر ببرّ العُدوة ابنُ خَلَفِ الجزائريّ، صاحبُ الموشحة المشهورة<sup>(1)</sup>:

يَدُ الإصباح قدَحَتْ زنادَ الأنوارِ في مَجامِرِ الزَّهرِ  
وابنُ خَزَرِ البِجائيّ، وله من موشحة<sup>(2)</sup>:

تَغَرَّ الزَّمانُ مُوافِقُ حَيّاكِ مِنْهُ بائِئِسام

ومن محاسن الموشحات للمتأخرين، موشحة ابن سهل<sup>(3)</sup>، شاعر إشبيلية 5  
وسبّغت من بعدها، قوله:

هل دَرى ظَنّي الحِمى أن قَدْ حَمَى قَلْبَ صَبٍّ حَلَّه عن مَكْنَسِ  
فهو في نارٍ وخَفَقٍ مِثْلَ ما لَعِبَتْ رِيحُ الصَّبَا بالقَبَسِ  
وقد نسجَ على منواله فيها، صاحبنا الوزير أبو عبد الله ابن الخطيب،  
شاعر الأندلس والمغرب لعصره، وقد مرَّ ذِكره، فقال<sup>(4)</sup>:

جادك الغيثُ إذ<sup>(1)</sup> الغيثُ هَمي يا زمانَ الوُضَلِ بالأندلسِ  
لم يَكُنْ وَضَلُكَ إِلَّا حُلْماً في الكرى أو خُلْسَةً المَخْتَلِسِ

(1) في ي: إذا

(1) نهاية الأرب 2: 287، عدة الجليس 164 (108)، أزهار الرياض 2: 212، النفح 7: 11.

(2) المقتطف 262، النفح 7: 11، أزهار الرياض 2: 212، ولم يرد فيها جميعها غير المطلع. ونصّها الكامل أورده  
م. عناني عن الروضة الغناء في محاسن الغناء من مخطوطات الخزانة العامة في الرباط، ديوان الموشحات  
الأندلسية 56 (16)، مصر 1986.

(3) الديوان 283، نفح الطيب 7: 61-

(4) نفح الطيب 7: 11-، أزهار الرياض 2: 213-

إِذْ يَقُودُ الدَّهْرُ أَشْتَاتَ الْمُنَى  
زُمَرًا بَيْنَ فُرَادَى وَثُنَى  
/ وَالْحَيَا قَدْ جَلَّلَ الرُّوضَ سَنَا

تَنْقُلُ الْخَطُوءَ عَلَى مَا يَرْسُمُ  
مِثْلَ مَا يَدْعُو الْوَفُودَ الْمَوْسِمُ  
[425ب] فَسَنَا الْأَزْهَارَ فِيهِ تَبَسُّمُ

وَرَوَى النُّعْمَانُ عَنْ مَاءِ السَّمَاءِ  
فَكَسَاهُ الْحَسَنُ ثَوْبًا مُعْلَمًا

5

فِي لَيْالٍ كَتَمْتُ سِرَّ الْهَوَى  
مَالَ نَجْمِ الْكَأْسِ فِيهَا وَهَوَى  
وَطَرَّ مَا فِيهِ مِنْ غَيْبٍ سِوَى

بِاللُّجَى لَوْلَا شُمُوشُ الْغُرَى  
مُسْتَقِيمَ السَّيْرِ سَعْدَ الْأَثَرِ  
أَنَّهُ مَرَّ كَلَمَحِ الْبَصَرِ

حِينَ لَدَّ الْأُنْسُ شَيْئًا أَوْ كَمَا  
غَارَتِ الشُّهُبُ بِنَاءً، أَوْ رُبَّمَا

10

أَيُّ شَيْءٍ لِأَمْرٍ قَدْ خَلَصَا  
تَهَبُّ الْأَزْهَارُ فِيهِ الْفُرْصَا  
فَإِذَا الْمَاءُ تَنَاجَى وَالْحَصَى

فَيَكُونُ الرُّوضُ قَدْ مُكِّنَ فِيهِ  
أَمِنْتُ مِنْ مَكْرِهِ مَا تَتَّقِيهِ  
وَخَلَا كُلُّ خَلِيلٍ بِأَخِيهِ

تُبْصِرُ الْوَرْدَ غَيُورًا بَرِمَا  
وَتَرَى الْآسَ لَبِيًّا فَهَمَا

15

يَكْتَسِي مِنْ غَيْظِهِ مَا يَكْتَسِي  
يَسْرِقُ السَّمْعَ بِأُذُنِي فَرَسَ

(١) من النفع، وفي ظي: نجوم .

- يا أَهْيَلِ الحَيِّ من وادي الغُضا      ويَقْلبي مَسْكَنُ أنْتُمْ بِهِ
- ضاقَ عَنْ وَجْدِي بكم رَحْبُ الفُضا      لا أَبالي شَرْقَهُ مِنْ غَرْبِهِ
- فَأَعِيدُوا عَهْدَ أنْسٍ قَدْ مَضَى      تَعْتِقُوا عَانِيَكُم من كَرْبِهِ
- واثَقُوا اللهَ وَأَخِيُوا مُعَرَّمَا      يَتَلاشَى نَفْساً في نَفْسٍ
- حَبَسَ القَلْبَ عَلَيْكُم كَرَمًا      5 أَفْتَرَضُونَ عَفَاءَ الحُبِّسِ
- ويَقْلبي مِنْكُمْ مَقْتَرِبُ      بأَحاديثِ المُنَى وهو بَعِيدُ
- قَمَرٌ أَطْلَعَ مِنْهُ المَغْرِبُ      شَقْوَةُ المَغْرَى بِهِ وهو سَعِيدُ
- قَدْ تَسَاوَى مُحْسِنٌ وَمُذْنِبُ      في هَوَاهُ بَيْنَ وَعْدٍ وَوَعِيدُ
- ساحِرِ المَقْلَةِ مَعسُولِ اللَّمَى      جالَ في النَّفْسِ مَجالَ النَّفْسِ
- / سَدَدَ السَّهْمَ وَسَمَى وَرَمَى      10 ففُؤادِي نُهْبَةً المَفْتَرِسِ
- إن يَكُنْ جَارَ وَخابِ الأَمَلِ      وفُؤادُ الصَّبِّ بالشَّوْقِ يَذُوبُ
- فهُوَ لِلنَّفْسِ حَبِيبٌ أَوَّلُ      لَيْسَ في الحُبِّ لِمُحِبٍّ ذُنُوبُ
- أَمْرُهُ مَغْتَمِلٌ مِمْتَلِ      في ضُلُوعٍ قَدْ بَرَّاهَا وَقُلُوبُ
- حَكَمَ اللَّحْظَ بِهَا فَاخْتَكَمَا      لم يَرِاقِبْ في ضِعافِ الأنْفُسِ
- مُنْصِفِ المَظْلُومِ مِمَّنْ ظَلَمَا      15 وَمُجَازِي البَرِّ مِنْهَا وَالْمَسِي
- ما لِقَلْبي كَلِّما هَبَّتْ صَبَا      عادَهُ عَيْدٌ مِنَ الشَّوْقِ جَدِيدُ

[426]

كان في اللّوح له مكتّبا قوله إنّ عذابي لشديد

جلب الهم له والوصبا فهو للأشجان في جهدٍ جحيد

لا عَجَّ في أضلعي قد أضرمّا فهني نازّ في هشيم اليّبس

لم يدع في مُهَجَّتِي إلّا الدّما<sup>(1)</sup> كبقاء الصّبح بعد الغلس

5 سَلّمي يا نفس في حُكم القضا واعمري الوقت برُجعى ومَتّاب

دَعَك من ذكرى زمان قد مَضَى بين عُثبي قد تَقَضّت وعِتّاب

واضرف القول إلى المولى الرضا ملهم التوفيق في أمّ الكتاب

الكريم المنتهى والمنتقى أسد السرح وبذر المجلس

يَنزِلُ التّضرُّ عليه مثَلَمّا يَنزِلُ الوحي بروح القدس

10 وأما المشاركة فالتكلف ظاهر على ما عايناه من الموشحات. ومن أحسن ما

وقع لهم في ذلك، موشحة<sup>(1)</sup> ابن سناء الملك المصري ، التي اشتهرت شرقاً وغرباً،  
أولها:

حبيبي ارفع حجاب النور عن العذار

ننظر المسك على كافور في جُلّناز

(1) كذا في ظي، وفي النسخ: دما .

(1) نفع الطيب 7: 14، أزهار الرياض 2: 215 -

كَلِّى يَا سُبْحُ تِجَانِ الرَّبِّ بِالْحَلِّى  
وَاجْعَلِى سَوَارَهَا مُنْعَطَفَ الْجَدُولِ<sup>(1)</sup>

[26هـ] / ولما شاع التوشيح في أهل الأندلس، وأخذ به الجمهور، لسلاسته وتثمين كلامه وتضريح أجزائه، نسجت العامة من أهل الأمصار على منواله، ونظموا في طريقته بلغتهم الحضريّة، من غير أن يلتزموا فيه إغراباً، واستحدثوه فتاً سموه 5 بالزجل، والتزموا النظم فيه على مناحيم إلى هذا العهد. فجاءوا فيه بالفرائب؛ واتسع فيه للبلاغة مجالٌ بحسب لغتهم المستعجمة.

وأول من أبدع في هذه الطريقة الزجلية أبو بكر بن قزمان. وإن كانت قيلت قبله بالأندلس، لكن لم تظهر حلاها ولا انسبكت معانيها واشتهرت رشاقتها إلا في زمانه، وكان لعهد الملتمين، وهو إمام الزجالين على الإطلاق. 10

قال ابن سعيد<sup>(1)</sup>: رأيت أزجاله مزويةً ببغداد أكثر مما رأيتها بحواضر المغرب. قال: وسمعت أبا الحسن بن جحدر الإشبيلي، إمام الزجالين في عصرنا يقول: ما وقع لأحد من أئمة هذا الشأن<sup>(ب)</sup>، مثل ما وقع لابن قزمان، شيخ الصناعة، وقد خرج إلى متنزّه مع بعض أصحابه، فجلسوا تحت عريش وأمامهم تمثال أسد من رخام يصب الماء من فيه على صفائح من الحجر متدرجة، فقال<sup>(2)</sup>: 15

(1) انتهى محتوى الورقة الساقطة من نسخة ج (ب) ي: اللسان .

(1) المقتطف: 263 .

(2) المقتطف 263 ، أزهار الرياض 2: 216 ، نفع الطيب 7: 15 .

وعريش قد قام على دُكَّانٍ      مُجْمَعُ رُواقِ  
 وأسَدٌ قد ابتَلَعُ ثعبانَ      من غُلُظ ساقِ  
 وفتح فمّو بحالِ إنسانَ      يبيِّهُ الفُـسُوقِ  
 وانطلق من تمّ على الصَّفاح      والقي الصَّيِّحِ

5 وكان ابن قُزَمان<sup>(1)</sup>، مع أنّه قُرْطُبِيُّ الدَّارِ، كثيراً ما يتردّد إلى إشبيلية ويتنابّ  
 نهرها. فاتّفق أن اجتمع ذات يوم جماعة من أعلام هذا الشّان، وقد ركبوا في النهر  
 للنزهة، ومعهـم غلامٌ جميلُ الصّورة من ثروة<sup>(2)</sup> أهل البلد وبُيوتهم. وكانوا مجتمعين في  
 زُورِقٍ للصّيد، / فنظّموا في وُصف الحالِ، وبدأ منهم عيسى البليدُ، فقال: [427]

يطمع بالخلّاص قلبي وقد فاتوا      وقد ضمّو عشقو لشَهْماتو  
 تراه قد حصل مسكين [في محناب]<sup>(3)</sup>      يقلق وكذلك أمرا عظيم صابو  
 لوخس الجفون الكحل إن غابو      وديك الجفون الكحل أبلاتو

ثمّ قال أبو عمرو بن الزّاهد الإشبيلي:

نَشِبَ والهوى من لُج فيه ينشِبُ      تُرى اش كان دعاه يشقى ويتعَدَّب  
 مع العشق قام في بالو ان يلعب      وخلق كثير من ذا اللعب ماتوا<sup>(4)</sup>

(1) ظ ح: قد ماتوا .

(1) المقتطف : 263 .

(2) عبارة المقتطف: وقد جمعهم ابنُ حسيبٍ من حُسبائها وأغنيائها في زورقٍ برسم الصّيد .

(3) في الأصول، حملاتو، والتصويب من المقتطف 263، وفسّرها د. الأهواني عن دوزي 1: 331 مادة

حنب، أنها الفَحْ، وقال: إنها جاءت بهذا المعنى في شعر ابن قُزَمان .



ثم قال أبو الحسن المقرئ الداني:

نهارٌ مليح يعجبني أوصافو      شراب وملاح من حولي قد طافوا  
والمقلين يقولُ فُصْفُصافو<sup>(1)</sup>      والبوري [يقول] <sup>(ب)</sup> أخرى فمقلاتو

ثم قال أبو بكر بن مَزَيْن:

الحق تريد، حديث بقا لي عاد      في الواد بجمير<sup>(ج)</sup> والنزرة والصياد 5  
لشده حيتان ديك الذي يصطاد      قلوب السورى هي في شبيكاتو

ثم قال أبو بكر بن قُزَّمان:

إذا شتم أكرامو ليرميها      ترى البوري يرشق لك الجيها  
ولش مرادو أن يقع فيها      إلا أن يقبل يُدَيِّدَاتو

وكان في عصرهم بشرق الأندلس يَخْلُفُ الأسودُ، وله محاسن من الزجل، 10  
منها قوله:

قد كنت منشوب واحتسبت النشب      وردني ذا العشق لامر صعب

يقول فيه<sup>(1)</sup>:

حين ننظر الخدَّ الشَّريق البهى      ينتهى فى الحمرا لما ينتهى

(أ) ي: لصفصافو (ب) من المقتطف (ج) ج: تحمير، أو تجهير .

(1) المقتطف 264 .

يا طالب الكيمياء في عيني هي تنظر بها الفضّة وترجع ذهب

/ وجاءت من بعدهم حلبة كان سابقها مدغليس، وقعت له العجائب في [427ب]  
هذه الطريقة. فمن قوله<sup>(1)</sup> في زجله المشهور:

ورذاذا دق يــــنزل  
وشعاع الشمس يضرب  
فترى الواحد يفصص  
وترى الآخر يذهب  
والنبات يشرب ويسكر  
والغصون ترقص وتطرب  
وتريد تجي إلينا  
ثم تستحي وترجع

5

ومن محاسن أزجاله قوله<sup>(2)</sup>:

لاح الضياء والنجوم حيازي  
فقم بنا نزع الكسل  
شرب ممزوج من قراعا  
أحلى هي عندي من العسل  
يا من يلمني كما تقلد  
قلدك الله بما تقول  
تقول بأن الذنوب تولد  
وأنه يفسد العقول  
لأرض الحجاز مور يكن لك ارشد  
أش ساقك معي فذا الفضول  
مُر انت للحج والزيارا  
ودعن في الشرب نهمل  
من ليش لو قدره ولا استطاعه  
النية ابلغ من العمَل

10

15

(1) المغرب 2: 220 ، المقتطف 264 ، نفع الطيب 7: 16 ، أزهار الرياض 2: 217 .

(2) لم تقف على مصدره .

وظهر بعد هؤلاء في إشبيلية، ابن جحدر، الذي فضل على الرجالين في  
فتح ميوزقة بالزجل الذي أوله<sup>(1)</sup>:

من عاند التوحيد بالسيف يحق أنا بري ممن يعاند الحق

قال ابن سعيد<sup>(2)</sup>: لقيته ولقيت تلميذه اليغيع، صاحب الزجل المشهور،

5

أوله:

بالتبي إن ريت حبيبي أقبل اذنو بالترسيلا  
لش اخذ عنق الغزيل وسرق فم الحجيللا

ثم جاء من بعدهم أبو الحسن سهل بن مالك، إمام الآداب، ثم من بعدهم

[1428] / لهذه العصور صاحبنا الوزير أبو عبد الله ابن الخطيب، إمام النظم والنثر في الملة

10

الإسلامية غير مدافع. فمن محاسنه في هذه الطريقة<sup>(3)</sup>:

امزج الأكواس واملأ لي نجد ما خلق المال إلا أن يندد

ومن قوله<sup>(4)</sup> على طريقة الصوفيّة، وينحو منحى الششتريّ منهم:

بين طلوع وبين نزول اختلطت الغزول  
ومضى من لم يكن وبقي من لم يزول

(1) المقتطف 265 ، أزهار الرياض 2: 217 ، نفع الطيب 7: 16 .

(2) المقتطف : 265 ، نفع الطيب 7: 16 .

(3) أزهار الرياض 2: 218 ، نفع الطيب 7: 17 .

(4) المصدران نفسها .

ومن محاسنِه أيضاً قوله<sup>(1)</sup> في ذلك المَغنى:

البغد عنك يا بُني أعظم مَصائبي  
وحيثُ حصل لي قرينك سَيِّئت قاربي<sup>(1)</sup>

وكان لعصر الوزير ابن الخطيب بالأندلس محمد بن عبد العظيم، من أهل  
5 وادي آش . وكان إماماً في هذه الطريقة. وله من زجلٍ يُعارضُ به مدغليس<sup>(ب)</sup> في  
قوله: لاح الضيا والتجوم حيارى

بقوله<sup>(2)</sup>:

حلّ المجون يا اهلن الشطارا مذ حلت الشمس بالحمل  
فجددوا كل يوم خلاعا لا تجعلوا بينها ثمل  
إليها نتخلعوا في شئيل على خضرة ديك الثبات  
وخلّ بغداد وأخبار النيل احسن هي عندي ديك الجهات  
وطا فيها اضلخ من أربعين ميل إن مرّت الريح عليه وجات  
لم تلتقي للغبار أمارا ولا بمقدار ما يكتحل  
وكيف ولش فيه موضع رقاعا الا وتسرح فيه النحل

10

(1) في أزهار الرياض: نسيث أقاري ، وفي نفع الطيب : سيئت أقاري (ب) في ي : مدغليس .

(1) أزهار الرياض 2: 218، نفع الطيب 7: 17 .

(2) أزهار الرياض 2: 218 .

وهذه الطَّريقةُ الرَّجْلِيَّةُ لهذا العهد، هي فنُّ العامَّةِ بالأندلس من الشعر،  
وفيهما نَظْمُهُم، حتَّى إنَّهم لينظِّمونَ بها في سائر البحورِ الخمسةَ عَشَرَ، لكنَّ بُلَغَتَهُم  
العاميَّة. ويُسمَّونه الشعرَ الرَّجْلِيَّ، مثلَ قولِ شاعرهم: [على وزن الرَّمَل]

دهز لي نعشق جفونك وسنين      وانت لا شفقًا ولا قلبَ يلين  
[428ب] / جى ترى قلبي من اخلك كيف رجع      صفة السكّه ما بين الحدادين 5  
الدموع ترش والنار تلتهب      والمطارق من شمال ومن يمين  
خلق الله التصارى للغزو      وانت تغزو في قلوب العاشقين

وكان من المجيدين في هذه الطَّريقة لأوّل هذه المائة، الأديبُ أبو عبدالله  
اللُّوشِيّ. وله <sup>(1)</sup> من قصيدة فيها يمدح السلطان ابن الأحمر: [على وزن السَّريع]

طلّ الصباح قم يا نديم نشربوا      ونضحكوا من بعد ما نظربوا 10  
سبيكة الفجر أجلت شفق      في مئلق الليل فقم قلبو  
ترى عياراً خالص ابيض نقي      فطر هو لكن الشفق ذهبو  
فتنتفق سكتو عند البشر      نور الجفون من نورها يكسبو  
فهو النهار يا صاحبي للمعاش      عيش الغنى فيه يا لله ما أطبو  
والليل يضاً <sup>(ب)</sup> للقبل والعناق      على سريّر الوصل نثقلبو 15  
جاد الزمان بعد ما كان بخيل      ولش كيفلت من يديه عقربو

(1) ج: وله فيها من قصيدة يمدح (ب) من ظي، وفي ج: ايضاً.

كما جُرْعُ مَرُوءٍ فَمَا قَدْ مَضَى  
 قَالِ الرَّقِيبُ يَا أَدْبَا أَشْ ذَا  
 وَاتَعَجَّبُوا عُذَالِي<sup>(أ)</sup> مَنْ ذَا الْخَبَرِ  
 يَعِشُ مَلِيخٌ إِلَّا رَقِيقَ الطَّبَاعِ  
 لِشِ يَرْجِ الْحَسَنُ إِلَّا شَاعِرُ أَدِيبِ 5  
 وَإِنَّمَا الْكَاشُ فَحَرَامٌ هُوَ حَرَامٌ  
 وَاهْلُ الْعَقْلِ وَالْخَنَكِرَا وَالْمُجُونِ  
 وَذَا الَّذِي يَخْلُبُنْ حَسَنُوا وَلَمْ  
 صَيِّ هِيَ سُمَّانَ تَطْفِي الْجَمَزِ  
 / غَزَالٌ هِيَ تَنْظُرُ<sup>(ب)</sup> قُلُوبَ الْأَسْوَدِ 10  
 وَثُمَّ تَحِيصُهُمْ إِذَا تَبَنَّتْ سَمَ  
 فَمَنْ كَالْخَاتَمِ وَتَغَرَّأَ نَقِي  
 جَوْهَرٍ فِي مَرْجَانٍ أَيْ عَقْدٍ يَا فُلَانِ  
 وَشَارِبِ أَخْضَرٍ يَرِيدُ لِشِ يَرِيدُ  
 تَسْبِلُ دَلَالٍ مِثْلَ جَنَاحِ الْغُرَابِ 15  
 عَلَى بَدَنِ أَبْيَضٍ فَلَوْنُ الْحَلِيبِ  
 وَزُوجُ نُهَيْدَاتٍ عَلِمَتْ قَلْبَهَا  
 يُشْرَبُ بَيْنُهُو وَيُكَلِّ طَيِّبُو  
 فِي الشَّرْبِ وَالْعَشْقِ نَرَى تَنْجُبُو  
 فَقُلْتُ يَا قَوْمُ مَنْ ذَا تَتَعَجَّبُو  
 عَلاشَ كَنُفَرُو بِاللَّهِ أَوْ نَكْتُبُو  
 يَفْتَضُّ يَكُرُوا وَيَدْعُ ثَيِّبُو  
 عَلَى الَّذِي لِشِ يَذَرُ كَيْفَ يَشْرَبُو  
 تُغْفَرُ ذُنُوبُهُمْ هَذَا إِنْ أَذْنَبُو  
 تَقْدِرُ بِحَسَنِ الْفَاطُ أَنْ نَخْلَبُو  
 وَقَلْبِي فِي جَمَرِ الْغَضَا تَلْهَبُو  
 [429 أ] وَبِالْوَهْمِ قَبْلَ التَّنْظَرِ<sup>(ب)</sup> يَذْهَبُو  
 فَيَضْحَكُوا مِنْ بَعْدِ مَا يَنْدَبُو  
 خَطِيبُ [الْأَمَّةُ]<sup>(ج)</sup> لِلْقُبْلِ يَخْطَبُو  
 قَدْ صَقَفُوا النَّازِمَ وَلَمْ يَتَّقَبُو  
 مِنْ شَبَّهُو بِالْمُسْكِ قَدْ عَيَّبُو  
 لِيَالِي هَجْرِي مَنُوءٍ يَسْتَغْرَبُو  
 لَمْ قَطُ رَاعِي فِي الْغَنَمِ يَخْلُبُو  
 دِيكَ الصَّلَابَا رَيْتَ مَا أَضْلَبُو

(أ) ج : عذال (ب) من ج، وفي ظ ي: تنظر (ج) من ج ي، وفي ظ: لئما .

تَحْتَ الْعَاكِينَ مَغْهًا خِضْرًا رَقِيقًا  
أَرْقَ هُوَ مِنْ دِينِي فِيمَا نَقُولُ  
أَيُّ دِينَ بَقَا لِي مَعَكَ أَوْ أَيُّ عَقْلٍ  
وَتَحْمِلُ اِزْدَافًا ثَقَالًا كَالرَّقِيبِ  
أَنْ لَمْ يَنْفَسْ غُرُزًا أَوْ يَنْقَشِعْ  
قَصْرٌ يَصِيرُ لِيكَ الْمَكَانَ حِينَ تَجِي  
مَحَاسِنُكَ مِثْلَ خِصَالِ الْأَمِيرِ  
عِمَادُ الْأَمْصَارِ وَفَصِيحُ الْعَرَبِ  
بِحِمْلَةِ الْعِلْمِ انْفَرَدَ وَالْعَمَلِ  
فَفِي الصُّدُورِ بِالرَّمْحِ مَا أَطْعَنُوا  
مِنْ السَّمَاءِ يَحْسَدُ فِي أَرْبَعِ صِفَاتِ  
الشَّمْسِ نَوُورًا وَالْقَمَرِ هَمَمًا  
يَرْكَبُ جَوَادَ الْجَوْدِ وَيَطْلُقُ عَنَانًا  
مَنْ خَلَعُوا نَلَبَسَ فِي كُلِّ يَوْمٍ  
[429ب] / نَعَمْتُوا تَظْهَرُ عَلَى مَنْ يَرْتَجِيهِ  
قَدْ أَظْهَرَ الْحَقُّ وَكَانَ فِي حِجَابٍ  
وَقَدْ بَنَى بِالْبَنَى رُكْنَ التَّقَى  
مَنْ رَقَّتْ وَيَخْفَى إِذَا تَطَلَّبُوا  
خَذْ تَرَى عَبْدَكَ سِتِّي مَا أَكْذَبُوا  
مَنْ يَتَّبِعُكَ مِنْ ذَا وَذَا<sup>(أ)</sup> تَسْلُبُوا  
حِينَ يَنْظُرُ الْعَاشِقُ وَحِينَ يَرْقُبُوا  
5 فِي طَرَفِ دَيْسَا وَالنَّبِيِّ تَضَلُّبُوا  
وَحِينَ تَغِيْبُ يَرْجَعُ فِي عَيْنِي قَبُّو  
أَوْ الرَّمْلُ مِنْ هُوَ الَّذِي يَحْسَبُوا  
فَمَنْ فَصَاحَةً لَفْظًا تَتَغَرَّبُوا  
وَمَعَ بَدِيعِ الشَّعْرِ مَا أَكْتُبُوا  
10 وَفِي الرِّقَابِ بِالسَّيْفِ مَا أَضْرِبُوا  
مَنْ تَعُدُّوا قَلِيًّا أَوْ تَحْسَبُوا  
وَالْغَيْثُ جُودًا وَ[الْبَحْرُ]<sup>(ب)</sup> مَنْصِبُوا  
الْأَغْتِنَا وَالْجَسَدَ حِينَ يَرْكَبُوا  
بَطِيبُ ثَنَاءِ الْعَالِي نَطِيبُوا  
15 قَاصِدٌ وَوَارِدٌ قَطْ مَا خَيُّو  
لِشَّ يَقْدِرُ الْبَاطِلُ بَعْدَ يَحْجُبُوا  
مَنْ بَعْدَ مَا كَانَ الزَّمَانُ خَرَبُوا

(أ) ج: من ذا ومن ذا ، خطأ (ب) ظ: التَّحَم .

تخافو حين تلقاه كما ترتجيه      فمغ سباحة وجهو<sup>(أ)</sup> ما أهيو  
يلقا الحروب ضاحك وهي عابسا      غالب هو لش في الدنيا من يغلبو  
إذا جبد سيفو ما بين الردود      فليس<sup>(ب)</sup> يثني على من يضربو  
وهو سمى المصطفى، والإله      للسلطانا اختاروا واستنخبو  
5 تراه خليفة أمير<sup>(ج)</sup> المسلمين      يقود جيوشوا ويزين موكبو  
لذي الإمارة تنخضع [لو]<sup>(د)</sup> الرؤوس      نعم وفي تقيل يديه يرغبو  
بيتة بني نصر بدور الزمان      يطلعو في المجد ولا يغربو  
وفي المعالي والشرف يبعُدو      وفي التواضع والحياء يقرئو  
فالله يقيم ما دار الفلك      وأشرق شمسو ولاخ كوكبو  
10 وما تغنى ذا القصيد في عروض      "يا شمس خدر ما لها مغرب"<sup>(1)</sup>

ثم استحدث أهل الأمصار بالمغرب فتأ آخر من الشعر، في أعارض  
مزدوجة كالموشح، ينظمون فيه بلغتهم الحضريّة أيضاً، وسموه عروض البلد. وكان أول  
من استحدثه بينهم، رجل من أهل الأندلس نزل بفاس، يُعرف بابن عمير. فنظم  
قطعة على طريقة الموشح، ولم يخرج فيها عن مذهب<sup>(هـ)</sup> الإغراب، مطلعها<sup>(2)</sup>:

(أ) ج: وجه (ب) ج: فليس (ج) ي: أمير (د) زيادة يستقيم بها الوزن (هـ) ج: مذاهب .

(1) تضمن صدر طالع قصيدة لأبي الحسن علي بن إبراهيم، ابن الرقاق، عجزه: "أرامّة دارك أم غرب".  
انظر المغرب 2 : 325 .

(2) أزهار الرياض 2 : 219-



أبكاني بشاطي النَّهر نوحُ الحمام	على الغُصن في البستان قريب الصباح
وكف السَّحَر يمحو مداد الظلام	وماء الندى يجري <sup>(أ)</sup> بثغر الأقاخ
باكرت الرِّياض والطل فيه افترق	كنثر الجواهر في نُحور الجواز
ودَمَع التَّواعز تنهرق انهراق	يحاكي ثعابين حلَّقت بالثَّمار
لوؤ بالغصون خلخال على كلِّ ساق	ودار الجميع بالروض دور السوار 5
/ وأيدي الندى تخرق جيوب الكمام [i 430]	وتحمل نسيم المسك عنها رياح
وعاج الضيا يطل بمسك الغمام	وجرَّ النسيم ذيلو عليها وفاح
رايت الحمام بين الورق في القضيْب	قد ابتلت ارياشو بقطر الندى
ينوح مثل ذاك المستهَام الغريب	قد التف من <sup>(ب)</sup> ثوبو الجديد في ردا
ولكن بفاه احمر وساق خضيب	ينظم سلوكك جوهر ويتقلدا 10
جلس بين الغصان جَلَسَة المستهَام	جناحاً توسَّد والتوى في جناخ
وصار يشتكي ما في الفؤاد من غرام	منها <sup>(ج)</sup> ضم منقارو لصذرو وصاخ
فقلت أحمام احزمت عيني الهجوع	ادى ما تزال تبكي بدمع سفوح
قال لي قد <sup>(د)</sup> بكيت حتى صفت لي الدموع	بلا دمع نبقي طول حياتي نوح
على فَرخ طار لي لم يكن لو رجوع	ألقت البكا والحزن من عهد نوح 15

(أ) سقط من ج (ب) ي: في (ج) كذا في ظ، ولعلها: وضَم، وفي ي أسقط هذا العجز، وأورد العجز الذي تحته (د) كذا، وهي زائدة، ويستقيم بدونها: قال لي بكيت حتى صفت لي الدموع.

كذا<sup>(١)</sup> هو الوفا قل لم كذا هو الذمام انظر للجفون صارت بحال الجراح  
وانتم من بُلا منكم إذا تمّ عام يقول قد عياني ذا البُكا والتّواح

فقلت أحمام لو خضت بحر الضّنا كان تبكي وتزئي لي بدمع هتون  
ولو كان في قلبك ما في<sup>(ب)</sup> قلبي أنا رماد كان نصير تحتك فروع الغصون  
5 اليوم لي نقاسي الهجر كم من سنا حتى لا سبيل جُملَه تراني العيون

ومّا كسا جسمي التّحول والسقام اخفاني نحولي عن عيون اللواح  
لو جتني المنايا كان نموت في المقام ومن مات بعد يا قوم لقد استراح

قال لي لو زفرت الا وداب الرياض من خوفي عليه ردّت النفس (ج) للفقّاد  
واتخضبت من دمعي وداك البياض طوق العهد في عنقي ليوم التناد  
10 وأما طرف منقاري حديثو استفاض بحال طرف<sup>(د)</sup> والجسد صار رماد<sup>(هـ)</sup>

فاستَحَسَنَه أَهْلُ فاس وَوَلَّعُوا به ، ونَظَمُوا على طَريقَتِه ، وتَرَكَوا الإِغْرَابَ  
الَّذِي لَيْسَ مِنْ شَأْنِهِمْ ، وكَثُرَ شِيعَاُهِ بَيْنَهُمْ ، واستَفْخَلَ [فيه]<sup>(و)</sup> كَثِيرٌ مِنْهُمْ ، ونَوَّعُوهُ

(أ) ي : كذا (ب) ج : مثل ما ، ولا يستقيم (ج) ي : النفوس (د) ظ ج ي : فراغ موقع لكلمة (هـ) فراغ سطرين بعده في نسخة ي ، وأمام الفراغ في الحاشية جملة : لعلّه من عروض البلد . وفي طبعة كاترمير (باريس 3: 420) تنتهي القطعة بيتين ، هما :

وتبكي وترثي لي صنوف الحمام ومن ضاق بحال الصّد والهجر باخ  
فيا بهجة الدنيا عليك السلام اذا لم نجد راحه فيك ولا مستراح

(و) من ج ي ، وسقط من ظ .

[430ب] أَصْنَافًا ، / إلى المَزُوج ، والكازي ، والملّعة ، والغزل . واختلَفَتْ أَسْمَاؤُهَا باختِلَافِ  
ازْدِوَاجِهَا وَأَوْزَانِهَا وَمُلاحَظَاتِهِمْ فِيهَا .

فَمِنَ المَزُوجِ<sup>(١)</sup> مَا قَالَهُ<sup>(١)</sup> ابْنُ شُجَاعٍ ، مِنْ فُحُولِهِمْ ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ تَأَزَى :

المال زينة الدنيا وعزّ النفوس	يَهَيّ وَجُوهًا لَيْسَ هِيَ بِأَهْيَا
منها كل من هُوَا كثير الفلوس	إِلَوُهُ الكَلَامُ والرَبِيبَةُ العَالِيَا 5
يكبر من كثر ماله ولو كان صغير	وَيَصْغُرُ عَزِيزُ القَوْمِ إِذَا يَفْتَقِرُ
من ذا ينطبق صدري ومن ذا نغيز	وَكَانَ [يَنْفَقِعُ] <sup>(ب)</sup> لَوْلَا الرَجُوعُ لِلْقَدْرِ
إِدِّي يلتجي من هو في قومو كبير	لَمَنْ لَا أَصْلَ عِنْدُو وَلَا لَوْ خَطَرَ
لقد ينبغي نحزن على دي العكوش	وَنَضْبُغُ عَلَيْهِ ثَوْبِي فِرَاسٍ خَائِيَا
إِدِّي صارت الأذنان أمام الترووس	وَصَارَ يَسْتَفِيدُ الوَاذُ مِنَ السَّاقِيَا 10
ضعف الناس عملٌ ذا أو فساد الزّمان	مَا نَدْرِي <sup>(ج)</sup> عَلَى مَنْ نَكْثُرُو <sup>(د)</sup> ذَا الْعِتَابِ
إِدِّي صَرَّ <sup>(هـ)</sup> فلان واليوم يُصْبِحُ بو فلان	وَلَوْ رَيْتَ وَكَيْفَ حَتَّى يَرُدَّ الْجَوَابِ
عشنا والسّلام حتى راينا عيان	اِفْهَاسُ السَّلَاطِينِ فِي جُلُودِ الْكَلَابِ
كبار النفوس حدّا ضعاف الأسوس	هُمْ فِي نَاحِيَا وَالْمَجْدُ فِي نَاحِيَا
يَرَوُا أَنَّهُم والنّاش يَرُوهُمْ تِيُوش	وَجُوهُ الْبَلَدِ وَالْعَمْدَةُ الرَّاسِيَا 15

(١) فِي أَزْهَارِ الرِّيَاضِ : المَزْدُوجُ (ب) مِنْ ج ي ، وَفِي ط : يَنْقَعُ (ج) ج : مَا نَدْرُو (د) ج : نَكْثُرُوا (هـ) ج : صَارَ .

(١) أَزْهَارُ الرِّيَاضِ 2 : 221-

ومن مذاهبهم قولُ ابن شُجاع، منهم، في بغضِ مزوجاته:

تعب من تبغ قلبو ملاح ذا الزمان      اهْمُكْ<sup>(أ)</sup> يا فلان لا يلعب الحسن بيك  
ما منهم مليحاً عاهد إلا وخان      قليل من عليه تحبّس ويحبس عليك  
يتيهوا على العشاق ويتمنّعوا      ويستعمدوا تقطيع قلوب الرجال  
5 وإن واصلوا من حنهم يقطعوا      وإن عاهدوا خانوا على كل حال  
مليح كن هويت ونشبت قلبي مَعُوا      وصيرت من خدي لقدموا نعال  
ومحدث لو من وسط قلبي مكان      وقلت أكرم أ قلبي لمن حلّ بيك  
وهون<sup>(ب)</sup> عليك ما يعتريك من هوان      فلا بد من هؤل الهوى يعتريك  
/ حگمّشو عليّا وارترضيت به أمير<sup>(ج)</sup>      فلو كان ترى حالي إذا تبصّرو [431]  
10 ترجع مثل دُر حولي فوجه الغدير      نذر به ويستفطّش بحال الجرّو  
وتعلّمت من ساعا نشق الضمير      ونفهم مرادو قبل أن يذكرو  
ويختل في مطلوبو ولو أنّ كان      عصر في الربيع أو في الليالي فريك  
ونمشي لسوقو [لو]<sup>(د)</sup> يكن في اصفهان      وأش ما يقل يحتاج نُقل لو يجيك

حتّى أتى على آخره. وكان منهم عليّ بن المؤدّن بتلّمسّان.

(أ) ي: يمكن أن تُقرأ: اهمل (ب) ج: وهو (ج) ترتب الأبيات هو ما في ظي ، وفي ج عجز هذا البيت ، هو عجز البيت الذي يليه، ويرتبط بعجزه بصدر البيت التالي (د) ظ: لم .

وكان لهذه العُصور القريبة من فُحولهم بَزْرُهُون، من ضواحي مَكْنَاسَة، رجلٌ يُعرف بالكُفَيْف، أبدعَ في مَذاهِب هذا الفن. ومن أحسن ما عُلِق له بمُحفوظي، قوله في رَحَلَة السُّلطان أبي الحَسَن وبني مَرِين إلى إفْرِيقِيَّة، يَصِفُ هَزِيمَتَهُم بِالْقَيْرَوَان وَيُعَزِّيهِمْ عَنْهَا، وَيُؤْنِسُهُمْ بِمَا وَقَعَ لَغَيْرِهِمْ، بعد أن عَتَبَهُمْ على غَزَاتِهِمْ إلى إفْرِيقِيَّة، في مَلْعَبَةٍ<sup>(1)</sup> من فُنُون هذه الطَّرِيقَة، يقولُ في مُفَتِّحِهَا، وهو من أْبَدَعَ مَذاهِب البَلَاغَة 5 في الإِشْعَارِ بِالْمُقْصِدِ في مَطْلَعِ الْكَلَامِ وافتتاحه، ويسمى براعة الاستهلال:

سُبْحَانَ مَالِكٍ خَوَاطِرِ الْأُمَرَا      بنواصيها في كلِّ حينٍ<sup>(أ)</sup> وَزَمَانٍ  
إِنْ طَعْنَاهُ أَعْطَفَ<sup>(ب)</sup> لَنَا نُضْرَا      وإن عاصيناه<sup>(ج)</sup> عَاقِبَ بِكُلِّ هَوَانٍ

إلى أن يقول في السَّوَالِ عَنْ جُيُوشِ الْمَغْرِبِ بَعْدَ التَّخَلُّصِ:

10      كُنْ مُرْعِي قُلٍّ وَلَا تَكُنْ رَاعِي      فالراعي عن رَعِيَّتِهِ مَسْئُولٌ  
وَاسْتَفْتَحْ بِالصَّلَاةِ عَلَى الدَّاعِي      للإِسْلَامِ وَالرِّضَا السَّنِيِّ الْمَكْمُولِ  
لِلخُلَفَا الرَّاشِدِينَ وَالْإِتْبَاعِي      وَادْكُرْ بَعْدَ إِذَا تَحَبَّ وَقَوْلُ  
أُحْجَا جَاءَ تَحَلَّلُوا الصَّخْرَا      وَذَرُوا شَرْحَ الْبِلَادِ مَعَ السَّكَّانِ

(أ) ي : حن (ب) كذا في ظ ي، وفي ج: اعطفهم، وفي م: عطفم (ج) ج م: عصبناه .

(1) اكتشف مَلْعَبَةُ الكُفَيْفِ الزَّرهوني هذه العلامة محمد بن شريفة، وحققتها وقَدَّمَهَا وشرح لغتها، وعدد أبياتها 497 بيتاً. (المطبعة الملكية، الرباط 1987)، وبين النُصْنِ بعض الاختلاف في اللَّفْظِ وَالتَّرْتِيبِ. وقد قابلناها واخترنا من القراءة ما اتَّضَحَ به الْمَغْنَى، ورمزنا للملعبه بحرف (م)، وحافظنا على الرَّسْمِ وَالشَّكْلِ الَّذِي كَتَبَتْ بِهِ.

عسكر فاس المنيرة الغرّا      اين سارت به عزائم السلطان

أحجاج بالنبي الذي زُرْتَم      وقطعتم لوكلاكل البيسدا

عن جيش العَرَب جيت نسألُكم      المثلُوف في فريقيما السّودا

/ ومن<sup>(١)</sup> كان بالعطا يزودكم      ويُدع بريّة الحجاز رُعدا

[431ب]

قام [قل كالسُد]<sup>(ب)</sup> صادف الحدرا      وثقجر شوط بعد ما تُحقان<sup>(ج)</sup>

5

ونزف كزدم<sup>(د)</sup> وبهت في الغبرا      ادّي صار [ازغر لهم سجان]<sup>(هـ)</sup>

لو كان ما بين تونس القربا<sup>(و)</sup>      وبلاد الغرب ردّ<sup>(ز)</sup> لسكنندر

يُبنى من شرقها إلى غرّبا      طبقا بجدي وثانيا بصفر

لابد الطير كن يجيب نبا      أو يات الريح غم<sup>(ح)</sup> بفرد خبر

مغوضها من أمور وما شرا      لو تقرأ فالقؤول<sup>(ط)</sup> مع الويدان

10

لجرت بالدم وانصدع<sup>(ي)</sup> حجرا      وهوت لجراف وجفت القران<sup>(ك)</sup>

ادري لي فعقلك<sup>(ل)</sup> الفحاض      وثقكر لي فخطرك<sup>(م)</sup> جمعا

إن كان تعلم حمام ولا رقاض      عن السلطان شهر وقل<sup>(ن)</sup> سبعا

(١) أزهار الرياض: وأمير (ب) أزهار الرياض: كل كلسد (ج) ظ: بحتان، وفي أزهار الرياض: لحتان (د) في م: ردوم وبهت: نهران بالمغرب من روافد وادي سبو، وفي أزهار الرياض: وتركوا دم ولهب.... (هـ) كذا، وفي م 42: أزهار بهم سيحان، وفي أزهار الرياض: ادّي صار إذ غار له متيطان (و) أزهار الرياض: القريا (ز) أزهار الرياض: سد (ح) بمعنى عنهم (ط) أزهار الرياض: كل يوم على الويدان (ي) م: وانصدع (ك) م، وأزهار الرياض: الغدران (ل) أزهار الرياض: بعقلك (م) أزهار الرياض: بخاطرك (ن) ي، وأزهار الرياض: وقبله .

يُظْهِرُ<sup>(أ)</sup> عَبْدُ الْمُهَيْمِنِ الْغَوَاضَ<sup>(ب)</sup> وَعَلَامَاتُ تَنْتَشِرُ عَلَى الصُّمَعَا

أَلَا قَوْمَ عَارِيَيْنَ بَلَا سُبْرًا مَا يَدِيرُوا كَيْفَ يَصَوِّرُوا الْكُسْرَا  
مَجْهُولِينَ لَا مَكَانَ وَلَا امْكَانَ أَوْ كَيْفَ دَخَلُوا مَدِينَةَ الْقُرْوَانِ

أُمُو لَايَ بُوَ الْحَسَنِ خَطِينَا الْبَابِ فُغْنَا كَمَا عَنِ الْجَرِيدِ وَالزَّابِ  
فَقَضِيَّةٌ سَيرْنَا إِلَى تُونِسَ وَأَشْ لَكَ فَاغْرَابَ فَرِيقَا الْغَوْبِشِ  
مَا بَلَغَكَ عَنْ عَمْرِ فِتَا<sup>(ج)</sup> الْخَطَّابِ الْفَارُوقُ فَاتَحَ الْقُرَى الْمَوْلَسَ

مَلِكِ الشَّامِ وَالْحِجَازِ وَتَاخَ كُسْرَا [كَانَ ذَا ذُكْرَتِ الْوَكْرَةُ]<sup>(هـ)</sup> ذِكْرًا  
وَفَتَحَ<sup>(د)</sup> مِنْ فَرِيقَا دُكَانَ وَبَقِلَ فِيهَا تَفَرَّقَ الْإِخْوَانُ

هَذَا الْفَارُوقُ زُمِرْدُ الْإِكْوَانِ وَبَقِثَ [جَمِي]<sup>(و)</sup> إِلَى زَمَنِ عَثْمَانَ  
صَرَّحَ فِي أَفْرِيقَا بِذَا التَّصْرِيحِ وَفَتَحَهَا ابْنُ الزَّبِيرِ عَنْ تَصْحِيحِ  
لَمَّنْ دَخَلَتْ غَنَائِمَا الدِّيَوَانَ مَاتَ عَثْمَانُ وَانْقَلَبَ عَلَيْنَا الرِّيحُ

وَأَفْتَرَقَ النَّاسَ عَلَى ثَلَاثِ أُمَرَا وَتَقَا مَا هُوَ السَّكُوتُ عَنَّا إِيْمَانُ  
/ فَإِذَا كَانَ ذَا فِي مَدَةِ الْبِرَا أَشْ نَعْمَلُ فِي أَوَاخِرِ الْإِزْمَانِ

[1432]

وَصُحَابِ الْجَنْفَرِ فِي كَتَبَاتَا وَفِي تَارِيخِ كَاتِبَا وَكُنْيَانَا

(أ) أزهار الرياض: بكتاب (ب) أزهار الرياض: القواص (ج) أزهار الرياض: بن (د) أزهار الرياض: لم يفتح (هـ) أزهار الرياض: كان إذا تذكر له كره (و) في ظ ج: جاء، ولا وجه لها، وآثرت قراءة (ي) و(م).

تذكر في صُفْهَها وَائِياتا شِقُّ وسَطِيح وابْن مُرَّانا

انَّ<sup>(أ)</sup> مُرِين إذا اتكت بَراياتا لجدار تونس فقد سقط شانا

وذكرنا [ما]<sup>(ب)</sup> قال لسيّد الوزرا عيسى بن لَحْسَن الرفيع الشّان

قال لي رَيتنا وانا بذا أدرا لكن ذَا جَا القَدْر<sup>(ج)</sup> عَمَت الأَجْبان

ونقول لك ما رما المَرينّا من حَضْرَة فَاش إلى عَرَب دَبَاب

راد المولى يموت بويحيّا سلطان تونس وصاحب العُتاب

5

ثمّ أخذَ في تَرْحِيل السُّلطانِ وجُيُوشه إلى آخرِ رَحْلَتِه ومُتَهى أمره مع  
أُغراب إفريقيّة، وأتى فيها بكلّ غَريبَةٍ<sup>(د)</sup> من الإبداع.

وأما أهلُ تونس، فاستَخدثوا فنَّ المَلْعَبَةِ أيضاً على لُغَتِهم الحَضْرِيّة، إلّا أنّ  
أَكثَرَهُ رديءٌ، ولم يعلّقْ بِمَحْفُوظِي مِنْهُ شَيْءٌ لَرَداءَتِه. 10

وكان لعامةُ بَغْداد أيضاً فنٌّ من الشَّعر يُسمّونه الموالِيا، وتَحْتَهُ فنونٌ كثيرةٌ  
يُسمّون منها الحوفي، وكان وكان، ودُو بَيَّتَيْن، على اِختِلاف المَوازين المُعْتَبَرَةِ عندهم  
في كلِّ واحدٍ منها، وغالبُها مُزْدَوِجَةٌ من أربعةِ أَغْصانٍ.

وتبعهم في ذلك أهلُ مِصرَ والقاهرة، وأتوا فيها بالغرائب، وتجاروا فيها في  
أساليب البلاغة بمقتضى لُغَتِهم الحَضْرِيّة، فجاءوا بالعجائب. 15

(أ) أزهار الرياض: ابن (ب) من أزهار الرياض (ج) أزهار الرياض: القضا (د) ج: غريب .



\*ورأيت في ديوان الصّفيّ الحليّ من كلامه<sup>(1)</sup>: أنّ المواليا من بحر البسيط، وهو ذو أربعة أعْصانٍ وأربع قوافٍ، ويُسمّى صوتاً وبيّتين، وأنّه من مُخترعات أهل واسط، وأنّ كان وكان فهو قافية واحدة وأوزان مختلفة في أشطاريه. والشّطر الأوّل من البيت أطول من الشّطر الثّاني، ولا تكون قافيته إلا مُردفة بحرف العلة، وأنّه من مُخترعات البغاددة، وأنشد<sup>(1)</sup>:

5

لنا بغمز الحواجب حديثٌ تُفسّرو منّو وأمّ الأخرس تعرف بلغة الخرسان<sup>(2)</sup>

اتهى كلام الصّفيّ\* (ب).

/ ومن أعجب ما علّق بحفظي من المواليا، قولُ شاعرهم:

[432ب]

هذي جراحي طرياً والدّما تنّصّح      وقاتلي يا أخياً في الفلا يَمْرُخ  
قالوا وتاخذ بشارك قلت ذا أقْبَح      ادّي جرخني يداويني يكون أضلّح

10

(1) ج: وأنشد منه (ب) سقط ما بين النجمين من نسخة ي .

(1) ذكره الصّفيّ الحليّ بتصرّف في اللفظ في العاقل الحالي : 105 .

(2) عمد الحليّ إلى جمع عشرين بيتاً من قصائد للبغاددة في أغراض يتداولها الناس وتجري مجرى الأمثال، ولا يُعرف ناظمها. فضمّنها عشرين بيتاً من نظمه، وقدم لكل بيت منها بيتاً يناسبه. ومهد لهذا بقوله:

وقفت يوم الحبيبي حتّى اغتَبِرو وأخاضمو      فقلت وقال جَوابي بالغمز بالاجفان  
لنا بغمز الحواجب كلامٌ تفسّرو منّو      وأمّ الأخرس تغرف بلُوعة الخرسان

وهذا مصتّف عند الحليّ في الكان كان وليس في المواليا (العاقل الحالي 117)، ابن حجة الحمويّ: بلوغ الأمل 140، وفيه: بلُوعة الخرسان .

ولغيره:

طَرَقْتُ بَابَ الْخَبَاءِ، قَالَتْ مِنَ الطَّارِقِ      فقلت مفتون لا ناهب ولا سارق  
تَبَسَّمْتُ لَاحَ لِي مِنْ ثَغْرِهَا بَارِقٌ      رجعت حيران في بحر اذمعي غارق

ولغيره:

5 عهدي بها وهي لا تامن عليّ البين      وإن شكوت الهوى قالت فدتك العين  
لَمَنْ تَعَايُنْ لَهَا غَيْرِي غُلَامَ زَيْنٍ      ذكرتها العهد، قالت: لك عليّ دين

ولغيره في وصف الحشيش:

خمرة سراوا التي عهدي بها باقي      تُغني عن الخمر والخمار والسّاقبي  
قَحْبًا وَمِنْ قُحْبِهَا تَعْمَلُ عَلَى اخْرَاقِي      خبيثها في الحشا طلّت من اخداقي

10 ولغيره:

يَا مَنْ وَصَّالُوا لِأَطْفَالِ الْمَحَبَّةِ<sup>(أ)</sup> نَحْ      كم توجع القلب بالهجران أوّه أخ  
أودعت قلبي حَوْحَوُ<sup>(ب)</sup> والتصبّر بح      كلّ الوري كخ في عيني وشخصك دح

ولغيره<sup>(1)</sup>:

نَادَيْتُهَا وَمَشِييَ قَدْ طَوَانِي طَوًى      جودي عليّ بقُبله في الهوى يا مَيَّ

(أ) ج ي: الحثّا (ب) الشكل من ظ، وفي ج: حَوْحُو، وفي ي: مَمْلَة .

(1) أزهار الرياض 2 : 226 .

قالت وقد تركت داخل فؤادي كي ما ظنّ ذا القطن يغشى فؤم من هو حي

ولغيره:

راني ابتسم، سبقت سحب ادمعي بزقوا  
أسبل دجى الشعر تاه القلب في طزقوا  
ماط اللثام تبدا بذر في شرقوا  
رجع هدانا بخيط الصبح من فرقوا

ولغيره<sup>(1)</sup>:

5

يا حادي العيس يزجر بالمطايا زجر  
وصيح في خيمهم يا من يريد الأجر  
ومن الذي يسمونه ذو بيتين<sup>(2)</sup>:  
اقف على منزل احبائي قبيل الفجر  
ينهض يصلي على ميت قتل الهجر

قد أقسم من أحبه بالباري  
يا نار تشوقي به فائقدي  
أن ينعث طيفه مع الأسفار  
ليلاً فعساه يهتدي بالنار<sup>10</sup>

ولغيره<sup>(3)</sup>:

عيني التي كت نظركم بها باتت  
/ وأسهم البين صابثي ولا فاتت  
ترعى النجوم وبالتسهيد اقتاتت  
وسلوتي - أعظم الله أجركم - ماتت [433]

(1) أزهار الرياض 2 : 226 .

(2) المصدر نفسه 2 : 227 .

(3) المصدر نفسه 2 : 226 .

ولغيره:

هويت في قنطرتكم يا ملاح الحُكْر      غزال يبلي الأسود الضاريا بالفكر  
غصن إذا ما اثنا ينسبي البنات البكر      وإذا تهلل فما للبذر عندو ذكر

واعلم أن الأذواق في معرفة البلاغة منها كلها إنما تحصل لمن خالط تلك  
5 اللغة وكثر استعماله لها ومخاطبته بين أجيالها حتى يحصل ملكتها، كما قلناه في اللغة  
العربية. فلا يشعر الأندلسي بالبلاغة التي في شعر أهل المغرب، ولا المغربي  
بالبلاغة التي في شعر أهل المشرق والأندلس، ولا المشرقي بالبلاغة التي في شعر  
أهل الأندلس والمغرب، لأن اللسان الحضري وتراكيبه مختلف فيهم، وكل أحد  
[منهم]<sup>(١)</sup> مدرك بلاغة لغته، وذائق محاسن الشعر من أهل جلدته.

10 وفي خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم آيات للعالمين<sup>(ب)</sup>.

(١) من: ج ي، ونقط من ظ (ب) تضيف لما في الآية 22 من سورة الروم .

وقد كِدْنَا أَنْ نَخْرُجَ عَنْ الْغَرَضِ، وَعَزَمْنَا أَنْ نَقْبِضَ الْعِنَانَ عَنْ الْقَوْلِ فِي هَذَا  
الْكِتَابِ الْأَوَّلِ الَّذِي هُوَ طَبِيعَةُ الْعُمُرَانِ وَمَا يَغْرِضُ فِيهِ، فَقَدْ اسْتَوْفَيْنَا مِنْ مَسَائِلِهِ مَا  
حَسَبْنَا [هـ]<sup>(١)</sup> كِفَاءً لَهُ. وَلَعَلَّ مَنْ يَأْتِي مِنْ بَعْدِنَا مِمَّنْ يُؤَيِّدُهُ اللَّهُ بِفِكْرِ صَحِيحٍ، وَعِلْمٍ  
مَتِينٍ، يَغْوِضُ مِنْ مَسَائِلِهِ عَلَى أَكْثَرِ مِمَّا كَتَبْنَاهُ؛ فَلَيْسَ عَلَى مُسْتَنْبِطِ الْفَنِّ إِحْصَاءُ  
مَسَائِلِهِ، وَإِنَّمَا عَلَيْهِ تَعْيِينُ مَوْضُوعِ الْعِلْمِ وَتَنْوِيعُ<sup>(ب)</sup> فُصُولِهِ وَمَا يَتَكَلَّمُ فِيهِ. وَالْمُتَأَخَّرُونَ 5  
يُلْحِقُونَ الْمَسَائِلَ مِنْ بَعْدِهِ شَيْئاً شَيْئاً<sup>(ج)</sup> إِلَى أَنْ تَكْمَلَ ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا  
تَعْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة، من الآية 216].

قال مؤلف الكتاب عفا الله عنه: أَتَمَمْتُ هَذَا الْجُزْءَ الْمَشْتَمِلَ عَلَى الْمَقْدَمَةِ  
بِالْوَضْعِ وَالتَّأْلِيفِ قَبْلَ التَّنْقِيحِ وَالتَّهْدِيدِ، فِي مَدَّةِ خَمْسَةِ أَشْهُرٍ، آخِرَهَا مُنْتَصَفُ  
عَامِ تِسْعَةِ وَسَبْعِينَ وَسُبْعِمِائَةٍ. ثُمَّ نَقَحْتُهُ بَعْدَ ذَلِكَ وَهَدَيْتُهُ، وَأَلْحَقْتُ بِهِ مِنْ تَوَارِيخِ 10  
الْقُرْبِ [والعجم]<sup>(د)</sup> وَالْبَرِّيرِ مَا اخْتَرْتُهُ.

[433ب] ثُمَّ اسْتَوْفَيْتُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي هَذَا الْكِتَابِ الْمُلَقَّبِ بِالظَّاهِرِيِّ خَبَرَ / الدُّوَلِ فِي  
الْخَلِيقَةِ وَالْعَالَمِ، وَاسْتَوْعَبْتُهُ حَسَبَ ذِكْرَتِهِ فِي أَوَّلِهِ وَشَرَطْتُهُ. وَمَا الْعِلْمُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ  
اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ.

(١) من ج ي (ب) ج : صَوَّعَ (ج) ج : شَيْئاً فَمَشِيناً (د) إضافة يقتضيا النص، انظر ما بعده .

كُلَّ الْجُزْءِ الثَّانِي مِنْ كِتَابِ الظَّاهِرِيِّ فِي الْعِبَرِ، بِأَخْبَارِ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ وَالْبَرْبَرِ، وَبِكَمَالِهِ  
كَلَّمَتِ الْمَقْدَمَةُ الْعِلْمِيَّةُ الْمَذْكُورَةُ فِي أَوَّلِهِ.

يَتْلُوهُ فِي الْجُزْءِ الثَّالِثِ الْكِتَابُ الثَّانِي، فِي أَخْبَارِ الْعَرَبِ وَأَخْيَاهُمْ وَدَوْلِهِمْ، مُنْذُ مَبْدَأِ الْخَلِيقَةِ  
وإِلَى هَذَا الْعَهْدِ، وَأَخْبَارِ مُعَاصِرِهِمْ مِنْ أُمَمِ الْعَجَمِ.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ حَقُّ تَحْمَدِهِ، وَصَلَوَاتُهُ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ وَعَبْدِهِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ،  
وَسَلَامُهُ.

#### خاتمة نسخة ي:

قال مؤلف الكتاب عفا الله عنه: أتممت هذا الجزء الأول بالوضع والتأليف قبل التنقيح  
والتهذيب، في مدة خمسة أشهر، آخرها منتصف عام تسعة وسبعين وسبع مائة، ثم نقحته  
بعد ذلك وهذّبته، وألحقته به من تواريخ الأمم كما ذكرته في أوله وشرطته. وما العلم إلا من عند الله  
العزیز الحكيم.

#### خاتمة نسخة ج:

قال مؤلف الكتاب عفا الله عنه: أتممت هذا الجزء الأول بالوضع والتأليف قبل التنقيح  
والتهذيب، في مدة خمسة أشهر، آخرها منتصف عام تسعة وسبعين وسبع مائة، ثم نقحته  
بعد ذلك وهذّبته، وألحقته به من تواريخ الأمم كما ذكرته في أوله وشرطته، وما العلم إلا من عند الله  
العزیز الحكيم.

وكتبه بيده الفانية أحوج الناس لرحمة ربه، عبد الله بن حسن الشهير بابن الفخّار،  
حامداً لله على نعمه، ومصلياً ومُسَلِّماً ومُحْسِبِلاً. ونقلته من أضله المتّوجّ بخط مؤلفه في بعض هامشه  
وملحقه وتخارجيه، وكتبها جميعها وأحاط بما كتبت، وقرأ في غالبه، والله المسؤول أن يقيمه ويمتّع  
ببقائه، آمين.

وكتب في العاشر من جمادى الأولى سنة تسع وتسعين وسبع مائة.

اللهم صلّ على سيّدنا محمد وآله وسلّم.

المستدرك





❖ فصل، في اتساع نطاق الدولة أولاً إلى نهايته، ثم تضايقه ثانياً<sup>(1)</sup> طوراً بعد  
طوراً إلى فناء الدولة واضمحلالها

تَجْهِيزِيَّة

هذا الفصل كان موجوداً في نسخة عاطف أفندي الأم، مثبتاً في بطاقة مُضافة استوعبته، وقد أخرج له ابنُ الفخار - الناسخ المتفرغ لابن خلدون، وكاتب النسخة "ع" - إشارة مُخرج متجهة إلى اليمين تدلّ على موقع الفصل، وأتته موجود خارج الحاشية كما اعتاد أن يفعل في الإضافات الكبيرة. وموقعه محدّد بين فضلي: كيفية طروق الحلل في الدول (الفصل 47، 1: 505) وحُدوث الدول وتجددها كيف يقع (الفصل 48، 1: 510).

طالب اتزعمها من ابدي القايمت بها ولا يبيث وهي تتلاشى الى ان تضمحل  
كالذباب في السراج اذا فني شئت وكفي والله مالک الامور مدبر  
الامكان لا اله الا هو  
فصل في حدوث الدول  
وتجددها كيف يقع اعلم ان نشأة الدول وبلداتها  
اذا اخذت الدولة المستقرة في الهدم والانتفاص يكون على نوعين اما

والمؤكد أن هذا الفصل تما زاده ابنُ خلدون بعد سنة 799هـ / 1395م لأن النسخ المعتمدة في هذه النشرة وعليها خطه وإضافاته وتصويباته، حُطّ آخرها في التاريخ المشار إليه؛ وهو سنة 799هـ بما في ذلك نسخة فاس المفقودة، التي أهداها في السنة نفسها لأبي فارس عبد العزيز المريني وثقلت عنها كل النسخ المغربية الشائعة، والتي اعتمد بعضها الشيخ نصر الهوريني لطبعته في بولاق، الحالية من هذا الفصل.

وقد كان الملحق موجوداً عندما آلت تلك النسخة الأم إلى عاطف أفندي، وطلب من الناسخ حسن بن أحمد أن ينسّخ له نسخة يُدخل فيها حواشي الأصل في مواقعها، ويهيئ نسخة موحدة تمثل عمل ابن خلدون في المقدمة مبيّضاً كما أراده في آخر مراحل حياته. واستغرق الناسخ في هذا العمل مدة ما بين 1140م (1728م) - 1155هـ (1742م) كما نُصّ على ذلك.

(1) سقط من ب .

وقد آلت هذه النسخة إلى مجموعة العلامة أحمد تيمور باشا في مصر، واختفى بعدها هذا النص من أصله الملتصق به.

ونورده لصحة ارتباطه بالمرحلة الحديثة للكتاب، معتمدين في مقابلته على مخطوطة التيمورية ونشرة E. Quatremere للمقدمة (باريس 1858) 2: 114 - 117 .



قد كان تقدّم لنا في فضل الخلافة والمُلك، وهو الثالث من هذه المقدمة، أن كل دولة لها حصّة من الممالك والعمالات لا تزيد عليها. واعتبر<sup>(أ)</sup> ذلك بتوزيع عصابة الدولة على حماية أقطارها وجهاتها. فحيثُ تقدّ<sup>(ب)</sup> عددهم فالطرف الذي انتهى عنده هو الشّعر؛ ويحيطُ بالدولة من سائر جهاتها كالنطاق. وقد تكون النهاية هي نطاق الدولة الأول. وقد يكون أوسع منه إذا كان عددُ العصابة أوفر من الدولة قبلها. وهذا كله عندما تكون الدولة في شعار البداوة وخشونة البأس. فإذا استغفل العزّ والغلب، وتوفّرت<sup>(ج)</sup> النعم والأزراق بدور<sup>(د)</sup> الجبايات، وزخر بحرّ الثّرف والحضارة، ونشأت الأجيال على اعتياد ذلك، لطفّت أخلاق الحامية ورقت حواشيم، وعاد من ذلك على<sup>(هـ)</sup> نفوسهم هيئات الجبن والكسل بما يعانونه<sup>(و)</sup> من خنث<sup>(ز)</sup> الحضارة المؤدّي إلى الانسلاخ من شعار البأس والرجولة<sup>(ح)</sup> بمفارقة البداوة وخشونتها، يأخذهم<sup>(ط)</sup> العزّ بالتطاؤل إلى الرياسة والتّنازع فيها. ويفضي<sup>(ي)</sup> إلى قتل بعضهم بعضاً<sup>(ك)</sup> ويكبحهم السّطان عن ذلك بما يؤدّي إلى قتل أكابرهم وإهلاك رؤسائهم. فيفقد<sup>(ل)</sup> الأمراء والكبراء، ويكثر التابع والمزعوس، فيقلّ ذلك من حدّ<sup>(م)</sup>

(أ) ت : واعتبار (ب) ب: تقدّ (ج) ت : وتعدّدت (د) ت: يدور (هـ) ب : إلى (و) ت: يعانه (ز) ب: خنث (ح) ب: الرجولية (ط) ب: يأخذهم (ي) ب: فيفضي (ك) ب: بعضهم بعضهم (ل) ب: فيفقد (م) ت: حدود .

الدولة، ويكسر من شوكتها، ويقع الخلل الأول في الدولة، وهو الذي من جهة الجند والحامية كما تقدم.

ويساوق ذلك السرف في التفقات بما يغتريهم من أبهة العز، وتجاوز الحدود في البذخ، بالمناعة في المطاعم والملابس، وتشييد القصور، واستجادة السلاح وارتباط الخيول؛ فيقتصر دخل الدولة حينئذ عن<sup>(أ)</sup> خزجها<sup>(ب)</sup>، ويترك الخلل الثاني في الدولة وهو الذي من جهة المال والجباية. ويحصل العجز والانتقاص<sup>(ج)</sup> بوجود الخللين. وربما تنافس رؤسائهم فتنازعوا، وعجزوا عن مغالبة<sup>(د)</sup> المنازعين والمجاورين<sup>(هـ)</sup> ومداقعتهم. وربما اعتز أهل<sup>(و)</sup> [الثغور]<sup>(ز)</sup> والأطراف بما يحسون من ضعف الدولة وراهم، فيصرون إلى الاستقلال والاستبداد بما في أيديهم من العمالات، ويعجز صاحب الدولة عن حملهم على<sup>(ح)</sup> الجادة، فيضيئ نطاق الدولة عما كانت انتهت إليه في أولها، وترجع العناية في تدبيرها<sup>(ط)</sup> بنطاق دونه، إلى أن يحدث [في النطاق]<sup>(ي)</sup> الثاني ما حدث في الأول بعينه من العجز والكسل في العصابة وقلة الأموال والجباية. فيذهب القائم بالدولة إلى تغيير القوانين التي كانت عليها سياسة الدولة من<sup>(ك)</sup> قبل الجند والمال والولايات، ليجري حالها على<sup>(ل)</sup> استقامة بتكافؤ<sup>(م)</sup> الدخل والخرج والحامية والعمالات وتوزيع الجباية على الأزاق، ومقايضة ذلك بأول الدولة في سائر الأحوال. والمفاسد مع ذلك متوقعة من كل جهة. فيحدث في هذا الطور من بعد ما حدث في الأول من قبل. ويعتبر صاحب الدولة أيضاً<sup>(ن)</sup> ما اعتبره الأول، ويقايس بالوزان الأول أحوالها الثانية، يروم دفع مفاسد الخلل<sup>(و)</sup>

(أ) ب: من (ب) ت: خروجها (ج) ب: والانتقاص (د) ت: من مبالغة (هـ) ب: المجاورين والمنازعين (و) سقط من ت (ز) ت: عن (ح) ب: تدبيرها (ط) سقط من ت (ي) ب: في (ك) سقط من ت (ل) ت: يتكافؤ (م) سقط من ب (ن) ت: الحال.

الذي يتجدد في كل طور، ويأخذ من كل طرف، حتى يضيق نطاقها الآخر إلى نطاقٍ دونَه كذلك، ويقع فيه ما وقع<sup>(أ)</sup> في الأول. وكل واحدٍ من هؤلاء المغيرين للقوانين قبلهم كأنهم مُنشئون دولةٍ أخرى، ومجددون مُلكاً، حتى تنقرض الدولة، وتتطاوُل<sup>(ب)</sup> الأمم حَوْلَهَا إلى التغلب عليها وإنشاء دولةٍ أخرى لهم، فيقع من ذلك ما قَدَّرَ اللهُ وَقُوعَهُ.

واعتبر ذلك في الدولة الإسلامية كيف اتسع نطاقها بالفتوحات والتغلب على الأمم، ثم تزايد<sup>(ج)</sup> الحامية وتكاثر عَدَدِهِمْ<sup>(د)</sup> بما تحولوه من النعم والأزواق، إلى أن انقرض أمر بني أمية وغلب بنو العباس. ثم تزايد الترف ونشأت الحضارة، وطرق الخلل، فضاقت النطاق من الأندلس والمغرب بحدوث الدولة الأموية المروانية والعلوية<sup>(هـ)</sup>، واقتطعوا ذئبك الثغرين عن نطاقها، إلى أن وقع الخلاف بين بني الرشيد، وظهر دعاة العلوية من<sup>(و)</sup> كل جانب، وتمهدت لهم دولة.

ثم قتل المتوكل، واستبدَّ الأمراء على الخلفاء وحجروهم، واستقلَّ الولاة بالعمالات<sup>(ز)</sup> في الأطراف، وانقطع الخراج منها، وتزايد الترف. وجاء المعتضد فغير<sup>(ح)</sup> قوانين الدولة إلى قانون<sup>(ط)</sup> آخر من السياسة، أقطع فيه ولاية الأطراف ما غلبوا عليه، مثل بني سامان وراء النهر، وبني طاهر العراق وخراسان، وبني الصفار السند وفارس، وبني طولون مصر، وبني الأغلب إفريقية، إلى أن افترق أمر العرب وغلب العجم؛ واستبدَّ بنو بويه والديلم بدولة الإسلام وحجروا الخلافة، و[بقي]<sup>(ي)</sup>

(أ) ت: يقع (ب) ت: ويتطاوُل (ج) ت: كما يتزايد (د) ت: عدوهم (هـ) ت: بحدوث دولة المروانية والعلوية (و) ب: في (ز) ت: الولاية بالعمارات (ح) ت: فيغير (ط) ت: مأثور (ي) سقط من ت .

بنو سَامان [في استِبدادهم] <sup>(أ)</sup> وراء النهر، وتطاوَل <sup>(ب)</sup> الفاطميُّون من المغرب إلى مصر والشَّام فملكوه <sup>(ج)</sup>. ثُمَّ قامَت الدَّوْلَةُ السُّلْجُوقِيَّةُ من التُّرك فاستولوا على ممالك الإسلام؛ وأبقوا الخلفاء في حَجْرهم، إلى أن تلاشت دُولُهم.

واستبدَّ الخلفاء منذ عَهْد النَّاصر في نِطاق أَضْيَق من هالة القمر، وهو عِراقُ العرب إلى أَضْبَهان وفارس والبحرين. وأقامت الدَّوْلَةُ كذلك بعض الشيء، إلى أن انقَرَضَ أَمْرُ الخُلفاء على يَدِ هُولاكو <sup>(د)</sup> بن طولي بن دوشي خان <sup>(هـ)</sup> ملك الطُّطر والمُغل حين غلبوا السُّلْجُوقِيَّةَ وملكوا ما كان في أيديهم <sup>(و)</sup> من ممالك الإسلام. وهكذا يَتَضايقُ نِطاقُ كُلِّ دَوْلَةٍ على نِسْبَةِ نِطاقِها الأوَّل. ولا يَزَالُ طَوْرًا بعد طَوْرٍ إلى أن تَنقَرِضَ الدَّوْلَةُ. واعتَبِرَ ذلك في كُلِّ دَوْلَةٍ عَظُمَتْ أو صَغُرَتْ، فهكذا سَنَّهُ [الله] <sup>(ز)</sup> في الدَّول، إلى أن يَأْتِيَ ما قَدَّرَ اللهُ من الفناء على خَلْقِه [و] <sup>(ز)</sup>. ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [سورة القصص، من الآية 88].

(أ) سقط من ت، وعوضها: بما (ب) ت: ويطاول (ج) ت: فملكوا (د) ت: هلاكوا (هـ) ت: حال (و) ت: بأيديهم (ز) سقط من ت .

## ❖ فصلٌ، في أن الرياسة لا تزال في نصابها المخصوص من أهل العصبيّة

### تَمْهِيدٌ

لم يرد هذا الفصل في الرواية الحديثة للنص، ولم نجد في النسخة الأم "ع" وبقية الأصول الموازية لها إشارة مُخرج بآخر الفصل الذي تقدّمه، وهو: "فصل في اختلاط الأنساب كيف يقع" يدلّ على أنه كان هناك بطاقة تضمّنث الإضافة، وسقطت بوجه من وجوه التّلف، كما حدّث للفصل 48 من الفصل الثالث. كذلك لم يرد لهذا الفصل ذكر في النسخة التّموريّة، وفي طبعة باريس.

وقد ظهر للمرة الأولى في نشره الشّيخ نصر الهوريني للمقدمة، التي نشرتها مطبعة بولاق في شهر صفر سنة 1274هـ / 1857م وعلّق إلى جانبه في الحاشية، "أن النصّ ساقط من النسخ المتداولة، وقد وجده في نسخة مضبوطة منقولة من نسخة المؤلّف الأولى، قبل الزيادة عليها والحذف منها". وكتب هذا في جمادى سنة 1273هـ / يناير 1857م.

ويظهر أنّه كان موجوداً في نسخ صيغة المقدمة الأولى، ثم استبعده ابن خلدون في النسخة الحديثة، بعد أن ضمّن محتواه الفصل الحادي عشر (نشرنا 1: 233): "في أن الرياسة على أهل العصبيّة لا تكون في غير نسبهم"، وفيه يقرر محصّلة "أنّه لا بدّ في الرياسة على القوم أن تكون من عصبيّة غالبية لعصبيّاتهم".

ورأينا إثبات هذا النصّ في المستدرك، لأنّه يُساعد على توضيح طريقة ابن خلدون في معالجة أفكاره ومراجعة صياغتها، للوصول إلى ما يكون أكثر وضوحاً وارتباطاً بالمضامين العامّة والخاصّة التي تستقرّ في ذهنه.

وقد اعتمدنا في استخراجها على ما أثبتته نصر الهورينيّ بخطه في حاشية مخطوطة دار الكتب المصريّة (رقم 612 تاريخ تيمور) التي اعتمد عليها في نشره لطبعة بولاق الأولى للمقدمة سنة 1247، ص 64، والطبعة الثانية في بولاق أيضاً لكلّ كتاب العبر 1: 110، وعلى ما نشره د. علي عبد الواحد وافي 2: 488.



اعلم أنّ كلّ حيٍّ أو بطنٍ من القبائل وإن كانوا عصابةً واحدةً لنسبهم العام، ففهم أيضاً عصبيّاتٍ أخرى لأنسابٍ خاصّة هي أشدُّ التّحاماً من النّسب العامّ لهم،

مثل عشير واحد أو أهل بيت واحد، أو إخوة بني أب واحد، لا مثل بني العم  
الأقربين أو الأبعدين. فهؤلاء أقعد بنسبهم المخصوص ويشاركون مَنْ سواهم من  
العصائب في النسب العام. والنمرة تقع من أهل نسبهم المخصوص، ومن أهل النسب  
العام؛ إلا أنها في النسب الخاص أشد لقرب اللّحمة. والرياسة فيهم إنما تكون في  
نصاب واحد منهم ولا تكون في الكل. ولما كانت الرياسة إنما تكون بالغلب، وجب  
أن تكون عصبية ذلك النصاب أقوى من سائر العصائب، ليقع الغلب بها ويتم  
الرياسة لأهلها. فإذا وجب ذلك تعيّن أن الرياسة عليهم لا تزال في ذلك النصاب  
المخصوص بأهل الغلب عليهم؛ إذ لو خرجت عنهم وصارت في العصائب الأخرى  
التنازلة عن عصبيتهم في الغلب لما تمت لهم الرياسة. فلا تزال في ذلك النصاب  
متناقلة من فرع منهم إلى فرع، ولا تنتقل إلا إلى الأقوى من فروعها، لما قلنا من  
سرّ الغلب؛ لأن الاجتماع والعصبية بمثابة المزاج للمتكون؛ والمزاج في المتكون لا  
يصلح إذا تكافأت العناصر؛ فلا بُد من غلبة أحدها، وإلا لم يتم التكوين. فهذا هو  
سرّ اشتراط الغلب في العصبية. ومنه تعيّن استمرار الرياسة في النصاب المخصوص  
بها كما قررناه.

اعرفه

ذلك فقال صدقوا يا امة المؤمنين انما انا رجل من الارذ  
 اصبت دما في قومي ولحققت بهم وانظر منه كيف اعد  
 اختلط عريجه بجميله وليس جلدتهم ودرع بنسبتهم  
 حتى ترشح للرئاسة عليهم كولا علم بعضهم <sup>بعضهم</sup>  
 ولو غفلوا عن ذلك <sup>بعضهم</sup> من الخلف التوسل بالجملة  
 وعدمهم بكل كذب فافهم واعلم سر الله في خلقه  
 ومثل هذا الكثير لهذا العهد وما قبله من اليهود والكنيسة  
 الموفق للصواب بمنه وفضله وكرمه <sup>وهو</sup>  
 فان اهل الرئاسة على اهل العصبة لا تكون في غير  
 نسبتهم وذلك ان الرئاسة لا تكون الا بالقلب والقلب  
 انما يكون بالعصبة لا قدماء فلا بد في الرئاسة على  
 القوم ان تكون من عصبة غالبة لعصباتهم واحدة  
 واجارة لان كل عصبة منهم اذا اخست بقلب الرئيس  
 لهم امره وابالاذعان والاتباع والساقط في نسبتهم  
 بالجملة لا تكون له عصبة فيهم بالنسب انما هو لزيغ  
 وغاية التعصب له بالولاء والخلف وذلك لا يوجب  
 كمال التصاق او <sup>وليس جلدتهم</sup> رعي بنسبتهم فكيف له الرئاسة بمثل  
 هذا الاتهام او لاحد من سلعه والرئاسة على القوم  
 انما تكون متناقلة في منتهى واحد فعن كمال التصاق  
 من الرئاسة حينئذ فكيف تنقلب عنه وهو على حال  
 الالتصاق والرئاسة لا بد ان تكون موروثة عن  
 مستحقها لما قلناه من التقلب بالعصبة وقد نبشرون  
 كثير من الروساء على القبائل والعصايب الي الشهاب

فصل  
۱۴

اعمالی

ملصق ص ١

ملک علیہ السلام و  
مناہ قدیم  
خسلا و توحید  
الاولیٰ

[illegible]

فصل، في أنَّ الرئاسة لا تزال في نصاها المخصوص من أهل العصبة. في حاشية  
مخطوطة 612 تهور بخط نصر الهوريني



## المصادر والمراجع



- آثار البلاد وأخبار العباد، زكرياء بن محمد القزويني، دار صادر، بيروت 1969م
- الآداب الشرعية والمنح المرعية، محمد بن مفلح المقدسي الحنبلي، تحقيق عصام فارس الحرساني، دار عمار، عمان (د.ت.)
- آداب المعلمين، محمد بن سُنُون، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب، مراجعة محمد العروسي المطوي، تونس 1972م
- إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، أحمد بن أبي الضياف، وزارة الثقافة، تونس، 1963م
- الإحاطة في أخبار غرناطة، محمد بن عبد الله، لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق محمد عبد الله عنان، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة 1973م
- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، ترتيب ابن بلبان الفارسي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة؛ بيروت 1991م
- الأحكام السلطانية والولايات الدينية، علي بن محمد بن حبيب الماوردي، تحقيق محمد جاسم الحديثي، المجمع العلمي، بغداد 2001م
- أحكام القرآن، أحمد بن علي الرازي الجصاص، تحقيق محمد الصادق قهطوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت 1985م
- أخبار الدول المنقطعة، ابن ظافر الأزدي، تحقيق عصام هزايمة، محمد محافظة، محمد طعاني، علي عابنة، مؤسسة حمادة ودار الكندي للنشر، إربد (الأردن) 1999م
- أخبار القضاة، محمد بن خلف بن حيان، وكيع، عالم الكتب، بيروت (د.ت.)، (مصورة)

• أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، أبو الوليد محمد بن عبد الله الأزرقى، صححها وعلّق حواشيها رشدي الصالح ملحق، ط2، نشرها عبد المقصود خوجه، جدة 2005م

• أخبار ملوك بني عُبيد وسيرتهم، محمد بن علي بن حمّاد الصّنهاجي، حققه وترجمه M. Vonderheyden نشریات کلیّة الآداب بالجزائر، الجزائر- باريس 1927م

• الأربعون حديثاً في المهديّ، أحمد بن عبد الله، أبو نعيم الأصفهانيّ، تحقيق علي باقر، تراثنا، طهران 1425هـ

إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب = معجم الأدباء

• أزهار الرياض في أخبار عياض، أحمد بن محمد المقرئ، صندوق إحياء التراث الإسلاميّ المشترك، الرباط 1978 - 1980م

• الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، أحمد بن خالد الناصريّ السلاويّ، تحقيق وتعليق جعفر الناصريّ ومحمد الناصريّ، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب 1956م

• الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البرّ النمرى القرطبيّ، تحقيق علي محمد البجاويّ، مكتبة نهضة مصر ومطبعها، القاهرة (د.ت.) (مصورة)

• أسد الغابة في معرفة الصحابة، عز الدين علي بن محمد بن الأثير، المكتبة الإسلامية، بيروت (د.ت.) (مصورة)

• الإشارات والتنبيهات، أبو علي بن سينا، تحقيق سليمان دنيا، دار المعارف، مصر 1971م

- الاشتقاق، محمد بن الحسين بن دريد الأزديّ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط2، مكتبة المثنى، بغداد 1979م
- الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، خير الدين الزركليّ، ط6، دار العلم للملايين؛ بيروت، 1980م
- الإعلان بالتوبيخ لمن ذمّ التاريخ، محمد بن عبد الرحمن السخاويّ، تحقيق فرانز روزنتال، ترجمة صالح أحمد العليّ، دار الكتب العلميّة، بيروت، (د.ت.)
- أعمال مهرجان ابن خلدون (2 - 6 يناير 1962)، المركز القوميّ للبحوث الاجتماعيّة، القاهرة 1962م
- أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين، تحقيق حسن الأمين، ط5، دار التعارف للمطبوعات، بيروت 1983م
- الأغانيّ، علي بن الحسين، أبو الفرج الأصفهانيّ، تحقيق إحسان عبّاس، إبراهيم السعافين، بكر عبّاس، دار صادر؛ بيروت 2002م
- افتتاح الدعوة، النعمان بن محمد بن منصور، ابن حيون، تحقيق فرحات الدشراويّ، الشركة التونسيّة للتوزيع، تونس 1975م
- الأماليّ، إسماعيل بن القاسم القاليّ، دار الحديث للنشر؛ بيروت 1984م (مصورة)
- أميّة بن أبي الصلت: حياته وشعره، بهجة عبد الغفور الحديّثيّ، مطبعة العانيّ، بغداد 1975م
- إنباء الغمر بأبناء العمر، ابن حجر العسقلانيّ، ط2، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1986م

- الإنباه على قبائل الرواه، يوسف بن عبد الله، ابن عبد البر، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، 1985م
- إنسان العيون = السيرة الحلبية في سيرة الأمين والمأمون
- الأوائل، الحسن بن عبد الله، أبو هلال العسكري، دار الكتب العلميّة، بيروت 1987م
- أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك، محمد بن علي البروسوي، ابن سباهي زاده. تحقيق المهدي الرواضية، دار الغرب الإسلامي، بيروت 2006م
- إيضاح المكنون، إسماعيل الباباني، دار الفكر، بيروت، 1982م (مصورة)
- كتاب الإيمان، محمد بن إسحاق بن يحيى بن مندة، تحقيق علي بن محمد بن ناصر الفقيهي، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة 1981م
- بدائع الزهور في وقائع الدهور، محمد بن أحمد بن إياس، تحقيق محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1982 - 1984م
- بدائع السلك في طبائع الملك، محمد بن علي ابن الأزرق، تحقيق علي سامي النشار، وزارة الثقافة والفنون، بغداد، 1978م
- البداية والنهاية، ابن كثير القرشي، ط2، دار الفكر، بيروت 1978م (مصورة)
- بسط الأرض في الطول والعرض، علي بن موسى، ابن سعيد المغربي، تحقيق خوان قرنيط، معهد مولاي الحسن، تطوان 1958م
- كتاب بغداد، أحمد بن طاهر، ابن طيفور، مكتبة المثنى، بغداد، مكتبة المعارف، بيروت 1968م

- كتاب البلدان، أحمد بن إسحاق بن واضح اليعقوبي، مطبعة بريل، ليدن 1889م
- بلوغ الأمل في فن الزجل، أبو بكر بن حجة الحموي، تحقيق رضا محسن القرشي، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق 1974م
- البيان والتبيين، عمرو بن بحر الجاحظ، ط4، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت (د.ت.)
- تاج العروس من جواهر القاموس، السيّد محمد مرتضى الزبيدي، وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت 1966م
- تاريخ الأدب الجغرافي العربي، اغناطيوس كراتشكوفسكي، ترجمة صلاح الدين عثمان، جامعة الدول العربية، القاهرة 1983م
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت 2003م
- تاريخ ابن خلدون، ولي الدين عبد الرحمن بن محمد، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت 1979م. (مصورة عن طبعة بولاق باعثناء نصر الهوريني)
- تاريخ الرسل والملوك، محمد بن جرير الطبري، ط4، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة 1979م
- تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك
- تاريخ ابن الفرات، محمد بن عبد الرحيم بن الفرات، تحقيق قسطنطين زريق، نجلاء عز الدين، بيروت 1939م

- التاريخ الكبير، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق عبد الرحمن المعلمي اليماني، حيدر آباد، 1358 - 1362هـ
- تاريخ مدينة السلام وذكر محدثيها وذكر قُطّانها العلماء من غير أهلها ووارديها، أحمد ابن علي الخطيب البغدادي، حققه وضبط نصّه وعلق عليه بشار عواد معروف؛ دار الغرب الإسلامي؛ بيروت 2001م
- تحرير تقريب التهذيب، بشار عواد معروف وشعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت 1997م
- تحفة القادِم، محمد بن عبد الله القضاعي، ابن الأَبار، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1986م
- تحفة النظر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، محمد بن عبد الله اللواتي، ابن بطوطة، تحقيق عبد الهادي التازي، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط 1997م
- تذكرة الحفاظ، محمد بن أحمد الذهبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت (د.ت.)
- التذكرة الحمدوتية، محمد بن الحسن، ابن حمدون، تحقيق إحسان عباس، معهد الإنماء العربي، بيروت 1983م، وطبعه دار صادر؛ بيروت 1996م
- تذكرة الموضوعات، محمد طاهر بن علي الهندي الفتي، دار إحياء التراث العربي، بيروت 1978م
- ترتب المدارك، وتقريب المسالك، لمعرفة أعلام مذهب مالك، القاضي عياض بن موسى اليحصبي، عارضه بأصوله وعلق حواشيه وقدم له محمد بن تاويت الطنجي، تحقيق عبد القادر الصحراوي.... ورفاقه، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط 1965 - 1983م



- التعريف بابن خلدون ورحلته شرقاً وغرباً، عبد الرحمن بن خلدون، تحقيق محمد بن تاووت الطنجي، القيروان للنشر، تونس 2006م
- تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن
- تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز
- تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن
- التفسير الكبير، محمد بن عمر الفخر الرازي. ط3، دار إحياء التراث العربي، بيروت 1999م
- تقريب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، تحقيق محمد عوامه، دار الرشيد، حلب، 1986م
- تقويم البلدان، إسماعيل بن محمد، أبو الفداء، اعتنى بتصحيحه وطبعه جوزيف توسن رينود وماك كوكين ويسلان، دار الطباعة السلطانية، باريس 1840م
- التكملة لكتاب الصلاة، محمد بن عبد الله القضاعي، ابن الأبار، تحقيق عبد السلام الهراس، دار المعرفة، الدار البيضاء، 1993 - 1995م
- تلخيص الخطابة، أبو الوليد محمد بن أحمد، ابن رشد، تحقيق عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، دار القلم، بيروت (د.ت.)
- تلخيص كتاب أرسطو طاليس في الجدل، أبو الوليد بن رشد، تحقيق محمد سليم سالم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1980م
- تلخيص منطق أرسطو، أبو الوليد ابن رشد، تحقيق جيار جهامي، المكتبة الشرفية، بيروت 1982م

• التمهيد في الردّ على المملحة المعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة، أبو بكر الباقلاني، تحقيق محمود محمد الخضيريّ، محمد عبد الهادي أبو ريدة، دار الفكر العربي، القاهرة 1947م

• التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البرّ، تحقيق سعيد أحمد أعراب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط 1991م

• تنزيه الشريعة المرفوعة من الأخبار الشنيعة الموضوعة، علي بن محمد بن عراق الكناني، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، عبد الله محمد الصديق، دار الكتب العلميّة، بيروت 1979م

• تهافت الفلاسفة، محمد بن محمد، أبو حامد الغزالي، تحقيق سليمان دنيا، ط6، دار المعارف، القاهرة 1980م

• تهذيب الأسماء واللغات، محيي الدين بن شرف النووي، دار الكتب العلميّة، بيروت (د.ت.)

• تهذيب ابن قيم الجوزية على مختصر سنن أبي داود، تحقيق أحمد محمد شاكر، محمد حامد الفقي، دار المعرفة؛ بيروت 1367هـ

• تهذيب الكمال في أسماء الرجال، جمال الدين يوسف المزيّ، تحقيق بشار عواد معروف ط2، 3، دار الرسالة، بيروت 1983 - 1992م

• الثقات، محمد بن حبان بن معاذ البُستيّ، دار الفكر، بيروت 1973 - 1983م (مصورة عن طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد)

- جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله، يوسف بن عبد الله، ابن عبد البر، المطبعة المنيرية، القاهرة
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، ضبط وتعليق محمود شاكر، تصحيح علي عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت 2001م
- الجامع الكبير، محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1996م
- الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، ط3، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة 1967م
- جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس وأسماء رواة الحديث، وأهل الفقه والأدب، وذوي النباهة والشعر، محمد بن فتوح بن عبد الله الحافظ الحميدي الأزدي، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي، مكتبة نشر الثقافة الإسلامية، القاهرة 1952م
- الجرح والتعديل، عبد الرحمن بن محمد الرازي، ابن أبي حاتم، تحقيق عبد الرحمن المعلمي اليماني، حيدر آباد 1952 - 1956م
- المجلس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، المعافي بن زكرياء النهرواني.
- الجزء الأول والجزء الثاني، تحقيق محمد مرسى الخولي، عالم الكتب، بيروت 1981م
- الجزء الثالث والجزء الرابع، تحقيق إحسان عباس، عالم الكتب، بيروت 1993م
- الجماهر في معرفة الجواهر، محمد بن أحمد أبو الريحان البيروني، عالم الكتب، بيروت (د.ت.)

- جمهرة أنساب العرب، علي بن سعيد، ابن حزم الأندلسي، تحقيق عبد السلام هارون، ط4، دارالمعارف، القاهرة 1977م
- جيش التوشيح، لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق هلال ناجي، أعدّ أصلاً من أصله: محمد ماضور، مطبعة المنار، تونس (د.ت.)
- الحاوي في الفتاوي، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، مطبعة السعادة، القاهرة 1378هـ
- حدود العالم من المشرق إلى المغرب، لمجهول، تحقيق يوسف الهادي، الدار الثقافية للنشر، القاهرة 1999م
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أحمد بن عبد الله، أبو نعيم الأصفهاني، القاهرة 1938م
- الحماسة البصريّة، علي بن أبي الفرج البصريّ، تحقيق مختار الدين أحمد، ط3، عالم الكتب، بيروت 1983م
- حي بن يقظان، تحقيق أحمد أمين، دار المعارف، القاهرة 1952م
- خريدة العجائب وفريدة الغرائب، سراج الدين عمر بن مظفر ابن الوردی، المكتبة الشعبية؛ بيروت (د.ت.)
- خلع النعلين واقتباس النور من موضع القدمين، أحمد بن قسيّ، تحقيق محمد الأمراني، آسفي (المغرب) 1995م
- دار الطراز في عمل الموشحات، هبة الله بن جعفر ابن سناء الملّك، تحقيق جودت الركابي، دار الفكر، بيروت 1980م

- دائرة المعارف الإسلامية الكبرى، بإشراف كاظم الموسوي البجنوزي، طهران 1991م
- ديوان الأعشى الكبير، ميمون بن قيس، شرح وتعليق محمد حسين، مكتبة الآداب، القاهرة 1955م
- ديوان الأعمى التطيلي، أبو جعفر أحمد بن عبد الله بن أبي هريرة، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت 1963م
- ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، دار المعارف، مصر 1964م
- ديوان أبي تمام، حبيب بن أوس الطائي، مؤسسة النور للمطبوعات، بيروت 2000م
- ديوان أبي ذؤيب الهذلي، خويلد بن خالد، تحقيق انطونيوس بطرس، دار صادر، بيروت 2003م
- ديوان ابن سهل الأندلسي، تقديم إحسان عباس، دار صادر، بيروت 1967م
- ديوان السيد الحميري، إسماعيل بن محمد، تحقيق شاكر هادي شكر، تقديم السيد محمد تقي الحكيم، دار مكتبة الحياة، بيروت، (د.ت.)
- ديوان الشريف الرضي، محمد بن الحسين العلوي، وزارة الإرشاد الإسلامي، طهران 1986م
- ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح العكبري (التبيان في شرح الديوان) تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأياري وعبد الحفيظ شلبي، دار الفكر، بيروت (د.ت.)
- ديوان قيس بن ذريح، تحقيق عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت 2003م
- ديوان كثير عزة، شرح قدري مايو، دار الجيل، بيروت 1995م

- \* ديوان الموشحات الأندلسية، سيّد غازي، منشأة المعارف، الإسكندرية 1979م
- \* ديوان النابغة الذبيانيّ، زياد بن معاوية، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر (د.ت.)
- \* ديوان ابن نباته المصري، مطبعة التمدن، القاهرة 1323هـ
- \* ديوان أبي نواس، الحسن بن هانيء، دار صادر، بيروت، 1962م
- \* الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، علي بن بسام الشنترينيّ، تحقيق إحسان عبّاس، الدار العربية للكتاب، بيروت 1975م
- \* ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، محمود بن عمر، جار الله الزمخشريّ، تحقيق سليم النعيمي، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، بغداد، 1976م
- رحلة ابن بطوطة = تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار
- \* رسالة أضحوية في أمر المعاد، الشيخ الرئيس أبو علي ابن سينا، ضبطها وحققتها سليمان دنيا، دار الفكر العربيّ، القاهرة 1368هـ / 1949م
- \* رسالة ابن فضلان في وصف الرحلة إلى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة، أحمد ابن العباس، ابن فضلان، تحقيق سامي الدّهان، ط3، دار صادر، بيروت 1993م
- \* الرسالة القشيرية في علم التصوف، عبد الكريم بن هوازن القشيريّ، دار الكتاب العربيّ، بيروت 1957م
- \* الروض الأنف في تفسير السيرة النبويّة لأبن هشام، عبد الرحمن بن عبد الله السهيليّ، تحقيق مجدي منصورين، دار الكتب العلمية، بيروت (د.ت.)

- الروض المعطار في خبر الأقطار، محمد بن عبد المنعم الحميري، تحقيق إحسان عباس، ط2، مكتبة لبنان، بيروت، 1984م
  - الروضتين في أخبار الدولتين، عبد الرحمن بن إسماعيل، أبو شامة، مطبعة وادي النيل، القاهرة 1288هـ
  - روضة التعريف بالحبّ الشريف، لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، دار الفكر العربي - القاهرة (د.ت.)
  - زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم الجوزية، ط8، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة ومكتبة المنار الإسلامية، بيروت، 1985م
  - زهر الآداب وثمر الألباب، إبراهيم بن علي الحصريّ القيروانيّ، ط4، تحقيق زكي مبارك، بيروت، دار الجيل 1972م
  - زهر الأكّم من الأمثال والحكم، الحسن بن مسعود اليوسيّ، تحقيق محمد حجي، محمد الأخضر، معهد الأبحاث والدراسات والتعريب، الدار البيضاء 1981م
  - الزّهرة، محمد بن داود الأصفهانيّ، اعتنى بنشره لويس نيكل البوهيميّ، بيروت، مطبعة الآباء اليسوعيين 1932م
  - سجلّ قديم لمكتبة جامع القيروان، إبراهيم شبوح، مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد الثاني، ج2، القاهرة 1956م
- سرّ الأسرار لأرسطو = السياسة في تدبير الرئاسة

- سراج الملوك، محمد بن الوليد الأندلسي الطرطوشي، تحقيق محمد فتحي أبو بكر، تقديم شوقي ضيف، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1994م
- السلوك لمعرفة دول الملوك، أحمد بن علي المقرئ، تحقيق محمد مصطفى سعيد عبد الفتاح عاشور، وزارة الثقافة، القاهرة (1956 - 1973م)
- السنة لأبن أبي عاصم، أبو بكر أحمد بن عمرو، تحقيق ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت 1400هـ
- سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق يوسف الحوت، بيروت، دار الكتب العلمية، 1987م
- سنن الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، بعناية عبد الله هاشم، دار المحاسن، القاهرة 1966م
- سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق عزت الدعاس وعادل السيد، بيروت 1971م
- سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، تحقيق بشار عواد معروف، دار الجيل، بيروت 1998م
- السنن (المجتبى)، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، المطبعة المصرية بالأزهر، القاهرة 1348هـ
- السنن الكبرى، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، دار الكتب العلمية، بيروت 1991م
- السنن الكبرى، أبو بكر، أحمد بن الحسين البيهقي، حيدر آباد 1344هـ



- سؤالات البرقاني للدارقطني، تحقيق عبد الرحيم محمد القشقرّي، كتب خانة جميلي، باكستان 1404هـ
- سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي، ط3، حققه وعلّق عليه شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت 1985م
- السير والمغازي، محمد بن إسحاق المطلبّي، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر، بيروت 1978م
- السيرة الحلبية في سيرة الأمين والمؤمن، علي بن برهان الدين الحلبي، دار المعرفة، بيروت 1980م
- السيرة النبوية، لابن هشام، محمد بن عبد الملك، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة 1955م
- شرح أدب الكاتب، موهوب بن أحمد الجواليقي، تقديم السيد مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت (د.ت)
- شرح أشعار الهذليين، صنعة أبي سعيد الحسن بن الحسين السكّري، تحقيق عبد الستار فراج، راجعه محمود محمد شاكر، دار العروبة، القاهرة 1963 - 1965م
- شرح ديوان أبي تمام، ضبط معانيه وشروحه وأكملها إيليا الحاوي، دار الكتاب اللبناني، بيروت 1981م
- شرح ديوان لبّيد بن ربيعة العامري، تحقيق إحسان عبّاس، ط2، وزارة الإعلام، الكويت 1984م
- شرح فصوص الحكم، عبد الرزاق القاشاني، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة 1966م

- شرح القصائد السبع الطوال، محمد بن القاسم الأنباري، ط4، تحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة 1980م
- شرح مقامات الحريري، أحمد بن عبد المؤمن الشريشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المؤسسة العربية الحديثة، القاهرة 1969م
- شرف أصحاب الحديث، أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، تحقيق محمد سعيد خطيب أوغلي، كلية الإلهيات، جامعة أنقرة 1972م
- شعر دعبل الخزاعي، صنعه عبد الكريم الأشر، ط2، مجمع اللغة العربية، دمشق 1983م
- شعر عمرو بن شأس الأسدي، جمعه يحيى الجبوري، المكتبة العصرية، بيروت 1992م
- الشعر والشعراء، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، دار المعارف، مصر 1966م
- شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، محمد بن أحمد الفاسي المكي، نسخ الأصل وقابله أيمن فؤاد سيد، حققه وعلّق عليه مصطفى محمد الذهبي، مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة، مكة 1999م
- شمس المعارف الكبرى، أحمد بن علي البوني، المكتبة الثقافية، بيروت (د.ت.)
- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء أحمد بن علي القلقشندي، دار الكتب الخديوية، القاهرة، 1913م
- صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، الطبعة السلطانية، بولاق 1311-1313هـ (وما أشير إليه برقم الحديث، فالإشارة إلى فتح الباري لابن

حجر العسقلاني، الطبعة السلفية بعناية محمد فؤاد عبد الباقي والشيخ عبد العزيز  
ابن باز)

صحيح ابن حبان = الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان

• صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة  
1954م

• صورة الأرض، محمد بن حوقل النصيبي، دار صادر، بيروت 1938 - 1939م

• كتاب الضعفاء الكبير، محمد بن عمرو، أبو جعفر العقيلي، تحقيق عبد المعطي أمين  
قلعجي، دار الكتب العلمية؛ بيروت 1984م

• الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، محمد بن عبد الرحمن السخاوي، دار الكتب  
العلمية، بيروت (د.ت)

• طبقات الأطباء والحكماء، سليمان بن حسان، ابن جلجل الأندلسي، حققه فؤاد  
سيد، المعهد الفرنسي، القاهرة 1955م

• طبقات الشافعية الكبرى، عبد الوهاب بن علي، تاج الدين السبكي، ط2، تحقيق  
محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر، القاهرة 1992م

• الطبقات الكبرى، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الزهري، دار صادر، بيروت  
1405هـ

• العاقل الحالي والمرخص الغالي، صفى الدين الحلبي، تحقيق حسين نصار، الهيئة  
المصرية العامة للكتاب 1981م

العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي  
السلطان الأكبر = تاريخ ابن خلدون

• عدّة الجليس ومؤانسة الوزير والرئيس، علي بن بشرى الأغرناطي، عني بتصحيحه  
ألن جُونز (Alan Jones) طبعة أمّناء سلسلة جبّ التذكارية، كمبردج - إنجلترا  
1992م

• العقد الفريد، أحمد بن محمد، ابن عبد ربّه الأندلسي، تصحيح وضبط أحمد أمين،  
أحمد الزين، إبراهيم الأبياري، لجنة التّأليف والترجمة، القاهرة، 1965م

• العلامة ابن تاويت الطنجي، جوانب من حياته ونماذج من رسائله، محمد ككون  
الحسني (الكتاب التذكاري عن محمد بن تاويت الطنجي، منشورات مدرسة الملك  
فهد العليا للترجمة، طنجة 1997م

• العلل المتناهية في الأحاديث الواهية، عبد الرحمن بن علي، ابن الجوزي، قدّم له  
وضبطه خليل الميس، دار الكتب العلمية، بيروت 1983م

• العلل ومعرفة الرجال، أحمد بن حنبل، تحقيق طلعت بيكت وإسماعيل أوغلي،  
إستانبول 1987م

• العمدة في صناعة الشعر ونقده، الحسن بن رشيق القيرواني، تحقيق النبوي عبد  
الواحد شعلان، مكتبة الخانجي، القاهرة 2000م

• عنقاء مُغرب في معرفة ختم الأولياء وشمس المغرب، محيي الدين محمد ابن علي، ابن  
عربي الحاتمي، تحقيق بهنساوي الشريف، القاهرة 1998م

• عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، أحمد بن أحمد  
الغبريني، حققه عادل نومض، لجنة التّأليف والترجمة والنشر، بيروت 1969م

- العواصم من القواصم، محمد بن عبد الله، ابن العربي، تحقيق عمار الطالبي، مكتبة دار التراث، القاهرة 1997م
- كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق مهدي الخزومي، إبراهيم السامرائي، وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد، بغداد 1981 - 1984م
- عيون الأخبار، عبد الله بن مسلم، ابن قتيبة الدينوري، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة 1963م
- عيون الأنباء في طبقات الأطباء، أحمد بن القاسم، ابن أبي أصيبعة، تصحيح امرؤ القيس بن الطحان، أوغست مولر، المطبعة الوهبية، القاهرة 1882م
- غاية الحكيم وأحق النتيجتين بالتقديم، المنسوب إلى أبي القاسم مسلمة بن أحمد الجربطي، حققه هلموت ريتير H. Ritter هامبورغ ألمانيا 1927م
- غريب الحديث، أبو عبيد القاسم بن سلام، طبعة مصورة، دار الكتاب العربي، بيروت 1396هـ
- فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، حققه عبد العزيز بن عبد الله بن باز، أشرف على طبعه محيي الدين الخطيب، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض (د.ت.)
- فتوح البلدان، أبو الحسن البلاذري، راجعه وعلق عليه رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، بيروت، 1978م
- فتوح الشام، محمد بن عمر الواقدي، دار الجيل، بيروت (د.ت.)

- الفتوحات المكيّة، محيي الدين محمد بن علي، ابن العربيّ الحاتمي، دار صادر، بيروت (د.ت.)
- فضائل القرآن، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق فاروق حمادة، الدار البيضاء 1400هـ
- فن الشعر، أرسطو، ترجمة إبراهيم حمادة، مركز الشارقة للإبداع الفكري، الشارقة 1982م
- الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، محمد بن علي الشوكاني، تحقيق عبد الرحمن المعلمي الياني، القاهرة 1960م
- في تحقيق النصّ: أنظار تطبيقية نقدية في مناهج تحقيق المخطوطات العربية، بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2004م
- قانون التأويل، محمد بن عبد الله بن العربي المعافري، دراسة وتحقيق محمد السليمان، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1990م
- الكامل في التاريخ، عزّ الدين علي بن محمد، ابن الأثير الجزري، ط6، دار صادر، بيروت 1995م
- الكامل في ضعفاء الرجال، عبد الله بن عسكري الجرجاني، دار الفكر، بيروت 1984م
- الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمد بن عمر، جار الله الزمخشري، تحقيق محمد الصادق قمحاوي، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة 1972م

- كشف الأستار عن زوائد البرّار، علي بن أبي بكر الهيثمي، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، مؤسسة الرسالة، بيروت 1399هـ
- كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، إسماعيل ابن محمد العجلوني، ط3، دار إحياء التراث العربي، بيروت 1933م
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة، دار الفكر، بيروت 1982م (مصورة)
- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علي المتقي الهندي الهروي، تحقيق بكري حياني، تصحيح صفوت السقا، منشورات التراث الإسلامي، حلب 1971م
- لباب الآداب، عبد الملك بن محمد الثعالبي، تحقيق قحطان رشيد صالح، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد 1988م
- لباب المحصل، فخر الدين الرازي، تحقيق الأب لوسيانو رويو، مطبوعات معهد مولاي الحسن، النصّ العربي - تطوان دار الطباعة المغربية، 1952م. بيروت، دار المشرق 1995م
- لسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم، ابن منظور، دار صادر، بيروت (د.ت)
- المجالس والمسائرات، أبو حنيفة بن محمد، القاضي النعمان، تحقيق الحبيب الفقي، إبراهيم شبوح، محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1997م
- كتاب المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، محمد بن حبان البُستي، تحقيق محمد إبراهيم زايد، دار الوعي، حلب 1976م

- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الكتب العلمية، بيروت 2001م
- المحاسن والأضداد، عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق فوزي عطوي، الشركة اللبنانية للكتاب، بيروت 1969م
- المحاسن والمساوي، إبراهيم بن محمد البيهقي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة نهضة مصر ومطبتها، القاهرة، 1961م
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت 2001م
- المحلى بالآثار، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، تحقيق الشيخ أحمد شاكر، دار التراث، القاهرة (د.ت)
- مختارات من الجغرافيا الرياضية والكرتوغرافيا عند العرب والمسلمين واستمرارها في الغرب، فؤاد سزكين، معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، فرانكفورت 2000م
- المخطوط، إبراهيم شبوح، دار الكتب الوطنية، دار أليف- تونس 1989م
- المدونة الكبرى، الإمام مالك بن أنس الأصبحي، دار صادر؛ بيروت (د.ت)
- مروج الذهب ومعادن الجوهر، أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي، طبعة بريين دي فينار وباتين دي كرتابي، نقحها وصححها شارل بلا، منشورات الجامعة اللبنانية - المطبعة الكاثوليكية، بيروت 1979م



- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، شهاب الدين ابن فضل الله العمري، نشره بالتصوير الفوتستاتي فؤاد سزكين، معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، فرانكفورت 1989م
- المسالك والممالك، أبو عبيد الله بن عبد العزيز البكري، تحقيق أدريان فان ليوفن وأندري فيري، بيت الحكمة، قرطاج 1992م
- المسالك والممالك، عبيد الله بن عبد الله، ابن خرداذبة، مطبعة بريل، ليدن 1889م
- المستجاد من فعلات الأجواد، المحسن بن علي التنوخي، غني بنشره وتحقيقه محمد كرد علي، مجمع اللغة العربية، دمشق 1970م
- المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبد الله، الحاكم النيسابوري، دار الفكر، بيروت 1978م، عن طبعة حيدر آباد 1335هـ
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، الطبعة الميمنية، القاهرة 1313هـ / 1896م
- المسند الجامع لأحاديث الكتب الستة ومؤلفات أصحابها الأخرى وموطأ مالك ومسانيد الحميدي وأحمد بن حنبل وعبد بن حميد وسنن الدارمي وصحيح ابن خزيمة، بشار عواد معروف وآخرون، دار الجيل، بيروت 1993م
- مسند الحميدي، عبد الله بن الزبير، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، دار عالم الكتب، بيروت (د.ت.)
- مسند أبي داود الطيالسي، سليمان بن داود الطيالسي، مطبعة دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد 1321م

- مسند أبي يعلى الموصلي، أحمد بن علي بن المثنى، تحقيق حسين سليم الأسد، دار المأمون للتراث، دمشق 1404هـ
- المشترك وضعاً والمفترق صقلاً، ياقوت بن عبد الله الحموي، مكتبة المثنى، بغداد (د.ت.)
- المصنف، أبو بكر عبد الله بن محمد ابن أبي شيبة، طبعة إدارة القرآن والعلوم الإسلامية، باكستان 1987م
- المصنف، عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، ط2، المكتب الإسلامي، بيروت 1403هـ
- المصنوع في معرفة الحديث الموضوع، علي بن محمد القاري، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، مؤسسة الرسالة، ط2؛ بيروت 1978م
- المطرب من أشعار أهل المغرب، أبو الخطاب عمر بن حسن ابن دحية، تحقيق إبراهيم الأبياري، حامد عبد الحميد، دار العلم للجميع، القاهرة 1954م
- معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، عبد الرحمن بن محمد الدباغ، فاسم ابن عيسى، ابن ناجي، (الجزء الأول)، علق عليه إبراهيم شيوخ، مكتبة الخانجي، القاهرة 1968م
- المعجب في تلخيص أخبار المغرب، عبد الواحد بن علي المراكشي، تحقيق محمد سعيد العريان، محمد العربي العلمي، مطبعة الاستقامة، القاهرة 1949م
- معجم الأدباء، ياقوت بن عبد الله الحموي، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1993م

- المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض 1986م
- معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الحموي، دار صادر، بيروت (د.ت.).
- المعجم الكبير، سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، وزارة الأوقاف العراقية، بغداد 1984م
- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، أبو عبيد الله بن عبد العزيز البكري، تحقيق مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت، (د.ت.) (مصورة)
- معرفة الثقات، لأبي الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح العجلي، بترتيب الهيثمي والسبكي، تحقيق عبد العليم عبد العظيم البستوي، المدينة المنورة 1985م
- المعلم بفوائد مسلم، محمد بن علي المازري، تحقيق الشاذلي النيفر، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1992م
- المعونة على مذهب عالم المدينة، عبد الوهاب علي بن نصر المالكي، تحقيق محمد حسن الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت 1998م
- المغرب في حلى المغرب، علي بن محمد، ابن سعيد المغربي، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة 1978م
- المغني، عبد الله بن أحمد الجماعيلي، موفق الدين ابن قدامة، دار الفكر، بيروت 1985م

مفاتيح الغيب = التفسير الكبير للإمام الفخر الرازي

- المقاصد الحسنة، محمد بن عبد الرحمن السخاوي، تحقيق عبد الله محمد الصديق، دار الكتب العلمية، بيروت 1979م
- مقامات الحريري، القاسم بن علي الحريري، دار صادر، بيروت 1978م
- المقتطف من أزاهر الطرف، علي بن محمد، ابن سعيد المغربي، تحقيق سيد حنفي حسنين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1983م
- المقتطف من أزاهر الطرف لابن سعيد، عبد العزيز الأهواني، مجلة الأندلس، المجلد 13، مدريد 1948م
- مقدمة ابن خلدون, Prolegomenes D'Ebn Khaldoun تحقيق أ.م. كاترمير Etienne Quatremere، مكتبة لبنان، بيروت 1992م (مصورة)
- مقدمة ابن الصلاح ومحاسن الاصلاح، عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري، تحقيق عائشة عبد الرحمن، دار المعارف، القاهرة 1989م
- ملعبة الكفيف الزرهوني، تقديم وتعليق وتحقيق محمد بن شريفة، المطبعة الملكية، الرباط 1407هـ / 1987م
- الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة؛ بيروت 1980م
- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، عبد الرحمن بن علي، ابن الجوزي، تحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت 1992-1993م
- منتهى الطلب من أشعار العرب، محمد بن المبارك بن ميمون، تحقيق وشرح محمد نبيل طريفي، دار صادر، بيروت 1999م

- منطق أرسطو، تحقيق عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1952م
- من مؤلفات ابن سينا الطبية، الحسين بن عبد الله، شرف الدين ابن سينا، دراسة وتحقيق محمد زهير البابا، منشورات جامعة حلب والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1984م
- المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، يوسف بن تغرى بردى، جمال الدين أبو المحاسن، تحقيق محمد محمد أمين، تقديم سعيد عبد الفتاح عاشور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1985م
- المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، تقي الدين أحمد بن علي المقرئ، تحقيق أيمن فؤاد سيد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن 2002م
- كتاب الموسيقى الكبير، محمد بن محمد الفارابي، تحقيق وشرح غطاس عبد الملك خشبه، مراجعة محمود أحمد الحفني، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة (د.ت.)
- الموطأ، الإمام مالك بن أنس، برواية الليثي، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، 1998م
- مؤلفات ابن خلدون، عبد الرحمن بدوي، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، دار المعارف، مصر 1962م
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق علي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة 1963م
- نثر الجمان في شعر من نظمنا وإياه الزمان، أبو الوليد إسماعيل بن الأحمر، تحقيق محمد رضوان الداية، مؤسسة الرسالة، بيروت 1976م

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، جمال الدين يوسف بن تغرى بردى الآتابكي، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، (نشرة مصورة عن طبعة دار الكتب)، القاهرة 1972م
- نخب الذخائر في أحوال الجواهر، محمد بن إبراهيم ابن الأكفاني، عالم الكتب، بيروت (د.ت)
- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، الشريف الإدريسي، عالم الكتب، بيروت، 1989م
- نسب معدّ واليمن الكبير، هشام بن محمد بن السائب الكلبي، تحقيق ناجي حسن، عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية، بيروت 1988م
- نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، المحسن بن علي التنوخي، ط2، تحقيق عبّود الشالحي، دار صادر؛ بيروت 1995م
- نصب الراية لأحاديث الهداية، عبد الله بن يوسف الزيلعي، دار المأمون، القاهرة 1357هـ
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، أحمد بن محمد بن يحيى المقري، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968م
- نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وآخرين، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة 1954م
- هدية العارفين: أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إسماعيل الباباني البغدادي، دار الفكر؛ بيروت 1982م (مصورة)
- الوافي بالوفيات، خليل بن أليك الصفدي، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، بيروت 1962 - 2004م

- الوزراء والكتاب، محمد بن عبدوس الجهشياري، تحقيق مصطفى السقا إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة 1938م
- وفيات الأعيان وأبناء الزمان، شمس الدين ابن خلكان، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، دار صادر؛ بيروت (د.ت.)

- Catalogus Codicum manuscriptorum orientalium qui in museo Britannico London, 1846
- IBN Khaldung, The Muqaddimah, An Introduction to History, Translated from the Arabic by FRANZ Rosenthal, 3 Volumes, Routledge & Kegan Paul London 1958
- Islam Ansiklopedisi, Vol. 15, Istanbul, 1997
- Meydon Larousse, XX, Istanbul, 1992. V, Istanbul, 1993
- Supplément aux dictionnaires Arabes (تكملة المعاجم العربية) par Reinhart Dozy, Librairie du Liban, Beyrouth, 1968





المحنوى



## الفصل الرابع من الكتاب الأول:

في البلدان والأمصار والمدن وسائر العُمران  
الحَضَرِيّ، وما يعرّض في ذلك من الأحوال؛  
وفيه سوابق ولواحق

- 1 • فصل، في أنّ الدّول أقدم من المدن والأمصار،  
وأنها إنّما توجد ثانية عن الملك
- 2 • فصل، في أنّ الملك يذعو إلى [نزول] الأمصار
- 3 • فصل، في أنّ المدن العظيمة والهيكل المُرْتَقِعَة إنّما  
يُشَيِّدُهَا الملك الكبير
- 4 • فصل، في أنّ الهيكل العظيمة جداً لا تَسْتَقِلُّ  
ببنائها الدّولة الواحدة
- 5 • فصل، فيما تجب مُراعاهه في أوضاع المدن، وما  
يَحْدُثُ إذا أُغْفِلَ عن المُرَاعاة
- فصل [فيما يراعى في البلاد السّاحلية]

- 16 6. فَضْلٌ، فِي الْمَسَاجِدِ وَالْبُيُوتِ الْمُعَظَّمَةِ فِي الْعَالَمِ  
17 • [مَكَّة]
- 24 • [بَيْتُ الْمَقْدِسِ]
- 30 • [الْمَدِينَةُ]
- 32 7. فَضْلٌ، فِي أَنَّ الْأَمْصَارَ وَالْمُدُنَ بِإِفْرِيقَتَيْهِ وَالْمَغْرِبِ  
قَلِيلَةً
- 33 8. فَضْلٌ، فِي أَنَّ الْمَبَانِيَّ وَالْمَصَانِعَ فِي الْمِلَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ  
قَلِيلَةً بِالنَّسْبَةِ إِلَى قُدْرَتِهَا وَمَنْ كَانَ قَبْلَهَا مِنَ  
الدُّوَلِ
- 35 9. فَضْلٌ، فِي أَنَّ الْمَبَانِيَّ الَّتِي تَخْتَطُّهَا الْعَرَبُ يُسْرِعُ  
إِلَيْهَا الْحَرَابُ، إِلَّا فِي الْأَقْلَى
- 36 10. فَضْلٌ، فِي مَبَادِي الْحَرَابِ فِي الْأَمْصَارِ
- 37 11. فَضْلٌ، فِي أَنَّ تَفَاضُلَ الْأَمْصَارِ وَالْمُدُنِ فِي كَثَرَةِ  
الرَّفْرِهِ وَتَفَاقِ الْأَسْوَاقِ، إِنَّمَا هُوَ بِتَفَاضُلِ عُثْمَانِيَّاتِهَا  
فِي الْكَثَرَةِ وَالْقِلَّةِ
- 41 12. فَضْلٌ، فِي أَسْعَارِ الْمُدُنِ
- 45 13. فَضْلٌ، فِي قُصُورِ أَهْلِ الْبَادِيَةِ عَنْ سُكْنَى  
الْمِصْرِ الْكَثِيرِ الْعُثْمَانِيَّاتِ

- 46 14 • فَضْلٌ، فِي أَنَّ الْأَقْطَارَ فِي اخْتِلَافِ أَسْوَاقِهَا  
بِالرَّفْهِ وَالْفَقْرِ مِثْلُ الْأَمْصَارِ
- 49 15 • فَضْلٌ، فِي تَأْتِلُ الْعَقَارُ وَالضِّيَاعُ فِي  
الْأَمْصَارِ، وَحَالِ قَوَائِدِهَا وَمُسْتَقْلَلَاتِهَا
- 50 16 • فَضْلٌ، فِي حَاجَةِ الْمُتَمَوِّلِينَ مِنْ أَهْلِ الْأَمْصَارِ  
إِلَى الْحَاجِ وَالْمُدَافَعَةِ
- 51 17 • فَضْلٌ، فِي أَنَّ الْحَضَارَةَ فِي الْأَمْصَارِ مِنْ قَبْلِ  
الدَّوْلِ، وَأَنَّهَا تَرْسُخُ بِاتِّصَالِ الدَّوْلَةِ وَرُسُوخِهَا
- 56 18 • فَضْلٌ، فِي أَنَّ الْحَضَارَةَ غَايَةُ لِلْعُمْرَانِ وَنَهَايَةُ  
لِلْعُمْرِ، وَأَنَّهَا مُؤَيَّدَةٌ بِفَسَادِهِ
- 61 19 • فَضْلٌ، فِي أَنَّ الْأَمْصَارَ الَّتِي تَكُونُ كِرَاسِي  
لِلْمُلْكِ تَخْرُبُ بِخَرَابِ الدَّوْلَةِ وَانْتِقَاضِهَا
- 65 20 • فَضْلٌ، فِي اخْتِصَاصِ بَغْضِ الْأَمْصَارِ بِبَغْضِ  
الصَّنَائِعِ دُونَ بَغْضِ
- 66 21 • فَضْلٌ، فِي وَجُودِ الْعَصِيَّةِ فِي الْأَمْصَارِ وَتَغْلُبِ  
بَغْضِهِمْ عَلَى بَغْضِ
- 68 22 • فَضْلٌ ، فِي لُغَاتِ أَهْلِ الْأَمْصَارِ

## الفصل الخامس من الكتاب الأول:

71

في المعاش ووجوهه من الكسب والصنائع، وما  
يغرض في ذلك كله من الأخوال. وفيه مسائل

73

1 • فضل، في حقيقة الرزق والكسب، وشرحهما.  
وأن الكسب هو قيمة الأعمال البشرية

77

2 • فضل، في وجوه المعاش وأصنافه ومذاهبه

79

3 • فضل، في أن الخدمة ليست من المعاش  
الطبيعي

81

4 • فضل، في أن ابتغاء الأموال من الدفائن  
والكنوز ليس بمعاش طبيعي

87

5 • فضل، في أن الجاة مفيد للمال

89

6 • فضل، في أن السعادة والكسب إنما تحصل  
غالباً لأهل الخضوع والملق، وأن هذا الخلق  
من أسباب السعادة

94

7 • فضل، في أن القائمين بأمر الدين من القضاء  
والفتيا والتدريس والإمامة والخطابة والأذان  
ونحو ذلك، لا تعظم ثروتهم في الغالب

- 96 8 • فَضْلٌ ، فِي أَنَّ الْفَلَاحَةَ مِنْ مَعَاشِ  
الْمُسْتَظْعَفِينَ وَأَهْلَ الْعَاقِبَةِ مِنَ الْبَدْوِ
- 97 9 • فَضْلٌ، فِي مَعْنَى التِّجَارَةِ وَمَذَاهِبِهَا وَأَصْنَافِهَا
- 98 10 • فَضْلٌ، نَقْلُ التَّاجِرِ لِلسَّلَعِ
- 100 11 • فَضْلٌ، فِي الْإِخْتِكَارِ
- 101 12 • فَضْلٌ، فِي أَنَّ رُخْصَ الْأَسْعَارِ مُضِرٌّ  
بِالْمُخْتَرِفِينَ بِالرَّخِيسِ
- 103 13 • فَضْلٌ، فِي أَيِّ أَصْنَافِ النَّاسِ يَنْتَفِعُ بِالتِّجَارَةِ،  
وَأَيُّهُمْ يَنْبَغِي لَهُ تَرْكُهَا
- 104 14 • فَضْلٌ، فِي أَنَّ خُلُقَ التُّجَّارِ نَازِلَةٌ عَنْ خُلُقِ  
الرُّؤَسَاءِ، وَبَعِيدَةٌ عَنِ الْمُرُوءَةِ
- 106 15 • فَضْلٌ، فِي أَنَّ الصَّنَائِعَ لَا بُدَّ لَهَا مِنَ الْمَعْلَمِ
- 107 16 • فَضْلٌ، فِي أَنَّ الصَّنَائِعَ إِنَّمَا تَكْمُلُ بِكَمَالِ الْعُمَرَانِ  
الْحَضَرِيِّ وَكَثْرَتِهِ
- 108 17 • فَضْلٌ، فِي أَنَّ رُسُوحَ الصَّنَائِعِ فِي الْأُمُصَارِ  
بِرُسُوحِ الْحَضَارَةِ وَطَوِيلِ أَمْدِهَا
- 110 18 • فَضْلٌ، فِي أَنَّ الصَّنَائِعَ إِنَّمَا تُسْتَجَادُ وَتَكْثُرُ إِذَا  
كَثُرَ طَالِبُهَا

- 111 19• فَضْلٌ، فِي أَنَّ الْأُمُصَارَ إِذَا قَارَبَتِ الْخَرَابَ  
انْتَقَصَتْ مِنْهَا الصَّنَائِعُ
- 112 20• فَضْلٌ، فِي أَنَّ الْعَرَبَ أَبْعَدُ النَّاسِ عَنِ  
الصَّنَائِعِ
- 113 21 • فَضْلٌ، فِي أَنَّ مَنْ حَصَلَتْ لَهُ مَلَكَةٌ فِي  
صِنَاعَةٍ، فَقَلَّ أَنْ يُجِدَ بَعْدَهَا مَلَكَةً فِي أُخْرَى
- 114 22• فَضْلٌ، فِي الْإِشَارَةِ إِلَى أُمَمَاتِ الصَّنَائِعِ
- 115 23 • فَضْلٌ، فِي صِنَاعَةِ الْفِلَاحَةِ
- 116 24• فَضْلٌ، فِي صِنَاعَةِ الْبِنَاءِ
- 122 25 • فَضْلٌ، فِي صِنَاعَةِ التِّجَارَةِ
- 124 26• فَضْلٌ، فِي صِنَاعَةِ الْحِيَاكَةِ وَالْحِيَاظَةِ
- 126 27• فَضْلٌ، فِي صِنَاعَةِ التَّوْلِيدِ
- 130 28 • فَضْلٌ، فِي صِنَاعَةِ الطَّبِّ، وَأَنَّهَا مُحْتَاجٌ إِلَيْهَا  
فِي الْحَوَاضِرِ وَالْأُمُصَارِ دُونَ الْبَادِيَةِ
- 135 29 • فَضْلٌ، فِي أَنَّ الْخَطَّ وَالْكِتَابَ مِنْ عِدَادِ  
الصَّنَائِعِ الْإِنْسَانِيَّةِ
- 146 30 • فَضْلٌ، فِي صِنَاعَةِ الْوِرَاقَةِ



149 31 • فَضْلٌ، فِي صِنَاعَةِ الْغِنَاءِ

159 32 • فَضْلٌ، فِي أَنَّ الصَّنَائِعَ تُكْسِبُ صَاحِبَهَا عَقْلاً  
وْخُصُوصاً الْكِتَابَ وَالْحِسَابَ

161 الْفَصْلُ السَّادِسُ مِنَ الْكِتَابِ الْأَوَّلِ :

فِي الْعُلُومِ وَأَصْنَافِهَا، وَالتَّعْلِيمِ وَطُرُقِهِ، وَسَائِرِ  
وُجُوهِهِ وَمَا يَغْرِضُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ مِنَ الْأَخْوَالِ.  
وَفِيهِ مُقَدِّمَةٌ وَلَوَاحِقُ:

163 1 • فَضْلٌ، فِي الْفِكْرِ الْإِنْسَانِيِّ

165 2 • فَضْلٌ، فِي أَنَّ عَوَالِمَ الْحَوَادِثِ الْفِعْلِيَّةِ إِنَّمَا تَتِمُّ  
بِالْفِكْرِ

167 3 • فَضْلٌ، فِي الْعَقْلِ التَّجْرِبِيِّ، وَكَيْفِيَّةِ حُدُوثِهِ

169 4 • فَضْلٌ ، فِي عُلُومِ الْبَشَرِ وَعُلُومِ الْمَلَائِكَةِ

172 5 • فَضْلٌ ، فِي عُلُومِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ

173 6 • فَضْلٌ، فِي أَنَّ الْإِنْسَانَ جَاهِلٌ بِالذَّاتِ، عَالِمٌ  
بِالْكَسْبِ

175 7 • فَضْلٌ، فِي أَنَّ الْعِلْمَ وَالتَّعْلِيمَ طَبِيعِيٌّ فِي  
الْعُمُرَانِ الْبَشَرِيِّ

- 176 8. فَضْلٌ، فِي أَنَّ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ مِنْ جُمْلَةِ الصَّنَائِعِ
- 182 9. فَضْلٌ، فِي أَنَّ الْعُلُومَ إِنَّمَا تَكْثُرُ حَيْثُ يَكْثُرُ  
الْعُمَرَانُ وَتَعْظُمُ الْحَضَارَةُ
- 184 10. فَضْلٌ، فِي أَصْنَافِ الْعُلُومِ الْوَاقِعَةِ فِي الْعُمَرَانِ  
لِهَذَا الْعَهْدِ
- 187 11. فَضْلٌ، فِي عُلُومِ الْقُرْآنِ مِنَ التَّفْسِيرِ  
وَالْقِرَاءَاتِ
- 193 12. عُلُومُ الْحَدِيثِ
- 206 13. الْفِقْهُ وَمَا يَتَّبَعُهُ مِنَ الْفَرَائِضِ
- 218 • [عِلْمُ الْفَرَائِضِ]
- 220 14. أَصُولُ الْفِقْهِ وَمَا يَتَّعَلَّقُ بِهِ مِنَ الْجَدَلِ  
وَالْخِلَافِيَّاتِ
- 226 • [الْخِلَافِيَّاتِ]
- 228 • [الْجَدَلِ]
- 229 15. عِلْمُ الْكَلَامِ
- 246 16. فَضْلٌ، فِي كَشْفِ الْغَطَاءِ عَنِ الْمُتَشَابِهِ مِنْ  
الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَمَا حَدَثَ لِأَجْلِ ذَلِكَ مِنْ  
طَوَائِفِ السُّنَنِ وَالْمُبْتَدِعَةِ فِي الْإِعْتِقَادَاتِ

- 261 17 • عِلْمُ التَّصَوُّفِ
- 267 • تَفْصِيلٌ وَتَحْقِيقٌ
- 273 • فَضْلٌ [فِي الْقَوْلِ بِالْقَطْبِ عِنْدَ  
الْمُتَصَوِّفَةِ]
- 275 • تَذْوِيلٌ [مِنْ كَلَامِ أَبِي مَهْدِي عَيْسَى  
ابْنِ الزِّيَّاتِ]
- 281 18 • عِلْمُ تَعْبِيرِ الرُّؤْيَا
- 287 19 • الْعُلُومُ الْعَقْلِيَّةُ وَأَصْنَافُهَا
- 294 20 • الْعُلُومُ الْعَدَدِيَّةُ
- 294 • [الْأَرْتَمَاطِيْقَى]
- 298 • [الْجَبْرُ وَالْمُقَابَلَةُ]
- 299 • [لِمُعَامَلَاتٍ]
- 300 • [الْفَرَائِضُ]
- 301 21 • الْعُلُومُ الْهَنْدَسِيَّةُ
- 303 • [الْأَشْكَالُ الْكُرِّيَّةُ]
- 303 • [الْمَخْرُوطَاتُ]
- 304 • [الْمِسَاحَةُ]
- 304 • [الْمَنَاظِرُ]
- 305 22 • عِلْمُ الْهَيْئَةِ

- 306 • [علم الأزياج]
- 308 •23 علم المنطق
- [كتب المنطق الثمانية عند المتقدمين] :
- 310 • [كتاب المقولات]
- 310 • [كتاب العبارة]
- 310 • [كتاب القياس]
- 310 • [كتاب البرهان]
- 311 • [كتاب الجدل]
- 311 • [كتاب السفسطة]
- 311 • [كتاب الخطابة]
- 311 • [كتاب الشعر]
- 313 • فائدة [في التكرير على انتحال المنطق]
- 316 •24 الطبيعيات
- 317 •25 علم الطب
- 318 • فضل [في طب البادية الذي لا يقوم  
على قانون طبيعي]
- 320 •26 علم الفلاحة
- 321 •27 علم الإلهيات
- 323 •28 علوم السحر والطلسمات
- 336 • فضل [في الإصابة بالعين]

- 337 29• علم أسرار الحروف
- 344 • تحقيق [في السّيمياء وأنها تحصلُ برياضة  
شرعية]
- 346 • فضل [من فروع السّيمياء استخراج  
الأجوبة من الأسئلة]
- 347 • [القصيدة المنسوبة للسّبّتي]
- 351 • الكلام على استخراج نسبة الأوزان،  
وكيفيّتها، ومقادير المقابيل منها، وقوّة  
الدرجة المميّزة بالنسبة إلى موضع  
المعلق، من امتزاج طبائع، وعلم طبّ،  
أو صناعة الكيمياء
- 351 • الطبّ الروحانيّ
- 352 • مطالع الشعاعات في مواليد الملوك  
وتبليغهم
- 352 • مقامات الملوك
- 354 • الانفعال الروحانيّ والانقياد [الزبانيّ]
- 355 • اتصال أنوار الكواكب تلقائي (كذا)
- 355 • مقام المحبّة، وميل النفوس، والجاهدّة،  
والطّاعة، والعبادة، وحبّ، وتعشّق،  
وقناء الفناء، وتوجّه، ومراقبة، وخلّة  
دائمة الانفعال الطّبيعيّ
- 356 • فصل في المقامات للنّهاية

- 357 • الوصية، والتَّخْتُم، والإيمان، والإسلام،  
والتَّخْرِيم، والأَهْلِيَّةُ
- 359 • الزَّايِرَجَة: الدائرة
- 360 • الزَّايِرَجَة: الجدول
- 362 • كَيْفِيَّةُ الْعَمَلِ فِي اسْتِخْرَاجِ أَجْوِبَةِ  
المسائل من زَايِرَجَةِ الْعَالَمِ، بِحَوْلِ اللَّهِ
- 362 • تنبيه
- 375 • المثال في هذا السؤال السابق
- 376 • حُرُوفُ الْأَوْتَارِ
- 380 1. فَضْلٌ، فِي الْإِطْلَاعِ عَلَى الْأَسْرَارِ  
الْخَفِيَّةِ مِنْ جِهَةِ الْإِزْتِبَاطَاتِ الْحَرْفِيَّةِ
- 383 • وَمِنْ طَرَائِقِهِمْ فِي اسْتِخْرَاجِ الْجَوَابِ
- 385 • فَضْلٌ [فِي اسْتِخْرَاجِ الْمَجْهُولِ مِنْ مَسْأَلَةٍ  
مَا]
- 386 2. فَضْلٌ، فِي الْإِسْتِذْلَالِ عَلَى مَا فِي  
الضَّمَائِرِ الْخَفِيَّةِ بِالْقَوَانِينِ الْحَرْفِيَّةِ
- 387 • صِفَةُ اسْتِخْرَاجِ قُوَى الْعِنَاصِرِ
- 390 • صِفَةُ اسْتِخْرَاجِ النَّسَبِ الْعُنْصُرِيَّةِ
- 391 30. عِلْمُ الْكِيمِيَاءِ
- 393 • [رِسَالَةُ ابْنِ بِشْرُونَ لِابْنِ السَّمْحِ]
- 403 • التَّدْبِيرُ عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ تَعَالَى
- 409 31. فَضْلٌ، فِي إِبْطَالِ الْفَلَسَفَةِ وَفَسَادِ مُنْتَحِلِهَا

- 419 32 • فَضْلٌ، فِي إِبْطَالِ صِنَاعَةِ الثُّجُومِ وَضَعْفِ  
مَدَارِكِهَا وَفَسَادِ غَايَتِهَا
- 424 • [قَصِيدَةُ لَأَبِي الْقَاسِمِ الرَّحَوِيِّ مِنْ  
شُعْرَاءِ تُونِسَ]
- 427 33 • فَضْلٌ، فِي إِنْكَارِ ثَمَرَةِ الْكَيْمِيَاءِ وَاسْتِحَالَةِ  
وُجُودِهَا، وَمَا يَنْشَأُ مِنَ الْمَفَاسِدِ عَنْ انْتِحَالِهَا
- 438 34 • فَضْلٌ، فِي الْمَقَاصِدِ الَّتِي يَتَّبَعِي اعْتِمَادُهَا  
بِالتَّأْلِيفِ وَإِلْغَاءِ مَا سِوَاهَا
- 444 35 • فَضْلٌ، فِي أَنَّ كَثْرَةَ التَّوَالِيفِ فِي الْعُلُومِ عَائِقَةٌ  
عَنِ التَّخْصِيلِ
- 446 36 • فَضْلٌ، فِي أَنَّ كَثْرَةَ الْإِخْتِصَارَاتِ الْمَوْضُوعَةِ  
فِي الْعُلُومِ مُخِلَّةٌ بِالتَّعْلِيمِ
- 447 37 • فَضْلٌ، فِي وَجْهِ الصَّوَابِ فِي تَعْلِيمِ الْعُلُومِ  
وَطَرِيقِ إِفَادَتِهِ
- 450 • فَضْلٌ
- 454 38 • فَضْلٌ، فِي أَنَّ الْعُلُومَ الْإِلَهِيَّةَ لَا تُوسَّعُ فِيهَا الْأَنْظَارُ  
وَلَا تَقَرَّعُ فِيهَا الْمَسَائِلُ
- 456 39 • فَضْلٌ، فِي تَعْلِيمِ الْوِلْدَانِ، وَاخْتِلَافِ مَذَاهِبِ  
الْأَمْصَارِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي طُرُقِهِ

- 460 • فُضِّلَ، في أَنَّ الشَّدَّةَ على المتعلِّمين مُضِرَّةٌ  
هم
- 462 • فُضِّلَ، في أَنَّ الرِّحْلَةَ في طَلَبِ العُلُومِ ولِقَاءِ  
المُشَيِّخَةِ مَزِيدُ كَمَالٍ في التَّعْلِيمِ
- 463 • فُضِّلَ، في أَنَّ العُلَمَاءَ من بَيْنِ البَشَرِ أبعَدُ  
عن السِّيَاسَةِ ومَذَاهِبِهَا
- 465 • فُضِّلَ، في أَنَّ حَمَلَةَ العِلْمِ في الإِسْلَامِ أَكْثَرُهُمُ  
العَجَمُ
- 469 • فَضِّلَ، في أَنَّ العُجْمَةَ إِذَا سَبَقَتْ إِلَى  
اللِّسَانِ، قَصُرَتْ بِصَاحِبِهَا في تَحْصِيلِ العُلُومِ  
عن أَهْلِ اللِّسَانِ العَرَبِيِّ
- 473 • فُضِّلَ، في عُلُومِ اللِّسَانِ العَرَبِيِّ
- 474 • النَّخْوُ
- 477 • عِلْمُ اللِّغَةِ
- 482 • فَضِّلَ [في التَّثْقُلِ الَّذِي تَتَبَثُّ بِهِ  
اللِّغَةُ]
- 483 • عِلْمُ البَيَانِ
- 488 • عِلْمُ الأَدَبِ
- 490 • فُضِّلَ، في أَنَّ اللُّغَةَ مَلَكَةٌ صِنَاعِيَّةٌ



- 492 47● فُضِّلَ، في أَنَّ لُغَةَ الْعَرَبِ لِهَذَا الْعَهْدِ، لُغَةٌ  
مُسْتَقِيلَةٌ مَغَايِرَةٌ لِلُّغَةِ مُضَرٍّ وَلُغَةِ جُمَيْرٍ
- 498 48● فُضِّلَ، في أَنَّ لُغَةَ الْحَضَرِ وَالْأَمْصَارِ لُغَةٌ  
قَائِمَةٌ بِنَفْسِهَا مَخَالِفَةٌ لِلُّغَةِ مُضَرٍّ
- 500 49● فُضِّلَ، في تَعَلُّمِ اللِّسَانِ الْمُضَرِّيِّ
- 501 50● فُضِّلَ، في أَنَّ مَلَكَهَ هَذَا اللِّسَانِ غَيْرُ  
صِنَاعَةِ الْعَرَبِيَّةِ، وَمُسْتَفْنِيَةٌ عَنْهَا فِي التَّعْلِيمِ
- 504 51● فُضِّلَ، في تَفْسِيرِ لَفْظَةِ الذَّوْقِ فِي مُصْطَلَحِ  
أَهْلِ الْبَيَانِ، وَتَحْقِيقِ مَعْنَاهَا، وَيَبَيِّنُ أَنَّهَا لَا  
تَحْصُلُ غَالِبًا لِلْمُسْتَفْرِغِينَ مِنَ الْعَجَمِ
- 509 52● فُضِّلَ، في أَنَّ أَهْلَ الْأَمْصَارِ عَلَى الْإِطْلَاقِ  
قَاصِرُونَ فِي تَحْصِيلِ هَذِهِ الْمَلَكََةِ اللَّسَانِيَّةِ  
الَّتِي تُسْتَفَادُ بِالتَّعْلِيمِ، وَمَنْ كَانَ مِنْهُمْ أَبْعَدَ  
عَنِ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ، كَانَ حُصُولُهَا عَلَيْهِ  
أَصْعَبَ
- 512 53● فُضِّلَ، في انْقِسَامِ الْكَلَامِ إِلَى فَنِّيِ النَّظْمِ  
وَالنَّثْرِ
- 515 54● فُضِّلَ، في أَنَّهُ لَا تَتَّفِقُ الْإِجَادَةُ فِي فَنِّيِ  
الْمَنْظُومِ وَالْمَنْثُورِ مَعَ إِلَّا لِلْأَقْلِ

516 55• فُضِّلَ ، في صِنَاعَةِ الشَّعْرِ وَوَجْهَهُ تَعَلَّمِهِ

530 و 531 • [قصيدتان للنَّاشئ في الشعر]

532 56• فُضِّلَ ، في أَنَّ صِنَاعَةَ النُّظْمِ وَالتَّثَرُّعِ إِنَّمَا هِيَ  
في الألفاظ لا في المعاني

534 57• فُضِّلَ ، في أَنَّ حَصُولَ هَذِهِ الْمَلَكَةِ بِكَثْرَةِ  
الحِفْظِ ، وَجُودَتِهَا بِجُودَةِ الحِفْوَظِ

539 58• فُضِّلَ ، في بَيَانِ المَطْبُوعِ مِنَ الكَلَامِ  
والمَصْنُوعِ ، وَكَيْفَ جُودَةُ المَصْنُوعِ أَوْ قِصُورُهُ

547 59• فُضِّلَ ، في تَرْفُعِ أَهْلِ المَرَاتِبِ عَنِ انْتِحَالِ  
الشَّعْرِ

549 60• فُضِّلَ ، في أَشْعَارِ العَرَبِ وَأَهْلِ الأَمْصَارِ  
لهذا العهد

566 • الموشَّحات والأزجال للأندلس

604 • [خواتم النسخ المعتمدة ظ، ج، ي]

605 • المستدرك

607 • فصل ، في اتِّسَاعِ نِطاقِ الدُّوَلَةِ أَوَّلًا إِلَى نِهَائِيَّتِهِ ،  
ثُمَّ تَضَايِقِهِ ثَانِيًا طَوْرًا بَعْدَ طَوُّرٍ إِلَى فَنَاءِ الدُّوَلَةِ  
واضمحلالها

- 612 • فَضْلٌ، فِي أَنَّ الرِّيَاسَةَ لَا تَزَالُ فِي نِصَابِهَا  
الْمُخْصُوصِ مِنْ أَهْلِ الْعَصِيَّةِ
- 615 • الْمَصَادِرُ وَالْمَرَاجِعُ
- 647 • الْمَحْتَوَى





# Kitāb al-‘Ibar wa Dīwān al-Mubtada’ wa-l-Khabar

fī Ayyām al-‘Arab wa-l-‘Ajam wa-l-Barbar wa man  
‘Āṣarahum min Dhawī al-Sultān al-Akbar

*By*

Walī al-Dīn ‘Abd al-Raḥmān b. Muḥammad  
IBN KHALDŪN

BOOK ONE: THE PROLEGOMENA

VOL. 2

*Collated with the autograph manuscripts  
and prepared with glossaries and indexes by*

**Ibrahim Chabbouh**

Tunis 2007

